الآداب العربيَّة

في

القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي

مدير مجلة المشرق

الجزء الاوَّل

من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٧٠

(نقلاً عن مجلة المشرق)

طبعة ثانية مصحَحة مع زيادات شتَّى

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

بيروت سنة ١٩٢٤

المقدمة

على هذه الطبعة الثانية

تحيا الامم بآدابها لانَّ الآداب ترقّي المرء فوق الحياة المادية وتسمق بهِ الى المدارك الشريفة وتقرّبهُ الى عالم الارواح والى الجمال الالهي الذي منهُ يستعير كل مخلوق جمالهُ.

وعليهِ فان اراد العاقل ان يعرف درجة التمدُّن التي بلغها شعب من الشعوب بحث عن انتشار الآداب بين اهلهِ ولذلك ترى المؤرخين يقدّمون في تاريخهم تاريخ الآداب على تاريخ الوقائع وربّما افردوا للاداب تاريخاً قائماً بذاتهِ يثبت ما يختصّ بالعلوم والمعارف في كل ملّة مخبراً عن نشأة الاداب بينها واتساع نطاقها واسباب ترقيها ونتائجها الطيبة في اصلاح العموم وتحسين اخلاقهم ودفعهم الى المشروعات الاثيرة والمساعي الخطيرة

ومن عجيب امور اللغة العربية انكَ لا تجد حتى اليوم تاريخاً ممتعاً لآدابها مع وفرة كتبتها وتعدُّد مصنفاتها في كل ابواب العلوم واتساع دائرة نفوذها الى حدود الهند والصين ومجاهل افريقية وسواحل اوربا وقد احسَّ بهذا النقص فئة من المستشرقين المحدثين في فرنسة والنمسة والمانية وانكلترة وروسية وايطالية فارادوا نوعاً سدَّ هذا الخلل ببعض التآليف التي اودعوها اوصاف العلوم العربيّة وتراجم اصحابها وقائمة الكتب التي صنفوها. وكذلك جرى على آثارهم بعض كتبة الشرق في مصر فاستقوا من مناهلهم اخصهم المرحوم جرجي زيدان في كتابهِ تاريخ الاداب العربيَّة الذي انتقدنا اقسامهُ تباعاً في مجلّة المشرق

على ان تلك التآليف مع فوائدها ليست سوى بواكير اعمال اوسع واكمل لا نزال اليها في حاجة ماسّة فنتمنى ان تتألف فرقة من الادباء تقوم بهذا المشروع الجليل فتتبع اثار اللغة العربية في كل اطوارها مباشرة بعهد الجاهلية وبين القبائل المتفرقة في انحاء الجزيرة ثمَّ تدوّن نشأة تلك اللغة وما طرأ عليها من الطوارئ في اوائل

الاسلام وفي زمن الخلافتين الاموية والعباسية مع وصف الاسباب التي زادتها انتشاراً كفتح المدارس وانشاء المكاتب ونوادي العلوم وتنشيط الملوك. ثم تعرّف ائمة الكتبة والذين اشتهروا في كل زمن وكل بلد واختصوا بكل صنف من العلوم. وتعرض تآليفهم على محكّ الانتقاد فتميز غثها من سمينها ولا تكتفي بذكر اسمائها وتعريفها اجمالاً. فكم هناك من المصنفات المموّهة باسماء جليلة وهي بمضامينها ومعانيها هزيلة. وتواصل دروسها حتى اذا بلغت القرون الاخيرة تذكر خمود تلك الآداب مبيّنةً لعللها ومعلولاتها. ثمّ تختم ذلك بفصل مطوّل عن النهضة الادبية التي حدثت في القرن الاخير فتطري على محاسنهِ وتضرب على مشاينهِ

فلا غروَ ان كتاباً مثل هذا يتهافت عليهِ الادباء ويتخذونهُ كدستور دروسهم واساس ابحاثهم. وذلك ما حدا بنا ان نكتب في المشرق فصولاً في الآداب العربية في القرن الاخير رجاء ان تمهّد الطريق لمن يتوخّى ذلك التاريخ الذي يتوق اليهِ المستشرقون. فلمّا انسنا في جمهور القرّاء اقبالاً على مطالعتها وطلبوا الينا جمعها في كتاب مستقل تسهيلاً لمراجعتها لبّينا الى ملتمسهم وطبعنا على حدة القسم الاوّل الذي يتناول تاريخ الآداب العربية من غرّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٧٠ ثم اردفناه بقسمهِ الثاني الى اواخر القرن التاسع عشر

هذا ونحن نعلم حق العلم انهُ فاتتنا اشياء كثيرة من احوال الآداب التي اردنا وصفها والادباء الذين قصدنا تعريفهم وما كنا لنجترئ على مباشرة هذا العمل لولا خوفنا بان يتلف القليل ممّا جمعناه عن آداب القرن المنصرم فتأخذهُ ايدي الضياع. واملنا الوطيد بان يتلافى غيرنا ما يجدوه في هذا المجموع من الخلل بابراز ما عندهم من الذخائر المصونة والكنوز المدفونة. ونشكر الذين لبوا دعوتنا واتونا ببعض الفوائد لاصلاح ما وقع من الخلل في طبعتنا الاولى وتحسين هذه الطبعة الجديدة. وقد ختمنا هذا الجزء بفهارس المواد واعلام الادباء الشرقيين والمستشرقين الذين مرّ ذكرهم في مطاوي الكتاب لتتم بها الفائدة وتزيد العائدة. ان شاء الله

الآداب العربيَّة

في

القرن التاسع عشر

توطئة

انَّ الآداب كصرحٍ منيف لا تزال ايدي الافاضل تُفرغ المجهود في بنائهِ فكلٌّ منهم يأتيه بحجرهِ ليزيدهُ علوًّا وكمالاً. على انهُ يطرأ على هذا الصرح طوارئ شتَّى فطورًا يبسق ويتعالى وطورًا يتخلَّف بناؤهُ فيصيب بُناتهُ الخمول ولعلَّ صروف الدهر تتحامل عليهِ فتقوّض اركانهُ او تسقطُ بفعل الزمان بعض حجارته

وكلٌّ يعلم ما كان للآداب العربيَّة في القرون السابقة من الرونق والبها. فترقَّت الى اوج عزّها وماست بمفاخرها مدَّة اجيالٍ متوالية الى ان خمدت همَّة بُناة صرحها حيناً على وفق سُنن الطبيعة التي لا تبقى على حالٍ واحدة كما قال الشاعر :

لكلّ شيء اذا ما تمَّ نقصانُ

وهذه الدنيا لا تُبقي على احدٍ ولا يدوم على حالٍ لها شانُ

لكنَّ هذا الخمول والحمد لله لم يدم زمناً طويلاً بل كان سباخاً بين بقعتين طيّبتين او شتاء بين ربيعَين كما سترى فازدهرت شجرة الآداب بعد جفافها وراجت اسواق العلوم بعد كسادها حتى بلغت ما نراهُ اليوم من امرها بعناية ارباب الشأن وهمَّة افاضل الادباء.

الفصل الاول

الآداب العربية في الشرق في بدء القرن التاسع عشر

لما تنفَّس القرن التاسع عشر كانت احوال اوربَّة في هَرْج ومَرْج والحروب قائمة على ساق بين دولها فلم تحطَّ عن اوزارها الَّا بعد نفي بوناپرت الى سنت هيلانة. وكان الشرق راصدًا لحركات الدول يتحفَّظ ويتصوَّن من كل سوء يتهدَّده فيستعدُّ للحرب ذبًّا عن حقوقهِ. فكانت هذه الحالة لا تسمح بصرف الفكر الى العلوم والآداب وقد قيل في مثلٍ «انَّ الحرب والعلم على طرفي نقيض فان رجح الواحد خفَّ الآخر» ومما نقض حبلَ الآداب في ذلك العهد قلَّة المدارس يتخرَّج فيها الاحداث فغاية ما كان يُرى منها بعضُ الكتاتيب الابتدائية لا سيَّما قريبًا من اديرة الرهبان وكان في الحواضر كدمشق وحلب والاسكندرية والقاهرة مدارس اعلى رتبةً لكنَّها في الغالب كانت محصورة في العلوم الدينيَّة وما يُحتاج الى اتقانها من المعارف اللسانيَّة كمبادئ الصرف والنحو

اما الكتب فكانت عزيزة الوجود اكثرها من المخطوطات الغالية الثمن التي لا يحصل عليها الَّا القليلون. وكذلك الطباعة العربيَّة كانت اذ ذاك قليلة الانتشار فانَّ مطبوعات اوربَّة العربيَّة لم يكن يعرفها الَّا الافراد من اهل الشرق فضلًا عن انَّها كانت موضوعة لمنفعة العلماء اكثر منها لفائدة الدارسين. اما المطبوعات في الشرق فلم يكن يوجد منها الَّا في دار السلطنة العليَّة وكانت في الغالب تركيَّة (اطلب مقالتنا في الطباعة. المشرق ٣ [١٩٠٠]: ١٧٤ — ١٨٠) وفي لبنان كانت مطبعة واحدة عربيَّة وهي مطبعة الشوير وكانت اكثر مطبوعاتها دينيَّة لا مدرسيَّة (المشرق ٣: ٣٥٩ — ٣٦٢). اما مطبعة قزحيا فكانت سريانيَّة ولم تتجدَّد الَّا بعد ثماني سنوات بهمَّة الراهب اللبناني سيرافيم حوقا (المشرق ٣: ٢٥١ — ٢٥٧). وكذلك مطبعة حلب التي كان انشأها البطريرك اثناسيوس دباس (المشرق ٣: ٣٥٥ — ٣٥٧) فانَّها كانت بطلت بعد وفاة منشئها سنة ١٧٢٤. اما مصر فانها حصلت على اوَّل مطبعة عربية قبل القرن التاسع عشر بثلاث سنوات فقط. فانَّ اللجنة العلميَّة التي كانت في

صحبة نابوليون كانت اتت بادوات طبعية تولّى ادارتها المسيو مرسال (Marcel) ومما طبعهُ بادئ بدء كتاب التهجئة في العربيَّة والتركية والفارسية (١٧٩٨) ثم كتاب القراءة العربية ثم معجم فرنسوي وعربي ثم غراماطيق اللغة المصرية العاميَّة. وفي سنة ١٨٠٠ عاد مرسال الى باريس وجلب مطبعتهُ معهُ ولم يستأنف المصريون فنّ الطباعة الَّا في ايام محمَّد علي سنة ١٨٢٢. وسنعود الى الكلام عنها

ومع قلَّة هذه الوسائل لتحصيل العلوم وُجد قومٌ من الكتبة الذين خدموا في الدواوين المصريَّة والشاميَّة وكانوا يتولَّون قلم الانشاء فيها عند عمَّال الدولة العلية فينالون في الكتابة بعض الشهرة منهم ابراهيم الصبَّاغ واولادهُ الذين اثبتنا ترجمتهم في المشرق (٨ [١٩٠٥]: ٢٤) وصار ابنهُ حبيب كاتب القلم العربيّ عند احمد باشا الجزَّار فتسلَّم دائرتهُ ثم تغيَّر هذا عليهِ فحبسهُ ومات محبوساً. واشتهر المعلّم عبود البحري واخواهُ جرمانوس وحنَّا عند ابراهيم باشا اوزون القطراغاسي في حلب وفي دمشق ثم عند خلفيه عبدالله باشا العظم ويوسف آغا كنج كما ذكرنا في ترجمة والدهم ميخائيل البحري (راجع المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٢٠-٢٢) وذكرنا هناك ما كان لكل واحد منهم من الهمَّة في خدمة الدولة العثمانية واصحابها. اما ابوهم ميخائيل فكان معتزلاً عن الاشغال في بيروت منقطعاً فيها الى العبادة حتى توفي في اواخر القرن الثامن عشر سنة ١٧٩٩. وقد روينا في ترجمتهِ شيئاً من شعرهِ فانهُ كان رُزق من القريحة والذكاء ما حبَّبهُ الى رجال الدولة وقدَّمهُ في الاعمال وهو لا يزال يُفرغ كنانة الجهد في القيام بالامور وصدق الخدمة ونشأ اولادهُ على وتيرتهِ وترقَّوا في الرُّتب الديوانية الى ان انتقلوا نحو السنة ١٨٠٨ الى مصر ونالوا الحظوى لدى امرائها (المشرق ٣: ٢١-٢٢) ومن آثارهم رسائل ومكاتبات واشعار قد تبدَّد اكثرها

وكان في صور ايضاً المعلّم حنا عورا. من جملة الكتَّاب اخذ عن ابيهِ ميخائيل الذي كان فريداً في الكتابة يُحسن الانشاء في العربية والتركية والفارسية فلمَّا توفّي ميخائيل في سنّ الاربعين نال ابنهُ حنَّا رتبتهُ في ديوان الجزار ثم عند سليمان باشا. واستخدم معهُ ابنهُ ابراهيم الذي توفي بعد سنتين بالطاعون. وبقي حنا من بعدهِ زمناً طويلاً في الاعمال الديوانيَّة. وممن خدموا ايضاً في دواوين الانشاء في ذلك الوقت الاخوان ابراهيم وخليل النحاس ابنا عم حنَّا عورا كتب الاوَّل في عكا والثاني في صور

واشتهر ايضاً بالكتابة في الوقت عينه غير هؤلاء كميخائيل سكروج واخيهِ بطرس وابراهيم ابي قالوش ويوسف مارون والياس بن ابراهيم اده الذي دوَّنا سيرتهُ وشعرهُ في المشرق (٢ [١٨٩٩]: ٦٩٣ و٧٣٦) وكذلك فضول الصابونجي واخوهُ خدموا كلهم احمد باشا الجزَّار وذاقوا حلوهُ ومرَّهُ. وفي عهدهم اشتهر عند الامير بشير الشهابي الشيخ سلوم الدحداح ثمَّ ابنهُ الشيخ منصور وبعدهما بطرس كرامه. كما حظي عند الامير يوسف الشيخ سعد الخوري. وعُرف في ذلك الوقت جرجس باز وعبد الاحد اخوهُ خدما اولاد الامير يوسف وهم حسين وسعد الدين وسليم الذين كانوا يزاحمون الامير بشير على الحكم

وكان في مصر قوم غير هؤلاء يشتغلون في الدواوين في غرَّة القرن التاسع عشر. الّا ان شهرتهم في الكتابة كانت دون شهرة السوريين. وممَّن امتازوا اذ ذاك المعلّمان القبطيّان جرجس الجوهري وغالي. فكان الاوَّل رئيس الكتبة في ايام ابرهيم بك وحظي لدى محمَّد باشا خسرو ثم نُكب. وقد ذكره الجبرتيّ في تاريخهِ عجائب الآثار وجعل وفاتهُ في شعبان السنة ١٢٢٥ هـ. (١٨١٠). وقام من بعده المعلم غالي وكان زاحمهُ في حياتهِ فصار في خدمة محمَّد علي باشا وابنهِ ابراهيم متوليًا رئاسة الكتابة وكان من جملة كتَّابه قومٌ من نصارى السوريين وغيرهم كجرجس وحنَّا الطويل والمعلم منصور صريون وبشاره ورزق الله الصبَّاغ والمعلّم فرنسيس اخي المعلّم فلتاوس وقد تضعضع امرهم بموت المعلّم غالي الذي قُتل سنة ١٨٢٠

وممَّا ساعد اهل مصر على صيانة الآداب العربية في ظهرانيهم مدرسة زاهرة كان يعلّم فيها نخبة من العلماء المسلمين. نريد بها المدرسة الازهريَّة التي مرَّ في المشرق وصفها (٤ [١٩٠١]: ٤٩). وكان متولّي تدبيرها في ذلك الوقت الشيخ عبدالله بن حجازي الشهير بالشرقاوي مولدهُ في شرقية بلبيس سنة ١١٥٠ هـ. (١٧٣٧) درس في الازهر وانتقلت اليه مشيختهُ سنة ١٢٠٨ وبقي عليها الى سنة وفاتهِ في ٢ شوال سنة ١٢٢٧ (١٨١٢) ولهُ عدَّة تصانيف دينيَّة في التوحيد والعقائد والتصوُّف. ومن تآليفهِ مختصر مغني اللبيب في النحو ولهُ في التاريخ كتاب طبقات فقهاء الشافعيَّة المتقدّمين والمتأخرين وكتاب تحفة الناظرين في من ولي مصر من الولاة والسلاطين وقد طُبعت هذه التحفة غير مرَّة

وممّن اصابوا لهم سمعةً في ذلك الوقت من الازهريين الشيخ محمّد الخالدي المعروف بابن الجوهري فكان اقرأ الدروس في الازهر وطار صيتهُ ووفدت عليهِ الوفود من الحجاز والمغرب والهند والشام. توفي في ١١ ذي القعدة ١٢١٥ (١٨٠١) وتركتهُ العلميَّة كثيرة وانَّما مدارها على الفقه ومتعلّقاتهِ خاصَّة

ومن أُدباء الازهريين في ذلك العهد الشيخ مصطفى بن احمد المعروف بالصاوي لزم شيوخ الازهر وبرع في العلوم الدينيَّة واللسانيَّة وكان لطيف الذات مليح الصفات محبًّا للآداب لهُ المنثر الطيّب والشعر الحسن روى منهُ الجبرتي شيئًا في عجائب الآثار (٣: ٣١٣—٣١٥) من ذلك قولهُ في وصف دار ابتناها الجبرتي المذكور:

بناءٌ بروقُ العينَ حسنُ جمالهِ ورونقهُ يشفي الصدورَ صدورُهُ
سما في سماء الكون فانتهج العلا برفعتهِ وازداد سرًّا سرورُهُ
ومن مجد بانيهِ تزايد بهجةً وقُلِّد من درّ المعالي نحورُهُ
فلا زال فيهِ الفضلُ تسمو شموسهُ وتنمو على كل البدور بدورهُ
ودام بهِ سعدُ السعود مؤرخاً حِمى العزّ بالمولى الجبرتي نورهُ (١١٩٢)

ومنهم الشيخ حسين بن عبد اللطيف العُمري الشهير بابن عبد الهادي القادري الدمشقي الخلوتي لهُ تأليف في تراجم اسلافهِ العلويين سمَّاهُ المواهب الاحسانيَّة في ترجمة الفاروق وذريّتهِ بني عبد الهادي. توفي سنة ١٢١٦ (١٨٠١)

*

وممّن ساعدوا على النهوض الادبيّ في اوائل القرن التاسع عشر رؤساء الطوائف الكاثوليكيَّة الاجلاء. فكان يسوس الطائفة المارونيَّة البطريرك يوسف التيَّان الذي كان تخرَّج في مدرسة الموارنة في رومية وبرز بين اقرانهِ في العلوم فلمَّا صار اليهِ تدبير امور الطائفة سعى بتنشيط المعارف بين رعيتهِ لاسيما الاكليريكيين. وممَّا عني بهِ توجيه نظرهِ الى مدرسة عين ورقة التي كان انشأها خلفهُ البطريرك يوسف اسطفان لمَّا كان اسقفاً فصارت هذه المدرسة بهمَّتهِ منارًا استضاءت بهِ الأمة المارونيَّة في القرن التاسع عشر ومنها خرج العدد العديد من بطاركة واساقفة وكهنة وادباء كانوا فخرًا لوطنهم بعلومهم فضلًا عن برّهم وسوف يأتي عنهم الكلام. ولهذا البطريرك آثارٌ لا تزال تدلُّ على طول باعهِ في الآداب الكنسيَّة. توفي في ٢٠ شباط سنة

١٨٢٠ وكان تنزَّل قبل ذلك بعشر سنوات عن البطريركيَّة

وكان الروم الكاثوليك خاضعين ايضاً لبطريرك يحبُّ العلوم ويهتمُّ بترقيتها بين طائفتهِ نريد البطريرك اغابيوس مطر وهو الذي انشأ مدرسة عين تراز لتهذيب ابناء ملتهِ في العلوم الاكليريكية سنة ١٨١١ وقد اثبتنا في المشرق (٨ [١٩٠٥]: ٥٠٨) الرسالة التي وجَّهها الى طائفتهِ في هذا الصدد

وكان السريان الكاثوليك في بدء القرن التاسع عشر فقدوا بطريركهم ميخائيل جروه الطيب الذكر في ١٤ تموز سنة ١٨٠٠ (اطلب ترجمة حياتهِ في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٩١٣) ولهُ الفضل في وضع اساس مدرسة الشرفة وفيها جمع مكتبة حسنة هي الى اليوم من اغنى مكاتب لبنان. ثم خلفهُ اغناطيوس بطرس جروه وكان متضلّعاً بالعلم وهو الذي عرَّب مختصر كتاب اللاهوت النظري والعملي لتوما دي شرم في مجلَّدين وكتب ترجمة عمهِ ميخائيل جروه ولهُ مواعظ لا تزال مخطوطة (المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٦٩٧)

وكان يرعى الارمن الكاثوليك منذ ١٧٨٨ غريغوريوس الاوَّل وكان رجلاً عريقاً بالفضل والقداسة يعرف ما للعلوم من المنفعة لخلاص النفوس فلبلوغ هذه الغاية انشأ في لبنان لطائفتهِ مدرسة في بزمَّار كانت بمثابة المدارس التي ذكرناها للطوائف الاخرى وهي لا تزال منذ مئة سنة موردًا يستقي منهُ المرشَّحون للكهنوت من الارمن الكاثوليك وقد ساعدهُ في هذا العمل الخطير القس اندراوس شاشاتي فنظَّم معهُ مدرسة بزمّار ورتَّب قوانينها (اطلب المشرق ٩: ٣٦٦).

وفي اوائل ذاك العصر عينهِ ازداد عدد الكلدان الكاثوليك في العراق على عهد البطريرك يوحنَّان هرمزد وقد اتاح الله لتلك الطائفة رجلاً غيورًا يُدعى جبرائيل دنبو كان من تجار ماردين المعتبرين فانشأ في الجبال المجاورة للموصل قريباً من ألقوش ديرًا جعلهُ كمقام للعيشة النسكية وللعلوم معاً. وفيهِ تخرَّج كثيرون من الذين اشتهروا في القرن التاسع عشر بتقاهم وآثارهم العلميَّة بين الكلدان

فترى مما سبق انَّ الله جعل في انحاء الشرق كخميرة بها اختمرت عقول أهل الاوطان فلم تزل تترقَّى الى ان جرت في مضمار الاداب جري المذكيات السوابق

الفصل الثاني

الآداب العربيّة في اوربّة في بدء القرن التاسع عشر

هلمَّ بنا نوجّه الآن الانظار الى احوال الاداب العربية بين الاوربيين في مفتتح القرن التاسع عشر ليظهر للقرَّاء كيف تمَّت بعد ذلك تلك النهضة العجيبة التي جعلت الدروس العربيَّة في مقام ممتاز كما نراها اليوم في حواضر اوربَّة واميركة

ليس درس اللغات الشرقية عموماً والعربيَّة خصوصاً امراً مستحدثاً بين علماء اوربّة كما يزعم البعض بل ابتدأت الافكار تتوجَّه الى احراز معانيها والتقاط لآليها منذ الفتوحات الاسلامية التي قرَّبت امم الشرق من تخوم البلاد الغربيَّة ولو تتبعنا الآثار المنبئة ببيان هذه القضية لتعدَّدت لدينا الشواهد لاسيَّما في جهات الاندلس وبعض جهات الروم. لكنَّ تلك الحركة زادت قوَّةً وانتشاراً في القرن الثاني عشر لِما جرى في ذلك العهد من الامور الجليلة والاحداث الخطيرة التي كادت تمزج طرفي الشرق والغرب مزج الماء بالراح

والكنيسة الكاثوليكية كانت اعظم ساعية في ادراك هذه الغاية. فممّن اشتهروا اذ ذاك في الدروس الشرقيَّة واعتنوا بنقل الآثار العربيَّة الى اللاتينيَّة او بنوا ابحاثهم على احوال الشرقيين رئيسُ دير كلوني بطرس المكرَّم (١٠٩٢-١١٥٦ م) وكان رحل الى الاندلس ورقب شؤون العرب فيها فأُعجب بآدابهم فلمَّا عاد الى ديرهِ عُني بانتقاد كتبهم. وفي عهدهِ عُرف جيرَرد دي كريمونا (١١١٤-١١٨٧) وكان مولعاً بنقل تآليف العرب في فنون الحكمة وكان اتقن درس العربيَّة فترجم الى اللاتينيَّة نحو ستين مصنفًا جليلاً لمشاهير الكتبة كالرازي وابن سينا في الرياضيَّات والهيئة والطبّ طُبع منها قسمٌ صالح وفُقد منها الكثير

ولمَّا أُنشئت في ذلك القرن رهبانيَّتا القديسين دومنيك وفرنسيس الاسيزي صرف من ابنائهما عددٌ يُذكر عنايتهم الى درس العلوم الشرقية. فانَّ الدومنيكي النابغة البرتوس الكبير (١١٩٣ - ١٢٨٠) لمَّا كان يفسّر كتب الفيلسوف ارسطاطاليس في كلية باريس كان يستند في شروحهِ الى ترجمة منقولة عن العربيَّة ويستعين في تحصيل

معانيها بما كتبهُ في ذلك الفارابي وابن سينا والغزَّالي. وجاراهُ في حبّهِ لآثار الشرق احد اخوتهِ في الرهبانيَّة الفرنسيسية الاسباني ريمند لول (R. Lull) (١٢٣٥–١٣١٥) وكان من اكبر انصار اللغات السامية في كليَّة اوربَّة. واهتمَّ رؤساء الدومنيكان منذ السنة ١٢٥٥ بانشاء مدرسة منظَّمة يعلّمون فيها العبرانيَّة والعربية والسريانيَّة في باريس وبلاد الكتلان. اما الرهبان الفرنسيسيُّون فلم يكونوا اقلَّ غيرةً في تخصيص بعض طلبتهم بدرس العربية. اشتهر بينهم ميشال سكوت (M. Scot) الذي انكبَّ في طليطلة على اتقان اللغة العربيَّة سنة ١٢١٧ ونقل عددًا وافرًا من تآليفها. واشهرُ منهُ الراهب الانكليزي روجار باكون (R. Bâcon) (١٢١٤–١٢٩٢) فريد عصرهِ ونسيج وحدهِ في العلوم الفلسفيَّة والطبيعيَّة فانهُ سعى ما امكنهُ بنشر الدروس الشرقية وعلى الاخصّ العربية

امَّا الاحبار الرومانيون فسبقوا كل ملوك اوربَّة في تنشيط درس اللغات الساميَّة التي منها العربيَّة. وممَّا يُذكر فيشكر انَّ البابا هونوريوس الرابع كان تقدَّم بفتح مدرسة للغة العربيَّة في باريس في العشر الاوَّل من القرن الرابع عشر. ولمَّا عُقد في فينَّة من اعمال فرنسة المجمع المسكونيّ سنة ١٣١١ كان احد قوانين الآباء ان تنشأ للغات مدارس العبرانيَّة والعربيَّة والكلدانيَّة في رومية على نفقة الحبر الاعظم وفي باريس على نفقة ملك فرنسة وفي بولونية واكسفورد وسَلَمَنكَة على حساب الرهبان والاكليروس. وممَّا يدلُّ على انَّ هذه اللغات كانت تُعلَّم في كليَّة باريس براءةٌ للبابا يوحنَّا الثاني والعشرين تاريخها سنة ١٣٢٥ يحتّم فيها على قاصدهِ هناك بان يراقب تدريس العربيَّة

ولمَّا اكتُشف فنّ الطباعة في اواسط القرن الخامس عشر كان كبير الاحبار يوليوس الثاني اوَّل من سبق الى طبع كتاب عربيّ (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٨٠) ووليهُ اغوسطينوس جوستنياني اسقف نابيو من اعمال كورسكا الذي طبع كتاب الزبور في اربع لغات منها العربيَّة سنة ١٥١٦. وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر فتحت الرهبانيَّة اليسوعية مدرسة للعبرانية وللعربيَّة في رومية علّم فيها الاب حنَّا اليانو الشهير وانشأ مطبعةً طبع فيها بعض الكتب الدينية كان نقلها الى العربية منها التعليم المسيحي واعمال المجمع التريدنتيني. ثمَّ زاد اهتمام الكرسيّ الرسولي بتعليم العربيَّة والعبرانيَّة والسريانية لمَّا أنشئت المدرسة المارونية ونقل المرسلون

والماعنة الى مكتبة الفاتيكان عددًا لا يُحصى من كنوز الشرق الادبيَّة بينها المئون من تآليف العرب اقتنوها بايعاز الباباوات كما أشرنا الى ذلك (المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٢٥). ثمَّ اتَّسعت تلك النهضة في كل اقطار اوربَّة فتوفَّر عدد الدارسين للُغات الشرقيَّة وحفلت المكاتب بآثار العرب والسريان لا سيما خزائن كتب باريس ومجريط ولندن واكسفرد وليدن ونُشرت تآليف عربيَّة جليلة لأعظم أُدباء العرب واشهر كتبة الشرق

ولم يكتفِ المرسلون بذلك بل انصبُّوا على دراسة العربيَّة انصباباً بلغ بهم الى ان أتقنوا اصولها وألَّفوا فيها التآليف المتعدّدة منها دينيَّة ومنها ادبيَّة ونقلوا اليها عددًا دثرًا من طُرف المصنَّفات الاوربيَّة. وهو بحثٌ استوفيناه في مقالاتنا التي ادرجناها في اعداد المشرق عن المخطوطات العربية لكتبة النصرانية

لكنَّ هذه الحركة مع سعة نطاقها لم تتجاوز حدودًا معلومة بل خمدت في آخر القرن الثامن عشر بعض الخمود لِما طرأ على انحاء اوربَّة من الدواهي بنشوب الحروب واستشراء الفساد وكثير من المدارس الشرقيَّة أُقفلت لسوء احوال الزمان

وما عتمت فرنسة ان ادركت حاجتها الى علماء يحسنون لغات الشرق وخصوصاً اللغات الحيَّة وفي مقدمتها العربيَّة فانشأ اربابُ امرها في باريس في ٢٩ نيسان من السنة ١٧٩٥ مدرسةً لتعليم اللغات الشرقيَّة الحيَّة اعني العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة وهي المدرسة التي اضحت مثالًا لما أُنشئ بعدئذٍ على هيئتها من المدارس الشرقيَّة العمليَّة في عواصم شتى من الممالك الاوربيَّة. وتلك المدرسة لم تزل تترقَّى في معارج التقدُّم الى يومنا هذا خرج منها عددٌ لا يُحصى من العلماء المستشرقين من فرنسويين والمان وايطاليين وسويسريين وغيرهم نذكر فيما بعد لمعةً من اخبارهم. وقد أُقيمت للمدرسة المذكورة اعياد شائقة قبل ٣٠ سنة بنسبة يوبيلها المئويّ وطُبعت بعدئذٍ المطبوعات المفيدة لتسطير تاريخها مع عدَّة آثار من قلم اساتذتها وتلاميذها. وممَّا اضافتهُ هذه المدرسة الى تعليمها لغات الشرق الاقصى اي الصينيَّة واليابانيَّة والأنامية. وكذلك ادخلت في جملة دروسها الارمنيَّة والهندستانيَّة وفيها يدرس الذين يترشَّحون للمناصب القنصليَّة في الشرق

وكان اعظم السُّعاة في فتح هذه المدرسة رجلان هُمامان احدهما يُعرف بكبير

المستشرقين وإمامهم البارون سلوستر دي ساسي الذي سنعود الى ذكره الطيّب قريباً والآخر لويس لنغلاي (L. T. Langlès) (١٧٦٣ — ١٨٢٤) وكان من اساتذة اللغات الهنديّة ألف فيها التآليف المفيدة التي نُشرت بالطبع وعُني بنشر التآليف العربيّة ولهُ رحلةٌ الى بلاد الشام وفلسطين ومصر طُبعت سنة ١٧٩٩

ومما ساعد على نهضة الآداب الشرقيّة في اواخر القرن التاسع عشر بعد هبوطها الجمعيّاتُ الاسيويّة كان الفضل في تشكيل اوّل جمعية منها في باتافيا من اعمال الهند الهولنديّة سنة ١٧٧٨ لكنّها كانت تقتصر على ما يختصّ بالمستعمرات الهولنديّة. ثمّ انشأ احد الانكليز وهو سير وليم جونس (١٧٤٣ — ١٧٩٥) جمعيّة اسيويّة عموميّة في كالكوتة سنة ١٧٨٤ فنجحت نجاحاً عظيماً. وكان منشئها من افاضل المستشرقين له عدّة تآليف في فنون العلوم الشرقيّة من جملتها شرح المعلّقات في الانكليزية. وعلى مثال هذه الجمعيّة عُقدت محافل اسيويّة أُخرى في الهند لا سيّما محفل بنغالي سنة ١٧٨٨. وهذه النوادي العلميّة لم تبلغ ما بلغتهُ محافل القرن التاسع عشر الوارد ذكرها لكنّها افادت بما نشرتهُ من المصنّفات الادبية والصناعيّة والتاريخيّة والعلميّة في مجلّات كانت تظهر في اوقات معلومة والبعض منها لم يزل طبعها جارياً حتى الآن

اما المستشرقون الذين نالوا لهم بعض الشهرة في خاتمة القرن الثامن عشر فكانوا من الافرنسيين يوسف دي غيني (J. de Guignes) (١٧٢١ — ١٨٠٠) مدرّس اللغة السريانيّة في مكتب باريس العلميّ ومؤلف تاريخ واسع للتتر والمغول والترك في خمسة مجلّدات ضخمة. ثمّ انكتيل دوپرون (Anquetil-Duperron) (١٧٣١— ١٨٠٥) درس وهو شاب اللغات الشرقيّة ثمّ ساح في اطراف الشرق وجمع المخطوطات الهنديّة الجليلة ونشر تآليف عديدة في اخبار الهند وآثار الهنود والفرس والعرب وهو اوّل من نقل كتاب زرادشت المعروف بزند أوستا الى الافرنسيّة وبعض كتب البِدّ (Védas) ولهُ مقالات عديدة في مجلّة العلماء. ومنهم المستشرق هربان (A. Herbin) (١٧٨٣ — ١٨٠٦) كتب في اصول اللغة العربيّة العاميّة وألف معجمَين عربي فرنسويّ وفرنسوي عربي وكتبَ في الموسيقى عند قدماء العرب وفي آداب الفرس

وكان قبل ذلك بعشر سنوات توفي مستشرق كبير من كهنة فرنسة الخوري

جان جاك برتلمي (J. J. Barthélemy) (١٧١٦ — ١٧٩٥) اشتغل في آثار الفينيقيين والتدمريين ولهُ مقالات لا تُحصى في كلّ ضروب المعارف. وهو الذي كتب « رحلة اناكرسيس » الشهيرة ضمَّنها اخبار اليونان القدماء وآثارهم. وقد حذا حذوهُ وطنينا المرحوم جميل مدوَّر في كتابهِ حضارة الاسلام في دار السلام

وممَّا زاد الفرنسويين ترقياً في الآداب الشرقية ان نابوليون لما قصد مصر سنة ١٧٩٨ اخذ في صحبتهِ بعضاً من العلماء المعدودين الذين انتهزوا الفرصة لتعلُّم العربية بين المصريين. وكانت فئة من السوريين اجتمعوا بهم بصفة تراجمة منهم ميخائيل صبَّاغ ونيقولا الترك والقس رافائيل الراهب المخلصي وغيرهم. فاستعان اولئك العلماء بهم لدرس العربيّة ولمَّا عادوا الى فرنسة نشروا تلك اللغة بين مواطنيهم

وكان ايضاً في اواخر القرن الثامن عشر بعض العلماء من غير الفرنسويين الذين انقطعوا الى درس العربيَّة وألَّفوا فيها التآليف منهم في المانية جان جاك رَيسك (J. J. Reiske) (١٧١٦ — ١٧٧٤) نشر عدداً كبيراً من كتب العرب ونقلها الى اللاتينية وعلَّق عليها التعاليق كمقامات الحريري وتاريخ ابي الفداء ومعلَّقة طرفة ومنهم جان داود ميكائيليس (J. D. Michaelis) (١٧١٧ — ١٧٩١) علَّم اللغات الساميَّة في غوطا وصنَّف التصانيف المفيدة في العبرانيَّة والسريانية والعربية منها كتب في اصول هذه اللغات وآدابها. واشتهر تيكسن (O. G. Tychsen) (١٧٣٤ — ١٨١٥) في غوتنغن لهُ تآليف شرقية من جملتها تأليف واسع في النقود الاسلامية

واشتهر غير الالمان السويسريّ بوركهرت (J. L. Burckhardt) (١٧٨٤ — ١٨١٧) الذي طاف متنكراً في بلاد النوبة وبادية الشام وجهات الحجاز وعُرف بالشيخ ابراهيم ولهُ تآليف جليلة في وصف رحلاتهِ الى الشام ومصر وبلاد العرب. ومن جملة كتبهِ تأليف في الامثال العربية وتوفي في القاهرة

وكانت العربيَّة في خاتمة القرن الثامن عشر لا تزال معزَّزة في انكلترَّة في كلّيتي كمبردج واكسفرد. وكان في اكسفرد مطبعة عربيَّة شهيرة نُشرت فيها كتب شرقية متعدّدة نخصُّ منها بالذكر تآليف ادورد بوكوك (E. Pocock) (١٦٠٤ — ١٦٩١) وابنهِ توما. وكان ادورد رحل الى الشرق وسكن مدَّةً في حلب ثمَّ درَّس في اكسفرد ونشر تاريخي ابي الفرج ابن العبري وسعيد بن بطريق. ونال الشهرة بين

الانكليز في الشرقيات في خاتمة القرن الثامن عشر كرليل (J. P. Carlyle) (١٧٥٩ — ١٨٠٤) ساح في بلاد الشرق ثمّ تولّى تدريس العربية في كليّة كمبردج لهُ كتاب في آداب العرب وشعرهم في الانكليزيّة ونقل الى اللاتينيّة قسماً من مورد اللطافة لجمال الدين ابن تغري بردي . وكذلك اشتهر معاصرهُ يوسف ويت (J. White) (١٧٤٦ — ١٨١٤) من علماء اوكسفرد الذي نشر لأوّل مرّة كتاب عبد اللطيف البغدادي في الامور المشاهدة بمصر سنة ١٧٨٩ ثمّ نقلهُ الى اللاتينيّة سنة ١٨٠٠ ولهُ غير ذلك

امَّا الهولنديُّون فكانوا في ذلك العهد يمشون في درس العربيَّة على آثار اسلافهم الافاضل كغوليوس (Golius) (١٥٩٦ — ١٦٦٧) واربنيوس (Erpenius) (١٥٨٤—١٦٢٤) وشولتنس (A. Schultens) (١٦٨٦—١٧٥٠) وابنهِ جان جاك (J. J. Schultens) (١٧١٦—١٧٧٨) وكلُّهم من المبرّزين جعلوا مدينة ليدن كمنار الآداب الشرقيَّة وابرزوا في مطبعتها المؤلفات العديدة التي اصبحت اليوم عزيزة الوجود يتزاحم العلماء في اقتنائها كتاريخ جرجس ابن المكين المعروف بابن العميد وسيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شدَّاد وتاريخ تيمورلنك لابن عربشاه وامثال الميداني ومطبوعات اخرى جليلة . وممَّن اشتهروا من الهولنديين في اواخر القرن الثامن عشر هيتسما (A. Haitsma) نشر سنة ١٧٧٣ مقصورة ابن دريد ونقلها الى اللاتينيَّة وذيَّلها بالحواشي . ومنهم شَيد (J. Sheid) (١٧٤٢ — ١٧٩٥) نقل صحاح الجوهري الى اللاتينيَة والَّف كتاباً في اصول العربيَّة ونشر منتخبات ادبيَّة شتَّى

وبرّز بين النمساويين في نهاية القرن الثامن عشر في درس الآثار الشرقية فرنسوا دي دومباي (E. de Dombay) (١٧٥٦ — ١٨١٠) نشر تاريخاً للعرب وقسماً من امثال الميداني مع ترجمتها اللاتينيَّة (١٨٠٥) ثم انقطع الى درس احوال مرّاكش فابرز عدَّة اثار مختصَّة بتلك البلاد كتاريخ ابن ابي زرعة ونقود مرّاكش وغير ذلك.

واصاب الكاهن جان ياهن (J. Jahn) (١٧٥٠ — ١٨١٦) شهرة في تدريس اللغات الشرقية في ڤينة ولهُ من التآليف غراماطيق عربيّ ومعجم عربي لاتيني ومجانٍ ادبيَّة

وكان الدنيمركيُّون ايضاً قد وجَّهوا بانظارهم الى الشرق فاشتهر منهم في آخر

القرن الثامن عشر نيبوهر (C. Niebhur) (١٧٣٣ – ١٨١٥) الذي طاف في انحاء جزيرة العرب ودوّن ملحوظاتهِ واخبار رحلتهِ في ثلاثة مجلّدات اضاف اليها مقالات حسنة في عادات الشرق واحوالهِ . ومنهم جرج زويغا (G. Zoëga) (١٧٥٥– ١٨٠٦) خرج من بلاد دنيمرك وتوطّن رومية العظمى وصار كاثوليكياً وانقطع الى درس الآثار الشرقيَّة لاسيما آثار مصر

ولم ينطفئ منار العلوم الشرقية بين الاسبانيين والبرتغاليين وخصوصاً الرهبان . وممَّن عُرف منهم الراهب الفرنسيسيّ كانيس (Fr. Canes) (١٧٣٠ – ١٧٩٥) عاش مدَّةً في فلسطين والشام ودرّس العربية مرسلي رهبانيَّتهِ وقد صنَّف كتباً مدرسيَّة في الاسبانيَّة لتعليم العربيَّة اخصُّها غراماطيق ومعجم كبير للمفردات ومختصر التعليم المسيحيّ . وفي عهدهِ كان الراهب حنَّا سوزا (J. Souza) (١٧٣٠–١٨١٢) ولد في دمشق من ابوين مسلمين فتنصَّر على يد المرسلين ثمَّ رحل الى البرتغال ودخل الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة وعلَّم اللغة العربية في لشبونة . ومن مطبوعاتهِ كتاب الالفاظ البرتغاليـة المشتقَّة من العربية . وكتاب نحو العرب ونصوص عربيـة لمؤرخي العرب في امور البرتغال

وكذلك الايطاليُّون فانَّهم لم يسهوا عن درس لغات الشرق ومآثرهِ فريخ منهم شكرَ العموم روزاريو غريغوريو (R. Gregorio) الكاهن البالرمي (١٧٥٣ – ١٨٠٩) الذي تفرَّغ لدرس آثار صقلية وتاريخها واحوالها لا سيَّما في ايَّام العرب فألَّف في ذلك التآليف الواسعة في عدَّة مجلَّدات ضخمة نخصّ منهـا بالذكر كتابهُ « الآثار العربية في تواريخ صقليّة » ضمَّنهُ كتابات ونقوشاً بديعة واوصافاً غاية في الفائدة — وعُرف الكاهن الرحالة ج . ماريتي (G. Mariti) (١٧٣٦ – ١٨٠٦) زار بلاد فلسطين والشام ومصر ودوّن اخبار رحلتهِ وعنها نقلنا في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ١٥٨ و ١٢٠) وصفةً لدير القلعة وكذلك كتب في تاريخ الصليبيين وغير ذلك

ولا يجوز لنا في هذا النظر الاجماليّ عن حالة العلوم الشرقية في ختام القرن الثامن عشر أن ننسى ما كان لمواطنينا من الفضل في نشر الآداب الشرقية في اوربّة . فان ذلك القرن هو قرن السَّماعنة الذين اشير اليهم بكل بنان فصار اسمهم مرادفاً للنشاط في تذليل العقبات واحياء مفاخر الشرق . اوَّلهم وإمامهم المونسنيور يوسف سمعان

السمعاني (١٦٨٧ – ١٧٦٨) رئيس اساقفة صور صاحب المكتبة الشرقية وتآليف أخرى لا تُحصى (١. ثمَّ اسطفان عوَّاد السمعاني نسيبهُ (١٧٠٩ – ١٧٨٢). ثمَّ يوسف لويس السمعاني (١٧١٠ –١٧٨٢) ثمَّ شمعون السمعاني (١٧٥٢–١٨٢١) وكان كلّ هؤلاء تلامذة المدرسة المارونية في رومية واثمارًا طيبة من دوحتها الفاخرة تُعدّ تآليفهم بالمئات بين مطوَّلة وقصيرة. وكان جلّ اهتمامهم في نشر الآثار السريانية لكنهم ايضاً اخرجوا من زوايا النسيان عدَّة تآليف عربية لاسيما في التاريخ والمآثر الدينية والادبية. وسنعود الى ذكر الاخير منهم الذي يدخل في دائرة مقالتنا اذ لم يمت الَّا في العشر الثاني من القرن التاسع عشر –. ومن هؤلاء الشرقيين الذين شرَّفوا الآداب في اواخر القرن الثامن عشر القسّ ميخائيل الغزيريّ وهو ايضاً من تلامذة الآباء اليسوعيين في المدرسة المارونية رافق السمعاني وحضر معهُ المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ثمَّ درَس اللغات الشرقيَّة وتعيَّن ترجمانًا لملك اسبانيا كرلوس الثالث ومن اعمالهِ الاثيرة وصف المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال قرب مجريط وهذا التأليف مجلَّدان كبيران يدلَّان على سعة معارف صاحبها طُبعا من السنة ١٧٦٠ الى ١٧٧٠ باللاتينيَّة والعربية – واشتهر منهم ايضاً في ڤينَّة عاصمة النمسا الخوري انطون عريضة الطرابلسي وعلَّم فيها اللغات الشرقية ولهُ من التآليف كتاب علم صرف العربيَّة ونحوها وضعهُ لتلامذتهِ في اللاتينيَّة وطبعهُ سنة ١٨١٣ في ڤينَّة.

وفي هذا النظر العموميّ كفايةٌ ليعرف القرَّاء حالة الدروس العربية في منتهى القرن الثامن عشر. وانَّما يترتَّب علينا الآن ان نقتصّ آثار الكتبة الذين زيَّنوا الآداب بحلية معارفهم واغنوها بثمرات اقلامهم ومصنَّفاتهم في القرن التاسع عشر. واننا نقسم ذلك فصولًا ليسهل على المطالع تتبُّع التفاصيل التي نثبتها فيحرزها دون عناء ويعرف ما لكل كاتب من المزايا والاعمال

---

١) اطلب ترجمتهُ وجدول تآليفهِ في برنامج اخويَّة القديس مارون للمرحوم يوسف خطَّار غانم (ص ١٠٥ – ١١٣). اطلب ايضاً كتاب سِفر الاخبار في سفر الاحبار للخوري يوسف الدبس (٢٠٩ – ٢١١).

الفصل الثالث

الاداب العربيّة في غرّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٣٠

كان افتتاح القرن التاسع عشر في ايّام السلطان الغازي سليم خان الثالث وكان من افضل ملوك دولتهِ دمث الاخلاق مغرماً بالآداب محبّاً لترقية رعاياه في معارج الفلاح. ثمّ صار الملك الى ابن عمّهِ السلطان مصطفى خان الرابع الذي لم يملك اكثر من سنة فضبط من بعدهِ سنة ١٨٠٨ زمام السلطنة اخوه محمود خان الثاني فطالت مدّتهُ وكان كالسلطان سليم هائماً بترقّي شعبهِ ساعياً في اسباب نجاحهِ في فنون الاداب وللشاعر نقولا الترك قولهُ يوم جلوسهِ :

تولّى التختَ سلطانُ البرايا وأيّدهُ الالـهُ بمرتقاهُ
فصاح الكون لمّا ارّخوهُ نظامُ الملك محمودٌ جـاهُ

ومن مساعي السلطانين سليم ومحمود المشكورة تعزيزهما لفنّ الطباعة في دار السعادة فطُبعت فيها عدّة تآليف عربيّة فضلاً عن المصنفات التركية. ويبلغ عدد المصنّفات العربيّة التي نُشرت بالطبع في هذه الثلاثين سنة نيفاً واربعين كتاباً كقاموس المحيط للفيروزابادي (١٨١٤) مع شرحهِ في التركيّة وكحاشية السيلكوتي على مطوّل التفتزاني (١٨١٢) ومراح الارواح لاحمد بن علي بن مسعود مع مجموع تآليف أُخرى نحويّة وصرفيّة (١٨١٨) وكافية ابن حاجب (١٨١٩) وغير ذلك ممّا مرّ لنا ذكرهُ في مقالتنا عن فنّ الطباعة في الاستانة (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ١٧٤ — ١٧٩) وفي ملحق تاريخ تركيا للمؤرخ الالماني هامّر (J. de Hammer) جدول هذه المطبوعات كلها في ٩٧ عدداً (اطلب المجلد ١٤ ص ٤٩٢ — ٥٠٧) . وكان الولاة يساعدون السلاطين في ادراك غايتهم الشريفة في جهات المملكة كسليمان باشا في عكّا ويوسف باشا كنج في دمشق وداود باشا في بغداد وغيرهم

وجاء في لغة العرب (١ : ٩٨) ان الوزير سليمان باشا القتيل كان اوّل من ايقظ العلوم والمنتمين اليها في ديار العراق بعد سُباتها العميق وانشأ في بغداد عدّة مدارس . ثمّ جاء بعدهُ بقليل داود باشا فانهضها النهضة التي خلدت له الاثر المحمود والذكر الطيّب

وكذلك في مصر كان محمّد علي باشا راغباً في نشر المعارف فاستعاد الادوات الطبعيّة التي كان الفرنسويّ مرسال اتخذها في ايام بونابرت وانشأ مطبعة بولاق الشهيرة سنة ١٨٢٢ وكان اول كتاب طُبع في تلك السنة قاموس ايطاليانيّ عربيّ وأردف في السنة التالية بكتاب قانون صباغة الحرير. ومطبوعات بولاق الى سنة ١٨٣٠ تربي على الخمسين في اللغات الثلاث العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة (١ الّا انَّ الكتب العربية المهمَّة لم تُطبع الّا بعد هذه المدَّة وانَّما جدّدت في الغالب المطبوعات المنشورة في الاستانة

وما يُقال اجمالًا في هذا القسم الاوّل من القرن التاسع عشر انَّ الذين اشتهروا فيهِ كانوا ابناء انفسهم لم يتعلّموا في مدارس منظَّمة بل نبغوا بشغلهم الخاصّ تحت نظارة بعض الافراد الذين سبقوهم في دواوين الكتابة ودوائر الانشاء.

التاريخ

ونبتدئ هنا بذكر الكتبة الذين وقفوا نفوسهم على تصنيف التاريخ فنقول: انحصر التاريخ بين ادباء المسلمين في بعض الافراد الذين لا يتجاوز عددهم اصابع اليد فذكرنا منهم (ص ٤) الشيخين عبد الله الشرقاويّ وحسين ابن عبد الهادي. وممَّن يضاف اليهما السيّد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشّاب المتوفى في ٢ ذي الحجة سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) كان مولعاً بالدروس الادبية واخبر الجبرتي في تاريخهِ (٤: ٢٣٨) «انّ الفرنساويّة عيّنوهُ في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيهِ كلّ يوم لانّ القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليوميَّة في جميع دواوينهم واماكن احكامهم ثمّ يجمعون المتفرّق في ملخّص يُرفع في سجلّهم بعد ان يطبعوا منهُ نسخاً عديدة يوزّعونها في جميع الجيش حتّى لمن يكون منهم في غير المصر من قرى الارياف فتجد اخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم. فلمّا رتّبوا ذلك الديوان كما ذُكر كان هو المتقيّد برقم كلّ ما يصدر في المجلس من امر او نهي او خطاب او جواب او خطأ أو صواب وقرّروا لهُ في كل شهر سبعة آلاف نصف فضّة فلم يزل متقيّداً في تلك الوظيفة مدَّة ولاية عبدالله جاك منو (Menou) حتى ارتحلوا من الاقليم». فهذه كما ترى جريدة يوميَّة وهي اوّل جريدة ظهرت في العربية وكان الجبرتي رأى منها عدة

١) اطلب المجلّة الاسيويّة الفرنساويّة (Journ. As. 1843, II, 31—38)

كراريس. وذكر ايضاً لاسماعيل الخشّاب ديوان شعر صغير الحجم جمعهُ صديقهُ الشيخ حسن العطّار

واشهر من هؤلاء في التاريخ العلّامة عبدالله بن حسن الجبرتي المذكور وُلد في مصر ١١٦٧ (١٧٥٣-١٧٥٤) كما ذكر في تاريخهِ (١: ٢٠٣) وروى هناك بعض ما حدث لهُ في صباه وكان من طلبة الازهر. جعلهُ بونابرت من كتبة الديوان فاحرز لهُ عند الجميع اسماً طيباً. وانقطع الى الكتابة والتأليف. وفي آخر حياتهِ قُتل احد اولاده في حي شبرا فبكاهُ بكاءً مرًّا افقدهُ البصر ولم يلبث ان تبعهُ في القبر. وقال كاتب فهرست مخطوطات المكتبة الخديويَّة (٥: ٨٣) انهُ توفي مخنوقاً في رمضان سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢). وقد جعل المسيو هوارت في تاريخ الاداب العربية (١ مولدهَ سنة ١٧٥٦ ووفاتهُ سنة ١٨٢٥ وفي كليهما غلط. اما تاريخهُ فيُدعى عجائب الآثار في التراجم والاخبار ضمّنهُ حوادث مصر التي جرت في اواخر القرن الثاني عشر واوائل الثالث عشر جارياً في ذلك على سياق السنين منذ فتوح السلطان الغازي سليم خان الاوَّل للقطر المصريّ الى غاية سنة ١٢٣٦ ذاكرًا للوقائع المعتبرة مع تراجم الاعيان المشهورين وقد ادخل فيهِ قسماً كبيرًا من تاريخ آخر وصف فيه وقائع بعثة بونابرت الى مصر دعاهُ « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » كتبهُ سنة ١٢١٦هـ (١٨٠٢) وتاريخ الجبرتي قد نُقل الى الفرنسيَّة بهمَّة بعض افاضل نصارى مصر وهم شفيق منصور بك وعبد العزيز كحيل بك وجبرائيل نقولا كحيل بك واسكندر بك عمون. وقد ترجم الفرنسوي كردين (A. Cardin) تأليفهُ الآخر مظهر التقديس

وممّن كتبوا في التاريخ الشيخ ابو القاسم بن احمد الزيّاني كان من عمّال مراكش متولّياً على مدينة وجدة. ثمَّ اعتزل الاشغال في تلمسان وألّف سنة ١٨١٣ كتاب الترجمان المُعرب عن دُول المشرق والمغرب طبع الاستاذ هوداس (O. Houdas) الفرنسويّ قسماً منهُ يحتوي تاريخ مراكش من السنة ١٦٣١ الى ١٨١٢. والباقي لا يزال مخطوطاً. ولهُ كذلك كتاب « البستان الظريف في دولة مولاي عليّ الشريف »

١) اطلب كتابه (Ch. Huaurt : *Littérature arabe*, 415-416)

وللكتبة النصارى في هذه الاثناء بعض التواريخ يترتَّب علينا ذكر اصحابها. واوَّل من اشتهر في ذلك القس حنانيا المنيّر احد رهبان الرهبانيَّة الحنَّاويَّة الشويريَّة. ولد المذكور في زوق مصبح سنة ١٧٥٧ وترهَّب سنة ١٧٧٤. اما بقيَّة اخباره في الرهبانيَّة فلا نعلم منها شيئاً كما اننا نجهل سنة وفاته. وممَّا يظهر من مآثره ومصنَّفاته انهُ كان رجلاً اديباً كثير الاطّلاع سليم الذوق نشيطاً في جمع الآثار والاخبار عارفاً بفنون الكتابة يُحسن النثر والشعر. وكان ذلك نادرًا في زمانه. وقد نعت نفسهُ في كتابٍ لهُ عن الدروز بالطبيب ما يدلّ على انهُ كان يتعاطى الطبّ.

امَّا اخصّ تآليفهِ فتاريخان الاوَّل مدني سبق لنا وصفهُ في المشرق (٤ [١٩٠١]: ٤٢٧ و٩٧٢) وهو تاريخ «الدرّ المرصوف في حوادث الشوف» اثبتنا منهُ مقدّمتهُ وبعض فقراته: وهذا التأليف يتناول الوقائع التي جرت في لبنان من السنة ١١٠٩هـ. (١٦٩٧م) عند ظهور الامراء الشهابيين الى السنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) وهو يتَّسع خصوصاً في حوادث الجبل والساحل في الاربعين السنة الاخيرة. ومن هذا التأليف قد استفاد الامير حيدر احمد الشهابي في تاريخهِ الشهير المعروف بالغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان والشيخ طنُّوس الشدياق في كتاب تاريخ الاعيان في جبل لبنان

اما التاريخ الثاني فهو تاريخ دينيّ قد جمع فيهِ المؤلف اخبار الرهبانيَّة الحنَّاويَّة منذ اواسط القرن الثامن عشر الى نهاية السنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) ولعلهُ استفاد من تاريخ آخر لاحد اخوتهِ الرهبان المدعو رفائيل كرامة الحمصي (راجع دواني القطوف ص ٢٠١). وليس هذا التاريخ كلهُ دينيًّا فانَّ فيهِ ايضاً اموراً عديدة تختصّ باخبار الامراء واحوال لبنان وبلاد الشام والقطر المصريّ. والكتاب عبارة عن ٢٠٠ صفحة تقريباً وكلا التاريخين نادر قد امكنَّا الحصول على نسخة منهما فاستنسخناهما لمكتبتنا الشرقية. ولابن المنيّر ما خلا ذلك تآليف شعريَّة وادبيَّة نذكرها في باب الأدب

واشتهر ايضاً في التاريخ من نصارى الملكيين الكاثوليك رجلان من بيت الصبَّاغ كانا حفيدين لابراهيم الصبَّاغ طبيب ظاهر العمر (اطلب المشرق ٨ [١٩٠٥]: ٢٩) اسم احدهما عبود بن نقولا بن ابرهيم والآخر ميخائيل. وكان اهلهما بعد وفاة جدّهما ابراهيم سنة ١٧٧٦ هربوا الى مصر حيث نشأ الولدان وتخرَّجا بالآداب على اساتذة القطر

المصري(١ . ثمَّ لمَّا قدم نابوليون الى مصر ومعهُ عدد من مشاهير العلماء اتَّصل عبود وميخائيل بهؤلاء الكرام وصارا في خدمتهم الى ان انتقلا معهم الى فرنسة. وقد اتَّسعنا في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ٣١-٣٣) في ما خلَّفهُ ميخائيل من التركة العلميَّة الثمينة اجلُّها قدرًا تآليف تاريخيَّة لا تزال مخطوطةً في مكتبتي باريس ومونيخ منها تاريخ اسرتهِ بيت الصبَّاغ وبيان احوال طائفتهِ الملكيَّة الكاثوليكية. ولهُ ايضاً متفرّقات ضمَّنها تاريخ قبائل البادية في ايامهِ وتاريخ الشام ومصر. هذا فضلًا عن كتبهِ اللغويَّة والادبيَّة كالرسالة التامَّة في كلام العامَّة ومسابقة البرق والغمام في سُعاة الحمام وكلاهما قد طُبع في اوربَّة. ولهُ مآثر من النظم نذكرها في الادبيَّات. امَّا عبُّود فانَّ لهُ في مخطوطات باريس تاريخًا (Fonds arabe, *Paris*, 4610) جمع فيهِ اخبار ظاهر العُمر دعاهُ الروض الزاهر في تاريخ ضاهر (كذا) ؛ وطريقة عبُّود وميخائيل في تدوين التاريخ سهلة الالفاظ واضحة المعاني حسنة السبك تدلُّ على ضلاعتهما في الكتابة. هذا مع ضعف في التعبير لا سيَّما في تاريخ عبُّود الذي يشبه كلامهُ بركاكتهِ كلام العامَّة. وتوفي ميخائيل سنة ١٨١٦ امَّا عبُّود فلا نعلم سنة ومكان وفاتهِ

وقد عُرف في عهد الصبَّاغين المذكورين كاهن من اسرتهما كما نظنّ نضيفهُ اليهما وهو انطون صبَّاغ من تلامذة رومية يستحقُّ الذكر بما عرَّبهُ من التآليف المتعدّدة البالغة نحو ٥٠ مجلدًا منها كتاب تاريخ الكردينال اورسي في ٢٤ جلدًا كبيرًا انتهى من تعريبهِ نحو السنة ١٧٩٢ وكانت وفاتهُ في العشر الاوَّل من القرن التاسع عشر (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٦٩٥)

ومن ادباء الروم الملكيين الذين احرزوا لهم فخرًا في التاريخ نيقولا بن يوسف الترك كان اصل والدهِ من الاستانة العلية ثم سكن دير القمر حيث ولد ابنهُ نيقولا سنة ١٧٦٣ وفي وطنهِ مات سنة ١٨٢٨ . كان نيقولا محبًّا للآداب منذ حداثتهِ فلم يزل يتعاطى النظم والنثر الى ان نال فيهما نصيبًا صالحًا. وقد خدم الامير بشير الشهابي زمنًا طويلًا وقصائدهُ فيهِ شهيرة نعود الى ذكرها عند وصف ديوانهِ. اما التاريخ فلهُ فيهِ مصنَّفان احدهما تاريخ الامبراطور نابوليون من سنة وفاة الملك لويس السادس عشر

١) اطلب ترجمة ميخائيل الصبَّاغ التي اثبتناها في المشرق (٨ : ٢٩-٣٠)

الى موت نابوليون سنة ١٨٢١ في نحو ٤٥٠ صفحة كتبهُ بانصاف وحُسن ذوق مع تعريف اسباب الحوادث وسوابقها ولواحقها والحكم في جيّدها وسيّئها. وهذا الكتاب قد طُبع نصفهُ الاوَّل في باريس سنة ١٨٣٩ بهمَّة المسيو ديغرانج (M. Desgranges) الذي نقلهُ الى الفرنساويَّة وألحقهُ بعدَّة ملحوظات وهو يحتوي تاريخ نابوليون الى آخر بعثة مصر سنة ١٨٠١. اماَّ النصف الثاني فلا يزال مخطوطاً. ولنيقولا الترك تاريخٌ آخر ضمَّنهُ اخبار احمد باشا الجزَّار منهُ في مكتبتنا الشرقية نسخة في ١٢٦ صفحة وهو غاية في الافادة لتعريف احوال الشام من السنة ١١٨٥ ﻫ الى السنة ١٢٢٥ (١٧٧١ — ١٨١٠) وانشاء الكاتب بسيط مطبوع خالٍ من التعقيد والتقعير كما يليق بالتاريخ

والغالب على ظنّنا انَّ المعلّم نيقولا الترك هو مؤلّف تاريخين آخرين لم يُذكر اسم كاتبها فالاوَّل هو « مجموع حوادث الحرب الواقع بين الفرنسويَّة والنمساويَّة في اواخر سنة ١٨٠٥ مسيحيَّة الموافقة لها سنة ١٢٢٠ لتاريخ الهجرة » وهو تاريخ واسع في ٣٠٦ صفحات من قطع الربع طُبع في باريس سنة ١٨٠٧ وُصفت فيهِ وقائع تلك الحرب التي انتهت بانتصار نابوليون في أُسترلتس. والتاريخ الثاني من مخطوطات مكتبة باريس العموميَّة (Fonds arabe. n° 1684) اسمهُ « نزهة الزمان في حوادث لبنان » في ١٤٨ صفحة يحتوي تاريخ الامراء الشهابيين منذ اول قدومهم من الحجاز الى حوران ثمَّ الى لبنان مع تفصيل اخبارهم الى ايّام الامير بشير الشهابي ونهايتهُ بالحوادث التي جرت سنة ١٢٠٥ (١٧٩٠)

ويلحق بهذا التاريخ تاريخٌ آخر لاحد الموارنة كتبهُ مؤلّفهُ « انطونيوس ابن الشيخ أبي خطار الشدياق من بيت الحاج عبد النور من قرية عين طورين في جبَّة بشراي من اعمال طرابلس » سنة ١٨١٩ دعاهُ « مختصر تاريخ لبنان » وهو كتاب في ١٥٠ صفحة ضمَّنهُ المؤلّف عدَّة امور تاريخيَّة دينية ومدنية على غير ترتيب كما حضرتهُ او كما اقتطفها من تواريخ اخرى او سمعها من اهل زمانهِ منها فصلٌ واسع نقلناهُ عنهُ في المشرق (٤ [١٩٠١]: ٧٦٩ , ٨٢٠) عن اصل الامراء والشيوخ في لبنان

وممَّا كُتب في هذا العهد من الأسفار رحلةٌ لاحد الحلبيين « فتح الله ولد انطون ابن الصائغ اللاتيني » الذي زعم انهُ رحل في خدمة احد الاجانب اسمهُ تيودور لسكاريس في اواخر سنة ١٨١٠ من حلب الى انحاء الشام فجهات العرب وقد وصف

ما جرى لهما من الاخبار وضمَّن رحلتهُ اشياء كثيرة عن احوال المدن التي زاراها وعن قبائل العرب وبلاد الوهابيين. وقد كتب ذلك بعبارة رائقة الّا انها قليلة التهذيب لا تكاد تخالف لغة العامة والكتاب يُصان في خزانة باريس (Fonds arabe, n° 2298). وقد وقف الشاعر الفرنسوي لامرتين على هذه الرحلة فاستعان ببعض المستشرقين ونشرها مترجمةً الى الافرنسية في كتابهِ الشهير «سفرٌ الى الشرق» (Voyage en Orient) في القسم الرابع من طبعة باريس ١٨٣٥ (ص ٥٥ — ٢٨٥). اما المؤلف فعاش بعد ذلك زمناً طويلاً وسيعود اسمهُ في مطاوي مقالتنا ثانيةً. ثمَّ وجدنا في المجلة الاسيوية (J. As. 1872²) فصلاً في انتقاد هذه الرحلة فيثبت كاتبهُ انها مصنوعة

ونختم هذا النظر في مؤرخي الثلث الاول من القرن التاسع عشر بذكر احد مسلمي طرابلس الغرب وهو الشيخ محمَّد بن عبد الكريم ولد في طرابلس الغرب وتلقَّى العلوم عن اعلام عصرهِ وفحول مصرهِ وكان واسع العلم كثير الحفظ تولَّى النيابة في وطنهِ بعد والدهِ وحسنت سيرتهُ وألَّف كتاباً سمَّاهُ «الارشاد بمعرفة الاجداد» ضمَّنهُ ذكر اسلافهِ الكرام وكان اصل اجدادهِ من الاندلس ثمَّ انتقلوا الى طرابلس وعُرفوا بآل النائب وكان ابوهُ فقيهاً شاعراً توفي سنة ١١٨٩ ﻫ (١٧٧٥ م) اما ابنهُ محمَّد فكانت وفاتهُ سنة ١٢٣٢ ﻫ (١٨١٧ م)

الشعر والادب

انَّ الشعر والادب كما التاريخ كانت سوقهما كاسدةً في اوائل القرن التاسع عشر لم يشتهر فيهما الّا بعض الافراد في مقدَّمتهم بين المسلمين الاديب السيّد احمد ابن عبد اللطيف بن احمد البربير الحسنيّ البيروتيّ ولد سنة ١١٦٠ (١٧٤٧) في ثغر دمياط وتوفّي في دمشق في ١٨ ذي الحجة ١٢٢٦ (١٨١١) لهُ تآليف ادبية ومنظومات اخصّها مقاماتهُ التي منها نسخة خطيَّة في المكتبة الخديويَّة (انظر قائمتها ٤ : ٣٢٨) يبتدئ اوَّلها بقولهِ «حكى بليغ هذا الزمان والعصر من حديث الذ من سلافة العصر». وقد طُبع من هذه المقامات مقامة «المفاخرة بين الماء والهواء» في دمشق سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣). ولهُ بديعيَّة علّق عليها شروحاً مصطفى بن عبد

الوهاب بن سعيد الصلاحي تُصان بين مخطوطات برلين (ع ٧٣٨٨) ولهُ «كتاب الشرح الجليّ على بيتي الموصليّ» وهو تأليف واسع طُبع في بيروت سنة ١٣٠٢ (١٨٨٥) اودعهُ صاحبهُ فنوناً من الآداب وفصولاً في كلّ علم من العلوم. والموصليّ المذكور هو عبد الرحمان بن ابراهيم الصوفي الموصلي من ادباء القرن الثامن عشر. امّا البيتان اللذان شرح البربير رمزهما فهذان:

إن مرّ والمرآةُ يوماً في يدي … من خلقهِ ذو اللطف أسما مَنْ سما
دارت عقائلُ الزجاجِ ولم تزلْ … تقفوهُ هدوًا حيثُ سار ويمّما

اما منظومات السيّد احمد البربير فكثيرة لكنّها متفرّقة. وكنّا قد نشرنا منها شيئاً في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ١٤ – ١٨) ممّا دار بينهُ وبين مخائيل البحريّ من المراسلات الادبية. ثمّ اتحفنا جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف بنخبة أخرى من اقوالهِ الشعريّة تجدها في المجلّة المذكورة (٤ [١٩٠١]: ٣٩٦) ولعلّ السيّد احمد البربير نظم ديواناً كاملاً لكنّنا لم نقف لهُ على اثر وممّا قرأنا من لطائفهِ قولهُ في طبيب:

رأيتُ طبًّا لهُ نفارٌ … يتيهُ في مشيهِ دلالا
فقلتُ: من انت يا حبيبي … هل راحمي انتَ قال: لا لا

ولهُ في التوحيد:

لقد آمنتُ باللهِ … واصبحتُ بهِ آمنْ
هو الاوّل والآخر م والظاهرُ والباطنْ

وقال: خرجتُ من سجنِ نفسي … ومن حظوظي والجاهْ
وفي جميع اموري … اسلمتُ وجهي للهْ

وقال في كبح الشهوات:

انّ الذين يجاهدو … نَ النفسَ شبّاناً وشيبا
منَّ الالهُ بنصرهم … وأثابهم فتحاً قريبا

وقال في تاجرٍ سها عن الآخرة:

يا تاجراً لا يزالُ يرجو … ربحاً ويخشى من الخسارهْ
عبادةُ اللهِ كلَّ حينٍ … خيرٌ من اللهو والتجارهْ

وقال يصف دار اسعد باشا وكان حلّها ابو السعود محمّد بن عليّ:

يا دارَ اسعدَ باشا … لكِ النعيمُ المخلّدْ … بطلعة ابن عليٍّ … ابي السعود محمّدْ

بدرٌ يزيد كمالًا من النجوم تولّدْ ذو همةٍ غارَ منها حدُّ الحُسام المجرّدْ
أما ترى السيف منها في جفنهِ بات مُغمدْ ولطفهُ في البرايا ممًا فشا وتأكّدْ
حتى غدا كلُّ شخصٍ بهِ يقرُّ ويشهدْ كانهُ من نسيم القَبول بات مجسّدْ
أما ترى وَرْد خدّ الرياض منهُ توردْ والبحر لمّا رآهُ يجودُ ارغى وازبدْ
والدهر بات غلامًا لمن عليهِ تردّدْ فتًى بهِ ابيضَّ حظّي من بعد ما كان اسودْ
يا سيّدي عش سعيدًا فانَّ جدّك اسعدْ وسوف ترقى لأوجٍ من الكواكب ابعدْ
فاحفظ بشارة عدلٍ جا القراسةُ تشهدْ واسلم ودم في سرورٍ ما طائر الصبح غرّدْ

ومن مراثي السيد احمد البربير قولهُ في الامير منصور الشهابي لما توفي سنة ١١٨١ هـ (١٧٦٧ م):

سقا هذا الضريحَ سحابُ فضلٍ وعمَّم بالرضى مَن في ثراهُ
اميرًا كان في الدنيا شهابًا ومنصورًا على قوم عصاهُ
فان يكُ من عيوني قد توارى فحسبي انَّ قلبي قد حواهُ
فلمَّا سار للفردوس فورًا وقرَّبهُ المهيمن واصطفاهُ
أتى تاريخهُ في بيت شعرٍ يودُّ البدرُ أن يُعطى سناهُ
فمهملهُ ومعجمهُ وكلٌّ من الشطرين تاريخًا تراهُ
شهابُ الرحمة المولى عليهِ هوى للترب بدرٌ من رُباهُ

وكان لاحمد البربير تلامذة أخذوا عنهُ اخصُّهم السيد عبد اللطيف بن علي المكنَّى بفتح الله المفتي البيروتي الحنفي وكان شاعرًا الّاانَّ شعرهُ مفقود. وممَّا يروى عنهُ قولهُ يمدح ميخائيل البحريّ لما جاء بيروت في ايّام الجزّار:

ولمَّا أتى البحريُّ بيروتَ زائرًا الينا فكم أهدى عقودًا من الشعرِ
فلا بدعَ أنْ أهدي لهُ الدرَّ ناظمًا فناهيك انَّ الدرَّ يبدو من البحرِ

فأجابهُ البحري بابيات رويناها في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ١٧-١٨). ومن الشعراء المسلمين الذين نظموا الشعر الجيد في اوائل القرن التاسع عشر الشيخ الوفاء قطب الدين عمر ابن محمَّد البكري الدمياطي الاصل واليافي المولد ولد سنة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ م) في يافا ودرس على مشاهير شيوخ زمانهِ في وطنهِ ورحل الى مصر وأخذ عن انمَّتها. ثمَّ عاد الى غزة وتجوَّل في انحاء الشام والحجاز وتوفي في دمشق في غرة ذي الحجَّة سنة ١٢٣٣ (١٨١٨ م) وقد رثاهُ شاعر زمانهِ الذي نترجمهُ في اوانهِ الشيخ امين الجندي بقصيدة رثائة اولها:

قسيُّ المنايا ما لأسهمها ردُّ فما حيلتي والصبرُ قد دكَّهُ البُعدُ

دهيتُ برُزْءٍ لا يُطاق عناؤهُ وكربٍ وحزنٍ ما لغايتهِ حدُّ

وهي طويلة. ومن لطيف ما قالهُ فيهِ الشاعر نقولا الترك وقد ضمّن فيهِ اسمهُ عُمَر:

شمس العلوم تبدَّى نورًا الى كلّ راهِ
مقرُّها ضمن ميمٍ ما بين عينٍ وراهِ

اما تآليف السيد عُمر اليافي فاخصُّها ديوانهُ وبعض مخاطبات أُلحقت بديوانهِ (ص ٢٤١ — ٢٨٤) وقد عُني بطبع هذه الآثار حفيدهُ السيد عبد الكريم بن محمّد أبي نصر في المطبعة العلميَّة سنة ١٣٢١ ﻫ (١٨٩٣ م) وهو مجموع واسع فيهِ قصائد متعددة دينيَّة على منهج المتصوّفين وكان السيد عُمر على الطريقة الخلوتية ولهُ في هذه الطرائق عدَّة رسائل منها رسالة في الطريقة النقشبنديَّة ورسالة في معنى التصوُّف والصوفيّ وغير ذلك. ومن ادبيَّاتهِ رسالة لهُ في الحضّ على برّ الوالدين. أمَّا شعرهُ فهو رقيق اللفظ رشيق المعنى كثير التفنن فيه قسمٌ للموشَّحات والأدوار الغنائيَّة والخمريَّات وها نحن نورد منهُ طرفًا تنويهاً بفضلهِ. قال في الاعتصام والثقة بالله:

انا بالله اعتصامي لا ارى في ذاك شكًا موقنًا ان لا سواهُ كاشفٌ ضرًّا وضنكا
راجيًا فيهِ نوالا ورشادًا ليس يُحكى لم ازل لله عبدًا وبذا اتزكَّى

ولهُ مستغيثًا مبتهلًا من قصيدةٍ:

الهي الهي ليس الَّاك يُرتجى وحقّكَ ما وانيتُ غيركَ راجيا
ومن ذا الذي اشكو لهُ سوء فاقتي ويعلمُ قبل المشتكى سوء حاليا
لقد دكَّ دهري طودَ قصري فأصبحت منازلُ قصري بالخطوب خواليا
وفوَّقَ لي الخطبُ المبرّح اسهماً من الوجدِ والتبريح فيها رمانيا
وشنَّ ليَ الغارات تعدو وقد غدتْ عليَّ بعادي الجور تعدو العواديا
فيا ربّ ما للعبدِ في الدهر ملتجىً سواكَ فأتي بالتضرُّع لاجيا
تداركْ بألطافٍ وأسعفهُ بالمنى وحقّقْ لهُ فضلًا لديك الامانيا

ومن جيّد قولهِ ما كتبهُ في برّ الوالدين:

كم جرَّ برُّ الوالديــــن فوائدًا للمرء جمَّهْ
منها رضى الله الذي يكفي الفتى ما قد أهمَّهْ
واخو العقوق كميّتٍ قد صار في الأحياء رِمَّهْ
والكلبُ احسنُ حالةً منهُ وأحفظُ منهُ ذمَّهْ

ومن محاسنهِ قولهُ في نوفرة على رأسها ليمونة :

وفوفرةٍ تبـدي من الماء قامةً زهت بكمال الصفو حسناً ومنظرا
عمودٌ من البلّور من فوقِ رأسهِ زُمرُّدةٌ خضراء تنثر جوهـرا

ومن اوصافهِ قولهُ يذكر دير عطيَّة من قرى الشام بين النبك والقريتين :

حاديَ الركْب سِرْ وحثَّ المطيَّه لديار العطا بدير العطيَّـه
فبتلكَ الربوعِ تلقى ربيع الـأُنس فاحت ازهارهـا العبهريَّه
جنَّةٌ قد تزخرفتْ في رباها بثمارٍ من البهاء جنيَّةْ
تجري من تحتها المياهُ بأنها ر التهاني لواردين مَريَّهْ
وغصون الرياض تهتز تيهاً حيثُ غنَّت نسائمٌ سَحَريَّهْ
حبَّذا حبَّذا معاني الاغاني لتهاني المعالم الانسيَّهْ

وقد اشتهر بين المسلمين غير هؤلاء في الشعر والادب لكنَّ قصائدهم وتآليفهم لا تزال في خزائن الخاصَّة او اخذتها ايدي الضياع نذكر منهم من اتصل بهِ علمنا بمطالعة مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة

فمن هؤلاء الادباء المسلمين اسمعيل بن الحسين جمان لهُ ديوان صغير الحجم في احد مجاميع لندن المخطوطة (Supplement of the Catal. of the Arabic Mss, n° 1323, 3°) يحتوي على قصائد ومراسلات ومقالات شتى كتبها بين السنة ١٢٢٧ وسنة وفاتهِ ١٢٥٠ (١٨١٢ — ١٨٣٥)

ومن مشاهير المسلمين في اوائل القرن التاسع عشر السيد محمَّد الامير الكبير المولود في سنبو في مديرية اسيوط سنـة ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م) والمتوفى في مصر في ذي القعدة سنة ١٢٣٢ (١٨١٧ م) . درس الفقه باقسامهِ في الازهر وتولى مشيخة السادة الملكية وألَّف كتباً عديدة في فنون شتى . وكان كلامه حكماً منهُ قولهُ :

دع الدنيا فليس بها سرورٌ يتمُّ ولا من الاحزانِ تسلَمْ
وكن فيها غريباً ثمَّ هيىء الى دار البقا ما فيهِ مغنَمْ

ومنهم الشيخ عبدالله الحلبي كان شاعر زمانهِ في الشام لهُ ديوان مفقود وقد وقفنا لهُ على بعض فقرات في ديوان نيقولا الترك منها قولهُ في جملة قصيدة يذكر تآليف الترك :

أتت بسحر بيانٍ ابانَ فضلاً جزيلا
عن فضل ذي الفضل يثني عقداً بديعاً جميلا

صحيحٌ معناهُ يروي عن الصحاح نقولا
يا درّ درٍّ قوافٍ ترتّلت ترتيلا
قسّ الفصاحة فيهِ سحبانُ اضحى ذهولا
لم يترك الاوّلون الى الاواخر قيلا
عنهُ التواريخُ تُروى براعةً وشمولا
قد سار ذكرًا شهيرًا بين الانام جليلا

وجاء في الديوان عينهِ ذكر شاعر آخر وهو الشيخ صالح نائب طرشيحا روي لهُ قصائد منها قولهُ يمدح آل شهاب والشيخ بشير جنبلاط ويذكر قرية المختارة قال:

واصبو الى لبنان وهي مواطنٌ عرفتُ بها ظلًّا هناك ظليلا
بآل شهابٍ كمّل الله عزّها وشرّف منها اربُعًا وطلولا
وبالجنبلاطيّ البشير تشامخت جبالٌ بها تعلو المجرّةَ طولا
فتىً ما لهُ في الدهر ثانٍ وانهُ ابو قاسمٍ حاز الكمال جميلا
همام اذا ما الحرب شدّت وثاقها ترى اسدًا للمرهفاتِ سلولا
يصولُ بقلبٍ كالجبال ثباتهُ فيوقع في قلب العدوّ خمولا
يجودُ وفيضُ الجود يحسُدُ جودهُ اذا جرّ من بحر المكارم نيلا
بهِ شرُفت مختارةُ العزّ في الورى وباروكُها للفضل جاء دخيلا
تُذكّرنا جنّاتِ عدنٍ قصورُها واشجارها شبثًا تراهُ جليلا
فلا مثلها عيني رأت ذات بهجةٍ تكلّلها من صيّب الماء اكليلا
وبابن عليّ عظّم الله قدرها واحيا لها اسمًا في البلاد فضيلا

وقال يمدح نقولا الترك:

هات زدني من ذكر وصف نقولا ثمّ أورِد ادلّةً ونُقولا
حيثُ جئنا لنشهر الفضلَ منهُ وبها نال ينبغي ان نقولا
عبسويٌّ حوى اللطافة حتّى صار للّطف حجّةً ودليلا
شاعر العصر اوحد الدهر حقًّا ما وجدنا لمثل ذاك مثيلا
هو يُدعى بالتُرك فاترك سواهُ من بني العُرْب واتّخذه خليلا

واشتهر في الجزائر محمّد أبو راس الناصري من معسكرة وُلد سنة ١٧٥١ ونبغ في الفقه ورحل الى تونس ومصر والحجاز وتوفي سنة ١٨٢٣ . لهُ قصيدة في فتح وهران على يد الباي محمّد بن عثمان سنة ١٧٩٢ وقد شرحها في كتاب دعاهُ عجائب الاسفار. ولهُ وصف لجزيرة جربة طُبع في تونس سنة ٨٨٤

هذا ما وقفنا عليهِ من تاريخ شعراء المسلمين في الثلث الاوّل من القرن التاسع

عشر. ونُلحق بهؤلاء بعض الذين اشتهروا باللغة والادب فمنهم الشيخ الشرقاوي الذي سبق لنا ذكرهُ (ص ٩) والشيخ القلعاوي مصطفى بن محمّد الشافعيّ لهُ كتاب مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى. والشيخ محمّد ولهُ منظومة في آداب البحث ومنظومة في المنطق وديوان شعر دينيّ سمّاهُ اتحاف الناظرين في مدح سيّد المرسلين (١. ولد سنة ١١٥٨ وتوفي سنة ١٢٣٠ (١٧٤٥ – ١٨١٥)

ومنهم الشيخ محمّد الحنفي المعروف بالمهدي وُلد من والدين قبطيين في مصر سنة ١٧٣٧ وكان اسمهُ هبة الله ثمَّ أسلم وهو صغير دون البلوغ وتقدَّم في المناصب وألقى الدروس في الأزهر ورافق طوسون باشا في حرب الوهابيين وصارت اليهِ رتبة شيخ الاسلام سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢) وتوفي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م) ولهُ كتاب روايات على شكل الف ليلة وليلة دعاهُ «تحفة المستيقظ والآنس في نزهة المستنيم الناعس» وخدم البعثة الفرنسويَّة العلميَّة لمَّا قدمت مصر مع نابوليون وذكرهُ بالثناء المستشرق مرسال (٢

ومنهم الشيخ محمّد الدسوقيّ وُلد في دَسوق من قرى مصر ودرس علوم اللغة والحكمة والهيئة والهندسة وفنّ التوقيت. قال الجبرتي (٤: ٢٣١): «لهُ تآليف واضحة العبارة سهلة المأخذ ملتزمة بتوضيح المشكل» وعدَّد تآليفهُ التي معظمها في العلوم البيانيَّة والفقهيَّة. توفي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م)

واشتهر في الموصل من الادباء الشيخ ياسين ابن خير الله الخطيب العُمَريّ لهُ تواريخ مخطوطة في خزائن كتب لندن وبرلين كالدرّ المكنون في مآثر الماضية من القرون وهو تاريخ واسع للاسلام بلّغهُ الى السنة ١٢٣٦ (١٨٢١ م) وافاض خصوصاً في أمور الموصل (Brit. Museum, n° 1263) ولهُ منية الادباء في تاريخ الحَدباء (Ibid. n° 1265) وكتاب عنوان الاعيان في ملوك الزمان (Berlin, n° 9484). وجرى ابنهُ عليّ بن ياسين على آثارهِ فكتب نحو السنة ١٢٢٣هـ (١٨٠٨ م) روضة الاخبار في ذكر افراد الاخيار وهو مختصر تاريخ العالم والدول

١) اطلب تاريخ الجبرتي (٣: ٢٢٧)

٢) اطلب الجبرتي (٤: ٢٢٤) وكتاب الاداب العربيَّة لهوارت (Cl. Huart: *Littérature arabe*, 417)

الاسلامية: وذكر في المقالة الثامنة ولاة بغداد من حسن باشا سنة ١٠٠٦ الى سليمان باشا ١٢٢٣ ولهُ كذلك فصل في ادباء الموصل وشعرائها (Brit. Mus., n° 1266)

وعُرف ايضاً الشيخ ابو الفوز محمّد امين السويدي البغدادي صاحب كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب اختصرهُ عن القلقشندي نحو السنة ١٢٢٩ (١٨١٤) والكتاب قد طُبع على الحجر في بمباي سنة ١٢٩٤ توفي كاتبه سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢١م). وفي السنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) مات بغدادي آخر الاديب عثمان بن سند النجديّ

*

وان انتقلنا الآن الى ذكر النصارى الذين ابقوا لنا من قرائحهم الوقّادة ثماراً جنيَّة بالنظم والنثر لوجدنا قوماً منهم زانوا بآثارهم جيد الآداب واستحقوا شكر السلف مع قلّة ما كان لديهم في ذلك الوقت من الوسائل للترقي في العلوم البيانيَّة

واوّل من نذكر منهم رجل عصرهِ الذي ترجمناهُ سابقاً في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٩-٢٢) وهو ميخائيل البحريّ الشاعر الروميّ الملكيّ الحمصي الاصل. كان متفنناً بالآداب العربيَّة وينظم الشعر الرائق كما ترى في الامثلة التي اثبتناها عنهُ في سيرتهِ وقد شهد لهُ ادباء عصرهِ بجود القريحة. قال الشيخ احمد البربير يمدحهُ:

رعى الله حمصاً اذ صبت نحوَ مَنْ لهُ ... بيانُ معانٍ في البديع من الشعرِ
بليغٌ غدا كالبحر والنظمُ درُّهُ ... وهل يُستفادُ الدرُّ الّا من البحرِ

ازهر ميخائيل البحريّ في اواخر القرن الثامن عشر وخدم الجزّار في ديوان عكا وبعد مدَّة تغيّر عليهِ والقاهُ في السجن. قال الامير حيدر الشهابي في تاريخ سنة ١٢٠٣هـ (١٧٨٨م): «وفي هذه السنة أعتق الجزّار مخائيل البحري الذي كان مسجوناً بعد ما قطع اذنيهِ وانفهُ». وكنّا روينا في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ١٢) عن بعض الرواة انهُ ادرك القرن التاسع عشر ثمَّ وجدنا في ديوان الشاعر المجيد بطرس كرامة (ص ١٠٤) تاريخاً لوفاة المذكور في سنة ١٧٩٩ قالهُ نظماً:

لكَ الرحمات يا لحدًا ثواهُ ... بديعٌ فضلهُ سامي الارائكْ
ويا لهفي على من فيكَ امسى ... ويا اسفي لدرٍّ في ثرائكْ
حويتَ الكوكبَ البحريَّ علماً ... فيا عجبي لبحرٍ في خبائكْ
ولمَّا ان ثوى نُودي اليهِ ... هلمَّ الى سرورٍ في علائكْ
وفي الملكوت أرّخْ ناطَ فوزًا ... بميخائيلَ تبتهج الملائكْ (١٧٩٩)

ولميخائيل البحري ذريّة كريمة جرت على آثاره نخصُّ منهم بالذكر ابنهُ عبّودًا او عبدالله البحري الذي ذكرنا بعض تفاصيل حياتهِ وتقلّبهُ في المناصب العالية عند ولاة الشام ولدى امراء مصر وكان رئيس قلم الانشاء عندهم. لدينا من آثارهِ عدّة رسائل دوليّة واهليّة وكان بلغ النهاية في حسن الخط. وفي عبّود البحريّ قال الترك في موشّحه الذي كتبهُ سنة ١٨٠٩ يمدح بعض اصحابهِ في دمشق:

كم تباهت دُرَرُ البحريِّ على ... كل ذي نظمٍ بديعٍ ونثارْ
وشدت من فوق أعلى الصُّحف لا ... يُنبت الدرَّ الصفي الّا البحارْ
زُمَرُ الكتّاب طرًّا والملا ... من أُولي الألبابِ توليهِ الوقارْ
كم نراهُ جاذبًا ان رَقَما ... معدنَ الارواحِ كالمغنطسِ
بل وكم يسبي عقولًا حين ما ... يُظهرُ الآياتِ فوقَ الطرسِ

وممّن مدحوا عبّودًا من الشعراء سليمان صوله قال فيه:

مولىً أبى الفضلُ الّا ان يلازمَهُ ... فلم يُقِمْ بمكانٍ فيهِ لم يَقُمِ
لله منهُ ملاكٌ يرتقي فرسًا ... وكوكبٌ ناطقٌ يسعى على قدمِ
لهُ يدٌ تُخجل الابحار بالكرمِ الـ ... ـزخّار والذابل الخطّار بالقلمِ
اضحى لدائرة المعروف والكرم المـ ... ـوفور قُطبَ علًا لولاهُ لم تدمِ
اهديكَ يا خلَفَ البحريِّ عاتقةً ... لعاتقِ المجدِ تهدي جوهر الحِكَمِ
اذا قبلتَ بها كان القبولُ لها ... اعلى واغلى من الياقوت في القِيَمِ

وكانت وفاة عبّود سنة ١٨٤٣ فرثاهُ المعلّم بطرس كرامة بقصيدةٍ طويلة قال فيها:

يا للمنيّة قد جازت وقد غدرتْ ... ببدرِ فضلٍ لهُ الآدابُ هالاتُ
مولى البراعة عبدالله مَنْ فُقِدتْ ... لفقده وانقضت تلكَ البراعاتُ
يا طالما سبكتْ اقلامُهُ دررًا ... تقلّدت بلآليها الرسالاتُ
وكم على وجنة القرطاس في يده ... تفاخرت ببديع الخطّ لاماتُ
ما لاعبتْ قلمًا يومًا انامله ... الّا نبت مشرفيّاتٌ صقيلاتُ
لمّا اتى الناسَ ناعيهِ بكت اسفًا ... من البراعة دالاتٌ وميماتُ

وكذلك اشتهر اخوه حنا البحريّ فمدحهُ الشاعر المذكور غير مرّة (اطلب ديوانه ص ٢٨٧، ٢٨٩، ٣٠٢) ونظم تاريخًا لوفاتهِ سنة ١٨٤٣ كما مدح اخاهما جرمانوس فمن قولهِ في هذه الاسرة وكان ميخائيل البحريّ خالًا لبطرس كرامة (ص ٢٨٨)

بنو البحر الّا انهم دررُ العُلى | واهلُ الوفا لكنَّ دأبَهم البرُّ
وما منهم الا نبيهٌ مهذَّب | تراهُ بديوان اليراع هوَ الصدرُ
بجرمانس ساد الحسابُ واصبحت | دفاترهُ الزهراء يعشقها الزهرُ
يريك اذا هزَّت يراعًا بنانهُ | عقودَ جمانات معادنها الحبرُ
وفاخرَ يوحنَّا بانشائهِ الصبا | فرقَّت لالفاظٍ بها انعقدَ الدرُّ
تودُّ ذؤاباتُ الحسان اذا انتقى | ليكتب سطرًا انَّها ذلك السطرُ
هما فرقدا اوج اليراعة والنُّهى | وابناء بيتٍ مهدهُ النظمُ والنثرُ

وللمعلّم بطرس مدائح اخرى في بني البحري منها تاريخهُ لوفاة اندراوس البحري سنة ١٨١٦ (ص ٢٦١) ختمهُ بهذا البيت:

تلقَّاهُ الاله يقولُ أرِّخ | رِثِ المُلكَ المعدَّ لذي اليمينِ

ومنها تاريخهُ لوفاة عبدالله البحريّ ابن اخي ميخائيل سنة ١٨١٩ (ص ٢٦١) قال في ختامهِ:

برٌّ بغفران الاله مؤرِّخٌ | ومنعَّمٌ في روضة الاملاكِ

وتاريخ وفاة ابرهيم البحريّ (سنة ١٨٢٢) المختوم بهذا البيت (ص ٢٦٢):

وفي الملكوت حازَ لدى الهِ | مع الأبرار أرِّخ خيرَ روضَهْ

وكان ميخائيل الصبّاغ الذي ذكرناهُ في جملة مؤرّخي زمانهِ شاعرًا وسطًا استحبَّ الاوربيُّون شعرهُ العربيّ فنقلوهُ الى الفرنسيَّة فمن ذلك ما مدح بهِ البابا بيُّوس السابع لمَّا قدم فرنسة لتتويج نابوليون قال:

دُهشت لرؤية وجهكَ الابصارُ | وأضتْ لرؤيةِ مجدكَ الامصارُ
هذي العروسةُ يا سليمان المجلد | في حسنها ولها العظامُ فخارُ

ومنها في المدح:

اليوم تحمدنا الملائكُ في السما | لمَّا ترى منَّا العقولُ تُحارُ
سامح نواظرنا اذا بك كرَّرت | نظراتها او زادها التكرارُ

ولهُ موشَّح قالهُ في ميلاد ابن نابوليون الأوَّل سنة ١٨١١ اوَّلهُ:

هلِّلوا في الارض يا كلَّ الامم | واهتفوا فيها بالحان النغمْ

ومنها:

ايها القيصرُ بُلِّغتَ المنى | كلُّنا بالبكر نهديك الهنا
انتَ منَّا مستحقٌّ للثنا | قد حبانا ربُّنا هذي النعم

ولهُ غير ذلك مما لا نتعرَّض لذكره والركاكة ظاهرة في معظم هذه القصائد والموشَّحات ما يدلُّ على انَّ صاحبها لم يُحسن علم العروض وانَّما تعاطى النظم استعطافاً لبعض الذوات وحظوةً برضى العلماء المستشرقين

وممَّن اشتهروا ايضاً بالآداب والنظم بين النصارى في مفتتح القرن التاسع عشر القس حنانيًا منيِّر الزوقي (١ الذي ذكرناهُ في باب التاريخ (ص ٢٢). فانهُ برع ايضاً في الفنون الادبيَّة فمن ذلك مجموع امثال لبنان وبلاد الشام يبلغ نحو ٤٠٠٠ مثل وكتاب مقامات بديعة جامعة بين فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني (المشرق ٤ [١٩٠١]: ٩٧٣) هذا فضلًا عن كتاب في شرح عقائد الدروز طبعهُ المسيو غويس (Guys) في باريس ونقلهُ الى الفرنسوية. وكان لهُ ديوان شعر اخذتهُ يد الضياع لم نحصل منهُ الَّا على بعض مقاطيع روينا بعضها سابقاً (المشرق ٤ [١٩٠١]: ٩٧٠ - ٩٧٢) منها قصيدته

١) افادنا حضرة المنسنيور جرجس منش الماروني انَّ اسرة القسِّ حنانيًا منيِّر (بكسر الياء المشدَّدة كما هو المتداول بين الحلبيين او بفتحها كما هو الغالب في لبنان اشارة الى صنعة النيِّر او من بيع النسيج المنيَّر) اصلها من حلب ثمَّ هاجرت الى لبنان فاستوطنت الزوق في تضاعيف القرن الثامن عشر في جملة الأُسَر التي خرجت من الشهباء في ذلك العهد وفي اوائل القرن التاسع عشر فرارًا من شرّ الاضطهادات التي اثارها الروم المنفصلون على ما ذكره روفائيل مخلوطا المعروف بالغالي وغيرهُ من كتبة ذلك الزمان. ثمَّ انقرضت اسرة المنيِّر من حلب فلم يبقَ منها احد بعد ان كانت نامية متعدّدة الافراد. ويؤخذ من سجلّ مواليد الملكيين الكاثوليك في حلب انَّ هذه الاسرة انقسمت الى ثلاثة بطون عُرف الاوَّل منها بالمنيِّر على الاطلاق والثاني غلب عليه لقب الحكيم من جدّها ابراهيم المنيِّر الحكيم ويظنّ حضرة مكاتبنا انَّ القس حنانيًا تلقَّب بالطبيب اشارةً الى لقب هذا الفرع بالحكيم ليس كما ذكرنا (المشرق ١٠: ٤١٤) لمزاولتهِ فنّ الطبّ. والثالث غلب عليهِ لقب ارميا من جدّهم عبدالله بن ارميا من بيت المنيِّر. وممَّا ذُكر من مواليد هذه الاسرة جرجس بن توما ويوسف بن الياس (بن المنيِّر) وزينب بنت ابراهيم (المنيِّر الحكيم) وعبدالله بن ارميا (من بيت المنيِّر) في سنة ١٧٣٥ وجبرائيل بن منصور (١٧٣٦) وكاسيا بنت نعمة (١٧٢٧) وجرجس ابن ارميا (١٧٣٨) وسارة بنت يعقوب (١٧٣٩) ويعقوب ابن جبرائيل وجرجس الآخر بن ارميا (١٧٦٠) وترازيا بنت توما (١٧٦٢) وسيدة بنت جبرائيل ونعمة الله بن توما (١٧٦٣) ويوسف بن منصور (١٧٥٧). وليس غير ذلك في السجل الملكي. وكذلك عُرف من افراد هذة الاسرة القسّ بولس (ولد عيسى المنير) الذي خدم ابرشيَّة حلب الملكية الكاثوليكية واوقف بعض المخطوطات على مكتبنا في آخر القرن الثامن عشر

الرَّنانة التي قالها في تهنئة سليمان باشا لما اتى عكا ليتولَّاها بعد وفاة الجزَّار . اوَّلها :

لهوى الاحبَّة في الفؤاد مُخيَّمُ … نيرانهُ بين الجوانح تُضرَمُ

ومنها : صيدا أبشري عكَّا افرحي حيفا اطربي … والقاطنون جنَّ فليترنَّموا

كن يا سليمان الوزير مؤازرًا … للخاضعين وجارمًا من يجرموا

واعظم وسُدْ وارحمْ وعُدْ وانعم وُجُد … واسلمْ ودمْ بسعادةٍ لك تخدمُ

وختمها بهذا التاريخ :

واذا انتهى شعري بمدحك مرَّةً … ارَّختُ يبدأُ مدحك لا يُختمُ

وممَّا قالهُ في الزهد والدعاء قولهُ في مقدَّمة تاريخهِ الرهباني :

اني لفي عِظَم الوجلْ … من قُرْب ايَّام الأجلْ

من بعده لابُدَّ ما … يعروني في الدين الخجلْ

اذ انني قَضَّيتُ عمري … بالملاهي والبَجَلْ

والحكم لم يُقْبَل بهِ … عذرٌ ولم ينفع وجلْ

أَلجا لعونكِ مريمًا … فأعطفي نحوي التجلّْ

وتشفَّعي بي يا بتو … لُ وأدركيني بالعجلْ

ولمَّا توفي الجزَّار سنة ١٢١٩ (١٨٠٤ م) وكان بالغ في الظلم وجنح الى العصيان وضع كلُّ شعراء ذلك العصر من مسلمين ونصارى قصائد هجوهُ فيها وارَّخوا وفاتهُ (اطلب المشرق ٢ [١٨٩٩] . ٧٣٨) فقال القس حنانيا ابياتًا اثبتها في آخر تاريخهِ للشوف ورواها الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٩٧٠) . ومن رثائهِ قصيدة قالها في البطريرك اغناطيوس صرُّوف لمَّا قتلهُ الياس عماد سنة ١٨١٢ اوَّلها :

علامَ دمعي من عيوني يُذرفُ … وإلامَ لا يرقا ولا يتكفكفُ

هل كابدت كبدي لظًى لا ينطفي … أم في الحشا جذوةُ نارٍ تنطفُ

ومنها في مدح الفقيد :

يا شمسَ أفق الشرق ذاع ضياؤهُ … في الغرب انَّى شمس فخرِك تكسفُ

يا راس كهنة بيعة الله النقي … ثِق انتَ ايضًا في الاعالي اسقفُ

اوَّاهُ وا اسفي ولوعاتي على … مَن كلٌّ من يدري بهِ يتأسَّفُ

قسمًا فلو يفدى لكنتُ فديتهُ … بالروح مرتاحًا ولا اتوقَّفُ

وكان القس حنانيا يتفنن بالانغام ولهُ قصائد بالشعر العاميّ غاية في اللطف منها

قصيدة في الخمَّارة والعرق لم نحصل عليها . وهو الناظم للزجليَّة الشهيرة المعروفة بالبرغوث كنَّا اثبتناها اوَّلًا في كتابنا علم الادب سنة ١٨٨٦ ثمَّ وجدناها تامَّة وافية في كتاب مخطوط من ايام المؤلف وفي اخرها اسمهُ نرويها هنا بحرفها تفكهة للقرَّاء :

١ اعدّ بيوت مع قصدان واخبركم بما قد كانْ طول الليل وانا قلقانْ
واصبح جلدي كالجربانْ

٢ جا البرغوت وانا نائمْ وصار على صدري حائمْ وقال لي من شهرين صائمْ
في حسابي خلص رمضانْ

٣ قلتلو لا تجادبني علامك انت تكاربني بالله عليك لا تتعبني
كل النهار وانا تعبانْ

٤ قال لي ايس انا بهمَّكْ ان كان سرَّك او غمَّكْ عشاي الليلي من دمَّكْ
وبكرا يفرجها الرحمانْ

٥ قلت يابرغوت انا بداريكْ وبين الناس انشد فيكْ روح لغيري يمشيكْ
واتركني الليلي نعسانْ

٦ قال لي ما هو عا كيفكْ وعلِّيلي انا ضيفك عيب عليك يا حيفكْ
اكون عندك وابات جيعانْ

٧ لا تحسب اني جابكْ بجي وبدخل في عبابك بدور حول جنابكْ
ان كنت نائم او سهرانْ

٨ قلت يابرغوت اسمع مني وعلِّيلي ارجع عني ودعني راقد متهنِّي
يبقى لك عندي احسانْ

٩ قال لي شوارك مرذولهْ وعندي ما هي مقبولهْ ومواعيدك هي مجهولهْ
وعمري ما بصدّق انسانْ

١٠ قلتلو ويلك يا معقوقْ لا يا اسود يا ممحوقْ بتخدعني وما عندك ذوقْ
وعجزك هن قريب يبانْ

١١ قال انا بالعين صغيرْ ولي في الليل فعل كبيرْ انا ما بفزع من وزيرْ
ولا من حاكم ولا سلطانْ

١٢ بتعيِّرني بسوادي وانا اليوم لك معادي لأجيك انا واولادي
وبعلمك فعل السودانْ

١٣ قلتلو ما انا بهمَّكْ ولا اولادك ولا اولاد عمَّكْ لاحرق ابوك مع امكْ
وبناتكم مع الصبيانْ

١٤ قال بخليك حتّى تنامْ اجيك انا واولادي قوامْ لمَّا تلبس ثوب الحامْ
وعن مسكي تبقى عجزانْ

١٥ وحالاً بتصير تتقلّبْ وانا في جلدك مكلّبْ وانت تبقى متغلّبْ
بصبغ جلدك والقمصانْ

١٦ قلت يا برغوت ان كنت عاقل امتحنّي وانا فائقْ وضوء الشمس يكون شارقْ
لتنظر من هو الغلبانْ

١٧ قال انا بالنهار بصومْ بقضيها ارتياح ونومْ عند غياب الشمس بقُومْ
وادور حول السيقانْ

١٨ وان صار لي بالنهار فرصهْ لا بدّ ما اقرص لي قرصهْ ولولا خوفي من جرصهْ
ما كنت بسيّب انسانْ

١٩ قلت الرهبان لا تقرّبْهم والشرّير يحاربهمْ روح عنهم لا تعذّبهمْ
بكفاهم شرّ الشيطانْ

٢٠ قال الراهب هو ملزومْ بالسهر والصلاة والصومْ لئلا يتمادى بالنومْ
ما هو مليح يكون كسلانْ

٢١ وانا من يومي بحبُّهْ بجي ويدخل في عبُّهْ كي يقوم يعبد ربُّهْ
ويطلب للعالم غفرانْ

٢٢ وانت ما فيك تربطني وانا ربي مسلطني ولمّا بدّك تلقطني
بصير بفزّ كالغزلانْ

٢٣ وبعرف لمّا بتمسكني ما بتصور تتركني حالاً بتصير تفركني
وفي قتلي بتبقى شمتانْ

٢٤ وانا في اول الليلْ بتصيّد بقوّة مع حيلْ وبصير بركض مثل الخيلْ
وعا صدرك بعمل ميدانْ

٢٥ قلت يا برغوت يا مغرورْ حقًّا من جنسك مقهورْ لا بد ما اعملك تنُّورْ
واحميه بالشوك والبلّانْ

٢٦ قال لي كلامك كله فشارْ قرائبي واولادي كتارْ وتربّوا عند الجزّارْ
وتسلّطوا على البلدانْ

٢٧ وعلى ايش حتى تحرقني حيث ربّي خالقني وانا الدم يوافقني
وطالب من دمك فنجانْ

٢٨ قلت يا برغوت بالك فاضي وعايك ما انا راضي لا بد اشكيك للقاضي
واخرج في قتلك فرمانْ

٢٩ قال حكم القاضي انا عاصيه ومن يومي انا معاديه وفرمانه لا يعمل فيّ
وعلي ما لهُ سلطانْ

٣٠ قلت يا برغوت قلي كارك واهديني لباب داركْ قصدي اقطع جداركْ
واحرق نسلك بالنيرانْ

٣١ قال لي لمشيه بقلبَك وعلى باب داري بدلِّك حتى ادخل في ظلَّك
وارقّصك رقص السعدانْ

٣٢ قلت يابرغوت صدقة عنّك عرِّفني طريق فنّك وكيف بقدر خلص منّك
صرت في امري حيرانْ

٣٣ قال ان كان تعرف فنّي طاوعني واسمع مني انا نصيحك أمنّي
قصدي خيرك يا انسانْ

٣٤ كنّس بيتك في طبّونْ ورشّه بزوم الزيتونْ وخليه انضف من ماعونْ
وطينُهُ بتراب وافّانْ

٣٥ وثيابك قبال تلبسها برغتها او شمّسها وارض الدار كنّسها
كذلك اعمال بالدكّانْ

٣٦ لمّا يضيمك شوبكْ عند النوم غيّر توبكْ ما احد يجي صوبكْ
وعلى التخت افرش ونامْ

٣٧ هذا ما قد صار فيّي عند السهرا من عشيّي وكان في بدء الصيفي
في آخر يوم من نيسانْ

(تمّت القصّة من القس حنانيا منيّر)

*

وكذلك اشتهر بين شعراء ذلك الدهر المعلم الياس اده وكان مولدهُ في قرية اده من اعمال جبيل سنة ١٧٤١ وتوفي في بعبدا سنة ١٨٢٨ وهناك ضريحهُ وقد صحب الامراء الشهابيين ومدحهم لا سيما الامير يوسف والامير بشير وكذلك خدم مدةً احمد باشا الجزّار في عكا حتى هرب منهُ خوفاً على نفسهِ. وقد اتسعنا في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٦٩٣ و٧٣٦) في ترجمة الياس اده واعمالهِ وشعرهِ فلا حاجة الى الاطالة هنا. ومما وقفنا لهُ بعد ذلك من الآثار الادبيَّة مجموعة ذات ٢٣٥ صفحة ضمَّنها نخبةً من اقوال الادباء والعلماء واللغويين جمعها وهو في حلب الشهباء سنة ١٢٠٧ (١٧٩٢ م) وسمّاها « الدرّ الملتقط من كل بحر وسفط » وجدنا منها نسخة تاريخها ١٢٤٧ (١٨٣١ م) وهي عند احد ادباء عينطورة الخواجا جاماتي. وللمؤلف في وصف هذه المجموعة قولهُ :

اذا نظر الرائي اليها يخالُها رياضاً بها زهرٌ وزُهرٌ زواهرُ
عرائس يجلوها عليك خدورُها ولكنّما تلك الخدورُ دفاترُ

ومما لم نذكرهُ من شعرهِ قولهُ في وفاة الشيخ سعد الخوري سنة ١٧٨٥ :

لا ريب بعد السعد لاشيء فاخرُ وقد قُرِّحت بالدمع منّا المحاجرُ
لقد غبت يا شمس الكمال فأرعدتْ فرائصنا والحزنُ للقلب فاطرُ
وفاضت مياهُ الدمع منّا فما لنا وحقّك قلبٌ بعد فقدك صابرُ
وليل الشقا فينا اكفهرَّ ظلامهُ وضاقت علينا بالفراق الدوائرُ
لتبكِ المعالي بعد بُعدك حسرةً كما لبستْ ثوب الحداد المفاخرُ
ايا لوذعيًّا كان للدهر سيدًا ومن كفّهِ للجود هامٍ وهامرُ
عليك من الرحمان اضعافُ رحمةٍ ورضوانهُ ما ناح في الروض طائرُ
ومـا قال بالاحزان فيك مؤرّخٌ فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرُ

وقد خلّف لنا آثارًا ادبيَّة اوسع من السابقين رجلٌ سبقت لنا ترجمتهُ واطراء فضلهِ في باب التاريخ (ص ٢٣ — ٢٤) نيقولا الترك فانَّ طول باعه في الاداب ليس دونهُ في التاريخ ولدينا من نظمهِ الرائق ونثره المسجع الفائق ما يشهد لهُ بالتقدُّم بين آل عصره. وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من ديوانهِ تنيف النسخة على ٤٠٠ صفحة ترى فيها كل مضامين الكتابة في الرثاء والمدح والوصف والهجو والمزاح. وقد عارض اصحاب المقامات فوضع منها احدى عشرة مقامة نسبها الى راوٍ دعاهُ الحازم ومسفار فكهٍ سمّاهُ ابا النوادر. وفي كتابنا علم الادب (١: ٢٧٨) مقامة منها وهي الاولى المدعوَّة بالديريَّة نسبةً الى دير القمر قدَّمها المؤلف للامير بشير واودعهـا من حسن التعبير وبديع اللفظ وبليغ المعاني ما يدلُّ على براعتهِ في فنون الانشاء. امـا شعرهُ فمنسجم سهل المأخذ مطابق لمقتضى الحال مع كثرة التفنن في النعوت والاوصاف وفيهِ مع ذلك بعض الضعف اذ نبغ في الشعر بجودة قريحتهِ دون الدرس على استاذ يلقنهُ ومعلّم يرشدهُ. وها نحن نثبت هنا شيئًا من شعرهِ لافادة القرّاء وتنويهاً بحسن صفاته فمن ذلك قولهُ في مدح الامير بشير وهي اول قصيدة قالها فيهِ:

دنا البشرُ المجيد المستطابُ وأشرقَ في معاليهِ الشهابُ
وتمَّ لنا المُنَى بمزيد أمنٍ بهِ زال العنا والاضطرابُ

الى ان قال:

لهُ في المشكلات حميد رأيٍ وحزمٌ لم يزغْ عنهُ الصوابُ
بلي الهيجاء في عزمٍ شديدٍ لديهِ لانت الصمُّ الصِلابُ
كماةُ الحرب عند لقاهُ فرّت كما فرّت من الليث الذبابُ
وان خفقت بنور سطاه صاحت غشا الضرغام وانقضَّ العقابُ

يُبدِّد شملها منهُ وبغى كما يفنى من الشمس الضبابُ
ملاذٌ مقصدٌ حصنٌ منيعٌ رجاهُ لا يُردُّ ولا يخابُ
اذلَّ الله اعداهُ لديه وقد خضعت لعزتهِ الرقابُ

ولهُ ايضاً فيهِ من قصيدة قالها بعد واقعة حرب:

سواك الى المعالي ليس يُدعى لانَّ الله احسن فيك بِدْعا
وزانك بالمزايا يا حميداً بهِ الدهر ارتضى واختار قنعا
امير لا اميرَ سواه يُرجى مليك كاملٌ خلقاً وطبعا
بشير خوَّل الدنياء بشراً بهِ طاب الورى قلباً وسمعاً
شهاب اوعب الآفاق نوراً على نور الثريّا فاق سطعا
اذا اعددتهُ يوماً بفردٍ من الافراد كنت تراه سبعا
ندى كفَّيهِ حلَّ عن انكفافٍ كانَّ الله اجرى فيهِ نبعا
فما الفضل ابن يحيى وابن طيٍّ وهل معنٌ لمعنٍ بعدُ يدعى
بصارم عدلهِ كم بتَّ جوزاً واحيا لانتصار الحقِّ شرعا

وقال مهنئاً قدس السيد اغناطيوس قطّان بارتقائه الى السدَّة البطريركيَّة سنة ١٨١٦ وكان اسمهُ اولاً القس موسى:

خوَّلتَ يا فخر البطاركة الهنا للشعب ثمَّ حسمت كلَّ تراعِ
لمَّا ارتقيتَ لسدَّةٍ بك شُرِّفتْ يا كامل الاوصاف والاوضاعِ
وأنرتَ يا قطّانُ قُطّانَ الدنيا رِ وفيك باهت سائرَ الاصقاعِ
يا حبرَ احبار البلاد وسيِّداً أبداً لهُ عينُ الالـه تراعي
وبك استضا الكرسيُّ لمَّا ان وفى حسن الدعا لله والاضراعِ
لبَّاه بالافصاح ارِّختُ الهدى موسى لشعب الله افضل داعِ

ومن رثائهِ ما قالهُ في الشهيد بطرس مرّاش سنة ١٨١٨ لمّا قُتل في حلب باغراء جراسيموس اسقف الارثذكس مع غيره من الكاثوليك:

وافجعتاهُ بهِ وبا اسفي على ذاك الشباب النضِّ كيف تهشَّما
شُلَّت يدُ الباغي الذي قد اهرقتْ دمهُ الزكيَّ وحلَّلت ما حُرِّما
حيَّاهُ من شهمٍ شجاعٍ باسلٍ بطلٍ الى القتل المريع تقدَّما
بذل الحياةَ الدنيويَّة بالبقا واختار مجداً سرمدياً دوَّما
لله فجعةُ بطرسٍ كم فتَّتت كبدي وألقت في فؤادي اسهما
لله فرقةُ بطرسٍ كم اوحشت تلك الربوعَ واظلمت ذاك الحما
لله لوعة بطرسٍ كم أجَّجت في مهجتي الحرّاء جمراً مضرما

ما حياتي ما طاقتي فنيَت وها جلَدي وهاك الصبر مني مُعدَما
طوباه اذ من بعد اصلح سيرةٍ ومناقبٍ منذ الصبا فيها نما
وافى الى سفك الدما بشهامةٍ وغشي المنايا مسرعاً متقحّما
وانضمَّ منحازًا مع الشهداء في جنّات خلدٍ بالسماء منعّما
يا طيب مثوًى ضمَّ طاهر جسمه يا فوز من وافى اليهِ ميمّما
فلذاك قلتُ صلوهُ تمجيدًا بنا ريغي ففي دمهِ الزكي ورث السما

وهي طويلة · ومن فكاهاته قوله يهجو بعض الشوَيعرين الذين يسرقون ابياتًا وقصائد قديمة وينسبونها لنفسهم ·

اصبح الشعر كالشعير مقامًا لا بل الشعر منهُ ارخص قيمه
غيرَ من قد غدا بذا الدهر ينفي حقَّ ما فيهِ من لآلي نظيمه
حيثما قد غدت بنو الخلط تنشا فيهِ بئس المؤلفات الذميمه
ويحهم كيف جوَّزوا واباحوا هتك ما فيهِ من عروض سليمه
يا لهم من فواجرٍ بغباهم والخطا غوَّروا البحور العظيمه
نقضوا كل كامل موزونٍ ذي احتكام وعوَّجوا مستقيمه
افسدوا جوهر البسيط وفيهِ ركَّبوا اقبح الصفات الذميمه
قلَّ ان يُنقذ الخفيفَ فرارٌ منهم او تقي السريعَ هزيمه
ضعضعوا الوافرَ المديد وأمست بينهم حالة الطويل مشومه
كلهم كالذئاب قوم لصوص يستحلون سرقةً محرومه
قاتل الله مثلهم من يسطو بافتراء على البيوت القديمه
كم حمارٍ ابكمٌ يقلّد قسًّا فيهِ قد كانت الفصاحة شيمه
بل وكم بينهم ترى مهذارًا فاتحًا شدقهُ كشدق بهيمه
حرفة الشعر يا عبادُ توفّت فاسكبوا فوقها الدموع الحميمه
عظمها في التراب ما زال يشدو : يعلم الله انّي مظلومه

ومن موشحاته ما قالهُ في مدينة طرابلس ومدح اهلها :

بأبي عهدُ التهاني والصفا زمنٌ مرَّ بطرابلسِ
يا هنا عيش رغيدٍ سلفا لي بذاك المعلم المؤتنسِ

دور

حبذا الفيحاء اهنا كلّ نادْ والحمى المعمور والركن الحصينْ
كتب السعدُ عليها يا عبادْ ادخلوها بسلام آمنينْ
بلدةٌ طيّبةٌ خير البلادْ والمقام المشتهى للناظرينْ
اهلها قوم لطاف ظرفا نعمَ انجالُ كرام الانفسِ

ما لهم عيبٌ سوى حسنِ الوفا والخلوصِ المتناءِي عن دنسِ

وهو موشَّح طويل. وممَّا امتاز به الترك مداعباتهُ واقواله الفكاهيَّة. فمن ذلك ما رويناهُ له في كتابنا علم الادب (١: ٢٤٩) مناظرة بين الزيت واللحم. ومنها قولهُ يطلب من الامير بشير شروالًا وعمامة:

وشروالٍ شكا عتقًا وامسى يراودني العتاقَ فما عتقتُ
وكم قد قال لي بالله قلني وهبني كنت عبدًا وانطلقتُ
اما تدري باني صرتُ هرمًا وزاد عليَّ اني قد فُتقتُ
فدعني حيث قلَّ النفع مني وعاد من المحال ولو رُتقتُ
ولا تعبأ بتقليبي لاني بعمر ابيك نُوحًا قد لحقتُ
ولم يبرح يجدّد كل يومٍ عليَّ النعي حتى قد قلقتُ
وقلت لهُ عُتقت اليوم مني لاني في سواك قد اعتلقتُ
فأشعرتِ العمامةُ في مقالي لهُ فاستحسنت ما قد نطقتُ
فراحت وهي تشدو فوق رأسي ليَ البشرى إذن وانا عُتقتُ

وممَّا نُقش من شعره في معاهد بيت الدين التي ابتناها الامير بشير قولهُ وهو مرقوم فوق باب احدى القاعات:

دارُ المعالي التي فاقت مفاخرها والعزُّ قد زادها حسنًا وجمّلها
تزيَّنت في معاني الظرف واكتملت بقاعةٍ ارّخوها لا نظير لها

وكتب على دائرها هذه الابيات استغاثة الى العزَّة الالهيَّة على لسان الامير:

اللهُ اللهُ انت الواحدُ الاحدُ والسرمدُ الازليُّ الدائمُ الصمدُ
حيٌّ عزيزٌ قديرٌ خالقٌ ولهُ من في السماء ومن في ارضنا سُجُدُ
لا ربَّ غيرك يا مولايَ نعبدهُ ولا سواك الهًا فيهِ نعتقدُ
انت الغنا والمُنا والفوزُ اجمعهُ والعونُ والغوثُ والانجاءُ والمددُ
ما لي سواك غياثٌ لي أطالبهُ كلَّا وغيرك ما لي في الورى سندُ
خوَّلتني يا الهي خير تسمية فكنتَ فيك بشيرًا انت لي عضدُ
فاللبُّ والروح كلٌّ فيك مشهدهُ والفكرُ والقلبُ والاحشاءُ والكبدُ
بل كل جارحةٍ مني وعاطفةٍ تصبو اليك ونار الحبّ تتقدُ
اذ انت علة نفسي انت مركزها يا ربَّ كلٍّ ومنهُ الخلق قد وُجدوا
يا رب أمنن بعفوٍ منك لي كرمًا واغفر جنايات عبد منك يرتعدُ
وجُدْ بخاتمةٍ يا رب يعقبها ذاك النعيم السعيد الثابت الوَطدُ

هذا ولو شئنا لاتسعنا في ذكر منظومات نيقولا الترك وانما نجتزئ بهذا القليل وفيهِ كفاية لتعريف طريقة ذلك الشاعر الذي كان من اعظم السُعاة في النهضة الادبية في مبادئ القرن التاسع عشر وديوانهُ يستحق الطبع لان صاحبهُ الاديب نظمهُ في وقت كسدت فيهِ تجارة الآداب فيشفع في ضعف بعض اقسامهِ الكثير من محاسنهِ (١

وممن نلحقهم بهولاء الشعراء بعض من معاصريهم النصارى ابقوا لنا آثاراً من فضلهم وهي تآليف ومصنفات ادبية غير الشعر واولهم جرمانوس آدم الحلبي الذي لعب دوراً مهماً في تاريخ زمانهِ . ولد في حلب في اواسط القرن الثامن عشر ونشأ فيها ثم تخرَّج في الآداب الكنسيَّة والعلوم الدينيَّة والمعارف الدنيويَّة في رومية العظمى حتى اصاب منها قسماً صالحاً . وقد عُهدت اليهِ لمقدرتهِ عدة مهماتٍ قام بها قياماً حسناً وتولى القضاء مدَّة في لبنان ولهُ تآليف متعددة تشهد لهُ بقوة الفهم واتساع المعارف واكثرها دينيَّة منها كتاب ايضاح اعتقاد الآباء القديسين في الحاد المشاقين وهو سفرٌ كبير وايضاح البراهين اليقينيَّة على حقيقة الامانة الارثذكسيَّة وكتاب المجامع لكباسوطيوس (Cabassut) ولهُ تآليف اخرى شطَّ فيها عن تعليم الكنيسة الكاثوليكية لكنَّهُ رذلها قبل وفاته نادماً . وتوفي في زوق ميكائيل في ١٠ ت ٢ سنة ١٨٠٩

وفي عهدهِ عُرف راهب من ملَّته الروم الكاثوليك وعاش بعدهُ ردهاً من الدهر اعني بهِ سابا بن نقولا الكاتب الشهير بالخوري سابا . كان مولدهُ في حمص وكان ابوهُ من الروم الارثذكس وأُمهُ كاثوليكية فنشأ على دين والدهِ مدَّةً ثمَّ اهمل نفسهُ لملاذ الدنيا حتى ارعوى وارتدَّ الى الله بعد ان رأى عيشة الرهبان الكاثوليك في دير المخلّص فتبعهم في دينهم ثمَّ في طريقتهم النسكيَّة واخذ العلوم العربيَّة عن الشيخين يوسف الحرّ من علماء جباع واحمد البزري . وبعد كهنوتهِ سافر الى رومية حيث اتقن العلوم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة وتعلَّم اللغات الاوربيَّة ثم رجع الى الشرق وانكبَّ على الاعمال الخيرية الَّا انَّ الامراض دهمتهُ فاحوجتهُ الى لزوم ديرهِ فانقطع الى التأليف وصنَّف كتباً عديدة

١) في ديوان نقولا الترك (ص ١١٣) شعرٌ في عبدالله النحاس وفي ابنهِ نقولا الشاعر ولا نعرف شيئاً من شعر نقولا المذكور

في اخصّ المعتقدات المسيحية اكثرها لا يزال مخطوطاً طبع منها شيئاً الاديب شاكر افندي البتلوني. ولهُ مصنَّفات اخرى في معظم الابحاث الفلسفية منها رسائل في النفس وجوهرها وخواصّها. ومنها كتاب في المنطق نُشر بالطبع وغير ذلك مما عددناه في مقالاتنا عن مخطوطات الكتبة النصارى ورُقّي الى رئاسة رهبانيّتهِ العامّة نحو تسع سنوات وكانت وفاته في ايلول من السنة ١٨٢٧

المستشرقون في هذه الحقبة

وقبل ان نختم تاريخ هذا الطور الاوَّل من الآداب العربيَّة في القرن المنصرم يجمل بنا ان نذكر المستشرقين الاوربيين الذين استحقُّوا ثناء الادباء بما نشروهُ من المصنَّفات العربيَّة

ومما يقال بالاجمال انَّ هذه ثلاثة اعشار القرن لم يبلغ احد فيها بين الاجانب مبلغ العلّامة سلوستر دي ساسي لكنَّنا نؤجّل الكلام فيهِ الى الطور التالي لانهُ فيهِ مات. وكان دي ساسي كنقطة المركز لدائرة زمانهِ يشيرون اليهِ بالبنان لتفنُّن معارفهِ بل كان مناراً يستضيء بنوره كل من اراد العلوم الشرقيَّة في فرنسة وغيرها فيقدمون باريس ليحضروا دروسهُ ويدورون في فلكهِ كالاقمار المستنيرة بهِ

وقد جاراهُ في علومهِ دون ان يبلغوا شأوهُ بعض اهل وطنهِ الذين قدمنا ذكرهم (ص ١٤) كالعلّامة دي غيني ولنغلاي ودوبرون وهربان ولكلّهم الآثار الناطقة بعلوّ علمهم وسعة معارفهم. وممَّن تتلمذوا لهُ وفازوا بالشهرة في آداب العرب المسيو امابل جوردان (A. L. Jourdain) (١٧٨٨—١٨١٨) كتب تاريخاً للعجم وانتقد تأليف ميرخند وصنَّف كتاباً في البرامكة ونقل الى الفرنسويَّة نُبذاً من تاريخ العرب عن حروب الفرنج في بلاد الشام. لكنَّ هذا المستشرق مات في مُقتبل العمر

ومن تلامذة دي ساسي ايضاً في هذا الطور انطون ليونارد دي شازي (Chézy) نبغ في اللغات الشرقيَّة وكتب عدَّة مقالات في اثار العرب والعجم وغيرهم في مجلة العلماء ولهُ تاريخ العجم ومجانٍ ادبيَّة فارسيَّة ومنتخبات من كتاب عجائب المخلوقات للقزوينيّ. توفي سنة ١٨٣١ وكان مولدهُ سنة ١٧٧٣

ومما يُذكر من حسن مساعي الفرنسويين في خدمة الآداب الشرقيَّة في ذلك العهد نشأة الجمعيَّة الاسيويَّة الباريسيَّة انشأها دي ساسي ورصفاؤهُ وتلامذته سنة

١٨٢١ ثمّ باشروا بنشر الآثار القديمة والمقالات المستحسنة في كل فنون الشرق وآدابه ولغاته لا سيما اللغات الساميّة منذ السنة ١٨٢٢ ومجلّتهم تبرز كل سنة في مجلّدين فيكون مجموع ما ظهر منها الى يومنا بالغاً مئتي مجلد وهي تحتوي كنوزاً ثمينة في كل اداب الشرق . وقد نشرنا في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٦١٢-٦١٩) خلاصة اخبارها بنسبة التذكار المئوي لانشائها

وحذا الانكليز حذو الفرنسويين في العام التالي سنة ١٨٢٣ فشكّلوا ايضاً جمعية دعوها باسم جمعيّة بريطانية العظمى وايرلندة الاسيويّة الملكية. وكان الساعي في هذا المشروع بعض كبار الاثريين مثل كولبروك (Colebrooke) وجنستون (Johnston) وستونتن (Staunton) وڤين (Wynn) وهوغتون (Haughton) فنشروا ايضاً نشرة علميّة (Transactions) سنة ١٨٢٤ ثم وسّعوها سنة ١٨٣٦ ودعوها مجلة لندن الاسيويّة الملكيّة. لكنّ العلماء الانكليز كانوا يوجّهون اهتمامهم خصوصاً الى الهند والى لغات الهنود وآدابهم. وكذلك نشر الالمان والنمسويون مجموعات شرقية منها « معادن الشرق » للعلّامة هامر (Hammer) و « جريدة المعارف الشرقية » التي طُبعت في بونّة من اعمال المانية. امّا الجمعيّة الاسيويّة الالمانية فلم تُنشأ الّا بعد ردحة من الدهر

ومن مشاهير المستشرقين في تلك الايّام غير الفرنسويين رازموسن (Rasmussen) الدنيمركيّ (١٧٨٥-١٨٢٦) درس العلوم الشرقيّة في باريس ثم عاد الى وطنه فتولّى تدريس لغات الشرق في حاضرة بلاده كوبنهاغن. لهُ عدّة تآليف في تواريخ العرب في الجاهليّة نقلاً عن ابن قتيبة وابن نباتة والنويريّ مع جدول لتوفيق التاريخ الهجري والتاريخ المسيحيّ. ونقل قسماً من كتاب الف ليلة وليلة. ومن مصنفاته كتاب لهُ في المعاملات التي دارت بين العرب والصقالبة في القرون الوسطى

واشتهر بين الالمان ڤلمت (Wilmet) الذي نشر معجماً عربياً لاتينياً ونقل معلّقتي لبيد (سنة ١٨١٤) وعنترة (سنة ١٨١٦) وعلّق عليها الحواشي الواسعة والتذييلات المهمّة. ومنهم ايضاً كرل رودلف پيپر (C. R. S. Pieper) نقل قسماً كبيراً من مقامات الحريري الى اللاتينيّة وحشّى معلّقة لبيد ونشر رسالتين في ما بعد الطبيعة لبهمنيار بن المرزبان. وكذلك عُرف بينهم كرل تيودور جوهنسن

(C. T. Johannsen) الذي ترجم تاريخاً لمدينة زبيد عنوانهُ « بغية المستفيد في اخبار زبيد » ونشرهُ في بونة سنة ١٨٢٨ . وهو تاريخ حسن ألّفهُ في غرّة القرن العاشر للهجرة الامام سيف الاسلام ابن ذي يزن الفقيه عبد الرحمان الربيع

وكانت الدروس العربيّة قد ضعفت قليلًا في ايطالية فانهضها احد فضلاء الاسرة السمعانيّة نريد بهِ شمعون السمعاني الذي ولد في طرابلس ودرس في مدرسة الموارنة في رومية العظمى ثم تجوّل مدّة في مصر والشام لجمع المخطوطات الشرقيّة . ولمّا كانت السنة ١٧٨٥ عهدت اليهِ كليّة بادوا تدريس اللغات الشرقيّة فعلّمها الى سنة وفاتهِ في ٧ نيسان ١٨٢١ . لهُ تآليف في عرب الجاهليّة واصلهم وتاريخهم واحوالهم في مجلّدين ووصف الآثار الكوفيّة في المتحف النانياني والمتحف البرجياني ومتحف السيد مينوني

وفي الوقت عينهِ اكتسب احد كهنة ايطالية المسمّى جان برندي روسي (di Rossy) (١٧٤٢ — ١٨٣١) شهرة واسعة في المعارف الشرقية . فانهُ كان اولًا ناظرًا على متحف مدينة تورينو ثم تولّى تدريس اللغات الشرقيّة في كليّة بارما نحو خمسين سنة . ومن مشروعاتهِ الطيبة انشاؤهُ في بارما مطبعة شرقيّة متقنة الادوات جميلة الحروف اصدرت عدّة مطبوعات بديعة الطبع . وكان دي روسي حاذقاً في اللغة العبرانية لهُ فيها عدّة مصنّفات . منها وصف مكتبة واسعة كان جهزها بالتآليف النادرة والمخطوطات الجليلة ومنها تأليف في الشعر العبراني . وكان يحسن العلوم العربيّة كما يدلّ عليهِ كتابهُ الطلياني « معجم اشهر ادباء وكتبة العرب » الذي طبعهُ سنة ١٨٠٧

الفصل الرابع

في الاداب العربية من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٥٠

هو الطور الثاني من القرن التاسع عشر وهو يشمل عشرين سنة اصابت في مطاويها الآداب العربيّة ترقياً مذكوراً

وممّا امتاز بهِ هذا الطور الثاني انتشار المطابع العربيّة في الشرق . نعم انّ الطباعة كانت سبقت هذا العهد كما بيّنّا الامر في المقالات المتعدّدة التي خصصناها بهذا الفنّ في اعداد المشرق من السنين الثلاث ١٩٠٠ و١٩٠١ و١٩٠٢ . لكنّ المطبوعات

العربيَّة في الشرق كانت قليلةً لا تتجاوز بعض العشرات واكثرها دينيَّة كما في مطابع حلب وبيروت والشوير. فلما كان القرن التاسع عشر توفَّرت الادوات الطبعيَّة في الشرق وقد مرَّ لنا ذكر مطبعة الاستانة العليَّة ومطبعة بولاق (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ١٧٤) وكلتاهما وسَّعت دائرة اشغالها في هذا الطور الثاني لا سيما مطبعة بولاق التي ابرزت نحو ثلاثمائة كتاب في فنون شتى بالعربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة (Journal As., 1843², 24-61) وكان اكثرها منقولًا عن الفرنسويَّة في العلوم المستحدثة كالرياضيَّات والطبّ والجراحة وجرّ الاثقال والفنون العسكريَّة. اما الكتب الادبيَّة فكانت يسيرةً

ومن المطابع التي جدَّدت حركتها في هذه المدَّة مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٥٠١) فانها بعد خمودها نحو مئة سنة عادت الى اشغالها بسعي مطران الروم الارثذكس بنيامين سنة ١٨٤٨. وفي السنة التالية انشأ في القدس بطريرك الروم كيرلُس الثاني مطبعةً عُرفت بمطبعة القبر المقدَّس اليونانية (المشرق ٥ [١٩٠٢]: ٧٠). ومعظم مطبوعات هاتين المطبعتين في السنين الاولى لانشائهما لم تتجاوز الموادّ الدينيَّة وبعض المبادئ المدرسية

وفي اثناء هذا الطور اعني من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٥٠ استُحدثت ثلاث مطابع كبيرة اعانت على نشر آداب اللغة العربية في جهات الشام: الاولى منها مطبعة الاميركان التي نُقلت سنة ١٨٣٤ من مالطة الى بيروت واستحضرت ادوات جديدة وحروفاً مشرقة فاشتغلت مذ ذاك الوقت بطبع مؤلفات جمَّة عدَّدنا قسماً منها في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٥٠٤). والثانية مطبعة الآباء الفرنسيسيّين في القدس الشريف باشرت اعمالها سنة ١٨٤٩. والثالثة مطبعتنا الكاثوليكيَّة كان ظهورها سنة ١٨٤٨ فطبعت اولًا كتباً شتى على الحجر ثم طبعت على الحروف سنة ١٨٥٤ (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٦٤١—٦٥٦) فهذه المطابع لم تزل منذ نيِّف وثمانين سنة تجاري بعضها بعضاً في ميدان الآداب كخيل السباق ولا غرو فان بواسطتها تعدَّدت المنشورات وقرب جناها على ايدي الاحداث واقبل على مطالعتها العموم

ومن الاسباب التي ساعدت ايضاً في تلك المدَّة على اتساع المعارف الادبيَّة وارتقاء اللغة العربيَّة ما أُنشئ في الشرق من المدارس بهمَّة اصحاب الخير. فما عدا

المعاهد التي سبق لنا ذكرها (ص ٥ — ٦) كعين ورقة وعين تراز والشرفة ظهرت مدارس جديدة غايتها ترقية العلوم كان الفضل في انشائها الى المرسلين اللاتينيين. واوَّل هذه المدارس التي فُتحت لتثقيف الوطنيين بالآداب العصريَّة مدرسة عين طورا باشرت بالتعليم سنة ١٨٣٤ وقد سبق المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٥٤٨ الخ) فاتَّسع في تاريخ هذه المدرسة الشهيرة ومن تخرَّج فيها من الادباء فلا حاجة الى التكرار

ثم أُنشئت بعد تسع سنوات (١٨٤٣) مدرسة للاباء اليسوعيين في كسروان انشأها الاب مبارك پلانشه في غزير في الدار التي كان شيَّدها الامير حسن شقيق الامير بشير الشهابي لسكناه. وهذه المدرسة بقيت عامرةً الى سنة ١٨٧٥ وفيها نُقلت الى بيروت فقامت عوضاً عنها مدرسة القديس يوسف الكليَّة. ومن مدرسة غزير خرج رجال افاضل لا يحصى عددهم منهم بطاركة اجلاء واساقفة مبجَّلون وكهنة غيورون ووجوه وأُدباء وكتبة كانوا كلهم ولا يزال كثيرون منهم الى يومنا سنداً لكل مشروع خيري ولكل مسعىً صالح ديني او وطنيّ

وكما اهتمَّ المرسلون بفتح المدارس المذكورة لم يسهوا عن تربية الاناث فبمساعيهم قدمت راهبات مار يوسف سنة ١٨٤٥ ثم راهبات المحبة سنة ١٨٤٧ واخذنَ يتفانينَ في تهذيب الفتيات في الشام وفلسطين. وبعد سنين قليلة انشأ الاباء اليسوعيُّون سنة ١٨٥٣ جمعيَّة الراهبات المريمات ثم جمعيَّة قلب يسوع والفتتان حازتا رضى الاساقفة والاهلين وخدمتا الوطن احسن خدمة بتهذيب البنات ثم اجتمعتا باخوية واحدة عُرفت باسم راهبات قلبي يسوع ومريم يشهد لهنَّ الجميع في يومنا بالغيرة والصلاح وحسن التربية للإناث وخصوصاً في القرى المهملة. وقد احتفلن في العام الماضي بيوبيلهنَّ السبعيني (اطلب المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٦٤١). وكذلك انتشرت راهبات الناصرة في هذه البلاد في اواسط القرن السابق وتولَّين ادارة مدارس الاناث من كل طبقات الاهلين في بيروت وعكا وحيفا والناصرة وشفاعمرو فاحرزنَ لهنَّ ثقة الجمهور بفضلهنَّ

اما المدارس الوطنية فانها تعززت ايضاً في هذا الطور وزادت نموًّا لاسيما مدرسة عين ورقة التي اكسبها رئيساها الاوَّلان المطران خير الله اسطفان والمطران يوسف رزق الجزيني رونقاً عظيماً ماديًّا وادبيًّا. ومن اثار هذه المدرسة حينئذٍ (سنة ١٨٤٠)

انشاء جمعية مرسلين انجيليين انتسبوا الى مار يوحنا الانجيلي وخدموا النفوس باعمال الرسالة نحو عشرين سنة ثم خلفتهم جمعية مرسلي الكريم التي لا تزال حتى يومنا تفلح كرم الرب بنشاط وغيرة

وكذلك تقدمت مدرستان أخريان للطائفة المارونيَّة كان سبق تأسيسهما في ايام السيّد البطريرك يوحنا الحلو نريد بهما مدرسة مار يوحنا مارون كفرحيّ ومدرسة مار مارون الرومية. فكان الساعي بانشاء الاولى المطران جرمانوس ثابت في السنة ١٨١١ خصها بتهذيب بعض احداث بلاد جبيل والبترون وجبة بشراي ثم اتسعت بعد ذلك في ايام الطيّب الذكر المطران يوسف فريفر الذي صرف المجهود في تحسينها وقد حذا حذوهُ رؤساؤها من بعدهِ لاسيما المرحوم المنسنيور بطرس ارسانيوس الذي اهتمّ كثيرًا بشؤونها ونجاحها

اما المدرسة الروميَّة فكان انشاؤها بعد ذلك سنة ١٨١٧ وكانت هذه المدرسة ديرًا فامر البطريرك يوحنا الحلو بتحويلها الى مدرسة وصادق على امرهِ آباء مجمع اللويزة في السنة التالية. ولعائلة بيت الصفير اوقاف وحقوق على مدرسة الروميَّة التي اخرجت عددًا وافرًا من افاضل الشبان المرشَّحين للكهنوت

ولمَّا قام السيد يوسف حبيش بطريركًا على الطائفة المارونيَّة وجَّه عنايته الى فتح المدارس لابناء رعاياهُ ففُتحت اولًا مدرسة مار يوحنا مارون في صربا ١٨٢٧ وكان الساعي بذلك المطران يوحنا العضم. ثم فُتحت مدرسة اخرى في عرمون وكان هناك لبيت آصاف دير للراهبات على اسم مار عبدا هرهريا فحوَّلوهُ بعد امر السيد البطريرك الى مدرسة عموميَّة لتعليم شبَّان الطائفة المارونيَّة العلوم الاكليريكية وصار لهذه المدرسة نجاحٌ عظيم خرج منها اولو فضل ممَّن تفتخر بهم ملَّتهم حتى اليوم كالسادة الاجلَّاء المطران يوسف النجم والمطران اسطفان عوَّاد والمطران بولس عوَّاد والمطران بولس سعد وكالخوارنة العاملين يوسف العلم وكيل مطران بيروت سابقًا ويوحنا رعد الغزيري الشاعر والخوري عبدالله العقيقي وغيرهم وقد اغتالت المنيَّة اكثرهم

وبعد ذلك بسنتين (١٨٣٢) سعى البطريرك الوما اليهِ بتحويل دير مار سركيس وباخوس في ريفون الى مدرسة لابناء الطائفة كمدرسة مار عبدا فلبى دعوته ولاة الدير من بيت مبارك بكل طيبة قلب وافرغ رئيس الدير القس فرنسيس مبارك كنانة

الجهد في تحقيق تلك الاماني فلم تذهب مساعيهِ ادراج الرياح كما ترى في تاريخ هذا الدير الذي سبق بتسطير اخباره حضرة الاب ابراهيم حرفوش في المشرق (٨ [١٩٠٥]: ٦٧ و٣٤٧ و٧٥٣)

وفي هذا الوقت ايضاً كان المرسلون الاميركان لا يألون جهداً في فتح المدارس اخصّها في بيروت واعبَيْه فنجحوا فيها بعض النجاح لولا انهم ناقضوا فيها تعاليم الدين الكاثوليكي ليبثّوا في قلوب الاحداث زوان التساهل الدينيّ

ولا نعرف للروم مدرسةً ذات شأن في كل النصف الاوَّل من القرن التاسع عشر وكانت ناشئتهم غالباً تتردَّد على مدارس المرسلين الكاثوليك او البروتستان الاميركان

وكانت الدروس العربية في كل هذه المدارس راقيةً فانَّ منها خرج معظم الذين اشتهروا بالكتابة في القرن المنصرم وخصوصاً بين النصارى كما نبيّن ذلك

اما المدارس خارجاً عن الشام فكانت في الغالب مقصورة على مبادئ القراءة والكتابة واصول الحساب واللغة

بعض مشاهير المسلمين في هذا الطور الثاني

نقدّم عليهم الشيخ حسن بن محمَّد العطَّار كان اهلهُ من المغرب فانتقلوا الى مصر وولد حسن في القاهرة سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) وكان ابوهُ عطَّاراً استخدم ابنهُ اوّلاً في شؤونهِ ثم رأى منهُ رغبةً في العلوم فساعدهُ على تحصيلها فاجتهد الولد في احراز المعارف واخذ عن كبار مشايخ الازهر كالشيخ الامير والشيخ الصبَّان وغيرهما حتى نال منها قسماً كبيراً. وفي ايَّامهِ جاء الفرنسويون الى مصر فاتَّصل بأناس منهم فأفادوه بعض الفنون الشائعة في بلادهم وافادهم درس اللغة العربيَّة . ثمَّ ارتحل الى الشام واقام مدَّة في دمشق وممَّا نظمهُ حينئذٍ قولهُ في منتزهات دمشق :

بوادي دمشق الشام جُزْ بي اخا البسط ... وعرّج على باب السلام ولا تُخطِ
ولا تبكِ ما يبكي امرؤ القيس حوملًا ... ولا منزلًا اودى بمنعرَج السقطِ
فانَّ على باب السلام من البها ... ملابسَ حسنٍ قد حُفظنَ من العطِ
هنالك تلقى ما يروقك منظراً ... ويُسلي عن الاخدان والصُحب والرهطِ
عرائس اشجارٍ اذا الريح هزَّها ... غيلُ سكارى وهي تخطر في مرطِ
كساها الحيا اثواب خَطْرٍ فدُثّرت ... بنور شعاع الشمس والزهر كالقُرطِ

وتجوَّل هذا الشيخ حسن في بلاد كثيرة يفيد ويستفيد حتى كرَّ راجعاً الى

مصر فاقرّ له علماؤها بالسبق فتولّى التدريس في الازهر وقُلد رئاسة هذه المدرسة بعد الشيخ محمّد العروسي سنة ١٢٤٦ فدبّرها احسن تدبير الى سنة وفاته في ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥م) . وكان محمّد علي باشا خديوي مصر يجلّهُ ويكرمهُ . وقد خلّف عدّة تآليف في الاصول والنحو والبيان والمنطق والطب . ولهُ كتاب في الانشاء والمراسلات تكرَّر طبعهُ في مصر . وكان هذا الشيخ عالماً بالفلكيات له في ذلك رسالة في كيفيَّة العمل بالاسطرلاب والرُّبعَين المقنطر والمجيَّب والبسائط . وكان يُحسن عمل المَزاول الليليَّة والنهاريَّة . وقد اشتهر ايضاً الشيخ العطَّار بفنون الادب والشعر . وممَّا يروى عنهُ انهُ لمَّا عاد من سياحتهِ في بلاد الشرق رافق امام زمانهِ في العلوم الادبيَّة السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشَّاب فكانا يبيتان معاً ويتنادمان ويتجاذبان اطراف الكلام فيجولان في كل فنّ من الفنون الادبيَّة والتواريخ والمحاضرات واستمرَّت صحبتها وتزايدت على طول الايَّام مودَّتهما الى ان توفي الخشَّاب فاشتغل الشيخ العطار بالتأليف الى موتهِ . ولهُ شعر رائق جُمع في ديوانهِ فمن ذلك ما رواه لهُ الجبرتي (٤ : ٢٣٣) في تاريخهِ يرثي الشيخ محمَّد الدسوقيّ المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م)

احاديث دهرٍ قد ألمَّ فاوجعا وحلَّ بنادي جمعنا فتصدَّعا
لقد صال فينا البينُ اعظم صولة فلم يُخلِ من وقع المصيبة موضعا
وجاءت خطوبُ الدهر تترى فكلَّما مضى حادث يُعقبهُ آخرُ مسرعا

وهي طويلة قال في ختامها :

سعى في اكتساب الحمد طولَ حياتهِ ولم ترهُ في غير ذلك قد سعى
ولم تُلهِهِ الدنيا بزخرفِ صورةٍ عن العلم كيما ان تغرَّ وتَخدعا
لقد صرف الاوقات في العلم والتقى فما أن لها يا صاحِ امس مضيَّعا
فقدناهُ لكنْ نفعهُ الدهرَ دائمٌ وما مات من ابقى علوماً لمن وعى
فجوزيَ بالحُسنى وتُوِّج بالرضا وقوبل بالاكرام ممَّن لهُ دعا

وممن مدحوا الشيخ حسن العطار المعلم بطرس كرامة اللبناني فقال فيهِ لما قابلهُ في مصر :

قد كنتُ اسمعُ عنكم كلَّ نادرةٍ حتَّى رأيتك يا سؤلي ويا أربي
واللهِ ما سمعتْ اذني بما نظرت لديك عيناي من فضلٍ ومن ادب

وقام بعد الحسن العطَّار في رتبتهِ البرهان القويسني فتقلَّد مشيخة الازهر اربع

سنوات وتوفي سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م) وكان مكفوف البصر عالمًا لهُ تآليف فقهيَّة قال فيهِ احد شعراء زمانهِ يوم ولي رئاسة الازهر معترفاً بسلفهِ :

ولئن مضى حسنُ العلوم لربهِ فلقد اتى حسنٌ وأحسنُ من حسنْ
انت المقدَّم رتبةً ورئاسةً وديانةً مَن ذا الذي ساواك مَنْ

واشتهر بالآداب احد تلامذة الشيخ حسن العطَّار وهو الشيخ حسن قويدر · ولد بمصر سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩) وكان اصل اجداده من المغرب ثمَّ انتقلوا الى مدينة الخليل وتناسلوا بها ثمَّ انتقل قويدر والد المترجم الى القاهرة وفيها ولد ابنهُ الحسن · فلما نشأ اخذ عن شيوخ زمانهِ وخصوصاً عن الشيخ حسن العطَّار · ولم يزل يتقدَّم في العلوم حتى نال فيها شهرة عظيمة وكان مع ذلك يشتغل بالتجارة ويعامل اهل الشام ومن تآليفهِ شرحهُ المطوَّل على منظومة استاذهِ حسن العطَّار في النحو وكان قرَّظها بقولهِ :

منظومة الفاضل العطَّار قد عبقتْ منها القلوبُ بريَّا نكهةٍ عطرهْ
لو لم تكن روضةً في النحو يانعةً لما جنى الفكرُ منها هذه الثمرهْ
في ظلمة الجهل لو ابدت محاسنها والليلُ داجٍ أرانا وجهُها قمرهْ
قالوا جواهرُ لفظٍ قلت لا عجبٌ بحر البلاغة قد أدَّى لنا دُررهْ

ومن تآليفهِ ايضاً كتاب انشاء ومراسلات ورسائل ادبيَّة · ومنها كتاب نيل الارب في مثلثات العرب وهي مزدوجات ضمَّنها الالفاظ المثلَّثة الحركات المختلفة المعاني كمثلَّثات قطرب · وهذا التأليف طُبع في مصر وقد نقلهُ الى الايطاليَّة المستشرق الاديب المرحوم اريك فيتُّو قنصل ايطالية في بيروت سابقاً وطبعهُ في المطبعة الادبيَّة · وممَّا يروى من شعره قولهُ :

يا طالب النصح خذ مني محبَّرةً تُلقى اليها على الرغم المقاليدُ
عروسةٌ من بنات الفكر قد كُسيت ملاحةً ولها في الخدّ توريدُ
كأنها وهي بالامثال ناطقةٌ طيرٌ لهُ في حميم القلب تغريدُ
احفظ لسانك من لغطٍ ومن غلطٍ كل البلاء بهذا العضو مرصودُ
واحذر من الناس لا تركن الى احدٍ فالخلّ في مثل هذا العصر مفقودُ
بواطنُ الناس في هذا الدهر قد فسدت فالشرُّ طبعٌ لهم والخير تقليدُ

توفي الشيخ حسن قويدر سنة ١٢٦٢ (١٨٤٦م) وقيل انهُ في مرضه الاخير وضع

تاريخ وفاته بهذه العبارة «رحمة الله على حسن قويدر» مجموع حروفها سنة وفاته

اما بلاد الشام فاشتهر من علمائها الشيخ محمّد امين بن عمر بن عبد العزيز كان مولده بدمشق سنة ١١٩٨هـ وفيها توفي سنة ١٢٥٢ (١٧٨٣ — ١٨٣٦) برَّز بين ادباء وطنهِ واخذ عنهُ علماء الشام وقد صنَّف في الفقه والتصوُّف نحو خمسين كتاباً

واشهر منهُ في الشعر الشيخ امين بن خالد آغا ابن عبد الرزَّاق اغا الجندي ولد في حمص من أُسرة شريفة سنة ١١٨٠ (١٧٦٦) ونشأ بها في طلب العلوم ثم رحل الى دمشق فامتاز بين اقرانه وشهد لهُ الشيخ عمر اليافي بالتقدُّم في الشعر. وقد نظم القصائد المفيدة والقدود الفريدة وتفنن خصوصاً في الموشحات والمواليات والاناشيد الموقعة على آلات الطرب وقد غلبت عليه الغزليات. وكان سيَّال القلم طيّب القريحة لم يمضِ عليهِ يوم خالياً من نظم او نثر يحرّر في يوم ما يعجز عنهُ غيرهُ في شهر. وكان اهل زمانهِ يتزاحمون على مسامرتهِ ويتنافسون في مواصلتهِ ويتغنَّون باقوالهِ. وكانت وفاتهُ في حمص سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١ م) ودُفن قريباً من الجامع الخالديّ. ولهُ ديوان طبعَ قسماً منهُ بالمطبعة السليميَّة الاديبُ سليم المدوَّر سنة ١٨٧٠ ثمَّ طبعهُ سنة ١٨٨٣ اصحاب المكتبة العموميَّة واضافوا اليهِ قسماً آخر لم يُنشر بالطبع. ومنذ عهد قريب تولى نشر ديوان الجندي بتمامهِ الاديب محمد افندي كمال بكداش في مطبعة المعارف وهذه الطبعة لا تقل عن ٤٥٠ صفحة ولشهرة هذا الديوان نكتفي بذكر بعض مقاطيع قليلة منهُ تدلُّ على اساليب ناظمهِ فمن ذلك قولهُ من الرجز يصف فيهِ الربيع في ربوة دمشق:

يا حبَّذا الربوةُ من دمشقِ	بالفضل حازت قصبات السبقِ
كم أطلعت بها يدُ الربيعِ	من كل معنىً زائدٍ بديعِ
وفتَّح الوردُ الكفوفَ اذ دعا	داعي الصباح للهنا ورجَّعا
وفكَّكت انامل النسيمِ	ازرارَ زهر الرَّند والشميمِ
ونقّطت خواتم الازهارِ	من فَنَن الاغصان كالدراري
وانتضَّ سيفُ البرق في اوراقِ	مذ شام خيل الريح في سباقِ
ما بكت السماءُ بالغمامِ	الَّا وصار الزهر في ابتسامِ

ومن محاسن شعره قولهُ مشطرًا ومخمساً لابيات عرضها عليهِ عبدالله بك العظم في خصام النرجس والورد:

قال لي النرجس حرِّضْ لقتال الورد وادحض
قلتُ هذا قول مبغض ايها النرجسُ أعرض
لن تنال الافضليَّة

عُد الى الحقّ سريعا ولقولي كن سميعا
وأنتِ للورد مطيعا وسل الزهر جميعا
عن معانيك الرديَّة

قد جهلتَ الامر قدما وادَّعيت الحسن ظلما
فبمن اولاك حلما لا تكن للورد خصما
فهو مرفوعُ المزيَّة

كنت قبل العجب آمنْ وبظلّ الروض كامنْ
فاذا حرَّكتَ ساكنْ انت ربُّ السيف لكنْ
شوكة الورد قويَّة

ومن قولهِ في هجو قوم:

وقوم غضَّ طرفُ الدهر عنهم	فآذَوا كلَّ ذي عرض وعادوا
وفي ظُلُمات ظلم الحق ساروا	فسادوا عند ما ظهر الفسادُ
وان قالوا سنرجع حيث كنّا	مخافةً ان تذمهم العبادُ
وان طلبوا رجوعهم عنادًا	فما صدقوا ولو رُدُّوا لعادوا

ومن مديحهِ قولهُ في وزير من قصيدة طويلة:

رفيع مقام شامخ العز ضيغمٌ	غياث مغيث من ظلوم اذا اعتدى
يلوذ بهِ الجاني فيبلغُ مأمنًا	ولو كان اهل الخافقين لهُ عِدى
ومن أمَّهُ من فاقة عاد مثريًا	ويرجع بعد الذل والفقر مسعدا
اذا الدهر يومًا جارَ في حكمهِ بنا	على الدهر ارسلناه سهمًا مسدّدا
فتىً جمع الدنيا مع الدين والحجى	مع الحزم والراي السديد مع الهدى
فاضحى لارباب الحوائج كعبةً	وكهفًا لمن يأوي اليهِ وموردا
لعمرك هذا المجدُ والحسب الذي	سما فوق اركان المجرَّة مُصعدا
ستغدو لنا للعزّ دارًا وللورى	بحضرتهِ باب المراد ومقصدا
وبقى لسان الحال فيهِ مؤرّخًا	لك الحمد ياذا الجود لا زال سرمدا (١٢٦٢)

وقال سنة ١٢٥٦ مؤرخًا وفاة السيد نجل الكيلاني:

في جنّة الفردوس حلَّ كانهُ	بدرٌ ولكن نوره لا يُحجَبُ
قد صاد كل المكرمات وكيف لا	يصطادها وابوهُ باز اشهبُ
بوفاتهِ التاريخ انبا قائلًا	هذا النجيب وليس منهُ أنجبُ (١٢٥٦)

وقد اشتهر في هذا الطور الثاني غير الذين ذكرناهم من أدباء المسلمين لا سيما في العراق وحلب الّا ان اخبارهم قليلة متضعضعة ولعل بعض القرّاء يرشدونا اليها فيُحيوا ذكر اولئك الافاضل الذين درست آثارهم مع قرب عهدهم منّا

مشاهير النصارى في هذا الطور

امّا أُدباء النصارى الذين عُرفوا في تلك المدّة بخدمة الاداب العربيّة فها نحن نذكر من اتّصلت به معرفتنا القاصرة مع الرجاء بان يزيدنا اهل الفضل فيهم علماً ويسدّوا ما يجدون من الخلل

استحقّ الذكر بآدابهِ وشعرهِ في الطور الذي نحن في صددهِ نصرالله الطرابلسي وهو ابن فتح الله بن بشارة الطرابلسي ولد في حلب سنة ١٧٧٠ وكان من اسرة كريمة من طائفة الروم الكاثوليك . ولما انتقل ابوه الى طرابلس عُرف بالطرابلسي وكان عريقاً بالدين تحمّل في سبيل ايمانهِ محناً عديدة فنشأ ابنـهُ على مثالهِ تقياً ورعاً وكان مع ذلك متوقد الذهن محبّاً للعلوم ولدرس اللغات فتعلم منها التركية والفرنسويّة وكان مبرزاً في الآداب العربيّة مطّلعاً على فنونها يُحسن فيهـا الكتابة وينظم الشعر الحسن . وقد ابقى من نظمهِ مآثر عديدة اكثرهـا متفرق لو جُمعت حصل منها ديوان كامل . وسكن نصرالله الشهباء زمناً طويلاً ومدح وجوه اهلها من مسلمين ونصارى لا سيما نقيبها محمّد الجابري وقد أثبت المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٤٠٠) قصيدتهُ فيهِ ومدح كذلك الشيخ هاشم افندي الكلاسي فقال يخاطبهُ :

لمّا سمعتُ مسلسلًا عن سادةٍ ان الفصاحة كلها في هاشمِ
يمّمتُ ناديهُ وانقيت العصا ورجوتُ يقبلني ولو كالخادمِ
ان جاد لي بالارتضا فبفضلهِ او لم يجُدْ فلسوءِ حظ الناظمِ

فاجابهُ الشيخ جواباً لطيفاً فكتب اليهِ :

نسيمُ لطفك صانني بألوكةٍ صيبَ المحبّ الى محبٍّ قادمِ
فبمثله اهلًا وسهلًا مرحباً بعـامرٍ ومنادمٍ لا خادمِ

وكذلك كان الطرابلسي يتردّد على عبدالله الدلّال (١ ويجتمع عندهُ بادباء زمانهِ

١) اطلب السحر الحلال في شعر الدلّال للاديب قسطاكي افندي الحمصي (ف٢ — ٣)

وقد قال في احدهم فتح الله المرّاش قصيدةً يشكر لهُ جميل اياديه ويهنّئهُ بعقد زواجه سنة ١٨٢١ هذا مطلعها:

يا للهوى ما للعَذُول ومالي انا قد رضيتُ بكافةِ الاحوالِ

ومنها في المدح:

النَّدبُ عبد الله فخر اوانـهِ نسل الاماجد من بني الدلّالِ
فهو الذي يشري الثناء بمالـهِ ويزيّن الاقـوال بالافعـال
وهو الذي لم يخلُ قطُّ زمانـهُ من غوث ملهوف وبذلِ نوالِ

وختمها بهذا التاريخ:

واسلم بتاريخي ودمتَ بجنـهِ متمتعـاً باللطف والاقبـالِ

وممَّن مدحهم في حلب القنصلُ الفرنسوي يوسف لويس روسّو وكان محبًّا للآداب الشرقية (اطلب المشرق ٣: ٣٩٨ و٤٠٠). وبايعازه نظم الطرابلسي تهنئة لنابوليون الاول بمولد نجلهِ الذي دعاهُ ملك رومية سنة ١٨١١ فقال قصيدتهُ التي اولها (المشرق ٣: ٣٩٩)

وردَ البشيرُ فسرَّتِ الاقطارُ وترنَّمت في دوحها الاطيارُ

ومن حسن نظمهِ ابياتهُ في شهداء الكثلكة في حلب سنة ١٨١٨ (المشرق ٣: ٤٠٢ و١٠: ٦٦٤) فقال:

دعِ العين مني تذرف الدمع عَنْدما فحقٌّ لهذا الخطب ان تَسكُبَ الدما

وفيها ابيات صادرة عن قلب طافح حبًّا متفطر حزنًا. وفي السنة ١٨٢٨ تحامل على الطرابلسي اعداؤهُ فاحبَّ الخروج من وطنهِ ورحل الى مصر فلقي الحظوى عند بني البحري من اعيان طائفتهِ وكانوا متقدّمين في الدواوين فخدمهم وتقرَّب بواسطتهم في المناصب وقد مرّت لنا اقوالهُ فيهم (المشرق ٣: ٤٠٣ – ٤٠٥) وتوصل بهم الى محمّد علي باشا خديوى مصر فمدحهُ ونال من احسانهِ. وكانت وفاة الطرابلسي نحو السنة ١٨٤٠ وشعرهُ منسجم بليغ المعاني كثير التفنن اوردنا منهُ ما اوقفنا عليهِ بعض ادباء الشهباء في اغراض شتى (المشرق ٣: ٤٠٦ – ٤٠٨) وممَّا وجدنا لهُ بعد ذلك مراسلات شعر ونثر دارت بينه وبين شاعر عصرهِ بطرس كرامة فقال هذا في مدحه:

نشأت بنصر الله روحُ صبابةٍ ... وأبى الفؤادُ لغيرها ان يذكرا
فرعٌ لفتح الله اينع مخصباً ... بحديقة الآداب شبَّ واثمرا
فاليكَ يُعزى الفضل يا من لاح لي ... منهُ الودادُ ولن يراني مبصرا
قرباً لدار كنتَ فيها وحبَّذا م الشهباء نصر الله فيها قد سرى

فاجابهُ نصر الله الطرابلسيّ من قصيدة ذكر فيها طرابلس بلدهُ وكان بطرس كرامة حينئذٍ ساكناً فيها:

فسقى طرابُلُس السحابُ ولبُّهُ ... سحًّا وهتَّاناً يُرى متفجِّرا
بلدٌ كأنَّ الدهرَ عاندني بها ... فاستاقَ اهلي قبل أن انأ الثرى
لو فاخرت كلَّ البلاد بانَّ فيها بطرساً ... لكفى بذلك مفخرا
الاوحد الندب الفريد الامجد السَّنَدُس ... المجيد الالمعي الانورا

الى ان ختمها بقولهِ:

واسلم ودم بمهابةٍ وكرامةٍ ... يا موردًا لم ارضَ عنهُ مصدرا
ما سارت الركبان تقطع فدفدًا ... من عاشق ولهانَ تحدي الاسطرا

ولهُ ايضاً من قصيدة اخرى في مدحهِ وذكر بعض رسائلهِ:

شرَّفتنا بكتابٍ منك قد بزغتْ ... انوارهُ فهدينا واقتبسناها
رسالة أرسلت للقلب تحفظهُ ... فما لهُ ضاع مني عند مسراها
فيا لها دررًا من يمّكم قذفت ... سفن العلوم فباسم الله مجراها
وصرتُ ألثمها شوقاً وانشدها ... توقاً لمن بيديع النظم وشَّاها
ان أسعد اللهُ عيني ساعةً ورأت ... محيّاكمُ وجلت بالنور مرآها
غفرت للدهر ما ابداهُ من نكدٍ ... ونلت من واردات العمر اهناها

وكتب لهُ ايضاً:

لقد حكم الزمان علي حتى ... اراني في هواك كما تراني
وان بعُدتْ ديارك من دياري ... فشخصك ليس يبرح عن عياني
لقد امكنتْ حبك من فؤادي ... مكاناً ليس يعرفهُ جناني
كانك قد ختمت على ضميري ... فخبرك لا يمرُّ على لساني

ونلحق هنا بذكر نصر الله الطرابلسيّ ترجمة صديقهِ بطرس كرامة الذي لعب في ترقي الآداب العربيَّة دورًا مهمًّا قبل اواسط القرن التاسع عشر. وهو بطرس بن ابراهيم كرامة الحمصيّ من اعيان حمص وكان اهلهُ من الروم الملكيين يدينون بالدين الكاثوليكي وهم متحمسون فيهِ. وكان عمُّهُ ارميا كرامة من الرهبان الشويريين ثم

انتقل الى الرهبنة المخلصية. وفي سنة ١٧٦٣ سُقِف على قلايـة دمشق فعُرف بمطران دمشق وقاسى محناً عديدة من قبل المنفصلين الى ان توفي سنة ١٧٩٥ في دير المخلص. وكان عالماً غيوراً على ايمانه ولهُ مصنّفات دينيّة. اما بطرس كرامة ابن اخيهِ فولد في حمص سنة ١٧٧٤ وفيها نشأ وتأدب ولهُ في مديح اعيانها اقوال حسنة كقولـهِ في الشيخ عبد الرحمان الكزبري:

يا حبّذا حمصُ التي ضاءت باعظم نيّرِ
قد اشرق البدرُ بها وبشمس فضل الكزبري

وقال مرتجلًا في الشيخ امين الجندي الذي مرَّ لنا ذكرهُ:

لله نعمَ مهذبٍ باهت بهِ حمص ونور الفضل عنهُ يبينُ
لا غرو اذ فاق البديعَ انهُ شهمٌ على درر البديع امينُ

ثم قويت شوكة اعداء الملكيين فألحقوا بالكاثوليك ضروب الاذى فاضطرَّ بطرس ان يهجر حمص مع والدهِ متوجهَين الى عكار. وقصد بطرس علي باشا الاسعد حاكم تلك البلاد وامتدحهُ بالقصائد الحسنة فاجـازهُ ورغب فيهِ لبراعتهِ ودرايتهِ وحسن ادبهِ وخطهِ فاستخدمهُ في ديوانهِ ورفع منزلتهُ ورتّب لهُ ما يقوم بكفايتهِ فاقام في خدمتهِ نحو خمس سنوات ثم ذهب الى لبنان واستوطن الجبل. واتصل بطرس بنقولا الترك شاعر الامير بشير فقرّبهُ من مولاه سنة ١٨١٣ وحظي بطرس عند الامير الشهابي لِما رآهُ فيهِ من العلم وجودة العقل وفصاحة اللسان مع معرفتهِ للغة التركية فعهد اليهِ بتهذيب ولدهِ الامير امين واتخذهُ كاتباً للامور الاجنبيّة لجودة انشائـهِ. ثمَّ جعلهُ الامير بشير معتمداً من قبلهِ في التوجّه الى عكّا فقام باوامر سيدهِ احسن قيام وحصّل عندهُ مالًا كثيراً وجاهاً وافراً وكان الامير يحبهُ ويثق بهِ في جميع اعمالهِ ويعتمد عليهِ في مهمات اشغالهِ ولا ينهي امراً الّا برأيهِ. ثم سلّمهُ الامير تنظيم خزينة الحكومة فوضع لها قوانـين استحسنها الشهابيّ وامر باجرائها ثم رفع منزلتهُ وعملـهُ كتخداه فصارت امور لبنان كلّها في يدهِ يدبّرها احسن تدبير. فوقعت هيبتهُ في القلوب وعظمت حرمتهُ وانتشرت شهرتهُ وعلت كلمتهُ وابتنى داراً كبيرةً في دير القمر واقتنى املاكاً واسعة وكان قد سافر بمعية الامير بشير الى الديار المصرية واجتمع بفضلائها وعلمائها ولهُ معهم مفاوضات ومباحثات يطول شرحها. ثم رجع الى بيت الدين وبقي

في خدمة الامير بشير الى ان خرج الامير بشير من بلاد سورية سنة ١٨٤٠ فسافر معهُ الى مالطة ثم الى الاستانة العليَّة ونال من الالتفات وعلوّ المقام لدى رجال الدولة ما لم يزل مشهورًا . ثم عُين ترجمانًا للمابين الهمايوني فاظهر من البراعة ما اكسبهُ ثقة الجميع . وبقي في تتميم اعباء وظيفتهِ الى سنة وفاته في الاستانة العليَّة (١٨٥١) ولهُ مع اكابر رجالها مساجلات لطيفة وكان بليغ الكلام . وقد ارَّخ وفاتهُ الشيخ ناصيف اليازجي فقال :

مضى من كان اذكى من اياس ... بحكمتهِ واشهر من زُهَيرِ
فقل يا ابن الكرامة قرَّ عينًا ... لبطرس ارَّخوهُ ختام خيرِ

ولبطرس كرامة مكاتبات ورسائل غير مطبوعة . ولهُ ديوان شعر كبير طبعهُ الاديب سليم بك ناصيف سنة ١٨٩٨ في المطبعة الادبية وقد وجدنا لهذا الشاعر آثارًا اخرى في بيت حفيدهِ الفاضل . منها مساجلاته مع ادباء الاستانة ومنظوماتهُ في العاصمة وبعضها لم يُطبع في ديوانهِ . وشعر بطرس كرامة اضبط واطبع من شعر آل عصرهِ تراهُ يتصرَّف في المعاني ويخرجها على ابدع طريقة فمن قولهِ في الوصف ذكرهُ لباقة زهر اهداهُ ايَّاها الامير بشير :

وباقةِ زهر من مليك مُنحتها ... معطَّرة الارواح مثل ثنائهِ
فابيضُها يحكي جميع خصالهِ ... واصفرها يحكي نضارَ عطائهِ
وازرقها عين تشاهد فضلهُ ... واحمرها يحكي دماء عدائهِ

ولهُ تخميس وتشطير على هذه الابيات . وممَّا لم نجدهُ في ديوانهِ قصيدة قالها مستغفرًا عمَّا فرط منهُ ومناقشًا اهل المادة في آرائهم الفاسدة وسمَّاها « درَّة القريض وشفاء المريض » اوَّلها :

نأى الوجد عن قلبي وأعيت بلابلُهْ ... وبانت أُبانات الهوى وبلابلُهْ

وهي طويلة نختار منها احسن ابياتها :

ألا أندب زمانًا قد صرفتَ بكوره ... خلالًا وقد مرَّت سفاهًا اصائلُهْ
فكم خضت بحر المعصيات مُفاخرًا ... وقصَّرتَ رجلًا عن ثواب تقابلُهْ
فيا من وعدت التائبين برحمةٍ ... وعفوٍ وإن ذنبٌ تطاول طائلُهْ
ألا اغفر لعبدٍ أثخنتهُ مآثمٌ ... ومن جملة الاوزار قد كلَّ كاهلُهْ
فان كان ذنبي قد تعاظم جرمهُ ... فعفوك بحرٌ ليس يُدرَكُ ساحلُهْ

ومنها في الردّ على اهل الكفر:

فيا ويح قوم قد عصوك واركنوا الى الكفر فانصبّت عليهم غوائلهْ
فان اثبتوا فعل الطباع ببعضها فبدأُ هذا الفعل من هو فاعلهْ
ويلزمُ من هذا دوامُ تسلسلٍ وهذا محال لا تصحُّ مسائلهْ
فمن سيَّر الاقمار في درجاتها على دورانٍ لا تحلُّ منازلهْ
فان كان جذباً مثلما قدَّروا فمن ترى اوجد الجذب الذي هو كافلهْ
فيا ملحدًا امسى على الله منكرًا فانَّ وجود الله صحَّت دلائلهْ
فمن ابدع الكون البديعَ نظامهُ ومن ذا على ترتيبه الدهر شاملهْ
فان قلتَ انَّ الكائنات تمدُّها فقد لزم الدورُ الذي شاع باطلهْ
فويلك مَن انشا العناصر اوَّلاً وصيَّرها في مركزٍ لا يزايلهْ
وان قلت اجزاء قديمٌ وجودها تحرَّكها بالطبع كانت تعاملهْ
فوافقَ وقتاً انها قد تألفت على هيأة منها نشا الكون كاملهْ
فما هذه الاجزاء هل بارادة تحركها ام جاء بالقسر عاملهْ
فان كان قسرًا فهي تحتاج موجدًا يقيم بها فعلًا بريّاً تفاعلهْ
وان كان عن قصدٍ اتى فهي ربكم تقاسمهُ عالي الوجود وسافلهْ
فما قلتموه باطلٌ وكلامكم محالٌ وموزونُ النتيجة حاصلهْ
فيا واحدًا يا قادرًا يا مهيمنًا تنزَّه عن ضدٍّ وندٍّ يماثلهْ
فهبني عفواً من لدنك ومنَّة وحسنَ ختام ارتجيهِ وآملهْ

ولهُ تاريخ لوفاة الامير بشير حُفر على ضريحهِ في كنيسة الارمن الكاثوليك اثبتناه في المشرق (٧ [١٩٠٤]: ١٧٦٣). ومما روينا ايضاً لبطرس كرامة في مجلّتنا (٢ [١٨٩٩]: ١١١٦ — ١١١٧) مناظرة فكاهية بين نارجيلة وماسورة

ومن مديحهِ الذي لم يُذكر في الديوان قولهُ يثني على البطريرك الجليل مكسيموس مظلوم:

قُمْ للهناء فنسمةُ السَّحَرِ جاءت بريّاً عاطر الزَّهَرِ
واغنم من العيش الهنيّ طرباً عين السرور لمشرق الاثرِ
وارشف كؤوس الصفو من زمنٍ راقت مشاربهُ من الكدَرِ
ودعِ النسيبَ وكن على غزلٍ بمديح بدر السادة الغررِ
مكسيموس الحبر المقدس من اضحى طَهُور القول والفكرِ
البطريرك المرتقي شرفاً بفضائلٍ يشرقنَ كالقمرِ

ومنها:

باتت على أمنٍ رعيتهُ ولطالما باتت على حذرِ
هو غوث ذي فقر وذي نعمٍ بذلاً ورشداً غير منحصرِ
بشرى لنا آلَ الكنيسة قد تلنا به مجداً على وزرِ
يا بدرَ علمٍ ضاء مشتهرًا شرقاً وغرباً ايَّ مشتهرِ
اوضحت من نهج الهدى غررًا للناس كانت قبل في غررِ
ورفعت شعباً كان منخفضاً ما بين ناب الليث والظفرِ
فاسلَمْ لنا مولًى وخير ابٍ يرعى البنين بصادقِ النظرِ

وممّا جاء له في التهاني قوله في ولادة الامير عبدالله الشهابي حفيد الامير بشير سنة ١٨٣٥ (لم تذكر في ديوانه):

يا سيّد العدل والاحسان زد شرفاً قد زادك الله انعاماً وتأييدا
لك الهنا بحفيد كان مولدهُ للسعد عزًّا وللعلياء توليدا
فلا يزال هو المحمود سؤددهُ مدى الزمان سعيد الدهر مسعودا
ولا تزال لك الأيّام ضاحكةً والعيش رغدًا وطيب العمر ممدودا

وقال في فضائل الصيد (وليست هي في ديوانه):

للصيد فضلٌ في ثمانِ فوائدٍ من بعدها عشرٌ تشيد اساسَهُ
سلوان همٍّ ثم تركُ بطالة وفصاحة التعبير ثمّ سياسَهْ
ونزاهة ولذاذةٌ ونشاطةٌ ويقاظةٌ ونباهةٌ وحماسَه
ورياضة الاجسام ثمّ طلاقة م الابصار ثمّ حلاوةٌ وفراسَه
وصيانةٌ ثمّ اكتساب معيشةٍ والعلم بالطرقات ثمّ رئاسَه

وممّا لم نجدهُ ايضاً في ديوانهِ قولهُ في صقرٍ كان قد فُقد ثم رجع:

تلالا البِشْرُ وانجلت الغياهبْ وحلَّ الانس في من كان غائبْ
وردَّ الله ضائعنا علينا وأولانا بذا نِعمَ المواهبْ
وجاء الصَّقرُ المفقود منّا يرفرف بالغنائم والمكاسبْ
فكم طبنا بعودته قلوباً وبتنا في الحديث له نعاتبْ
وانشدناهُ ما لكَ غبتَ عنّا لعلّك كنت انت منّا هاربْ
فردَّ مجاوباً ردًّا جميلا معاذ الله لي من ذي الشوائبْ
وحاشا أن اخون العهد يوماً ولي مولًى جليل القدر صاحبْ
ولكن قد شعرتُ بنعمِ صقرٍ اعزّ الآل منّي والاقاربْ
أتى ضيفاً جديدًا في حمانا نزيلاً والنزيل قِراهُ واجبْ
فسرتُ لملتقاهُ وجئتُ معهُ امينًا مطمئن القلب طائبْ

لكنّي قد قضيتُ بذا هموماً وكم قاسيتُ فيهِ من متاعب
وكم شاهدتُ اهوالاً ثقالاً واهوالاً رأيتُ بها العجائبْ
وكم كابدتُ في سفري عناء وكم فيه دهتني من مصائبْ
وكم لي وقفةٌ مع كلّ حرّ وكم لاقيت شاهيناً محاربْ
وكم صادفت فيهِ من عقابٍ شديد البأس قناصٍ معاقبْ
وكم من كاسرٍ من كل طيرٍ تعمّدني وجاء عليَّ واثب
هناكَ أبنت بطشي واقتداري وابديتُ العجائب والغرائب
وجرَّدتُ الاظافرَ من اكفٍّ مظفَّرةٍ وانشبتُ المخالب
وبتُّ بكلّ ذي جنحين اسطو واقهر كلَّ خطّافٍ مضاربْ
فكم شتَّتُّ منهم في الفيافي وكم بدَّدتُ منهم في السباسب
وكم غادرتهم في الجوّ فوضى وكم القيتُ منهم في الشعائب
ولم انفكّ اسقيهم كؤوساً اجرّعهم بها مرَّ المشارب
ولم اترك لهم الّا فراخاً يتامى في العشوش غدت نوادب
فمثلي من يخوض وغى المنايا ويغزو هكذا ويعودُ غالبْ
انا المجلوبُ من كرمٍ ولكن بعون الله للاحرار جالبْ
فهنّوا سيدي بي في مقال يؤرّخ جاء بعد العزّ كاسب

وقال لمّا دخل الاستانة العليّة مع الامير بشير يمدح دار السعادة:

مذ جئتُ إسلَمْبولَ شِمتُ محاسناً دعت المحاسنَ كلّهنّ الى الورا
فلوكها شرفُ الملوك وربعها خير الربوع واهلها نعم الورى

ولولا خوف الاطالة لروينا غير هـذا من قصائده التي لم تُطبع في ديوانـهِ. فاكتفينا بما سبق. ويحسنُ بنا القول في ختام كلامنا عن بطرس كرامـة انَّ ادباء عصرهِ عرفوا فضلهُ واقرّوا بهِ الّا البعض منهم. ولما قال قصيدتهُ الخاليّة الشهيرة التي التزم ان تكون قافيتها في جميع ابياتها لفظة «الخال» في معانيها المختلفة واوّلها:

أمن خدّها الورديّ أفتنكَ الخالُ فسحّ من الاجفان مدمعك الخالُ

أُعجب بها كثيرون وأثنوا على قائلها. وعارضها الشيخ عبد الباقي العمري الموصلي بقصيدة كتبها في بغداد يمدح فيها داود باشا هذا مطلعها:

الى الروم اصبو كلّما اومض الخالُ فاسكبُ دمعاً دون تسكابهِ الخالُ

وغيرهم خمّسوها كالشيخ ابرهيم يحيي العاملي والشيخ موسى بن شريف الشهدي

وتخميسها في ديوان كرامة (ص ٣٥١ – ٣٦٠) . لكنَّ الشيخ صالح التميميّ لم يستحسنها وكتب في تزييفها قصيدتهُ التي اولها:

عهدناك تعفو عن مسيءٍ تعذّرا ألا فاعفُنا عن ردّ شعر تنصّرا

فاستاء من ذلك الادباء وكتب الشيخ رشيد الدحداح في قمطرة الطوامير انتقاداً مطولاً على صاحبها. واجاب عليها بطرس كرامة بقصيدةٍ من البحر والرويّ اوّلها:

لكل امرئٍ شانٌ تبارك من برى وخصَّ بما قد شاء كلًّا من الورى

وقد وقفنا على قصيدة للسيد عبد الجليل البصري حكم فيها بين الشاعرين فقال قصيدتهُ التي افتتحها بقوله:

حكمتُ وحكمي الحقُّ ناءٍ عن المرا بأنَّ التميميَّ الاديبَ تعذّرا
بذمّ قوافٍ في تمامِ جناسها وذلك نوعٌ في البديع تقرّرا

ومنها في مدح بعض شعراء العرب:

وقد قام من اهل الكتابين زمرةٌ جنوا من رياض الشعر ما كان مزهرا
فمن كابن عبّادٍ يجاري مهلهلًا وكان مسيحيّاً تقدّم يشكرا
وكالاخطل المعروف شاعر تغلبٍ يسوق بهِ القسّيس في الدير كالفرا(١

ومنها في مدح بطرس كرامة:

كما شاع حُرُّ الشعر في بيت بطرسٍ وفي نجلهِ بين المداين والقرى
أصبحُ رقى اوج البلاغة يافعاً فاشارهُ حلّى جا ربع قيصرا
لافكارهِ غرُّ النوافي قريبةٌ وعن غيرهِ بعد الثريّا من الثرى
اتى منهُ نظمٌ هدَّ حجة صالحٍ وان كان في المنظوم قدماً تصدّرا
وقد كان لي من صالحٍ خيرُ صحبةٍ وعند اتباع الحقّ ما زلت اجدرا
لكلٍّ تراني قد قضيت بحقهِ واسألُ بارينا الهدى والتبصُّرا

وقد مدح صاحبَ الترجمة قومٌ من ادباء زمانهِ كنصرالله الطرابلسيّ الذي سبق شيء من قولهِ. وكنقولا الترك وفي ديوانهِ عدَّة قصائد يطرئ فيها محامد بطرس كرامة فيجيبهُ هذا باقوال مستطرفة تجدها في مجموع نظمه (ص ١٠٩ – ١٢٨) وممن مدحهُ ايضاً عبدُ الحميد البغداديّ الشهير بابن الصبّاغ فكتب اليهِ رسالة اوّلها:

١) راجع مجاني الادب (٦: ٢٩٥) وهناك اشارة الى هذه القصّة

تبسَّم الزهر عن انفاسكم فسرى من طيب ذكركمُ نشرٌ فاحيانا
فمن هناك عشقناكم ولم نرَكم والاذن تعشق قبل العين احيانا

فأجابهُ بطرس كرامة بكتابٍ افتتحهُ بقوله:

عشقتكمْ من قبل لقياكُمُ وكلُّ معشوق بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنها من نورها تُعرفُ

وكذلك مدحهُ رزق ألله حسُّون الحلبي وسنذكر قولهُ في ترجمتهِ. واشهر منهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ فانَّ ديوانهُ الذي طُبع لاوَّل مرَّة في بيروت مصدَّر بقصيدة في مدح كرامة يقول فيها:

رجلٌ وماذا وصفهُ وكفى بهِ رجلٌ لهُ المفهومُ والمنطوقُ
حسنُ المعاني والبيان كلامهُ جزلٌ ومعناهُ الرقيقُ دقيقُ

ومنها:

يا بطرسُ الشهمُ الكريمُ مكانهُ وبنانهُ ولسانهُ المنطيقُ
انت الكرامةُ وابنها وابٌ لها نسبٌ كريمٌ في الكرامِ عريقُ

ولهُ ايضاً يعزيهِ بولديهِ وهو رثاء بليغ اوَّلهُ:

أجمَلَ الله في فؤادك صبرا وجزى منهُ واعظمَ أجرا

ومنها:

لو يُفيد البكاء والنوحُ شيئاً لأقامت خنساء قبلكَ صخْرا
يطمع المرء في الحياة طويلًا وهو في الموت اوعن الموت فترا
وحياة الدنيا تسمَّى حياةً مثلما تُحسَبُ المجرَّةُ نَهرا
هكذا الناسُ عاثرٌ إثرَ كابٍ كلُّ عينٍ بدمعة البين شكرى
يا طريق البقا اذا كنت خيراً فلك الفضلُ كلَّما زدت قصرا
وحياة الدنيا طريق الى الاخرى فخذ زادها الذي هو أحرى

وممن اشتهروا في هذا الطور الثاني اديب عاجلتهُ المنيَة فقصفت غصن حياته النضير وهو احد نصارى صيداء جرجس بن يوسف بن الياس ابيلا الذي روينا شيئاً من شعره في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٢٩٣ — ٢٦٥) وكان هذا الشابّ مكفوفاً وهو شديد الذكاء والنباهة يقول الشعر عن سليقةٍ وكانت وفاتهُ سنة ١٨٤٩ وهو في الربيع السابع عشر من عمره فأرخهُ بطرس كرامة بقولهِ:

بُنيٌّ لآبيلا بذا اللحد قد ثوى بصيرٌ ذكيٌّ شاعرٌ متفرّسُ

ولمّا قضى نودي تنعّمْ مؤرخاً وَنَلْ فرحاً في جنّة الخلد جرجسُ

وكان جرجس ابيلا مع صغر سنهِ يكاتب ادباء عصرهِ فكاتب ابراهيم بك ابن بطرس كرامه فقال فيهِ ولعلَّ هذه الابيات لاخيهِ رفول:

لقد احببتَ فضل ابيك حتّى بفضلك فقتَ والدك الحكيما
ابوك لقد بنى لك بيت مجدٍ وزدتَ بمجدك المجد القديما

وكاتبَ الشيخ ناصيف اليازجي فمدحهُ بقصيدةٍ لم نعرف غير مطلعها:

بحور الهوى قد اغرقت كلَّ سابحٍ وقصَّر في ميدانهِ كلُّ راجحِ

فكان جواب الشيخ بقصيدةٍ قال فيها مثنياً على الشاعر الحدث:

هويتُ الذي اعطى العلوم فؤادهُ فاعطتْهُ منها سانحاً بعد بارحِ
تيمّنتُ باسم الخضر فيهِ وطالما ترى المرء لا يخلو اسمهُ من لوائحِ
وجدتُ بهِ بل منهُ متعة سامعٍ ويا حبّذا لو نلتُ رؤية لامحِ
به حسدت عيناي أذني وربّما تخصّص بالاقبال بعضُ الجوارحِ

ومن حسن اقوال جرجس ابيلا قصيدة مدح بها السيّد عبدالله الجابري منها:

دُعيتَ بعبدالله انك سيّد وبالجابريّ الالمعيّ لتجبرا
واصبحَ ذو فضلٍ بحبّك عاطرًا واضحى بك الشاني الظلومُ مكدَّرا
حويتَ التُقى والجدَّ والمجد والهدى عن الجدّ حتى طبتَ فرعاً وعنصرا

ولهُ من قصيدة مدح فيها الشيخ يوسف الاسير:

فيوسف يُدعى بالاسير لأنّهُ يسيرُ اليهِ العلم في غاية الأسْرِ
فهمٌ كريمٌ فاضلٌ متأدّبٌ قد استوجب المدح الجزيل مع الشكرِ
قد استوجبَ العزّ الرفيع مع الثنا لكثرة ما فيهِ من الشيم الغُرِّ

وكان لجرجس ابيلا اخٌ اكبر منهُ يُدعى رفّول وكان ايضاً مكفوفاً كشقيقهِ ويشبههُ في توقّد ذهنهِ وفصاحة لسانهِ لكنهُ عاش دهرًا بعدهُ وكان يقول مثلهُ الشعر وقد عارضهما اهل زمانهما بابي العلاء المعرّي فقيل انهما حكياهُ في ادبهِ كما حكياهُ بفقد بصرهِ. وتأدب على رفول بعض الادباء فاشتهروا بعدهُ بالكتابة منهم فقيد الادب نقولا بك توما المحامي الشهير المتوفى في مصر السنة ١٩٠٨. ومن شعر رفول ابيات نجت من ايدي الضياع اثبتناها في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٢٦١) منها قصيدة قالها في احد الادباء اوّلها:

يا نسيم الصبح خُذ عني السلامْ نحو قومٍ هيَّجوا فيَّ هيامْ

ومن اقوالهِ في الشوق الى بعض الاحباب:

أخبر الاحبابَ عني انني بعدَ بُعدي منهمُ ذقتُ الندمْ
طيفهم ان بعدوا عن مقلتي لم يفارقها دواماً وهي نمْ . .
فعسى احظى برؤياهم وبي رمقٌ كي اشتفي من ذا الالمْ
وعلى الله اتكالي فالذي يُخلصُ الآمالَ فيهِ لم يُضَمْ

وفي هذا العهد كان ايضاً الشماس حنا الماروني المعروف بالقزّي وزّي كان يقول الشعر الحسن بالمواضيع الدينيَّة لكن اكثرهُ قد فُقد. ومما سلم منهُ تخميسهُ لقصيدة الطيّب الذكر المطران جرمانوس فرحات في مريم العذراء. وقد عثرنا على نسختين من هذا التخميس احداهما عند الرهبان الموارنة البلديين قال في مطلعهِ:

كلّ النبيّين الذين تقدَّموا في مدح سيدةِ الانام تكلَّموا
فلذا يُناديها الفؤادُ المغرمُ لو كان للافلاك نطقٌ او فمُ
لترنَّموا بمديحكِ يا مريمُ

وفي هذا الزمان عينهِ كان في الاستانة شاعر آخر من طائفة السريان الكاثوليك اسمهُ فيليب باسيل بنّاء وكان اصلهُ من حلب واستوطن دار السلطنة وعُرف بادبهِ وحسن نظمهِ فمن ذلك عدَّة قصائد قالها ولم يبق منهـا الّا ثلث طُبعت في برسلو من حواضر المانية مع ترجمتها الى الالمانية سنة ١٨٤٤ الواحدة منها قالها في السلطان الغازي عبد المجيد. والثانية مدح فيها البرنس دي جوانفيـل وكان اظهر مروءة عظيمة في حريق بُليت بهِ بعض احيـاء استنبول. وقال الثالثة في مدح غليـوم الرابع ملك بروسيا. اما سنة وفاتهِ فمجهولة

وكذلك نجهل تاريخ شاعر آخر مدحهُ نيقولا الترك وهو نيقولا النحاس نكتفي بتدوين اسمهِ رجاء ان يستدلّ احد القراء على مآثره

وممَّن نختم بذكره هؤلاء الكتبة والشعراء لهمّتهِ وخدمتهِ للاداب الدينيَّة بطريرك الملَّة السريانيَّة اغناطيوس بطرس جروه اشتغل بتعريب عدَّة تآليف دينيَّة اخصها مختصر اللاهوت النظري والادبي لتوما دي شرم وكتاب الحياة الالهيَّة للاب نيرمبرغ اليسوعي ولدينا منهُ كتاب مواعظ وكتب ترجمة عمهِ البطريرك ميخائيل جروه اوّل بطاركة السريان الكاثوليك بعد انفصالهم النهائي عن اليعاقبة وكانت وفاته سنة ١٨٦١ في

١٢ ت ١ وعارضهُ في هذه التعريبات معاصرهُ ووطنيُّه السيد ابراهيم كوبلي مطران الارمن في حلب فعرَّب كتاب الحق القانوني وبعض التآليف الروحيَّة (المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٤٢٠) كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٨ شهيد محبّتهِ في خدمة رعيّتهِ

*

دعنا الان ننتقل الى ذكر شيء من الحركة العلميَّة التي استجدَّت في هذا الطور بين الاوربيين فحملتهم على طلب الآداب العربيَّة واحراز فوائدها. ومن اقوى البواعث التي ساعدت علماء اوربا على بلوغ هذه الغاية تشكيل جمعيات علميَّة اسيوية يعقد اصحابها جلسات قانونية وينشرون الابحاث المختلفة في كل فروع العلوم الشرقيَّة. وكانت الجمعية الاسيوية الفرنسوية تتقدَّم ما سواها في هذا السباق الشريف فبلغت في ذلك الطور الثاني مقاماً عالياً كما تشهد عليهِ منشوراتها المتعدّدة. وكذلك الجمعية الاسيوية الانكليزية تجاري شقيقتها في همتها وان كان نظرها منصرفاً بالخصوص الى الهند والشرق الاقصى. ومما استؤنف من هذه الجمعيات الجمعيَّة الاسيويَّة البنغاليَّة التي باشرت سنة ١٨٣٢ نشر مجلة كالمجلات الاسيوية الاوربية وهي لا تزال الى يومنا تواصل اعمالها بنشاط

وفي هذا الزمان نشأت في المانية نهضة محمودة لدرس العلوم الشرقيَّة ولاسيما العربية. فاجتمع قوم من اصحاب الجدّ والعمل اخصهم ايقلد (Ewald) وغابلنتس (v. d. Gabelentz) وكوسغرتن (Kosegarten) ورروديغر (Roediger) وجعلوا ينشرون مجلّة لمعرفة الشرق (Zeitsch f. d. Kunde d. Morgenlandes) تجد فيها مقالات عديدة في التاريخ والاداب العربية. وما لبثت جمعيَّة اخرى اوسع نطاقاً وارقى علماً ان ظهرت في المانية باسم الجمعيَّة الاسيويَّة الالمانية كان اول ظهورها سنة ١٨٤٥ ونشرت مجلتها (ZDMG) سنة ١٨٤٧ فخدمت مذ ذاك الحين الاداب الشرقية خدماً لا تُنسى ومجموع هذه النشرة يُعدُّ اليوم كخزانة كتب واسعة تحتوي طُرَفاً جليلة من سائر فنون الشرق ومعارفهِ. وقد احتفلت هذه الجمعيَّة سنة ١٩٠٧ بيوبيلها الخمسينيّ وناهيك بذلك شاهدًا على ثباتها وترقي اعمالها

اما الذين اشتهروا بين المستشرقين بتآليفهم العربية فليس منهم احد نال فخراً كالعلامة البارون دي ساسي (Baron S. de Sacy) فانَّ هذا الرجل العظيم فضلاً

عن علمهِ العجيب بلغات الشرق بعث في قلوب آل عصرهِ روح الغيرة والهمَّة فكان كمنار استضاء بهِ طلبة العلوم الشرقية في كل انحاء البلاد وكالقطب دارت حولهُ كل مساعيهم في استخراج كنوز آداب الشرق

ولد دي ساسي في باريس في ١١ ايلول سنة ١٧٥٨ وفيها توفي في ٢١ شباط سنة ١٨٣٨. ما كاد هذا يميط عنهُ التمائم حتى نبغ في المعارف ولاسيما في درس اللغات ولم يكتفِ بالالسنة الاوربيَّة بل طلب لغات الشرق فاخذ منها شيئاً من علماء زمانهِ منهم الراهب البندكتي الشهير دون برترو (Dom Berthereau) فتعلَّم اولاً العبرانيَّة ثمَّ السريانيَّة والكلدانيَّة والسامريَّة ثمَّ العربيَّة ثمَّ الفارسيَّة والتركية وكان يعرف اكثر هذه اللغات معرفة جيّدة كما يلوح من منشوراتهِ وتآليفهِ لكنهُ كان يُحكم آداب اللغتين العربيَّة والفارسيَّة حتى سبق في معرفتهما علماء زمانهِ شرقاً وغرباً. ولو عدَّدنا كل ما قام بهِ هذا الهمام من المشروعات في تعزيز العلوم الشرقية من تعليم وكتابة وانشاء مجلَّات وادارة دوائر علمية وتنظيم مكاتب لاتَّسع بنا الكلام كثيراً. وحسبنا ان نقول انهُ نشر نيفاً ومئتي تأليف في كل علوم الشرق ولغاتهِ وكثير من هذه المصنفات كبير الحجم واسع المادَّة فنذكر منها غراماطيقهُ العربي في مجلدين كبيرين ومنتخباتهِ العربية في ثلاثة مجلدات وطرائفهُ النحويَّة في مجلد كبير وتاريخه لعرب الجاهلية وتعريف ديانة الدروز في مجلدين واول طبعة لكتاب كليلة ودمنة ومقامات الحريري مع شروح مستوفية بالعربية في مجلدين ورحلة عبد اللطيف البغدادي الى مصر. فترى من هذه القائمة ما للبارون دي ساسي من الفضل العميم وكان مع علمهِ كثير الدين حريصاً على كل وصايا الكنيسة متبعاً لتعاليمها

ومات قبل دي ساسي رجلٌ آخر حظي بشهرة بمنشوراتهِ عن علوم العرب الفلكية وهو جان جاك عمانويل سيديليو (J.-J. E. Sédillot) ولد سنة ١٧٧٧ ودرس في مكتب اللغات الشرقية ثمَّ انقطع الى درس النجوم فنقل الى الافرنسية كتاب الآلات الفلكيَّة المسمَّى جامع المبادئ والغايات لابي الحسن عليّ المراكشي وتآليف شتَّى لابن يونس ولابي الوفاء وكتب عدَّة مقالات في تاريخ الشرق وعلومهِ الرياضية. كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٢ . وسيأتي ذكر ولدهِ في محلّه

وزاد عن سيديليو شهرة مستشرق افرنسي آخر كوسان دي پرسفال (J.-J. A.

Caussin de Perceval) كان مولده سنة ١٧٥٩ وتوفي سنة ١٨٣٥ . تولى نظارة المخطوطات الشرقيّة في باريس وعلّم اللغة العربية في مكتبها الملكي وألف كتباً عديدة في آداب العرب وتاريخهم منها المعلقات السبع وكتاب الزيج الكبير الحاكمي لابي الحسن علي ابن يونس الفلكي وكتاب الصور السماويّة للشيخ عبد الرحمن الصوفي ونقل الكتابين الى الافرنسيّة وطبع ايضاً مقامات الحريري وامثال لقمان وملحقاً على كتاب الف ليلة وليلة في مجلدين وتاريخ صقليّة في عهد الاسلام للنويري وخلّف ابناً اشتهر مثلهُ في معرفة احوال العرب سنذكرهُ

ومن تلامذة دي ساسي الذين توفاهم الله في هذا الزمن جوبار Pierre (Amédée Jaubert) كان درس اللغات الشرقيّة في باريس ورافق نابوليون الاوّل في رحلتهِ الى مصر بصفة ترجمان ثمّ تجوّل في انحاء ارمينية والعجم وكتب اخبار رحلتهِ وعلّم في عاصمة فرنسة اللغتين التركية والفارسية وصنّف فيهما كتباً وكان يُحسن العربية وهو الذي نقل جغرافية الشريف الادريسي (نزهة المشتاق) الى الافرنسية في مجلّدين طُبعا في باريس سنة ١٨٣٦ — ١٨٤٠ وترجم ايضاً كتاب تاريخ غانة . توفي سنة ١٨٤٧

وممّن تخرَّجوا ايضاً على العلّامة دي ساسي جان همبرت (J. Humbert) كان مولدهُ في جنيفة عاصمة سويسرة سنة ١٧٩٢ وفيها درس اللغات الشرقية بعد ان تلقَّنها في باريس . وكان عالماً باللغة العربيَّة ولهُ فيها بعض آثار مشكورة منها منتخبات شعريَّة مع ترجمتها الى الافرنسية وعدَّة كتب مدرسية لدرس العربية صنفها في اللاتينية والافرنسية ومنها مقالات انتقاديَّة ونظريَّة في علوم العرب ولغتهم . توفي همبرت سنة ١٨٥١

وازهر في هذا الزمان بعض المستشرقين الالمان منهم ارنست فردريك روزنمولر (E. F. M. Rosemüller) من اساتذة اللغات الشرقية البارعين مات سنة ١٨٣٥ وكان مولده سنة ١٧٦٨ . اخذ العلوم الدينية عن ابيهِ احد زعماء مذهب البروتستانت ثم درس في ليبسيك اللغات الشرقية ولمّا اتقنها صار احد اساتذتها ولهُ مطبوعات متعدّدة تدلّ على براعتهِ في معرفة اللغة العربية منها غراماطيق عربيّ في اللاتينية ومنها مقتطفات في ثلاثة اجزاء مع ترجمتها الى اللاتينية وكذلك نقل اليها معلّقة زهير وبعض مقامات

الحريري وطرفاً من امثال الميداني . لكنَّ معظم كتاباتهِ كانت في تفسير الاسفار المقدَّسة توفي في ليبسيك سنة ١٨٣٥

وفي سنة وفاة روزنمولر ١٨٣٥ توفي وطنيُّهُ الشهير كلابروث (H. G. de Klaproth) ولد في برلين من اسرة شريفة سنة ١٧٨٣ وكان ابوهُ احد علماء الطبيعة المعدودين وآثر ابنهُ درس اللغات الشرقية ورحل الى روسية لهذه الغاية وتجوَّل في اقطار اوربة ثمَّ عاد الى وطنهِ فقلَّدتهُ الحكومة تدريس العلوم الشرقية فقام بمهنتهِ احسن قيام . وهو ممَّن سعوا في مقابلة لغات آسيا وبيان ائتلافها فألَّف في ذلك كتاباً كبيرًا (Asia Polyglotta) ولهُ كتاب اخر في الاصول الساميَّة وقد صنَّف تآليف غيرها في معظم لغات الشرق وفي تاريخ أُممهِ وآدابها . وبرز خصوصاً في اللغات التترية والكرجية

واشتهر في زمانهِ العلم هابخت (C. M. Habicht) ولد في برسلو سنة ١٧٧٥ وتوفي سنة ١٨٣٩ جاء باريس في عهد دي ساسي ودرس عليهِ وعلى الاب رافائيل المصري اللغة العربية ثمَّ عهد اليهِ بتدريسها في بلدهِ وقد نشر مجموعاً من الرسائل العربية المكتوبة في مراكش ومصر والشام ونقلها الى اللاتينية ثمَّ طبع نخبةً من امثال الميداني وعلَّق عليها التعليقات الحسنة وهو اول من سعى بطبع كتاب الف ليلة وليلة فباشر بهِ سنة ١٨٢٥ وطبع منهُ ثمانية اجزاء قبل وفاته ثم انجز الباقي منهُ المعلّم فليشر . ولهابخت ترجمة المانية لهذا الكتاب مع عالمين آخرين من تلامذتهِ هاغن (v. d. Hagen) وشال (Schall) ولهُ ايضاً عدَّة مقالات في المجلَّات الشرقية

ومن افاضل المستشرقين الالمان الذين فقدهم العلم في هذا الطور جزنيوس (H. W. Gesenius) ولد سنة ١٧٨٦ ومات سنة ١٨٤٢ انقطع منذ صغره الى درس اللغات السامية فبرَّز فيها وصار في بلادهِ اماماً يُقتدى بمثلهِ ويؤْخذ عنهُ . قيل انَّ عدد طلبة دروسهِ اربى في مدينة هال على الالف . وقد ترك آثارًا جليلة في اكثر اللغات الشرقية كالسريانية والكلدانية والفينيقية والحميرية والسامرية لكنهُ كان في العبرانية حجَّةً ولهُ المعجم الكبير في ثلاثة مجلدات لا يزال العلماء يرجعون اليهِ وقد طُبع الطبعات العديدة . وكان يُحسن ايضاً العربيَّة كما يظهر من مقالتهِ في المعجمين السريانيين والعربيين لبرعلي وبرْبهلول ومن رسالتهِ في اللغة المالطية

واشتهر في هذا الزمان كاتب آخر ﻫ. بولس (H. Eb. G. Paulus) من مستشرقي الالمان درس اللغات الشرقية في كلية توبنغ ثمَّ في لندن وفي اكسفرد واشتهر في الدروس الكتابية وشرح الاسفار المقدسة مع كونهِ لم يعتقد بالوحي. ولهُ من الآثار كتاب مختصر باللاتينية في اصول العربية وسعى بطبع الترجمة العربية للكتب المقدَّسة التي ألَّفها سعدي الفيومي في القرن التاسع للميلاد وعلَّق عليها شروحاً. كان مولدهُ سنة ١٧٦١ ووفاتهُ سنة ١٨٥٠

وعُرف ايضاً في هذا الطور الالمانيُّ فراهن (C. M. Frhaen) ولد في روستك سنة ١٧٨٢ انتدبهُ قيصر روسيا للتعليم في كليَّة قازان وكانت وفاتهُ في بطرسبورج سنة ١٨٥١ كان من كبار المستشرقين الالمان واشتهر خصوصاً في معرفة النُّقود الشرقية القديمة ولهُ من التآليف نيف و٢٠٠ كتاب وقد نشر عدَّة مصنفات عربية ونقلها الى اللاتينيَّة اخصُّها رسالة ابن فضلان في روسيَة واهلها نقلها الى الالمانية واضاف اليها ما وجدهُ في كتب العرب عن قبائل روسيَة القديمة ومنها كتاب تحفة الدهر في عجائب البرّ والبحر لشمس الدين الدمشقي لم يتمَّ فانجزهُ بعد وفاتهِ العلَّامة مهرن (Mehren) ومنها مقالة ابن الوردي في مصر اخذها من كتابه خريدة العجائب. ولهُ ايضاً عدَّة مقالات في النقود العربية

اما الانكليز فعُرف منهم في هذا الزمان وليم مارسدن (W. Marsden) كان مولدهُ في دوبلين سنة ١٧٥٤ ثمَّ رحل الى سوماترة وبقي فيها مدَّة ووضع تاريخها وكتب في اللغة الماليزيَّة واشتهر بكتاباتهِ في النقود القديمة والنقود الاسلامية وكان لهُ مكتبة شرقية كثيرة المخطوطات العربية اهداها الى خزانة المتحف البريطاني. كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٦

ولم يبلغ احد في هولندة ما بلغهُ في هذه المدة الاستاذ هماكر (H. A. Hama-ker) ولد في امستردام سنة ١٧٨٩ وتخرَّج على المستشرق ثلمت (ص ٤٦) وتعلَّم بزمن قليل اللغات الساميَّة فضلاً عن سائر لغات اوربَّة وانتدبتهُ الحكومة الى التدريس في كلية ليدن فعلَّم هناك العربية والسريانية والكلدانية واحرز لهُ شهرةً قلما يبلغها العلماء. وابقى آثاراً عربية متعددة منها وصفُ المخطوطات العربية في مكتبة ليدن ونشر قسماً من تآليف بعض مشاهير العرب كالواقديّ والمقريزي ورسالة ابن زيدون

وتاريخ احمد ابن طولون . واشتهر كثير من تلامذتهِ

ويذكر البلجكيُّون بالفخر احد مشاهير علمائهم اوجين جاكه (Eugène Jacquet) الذي وقف حياتهُ على درس لغات الشرق وتواريخهِ ولد سنة ١٨١١ وتوفي سنة ١٨٣٨

الفصل الخامس

الآداب العربية من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٠

كانت حالة الاداب العربية في هذا الطور الثالث كحالة الحدَث الذي يدخل في شبابهِ ويشعر بقوتهِ فيحوّل افكارهُ الى عالم العلم ومنتدى الآداب وهو الى ذلك الحدّ مشغول البال بشواغل اترابهِ الأحداث لا يجد كبير نفع بامور العقل والابحاث العلميَّة والاتساع في آداب اللغة واساليب الكتابة

اما ما امتاز بهِ هذا الطور فانشاء الجرائد في الشرق . والظاهر انَّ اوَّل جريدة ظهرت في الممالك المحروسة انما كانت في ازمير انشأها المسيو بلاك (Al. Blacque) سنة ١٨٢٥ ودعاها بريد ازمير (Le Courrier de Smyrne) ثمَّ استدعاهُ جلالة السلطان محمود الثاني الى دار السعادة فانشأ فيها جريدة افرنسية دعاها البشير العثماني (Moniteur Ottoman,) سنة ١٨٣١ ثمَّ عقَّبها في السنة التالية بجريدة تركية تُدعى «تقويمي وقائع» لكنهُ مات بعد قليل سنة ١٨٣٦ . وانشأ السائح الانكليزي شرشل (Churchill) جريدة اخرى سنة ١٨٤٣ سمَّاها «جريدئي حوادث» . امَّا الصحافة العربية فنشأت اوَّلًا في مصر بطبع «الوقائع المصريَّة» التي صدرت سنة ١٨٢٨ على عهد محمَّد علي باشا فظهرت سنين عديدة . وكان ظهورها ثلاث مرَّات في الاسبوع . ثمَّ توفَّرت الجرائد في الممالك المحروسة حتى ان سالنامة سنة ١٢٦٨ (١٨٥١ — ١٨٥٢) المطبوعة في دار السلام عدَّت منها ١١ جريدة في استانة العلية و ٥ في ازمير و ٤ في مصر (*Cfr.* Journ. As., 1852, p. 248) اللغات في التركية

والفرنسويَّة والارمنيَّة واليونانيَّة والعبرانية والعربيـة (١) . وفي تشرين الاوَّل من السنة ١٨٥٤ انشأ رزق الله حسُّون الحلبي اوَّل جريدة عربيَّة في دار السعادة وسمَّاها «مرآة الاحوال» ولعلَّهُ باشر طبعها في لندن وخلفتها سنة ١٨٥٧ جريدة السلطنـة لمحرّرها اسكندر افندي شلهوب . امَّا سوريَّة فكانت اوَّل جرائدها «حديقـة الاخبار» انشأها فقيد الآداب المتوفى في ٢٦ ت ١ سنة ١٩٠٧ خليل الخوري ظهر اول اعدادها في غرَّة كانون الثاني من السنة ١٨٥٨ ولم تزل في الوجود حتى وفاة منشئها فانطفأ سراج حياتها معهُ . وفي سنة إنشاء حديقة الاخبـار ظهرت في مرسيلية جريدة «عطارد» كان يديرها المستشرق كرلتي (Carletti)

وأُنشئت في اثر تلك النشرات عدَّة جرائد اخصُّها «الرائد التونسي» وهي جريدة تونس الرسميَّة سنة ١٨٦٠ . وفي تموزمنها انشأ الشيخ احمد فارس الشدياق في الاستانة جريدة الجوائب فبقيت فيها الى السنة ١٨٨٤ . وفي ذلك الوقت ايضاً ظهرت في باريس جريدة البرجيس كان يحرّرها سليمان الحرائري التونسي . وعقبها في دمشق جريدة سوريَّة الرسميَّة ظهرت سنة ١٨٦٥ . ثمَّ وليها في مصر جريدة وادي النيل سنة ١٨٦٧

وفي تلك الاثناء شرع المرسلون الاميركيُّون في بيروت بتحرير جريدة دينيَّة دعوها «النشرة الشهريَّة» ثمَّ ابدلوها في غرَّة السنة ١٨٧٠ بالنشرة الاسبوعيَّـة . فكان ذلك داعياً لنشر جريدة كاثوليكية انشأها الآباء اليسوعيُّون في السنة نفسها ودعوها «المجمع الفاتيكاني» ثم عقبها «البشير» في ايلول من تلك السنة وكان اوَّلاً على قطع المجلاَّت ثم طُبع على قطع الجرائد ولم يزل في اتساع وتحسين حتى صار كما هو اليوم في جملة الصحائف الراقية يصدر ثلاث مرَّات في الاسبوع

ورأت السنة ١٨٧٠ انشاء جرائد ومجلات اخرى كالزهرة وكانت جريدة اخباريَّة

---

١) جاء في كتاب اوبيشيني (Ubicini : *Lettres sur la Turquie*) انَّ في الاستانة وحدها كانت تُنشر في السنة ١٨٥١ ١٢ جريدة ٤ افرنسية و٤ إيطالية و٢ في التركيَّة و٢ في اليونانية والارمنية والبلغارية . وذكر بلن (Belin) انَّ عدد جرائد الاستانة وحدها سنة ١٨٦٦ كان يبلغ ٢٦ عدداً منها سبع جرائد بالفرنسوية والالمانية والانكليزية والايطالية وفي سنة ١٨٧٦ كان عددها في دار السلطنة لا يقلّ عن ٤٧ جريدة ١٢ في التركيَّة و٩ في الارمنيَّة و٩ في اليونانية و٧ في الافرنسية و٢ في البلغارية و٢ في العبرانية و٢ في الانكليزية و١ في العربية

عني بنشرها الاديب يوسف الشلفون والنحلة للقس لويس صابونجي السرياني وكانت ادبيَّة وعلميَّة والنجاح وكانت اخباريَّة سياسيَّة انشأها القس المذكور مع يوسف الشلفون . ثم صارت ملكاً للمرحوم رزق الله خضرا بشراكة الطيب الذكر المطران يوسف الدبس . وفي تلك السنة ذاتها انشأ المعلم بطرس البستاني وابنهُ سليم مجلّة الجنان وجريدة الجنَّة فصار لهما رواج

ومما امتاز بهِ هذا الطور الثالث ايضاً الجمعيَّات العلميَّة في الشرق فعُقدت جمعية آسويَّة (انجمن دانش) في دار السلام نُشرت قوانينها واسماء اعضائها في المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG. VI, 278-285) وكذلك اخذ العلماء المصريّون يضمّون قواهم لنشر الاداب فبهمّتهم طُبعت في بولاق تآليف معتبرة كالاغاني لابي الفرج الاصفهانيّ وامثال الميدانيّ واحياء علوم الدين للغزاليّ والخطط للمقريزيّ

ولم تخلُ سوريَّة من جمعيَّات علميَّة نفعت الآداب بافكارها الراقية ومساعيها بترقية المعارف ومنشوراتها الحسنة . وكانت اولها جمعيَّة ادبيَّة سعى بعقدها بعض مشاهير لبنان في بيروت سنة ١٨٤٧ فلم تطل مدَّتها . ثمَّ الجمعيَّة الشرقيَّة التي أُنشئت سنة ١٨٥٠ في دير الاباء اليسوعيين في بيروت . روى جناب يوسف افندي اليان سركيس اخبارها في (المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٣٢—٣٨) انتظم فيها كثير من ادباء ذلك العهد كالدكتور سوكه والطبيب ابرهيم افندي ومارون نقَّاش وفرنسيس مسك وابرهيم مشاقه وطنُّوس الشدياق وحبيب اليازجي

ثمَّ خلفتها سنة ١٨٥٧ الجمعيَّة السوريَّة وضمَّت اليها عدداً من الذوات كحسين افندي بيهم والامير محمَّد امين والوجوه ابراهيم فخري بك وبولس دبَّاس والشيخ ناصيف اليازجي والادباء بطرس البستاني وسليم رمضان وسليم شحاده والدكتور سوكه وعبد الرحيم بدران وعالي سميث وموسى يوحنا فريج وحنين الخوري ويوسف الشلفون وحبيب الجلخ . ثمَّ اتسعت دائرة اعمالها ونالت من الدولة العليَّة الرخصة بنشر ابحاثها فنُشرت اولاً من حين الى آخر دون وقت محدَّد ثمَّ طبعت قوانينها سنة ١٨٦٨ وصدرت اعمالها في كل شهر بنظام فأرَّخها سليم افندي رمضان :

قلتُ للدهر والنجاحُ تبدَّى قمرًا في بلادنا السوريَّة
ايَّ يوم يتمُّ ذا قال ارّخ يوم فتح الجمعيَّة العلميَّة (١٢٨٤هـ)

وطُبعت هذه النشرة خمس سنوات ثمَّ عُدل عن طبعها. وقد نفعت تلك الجمعيَّة المعارف والآداب بهمَّة اعضائها الذين سنذكرهم في تواريخ وفاتهم. وكان مثلهم مؤثّرًا في غيرهم لاسيما ان اصحاب الامر وعمَّال الدول العليَّة كانوا يقدّرون قدرهم وينشطون هممهم وربما شرفوا جمعياتهم الادبية كاصحاب الدولة فؤاد باشا ويوسف كامل باشا ومصطفى فاضل باشا ومحمَّد رشدي باشا واصحاب السعادة قناصل الدول وغيرهم

اما المدارس فانها زادت في هذا الطور ترقياً لا سيما مدارس المرسلين الكاثوليك من ذكور واناث ومدارس الاميركان لا سيَّما كليتهم التي علّموا فيها اللغات والعلوم وكانت الدروس تلقى فيها اوّلًا بالعربيَّة وطبعوا عدَّة كتب مدرسيَّة في ضروب العلوم كالطبيعيات والرياضيات والهيئة والكيميا والجغرافيا ثمَّ عدلوا عنها الى اللغة الانكليزيَّة لتوفر اسبابها لديهم

وقد أُنشئت في هذا الطور مدارس جديدة اخصُّها المكتب العسكري الذي ترقَّى بهمَّة اصحابهِ ونال الشهرة في انحاء سورية. والمدرسة الوطنيَّة التي فتحها بطرس البستاني سنة ١٨٦٣ في بيروت فجارت في تعاليمها بقيَّة مدارس المدينة بمساعي منشئها وولدهِ سليم. وفي السنة ١٨٦٤ وضع الطيب الذكر غريغوريوس يوسف بطريرك الروم الكاثوليك اساسات المدرسة البطريركية فذاعت شهرتها واقبل اليها الطلبة من الشام ومصر وقبرس وتخرَّج فيها كثيرون من الادباء فنبغوا في المعارف والآداب العربيَّة. ولم يلبث السيّد البطريرك ان فتح ايضاً في عين تراز مدرسة اكليريكية لتهذيب طلبة الكهنوت. وفي السنة ١٨٦٥ انشأ الروم الارثذكس مدرسة الثلاثة الاقمار على طرز المدرسة الوطنيَّة. ومن المدارس المارونية المنشأة في ذلك الوقت مدرستان في عرمون انشأ الواحدة همام مراد سنة ١٨٦٥ وعُرفت بمدرسة مار نيقولا العربيَّة والاخرى مدرسة المحبة جدَّدها الخوري ميخائيل سباط سنة ١٨٦٧

اما المطابع فانها في مدَّة العشرين السنة اصدرت عددًا لا يحصى من المطبوعات في كل الفنون سواء كان في سورية او في مصر والهند. وقد ذكرنا تاريخ معظم هذه المطابع في المشرق في اعداد السنين ١٩٠٠-١٩٠٢. ففي سنة ١٨٥٢ اخذت مطبعتنا الكاثوليكية تطبع على الحروف بعد طبعها على الحجر. ومما استجدَّ من المطابع في

هذا الزمان في بيروت المطبعة السوريَّة التي إنشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ وقد وصفنا تاريخها وقائمة مطبوعاتها في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٩٩٨) وفي السنة التالية احدث الدكتور ابراهيم النجار مطبعة عُرفت بعد ذلك بالمطبعة الشرقية (المشرق ٣ : ١٠٣٢) . وبعدها بثلاث سنوات نال يوسف الشلفون الرخصة بفتح مطبعة دعاها المطبعة العمومية (المشرق ٣ : ٩٩٩) فنشر فيها عدَّة كتب ونشرات وجرائد . ثمَّ ظهرت المطبعة المخلصيَّة سنة ١٨٦٥ فخدمت الآداب العربيَّة نحو ثماني سنوات (المشرق ٣ : ١٠٣٢) وفي السنة نفسها كانت المطبعة السريانية التي نُقلت ادواتها بعد قليل الى الشرفة (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٨٩) وكذلك ظهرت وقتئذٍ المطبعة الوطنية لجرجس شاهين (المشرق ٤ : ٨٦) ثمَّ انشأ جناب الاديب الفاضل خليل افندي سركيس مطبعة المعارف سنة ١٨٦٧ شركةً مع المعلم بطرس البستاني الى سنة ١٨٧٤ حيث انشأ المطبعة الادبية وكان آخرها أنشئَ من المطابع في هذا الزمان سنة ١٨٦٩ المطبعة اللبنانية لحنا جرجس الغرزوزي (المشرق ٤ : ٨٦ – ٨٧) ومطبعة الجمعيَّة الارثذكسية لجرجس يزبك التي لم تطل مدَّتها ولم تتجاوز مطبوعاتها ثلاثة او اربعة كتب دينيَّة

وفي هذا الطور نفسهِ انتشر فنّ الطباعة العربية في لبنان وكان قبلها منحصراً في مطبعة مار يوحنَّا الصابغ في الشوير اما مطبعة قزحيا فكانت حروفها سريانيَّة . واوَّل مطابع لبنان في هذا العهد مطبعة بيت الدين كان الساعي بادارتها حنَّا بك اسعد ابي صعب باشر اولاً سنة ١٨٥٣ ببعض المطبوعات الحجريَّة ثمَّ طبع على الحروف سنة ١٨٦٢ . ثمَّ ظهرت مطبعة دير طاميش سنة ١٨٥٨ فوق وادي نهر الكلب (المشرق ٤ : ٤٧٣) فاشتغلت عشر سنوات . وانشأ المرحوم رومانوس يمين سنة ١٨٥٩ مطبعة اهدن فشاركهُ في العمل الخوري يوسف الدبس (المشرق ٤ : ٤٧٣)

ثم ندب المرحوم داود باشا يوسف الشلفون لانشاء مطبعة لمتصرفية لبنان فانشئت المطبعة اللبنانيَّة سنة ١٨٦٣ تولى تدبيرها ملحم النجَّار ثمَّ نقلها الى دير القمر سنة ١٨٦٩ . وفي المطبعة اللبنانية طبعت جريدة لبنان الرسمية كان يحرّرها حبيب افندي خالد (المشرق ٤ : ٤٧٣)

اما الجهات فظهرت فيها ايضاً مطابع اخرى فانشأ المرحوم حنَّا الدوماني سنة

١٨٥٥ في دمشق مطبعة انتقلت بعد ذلك بالشراء الى حنا الحدّاد ثمّ الى محمّد افندي الحنفي · ثمّ جلبت ولاية سوريّة الجليلة سنة ١٨٦٤ مطبعةً نشرت فيها جريدتها الرسمية « سوريّة » مع عدّة مطبوعات اخرى (المشرق ٤ : ٨٧٩) — وأُنشئت في الموصل سنة ١٨٥٦ مطبعة جليلة بادارة حضرة الآباء الدومنيكان فأدّت للدين والعلم والآداب خدماً متعدّدة ولم تزل الى زمن الحرب جارية على خطّتها (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٤٢٢) · وفيها انشئت ايضاً المطبعة الكلدانيّة بهمّة الاديب الشمّاس رافائيل مازجي سنة ١٨٦٣ (المشرق ٥ : ٨٤٠) · وظهرت في كربلاء مطبعة حجريّة سنة ١٨٥٦ طُبعت فيها مقامات الشيخ محمود الالوسي (المشرق ٥ : ٨٤٣) ثمّ استحضر المرزا عبّاس مطبعةً اخرى حجريّة في بغداد فعُرفت بمطبعة كامل التبريزي ونفعت العلوم ببعض المنشورات نحو خمس سنوات (المشرق ٥ : ٨٤٣ — ٨٤٤) · ثمّ بطلت تلك المطبعة بظهور مطبعة ولاية بغداد سنة ١٨٦٩ فأصدرت جريدة الولاية ومطبوعات غيرها (المشرق ٥ : ٨٤٣) — وكذلك حلب فانّ فنّ الطباعة تجدّد فيها في اواسط القرن التاسع عشر · وكان اوّلاً احد الفرنج المدعو بلفنطي السرديني نشر بعض المطبوعات الحجريّة في الشهباء منها ديوان الفارض سنة ١٢٥٧ (١٨٤١) وكتاب المزامير · ثمّ اهتمّ الطيّب الاثر المطران يوسف مطر بانشاء مطبعة على الحروف فطُبع فيها منذ السنة ١٨٥٧ الى يومنا نحو ٥٠ كتاباً بين كبير وصغير (المشرق ٣ : ٣٥٧ — ٣٥٨)

اما اوربّة فكانت فيها الدروس الشرقيّة لا سيما اللغات الساميّة على خطّتها الشريفة · وكان عدد وافر من تلامذة دي ساسي قد انتشروا في اقطار شتى فبعثوا الهمم لدرس آثار الشرق ولغاته واحياء دفائنه فعُقدت جمعيات جديدة وأُنشئت المدارس وتوفّرت المطبوعات والخزائن الكتبيّة · وكانت فرنسة في مقدّمة الدول لما كان بينها وبين اقطار الشرق من العلائق والمعاملات وخصوصاً بلاد الجزائر

وممّا ساعد على توفير اسباب الترقّي للآداب العربية في هذا الطور الثالث بين نصارى الشرق خاصة بطاركة اجلّاء محبّون للعلوم وساعون في تنشيطها بين مرؤوسيهم فكان يسوس طائفة الروم الكاثوليك الملكيين السيّد المفضال مكسيموس مظلوم الذي مع وفرة اشغاله في تدبير بنيه ابقى لهم من تآليفه او ترجمته نيفاً وخمسين كتاباً طُبع نحو نصفها في بيروت ورومية والاستانة ومصر وهي في كل ضروب العلوم من

لاهوت نظري وادبي وجدل واخبار قديسين وعبادة وطقوس وتاريخ وجغرافية وصرف ونحو وطبيعيات. فكان مثال جدّ ونشاط لم تخمد همتهُ الّامع خمود انفاسهِ في ١٠ آب سنة ١٨٥٥ فقال الشيخ ناصيف اليازجي يؤرخهُ:

مكسيموسُ المظلومُ بطركنا الذي · قامت بهِ التقوى ولاح منارُها
صرفَ الحياة بغيرةٍ مشهورةٍ · يبقى على طول المدى تذكارُها
هو كوكبُ الشرق استقرَّ قرارُهُ · في جنَّةٍ فُتحت لهُ اخدارُها
ولاجلهِ كتب المؤرخ نظمهُ · انَّ الكواكب في السماء قرارُها

وقام على الطائفة المارونية غبطة البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٥٤ وكان من البارعين في معرفة الانساب والتاريخ الشرقيّ والحقّ القانوني خلّف من كل هذه العلوم آثارًا حسنة

وفي هذه الغضون كان على السريان الكاثوليك البطريرك اغناطيوس بطرس جروه وقد ذكرنا (ص ٧٥) بعض ما خلّفه من المآثر العلمية. ولمّا دعاهُ الله الى دار الخلود خلفهُ ذلك الرجل المفضال الكثير المبرّات اغناطيوس انطون السمحيري (١٨٥٣ — ١٨٦٤) الذي عُني بتهذيب اكليروس طائفتهِ في مدرسة الشرفة وفي مدرسة غزير ومدرسة البروباغندا في رومية العظمى فخرج من تلك المدارس رجال افاضل سنذكرهم في تاريخ وفاتهم

امَّا الارمن الكاثوليك فكان يدبّرهم البطريرك غريغوريوس بطرس الثامن منذ السنة ١٨٤٣ فما كان لينثني تعزيز الآداب في طائفتهِ فاهتمَّ في نماء مدرسة بزمار وتنظيم كهنتها على قوانين خصوصية كما انَّهُ ارسل الى مدرسة غزير بعض بني جنسهِ فانجزوا فيها دروسهم ثمَّ اشتهروا في خدمة النفوس ولهم تآليف دينية. ثمَّ قام بتدبير الطائفة الارمنية السيّد انطون حسّون سنة ١٨٦٦ وكان من رجال الفضل والعلم فجرى على مثال سلفهِ في نشر الآداب بين ابناء امّتهِ

وكذلك الكلدان فانَّ بطريركهم يوسف اودو (١٨٤٨ — ١٨٧٨) سعى في انماء الآداب في ملّتهِ. وهو الذي انشأ لابناء طائفتهِ مدرسة اكليريكية في الموصل وارسل احداثًا منهم الى مدارس اخرى فنجحوا

وقد عُرفت الرسالة الاميركيَّة في هذا العهد بنشاط عظيم اشتهر بينها الدكتور

عالي سميث والدكتور طمسن والدكتور ڤان ديك فانكبُّوا على درس اللغة العربية حتى اتقنوها . وكان من اثار اجتهادهم ترجمة الكتاب المقدَّس باشر فيها سنة ١٨٤٩ الدكتور سميث بمعاونة المعلم بطرس البستاني فعرَّب قسماً من كتب موسى ثمَّ توفي سنة ١٨٥٧ فقام بتعريبها من بعدهِ الدكتور ڤان ديك ولم يزل يفرغ في انجاز العمل كنانة جهدهِ حتى انتهى منهُ سنة ١٨٦٤ بمساعدة الشيخ ناصيف اليازجي . ثمَّ طُبع الكتاب سنة ١٨٦٧ . ولم تُثبت فيهِ الاسفار المعروفة بالقانونيَّة الثانويَّة . وصار لهذه الترجمة رواج كبير حتى اتت من بعدها ترجمة الاباء اليسوعيين بمساعدة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ فكانت اضبط نقلاً واشمل موضوعاً وابلغ لساناً واجود طبعاً فصارت تُعتبر كالترجمة الرسميَّة لجميع الكاثوليك الناطقين بالضاد

الاداب الاسلاميَّة في هذا الطور (١٨٥٠ – ١٨٧٠)

انحصرت الاداب الاسلاميَّة في هذا الطور الثالث اعني من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٠ في العلوم اللسانيَّة خاصَّة من صرف ونحو ولغة وبديع وبيان وشعرٍ وادبيات منثورة . اما التاريخ والعلوم الطبيعيَّة والهيئة والرياضيَّات فانَّ التأليف فيها كان نادراً . الَّا انَّ بعض الادباء كالشيخ الرفاعي الطحطاويّ في مصر وسليمان الحرائري في الجزائر عرَّبوا عدَّة مؤلفات اوربيَّة في العلوم المستحدثة والاختراعات الجديدة فكانت تعريباتهم دليلاً على سعة اللغة العربية ومرونتها وكفايتها لترويج المعارف العصرية . فنهج غيرهم منهجهم بعد ذلك لا سيا جماعة الاميركان في بيروت . وها نحن نختصر تاريخ أُدباء المسلمين في هذا الطور بذكر مشاهيرهم بلداً بلداً مباشرة بالشام ثمَّ مصر ثمَّ العراق وبقية البلاد

﴿ ادباء المسلمين في الشام ﴾ يحضرنا منهم اسماء قليلين ولعلَّ مصنَّفات اكثرهم لا تزال مدفونة في بيوت الخاصَّة . فممَّن اشتهروا في هذه المدَّة بآدابهم السيد مصباح البربير اسمهُ محمَّد بن محمَّد البربير وجدُّه احمد البربير الشاعر الذي ذكرناهُ في جملة ادباء الطور الاوَّل من القرن التاسع عشر . ولد محمَّد مصباح سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) واظهر منذ صغرهِ نجابة عظيمة فبعد اتقانه اصول اللغة ومبادئ العلوم على شيوخ بيروت في ايامهِ كالشيخ عبد الرحمان افندي النحّاس والشيخ عبدالله افندي خالد البيروتي

واخيهِ الشيخ ابراهيم البربير استُخدم في مجلس التحقيق بوظيفة كاتب وكان في شرخ شبابهِ مولعاً بالشعر فينظم في اوقات الفراغ القصائد الرائقة التي تُعرب عن جودة قريحته. وقد وافاهُ اجلهُ فقُصف غصن شبابهِ طرياً في وباء الهواء الاصفر الذي حدث سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥ م). ولهُ ديوان صغير جمعهُ شقيقه الاديب عمر البربير فطبعهُ في المطبعة الاميركانية سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣ م) ودعاهُ البدر المنير في نظم مصباح البربير. فممّا نظمهُ مصباح قولهُ مؤرخاً بناء دار لوالدهِ سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢)

لمحمّد البربير دارٌ قد زهتْ ونجومُ مطلع عزّها حرّاسُها
في باجا كتبَ المؤرخ قُل جا دارٌ على التقوى أقيم اساسُها

ومن ظريف اقواله تهنئة بمولد ابن عمهِ محمّد نجيب بن محمّد البربير سنة ١٢٨٢:

بُشراك احمد قد اتاكَ نجيبُ حييَت بمرآهُ نُهىً وقلوبُ
نجلٌ كُسي من كل ظرفٍ حلّةً فهوَ الحبيبُ بلى ابوهُ حبيبُ
قد لاحَ في افق السعادة ساطعاً ان غابت الاقمارُ ليس يغيبُ
في مهدهِ كالعندليب مغرّداً وكذا اللبيبُ من المهاد لبيبُ
نادت علاماتُ السعود بوجههِ يحيى سعيداً انهُ لأديبُ

ولهُ مكاتبات مع بعض ادباء زمانهِ نخصُّ منهم بالذكر الشيخ ناصيف اليازجي وكان هذا كتب اليهِ:

برعتَ والله في قولٍ وفي عملٍ لفظاً ومعنىً وتهذيباً وإفصاحا
أعطاك ربُّكَ نوراً يُستضاءُ بهِ فقد اصاب الذي سمّاكَ مصباحا

فاجابهُ محمّد مصباح بقولهِ:

يا من غدا شعرهُ الشعرَى فكان لنا قاموسَ فضلٍ وللتلخيصِ ايضاحا
لأنت شمسُ علومٍ حين مطلعها كم اخجلتْ قمراً يزهو ومصباحا

وقد رثاهُ الشيخ ابراهيم الاحدب وأرّخ ضريحهُ بهذه الابيات:

ضريحٌ حلّهُ مصباحُ فضلٍ سناهُ في سماء المجد عالي
الى عليا بني البربير يعزى لهُ نسبٌ ينير دجى الليالي
فقال منظّم التاريخ وافٍ سنا مصباحَ مشكاة المعالي

(محمّد ارسلان) واشتهر ايضاً في الشام بآدابهِ وتآليفهِ الامير محمّد ابن الامير امين ارسلان وُلد في الشويفات سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨ م) وطلب العلوم منذ حداثة

سنهِ وتعلّم اللغات الاجنبية فضلاً عن اللغات الوطنية. ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره فوِّضت اليهِ الحكومة السنيَّة ادارة الغرب الاسفل فتولاها تحت نظارة والدهِ حتى مات والدهُ سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨) فقام بعملهِ. ثمَّ انتقل الى بيروت مع اهل بيتهِ واستوطنها وتفرَّغ للتأليف والكتابة وكان عضداً لكل طالبي الآداب ساعياً في ترويج العلوم يجمع في دارهِ محبّي المعارف. وسنة ١٢٨٥ (١٨٦٩) استدعتهُ الدولة العلية الى الاستانة تعهد اليهِ بعض المهام لكنَّ الموت عاجلهُ عند وصولهِ فمات بمرض القلب ولهُ من العمر ٣١ سنة وقد ابقى المترجم عدَّة تآليف لا تزال مخطوطة منها كتاب في اصول التاريخ وعدَّة تآليف في الصرف والنحو والمنطق وكتاب حقائق النعمة في اصول الحكمة والمسامرة في المناظرة وتعديل الافكار في تقويم الاشعار وتوجيه الطلّاب في علم الآداب والتحفة الرشديّة في اللغة التركية الذي نُشر بالطبع. وكان بين الامير محمَّد امين وأُدباء زمانهِ مكاتبات تدلُّ على براعتهِ في فنون الآداب. وهو ممن مدحهُ الشيخ ناصيف اليازجي فلهُ في ابيهِ الامير امين وفيهِ اقوال حسنة فقال في الامير امين:

كريمٌ لا يضيعُ لديهِ حقٌّ فقد سُمّي اميناً بالصوابِ
وليس بخلٌ في الدنيا بشيءٍ لغير المال من حفظ الصحابِ
ويُدركنا نداه حيثُ كنّا على حال ابتعادٍ واقترابِ
وتُكسبنا مكارمهُ ارتفاعاً كصفرٍ زاد في رَقْم الحسابِ
فدام نداهُ يقرَعُ كلَّ بابٍ ويأتيهِ الثنا من كل بابِ

ومن حسن اقوالهِ في الامير محمَّد ما كتبهُ اليهِ يعزّيه في ابيه بقصيدة كان مطلعها:

ما دام هذا اليومُ يخلفهُ غدُ لا تُنكروا انَّ القديمَ يُجدَّدُ
لا تُقطَع الأغصانُ من شجراتها الّا رأينا غيرها يتولَّدُ
هذا الامينُ مضى فقام محمَّد خلفاً فنابَ عن الامين محمَّدُ

وختمها بقولهِ:

خلَفٌ كريمٌ أشبهَ السّلَفَ الذي كانت لهُ كلُّ الخلائق تَشهَدُ
ما كان يوجَدُ كالأمينِ بعصرهِ واليومَ مثلُ محمَّدٍ لا يوجدُ

وقد مدحهُ احمد فارس الشدياق بلامية اولها:

انَّ الامير محمَّداً مفضالُ من آل رِسلانَ ونعمَ الآلُ

وقال يصف معارفهُ :

سيّان في نظمٍ ونثرٍ قولهُ فصلٌ وحكمٌ لا يليهِ عِدالُ
قد ألّف الكُتُبَ التي شهدت بأنْ أصحاب آرسطو عليهِ عيالُ
فاجاد في التاريخ ايَّ اجادةٍ وبكلّ فنٍ لم يَفُتهُ مقالُ

وقال الشاعر المشهور اسعد طراد يعزّيه بوالدهِ بقصيدة هذا مطلعها :

الارضُ تخبر والجماجمُ تشهدُ انَّ ابن آدم فوقها لا يخلُدُ

ومنها في مدح الفقيد :

غدت بنو رسلانَ نائحةً ومن فرط الاسى أمست تقومُ وتقعدُ
لك يا ابن مع القلوب أمانةٌ حزنٌ بها اودعتها لا يُنفَدُ
فارقتَ لبنان الذي مهّدتهُ عدلًا وكان الظنّ لا يتمهّدُ
اضرمتَ نارًا في القلوب كأنها نارُ القرى بحماك ليست تخمدُ

(محمود بن خليل) وممّن نقدّر وفاتهُ في هذا الوقت الشاعر محمود بن خليل الشهير بالعظم الدمشقي لهُ في المكتبة الخديوية (٤: ٣٥٣) ديوان شعر خطّهُ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧ م) الاديب احمد زكية. وكان صاحب الديوان موجودًا سنة ١٢٨٥ (١٨٦٨ م)

ولا نشك في انهُ اشتهر في هذا الطور من ادباء المسلمين في الشام غير هذين المذكورين الآنَ اخبارهم لم تُنشر حتى الان فلم نقف على تاريخهم. ومما وقع في ايدينا منذ عهد قريب مجموع فيهِ قصائد لشعراء بلاد الشام في القرن السابق نظموها في مدح علي بك الاسعد من البيوتات الشريفة في طرابلس فهناك اسماء عدّة ادباء مرَّ لنا ذكر بعضهم كالشيخ عمر اليافي والسيّد احمد البربير والشيخ عبد اللطيف افندي فتح الله مفتي بيروت وبطرس كرامة والياس اده والبعض الآخر لم نعرف منهم غير اسمائهم كالشيخ عثمان والشيخ عمر البكري والشيخ مصطفى الكردي والحاج علي ابن السيّد البكريّ والسيّد عمر افندي الكيلاني. ولكلهم قصائد اجادوا فيها لكنّنا نعرض عن ذكرها لجهلنا اخبار قائليها

﴿ أدباء مصر ﴾ خلّف لنا أدباء المسلمين المصريين مادّة اوسع من اخوتهم في الشام وممّا ساعد على حفظها انتشارها بالطبع فسلمت من الضياع. ودونك اسماءهم :

(عليّ الدرويش) هو السيّد علي افندي الدرويش بن حسن بن ابراهيم المصري الشاعر المفلق اصاب في اواسط القرن التاسع عشر شهرة كبيرة في القطر المصري وتقرَّب من اصحاب الامر ومن ادباء وطنهِ فمدحهم وكاتبهم. ولمَّا توفي سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) جمع ديوانهُ واقوالهُ النثريَّة تلميذهُ مصطفى سلامة النجاري فطبعهُ على الحجر في مصر في ٤٨٢ صفحة وعنونهُ بالإشعار في حميد الأشعار (١٢٧٠). وها نحن نوردُ منهُ بعض امثلة بياناً لفضل قائلهِ. قال مؤرخاً قصر صديقهِ عرفي افندي:

وقصرٍ كالسماء بهِ نجومٌ ... مطالعُها السعادة والبدورُ
على اقطاره تبكي عيونٌ ... اذا ابتسمت لواردهِ زهورُ
فليس لوافـدٍ وافاهُ نحرٌ ... وقد نفدت لمدحتهِ البحورُ
وحسبُكَ روضةٌ في كل مجدٍ ... وفضل بالبنان لهُ بشيرُ
تقاصَرَ من سناهُ ذو ثناءٍ ... وحسن القصر ما فيهِ قصورُ
يقول العزّ والاسعاد ارّخ ... سعود البيت يا عرفي منيرُ (١٢٥٩)

وقال شاكرًا:

سُررتُ بنيل القصد من غير موعدٍ ... ولا شيء اشهى من سرورٍ مجدَّدِ
سُررت بنعماه ولكن حزنتُ من ... قصوري بحق الشكر في فضل سيدي
لهُ الحمدُ والشكر الذي هو اهلهُ ... وقلَّ لهُ حمدي وشكري ومنشدي
فلو كل عضوٍ فيهِ عدَّة السُنِ ... لَاعجزني شكر الندى المتعدّدِ
وهل انا الّا عبد احسان عفوكم ... فاضحى لديهِ مدحكم كالتعبُّدِ
تعوَّدتُ لولا لطفكم غير عادتي ... وصعب على الانسان ما لم يعوَّدِ
وزدتم نعيمي نعمةً ابديةً ... وزدتم مقامي رفعةً فوق مقصدي
وكدّرتمُ ظنّ الحسود بنعمتي ... واشهى من الإنعام تكدير حسَّدي
وحمَّلتني ما لا أُطيق وجوبهُ ... فينطق حالي عن لساني المعقّدِ
فيا اسعدَ اللهُ السعيدَ لملكهِ ... ودولتهِ والموكب المتجنّدِ
فقد اشغل الدرويش شكرًا مؤرخاً ... مليك سعيد النجم خير محمَّدِ

(شهاب الدين) وقد فاق على درويش المذكور شاعر آخر كان يُعاصرهُ وهو الاديب الاريب السيّد شهاب الدين محمّد ابن اسماعيل وُلد في مكّة سنة ١٢١٨ (١٨٠٣ م) ثمَّ قصد مصر فدرس على مشايخها لاسيَّما شيخي الازهر محمّد العروسي وحسن العطّار فبرع في الكتابة والشعر. ولمَّا انشأ الشيخ حسن اوَّل جريدة طُبعت في الشرق وهي الوقائع المصريَّة سنة ١٨٢٨ اتَّخذ كمساعد لهُ في انشائها شهاب الدين

المذكور ثمَّ خلفهُ في ادارتها سنة ١٢٥٢ (١٨٣٦ م) وجُعل مصحّحاً لمطبوعات مطبعة بولاق الشهيرة وبقي في مهنتهِ الى السنة ١٢٦٦ (١٨٤٩ م) وانقطع الى الكتابة والتاليف. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) وقد ابقى السيّد شهاب الدين من تآليفهِ كتاب « سفينة الملك ونفيسة الفلك » ضمَّنهُ مجموعاً وافياً من الزجليّات والموشّحات والاهازيج والموالي التي يتغنّى بها ارباب الفنّ في مجالي الافراح ومعاهد السرور ولما اتمَّهُ سنة ١٢٥٩ قال في تاريخهِ:

هذه سفينةُ فنٍّ بالمُنى شُحنت ... والفضلُ في بحرهِ العجَّاج أجراها
واذ جرت بالاماني فيهِ أرّخها ... سفينةُ البحر بسمِ الله مجراها

ثمَّ طُبع سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) ديوان شعرهِ في ٣٨٠ صفحة وفيهِ القصائد الرنّانة في كل فنون العروض ومعاني الشعر. فمن نظمهِ قولهُ يصف مِزْولة انشأها حضرة سلامة افندي المهندس لجامع القلعة لبيان الاوقات والساعات بحساب البروج الاثني عشر:

ومُظهرةٍ للوقتِ ظهرًا وغيرهُ ... وللبرج ايضاً فهي واحدةُ العصرِ
سلامةُ منشي رسمها وحسابها ... لجامع خيراتٍ تفرَّد في مصرِ

وقال من قصيدة يمدح بطرس بكتي قنصل دولة روسيَّة اذ زارهُ يوماً:

اتى ينجلي كالبدر في سندسيَّةٍ ... وهل حلَّ في الافاق بدرٌ بأطلسِ
فتىً ليَ الصفوُ الذي كاد حظّهُ ... يكونُ كحظي يوم ايناسِ بطرسِ
ألا وهو تاج الفخر والحسن والبها ... مشيّد اركان المكرماتِ المؤسسِ
جميل السجايا الالمعيّ فطانةً ... رقيق الحواشي ذو الحجى والتفرُّسِ
هشوشُ المحيَّا ضاحك السنّ دائمًا ... حليفُ المعاني ذو الجناب المقدَّسِ
بنفسي افدّيهِ وقد جاء زائرًا ... بتشنيف اسماعٍ وتشريف مجلسِ
يصوغُ لهُ نظمي نفيسَ مدائحٍ ... فتثنيهِ غايات الكمال بانفسِ

وقال عن لسان بعض الكاثوليك يمدح كبير ملّتهم وكان المذكور التمس منهُ ذلك:

بابا النصارى مربّي روح ملّتهم ... حامي حمى كلّ شمّاسٍ وقسّيسِ
شخصٌ ولكن هيولى روحهِ ملَكٌ ... وجسمهُ صورةٌ في شكل قدّيسِ
اقام وهو وحيد العصر مفردهُ ... دينَ النصارى بتثليثٍ وتغطيسِ
تسعى الملوك الى تقبيل راحتهِ ... في البحر والبرّ فوق الفلك والعيسِ
احيا الكنائسَ جسماً بعد ما درست ... وشيّد الروح تشييدًا بتأسيسِ

فعظّموا ازبّ فيها بالصلاة لهُ وبحدوهُ بتسبيحٍ وتقديسِ

ولهُ في مديح حنَّا البحري من قصيدة:

هو كهفٌ اذا لجأنا اليهِ في مَخُوفٍ ممَّا نخافُ أَمنَّا
من أتاهُ مستنصرًا بجماهُ عاد بالنصرِ بالغًا ما تمنَّى
كلَّما عنَّ امرُ خطبٍ مهمّ بك فيا نراهُ عنَّ استمنَّا
يصنعُ المكرمات سرًّا وجهرًا وهو في عون من يقول أَعنَّا
كلُّ من قد رآهُ وهو بشوشٌ عنهُ ولّت همومهُ واطمأنَّا

ولهُ قصيدة طويلة في مدح نصر الله (نصري) الطرابلسيّ الشاعر الذي مرَّ لنا ذكرهُ هذا اوَّلها:

لا رعى الله يوم حان وداعي انهُ جالبٌ لحَيْني وَداعي
فيهِ قد ازمع الرفاقُ فراقًا واصاب الشتاتُ شمل اجتماعي
وغدا الدمع سائلًا يتجارى وفؤادي في موقفِ الابداع

الى ان قال:

أتُرى هل تعودُ اوقاتُ انسي وبقربِ المزار تحظى رباعي
واذا ما الزمان جاء بنصري فبحمدٍ يُجزى وشكرٍ مساعي
هو بحرٌ تُروى المآثر عنهُ بل هو البحرُ في جميع البقاعِ
روضُ آدابهِ النضيضُ جناهُ عطرُ النشرِ طيِّب الايناعِ

وختمها بقوله:

زادك الله بهجةً وكمالًا ما ترجَّى حسنَ الختامِ الداعي

ونظم الابيات الآتية لترُسم على سفرة الطعام:

أيّها السيد الكريم تكرَّمْ وتناولْ ما شئت أكلًا شهيًّا
وتفضَّلْ بجبر خاطر مَنْ هم أتقنوا صنعهُ وخذ منهُ شيًّا
وتحدَّثْ على الطعام وآنسْ واحدًا واحدًا بشوش المحيًّا
واستزدهم أكلًا وقلْ انَّ هذا طابَ نضجًا وصار غضًّا طريًّا
فهلمُّوا بنا ومدُّوا اليهِ ايديًا باعها ينالُ الثريًّا
ثمَّ قُلْ يا احبتي هل لكم في بعض شيءٍ من النبيذ المهيّ
ولئن ساغَ شربهُ للتمرّي فكلوا واشربوا هنيًا مريًّا
واذا ما آكلتَ ضيفًا فأرّخْ انَّ هذا لرزقنا كُلْ هنيًّا (١٢٦٦)

(الشيخ البيجوري) واشهر من السابقين شيخ الاسلام ابراهيم البيجوري· ولد في قرية البيجور بمديرية المنوفية سنة ١١٩٨ (١٧٨٤ م) وطلب العلوم في الازهر مدَّة وتتلمذ للشيخين محمد الفضالي وحسن القويسني وغيرهما حتى نبغ بين طلبة الازهر وتفرَّغ للتأليف فوضع كتباً عديدة في التوحيد والفقه والمنطق والتصريف والبيان واشتغل بالتدريس ثم انتهت اليهِ رئاسة الازهر· قيل ان صاحب الدولة الخديوي عباس باشا كان يحضر دروسهُ في الازهر · وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠ م)

(ابراهيم بك مرزوق) ويُلحق بأُدباء مصر احد مشاهير كتبتها ابراهيم بك مرزوق· ولد سنة ١٢٣٣ ﻫ (١٨١٧ م) وكان منذ نعومة اظفارهِ مغرًى بالاداب كثير الحفظ من مختار الشعر قيل انهُ كان يحفظ منهُ عشرين الف بيت كما انهُ احرز جملة وافرة من منتخب المتون العلميَّة ومأثور الاخبار· وكان كثير التصرُّف في فنون الكتابة ويحسن نظم الشعر· ورحل الى بلاد السودان فكانت وفاتهُ في الخرطوم سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) وقد عُني بجمع قصائدهِ وطبعها الهمام محمد بك سعيد بن جعفر باشا مظهر وقسمها الى سبعة ابواب على حسب معانيها ووسم هذا الديوان « بالدرّ البهي المنسوق بديوان الاديب ابرهيم بك مرزوق » وكان طبعهُ سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) وممَّا جاء فيهِ من الحكميَّات قولهُ :

انَّ الفضيلة في الانام غدت على ... شرف النفوس الشُّمّ اقوى حجَّةِ
فاذا ادَّعيتَ بانَّ اصلك يا فتى ... من سادة الابطال اهل الهمَّةِ
أوضحْ لنا نور الشهامة مثلهم ... وعلى رفيع المجد أحسِنَ غيرةِ
واذا اردت الفخر فاسهر دائباً ... لطلابهِ واهجر لذيذ الهجعةِ
فتكونَ ذا شرفٍ فتلك دلائل ... دلَّت على شرفٍ وكلّ فضيلةِ

وقال مستعطفاً لصديق نفر عنهُ :

يا معرضاً متجنباً ... حاشاك من نقض الذمامْ
مولاي ما لك قد بخلتَ ... م عليَّ حتى بالكلامْ
سلّم عليَّ اذا مرر ... تَ فلا اقلَّ من السلامْ

وقال يرثي اسكاروس افندي الباش كاتب القبطيّ :

لا شكَّ عندي في فناء الوجودْ ... فافضلُ السيرةِ خيرُ الوجودْ

والمرء مجزيٌ باعمالهِ   فشأنهُ يومَ تُقامُ الحدودْ
وانما طوبى لمن قد قضى   دنياهُ بالخير وسعد السعودْ
كالبارع أسكاروسَ في فضلهِ   باهي الحجا والجد غيظ الحسودْ
فقلْ لراجي شأوهِ ارّخوا   يكفي ثوى أسكاروسُ دارَ الخلودْ (١٨٦٠)

وقد عُرف في مصر غير هؤلاء ممن ورد ذكرهم في كتب الادباء كالاستاذ الشيخ احمد عبد الرحيم والشيخ مصطفى سلامة وكان كلاهما محرِّرًا للوقائع المصريَّة في هذا الوقت. مدحهما صاحب كنز الرغائب في منتخبات الجوائب (ص ١٢١ و١٢٩). وكذلك في مصنَّفات الشيخ ناصيف اليازجي مراسلات دارت بينهُ وبين ادباء مصر من المسلمين كالشيخ محمَّد عاقل افندي كاشف زاده الاسكندريّ والشيخ حمد محمود افندي الاسكندريّ والشيخ عبد الرحمان افندي الزيلقيّ والشيخ حسن بن علي اللقَّاني الاسكندري. ولكلّهم قصائد جيّدة اثبتها الشيخ ناصيف في مجموع شعره لكنّنا لا نعرف من تاريخ اصحابها شيئاً. فممّا روى للشيخ محمّد عاقل قولهُ يصف الهواء الاصفر:

دهانا بوادي النيل كالسَّيل حادثٌ   لهُ تَذهَل الالبابُ حين يخيفُ
دعوهُ بريحٍ اصفرٍ شاع ذكرهُ   وما هو الّا هيضةٌ وتريفُ
بهِ احتارت الافكارُ والعقل والنُّهى   وكلُّ طبيبٍ شانهُ العلمُ موصوفُ
فلم يبقِ دارًا لم يَزُرْها ولم يذرْ   جنانًا بهِ ركْبُ السرور يطوفُ
ثُكِلنا رجالاً للزمان نعدُّهم   طروسًا وهم للمعضلاتِ سيوفُ
تراهم ليوم اليأس والبأس عُدَّةً   وجاهُهم للقاصدينَ منيفُ
وكم فيهم من اهل ذوقٍ وفطنةٍ   وفيهم لطيفٌ ألمعي او ظريفُ
لقد أقشبت اقطارُ مصرٍ لفقدهم   وكان بهم روح الكمال قطيفُ
نأوا وأقاموا بارح الحزنِ في الحشا   فليس بديلًا تالدٌ وطريفُ
فشيَّعهم عقلي وفكري وفطنتي   ولم يبقَ من لبي لديَّ طفيفُ
وناقصَ امثالي صحيحٌ مضاعفٌ   ومهموز حزني اجوفٌ ولفيفُ

وقال يمدح بيروت وادباءها وخصوصاً الشيخ ناصيف اليازجي:

لقد قصدوا بيروتَ دارَ اعزَّةٍ   لهم تنتمي الآلاءُ في اللفظ والمعنى
نزيلهمُ قد شكَّ في اصل دارهِ   وصار بيقين الامر في علمه ظنّا
مدينة ظرفٍ ما بها غير فاضلٍ   بسيمٍ وسيمٍ قد حوى الحُسنَ والحسنى
تشدُّ لهُ الالبابُ كلَّ مطيَّةٍ   مجرَّبة الإسعاف في كل ما عنّا

صغيرهمُ في المجد سيّد غيرهم … على انَّ ذاك الغيرَ قدوةُ من اثنى
وما منهمُ الّا وقد شبَّ طوقهُ … بنادي نصيف اليازجيّ وقد أفنى
مجيد المعاني وهو للقول حجّةٌ … لاهل النّهى كم قد اجاد لنا فنّا

ومن اقوال الزّيلعي في المدح:

بلغتَ مقاماً لم تنلهُ الاوائلُ … وحزتَ كمالاً تبتغيهِ الافاضلُ
ولستُ براهٍ غير فضلكَ يُرتجى … لكل مُلمٍّ فيهِ تُدمى الصياقلُ
ولولاك لم تدرِ العلوم بانّها … تُجَلُّ وانَّ قد بانَ منها دلائلُ
يطول لسان الفخر في فضلك الذي … بنيتَ لهُ ركناً ليرجع ثاكلُ
ويقصر باع الدهر عن وصف ماجدٍ … لهُ جُمعت في المكرمات الفضائلُ
فيا لك من مجدٍ ويا لهُ من يدٍ … تطول اذا مُدَّت وان حال حائلُ

وقال حمد محمود افندي من قصيدة متشوقاً الى اهل الفضل في بيروت:

يا اهل بيروت ان لاقيتمُ كبدي … فمتّعوا جدركم من قبلُ بالحفرِ
اكبادُ اهل الهوى حرَّى وما بردت … الّا لترمي من الاشواق بالشررِ
ودونكم حرَّ لبّي فهو رقكمْ … وارعوا ذمام شجٍ فيكم على سفرِ
ملكتموهُ بالفاظٍ هيَ غررٌ … ورابحٌ مَن شرى الالبابَ بالغُررِ

وللشيخ حسن بن علي اللقّاني الاسكندريّ يصف ديوان الشيخ ناصيف:

بدائع ما فيها سوى السحرِ منطقٌ … حلالٌ وفي اجناسها لا أدافعُ
اذا جرَّ فوق الطرس سُمر يراعهِ … تصافحهُ الآداب وهي رواكعُ
وان راح ينشي او يكاتب صحبهُ … فغرُّ معانيهِ الحسانِ تسارعُ
كأنَّ صرير السمر في روض طرسهِ … غناء حمامٍ وهو بالشعر ساجعُ
تآليفهُ قد فصّحت كل اعجمٍ … بليدٍ وكم ولّى بليغٌ وبارعُ
لآلئه من زهر الربيع تناثرت … علينا وفي منظومها الدرّ ذائعُ
لئن فاح في ارض الشآم ثناؤهُ … ففي مصرنا منهُ شذا الذكر ضائعُ

﴿ ادباء المسلمين في العراق ﴾ تذكَّر العراق في اواسط القرن التاسع عشر مفاخرهُ السابقة فأراد أن يحييها فنزل في حلبة الآداب وركض فيها جياد الالباب فنال قصبة السبق والغلاب. وها نحن نذكر الذين وقفنا على شيء من اخبارهم نقلاً عن مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة وبعض المطبوعات النادرة مباشرةً بالالوسيين والسويديين

(الالوسيّون) هم قوم من فضلاء بغداد احبّوا العلوم والاداب فاوقفوا نفوسهم

لخدمتها ونشروا معالمها في وطنهم واصلهم من ألوس احدى قرى الفرات ثمَّ انتقلوا الى بغداد وامتازوا فيها بحسن الخصال. ولما كانت اواسط القرن التاسع عشر برزَ بينهم اولاد السيد صلاح الدين ابن السيد عبد الله الالوسي. وكانوا ثلاثة رضعوا كلهم افاويق الادب وذهبوا في فنونهِ كل مذهب

وأولهم ابو الثناء شهاب الدين السيد محمود افندي المعروف بالشهاب الألوسي. ولد في بغداد في ١٤ شعبان سنة ١٢١٧ (١٨٠٢ م) وهناك توفي في ٥ من ذي القعدة سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤ م) كَلِفَ بالعلوم منذ حداثة سنّهِ وبذل النفس والنفيس في احراز جواهرها حتى انَّ رغبتهُ في طلب المعارف شغلته عن حطام الدنيا وأنستهُ هناء العيش وملاذ الحياة وبرَّز بالعلوم الدينية فصار اماماً في التفسير والافتاء وكان مع ذلك كاتباً بليغاً وخطيباً مصقعاً وفي سنة ١٢٦٢ (١٨٤٥) سافر برفقة عبدي باشا المشير الى الموصل ثم الى ماردين فديار بكر فارزروم فسيواس فالاستانة العليَّة واجتمع حيثما دخل باعلام العلماء وائمة الادباء وكانوا يتهافتون اليهِ ليقتبسوا من انوارهِ ويغرفوا من بحارهِ. ثمَّ عاد الى وطنهِ معزَّزاً ممدَّحاً بكل لسان مشمولاً بالطاف الحضرة العليَّة السلطانيَّة. وكان جلالة السلطان عبد المجيد منحهُ الوسام المرصع العالي الشأن. فلما عاد الى وطنهِ سنة ١٢٦٩ انقطع الى التأليف. وفصَّل اخبار رحلته في عدَّة مصنَّفات منها كتابهُ رحلة الشمول في الذهاب الى اسلامبول طُبع في بغداد سنة ١٢٩١ واتبعهُ بكتاب نشوة المدام في العَود الى بلاد السلام ثمَّ كتاب غرائب الاغتراب في الذهاب والاقامة والاياب ويُدعى ايضاً بنزهة الالباب ضمَّنهُ تراجم الرجال والابحاث العلميَّة التي جرت بينهُ وبين حضرة السيد احمد عارف حكمت بك شيخ الاسلام.

وكان السيد محمود سريع الخاطر ونسيج وحدهِ في قوَّة التحرير وسهولة الكتابة ومسارعة القلم قيل انهُ كان لا يقصر تأليفهُ في اليوم والليلة عن اقل من ورقتين كبيرتين. وقد ألف كتباً عديدة في التفسير والفقه والمنطق والادب واللغة كشرح السلَّم في المنطق. وكتاب كشف الطرَّة عن الغرَّة وهو شرح على درَّة الغوَّاص للحريري. ومن تآليفهِ رسالة في الانسان. ولهُ حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ألفها وعمرهُ لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة. وكتاب المقامات طبعهُ في كربلاء وكتاب التبيان في مسائل ايران وكتب اخرى غيرها. وكان لهُ شعر قليل الَّا انهُ غاية

في الرقّة كقوله يذكر العراق في غربته:

اهيمُ بآثار العراقِ وذكره ... وتغدو عيوني من مسرّتها عَبْرَى
وألثمُ إخفافاً وطئنَ ترابهُ ... واكحلُ اجفاناً بتربته العَطْرَى
واسهرُ ارعى في الدياجي كواكباً ... تمرُّ اذا سارت على ساكني الزورا
وانشقُ ريح الشرق عند هبوبها ... اداوي بها يا ميُّ مُهجتيَ الحرّا

وقال في وصف بغداد وفراقهِ لها:

ارضٌ اذا مرّت بها ريحُ الصبا ... حملت من الارجاء مسكاً أذفرا
لا تسمعنَّ حديث ارضٍ بعدها ... يُروى فكل الصيد في جوف الفرا
فارقتُها لا عن رضىً وهجرتُها ... لا عن قلىً ورحلتُ لا متخيّرا
لكنّها ضاقت عليَّ برحبها ... لما رأيتُ بها الزمان تنكّرا

ومن حسن قولهِ وصفهُ لشاعر سهل الالفاظ بعيد المعاني:

تتحيّرُ الشعراء ان سمعوا بهِ ... في حسن صنعتهِ وفي تأليفهِ
فكأنّهُ في قربهِ من فهمهم ... ونكولهم في العجزِ عن ترصيفهِ
شجرٌ بدا للعين حسنُ نباتهِ ... ونأى عن الايدي جنى مقطوفهِ

وقال مستغفراً وقد افتتح به كتاب مقاماتهِ:

انا مذنبٌ انا مُجرمٌ انا خاطي ... هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي
قابلتهنَّ ثلاثةً بثلاثةٍ ... وستغلبَنْ اوصافهُ اوصافي

وكانت وفاة الشهاب الالوسي في السنة التي ذكرناها فرثاهُ قوم من الفضلاء كما مدحوهُ في حياتهِ وقد جُمعت تلك المدائح في كتاب حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين محمود. وكان اولادهُ اغصاناً نضرة لتلك الدوحة الباسقة سنذكرهم في وقتهم. واشتهر في زمانه اخواهُ عبد الرحمان وعبد الحميد فعُرف عبد الرحمان بفصاحة لسانهِ وخلابة اقواله في الخطابة والوعظ وكان يدرّس العلوم الدينيّة في اكبر جوامع الكرخ الى وفاتهِ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) وعمرهُ نحو ثلاث وستين سنة

اما عبد الحميد الالوسيّ فكان مكفوف البصر ولم تصدّهُ تلك العاهة عن طلب العلوم فاخذها عن اخيهِ السيد محمود الذي اجازهُ في المعقول منها والمنقول والفروع والاصول فجعل يدرّس في مدرسة بغداد المعروفة بالنجيبية ويتقاطر لاستماعهِ الناس حتى علية القوم وفي مقدّمتهم علي رضا باشا والي بغداد وله بعض مصنّفات نثرية بليغة وقصائد غرّاء منها قصيدة في مدح احد مشايخهِ العظام اولها:

تنوحُ حماماتُ اللوى وانوحُ   وأكتمُ سرّي في الهوى وتبوحُ
وتُعجم ان رامت أداءَ مرامها   ولي منطق فيما اروم فصيحُ
لها مقلةٌ عند التنائي قريرةٌ   ولي مدمعٌ يوم الفراق سفوحُ

الى ان قال مادحاً:

فتى كلّهُ عفوٌ ولطفٌ وعفّةٌ   وعن زلّة الشاني الحسودِ صفوحُ
حليمٌ وهل كالحلم في المرء زينةٌ   سموحٌ وذو الشان الجليل سموحُ
وفارس فضلٍ لا يجاريه عارفٌ   وأنّى يجاري العاديات جموحُ
يفوح بأفواه المدى نشرُ فضلهِ   كما فاح نشرًا في المجامر شيحُ
لقد عطّر الارجاء منك فضائلٌ   فوصفك مسكٌ في الانام يفوحُ

ومن نثرهِ قولهُ يصف الاولياء:

لقد فاز قوم عاملوا الله بالاخلاص والصدق، وعاملوا الناس بخفض الجناح ورفع الجُناح وحفظ الوداد مع اللين والرفق، تحمّلوا من اجلهِ ألم الاذى والمشاق، فازالوا بانوار شهود جمالهِ عن بصائرهم حجب العوائق الانسانيّة، وتحمّلوا اذا اذاقهم الورى مرّ المراء والشقاق، فاماطوا بعذوبة اسمهِ ووصالهِ عن رقابهم رِبَق العلائق النفسانيّة، اعرضوا عن الدنيا وأغرضوا في طلب الاخرى حيث علموا بأنّ الأولى والأحرى السعيُ في تقديم الباقية على الفانية. فأنحلوا الاجسام بالصيام والقيام، لما أنْ حلا لهم شرب صافي المدام... فرضوا على نفوسهم القناعة والصبر، ورضُوا عن هذه الدنيا بالقليل النزر. وراضوا زكيّ انفسهم عن انفس جواهرها واعراضها، ترفّعوا عن الشكوى وتمسّكوا بعرى التقوى، لانها الركن الاوفى والسبب الاقوى، فانجابت عن قلوبهم غمائم آلامها وامراضها...

وكانت ولادة السيد عبد الحميد سنة ١٢٣٢ (١٨١٧) وطالت حياتهُ ولم نقف على سنة وفاته

(السويديون) هم من اسرة فاضلة اصلها من سرّ من رأى او سامرّا فانتقلوا الى بغداد وعُرفوا بين اكابر علمائها. منهم الشيخ ابو البركات عبدالله السويدي صاحب المؤلفات الادبية العديدة كشرح دلائل الخيرات وكتاب مقامات بليغة والامثال السائرة والرحلة المكيّة توفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦ م). ومنهم الشيخ ابو الخير عبد الرحمن زين الدين البغداديّ السويدي ابن ابي البركات كان ذا باع طويل في العلوم الدينيّة واللسانيّة. ولد سنة ١١٣٤ وتوفي سنة ١٢٠٠ (١٧٢٢ — ١٧٨٦ م) فأرّخهُ اخوهُ الشيخ احمد السويدي بقوله من ابيات:

وفارقنا فردًا فقلتُ مؤرخًا   ابو الخير في ازكى الجنان نزيلُ

وكان الشيخ احمد المذكور اماماً في التصوُّف وقد ردَّ على الملحدين بكتاب سمَّاه الصاعقة المحرقة في الردّ على اهل الزندقة. توفي سنة ١٢١٠ وكان مولدهُ سنة ١١٥٣ (١٧٤٠ — ١٧٩٥)

ومن السويديين الشيخ عليّ ابن الشيخ محمَّد سعيد السويدي المتوفى سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) لهُ كتاب في تاريخ بغداد وقد رثاهُ شاعر بابيات ختمها بهذا التاريخ:

مذ وُسِّد اللحدَ نادانا مؤرخهُ انَّ المدارس تبكي عند فقد علي

ومنهم ايضاً الشيخ ابو الفوز محمَّد امين السويدي احد كبار الكتبة في بغداد ولهُ مؤلفات جليلة في عدَّة فنون منها كتاب سبائك الذهب في معرفة انساب العرب الذي نُشر بالطبع وقد مرَّ لنا وصفهُ (المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٥٦٦) وكتاب الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت. وكتاب ردّ على الرافضة. ورسالة في الواجب والممكن. ولهُ شرح تاريخ ابن كمال باشا مع نظم لطيف. كانت وفاتهُ سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠). واشتهر من السويديين في العهد الذي وصلنا اليهِ الملا نعمان السويدي ابن الشيخ محمَّد سعيد ابن احمد وهو خاتمة السويديين توفي في رجب سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣)

واشتهر بالآداب العربيَّة في بغداد والعراق غير الآلوسيين والسويديين في اواسط القرن التاسع عشر بعض الائمة. وها نحن نذكر منهم الذين ابقوا آثاراً من علمهم طبعاً او خطاً على ترتيب سني وفاتهم

(البيتوشي) هو ابو محمَّد عبدالله بن محمَّد الكردي البيتوشي من كبار ادباء بلادهِ. ولد في بيتوش من قرى العراق سنة ١١٦١ (١٧٤٨) وجدَّ في طلب العلم ثمَّ قدم بغداد طلباً للمعاش وارتحل منها الى بلدة الأحسا. فابتسم لهُ الدهر وحسنت حاله واشتهر صيتهُ وانقطع الى التأليف في الصرف والنحو ونظم كتاب كفاية المعاني وشرحهُ وذيَّل شرح الفاكهي على قطر الندى لابن هشام. ولهُ نظم حسن منهُ قولهُ متشوقاً الى وطنهِ:

ألا حيِّ بيتوشاً واكنافها التي يكاد يروِّي الصاديات سرابُها
بلادٌ بها حلَّ الشبابُ تمائمي واوَّل ارضٍ مسَّ جلدي ترابُها

لقد كان لي منها عرينٌ وكان من مقامي لها سُحبٌ سُكوبٌ زُباجا
ولم تنبُ لي إن يَنبُ يوماً باهلهِ مكانٌ ولم يَنعقْ عليَّ غُراجُـا

توفي البيتوشي سنة ١٢١٣ (١٧٩٨). وكان الاحقّ بنا ان نذكرهُ في الابواب السابقة فاثبتنا اخبارهُ هنا مع بقيَّة افاضل العراق وكذا فعلنا بالشيخين الوارد ذكرهما

(الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي) اصلهُ من النجد فسكن البصرة وكان يتردَّد كثيرًا الى بغداد واشتغل بفنون لسان العرب وكان لهُ في اللغة باع طويل والف عدَّة تآليف مفيدة منها كتاب في تاريخ بغداد ارَّخ فيهِ ما وقع في زمانهِ من الوقائع وسماهُ مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود وقد طبع مختصرهُ في بمبي سنة ١٣٠٤. ومن تآليفهِ منظومة في علم الحساب ونظم قواعد الاعراب والازهرية ومغني اللبيب. ولهُ رسائل ادبيَّة كفاكهة المسامر وقرَّة الناظر. ونسمات السحر وروضة الفكر. وكانت لهُ شهرة عظيمة في البصرة ونواحيها يُقبل كلامهُ لدى جميع اهاليها. توفي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤)

(الشيخ علاء الدين الموصلي) هو علاء الدين علي افندي الموصلي واحد شيوخ شهاب الدين الوسي زاده. ذكرهُ في كتابهِ نزهة الالباب في غرائب الاغتراب واثنى على آثارهِ الادبيَّة لكنهُ ذمَّ اخلاقهُ وضيقَ صدرهِ وجهلهُ بمداراة الناس قال:

كان لا يدري بمداراة الورى ومداراةُ الورى امرٌ مهم

وروى لهُ شعرًا حسنًا منهُ:

لئن لم تشاهدني أخافشُ أعينٍ فلي من عيون الفضل شاهد رؤيةِ
وان انكرتني الحاسدون تجاهلًا كفانيَ عرفاني بقدري وقيمتي
فاين لشمسِ الاستواء من السُّها واين زلالٌ من سراب بقيعةِ
وليس الذي في الناس كالحي ميتٌ لفضلٍ وإفضالٍ فحيٌّ كميِّتِ

وقوله:

وزمانٍ عدَتْ على لياليهِ وقصَّتني قوادمي وجناحي
ودعتني صروفهُ في شتات وعناءٍ وخيبةٍ وتزاحِ
لا لذنبٍ اتيتهُ غير انَّ الـفضل لم تلقهُ قرينَ نجاحِ
واذا ما الصلاحُ فيكم فسادٌ ففسادي الذي لديكم صلاحي

وكانت وفاتهُ بالطاعون سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧ م) وانشد قبل وفاتهِ:

اسفي على فصلٍ قضيتُ ولم اكن | ابصرتُ عارفَ حقهِ فيبينُ
ومن العلوم الغامضات ورمزها | أملي قضيتُ وللفنونِ ديونُ
واخذت في كفني علوماً لم اجدْ | مستودعاً هي في الدفين دفينُ

(عبد الحميد الموصلي) هو عبد الحميد ابن الشيخ جواد الموصليّ الشهير بابن الصبّاغ احد شعراء العراق الذين شرّفوا تلك الاصقاع بآدابهم. وشعرهُ رقيق لكنّهُ مفرّق لم يُجمع في ديوان. فمن قولهِ ابيات كتبها الى الشاعر بطرس كرامة والتزم في كل صدورها واعجازها تاريخاً للسنة المسيحيَّة ١٨٤٤ الّا المصراع الاخير فجعلهُ تاريخاً هجرياً هذا مطلعهُ:

بعثنا اليكم بنتَ رمزٍ من الفكرِ | دعاها جوًى أعطتْ بهِ خالصَ الشعرِ
امنتم صروعَ الدهر من قيد حادثٍ | شهدتم هلال الافق من كامل الشهرِ
ميامن ترعى بطرساً في كرامةٍ | الى غاية الدنيا الى اوحد الدهرِ
هديتم بنور الرب باباً فأرّخوا | هو الله لا ما زلّ من مشرق الفجرِ

فاجابهُ بطرس كرامة برسالة طويلة نظماً ونثرًا افتتحها بقولهِ:

عشقتُكم من قبل لقياكُمُ | وكلُّ معشوقٍ بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ | لكنّها من نورها تُعرفُ

وقال الشيخ عبد الحميد يمدح الشيخ ناصيف اليازجيّ من قصيدةٍ:

كبشُ الكتائب والكتّاب وانهُ | بالنحر ينطحُ هامةَ ابن خروفِ
متوقد الافكار يوشك في الدُّجى | يبدو لهُ المستورُ كالمكشوفِ
فطنٌ تمنطق بالفصاحة وارتدى | جلبابَ علم النحو والتصريفِ

الى ان ختمها بقولهِ وفي البيت الاخير تاريخ السنتين الهجريَّة والمسيحيَّة (١٢٦٤— ١٨٤٧):

لا زال محفوفاً بحظٍ وافرٍ | والحظُّ مثل الخطّ بالتصحيفِ
فيهِ صفا عبد الحميد مؤرخاً | ناهيتُ نظمي في مديح نصيفِ

ولهُ مخمساً لقصيدة الشيخ ناصيف المهملة فجعل تخميسهُ مهملًا كقصيدة الشيخ:

عدوّ المرء اولادٌ ومالُ لواسمهم اساودها صِلالُ
أُحاول مأمولهم وهو المحالُ لاهل الدهر آمالٌ طوالُ
واطماعٌ ولو طال المطالُ

ومنها
مرور العمر من مرّ كل حالِ وامرُ الله دمَّر كلّ حالِ
سرورك والهموم دلاءُ دالِ كرورُ الدهر حوّل كل حالِ
هو الدهر الدوام له محالُ

وكانت وفاة الشيخ عبد الحمد ابن الصبّاغ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) فرثاهُ الشيخ اليازجي بقصيدة جميلة استهلّها بقولهِ :

لا عين تثبت في الدنيا ولا اثرُ ما دام يطلع فيها الشمس والقمرُ

الى ان قال :

قد كنت انتظر البشرى برؤيتهِ فجاءني غير ما قد كنت انتظرُ
ان كان قد فات شهدُ الوصل منهُ فقد رضيت بالصبر لكن كيف اصطبرُ
أحبُّ شيءٍ لعيني حين اذكره دمعٌ واطيب شيءٍ عندها السهرُ
هذا الصديق الذي كانت مودّتهُ كالكوثر العذب لا يغتالها كدرُ
لا غرو أن احزن الزوراء مصرعهُ فحزنهُ فوق لبنانٍ لهُ قدرُ

فاستحسن اهل بغداد هذه الرثية وقرّظها السيد شهاب الدين العلويّ بابيات منها :

وافت فعرّت بتأساءٍ وتعزية عليهما يحسد الاحياء من قُبروا

وارّخها بقولهِ :

أسديتَ سلوة محزونٍ مؤرّخةً اسدى رثاه بهِ السلوان والعبرُ

(عبد الجليل البصري) هو السيد عبد الجليل بن ياسين البصري ينتهي نسبهُ الى علي ابن ابي طالب ولد في البصرة سنة ١١٩٠ (١٧٧٦ م) ثم ارتحل منها الى الزُّبارة فسكنها حتى استولى عليها صاحب الدرعيّة ابن السعود فسار الى البحرين وسكن بها الى سنة ١٢٥٩ (١٨٤٣ م) ثم استوطن الكويت وتوفي هناك سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤ م) . واشتهر عبد الجليل بالحلم والكرم وكان ذا ادبٍ وعلم كما يشهد عليهما ديوان شعرهِ الذي طُبع سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣ م) في بمبي (ص ٢٨٠) . واوّل نظمهِ ابيات قالها مؤرخاً مولد ابنهِ عبد الوهّاب سنة ١٢١١ (١٧٩٦) :

حمدتُ الله إذ اسدى بفضلٍ وآلاءٍ تسامت أن تُضاهى
كريمٌ مَن فيمن فيهِ اضحت رياضُ القلب مخضرًا رباها
وطاب العيشُ وانكشفت همومٌ كذاك النفس منتفيًا عناها
فيا من قد مَننت بغير منٍّ بمن ساد الورى فخرًا وجاها
أدِمني فيهِ مسرورًا دوامًا وفيهِ العينُ قر بها كراها
ووفّقهُ لما ترضى وجنّبْ هوى الاهواء واحفظ من غواها
وخيرُ الفالِ قد أرّختُ لابني بطلعتهِ بشيرُ السعد باها

وقال على لسان فقيرٍ من ابناء السبيل طلب منهُ ابياتاً يترزّق بها:

يا ماجدًا ساد عن فضلٍ وعن كرمٍ وهمّةٍ بلغت هامَ السماك عُلا
يا من اذا قصد الراجي مكارمهُ نال الاماني وبرًّا وافرًا عجلا
انّا قصدناك والآمالُ واثقة بانّ جودك ينفي فقر من نزلا
جئنا ظماء وحسنُ الظنّ اوردنا الى معاليك لا نبغي بها بدَلا
لقد اضرّ بنا جورُ العداة وما اودى بنا الدهر يا بؤس الذي فعلا
عسرٌ وغربةُ دارٍ ثم مسكنةٌ وذلّةٌ وفراقٌ قاتلٌ وبَلا
نشكو الى الله هذا الحال ثم الى ندبٍ جوادٍ يفيد القاصدَ الأملا
عسى نصادف من حسناك مرحمةً تحوي رفدًا لنا اذ نقطع السُبلا
واغنم بذلك منّا خيرَ أدعيةٍ يرفعها قلبُ عافٍ بات مبتهلا
لا زلت تولي جميلًا كلّ ذي املٍ في رفعةٍ ونعيمٍ دام متصلا

ولهُ يذمُّ الغيظ ويعدّد مساوئه:

للغيظ آفاتٌ يضيق بها الفتى فاذا استطعتَ لهُ دفاعًا فاجهدِ
منها حجابُ الذهن عن ادراكهِ امرًا تحاولهُ كأن لم يعهدِ
وبهِ يُرى الفطِنُ اللبيبُ كأنهُ مما بهِ المعتوه او كالأبلهِ
وبهِ الحليم الى الجهالة صائرٌ ويحدُّ عنهُ بهِ منارَ السؤددِ
وبهِ يُسيء لدى الورى اخلاقهُ حتى يُقال لهُ لئيمُ المحتدِ
لا يرعوي لصحيح قول نصيحةٍ ويرى النصوح كخائنٍ ومفنّدِ
من حبّ طبٍ بما تناولَ عامهُ وخو النباهة يقتدي بالمرشدِ

وقد سبق لنا حكم السيّد عبد الجليل البصري لبطرس كرامة على الشيخ صالح التميمي ورويناً ابياتاً من قصيدتهِ في مدح الشاعر النصراني فراجعها (ص ٦٤)

(الشيخ عبد الفتاح شوّاف زاده) اخذ العلوم الادبية عن الشهاب الالوسي حتى صار من افضل الادباء. صنّف تعليقات على كتب عديدة وقد كتب ترجمة شيخهِ

الالوسيّ في جزئين كبيرين ودعاهُ حديقة الورود في ترجمة ابي الثناء شهاب الدين محمود وضمّنهُ دقائق ادبيّة ومسائل علميّة. توفي سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥ م). واشتهر بعدهُ اخوهُ الشيخ عبد السلام ووضع تصانيف عديدة منها كتاب في المواعظ وانتهى اليهِ علم الفقه والحديث. ولا نعرف سنة وفاتهِ

(السيد عبد الفتاح السافيّ) هو الشيخ محمّد امين الشهير بالواعظ. كان ذا خبرة تامّة بالمسائل الشرعيّة ونال من فنّ الادب باوفر نصيب. وكان ماهرًا في انشاء الصكوك ودرّس مدّة في المدرسة الخاتونيّة. وصنّف عدّة مصنّفات كمنهاج الابرار ونظم التوضيح. وكان لهُ النظم اللطيف منهُ قولهُ في مدح السيد محمود الالوسيّ مخمساً:

يا سائلي عن بحر علمٍ قد طما بعلومهِ يروي العطاش من الظما
ان قلتَ صفْ لي مَن نداك توسما انّ الشهاب ابا الثناء لقد سما
قدرًا على اقرانهِ من أوْجهِ
سعد السعود ببابهِ متقاعدًا والمشتري برحابه متعاقدًا
لا تنكرنَّ لأنسهِ يا جاحدًا ما زارني الّا حسبتُ عطاردًا
في الدار أمسى نازلًا من أوْجهِ

وتوفي سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦) فقال السيّد عبد الغفار الاخرس فيهِ رثاءٍ ختمهُ بهذا التاريخ:

بكى العلم والمعروف أرّخ كليهما بقبرٍ ثوى فيهِ الامين محمّدُ

(السيد محمد سعيد) كان ابوهُ محمد امين الشهير بالمدرّس يعلّم في بغداد العلوم اللسانيّة ووضع فيها بعض المصنّفات فلمّا توفي سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) خلفهُ ابنهُ السيد محمد وقُلد عدّة مناصب كالنيابة والافتاء. ثم انفصل وبقي مشغولًا بالتدريس الى سنة وفاتهِ ١٢٧٣ (١٨٥٧ م) وتآليفه منها نحويّة ومنها شرعيّة. وصفهُ السيد نعمان افندي الالوسيّ بقولهِ: «انه كان ذا تقوى وديانة وعفّة وصيانة لا يغتاب احدًا ولا ينمُّ على احد ابدًا وكان بشع الخطّ حديد المزاج كثير الوسواس عيّ الكلام.. وكان كثير الصدقات على اليتامى والارامل». ولما مات رثاه السيد عبد الغفار الاخرس بقولهِ:

في رحمة الله حلَّ شيخٌ وجَنَّةٍ دارُها الخلودُ
تفيضُ من صدرهِ علومٌ وقد طمى بحرُها المديدُ
ولم يزل ميّتاً وحيّاً من علمه الناسُ تستفيدُ
سار الى ربّهِ غيرَ فانٍ بالعزّ وهو العزيزُ الحميدُ
ومذ توفاهُ قلتُ أرّخ مضى الى ربّهِ سعيدُ

(عبد الباقي العمري الفاروقيّ) هو اديب العراق عبد الباقي بن سليمان بن احمد العُمَريّ الفاروقيّ الموصلي ولد في الموصل سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) انتهت اليهِ رئاسة الشعر والادب في وطنهِ. تغذّى منذ صغرهِ لبان العلم. وانتدبتهُ الحكومة السنيّة وهو ابن عشرين الى منصب كتخدا ووكيل الوالي فرافق قاسم باشا وعلي باشا الى بغداد وقام باعباء رتبتهِ اتمّ قيام وكذلك سار بالعساكر الشاهانيَة الى قبيلتي الزُكرت والشمرت في النجف فقصّ جناح الفتنة بينهما بحسن درايتهِ وعاد الى بغداد مقروناً باليُمن والاسعاد ونال الحظوة من الدولة العليّة. ثمّ انقطع الى الكتابة والآداب فشاع نثرهُ الرائق وشعرهُ الفائق فألّف التآليف التي احرز بها قصب السبق في مضمار ادباء العراق وفاز بين فصحائهم بالقدح المعلّى. وكانت وفاته سنة ١٢٧٨ (١٨٦١) قيل انهُ أرّخ نفسهُ في عام مماتهِ ببيتٍ كُتب على قبرهِ:

بلسانٍ يوحّدُ الله أرّخ ذاقَ كأسَ المنون عبد الباقي

امّا تآليفهُ فكلّها ناطقة بفضلهِ وتوقّد فهمهِ منها ديوان اهلّة الافكار في مغاني الابتكار وكتاب نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر وكتاب الباقيات الصالحات وكتاب نزهة الدنيا اودعهُ تراجم بعض رجال الموصل في القرن الثاني عشر والثالث عشر. ولهُ ديوان شعر يسمّى بالترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي طُبع مرّة بمطبعة حسن احمد الطوخيّ سنة ١٢٨٧ بمصر في ٣٣٦ صفحة ثم اعاد طبعهُ الشيخ عثمان الموصليّ بعد توسيع ابوابهِ وتكملتهِ سنة ١٣١٦ في ٤٥٦ صفحة. وها نحن نذكر بعض نُتفٍ من شعرهِ تنويهاً بعلوّ مقامهِ في الآداب قال يؤرّخ جلوس السلطان عبد العزيز واجاد:

للتلغراف الفضلُ اذ جاءنا يقول بُشراكم بلفظٍ وجيزْ
قد أحرزتْ ملّتكم ارّخوا عزًّا بظلّ الله عبد العزيزْ (١٢٧٧)

وقال في التشبيه:

كأنَّ ضوءَ البدرِ في دجلةَ حين يشرقُ
والموجُ في اثنائهِ منهُ العُبابُ يخفقُ
قراضةٌ من ذهبٍ طفا عليها الزئبقُ

وقال في فتح الدولة العليّة لحصن سِيوَسْتُبول مع الدولتين الفرنسويّة والانكليزيّة:

اقول للدُوَل المنصورِ عسكرُها … لا زال عسكرها بالله منصورا
لمَّا اتّفقتم على صدق المحبّة في … ما بينكم واتحدتم صرتمُ سُورا
بسطوة دعتِ الاطوادَ راجفةً … دمّرتمُ محصنات الروس تدميرا
مدافعٌ غطّتِ الدنيا غمائمها … فغادرت صبحَ يوم الحرب ديجورا
افواهها دلعتْ للنار ألسنةً … فقرّرت دَرْس ملك الروس تقريرا
رعدٌ وبرقٌ وغيمٌ من سدًى ولظًى … ومن دخان اعاد الكونَ ممطورا
أقلّهم فرَّ لمَّا فرَّ اكثرهم … لكونهِ بات مقتولًا ومأسورا
والسيف غنّى على هاماتهم طربًا … حتى حسبناهُ فوق الغصن شحرورا
غادرتمُ البرَّ بحرًا يستفيضُ دمًا … والبحرَ برًّا على الأشلاء معبورا
سيوَسْتُبول التي اعيتْ معاقلُها … سخَّرتمُ حصنَها أرّختُ تسخيرا (١٢٧١هـ)

ولهُ مشطرًا ابياتًا منسوبةً لابي نصر الفارابي الفيلسوف الشهير:

(كمِّلْ حقيقتك التي لم تكملِ) … وعن ارتكاب النقص كُن في معزلِ
وابغِ لنفسك ما ترقّيها بهِ … (والجسمَ دعهُ في الحضيض الاسفلِ)
(أتكمِّل الفاني وتترك باقيًا) … تكميلهُ اولى بحقِّ الاكملِ
فهو الذي لا ينبغي لك تركهُ … (هملًا وانتَ بأمرهِ لم تحفلِ)
(فالجسمُ للنفس النفيسة آلةٌ) … تقضي المرامَ بها اذا لم تكسلِ
ولكم عليها من حقوقٍ للعلا … (ما لم تحصّلها بهِ لم تحصلِ)
(يفنى وتبقى دائمًا في غبطةٍ) … ان وفّقتْهُ ودولةٍ لم تنقلِ
وسعادةٍ ابديةٍ لا تنقضي … (او شقوةٍ وندامةٍ لا تنجلي)
(أعطيتَ جسمك خادمًا فخدمتَهُ) … وأحلّتَ حكم معزّزٍ لمذلّلِ
وجعلتَ من هو فوقهُ من دونهِ … (أتملّك المفضولَ رقَّ الافضلِ)
(شركٌ كثيفٌ انتَ في حبلانهِ) … قيدُ الحياة اسير قيدٍ مثقلِ
منهُ وانت بهِ بأيّةِ حيلةٍ … (ما دام يمكنك الخلاصُ فعجّلِ)
(من يستطيع بلوغَ اعلى منزلٍ) … متدرّجًا فوق السماك الاعزلِ
ويرى الثريّا تحت أخمص رجلهِ … (ما بالهُ يرضى بأدنى منزلِ)

ولعبد الباقي الفاروقيّ مع ادباء زمانهِ مراسلات لطيفة فمدحوهُ ومدحهم بقصائد

لا تحصى لا يسعنا ذكرها وكثيرٌ منها يتضمَّن الطُرَف المستطرفة ونكتفي بذكر بعض ابيات قالها في تقريظ مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجيّ اولها:

غُرَرٌ أم دُرَرٌ مكنونةٌ　　في عُباب البحر بين الصدَفَيْن

الى ان قال:

قد أتتني تتقاضى دَينَها　　فوفتْ للمجد عني كلَّ دَين
بمزاياها العقولُ ارتسمتْ　　فمحتْ عن عين عقلي كل غَين
وتجلَّت صُور العلم بها　　فجلت عن كل قلب كلَّ رَين
وعلى الاحسان والحسن معاً　　طُبعت والطبع مشغوفٌ بذَين
رحتُ من راحةِ معناها ومن　　روح مبناها حليفَ النشأتين
يا لسِفرٍ اسفرتْ الفاظُها　　بين أُفقيه سفورَ النيّرين
يا لهُ قاموس فضلٍ قد طوى　　مجمع البحرين بين الدفّتين

وكان مدحهُ سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) بقصيدة بائيَّة يقول فيها:

أبلى النوى جسدي النحيفَ كأنني　　قلمٌ بدا بيدَيْ نصيف الكاتبِ
حَبرٌ حلا في حِبرهِ قرطاسُهُ　　كالتبر لمّا لاح فوق ترائبِ
فسطورهُ وطروسهُ في حسنها　　حاكت سماءً زُيّنت بكواكبِ

وختمها بقولهِ:

لو قمتُ طول الدهر انشد مدحهُ　　بين الانام فلم أقُم بالواجبِ
وبمدحهِ العُمَريُّ آبَ مؤرخاً　　ترتيب مدحي في نصيفِ الكاتبِ

فقال الشيخ ناصيف مجيبهُ بقصيدةٍ من البحر والقافية:

احسنتَ في قولٍ وفعلٍ بارعاً　　وكلاهما للنفس اكبرُ جاذبِ
انتَ الذي نال الكمال موفَّقاً　　مِن رازقٍ مَن شاء غير محاسَبِ
فاذا نظمت فانتَ ابلغ شاعرٍ　　واذا نثرتَ فانت افصح خاطبِ
واذا نظرتَ فمن شهابٍ ثاقبٍ　　واذا فكرت فمن حسامٍ قاضبِ
هذا رسولٌ لي اليك وليتني　　كنتُ الرسولَ لها بعرض نائبِ

ومن اقوال الفاروقي وصفهُ للتلغراف:

خطّ التلغراف حروفُ جرٍّ　　يجيء بها من الفور البعيدِ
ويلفظها بغير فمٍ ولكن　　بالسنةٍ حدادٍ من حديدِ

هذا وقد اشرنا سابقاً الى قصيدته الخاليَّة التي عارض بها خاليَّة بطرس كرامة

تجدها في ديوانهِ (ص ٢٤٧ — ٢٤٣) من الطبعة الجديدة) فدارت بسببها المراسلات بين الشاعرين . وقد هنّأهُ بطرس كرامة برتبتهِ الكتخداويّة بقصيدة مطوّلة يقول فيها:

الشاعر الفرد الذي اهدى لنا دُرَر البُحور نُظِمْنَ في الاوراقِ
درٌّ يجيدك ام حباك قلائدًا من شعرهِ العُمَريُّ عبد الباقي
جمعَ الفصاحة بالبلاغة مثلما قرن الحجى بمحاسن الاخلاقِ

وممن خدموا الآداب بين العراقيين غير المذكورين بعض اهل الفضل ممّن لم نعلم من احوالهم الّا النزر القليل فنثبت هنا اسماءهم تتمّة للفائدة فمنهم (الشيخ يحيي المروزيّ العمّادي) اصلهُ من العماديّة من قرى الاكراد قرب الموصل برّز في التدريس وصار عليهِ المعوّل في مذهب الامام ادريس وكان احد مشايخ الشهاب الالوسيّ الذي اثنى على زهدهِ وعلوّ نفسهِ وخصّهُ ببيتين قيلا في الشافعي:

عليَّ ثيابٌ لو يُباعُ جميعها بفلسٍ لكان الفلسُ منهنَّ اكثرا
وفيهنَّ نفسٌ لو تُباع بمثلها نفوس الورى كانت اعزَّ واكبرا

توفي الشيخ العمّادي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) . ومنهم (الشيخ احمد بن عليّ بن مشرف) كان اصلهُ من نجد فانتقل الى العراق وطار صيتهُ فيها ومات بعد السنة ١٢٥٠ وكان اعمى يحسن نظم الشعر فمن قولهِ في المدح ما انشد في آل مقرن:

ومهما ذكرنا الحيَّ من آل مقرنٍ تهلّل وجهُ الفخر وابتسم المجدُ
همُ نصروا الاسلام بالبيض والقنا فهم للعدى حتفٌ وهم للهدى جندُ
غطارفة ما إن يُنال فخارهم ومعشرُ صدقٍ فيهم الحدُّ والجدُّ

ومنهم (عبد الغنيّ بن الجميل) هو عبد الغني افندي الشهير بابن جميل . ولد سنة ١١٩٤ (١٧٨٠) واتقن الفنون العربيّة واتّسع في سائر العلوم . ورحل مرارًا الى دمشق الشام وصاحب فضلاءها كالشيخ عبد الرحمان الكزبري والشيخ حامد العطّار حتى فوّض اليهِ رضا باشا إفتاء الحنفيّة في بغداد ثم أُصيب ببعض الآفات والبلايا وتوفي ابن جميل سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢) ولهُ شعر طيّب كلّهُ في الحماسة فمن ذلك قولهُ:

أيذهب عمري هكذا بين معشرٍ مجالسهم عاقَ الكريم حلولُها

وابقى وحيدًا لا ارى ذا مودَّةٍ من الناس لا عاش الزمانَ ملولُها
وكيف ارى بغداد للحرّ منزلاً اذا كان مَغريُّ الاديمِ نزيلُها
فما منزلٌ فيهِ الدناءة بمنزلٍ وفي الارض للحرّ الكريم بديلُها

ومنهم (محمد الاخفش) هو محمد سعيد افندي البغداديّ الشهير بالاخفش. قرأ على العلّامة الالوسيّ وشرح الالفية في النحو للامام السيوطيّ. وكان محبًّا للاداب ولهُ شعر حسن اخذتهُ يدُ التلف وكان كثير المزاح واللطائف توفي سنة نيّف وثمانين بعد المائتين والالف (١٨٦٣). ومنهم الشيخ جمال الدين الكوّاز كان اصلهُ من الحلّة ويرتزق بحرفة الكوازة الّا انهُ كان مشغوفاً بالآداب خفيف الروح حسن المحاضرة ولهُ شعر كلهُ في الغزليّات وقيل انهُ نظم الشعر قبل البلوغ. توفي في الحلة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢). ومنهم (الشيخ عيسى البندبيجيّ) هو ابو الهدى عيسى افندي صفاء الدين البندبيجي اصلهُ من بندبيج على حدود بلاد العجم فسكن بغداد ودرس العلوم اللسانيَّة والفقهيَّة والادبيَّة حتى اشتهر فيها وكان ذا تقوى وصلاح ودرَّس زمناً في مدرسة داود باشا وجُعل رئيس المدرّسين. ومن تآليفهِ كتاب تراجم مَن دُفن في بغداد وضواحيها توفي سنة ١٢٨٣ (١٨٦٧)

﴿ أدباء المغرب ﴾ انَّ اخبار المغرب تكاد تكون مجهولة في اصقاعنا فدونك النزر القليل الذي امكننا جمعه من تراجم أدباء تلك الجهات

(سليمان الحرائري) هو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرائري الحسني ولد في تونس سنة ١٢٤١ (١٨٢٤) وأصلهُ من اسرة قديمة قدمت من العجم الى المغرب فدرس العلوم الدينيَّة في وطنهِ ثمَّ تفرَّغ لدرس اللغة الفرنسويَّة والعلوم الرياضية والطبيعيات والطب. وعُهد اليهِ تدريس الرياضيَّات في بلدهِ وعمرهُ ١٥ سنة ثمَّ اتخذهُ باي تونس كرئيس لكتَّاب ديوانه. وفي سنة ١٨٤٦ قدم الى باريس فصار احد اساتذة مدرسة لغاتها الشرقيَّة وكان يحرّر في جريدة عربيَّة هناك تُدعى البرجيس. ونشر فيها قسماً من سيرة عنترة. وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ثمَّ طبعها على حدة. وممَّا طبعهُ في تونس كتاب مقامات الشيخ احمد ابن محمد الشهير بابن المعظَّم احد ادباء القرن الثالث عشر للمسيح. ووصف معرض باريس سنة ١٨٦٧ في كتاب سماه عرض البضائع العام. ولهُ رسالة في القهوة دعاها « بالقول المحقَّق في

تحريم البن المحرّق، وعرّب الاصول النحويّة للغوي الفرنسوي لومون (Lhomond).
وكذلك وضع كتاباً في الطبيعيات والظواهر الجويّة لخّصهُ عن كتب الفرنج وسمّاهُ رسالة في حوادث الجوّ وطبعهُ سنة ١٨٦٢ في باريس. ولا نعرف تاريخ وفاة الجزائري ولعلّهُ مات بعد سنة ١٨٧٠ الّا ان تآليفهُ كلها قبل هذا العهد

(محمّد التونسيّ) هو محمّد بن عمر بن سليمان التونسي ولد سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وتخرّج على شيوخ الازهر في مصر ثمّ سافر الى درفور والسودان وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ: كتاب تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. وقد طُبعت هذه الرحلة على الحجر في باريس سنة ١٨٥٠ بهمّة المستشرق الفرنسوي پارون (Perron) الذي نقل مضامينها الى الفرنسوية وذيّلها بالحواشي. ولما عاد التونسيّ من رحلته خدم الآداب في مطبعة بولاق فتولى تصحيح مطبوعاتها توفي سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)

(محمود قبّادو) هو الشيخ السيد ابو الثناء محمود قبّادو الشريف. كلف باحراز الآداب فنال منها نصيباً وافراً. وكانت لهُ ذاكرة عجيبة لا ينسى شيئاً ممّا سمعهُ. قيل انهُ سمع يوماً رسالة افرنسيّة وهو لا يعرف تلك اللغة فاعادها بحرفها. وكان متضلعاً بكل علوم العرب لكنهُ برّز في الشعر وكان يقولهُ بديهياً. ولهُ ديوان شعر في جزئين جمعهُ تلميذهُ الشيخ عبده محمد السنوسيّ فطبعهُ في تونس (١٢٩٣ – ١٢٩٦). توفي السيد محمود ولم يدرك الخمسين من عمره نحو السنة ١٢٨٨ (١٨٧٠). وكان بينهُ وبين الكنت رشيد الدحداح صداقة ومراسلات. وقد روى لهُ الشيخ رشيد بعض الآثار الدالة على فضله من ذلك تشطيرهُ لقصيدة بشر بن عوانة في مبارزة الاسد بعد ان افتتحها بابيات حسنة يقول فيها:

أفاطمَ هل علمتِ مضاء عزمي ومطمح همّتي نخوًا وكِبرا
وَجُود يدي وإقدامي وبأسي ولا اعصي لباغي العُرف امرا
تلين لمن يسالمني قناتي وتصلب ان يَرُم ذو الغمز هصرا
واني لا اعدُّ الوفرَ ذخرًا ولكنّي اعدُّ الذكر ذخرا

ثم يليها التشطير الذي هذا اوّلهُ:

(افاطمَ لو شهدتِ ببطن خبتٍ) لهانت عندكِ الاخبارُ خُبرا

ولو اشرفتَ في جنح عليهِ (وقد لاقى الهزبرُ اخاكَ بشرا)
(اذا لرأيتَ ليثاً رام ليثاً) وكلٌّ منهما بأخيهِ مُغرى
يرى كلٌّ على ثقةٍ اخاهُ (هزبرًا اغلبًا لاقى هزبرا)
(تهذّس اذ تقاعس عنهُ مُهري) واقبل نحوهِ أُذنيهِ ذعرا
فكاد يريبهُ فيخال مني (محاذرةً فقلتُ عُقِرتَ مُهرا)...

ومن نظمهِ قصيدة دالية قالها تهنئة للسلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٦ (١٨٥٦) ضمّنها عددًا وافرًا من التواريخ وتفنن فيها على طرائق عجيبة. ومن مديحه قولهُ في الكنت رُشيد:

فيا مخبرًا لاحت بمرآة طبعهِ خبايا طباع الدهر فهي لهُ تبدو
بقيتَ رشيدًا طبق وسمك مرشدًا مُجيباً من كل الامور لك الرشدُ

أدباء النصارى

نذكر الذين اشتهروا من النصارى بخدمة الآداب العربيَّة في هذا الطور مدوّنين اسماءهم على توالي الزمان

(جبرائيل المخلّع) هو جبرائيل بن يوسف المخلّع ولد في دمشق في اواخر القرن الثامن عشر وتفقَّه في العلوم العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة ثمَّ سافر الى مصر وبقي فيها مدَّة يتنقَّل في دواوين الانشاء في الاسكندريَّة ثمَّ عاد الى دمشق ومات نحو السنة ١٨٥١. ومن مآثره ترجمة كتاب شهير عند العجم يسمَّى الجلستان اي روضة الورد لصلاح الدين السعدي. عرَّبهُ تعريباً متقناً بالنظم الرائق والنثر المسجع المنسجم ثمَّ طبعهُ سنة ١٨٤٦ في بولاق. وهذا مثال من ترجمتهِ (ص ٨٤):

(حكاية) نظرتُ اعرابياً في حلقة الجوهرية بالبصرة، وهو يقول: اسمعوا يا ذوي النقد والخبرة، كنتُ ضللتُ في الصحراء طريق الجواز، ولم يبقَ معي من معنى الزاد ولا المجاز، فايقنت بالهلاك، وسمحتُ لهُ بالفؤاد اذ ذاك، فبينا انا في البيداء اتلظّى الضرّ، واذا بي وجدتُ كيساً ممتلئاً بالدرّ، فلا انسى ما علاني من الفرح والمسرَّة، اذ توهَّمت ان أجد قمحاً مقلياً في تلك الصرَّة، فلمَّا تحقَّقتُ فيهِ وعاينتُ الدرّ والماس، دهشتُ من الغم الذي لا يبرح عن الفكر بحلول الياس

في يابس البيدِ او حرّ الرمال فما لظامئ القلب يُغني الماسُ والصدَفُ
العادم الزاد اذ تهوى بهِ قدمٌ لهُ استوى الذهبُ المكنوزُ والخزفُ

(حكاية) كان بعض العرب يُنشد من شدَّة الظما، وقد علا عليهِ حرُّ البادية وَحَمي:

يا ليت قبل منيَّتي يوماً افوزُ بمُنيتي
نهراً يُلاطمُ ركبتي وأظلُّ املا قُربتي

(حكاية) كذلك ضلَّ في قاع البسيطة بعض السفَّار، ولم يبقَ معهُ قوتٌ ولا قوَّة اقتدار، ما خلا يسيراً من الدراهم قد ادَّخره في وسطهِ ولم ينفقهُ في الضيق، ولا اهتدى بعد ان طاف كثيراً الى الطريق، فهلك بالمشقَّة، وبُعد الشقَّة، فرَّ عليهِ طائفة من الناس، فوجدوهُ قد وضع الدراهم عند الراس، وخطَّ على التراب من عدم القرطاس:

جميعُ نُضار الجعفريِّ لمن خلا عن الزادِ لا يغنيهِ شيئاً من الضرِّ
ومن يحترق في القفر فقراً فانهُ لهُ السلجمُ المطبوخُ خيرٌ من التبرِ

وفي تقريظ ترجمة هذا الكتاب قال شهاب الدين الشاعر المصريّ:

كواكبٌ اشرقت تزهو بانوارِ ام لاح لي روضُ ازهار وانوارِ
كلَّا بل اللآلئُ اللؤلؤيُّ بدا منهُ بدائعُ اسجاعٍ واشعارِ
زهتْ معاني جلستانَ البديعةُ في ما صاغ من عربيِّ اللفظِ للداري
لاغرو أن جاء جبريلُ الكريمُ بما مقروهُ حيثُ يُتلى يعجب القاري
معرَّبٌ عبَّرت عنهُ براعتهُ عبارةٌ اظهرتهُ ايَّ اظهارِ
منثورهُ دررٌ في سمطهِ نُظمت نظماً بلاغتهُ جاءت باسرارِ
واذ زها حسنهُ بالطبع مبتهجاً أرَّختُ ازهى بهيجٌ روضَ ازهارِ

(مارون النقَّاش) هو مارون بن الياس بن مخائيل النقَّاش ولد في صيدا سنة ١٨١٧ ثم انتقل مع والدهِ الى بيروت وانكبَّ على درس اللغات والآداب العربيَّة حتى حذق فيها واخذ عن المرسلين اللاتينيين مبادئ اللغتين الفرنسوية والايطاليَّة. وكان مارون مع سعة علمهِ فاضلاً تقياً متشبثاً بالدين مثابراً على تعاليمهِ وقد جعلتهُ الحكومة السنية باشكاتباً لدواوين (كمارك) بيروت وملحقاتها. ثمَّ تجوَّل مدَّة في القطر المصري واجتمع بادبائهِ ثم ساح في انحاء اوربا ورجع مغرًى بفنّ التمثيل فعرَّب عدَّة روايات وسعى بتشخيصها وكان اول من مهَّد الطريق لهذا الصنف من الملاهي في هذه البلاد. وقد طبع بعد وفاتهِ اخوهُ نقولا المحامي الشهير قسماً من رواياتهِ في كتاب سمَّاهُ ارزة لبنان يحتوي روايات البخيل والمغفَّل والحسود حذا فيها مارون حذوَ الراوية موليار الفرنسويّ واودعها كثيراً من العادات الشرقيَّة. وجاراهُ في عملهِ اخوهُ نقولا المذكور وسليم ابن اخيهِ خليل فراجت بذلك سوق الروايات ويا ليتها كسدت مع كثرة مضارّها وقلَّة من يراعون فيها الآداب الصالحة. ثمَّ سافر مارون

النقّاش الى طرسوس للمتاجرة وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٨٥٥ فقال اخوهُ نقولا يرثيه :

بدرٌ هوى لا بل ذوى غصنٌ وذا مرقدهُ
نقّاشُ علمٍ سيّد العلم ارتقى يسعدهُ
يا رحمة المولى على مارونا تعضدهُ
ويصبُّ هاطل غيثها أرّخ وتتعمدهُ

ثمَّ نقلت بعد ذلك رفات المرحوم الى بيروت ودفنت فيها سنة ١٨٥٦ فقال شقيقهُ :

ناديتُ مذ عاد سؤلي منتهى الامل طرسوسُ لا ناقتي فيها ولا جملي
عودًا كبدرٍ تولّاهُ الخسوف لذا ها قد أرّختُ سناهُ غير مكتملِ

وكان مارون صديقاً للشيخ ناصيف اليازجي يتناوبان على الرسالات الوديّة الادبية منها رسالة وجّهها الشيخ ناصيف الى مارون اذ كان في طرسوس اوّلها :

ماذا الوقوفُ على رسوم المنزل هيهات لا يجدي وقوفك فارحلِ

قال فيها :

يا ايها النحريرُ جهبذَ عصرهِ مالي ابثّك علمَ ما لم تجهلِ
انّ المقدّمِ للحكيم افادةً كمقدّمٍ للشمس ضوءَ المشعلِ
بُعْدَ المزارُ على مشوقٍ لم يكن يشفى على قرب المزار الاولِ

وختمها بقولهِ :

ان كان قد بَعُدَ اللقاءُ لعلّةٍ فابعث اليَّ بلهنةِ المتعلّلِ

فاجابهُ مارون بما مطلعهُ :

وردت اليَّ من المقام الافضلِ غررُ الوشاح من الطراز الاولِ

الى ان قال :

يا من اذا سمح الزمان بنعمةٍ ابقاك نورًا في الظلام لينجلي
كلُّ الرجال اذا مضوا يُرجى لهم بدلٌ سواك فلست بالمُستَبدَلِ
جاريتني فقصرتُ دونك همّةً حتى عجزتُ فقد يحقُّ العذرُ لي
انّ الضعيف مقيّدًا بلسانهِ مثلُ الاسيرِ مقيّدًا بالارجلِ

فلما نُعي الى الشيخ صديقهُ بعد لشهرٍ نظم في رثائهِ قصيدتين من اجود مراثيه

قال في الواحدة:

مات الحبيبُ الذي مات السرور بهِ | من القلوبِ وعاش الحُزن والضَرَمُ
قد كنت اشكو بعاد الدار من قِدَمٍ | فحبَّذا اليوم ذاك البعدَ والقدَمُ

ومنها:

ايُّ الفضائل ليست فيك كاملةً | وايُّ عيبٍ تراهُ فيك يُتَّهمُ
فيك التُّقى والتقا والعلم مجتمعٌ | والحلم والحزم والاحسان والكرمُ
نرثيك بالشعر يا نقَّاشَ بردتهِ | والشعرُ يرثيك حتى تنفذ الكلِمُ
تبكي عليك القوافي والمحابر وا | أقلامُ والصحفُ والاراءُ والهمَمُ
وكلُّ ديوانِ شعرٍ كنتَ تنظمهُ | وكلَّ ديوانِ قومٍ فيكَ ينتظمُ

وفي ختامها:

ان كنتَ قد سرتَ عن دار الفناء فقد | نلتَ البقا حيث لا شيبٌ ولا هرمُ
انَّ السعيد الذي كانت عواقبهُ | بالخير في طاعة الرحمان تُختتَمُ

ومما قال في المرثاة الثانية:

الموت يختار النفيس لنفسهِ | منَّا كما نختار نحن فما اعتدى
قد نال منَّا درَّةً مكنونة | كانت لبهجتها الدراري حُسَّدا
كنزٌ ذخرناه لنا فاغتالهُ | لصُّ المنيَّة خاطفاً متمرِّدا

وختمها بهذا التاريخ:

لو غبتَ عن نظرٍ فقد خلَّفت بالتـاريخ ذكرًا في القلوب مخلَّدا

وكذلك رثاهُ الشاعر المفلق اسعد طراد بقصيدة طنَّانة اولها:

دهرٌ يغرُّ فخذ من دهرك الحورا | أما تراه يريك العُجب والعبرا

وختمها بتاريخ هذا منطوقهُ:

لو غاب قُلْ في السما تاريخهُ سيُرى | فانهُ في نعيم الله قد حضرا

ولمارون النقاش ما خلا رواياتهِ قصائدُ متفرقة وفقرات ورسائل جمع اخوهُ قسماً منها في آخر كتاب ارزة لبنان منها منظومة في نحو مئتي بيت في علم العروض والقوافي. ومن نظمهِ قصيدة قالها في الشاعر الفرنسوي دي لامرتين لما احتلَّ الربوع السوريَّة دعاها كوكب المغرب. ومنها ايضاً قصيدة تهنئة رفعها الى سعيد باشا خديوي مصر سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) اولها:

لسعد سُعود مَن سلفوا حدودُ وسعدُ سعيدِ مصرَ لهُ خلودُ
اتاه النيلَ معترفاً بفضلٍ لهُ اذ فاضَ من كفّيهِ جودُ
فهذا حكمهُ مدٌّ وجزرٌ وهذا حلمهُ طامٍ مديدُ
فقد بلغت مناقبهُ كمالاً ومهما ازداد مدحاً لا يزيدُ

وكتب من الاسكندرية مجيباً على قصيدة للخوري يوسف الفاخوري معلمه :

هل هلالٌ هل ام اهلُ الكرمْ نثروا التبر على خط القلم

الى ان قال :

أيْ ابي الروحي ولولا لائمي قلتُ مَن يشبهْ اباه ما ظلمْ
فهو بحرٌ نلت من فيضانهِ وانا تلميذ ذيّاك العلَمْ
مخزنُ العلم وفي تدريسهِ معدن الحلم وكلّيّ الهمم
قد كساني ثوب تعليم بما فتح الله عليهِ وقسمْ
لست انسى جودهُ حاشا ولم انسَ اياماً تقضّت في نعم

والمرحوم عدّة تواريخ منها تاريخ على لسان اسعد ابن اخيهِ حبيب ومات صغيراً سنة ١٨٤٢ :

اني هلالٌ قد دنوتُ من الثرى قبل أن أتمَّ فهكذا ربي امر
لكن لعمري لم اغب عن منزلي الّا لاشرق في النعيم كما القمر
وكما روى النقّاش نقّش تأرُخي لأفوز اسعد بالسعادة عن صغر (١٨٤٢)

ومنها قولهُ مؤرخاً لوفاة البطريرك يوسف الخازن وارتقاء خلفهِ غبطة السيد بولس مسعد سنة ١٨٥٤ :

في افق كرسي انطاكيةٍ عجبٌ بدرٌ توارى وبدرٌ فوق سدّتهِ
ان غاب ذاك واضنانا بغيبتهِ فناب هذا واشفانا بنوبتهِ
دعا الاله لذاك المرتقي خلفاً ارّخت بولس مختارٌ لدعوتهِ (١٨٥٤)

(ابرهيم بك النجار) وهو المعروف بابرهيم افندي ولد في دير القمر سنة ١٨٢٢ كان رجلاً هماماً محباً للاداب منذ نعومة اظفارهِ فلما قدم لبنان الدكتور الفرنسويّ كلوط بك رئيس اطباء العساكر المصرية سنة ١٨٣٧ نال من محمّد علي باشا بان يُدخله مع غيره من السوريين في مدرسة القصر العيني في مصر فتلقّى فيها الدروس الطبيّة ونال الشهادة المؤذنة ببراعتهِ سنة ١٨٤٢ ثمَّ سافر الى الاستانة العليّة ودرس على اساتذتها المتطببين وبقي مدّة هناك يتعاطى مهنتهُ فاصاب شهرةً عظيمة حتى

عيّنتهُ الدولة العليّة كطبيب اول للعساكر الشاهانيّة في مارستان بيروت العسكري. وفي سنة ١٨٤٦ تجوّل في انحاء اوروبة وطبع في مرسيلية سنة ١٨٥٠ كتابهُ «هديّة الاحباب وهداية الطلّاب» في المواليد الثلاثة وملخص العلوم الطبيعية ثمّ عاد الى بيروت ومعهُ ادوات طبعيّة فانشأ مطبعتهُ الشرقيّة (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠]: ١٠٣٢) نشر فيها تاريخ رحلتهِ الى مصر واعقبها بتاريخ السلاطين العظام (سنة ١٢٧٢–١٢٧٥هـ — ١٨٥٥–١٨٥٨م) وسمّاهُ مصباح الساري ونزهة القاري فقرّظهُ مفتي زاده السيد محمّد مفتي بيروت بقوله:

جزا الله المؤلّفَ كلَّ خيرٍ لهذا العقد في جيد الحسانِ
امصباحٌ بدا ام بدرُ سارٍ بافق سما البلاغةِ والمعاني

ومن حسن مساعي ابراهيم بك انهُ عُني باستجلاب ادوات الطباعة لدير طاميش سنة ١٨٥٥ كما ذكرنا سابقاً (المشرق ٤ [١٩٠١]: ٤٧٣). وكان للمترجم شعرٌ قليل منهُ قولهُ في مدح السلطان عبد المجيد:

ملكٌ اضا على الانام ببسعةٍ احيا الزمان بها فاتَ الجُسَدُ
حزمٌ وعدلٌ رحمةٌ وطلاقةٌ حلمٌ وبذلٌ غيرةٌ لا تُجحَدُ
دانت لباب جلالهِ امم الورى فغدت بشوكتهِ تسرُّ وتسعدُ
خضع السدادُ لحزمهِ وبعزمهِ هزم العدى بالسيف حيث يُجرّدُ
فاذا الخطوبُ تجمّعت قالوا لها عبدُ المجيد فانها تتبدَّدُ
واذا تصوَّر في الدجنّة ذاتهُ لاح الصباح ونوره يتوقّدُ

وتوفي ابراهيم بك بعزّ كهولتهِ في ١٢ ايلول سنة ١٨٦٤ . وكان المذكور قليل الدين في حياتهِ الا انهُ قبل وفاته انعم الله عليهِ بالارتداد الى التوبة على يد المرحوم الخوري جرجس فرج فقال الشيخ ناصيف اليازجي يرثيه:

ضاق الرثاء بنا من فرط ما اتّسعا كالماء طال عليه الورد فانقطعا

ومنها:

قد كان في طبّهِ للناس منفعةٌ فاذ اتى الموت ذاك الطبُّ ما نفعا
وكان يبري من الناس الجراحَ فهل يبري جراحَ فؤادٍ بعدهُ انصدعا
سارت الى الله تلك النفس تاركةً جسماً يُرى في تراب الارض مضطجعا
كلٌّ الى اصلهِ قد عاد منقلباً فانحطّ هذا وهذا طار مرتفعا

(طنوس الشدياق) هو الشيخ طنوس بن يوسف بن منصور الشدياق ولد في اوائل القرن التاسع عشر في الحدث من سلالة قديمة اصلها من حصرون يُعرف نسبها من القرن السادس عشر. درس طنوس مع اخوتهِ في مدرسة عين ورقة وتعاطى التجارة مدّة ثمّ انقطع الى خدمة الامراء الشهابيين فارسلوهُ الى عكا ودمشق وقام باعباء خدمتهِ بكل نشاط وأُقيم بعد ذلك قاضياً على النصارى في لبنان . وقد اشتهر طنوس بمعارفه التاريخية . وكان كلفاً بتاريخ لبنان فصنَّف كتابهُ المسمّى باخبار الاعيان في تاريخ لبنان جعلهُ ثلاثة اقسام في جغرافيَّة لبنان ثم في انساب اعيانهِ ثمَّ في اخبار ولاتهِ وقد راجع في تأليف كتابهِ عدَّة مخطوطات سرد اسماءها في المقدّمة . وهو ادقّ واضبط ما وضع الى يومنا لا سيما في تاريخ الازمنة الاخيرة وساعدهُ في تهذيبهِ وتنقيحهِ ونفقات طبعهِ المعلم بطرس البستاني . وكان نجازهُ سنة ١٨٥٩ بعد شغل نحو خمس سنوات وانما نقصته فهارس للاستدلال على مضامينه . وقد عُرف صاحب هذا الكتاب بتجردهِ عن الاغراض كما قال:

خلا تاريخنا من كل ميلٍ ومبنٍ بين اخبار الزمانِ
وجاء بعون مولانا سديداً مفيداً ما لهُ في النفع ثانِ

توفي سنة ١٨٦١ ولهُ شعر لم يُطبع وكان شديد التمسك بالدين مستقيم السيرة محباً للصدق . وهو اخو فارس الشدياق لكنه لم يتبعه في ضلاله . وممَّا يُذكر من اثارهِ ايضاً انهُ كان يشتغل بمعجم الالفاظ العاميَّة ولم ينجزهُ (١

(ابراهيم العورا) هو ابن المعلم حنا العورا الروميّ الملكيّ الكاثوليكيّ ولد في عكة في اواخر القرن الثامن عشر وتخرَّج بالاداب هو واخوه ميخائيل على ابيهما الذي خدم في ديوان انشاء محمد باشا الجزَّار ثمَّ في ديوان خلفهِ سليمان باشا . فبرع ابراهيم في الكتابة وضُمَّ الى كتَّاب ديوان الانشاء تحت نظارة والده وخالهِ ابراهيم نحَّاس وذلك سنة ١٢٢٩ (١٨١٤ م) . وكان مغرماً بتاريخ بلاد الشام يدوّن من حوادثها ما امكنهُ ثمَّ جمع ذلك في كتاب ضمنهُ تاريخ سليمان باشا وافتتحهُ بمجمل اخبار القرن الثامن عشر ثمَّ اتسع في تاريخ الاحوال التي جرت في آخر ايَّام الجزَّار

---

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG. IX : 269)

ولاسيما في عهد خلفهِ سليمان باشا الى وفاتهِ سنة ١٢٣٤ (١٨١٨) ولم يزل يحسّن هذا التاريخ ويهذّبهُ حتى اتمَّهُ سنة ١٢٦٩ (١٨٥٣) وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة منهُ وهو سفر جليل يحتوي اموراً عديدة وتفاصيل لا تكاد تجدها في غيرهِ روى اكثرها عن ادباء عصرهِ وعن معرفتهِ الخاصة مما عاينهُ بنفسهِ فزادت بذلك خطورتهُ. توفي ابراهيم العورا سنة ١٨٦٣ فكتب الشيخ ناصيف اليازجي هذا التاريخ على قبرهِ:

لا تجزعوا يا بني العوراء واصطبروا فمن ذخر لكم بالامس قد فُقدا
من فوقهِ احرف التاريخ ناطقةٌ في طاعة الله ابرهيمُ قد رقدا

(ناصيف المعلوف) هو احد الذين اشتهروا في هذه المدَّة بين نصارى الشرق بآدابهِ ومعارفهِ اللغويَّة. وقد مرَّ لهُ في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ٧٧٣ : ٨٤٧ الخ) ترجمة مطوَّلة بقلم الكاتب البارع عيسى افندي معلوف نقتطف منها ما يليق بالمقام. هو ناصيف بن الياس بن حنا المعلوف. كان ابوهُ في خدمة الامير بشير الشهابيّ يقطن مع اسرتهِ قرية زبوغا وفيها ولد ابنهُ ناصيف سنة ١٨٢٣ فسلمهُ ابونا الى بعض افاضل المعلمين من كهنة ومرسلين فانكبَّ على درس اللغات والعلوم بكل رغبة ثمَّ رافق التاجر الشهير يوحنا عرقتنجي في رحلتهِ الى ازمير سنة ١٨٤٣ واتمَّ هناك دروسهُ في مدرسة الآباء اللعازاريين واتقن اللغات التركيَّة واليونانيَّة الحديثة والافرنسيَّة والايطاليَّة حتى امكنهُ ان يصنف عدَّة كتب في كل هذه اللغات (اطلب قائمتها في المشرق ٨ : ١٠٤٩) لكنهُ برَّز خصوصاً في التآليف التركيَّة التي اقبل عليها المستشرقون وافاضوا في مدحها ونال بسببها الاوسمة الشريفة والامتيازات الخاصَّة. وبين تآليفهِ ما يشهد لهُ ايضاً بمعرفة آداب لغتهِ العربيَّة وحسن انشائهِ فيها وكان وجوه الاوربيين واعيانهم يحبون ان يتخذوهُ كترجمان في امورهم لكثرة آدابهِ وطلاقة لسانهِ في كل لغات الشرق. توفي ناصيف في وباء الهواء الاصفر في ازمير سنة ١٨٦٥

هذا ما امكننا جمعهُ من مآثر النصارى في تلك المدَّة ولا غرو انهُ قد فاتنا من اعمالهم شيء كثير كما اننا لم نذكر بعض الذين عُرفوا بآدابهم ولم يحفظ على الزمان الَّا القليل من كتاباتهم كالدكتور يوسف الجلخ الذي وردت لهُ بعض خطب في اعمال الجمعية السورية. توفي سنة ١٨٦٩ وقد جمعت في كرّاس المراثي التي قالها الادباء في وفاتهِ منها تاريخ للشيخ ناصيف اليازجي:

قِف عند تُربَة يوسف الجلخ الذي ما زال يغلبُ دينُهُ دنياهُ
ولذاك نال ختامَ خيرٍ فائزًا أرّخ برحمة ربّهِ ورضاهُ

ومنهم الشيخ حبيب اليازجي ابن الشيخ ناصيف توفي سنة ١٨٧٠ وسنذكرهُ مع والدهِ واخوتهِ في تسطير تاريخ الآداب في الطور الرابع ان شاء الله. ومنهم الشيخ مرعي الدحداح (١٧٨٢ – ١٨٦٨) كان درس في عين ورقة وكتب في دواوين الامراء. وتنقّل في البلاد ولهُ رسائل وكتابات متفرّقة وقد نُشرت سيرة حياته في كرّاس خاص. قال الشيخ ناصيف في تاريخ وفاتهِ:

مضى الشيخ مرعي راحلًا عن ديارنا ولكن حيًّا في السماء لهُ قصرُ
واولى بني الدحداح حزنًا مخلّدًا يدومُ كما يبقى لهُ عندهم ذكرُ
همامٌ تلقّى الحادثاتِ بنفسهِ فتمَّ له من بعدها المجدُ والفخرُ
اذا زرتَ مثواهُ فأرّخ وقل بهِ عليك الرضى والعفوُ يا ايها القبرُ

(الامير حيدر الشهابي) ذكرناهُ ذكرًا خفيفًا (ص ٢٢) فنفرد لهُ بابًا اوسع هنا لوقوفنا على بعض اخباره. هو ابن الامير احمد بن حيدر الشهابي الذي حكم لبنان مدّةً مع اخيه الامير منصور (١٧٥٤ – ١٧٦٣). ولد سنة ١٧٦٣ وتخرَّج في الآداب منذ حداثة سنهِ فعشقها واحبَّ الفضيلة واهلها وكان محسنًا الى الفقراء انفق عليهم جانبًا عظيمًا من مالـهِ وكذلك اوقف على رهبان طائفتي الموارنة والروم الكاثوليك املاكًا كثيرة. وكان زاهدًا في الدنيا يفضل العيشة المعتزلة على الشغل بالسياسة حتى انهُ ابى غير مرّة الولاية على لبنان. ولهُ تاريخهُ المشهور غرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان قسمهُ ثلثة اجزاء تبتدئ باوّل الهجرة وتنتهي بتولي الحكومة المصرية على الشام. طُبع هذا الكتاب بتصرف ودون فهارس في مصر سنة ١٩٠٠. ومنهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسختان في عدّة مجلدات. ويُذكر للمؤلف تاريخ آخر مخطوط يتناول حوادث الشام في عهد الامير بشير الكبير وما بعدهُ لم نقف عليهِ. توفي الامير حيدر سنة ١٨٣٥

(بعض ادباء الروم) نذكر هنا بعض الافادات عن ادباء الروم الاورثذكس وكنا سهونا عن ذكرهم فألفت اليهم نظرنا الكاتب الشهير عيسى افندي اسكندر المعلوف. نبغ منهم في القسم الاول من القرن التاسع عشر قوم من الاكليروس

الاورثذكسي عُرفوا بآدابهم منهم اثاسيوس المخلّع الدمشقيّ اسقف حمص الذي ذكرنا في المشرق (٢٠ [١٩٢٢]: ٢٨٨) بعض آثاره مع آثار سميّه مطروبوليت عكا. قال جنابه: انهُ انتقل الى كرسي بيروت ولبنان وكان عالماً بارعاً اقتنى مكتبةً نفيسة وتوفي سنة ١٨١٣

ومنهم الخوري يوسف مهنّا الحداد الذي قُتل في دمشق في حركة سنة ١٨٦٠. وكان مغرماً بالعلم واشتهر بالوعظ والتدريس في الفيحاء. وعرّب لطائفتهِ بعض الكتب الدينيّة (اطلب المشرق ٥ [١٩٠٢]: ١٠١٢ و٢٠ [١٩٢٢] ١٠١٠).

ومنهم الخوري اثناسيوس قصير الدمشقي مؤسس مدرسة البلمند سنة ١٨٣٣. والخوري يوحنا الدوماني منشئ المطبعة العربيـة في دمشق (المشرق ٤ [١٩٠١]: ٨٧٨) والخوري اسبيريديون صرّوف الذي درّس في المصلّبة بالقدس الشريف وصحّح مطبوعات القبر المقدّس وألّف وعرّب وتوفي سنة ١٨٥٨ (اطلب العدد الخامس من هذه السنة ص ٣٧١). والمطران اغابيوس صليبا مطران اداسيس (الرها) الذي ألّف وعرّب كثيراً من الكتب التي طُبعت في روسيا

المستشرقون الاوربيّون في هذا الطور *

(الفرنسويون) بقي السبق في درس اللغات الشرقيّة عموماً والعربيّة خصوصاً للعلماء الفرنسويين في هذا الطور الثالث الذي بلغنا اليهِ في سياق تاريخنا للآداب العربيّة. وكان تلامذة العلّامة دي ساسي يمشون على آثار معلّمهم فيخوضون بحر الآداب الشرقيّة ويستخرجون من اغوارها اللآلئ الفريدة فينظمونها قلائد تزيد يوماً بعد آخر ثمناً وفخراً وها نحن نذكر بعض الذين وقفنا على اخبارهم وهي الى اليوم متفرقة لم تُجمع في سفر خاص

فمنهم فلجانس فرينل (F. Fresnel) ولد سنة ١٧٩٥ وانقطع في شبابهِ الى درس اللغات الشرقيّة حتى ارسلتهُ حكومتهُ سنة ١٨٣٧ الى جدّة وتعيّن هناك بصفة قنصل لدولتهِ. وفي سنة ١٨٥٢ توجّهت انظار العلماء الى خرائب بابل فتشكّلت بعثة

* كنا اثبتنا في طبعتنا الاولى في هذا الباب اسماء بعض المستشرقين الذين لم نقف على تاريخ وفاتهم. وقد تحققنا ان بعضهم مات بعد السنة ١٨٧٠ فتركناهم في مكانهم لئلا يحصل تشويش في الكتاب بنقلهم الى القسم الثاني

علميَّة وكانت فرنسة نظارتها الى فرينل لما عهدت فيـهِ من الاهليَّة فسافر الى بغداد وقام باعباء مهمَّتهِ بنشاط مدَّة ثلاث سنوات وكانت وفاتهُ في حاضرة العراق في ٣٠ ت ٢ سنة ١٨٥٥ وعمرهُ ٦١ سنة وقد خلَّف فرينل عدَّة آثار تدلُّ على سعة معارفـهِ منها ترجمة لاميَّة العرب للشنفرى ومنها رسائل واسعة في تاريخ العرب في ايام الجاهلية ولهُ ايضاً مقالات اخرى مفيدة في الكتابات الحميريَّـة التي وجدت في جهات اليمن طُبعت في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة

واشهر منهُ نابغةٌ همام وعالم عامل جارى في فضلهِ امام عصره العلّامة دي ساسي نريد بهِ اتيان كاترمار (Et. Quatremère) كان سليل اسرة شريفة كثر فيهـا الادباء والعلماء واصحاب السيف والقلم وزادها هو باعمالهِ شهرةً. وُلد اتيان في باريس في ١٢ تموز سنة ١٧٨٢ وتخرَّج منذ حداثة سنهِ في العلوم الشرقيَّـة على دي ساسي المومأ اليهِ. واستحقَّ بفضلهِ ان يدخل في جملة نظّار المكتبة العمومية ومخطوطاتهـا الثمينة ثمَّ تولَّى التدريس في المدارس العليا قبل ان يبلغ العشرين من سنهِ وفي السنة ١٨١٥ نظمهُ مجمع فرنسة العلميّ في سلك اعضائهِ ثمَّ ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغات العبرانيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والفارسيَّة في مدارسها الخاصة فاحرز لـهُ في تعليمها شهرة عظيمة حتى اضحى بعد وفاة دي ساسي نسيج وحدهِ في كل العلوم الشرقية الى سنة وفاتهِ في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٧. ومن يطَّلع على تآليف هذا الرجل المقدام يقضي منهُ العجب لانهُ خلَّف بعدهُ نيفاً ومئة كتاب في كل ابواب الفنـون الشرقية وكل اللغات الساميَّة وغيرها وقد اودع كلَّ هذه المصنَّفات كنوزاً من المعارف يتحيَّر لها عقل المطالعين. اما تآليفهُ العربية فعديدة ونهاية في الحسن والضبط منهـا ترجمته لتاريخ المماليك في مصر للمقريزي في اربعة اجزاء وحواشٍ ضافية. ولهُ مجلدان في مبهمات تاريخية وجغرافية مصريَّة وتأليف عن النبطيين ومآثرهم ومن مطبوعاتهِ العربيـة نشره لمقدمة ابن خلدون في ثلثة اقسام وترجمتها الفرنسوية مع ملحوظات وفهارس في ثلثة اقسام أُخرومنتخبات من امثال الميداني وكتاب الروضتين ومقالات متَّسعة في جغرافيي العرب وفي مؤرخيهم وفي عادات اهل البادية ولهُ في التركية ترجمة تاريخ المغول لرشيد الدين في مجلَّد ضخم آية في حسن الطبع. وقد ألَّف كتباً عديدة في آثار القبط والبابليين والهند والسامرة والافريقيين والعبرانيين ومجـال القول لم يدع

فنًا الَّا صنَّف فيهِ كتباً تُعَدُّ الى يومنا معادن ثمينة غنيَّة بمضامينها العلميَّة

ومن تلامذة دي ساسي المعدودين غرانجره دي لاغرانج (J-B. Grangeret de la Grange) ولد سنة ١٧٩٠ واحكم درس العربية والفارسية فوكلت اليهِ دولتهُ سنة ١٨٣٠ تصحيح المطبوعات الشرقية في مطبعتها العمومية فقام بالعمل القيام المشكور. وتوفي سنة ١٨٥٩ وقد ابقى من الآثار مجموعاً في النظم والنثر نقلهُ الى الافرنسية ولهُ منتخبات من شعر المتنبي وابن الفارض علّق عليها الحواشي وترجمها. وقد صنَّف كتاباً في تاريخ العرب في الاندلس ودافع عن محاسن الشعر العربي

واشتهر في هذا الوقت نويل دي ڤرجه (Noël des Vergers) بين المستشرقين الفرنسويين وكان مولدهُ سنة ١٨٠٥ ووفاتهُ في كانون الثاني سنة ١٨٦٧ نشر عدَّة تآليف شرقية كقسم من تاريخ ابي الفداء وتاريخ بني اغلب لابن خلدون ولهُ تاريخ افرنسي في عرب الجاهلية اختصرهُ عن تاريخ معلمهِ دي برسڤال واضاف اليهِ مختصر تاريخ الخلفاء الى عهد المغول. وهو من التآليف الحسنة المفيدة وكان ضليعاً بالمعارف الشرقية يلتجئ اليهِ العلماء في مشاكلهم

وفي سنة وفاة دي ڤرجه توفي مستشرق آخر ذائع الشهرة جوزف رينو (J. V. Reinaud) المولود في ٤ كانون الاول سنة ١٧٩٥ والمتوفى في ١٤ ايار سنة ١٨٦٧ كان ايضاً من تلامذة دي ساسي وانكبَّ على مثال استاذه على درس آثار الشرق ولغاتهِ وكان احد حفَظة خزانة المخطوطات الشرقية في باريس فاستقى من تلك المناهل الطيِّبة ما شاء. وفي سنة ١٨٣٨ بعد وفاة دي ساسي تولَّى تدريس اللغة العربيَّة في مدرسة اللغات الشرقية الحيَّة ثمَّ رُئس عليها سنة ١٨٦٤ وبقي في وظيفتهِ الى سنة وفاتهِ. وللعلامة رينو منشورات جليلة منها في الآثار الشرقية كوصفهِ لمتحف الكنت دي بلاكاس في جلدين وهو سفر خطير في تعريف العاديَّات الاسلامية. واشتغل بتاريخ الشرق فنقل الى الفرنسويَّة معظم ما كتبهُ العرب في الحروب الصليبية وترجم رحلة تاجرَين عربيين الى الصين تُدعى سلسلة التواريخ ونشر كتاب تقويم البلدان لابي الفداء ونقلهُ الى الافرنسية وزيَّنهُ بالمقدَّمات الاثيرة والحواشي. ولهُ ما خلا ذلك عدَّة مقالات لغويَّة وتاريخية في العرب وغيرهم من شعوب الشرق يطول تعدادها وفي ما سبق ما ينبئ بفضلهِ الواسع

وفي السنة ١٨٦٧ توفي مستشرق ثالث فرنسوي موسويّ الدين وهو سليمان مُنك (S. Munk) ولد في بلاد بروسيا سنة ١٨٠٥ وتخرّج بالآداب العبرانية على بعض الربّانيين في بلده ثمّ جاء فرنسة سنة ١٨٢٨ وتجنّس بالجنسيّة الفرنسوية وحضر دروس دي ساسي وكاترمار فتعلّم العربيّة والفارسية والسنسكريتية وبرع فيها وتجوّل مدّة في القطر المصري مع الوزير كريميو . ثمّ تفرّغ لمكتابة والتعليم وقصدتهُ التلامذة ليدرسوا عليهِ العبرانيّة . وقد أُصيب في آخر عمرهِ ببصرهِ فلم ينقطع عن التأليف والاملاء على الكتبة وهو في هذه الحالة عشرين سنة . ولهُ عدّة تآليف في العبرانية والعربية والفارسية في تاريخ الشرق نخصّ منها بالذكر تاريخ فلسطين وكتاباتٍ شتى في الشعر العربي والشعر العبراني ونشر مصنّفات بعض فلاسفة اليهود في العربية والعبرانية وترجمها الى الفرنسويّة كدليل الحائرين لابن ميمون ومعين الحياة لابن جبرول وكتب ايضاً في فلسفة الهنود والعرب . وقد نقل الى الفرنسويّة مقامات الحريري . ومن مصنّفاتهِ ايضاً مقالات عديدة في آداب الفينيقيين وشرح كتاباتهم المكتشفة في سواحل الشام

واشتهر في الجزائر مستشرق فرنسوي من تلامذة دي ساسي ايضاً وهو لويس جاك برِنيه (L. J. Bresnier) ولد في فرنسة سنة ١٨١٤ وتوفي في الجزائر في ٢١ حزيران ١٨٦٩ . كان درس على كبار المستشرقين الفرنسويين منذ حداثة سنهِ فخلفهم في نشاطهم وعلمهم . وقد علّم اللغة العربية في حاضرة الجزائر ٣٣ سنة بهمة عظيمة اكسبتهُ شكر تلامذتهِ . ومن ثمار اجتهادهِ عدّة مطبوعات عربية مدرسية نشرها في فرنسة والجزائر مهّدت الطريق لكثيرين لدرس العربية الفصيحة واللغة الشائعة في بلاد الجزائر فمن تآليفهِ شرح اصول العربية من صرف ونحو وعروض ولهُ ابحاث في اللغة العاميّة ومجاميع عربية مختلفة مع ترجمتها الى الافرنسية واعتنى ايضاً بالخط العربي وتعليمهِ . ومن آثارهِ ترجمتهُ للاجرومية مع تعليقات عليها

وفي زمن المسيو برنيه خدم الآداب العربيـة معلّم آخر وهو المعلّم كُمباريل (E. Combarel) نشر ايضاً عدّة مطبوعات مدرسية لتعليم العربيّـة في الجزائر بين السنتين ١٨٤٥ و١٨٦٥ ولم نعرف سنة وفاتهِ

وكذلك عُرف بين المستشرقين العلّامة بيبرستَين كازمرسكي (B. Kazimirski) الذى ولد في پولونية واستوطن فرنسة ونشر فيها مطبوعات شرقية مفيدة اخصّها معجمهُ

للغتين العربية والفرنسويَّة الذي جُدّد طبعهُ في مصر بعد طبعتهِ الباريزيَّة في مجلَّدين ضخمين. وقد نقل القرآن الى الفرنسويَّة وترجمتهُ معروفة بدقتها وسلاستها . مات نحو السنة ١٨٧٠

وممن لم تمتدِ الى سنة وفاتهِ من المستشرقين الفرنسويين واشتهر بآثاره العربية المسيو پارّون (A. Perron) نشر تآليف جمَّة ونقلها الى الفرنسويةِ ففي سنة ١٨٣٢ ألَّف كتاباً في اصول اللغة العربيَّة وطبعهُ على الحجر ثمَّ نشر مقالات مفيدة في بعض مشاهير العرب كطرفة والمتلمس وعنترة ونقل طرفاً من اشعارهم الى لغتهِ ونقل ايضاً رواية سيف التيجان ورحلة محمَّد التونسي الى الدرفور وكتاب الطبّ النبويّ وكتاب كامل الصناعتين المعروف بالناصري لابي بكر ابن بدر في مجلَّدين وكتاب ميزان الخضريَّة للشعرانيّ في الفقه والمختصر في الفقه لخليل بن اسحاق المالكيّ في سبعة مجلَّدات انتهى من طبعهِ سنة ١٨٥٤ بعد ست سنوات وعلَّق عليهِ تعليقات واسعة

ونضيف الى هؤلاء المشاهير من الفرنسويين الاستاذ كليمان موله (J.J. Clément-Mullet) الذي أدَّى للمستشرقين خدماً مشكورة بأبحاثهِ عن الزراعة عند العرب ومن آثارهِ الباقية ترجمتهُ الفرنسويَّة لكتاب الفلاحة للشيخ أبي زكريا يحيى الاشبيلي المعروف بابن العوَّام. وكان الاصل العربي قد طُبع في مجريط سنة ١٨٠٢ فنقلهُ المسيو موله في مجلَّدين وعلَّق عليهِ التعليقات الخطيرة. ولهُ ايضاً في المجلَّة الاسيوية الفرنسوية مقالات متَّسعة في المواليد الطبيعيَّة عند العرب واصطلاحاتهم . توفي المسيو موله سنة ١٨٧٠.

(الالمانيون) تقدَّمت الدروس العربيَّة في المانية في هذه المدَّة بهمَّة بعض الافاضل الذين اصبحوا اسوةً لاهل بلادهم

ويستحقُّ السبق على جميع مواطنيه جرج ويلم فريتاغ (G. W. Freytag) ولد سنة ١٧٨٨ وتوفي في ت ٢ من السنة ١٨٦١ وكان مثالاً للعزم والثبات فكلف بالاداب العربيَّة ودرس اللغات الشرقيَّة في باريس على فخر زمانهِ دي ساسي فاتقنها وعُهد اليهِ تعليمها في كلية بونة سنة ١٨١٩ فلم يزل مذ ذاك الوقت الى سنة وفاتهِ يفرغ كنانة مجهودهِ في نشر المآثر العربيَّة منها قاموسهُ العربي اللاتيني في اربعة مجلَّدات ضخمة اتمَّهُ تسع سنوات وكان يواصل الدرس كل يوم احدى عشرة ساعة لا يكاد يأخذ فيها

راحة. ثم اختصر ذلك المعجم بمجلّد واحد. وقد نشر لاوّل مرّة كتاب حماسة ابي تمّام مع شروح التبريزي ونقلها كلها الى اللاتينيَّة. ونشر كتاب عبد اللطيف البغدادي في وصف مصر وقسماً من تاريخ حلب لكمال الدين وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه. وقد نقل كل هذه الآثار الى اللاتينيَّة وحشّاها بالحواشي المفيدة. ومن مآثره الجليلة امثال الميداني في اربعة مجلّدات نشرها وترجمها واضاف اليها الفهارس مع الملحقات العجيبة في كل ما كتبهُ العرب عن الامثال ونشر معجم البلدان لياقوت الحموي في عدّة مجلّدات مع تذييلات وفهارس غاية في الدقة وسرد لائحة ممتعة في كل مؤرخي العرب. ولهُ كتاب واسع في فن العروض بالالمانيَّة ومنتخبات شتى بالنثر والنظم وقد بقي اسمهُ الى يومنا هذا بين مواطنيهِ كمثال حي للحزم والنشاط

ومن افاضل الالمان الذين خلّدوا لهم ذكرًا طيّباً في هذا الزمان جان غدفريد كوسغارتن (J. G. Kosegarten) ولد في ألتنكرخن من اعمال بروسية سنة ١٧٩٢ ودرس العلوم في مدرسة غريسفالد الشهيرة ثمَّ تعشّق اللغة العربية فارسلهُ ابوهُ ليروي غليلهُ منها بالدرس على الاستاذ دي ساسي محور العلوم الشرقية في زمانهِ فتلقَّن اللغة العربيَّة ثمَّ درس التركية والفارسيَّة والارمنيَّة واستنسخ قسماً من مخطوطات باريس ولم يلبث ان نشر في بلده منها طرفاً استوقفت انظار اهل وطنهِ فدعاه اصحاب الامر الى تدريس اللغات الشرقية في غريسفالد وبقي في منصبه الى وفاتهِ فيها سنة ١٨٥٠ منقطعاً الى نشر التآليف المهمَّة اخصها غراماطيق اللغة العربية في اللاتينيَّة ثمَّ قسمٌ من شعر الهذيليين طبعهُ في لندن وكذلك نشر مجلّداً من كتاب الاغاني لابي الفرج ونقلهُ الى اللاتينيَّة وزيَّنهُ بالمقدّمات والشروح ونشر ايضاً مجلّدين من تاريخ الطبري مع ترجمتها وطبع معلّقة عمرو بن كلثوم وذيّلها بالملحوظات المفيدة ولهُ غير ذلك من الآثار العربيَّة والسنسكريتيَّة والهيروغليفيَّة

وليس دون السابقين همّة ونشاطاً واتساعاً في التأليف وطنيهما غستاف فلوغل (G. Flügel) ولد سنة ١٨٠٢ في بلاد سكسونيا ودرس في ليبسيك على مشاهير علمائها واخذ عن بعضهم مبادئ اللغات الشرقيَّة ثمَّ سافر الى فينا وبقي سنتين ينعم النظر في مخطوطات مكتبتها الشهيرة وتجوّل بعدئذٍ في عواصم اوربة الى ان احتلّ باريس سنة ١٨٢٩ وسمع معلّميها ودرس مخطوطاتها الشرقية ثمَّ عاد الى بلادهِ فتولّى

التدريس في معاهدها العلميَّة مدَّة وصار لهُ نفوذ كبير عند امراء وطنهِ الذين عهدوا اليهِ بتآليف عديدة استوفى شروطها وهي تبلغ نحو خمسين مجلدًا منها كتاب كشف الظنون للحاج خليفة في سبعة مجلَّدات ضخمة مع ترجمتها الى اللاتينيَّة وفهارسها الواسعة وملحقاتها الخطيرة ومنها وصف مخطوطات فينَّا العربيَّة في ثلاثة مجلَّدات. ونشر عدَّة كتب قديمة مع ترجمتها مثل كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي وتعريفات الجرجاني ونجوم الفرقان وهو فهرس للقرآن بديع في بابهِ. ولهُ تآليف في فلاسفة العرب ونحاتهم ونقلتهم ونشر كتاب الفهرست لابن النديم من انفس ما كتبهُ القدماء.. وصنَّف تاريخًا موسعاً للعرب في ثلاثة مجلَّدات فكل هذه المصنَّفات مما يدهش العقل لسعة علم كاتبها الذي يُعدّ من اكبر المستشرقين واغزرهم فضلًا. كانت وفاتهُ سنة ١٨٧٠

وممن برَّزوا في هذا الزمان في درس كتب العرب الرياضية والجبرية الالماني فرانتس ڤوبك (Fr. Woepke) ولد في بلدة قريبة من ليبسيك سنة ١٨٢٦ ودرس في ويتمبرغ ثمَّ رحل الى برلين وتفرَّغ لدرس الرياضيات وفي سنة ١٨٤٨ التقى بالمستشرق الشهير فريتاغ في بونة فعلَّمهُ العربية وفتح لهُ باباً لدرس آثار العرب في الحساب والمقابلة والجبر والهندسة والهيئة فخصص مذ ذاك الحين نفسهُ لاحياء دفائنها فنشر رسالة ابي الفتح عمر بن ابراهيم الخيَّامي في الجبر والمقابلة وكتاب الفخري فيهما لابي حسن الكرخي وتفسير مقالة اوقليدوس العاشرة في الأعظام المنطَّقة والصمّ لابي عثمان الدمشقي وقد كتب نيِّفاً وخمسين مقالة في كل الفنون الرياضية عند العرب نشرها في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة وفي المجلَّات العلميَّة في برلين ورومية وباريس وبطرسبرج وكان اذا نشر اثرًا ما قديماً نقلهُ الى اللغات الاوربيَّة وعلَّق عليهِ التعليقات الخطيرة حتى اصبح اماماً في هذه الفنون يُشار اليهِ بكل بنان. وكانت ادَّت بهِ دروسهُ الى البحث في العلوم الرياضيَّة عند الهنود وقدماء اليونان وارباب القرون الوسطى فقابل بينها وبين آثار العرب وقد فاجأهُ الموت في ٢٤ اذار سنة ١٨٦٤ وهو في منتصف العمر

وقد اشتهر غير هؤلاء ايضاً بين مستشرقي الالمان وان لم يبلغوا شأوهم منهم جرج هنري برنستين (G. H. Bernstein) صنَّف كتاباً في نحو العربية ونشر بعض الآثار القديمة منها قصيدة لصفي الدين الحلي مع ترجمتها وشرحها ومنها كتاب

في مبادئ واصول الاديان المتفرّقة في الشرق • وكانت شهرتهُ في معرفة السريانيَّة اكثر منها في العربية قد علَّم تلك اللغة في برسلو ولهُ فيها عدَّة مطبوعات • توفي برنستين سنة ١٨٦٠ وعمرهُ ٧٣ سنة

ومنهم جان اوغست ڤولرس (J. A. Vullers) احد تلامذة دي ساسي وكاترمار وفريتاغ ولد في المانية سنة ١٨٠٣ وكانت وفاتهُ في ٢١ ك ٢ سنة ١٨٨٠ في غيسّن علَّم اللغات الشرقية في كلية غيسن • وقد برز ڤولرس خصوصاً في اللغة الفارسية فنشر معجماً فارسياً لاتينياً يُعدّ من اتقن المعاجم وابرز عدَّة آثار لمؤرخي العجم وشعرائهم • وكان عالماً باللغة العربية نشر معلقتي الحارث بن حلزة وطرفة مع شروح الزوزنيّ عليهما ونقلهما الى اللاتينية وصنَّف ايضاً كتاباً في اصول لغة العرب

ومنهم ايضاً فرنتس اوغست ارنُلد (F. A. Arnold) اشتهر بين اساتذة مدرسة هال في المانية ولهُ مجموعة حسنة من تآليف العرب لطلبة المدارس الشرقية في جلدين طُبعت سنة ١٨٥٣ ونقلها اليونان في القدس الى لغتهم فجدَّدوا طبعها بهمَّة استيفان اثاسياديس سنة ١٨٨٥ • وكان سبق قبل ذلك ونشر سنة ١٨٣٦ معلَّقة امرئ القيس ونقلها الى اللاتينيَّة وذيَّلها بالشروح • ولم نقف على سنة وفاتهِ

ومنهم ايضاً الدكتور جان غدفريد وتسشتين (J. G. Wetzstein) أقام مدَّة في دمشق بصفة قنصل دولتهِ وعُني بدرس اللغات الشرقيَّة وجمع عدَّة مخطوطات وصفها وصفاً حسناً وارسلها الى برلين وقد كتب تفاصيل رحلتهِ الى جهات حوران وبادية الشام ومن مطبوعاتهِ كتاب مقدّمة الادب لجار الله الزمخشري طبعهُ في ليبسيك على الحجر سنة ١٨٥٠ توفي معمَّراً في برلين في ١٨ ك ٢ سنة ١٩٠٥

ومنهم ايضاً هنري جوزف ڤتزر (H. J. Wetzer) ولد سنة ١٨٠١ ودرس اللغات الشرقية على علماء زمانهِ في المانية وفرنسة ولاسيما دي ساسي وكاترمار ثم درَّس اللغات الشرقيَّة في كلية فريبورغ الكاثوليكيَّة فاصاب لهُ فيها ذكراً طيباً وقصدتهُ الطلبة من انحاء البلاد وهو اوَّل من نشر مقالة المقريزي في نصارى الاقباط وترجمها الى اللاتينيَّة ولهُ آثار أُخرى في العلوم الكتابيَّة • توفي سنة ١٨٥٣

ومنهم فيليب ڤولف (Ph. Wolff) عُني بدرس آداب العرب ونشر البعض منها • ولهُ كتاب دليل السيَّاح لمصر والشام وفلسطين ضمنهُ اصول العربية العاميَّة •

وقد نقل الى الالمانية كتاب كليلة ودمنة وطبع المعلّقات ونقلها ايضاً الى الالمانيّة وبيّن خفايا معانيها . ونشر شيئاً من ديوان ابي الفرج البيغاء . كانت وفاتهُ في غرّة كانون الثاني سنة ١٨٩٤

ومنهم اخيرًا ثيودور هاربروكر (Th. Haarbrücker) من علماء مدينة هال نقل الى الالمانية كتاب ابي الفتح الشهرستاني الذي نشرهُ وليم كورتون في لندن وذيّلهُ بالتذييلات الحسنة . ولهُ مقالة في كتاب مجموع العلوم لمحمد بن ابراهيم السخاوي طبعهُ سنة ١٨٥٩ . ونشر في العربية تفاسير على اسفار يشوع بن نون واسفار الملوك الاربعة والانبياء من تأليف احد علماء اليهود الربّي تنحوم بن يوسف الاورشليمي ونقلها الى اللاتينيَّة توفي في ١٧ ك ٢ سنة ١٨٨٠

(النمسويّون) لم يبلغ النمسويّون في درس العلوم الشرقيَّة مبلغ الالمان في اواسط القرن التاسع عشر . وانما اشتهر منهم رجل مقدام كانت لهُ قريحة عجيبة في تعلُّم اللغات والكتابة في كل فنون الشرقيين اعني بهِ البارون جوزف دي هامر پورغشتال (J. d. Hammer- Purgstall) ولد في غراتس سنة ١٧٧٤ ودرس في كلية فينَّا لغات الشرق حتى امكنهُ قبل العشرين من سنهِ ان يتكلَّم بالعربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة ثمَّ ارسلتهُ الحكومة الى الاستانة بصفة ترجمان ووكلت اليهِ نظارة قنصليَّاتها فتجوَّل في الشام ومصر ودرس احوال البلاد ثم لم يزل يتقلَّب في كل المناصب الشريفة حتى دخل في شورى الدولة . فانقطع حينئذٍ الى التأليف وكان يحسن الكتابة في عشر لغات اجنبيَّة فألَّف عددًا لا يحصى من الكتب والمقالات في كل المواضيع الكتابيَّة وتغلَّب عليهِ التاليف في تاريخ الشرق وآدابه نسرد هنا اسماء بعضها : تاريخ الدولة العثمانيَّة في عدَّة مجلَّدات . تاريخ الآداب العربيَّة في سبعة مجلدات ضخمة من عهد الجاهليَّة الى آخر الدولة العباسيَّة ضمَّنهُ عشرة آلاف ترجمة من كتبة العرب وشعرائهم وكبار علمائهم . وقد نقل الى الالمانية كتاب « أيها الولد » للغزالي وقلائد الذهب للزمخشري وتائية ابن الفارض ومقالات في موسيقى العرب ونشر قصصاً لم تعرف من كتاب الف ليلة وليلة وديوان خلف الاحمر ونظم بالشعر الالماني كل ديوان المتنبي . وكتب ايضاً تاريخ فارس ودولها . وتاريخ الآداب التركية . ونقل عدَّة مصنَّفات فارسيَّة الى لغته وادار المجلَّات الشرقية فاصبح في بلاده محورًا للاداب

الشرقيَّة الى سنة وفاته في ٢٣ ت ٢ سنة ١٨٥٦ وكان للبارون هامر شديد التمسُّك بالدين الكاثوليكي وكان يقيم صلاتهُ بالعربية وألَّف كتاباً في ذلك. ومجمل القول انهُ يُعَدُّ مع بعض مشاهير عصرهِ كمُحْيي الآداب الشرقيَّة بين الاوربيين

(الهولنديون) سبق لنا وصف همتهم في درس اللغات الشرقية عموماً والعربية خصوصاً. ودونك اسماء بعض الذين ازهروا في الطور الذي نحن في صددهِ

اشهرهم ثاودور جوينبول (T. G. J. Juynboll) ولد سنة ١٨٠٢ ودخل في سلك خدمة الدين في بلادهِ وكان متضلعاً باللغة العربية متقناً لتاريخ دول الشرق وآدابهم. فعلَّم اللغة العربيَّة في مدارس مختلفة حتى صار من اساتذة كلية ليدن الى سنة وفاتهِ في ١٦ ايلول سنة ١٨٦١. ومن آثارهِ انهُ نشر قصائد المتنبي وشعراء زمانهِ في مدح سيف الدولة واضاف اليها ترجمةً لاتينية ونشر ايضاً كتاب الجبال والامكنة والمياه للزمخشري وسفر يشوع بن نون عن النسخة السامريَّة ونقلهُ الى اللاتينية. وكذلك نشر كتاب مراصد الاطلاع الذي هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي. وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة مع مساعدة احد المستشرقين الهولنديين المدعو بنيامين ماتس (B. J. Matthes) وقد اجتمع ببعض ادباء وطنه فنشروا مجموعاً دعوهُ بالشرقيات (Orientalia). ومن مآثرهِ ايضاً مقالة في الترجمة العربيَّة السامريَّة المحفوظة في مخطوطات باريس. وكان لجوينبول ابن تقفَّى خطوات والدهِ فاشتهر ايضاً بعلومهِ الشرقية اسمهُ ابراهيم وليلم (A. W. Juynboll) عاش بعدهُ نحو عشرين سنة ونشر كتاب التنبيه في الفقه الشافعي لابي اسحاق ابراهيم ابن علي الشيرازي ونقله الى اللاتينية وقدَّم عليهِ المقدَّمات الحسنة وكذلك عُني سنة ١٨٦١ بطبع كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي

ومن معاصري جوينبول الاستاذ تاكو رورْدا (T. Roorda) احد افاضل الهولنديين الذين عُرفوا بالهمَّة والثبات. باشر سنة ١٨٢٥ منشوراتهِ الشرقية بدرس اخبار ابي العبَّاس احمد ابن طولون والدولة الطولونية ثمَّ ألَّف كتاباً في قواعد العربية وشرحهُ باللاتينية والحقهُ بمنتخبات ومعجم. وقد ساعد جوينبول في نشر مقالاتهِ الشرقية المار ذكرها. توفي رورْدا نحو السنة ١٨٦٥

ومنهم ايضاً هنريك فايرس (H. F. Weijers) لهُ كتابات حسنة في

شرقيات جوينبول المذكورة انفاً ثمَّ اتسع في وصف كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ونشر مع احد مواطنيه الدكتور مورسنغ (A. Meursinge) كتاب درَّة الاسلاك في دولة الاتراك لابي الحسن بن عمرو بن حبيب واشتغل بوصف مخطوطات مكتبة ليدن الغنيَّة بكنوزها الادبية. ولا نعرف سنة وفاة ڤايرس كما اننا لم نقف على اخبار مورسنغ الذي كان نشر قبل ذلك كتاب طبقات المفسرين للسيوطي

(الانكليز) اشتهر قليل منهم في هذا الطور بالاداب العربية. اخصُّهم وليم كورتون (W. Cureton) ولد سنة ١٨٠٨ وتوفي في لندن في ١٧ حزيران سنة ١٨٦٤ كان من خدَمة الدين البروتستاني وتخرَّج في كليَّة اوكسفرد وكان جلُّ اهتمامه باللغة السريانيَّة وآدابها. وقد خدم الآداب العربية ببعض المصنَّفات الدينيَّة منها ما نشرهُ سنة ١٨٤٣ من تفاسير تنحوم بن يوسف الاورشليمي على مراثي ارميا النبي وكذلك نشر مقالةً في الكهنوت من كتاب مصباح المرشد ليحيى بن جزير (ويروى جرير) التكريتي. ومن اثاره الباقية التي أتقن طبعها كتاب الملل والنحل للشهرستاني نجز طبعهُ في لندن سنة ١٨٤٢. وكان طبع قبل ذلك عهدة عقيدة اهل السنَّة لحافظ الدين عبدالله ابن احمد النسفي وهذان الكتابان نُشرا في جملة منشورات أخرى تولَّت طبعها في بريطانيا شركة طبع التآليف الشرقية Society for the Publication Oriental Texres) نفعت الدروس الشرقية نفعاً جزيلاً. ومما كانت نشرتهُ ترجمة رحلة البطريرك الانطاكي مكاريوس التي سبق للمشرق الكلام عنها (٥: ١٠٠٩) وبهمَّة كورتون طُبع ايضاً القسم الأول من وصف مخطوطات لندن العربية الذي اتمَّهُ بعدهُ الطيب الذكر ريو (C. Rieu)

وممن احرزوا لهم بعض الشهرة في الآداب العربيَّة بين الانكليز وليم ناسو ليس (W. Nassau Lees) كان هذا مقدَّماً على جمعية بنغال الاسيويَّة وورث عن خلفهِ ماثيو لومسدن (M. Lumsden) حبهُ للآداب العربية. فكان لومسدن افرغ المجهود في تجهيز مطبعة كلكوتا ونشر فيها مطبوعات مفيدة كمقامات الحريري سنة ١٨٠٩ ونفحة اليمن لاحمد الشرواني سنة ١٨١١ وشرح المعلَّقات ومختصر المعاني للقزويني وقاموس المحيط للفيروزابادي وكتب أخرى اورثت شهرة تلك المطبعة

الهندية. ثمَّ توفي في ١٨ اذار سنة ١٨٣٥ فلما قام بعدهُ لِيس زاد على خلفهِ نشاطاً واهتمَّ بنشر تآليف اوسع واكثر فائدة فطبع تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ونوادر القليوبي والكشاف للزمخشري وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمَّد علي الفاروقي التهانويّ ونخبة الفكر ونزهة النظر لابن حجر العسقلاني. وكان لِيس يستعين في تلك المطبوعات ببعض علماء الهند كالمولوي كبير الدين والمولوي عبد الحق غلام قادر وكان ايضاً يساعدهُ في نشر تلك المطبوعات المستشرق سپرنغر (A. Sprenger) الوارد ذكره بعد هذا توفي ناسو لِيس في ٩ اذار سنة ١٨٨٩

وقد نشر ايضاً في هذا الزمان الانكليزي هاريس جونس (J. Harris Jones) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم القرشيّ المصريّ فطبعهُ في غوتا سنة ١٨٥٨ ونقلهُ الى الانكليزيَّة

(الروسيُّون وغيرهم) كانت حركة الدروس الشرقيـة خامدةً في روسيا في اواسط القرن التاسع عشر ثمَّ اخذت الاكادمية الملكية تبعث الهمم وتنشط العزائم فنشأت بذلك نهضة محمودة وعُقدت بعض الجمعيَّات العلميَّة لترويج تلك المقاصد. وهذه اسماء التآليف العربية التي نُشرت في روسيا في الطور الذي يشغلنا

نشر منهم الاستاذ غوتولد (J. M. E. Gottwald) معجماً للقرآن وللمعلَّقات في قازان سنة ١٨٦٣ ونشر في بطرسبرج تاريخ سني ملوك الارض والانبياء تأليف حمزة الاصفهاني ونقلهُ الى اللاتينية توفي غوتولد في قازان سنة ١٨٩٧ — وفي بطرسبرج نشر الاستاذ كولسون (D. A. Chwolson) سنة ١٨٦٩ كتاب الاعلاق النفيسة لابن دسته (والصواب رسته) وترجمـهُ الى الروسية ولهُ ايضاً بحث خطـير في آثار الآداب البابلية في كتب العرب سنة ١٨٥٩ في مجلَّة بطرسبرج العلميَّة توفي كولسون وعمرهُ ٩٢ سنة في ٥ نيسان سنة ١٨٧٩ في مدينة فيلنا وكان يهوديـاً فتنصَّر وهو الذي اثبت ان الصابئين المذكورين في القرآن هم المندئيون وعلَّم في بتروغراد اللغات العبرانية والسريانية والكلدانيـة — واهتمَّ الاستاذ اسكندر كريستيانوفتش (Al. Christianowitsch) بالموسيقى العربية فوضع فيها مقالة وزيَّنهـا برسم الآلات الشائعة عند العرب وطبعها في كولونية سنة ١٨٦٣ — وفي هذا الزمان ازهر

احد الاعاجم المتنصرين أسكندر قاسم بك الذي علّم مدّة اللغات الشرقية في قازان وبطرسبرج وجعلهُ القيصر من اعضاء الشورى . كان يعرف اللغات التترية والفارسية والعربية وقد نشر في كلها تآليف عديدة ولهُ في العربية مختصر الوقفيات ورسائل دينية ومقالات لغويّة وفصول تاريخية في اخبار الدول الاسلامية

ونشر قنصل الروس في تبريز نيقولا خانيكوف (N. Khanikoff) كتاب ميزان الحكمة للخازنيّ وطبعهُ في المجلّة الشرقيّة الاميركانية سنة ١٨٥٩ وهو سفر جليل في المواليد والفلزّات والجواهر وترجمهُ الى الانكليزية

وكذلك (الاسبانيّون) في هذه البرهة من الدهر شعروا بحاجتهم الى درس اللغات الشرقية ولا سيَّما العربية لما فيها من الآثار المفيدة لمواطنهم ونال لهم بعض الشهرة وطنيُّهم كاينكوس (Pasc. de Gayangos) الذي نشر في لندن ومجريط بعض التآليف العربية منها ترجمة نفح الطيب للمقري في مجلّدين كبيرين ومنها وصف قصر الحمراء مع بيان آثارهِ وتفسير كتاباتهِ الحجريّة وكذلك نشر ترجمة كتاب كليلة ودمنة وتاريخ احمد بن محمّد الرازي

اما (الايطاليّون) فانّ درس اللغات الشرقية كان عندهم منحصرًا في بعض المبادي ولم ينشروا في تلك المدّة من الآثار العربية شيئاً يُذكر اللهمَّ الّا الكردينال العظيم انجلو ماي (Ang. Maï) الذي دخل في الرهبانية اليسوعية في العشر الاوَّل من القرن التاسع عشر وتوفق الى الاكتشافات العجيبة التي خلّدت لهُ ذكرًا في العالم كلهِ في اعادة الكتابة على الرقوق التي حُكّت نصوصها السابقة (Palimpsestes) . واقامهُ الحبر الاعظم الى رتبة الكرادلة ووكل اليهِ نظارة المكتبة الواتيكانية . وقد نشر في السريانية والعربية ايضاً بعض ما وجدهُ من الآثار النصرانية واثبتها في مجموع مطبوعاتهِ . تُوفي الكردينال ماي سنة ١٨٥٤

وممن نلحقهم بهؤلاء المستشرقين بعض المرسلين الذين خدموا بمدارسهم ومنشوراتهم الآداب العربية . فمن اليسوعيين الاب اسكندر بوركنود (Al. Bourquenoud) الذي سبق رينانَ الى درس آثار الشام ووصفها وصفاً مدققاً فمهد الطريق لابحاث رينان الاثريّة . توفي الاب بوركنود في ١ ت١ سنة ١٨٦٨ في غزير ومنهم اليسوعيان الاب لويس فنيك (+ ١٨٦٨) والاب بولس ريكادونا

(+ ١٨٦٣) ألّفا في العربيّة ارشادات وكتباً دينية وقصائد تقوية

اما المرسلون الاميركان فاشتهر بينهم عالي سميث الذي تجوّل في انحاء الشام ونظّم احوال الجمعية الاميركية ووسّع اعمال مطبعتهم وباشر مع الشيخ ناصيف اليازجي ترجمة الكتاب المقدَّس وقد انجزهُ من بعده الدكتور ڤان ديك. توفي عالي سميث سنة ١٨٥٧ وكان منهم ايضاً هنري دي فورست (H. de Forest) وادورد سالسبوري (Ed. Salisbury) ولكليهما مآثر حسنة من تاريخ وجغرافية وعادات ووصف اديان نشراها في المجلة الشرقية الاميركانية (Journal of the American Oriental Society) وكانت هذه المجلة صدرت سنة ١٨٥٠ فاخذت تباري بمقالاتها المجلات التي تقدَّمتها

وبهذا النظر الاجمالي نختم تاريخ الآداب العربية في طورها الثالث من القرن التاسع عشر وبهِ ايضاً ختام القسم الاوَّل من تأليفنا هذا الذي جمعناهُ في كتاب مستقلّ والحقناهُ بفهرس الأُدباء الذين اوردنا ذكرهم في مطاوي كلامنا

كلمة الختام

ويسوغ لنا ان نختصر بكلمة هذا القسم فنقول ان الشرق والغرب تباريا في نهضة الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر بعد خمولها. استخرج الغَرْب من خزائنهِ كنوزهُ المدفونة فسُحرت لدى نشرها ألباب ابناء الشرق فتسارعوا الى إحراز جواهرها والاستقاء من مناهلها فاتسعت بها دائرة مداركهم وشَحذت اذهانهم وتحسن ذوقهم ولم يأنفوا ان يستعيروا من اهل الغرب ما وجدوهُ موافقاً لرقي آدابهم فمهَّدوا للآتين بعدهم السبيل لتبليغ اللغة الى صرح كمالها

فهرس

للجزء الاول من كتاب الآداب العربية في القرن التاسع عشر

فهرس

اعلام الادباء الذين ورد ذكرهم في هذا الجزء

١- الادباء المسلمون

٢ ادباء النصارى

فهرس

اسماء المستشرقين المذكورين في هذا الجزء

اسماؤهم بالعربية

اسماء المستشرقين بالافرنسية

TABLE

des Orientalistes mentionnés dans la 1[re] partie de l'ouvrage

فهرس

اعلام الامكنة المذكورة في الكتاب

naux, des Périodiques contribuèrent à étendre et à développer le goût de l'arabe.

D'autre part, l'Orientalisme a joui, durant le dernier siècle, d'une faveur toujours croissante. De la France où les de Sacy, les Langlois, les Quatremère lui imprimèrent une impulsion si vive, il se propagea en Allemagne, en Hollande et jusqu'aux confins de l'Europe,

Cette époque, on le voit, n'est pas la moins intéressante pour l'histoire des études orientales. L'Europe et l'Orient y figurent ensemble pour la première fois et voient leurs communs efforts couronnés de succès. A elle seule cette période réclamerait une histoire indépendante et c'est pour y contribuer dans une faible mesure que nous avons réuni ici, en les complétant, une quinzaine d'articles sur la littérature arabe au XIX^e^ siècle parus dans notre Revue al-Machriq. Cette première partie qui embrasse les trois premiers quarts du siècle, a été suivie d'une seconde qui comprend les restes du siècle avec le commencement du vingtième. Nous les avons offerts l'une et l'autre aux Orientalistes du Congrès de Copenhague en les priant de se souvenir que ces pages ont été écrites surtout pour les Orientaux. Nous espérions néanmoins qu'elles pourraient leur être de quelque utilité pour un ouvrage plus considérable que nous leur souhaitions d'entreprendre. Les nombreuses recherches qu'il nous a fallu faire pour tirer de l'oubli plusieurs personnages leur serviront de jalons pour ce travail ultérieur, C'était là notre unique ambition.

Cette première édition de la première partie s'étant écoulée depuis quelque temps, on nous a demandé de la rééditer. Nous l'avons fait en revoyant le texte, en faisant un certain nombre de corrections, et en y ajoutant de nouveaux renseignements trouvés par nous ou suggérés par nos lecteurs

Beyrouth, 2 Décembre 1923

PRÉFACE

de la seconde édition

L'Histoire de la Littérature arabe reste toujours à faire. Les ouvrages parus sur ce sujet, malgré leur mérite réel, ne sont encore que des pierres d'attente ou des matériaux pour un édifice plus considérable que tout le monde désire. Hammer en Autriche, Brockelmann en Allemagne, Huart en France, Arbuthnot et Nicholson en Angleterre, Pizza en Italie et Guirgas en Russie ont abordé ce sujet ; quelques Orientaux comme G. Zaïdan les ont suivis. Ces efforts louables n'ont pourtant abouti jusqu'ici qu'à nous donner une série de notices d'auteurs, des nomenclatures bibliographiques plus ou moins étendues, ou des esquisses rapides et par trop succinctes. Une véritable histoire littéraire exige autre chose. Il faudrait remonter aux origines de la langue, étudier ses monuments, suivre pas à pas sa formation, ses progrès, ses modifications multiples, ses manifestations diverses à toutes les époques et dans les nombreux pays de la domination arabe, jusqu'à sa décadence au XV^e siècle.

Une telle œuvre dépasserait sans doute les forces d'un seul homme ; mais plus d'une Société Asiatique pourrait l'entreprendre et la mener à bonne fin. Ce serait là un service signalé rendu aux Lettres Orientales. Cette œuvre devra nécessairement avoir un corollaire; ce sera l'histoire de l'Orientalisme, et tout particulièrement de la Renaissance des études arabes, au XIX^e siècle. Tel a été en effet l'essor donné à l'arabe depuis le début de ce siècle, que cette langue est entrée dans une phase toute nouvelle. De nombreuses écoles ont surgi sur tous les points de l'Orient, et avec elles toute une pépinière de savants, grammairiens, litérateurs, poètes, publicistes de toute sorte qui ont enrichi la langue arabe d'une longue série d'ouvrages. Le zèle intelligent des Missionnaires a été pour une grande part dans ce mouvement. Non contents d'être auprès des Orientaux les pionniers de la civilisation européenne, ils se sont efforcés de leur faire apprécier leur langue et de leur en faciliter l'étude. L'imprimerie leur a prêté un admirable concours pour la diffusion de nombreux manuels classiques et d'autres publications importantes. Grâce à leur activité et à celle des élèves qui se formèrent sous leur conduite, des Jour-

LA LITTÉRATURE ARABE

AU XIX^e SIÈCLE

par le P. L. CHEIKHO s. j.

1^re partie

de 1800 à 1870

SECONDE ÉDITION

revue et augmentée

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1924

الآداب العربيَّة

في

القرن التاسع عشر

تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي
مدير مجلَّة المشرق

الجزء الثاني

من السنة ١٨٧٠ الى ١٩٠٠

طبعة ثانية مصحَّحة مع زيادات شتَّى

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٩٢٦

LA LITTERATURE ARABE

[illegible]

PAR le P. L. CHEIKHO S. J.

[illegible]

1re partie

de 1800 à 1870

[illegible]

SECONDE ÉDITION

[illegible]

الآداب العربيَّة

في

القرن التاسع عشر

الجزء الثاني

الفصل الاول

الآداب العربيَّة من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

نظر اجمالي

جرينا شوطاً اوَّل في عدَّة مقالات كتبناها عن آداب القرن السابق فأدَّى بنا سيرنا الى السنة ١٨٧٠ فوقفنا عند ذلك الحدّ مدَّةً ريثما نجمع قوانا فنواصل الجري في هذا الميدان. وهو لعمري مجال جديد يتَّسع امامنا فتتوفَّر ركبانهُ وتنمو فتفوت الاحصاء فرسانهُ. ولولا ثقتنا بلطف القرَّاء واملنا بغضّهم النظر عن قصورنا لكففنا القلم واوقفنا اليراع لئلَّا يشرد بنا عن سواء السبيل. فنستأنف العمل مع تكرار الرجاء بان يمدَّ الينا الادباء يد الاسعاف وينبّهوا فكرنا الى ما نسهو عن ذكرهِ ويصلحوا ما يرونهُ مخالفاً للواقع ليأتي هذا القسم اوفى بالمرام ان شاء الله

كانت السنة ١٨٧٠ مفتتح طور جديد في تاريخ نهضة الآداب العربيَّة فانَّ في تلك السنة جرت امورٌ خطيرة قلبت بطناً لظهر احوال الدول الاوربيَّة فكان لها فعل انعكاس في انحاء الشرق فقامت العقول من رقدتها واستيقظت الافكار بعد سِنَتها فانَّ دويَّ الحرب السبعينيَّة طرق آذان الشرقيين فأسمعهم اصواتاً ما اعتادَتها مسامعهم فرأوا في طلب الآداب ودرس العلوم سدًّا لخللهم ومنجاةً من خمولهم وكان السلام سائدًا والامن متوطدًا في الدولة التركيَّة لا شيء يعوق رعاياها عن ترويج الآداب وانفاق سوقها لاسيما سورية ولبنان فان الدعة والسكينة كانت قد

مدّت عليها رواقها بعد نكبة السنة ١٨٦٠ واخذت الشبيبة تترعرع وهمُّها الاعظم الترقي في معارج التمدُّن

وعُقد في ذلك العام المجمع الواتيكاني وفيهِ رأى ارباب الدين الشرقيون رقيّ اخوتهم الغربيين في العلوم فاحبّوا مجاراتهم في ذلك المجال الشريف . وقد ساعدهم في تحقيق امانيهم المرسلون اللاتينيون الذين تضاعف عددهم في هذهِ البلاد فاخذوا يجدُّون ويسعون بما عُرفوا بهِ من علوّ الهمم ليبعثوا في الاحداث الغيرة على احراز المعارف . وكذلك المرسلون الاميركان فأنهم افرغوا كنانة الجهد ليزرعوا في قلوب الشبّان بذور المعارف والعلوم المستجدَّة . ويا حبّذا لو اقتصروا على هذه الغاية الشريفة ولم يتَّخذوا العلم وسيلةً لنشر المزاعم البروتستانيَّة ومناوأة الدين القويم

ومما خُصّ بهِ هذا الطور الذي نحن في صددهِ انشاء مدارس عامرة لم يسبق لها مثيل في الزمن السابق اخصُّها الكليَّة الاميركيَّة التي خرجت في ذلك الوقت من قاطات مهدها فشرع اساتذتها وفي مقدمتهم الدكتور ڤان ديك في تأليف او تعريب قسم كبير من الكتب العلميَّة قدوةً بالشيخ الطهطاوي بمصر ففتحت ترجمتها باباً جديداً طرقهُ الشرقيون لاحراز العلوم العصريَّة . وكانت المطبعة الاميركيَّة تذلّل لهم الصعاب في نشرها وبقيت تلك المطبوعات عهداً طويلاً كاساس التعليم في الكليَّة الاميركيَّة وبعض المدارس الوطنيَّة حتى بعد قصورها عن بلوغ غايتها لاتساع نطاق العلوم سنةً بعد سنة فبقيت على نقصها حتى اضطرّت عمدة المدرسة الاميركيَّة الى استئناف التدريس باللغة الانكليزيَّة

وكان النجاح الذي فاز بهِ اصحاب الكليَّة الاميركيَّة باعثاً للكاثوليك على مزاحمتهم ليصونوا ابناء مللهم من الاضاليل البروتستانيَّة . وكان اليسوعيون اوَّل من تحفَّز لمناهضتهم فعزَّزوا مدارسهم الثانويَّة في غزير وبيروت وصيداء ثم جعلوا يطلبون ما هو انجع وسيلة لبلوغ اربهم بانشاء كليَّة في بيروت تباري كلية الاميركان وتقدم لابناء الشرق مناهل العلوم صافية من كل رَنَق يكدّرها . فما لبثت بعد اربع سنوات ان تشيَّدت ابنية كليتنا الكاثوليكية ونُقلت اليها مدرسة غزير سنة ١٨٧٥ فنالت من كرم الكرسي الرسولي كل انعامات الكليَّات بمنح شهادات العلوم الدينيَّة

لمستحقيها كما ان الدولة الفرنسوية اعتبرت شهاداتها بمثابة الشهادات الممنوحة في فرنسة لذويها

وفي غرَّة سنة ١٨٧٠ نشر الآباء اليسوعيون جريدتهم المجمع الفاتيكاني لنقل اخبار ذلك المجمع المسكوني . ثمَّ اعقبوه بعد فراغ المجمع في ايلول بجريدة البشير لمناضلة النشرة الاسبوعيَّة فصار لها رواج كبير ولم تزل تكبر وتتحسن حيناً تِلو حين . وها قد مرَّ عليها اليوم ٥٠ سنة بنيِّفٍ وهي تدافع عن الدين مدافعة الابطال فصارت لسان حال الكثلكة يرجع اليها ارباب الطوائف الكاثوليكية باسرهم

وفي هذه المدَّة ايضاً ترقَّت المطبعة الكاثوليكيَّة بهمَّة رئيسها الهمام الاب امبرواز مونو الذي لم يشأ ان تتخلَّف عن المطبعة الاميركيَّة في شيء . فاستجلب لها الادوات الجديدة وجهَّزها بالمخترعات المستحدثة وارسل احد رهبانهِ الطيب الذكر الاخ ماري الياس الى عواصم اوربَّة ليدرس فنَّ الطباعة على احذق الطبَّاعين فاخذ عنهم الاكتشافات الحديثة واستعان بها على تحسين الطباعة الشرقيَّة في مطبعتنا ومطابع البلدة . وكذلك تعلَّم غيره من رهباننا كالمرحوم الاخ انطون عبدالله فنَّ الحفر وسبك الحروف واستحضار سنابكها وأمهاتها فأغنوا المطابع باشكال جديدة من الحروف العربية والسريانيَّة وغيرها

وتعددت المطبوعات الدينيَّة والعلميَّة التي ظهرت في تلك الاثناء من مطبعتنا وكان اجودها حرفاً واتقنها طبعاً الكتاب المقدَّس (١٨٧٦-١٨٨٢) في ثلاثة مجلَّدات مزيناً بالتصاوير والنقوش . وكان الآباء المرسلون لم يدَّخروا وسعاً في تعريبهِ عن اللغتين الاصليتين العبرانيَّة واليونانيَّة ساعدهم في تصحيح عبارة الترجمة وتثقيفها اللغوي البارع المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ . وقد صدَّق على هذه الترجمة الجديدة غبطة السيد منصور براكو بطريرك اورشليم اللاتينيّ واثنى عليها سائر بطاركة ومطارنة واساقفة الطوائف الكاثوليكية في الشرق

ثم اخذ مديرو المطبعة الكاثوليكيَّة يهتمون بالكتب المدرسيَّة وكانت قبلهم عزيزة جدًّا لا يصل اليها الاحداث الَّا بعد شقّ النفس فتوفَّرت الكتب التعليميَّة وزادت بذلك مدارس الشرق ترقياً ونجاحاً

وكانت بقيَّة الرسالات اللاتينيَّة تسير سيرها الحثيث في نشر الآداب فاللعازريون

كانوا يكسبون ثقة الاهلين بحسن تعليمهم وتهذيبهم في مدرسة عين طورا . ثم فتحوا في هذه الاثناء مدرسة اخرى في دمشق لا تزال عامرة . وكذلك الآباء الفرنسيسيون فتحوا مدرسة ثانوية في حلب علّموا فيها اللغات واصول الآداب

ولم تتأخر الطوائف الشرقية في هذه الحلبة . فانهُ تعيّن سنة ١٨٧٢ لكرسي بيروت على الموارنة بعد الطيب الذكر طوبياً عون احد رجال العلم والعمل السيّد المبرور يوسف الدبس فأفرغ الوسع في ترقية ابناء رعيّتهِ في معارج التمدن ففتح لهم في بيروت سنة ١٨٧٥ مدرسة الحكمة الشهيرة التي نمت فروعها وبسقت افنانها وينعت ثمارها الى يومنا هذا . فتقلّد كثير من المتخرجين فيها المناصب الجليلة وخدموا وطنهم بنشاط عظيم . ومن مساعيهِ الطيبة لتوسيع نطاق الآداب مطبعتهُ العموميّة الكاثوليكيّة التي اشتراها من يوسف الشلفون شركةً مع رزق الله خضرا فنشر فيها مجموعاً واسعاً من المطبوعات الدينيّة والادبيّة والمدرسيّة منها قسم كبير من قلمهِ

وفي هذه المدّة ثبت قدم جمعيّة المرسلين اللبنانيّين التي أسسها المطران يوحنا حبيب سنة ١٨٦٥ فاخذت تزداد عدداً وفضلاً بهمّة منشئها الفاضل

امّا الروم الكاثوليك فانّ مدرستهم البطريركيّة بلغت في هذه الآونة اوج عزّها بحسن ادارة رؤسائها وشهرة اساتذتها . وكان جلّ اهتمامها اتقان اللغة العربيّة بفروعها . وعُني السيد البطريرك غريغوريوس يوسف بانشاء مدرسة أخرى لابناء طائفتهِ في دمشق سلّم ادارتها الى كهنة افاضل احكموا تدبيرها

وفي هذا الطور أُنشئت مطابع جديدة كالمطبعة السليميّة لسليم افندي مدوَّر ومطبعة القديس جاورجيوس للروم ومطبعة جمعيّة الفنون للمسلمين . وقد ظهرت في كل هذه المطابع تآليف متعدّدة نشرنا في المشرق اسماءها . وكذلك الجرائد والمجلات فقد أُنشئ منها ما راجت سوقهُ . وكان الادباء في ذلك الوقت حاصلين على حرّيتهم لا يعيقهم في نشر المطبوعات عائق المراقبة . والجرائد تروي الاخبار كما تشاء لا يُعترَضُ عليها الّا اذا خرجت عن طورها وتعدّت حدودها . وقد سبق لنا ذكر مجلة الجنان التي انشأها المعلّم بطرس البستاني وعهدَ بتحريرها الى ابنهِ سليم سنة ١٨٧٠ وفيها باشر بجريدتين الواحدة اسبوعيّة وهي الجنّة والثانية يوميّة دعاها الجنينة وهذه الاخيرة لم تطل مدّتها . امّا الأوليان فاشتغلتا خمس عشرة سنة فاكسبتا الاسرة

البستانيَّة شهرة بفصولهما . وقد أُنشئت سنة ١٨٧٤ جريدة ثمرات الفنون لصاحبها صاحب السعادة عبد القادر افندي القبّاني فخدمت مصالح الأمّة الاسلاميّة بلا ملل الى ايّام الدستور . وبعدها بسنتين شرع الادباء شاهين ابكاريوس ويعقوب صرُّوف وفارس نمر من تلامذة الكليّة الاميركيّة ينشرون مجلّة علميّة صناعيّة زراعيّة دعوها المقتطف واودعوها كثيرًا من المقالات العلميّة وغيرها وبقيت تُطبع في بيروت الى ان نُزعت عن الجرائد حرّيتها فانتقل محرّروها الى مصر وجروا فيها على خطّتهم الحرّة الى هذه السنة وهي الخمسون من عمرها . وفي هذه المجلّة من المنافع ما لا يُنكر لولا انَّ كتبتها صوّبوا غير مرّة سهامهم للتعاليم الدينيّة وناصبوا القضايا الفلسفيّة الراهنة ونسبوا الى العلم ما هو بريءٌ منهُ كما بيّنّا لهم الامر احيانًا عديدة في جريدة البشير ومجلّة المشرق

أمّا في بلاد الشرق خارجًا عن الشام فانَّ الآداب العربية فيها لم تَخطُ خطوةً كبيرة في هذه السنين العشر فلا نرى لها من المنشآت ما يستحقّ الذكر . وانّما كانت المطابع المصريّة وخصوصًا مطبعة بولاق تواصل اشغالها فتنشر من التآليف القديمة ما كان يحبّب الى الادباء درس اللغة واحراز فوائدها لولا سُقم طبعها وقلّة العناية في تصحيحها . وكذلك الاستانة العلية فان صاحب الجوائب الذي مرَّ لنا ذكرهُ نشر في مطبعته قسمًا حسنًا من التآليف العربية القديمة كديوان البحتريّ وادب الدنيا والدين وبعض مصنّفات الثعالبي . ومثلهُ الخوري يوسف داود في مطبعة الدومنيكان في الموصل (اطلب المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٤٢٣) فانهُ نشر هناك فضلاً عن الكتب الدينيّة عدّة تآليف حسنة عزّزت في الناشئة محبة الآثار العربيّة

وفي هذا الطور أُصيبت الآداب العربية ببعض التأخّر في الاصقاع الاوربيّة لما حدث فيها من المنازعات والاضطرابات السياسية . لكن هذه الحال لم تَدُم مدّةً طويلة لان الامور بعد زمن اخذت في السكون والهدوء وعاد العلماء الى دروسهم بل اتّسع نطاقها فامتدّت في المانية وانكلترة وأُنشئت كليات جديدة كان للغة العربية فيها الحصّة المشكورة . وقد شُكّلت جمعيات شرقيّة في ايطالية والنمسة بعثت همم اهلها على الدروس الشرقية فانتشرت بذلك الآداب العربية . وكانت المطابع الاوربية تغني كل يوم لغتنا بنشر تآليف يخرجها المستشرقون من دفائن المكاتب ويحيونها بعد

موتها نخص منها بالذكر مطبعة ليدن في هولندة التي ابرزت قسماً كبيراً من اجود تآليف قدماء العرب وخصوصاً في التاريخ ووصف البلدان

بعض مشاهير الادباء المسلمين في هذا الطور

كانت العلوم العربية في هذا الطور ارقى شأناً عند النصارى منها عند المسلمين وانّما اشتهر بين هؤلاء بعض الافراد تعاطوا الفنون الادبيـة من شعر ونثر وخلّفوا منها آثاراً طيّبة وها نحن نذكرهم على سياق سني وفاتهم تنويهاً بفضلهم

(رفاعة بك الطهطاوي) كان رفاعة بك من اشراف طهطا احدى مدن الصعيد ويرتقي نسبهُ الى فاطمة الزهراء. ولما وُلد سنة ١٢١٦ (١٨٠١) كان الدهر اخنى على اسرتهِ فذاق في حداثتهِ مرائر العيش ثم انتقل بعد وفاة والدهِ الى القاهرة سنة١٢٢٢ (١٨٠٧) وانتظم في سلك طلبة الازهر وطلب العلوم برغبة حتى روي منها واحبّـهُ اساتذته لاجتهادهِ وقدّموهُ . ونما خبرهُ الى محمد علي باشا إمام الدولة الخديويّة فأرسلهُ مع غيرهِ من الشبان الى فرنسة ليتلقّوا فيها العلوم الاوربية فدرس اللغـة الفرنسويّة حتى احسن فهمها واستقى من مناهل المعارف الغربية ما استلفت اليهِ الانظار ونقل كتاباً افرنسياً وسمهُ «بقلائد المفاخر في غرائب عوائـد الاوائل والاواخر» فكان ذلك داعياً لترقيتهِ في المناصب. فقلّده محمد علي وظيفة الترجـان في المكتب الطبي الذي انشأهُ في جوار القاهرة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦م) فنقل الى العربية عـدَّة تآليف افرنجيّة مستحدثة . ثم عرّب في مدرسة الطوبجية كتباً هندسيَّة وغيرها . وفي ١٢٥١ (١٨٣٥) ندبهُ صاحب مصر الى رئاسة مدرسة الالسن الاجنبية التي عُرفت بمدرسة الترجمة فاحسن تدبيرها حتى بلغ عدد تلامذتها ٢٥٠ . فجازاهُ الخديوي بمنحهِ رتبـة قائمقام ثم رتبة اميرآلاي وأرسل مـدَّةً الى الخرطوم لنظارة مدرستهـا وتولّى نظارة المـدرسة الحربية في مصر . ولم يزل يتقلّب في المناصب وادارة المـدارس والتعليم والكتابة . وكان رفاعة بك لا ينقطع يوماً عن التأليف او الترجمة . وهو الـذي باشر اوّل جريدة عربية في بلاد الشرق وهي الوقائع المصرية سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) . ثم تولّى في آخر حياتهِ ادارة جريدة روضة المدارس . ولرفاعة بك نحو عشرين كتاباً بعضها من تأليفهِ كرحلتهِ الى باريس ومباهج الالباب المصرية وكتـاب تاريخ مصر الحـديث

واكثرها من ترجمته كجغرافية مَلطبرون واخبار تلماك وهندسة ساسير ورسائل طبيَّة وله غير ذلك من التآليف والمقالات والمنظومات التي لم يُطبع منها الَّا القليل. وقد رأيناه كثير التصرُّف في ترجمة كتبه الَّا انهُ سبق اهل وطنه بتعريب التآليف الغربية فنال فضلًا بتقدُّمهِ. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) فرثاهُ الحاج مصطفى انطاكي الحلبي بقصيدة مطلعها:

ألا ما لِطَرْفِ المجد دامٍ ودامعُ على وجنة العَلياء هامٍ وهامعُ

الى ان قال مشيرًا الى فهمي افندي نجل المتوفَّى:

وكادت تَميدُ الارضُ لو لم يكن جا لهُ خلفٌ يحيي المآثرَ بارعُ

(عبد الغفَّار الاخرس) هو السيد عبد الغفَّار ابن السيد عبد الواحد من مشاهير شعراء العراق كان مولده في الموصل السنة ١٢٢٠ (١٨٠٥م) ثمَّ انشأ في بغداد واتَّخذها موطنًا وسكن جانب الكوخ وقرأ على الشيخ الالوسيّ كتاب سيبويه فاعطاه بهِ اجازةً. ثمَّ درس العلوم العقليَّة والفنون العربيَّة فاتقنها وتعاطى فنَّ الشعر فاجاد بهِ كل الاجادة حتى ان صاحب كتاب المسك الاذفر قال عنهُ انَّ اليهِ كانت النهاية في دقَّة الشعر ولطافتهِ وحلاوتهِ وعذوبتهِ. وكان مع ذلك في لسانهِ تلعثُم وثقَل فدُعي بالاخرس لسببهِ. قيل انهُ في شبابهِ كتب الى داود باشا والي العراق ابياتًا يسألهُ فيها ان يأمر بمعالجة لسانهِ قائلًا:

انَّ اياديك منك سابقةٌ عليَّ قدمًا في سالفِ الحُقُبِ
هذا لساني بعوقهُ ثِقَلٌ وذاك عندي من اعظم النُّوَبِ
فلو تسبَّبتَ في معالجتي لَنلتَ اجرًا بذلك السببِ
وليس لي حرفةٌ سوى ادبٍ جمٍّ ونظم القريض والخطبِ
من بعد داودَ لا حُرِمتُ مُنًى فقلت قد مضت دولةُ الادبِ

فارسلهُ الوالي الى بعض اطباء الهند فقال لهُ: انا أُعالج لسانك بدواء إمَّا ان ينطلق وامَّا ان يُلحقك بمن مضى من سالف الجدود. فأبى ولم يرضَ بدوائهِ وقال: لا ابيع كلّي ببعضي وكرَّ راجعًا الى بغداد. وكان يتردَّد الى البصرة لِما عرف في اهلها من السخاء ومحبة الغرباء. ولهُ مدائح في اكثر اعيانها وفضلائها وبها كانت وفاتهُ سنة

١٢٩٠ (١٨٧٣م) كما ورد في مقدمة ديوانه وفي سنة ١٢٩١ على رواية السيد نعمان الالوسي . وكان لهُ شعر كثير متفرّق جمعهُ احمد عزّت باشا العُمَري بعد وفاة صاحبه وسمّاه «الطراز الانفس في شعر الاخرس» وقد طُبع هذا الديوان في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٤ (١٨٨٦م) . فمن شعره قولهُ يصف سفرهُ من البصرة الى بغداد على سفينة بخاريّة :

قد ركبنا بمركب الدُّخانِ ... وبلغنا بهِ اقاصي الاماني
حيث دارت افلاكهُ واستدارت ... فهي مثلُ الافلاك بالدَوَرانِ
ثمَّ سرنا والطيرُ يحسدنا بالامس لإسراعنا على الطيرانِ
يخفق البحرُ رهبةً حين يجري ... والذي فيهِ كائنٌ في امانِ
كلّما أبعد البخارُ بمسرًى ... قرّب السيرُ بُعْدَ كلّ مكانِ
أتقنَتْ صُنْعَهُ فطانةُ قومٍ ... وصفوهم بدقّة الاذهانِ
ما اراها بالفكر الّا اناساً ... بَقِيتْ من بقيّة اليونانِ
ابرزوا بالمعقول كل عجيبٍ ... ما وجدناهُ في قديم الزمانِ
وبنوا للعُلى مباني علاءٍ ... عاجزٌ عنها صاحب الايوانِ
فلهم (١ في الزمان علمٌ وفخرٌ ... ومقامٌ يعلو على كيوانِ

وقد نظم السيد الاخرس قصائد عديدة في مدح اديب العراق عبد الباقي الفاروقي. ورثاه بعد موته بقصيدة اولّها :

مالي اودّع كل يومٍ صاحباً ... اذ لا تلاقي بعد طول فراقِ
وأُصارم الاحبابَ لا عن جفوةٍ ... مني ولا متعرّضًا لشقاقِ
فارقتُهم ومدامعي منهلّةٌ ... وجوانحي للبَين في إحراقِ

الى ان قال :

فارقتُ اذكى العالمينَ قريحةً ... واجلّها فضلًا على الاطلاقِ
وفقدتُ مستَنَد الرجال اذا روتْ ... عنهُ الثقاتُ مكارمَ الاخلاقِ
قد كان منتجَعي وشِرْعةَ منهلي ... ومناطَ فخري وارتيادُ نياقي

١) وفي الاصل : فهموا وهو تصحيف . وكذلك قد تصحّف البيت الخامس فاصلحناه

كانت لهُ الايدي يطوّقني بها   مننًا هي الاطواقُ في الاعناقِ

وختمها بقولهِ :

رزء أُصيب بهِ العراق فأرِّخوا   رزء العراقِ بموتِ عبد الباقي (١٢٧٨)

وقال مودّعاً بعض الكرام اسمهُ يوسف :

مولاي قد حان الوداعُ   وقد عزمتُ على المسير

كم زرتُ حضرتك التي   ما زلتُ منها في حبور

ورجعتُ عنك بنائلٍ   غمرٍ وبالخبر الكثيرِ

واللهُ يعلمُ انني   من شكر فضلك في قصورِ

يا مفردًا في عصرهِ   بالفضل معدومَ النظيرِ

يا يوسفُ البدرُ الذي   يسمو على البدر المنيرِ

ما لي بغيرك حاجةٌ   كغنى الحطير عن الحقيرِ

وسواك يا مولاي لا   واللهُ يخطرُ في ضميري

ما كلُّ ورّادٍ يفو   زُ بموردِ العذب النميرِ

لا زلتَ اهلًا للجميـل مدى الليالي والشهورِ

وممّا لم نجدهُ في ديوانهِ تخميسٌ لابيات قالها عبد الباقي العمري في قاضٍ جائرٍ :

ألا قطع الرحمٰن كلَّ مُقاطعٍ   مضرّ بما يقضي بهِ غير نافعِ

وراضٍ بظلمٍ طامعٍ غير قانعِ   وقاضٍ يجورِ ما لهُ من مضارعِ

على انهُ بالعسفِ اقطعُ من ماضِ

فكم قد جنى في حكمهِ من جنايةٍ   وقد راح في غيٍّ لهُ وغوايةِ

فلا رُدَّ قاضٍ ما اهتدى لهدايةٍ   قضى ومضى لكن الى كل غايةِ

من الخزي لا يحظى بها ابدًا قاضِ

بُلينا بقاضٍ جائرٍ غير عادلٍ   يجورُ بحكمٍ قاصرٍ غير طائلِ

ومن اعظم البلوى بلاءٌ بجاهلٍ   يقولونَ يقضي قلتُ لكن بباطلِ

وقالوا يقصُّ الحقَّ قلتُ بمقراضِ

(السيّد صالح القزويني) هو ايضاً احد شعراء العراق المُجيدين ولد في النَّجَف

في ١٧ رجب ١٢٠٨ هـ ١٩ شباط ١٧٩٣ م وتوفي في بغداد في ٥ ربيع الأول ١٣٠١ (٤ ك ٢ ١٨٨٣) تخرّج في وطنهِ على علمائهِ واتقن العلوم المذهبيّة ثم تفرّغ للآداب ولنظم الشعر فنبغ فيهِ . فكان مواطنوه يتنابون مجلسهُ ويتجاذبون اطراف الأدب ويتناشدون الاشعار فلا يكاد احد يبلغ شأوهُ . وقد اشتهر خصوصاً بالوصف والمدح وقد خلّف ديوانين في كلّ معاني الشعر لم يمثَّلا للطبع حتى اليوم

(الحاج عمر الانسي) ولما كانت مصر تفتخر بطهطاويّها والعراق بأخرسها كانت بيروت تأنس بأُنسيّها الحاج عمر سليل اسرة شريفة اشتهر لقبُها بالصقعان . وُلد الانسيّ سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢م) في بيروت واخذ العلوم عن الشيخين محمّد الحوت وعبد الله خالد وقد قلّدتهُ الحكومة السنيّة عدّة مناصب كنظارة النفوس في لبنان وعضويّة مجلس ادارة بيروت ومديريّة حيفاء ونيابة صور وبقاع العزيز تقلّب فيها كلها واظهر فيها درايةً وعفّة نفس وعلوّ همّة . وكانت وفاتهُ في وطنهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦م) . وقد وصفهُ من عرفهُ بحسن المعشر وأُنس المحضر والصدق والاستقامة . وكان فصيح اللفظ طلق اللسان حسن النظم ولهُ مصنّفات منها ديوان شعرهِ الموسوم بالمورد العذب طُبع في بيروت سنة ١٠١٣ (١٨٩٥م) بهمّة نجلهِ السيد عبد الرحمن . وقد كان بينهُ وبين الشيخ ناصيف اليازجي مكاتبات . ومما مدحهُ بهِ الشيخ قولهُ من ابياتٍ :

وإذا اردتَ قصيدةً نبِّهْ لها عُمَرًا وَنَمْ
الشاعرُ العربيّ ذو الـغُرَرِ التي سَبَت العجَمْ
في المكرُمات لهُ يدٌ والى الصوابِ لهُ قدَمْ
ولهُ مناقبُ لا تُنا لُ كأخاصيفُ الحَرَمْ

وهذه نبذة من اقوال الحاج عمر . قال في التقى :

عليكَ بتقوى الله والصدقِ انما نجاةُ الفتى يا صاحِ بالصدقِ والتُقى
وقِسْ حالَ ابناء الزمان بضدّهِ ترَ الفرق ما بين السعادةِ والشقا

وقال في الزهد :

رغبتُ عن الدنيا وزُخرفِ اهلها وقلتُ لنفسي انما العيشُ في الأُخرى
فدَعْني وزهدي في الحُطام فانني ارى الزهدَ في الدنيا هو الراحةُ الكبرى

ومن ظريف هجوه ما قالهُ في غلام قهوجي يُدعى هلالًا :

تعسَ الهلالُ القهوجيُّ لأنهُ قد قطعَ الانفاسَ من انفاسهِ
هذا الهلالُ هو الهلاكُ وانما غلطوا فلم يضعوا العصا في راسهِ

اراد بالعصا الشطبة التي تُرسم في رأس الكاف (ک) الشبيهة باللام (ل) . وقال يهجو ثقيلًا كان لا يزال يذكر ذنوبهُ :

شكا ثِقَلَ الذنوب لنا ثقيلٌ فقلتُ لهُ استمعْ لبديع قيلي
ثلاث بالتناسب فيك خُصَّت فلم توجد بغيرِكَ من مثيلِ
ذنوبك مثل روحك ضمنَ جسمٍ ثقيلٍ في ثقيلٍ في ثقيلِ

ومن رثائهِ قولهُ في مارون النقاش لما توفي في طرسوس سنة ١٢٧١هـ من ابياتٍ :

فقدنا اديبًا كان طِرْسُ يراعهِ اذا خطَّ سطرًا نال من خطّهِ شَطرا
اخا شِيَمٍ قد اعجزتْ عن مديحها لساني فأمسى لا يُطيق لها شكرا
وما كنتُ يا مارونُ قبلك زاعمًا بانَّ الثرى عن اعيني يحجبُ البدرا . . .
فكم لك في الآداب لطفُ شمائلٍ اذا ما نثرنا ذكرها نفحتْ نشرا
وكم لك من ابيات شعرٍ حريَّةٍ بها أن تحلّي جيدها الغادةُ العذرا
ألا يا بني النقاش لا يحزننَّكم بكًا وسّع الاجفانَ او ضيَّق الصدرا
أرى الدهر لما قسَّم الحزنَ خصَّنا بتسعة اعشارٍ وحمَّلكم عشرا . . .
فآسف لو كان التأسُّف نافعًا عليهِ ولكنَّ الثناء لهُ احرى

(الالوسيَّان عبدالله وعبد الباقي) وفي هذه المدة قضى اثنان من الالوسيّين نجبها في العراق . وهما ابنا السيّد العلّامة شهاب محمود افندي الالوسي الذي سبق لنا تعريف فضلهِ (ج ١ : ٩-١٢) اعني عبدالله وعبد الباقي . فالسيد عبدالله بهاء الدين افندي ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) فقال السيد عبد الغفّار الاخرس مؤرخًا لمولدهِ :

ليهنك يا تحريرَ اهل زمانهِ ويا كاملًا عنهُ غدا الطَرْفُ قاصرا
بطفلٍ ذكيٍّ قد اتاكَ وانما يضاهيك بالاخلاق سرًّا وظاهرا
وبشَّرني فيهِ فقلتُ مؤرخًا بمولد عبد الله تلك البشائرا

فلمّا ترعرع اخذ العلوم عن والدهِ الى ان أُصيب بوفاتهِ وهو اذ ذاك ابن اثنتين وعشرين سنة فجزع لموتهِ وكاد لحزنهِ يلحق بابيهِ. ثم انكبَّ على الدرس واجتمع ببعض افاضل وطنهِ فما لبث ان فاقهم واقبل على التدريس فحصل بعد حينٍ على شهرة واسعة وانتظم في سلك اهل الطريقة النقشبنديّة. ثم بُلي بانواع الاسقام فخرج من وطنهِ قاصدًا الاستانة العليّة لكنَّ اشقياء العربان نهبوا اثقالهُ فعاد الى بغداد صِفر اليدين. وفي آخر امرهِ تولّى القضاء في البصرة فاكرمهُ اهلها وعرفوا قدرهُ لولا انهُ تأذّى بحمّياتها القتّالة فخرج منها بعد سنتين ولسانُ حالهِ ينشد مع معاصرهِ الشيخ صالح التميمي:

ومتى تسيرُ ركائبي عن بلدةٍ ... ابدًا اقام فَناؤها بفِناها
لا فرق بين شَمالها وجَنوبها ... وقَبُولها ودَبُورها وصباها
ما ان تحرّكتِ الغصونُ بارضها ... الّا تحرّك في الجسومِ اذاها
اشجارُها خضرٌ وأوجهُ اهلها ... صُفرٌ محا كَشْفُ السقامِ بهاها
لولا قضاءُ اللهِ حتمٌ واجبٌ ... أبتِ المروّة ان ادوسَ ثراها

فما وصل الى بغداد حتى مات بعد أيام ١٢٩١ (١٨٧٤) ولهُ من العمر ٤٣ سنة وكان السيد عبدالله كثير التديّن ليّن الجانب محبًا للفقراء لا يأنف من مخالطتهم. وقد امتاز بحسن نثرهِ وجزالة تعبيرهِ. ومن تآليفهِ رسائل ومقالات مفيدة وشروح في علمَي المنطق والبيان وألّف كتاب الواضح في النحو وكتاباً في آداب الصوفيّة

امّا اخوهُ فهو السيّد سعد الدين عبد الباقي وقع مولدهُ سنة ١٢٥٠ فأرّخهُ الشاعر عبد الحميد الاطرقجي:

طربًا بمن سرَّ الورى ميلادُهُ ... ومرى نسيمُ اللطفِ في الآفاقِ
يا سادتي بشراكمُ فيمن بدا ... متخلّقًا بمكارم الاخلاقِ
فردًا أتى وبهِ استمنتُ مؤرخًا ... تمَّ السرورُ لكم بعبد الباقي

اخذ عن والدهِ كاخيهِ ثمَّ عن الشيخ عيسى البندنيجيّ وزار الحجاز وتولّى القضاء في كركوك مركز ولاية شهرزور ثم في مركز ولاية بتليس وسافر الى دار السعادة. ولهُ عدّة مصنّفات اخصُّها القول الماضي فيما يجب للمفتي والقاضي واوضح

منهج في مناسك الحجّ الذي طُبع في مصر واسعد كتاب في فصل الخطاب وغير ذلك ممّا يشهد لهُ برسوخ القدم في المعارف . توفي في مصر سنة ١٢٩٨ (١٨٨١)

(ابو النصر عليّ) واشتهر في مصر في هذه الحقبة الاديب المصري ابو النصر علي وُلد في منفلوط وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٢٩٨ (١٨٨٠–١٨٨١) نظم الشعر في مقتبل الشباب واصبح من فرسان ميدانهِ فنما خبرهُ الى خديوي مصر اسماعيل باشا فقدّمهُ واجازهُ ولابي النصر عدَّة قصائد غرّاء فيهِ وفي امراء الدولة الخديويّة وقد رافق اسماعيل باشا لمّا رحل الى الاستانة ثم مدح بعدهُ الحضرة التوفيقيَّة . ولابي النصر ديوان كبير طُبع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠٠ ضمّنهُ اقوالًا منتخبة في كل ابواب البلاغة ومعاني الشعر فممّا استحسنّاهُ قولهُ في الخمر وقد نحا في وصفهِ طريقة الصوفيين :

بنتُ كرمٍ دونها بنتُ الكرامْ ... وهي بكرٌ زفّها ساقي المُدامْ
شمسُ راحٍ في اصطباحٍ اشرقت ... في سماء الكاس كالبدرِ التمامْ
كم تجلّى كأسُها عن لؤلؤ ... من حُبابٍ كالدراري في انتظامْ
انّ لي عنها حديثًا سرُّهُ ... لا يُضاهَى وهي لي اقصى المرامْ
لو درى اهلُ التقى اسرارَها ... لَسقَوا ابناءهم قبل الفِطامْ
لا تسلْني عن معانيها وسَلْ ... عن حُلاها وسناها باحتشامْ
قال صِفْها قلتُ دَعْني انّها ... صورةٌ كالجسم عندي والسلامْ
قال زدْني قلتُ ما المسئول عنها بأدرى منها يا هذا الغلامْ
قال قلْ في كَرْمها مخلوقة ... نزهةٌ للناس من سامٍ وحامْ
ما رآها عابدٌ الّا انثنى ... عن سجود وركوعٍ وقيامْ
راحةُ الارواحِ في أقداحها ... انبأتنا انّها تُبري السقامْ

وهي طويلة . ومن حسن شعرهِ قولهُ يصف سفر الحضرة التوفيقيَّة الى الصعيد سنة ١٢٨٧ :

زار في موكبٍ كعقد اللآلي ... فازدهى بالقدوم صفو الليالي

الى ان قال :

فازدهى رونقُ الصعيد جمالًا وتحلّت ارجاؤهُ بالحلالِ
وروى النيلُ عن رُواهُ حديثًا يشرحُ الصدر شرحهُ في المقالِ
حيث دُقّت بالشاطئَينِ طبولٌ والاهالي تفوقُ عدَّ الرمالِ
وتلافوا بضُمَّرٍ سابقاتٍ فترى الليث فوق ظهر الغزالِ
وتوالَوا في سَيرِهم فاضاءت حليةُ البيض بين سُمْر العوالي
وجميعُ البلادِ ابدت سرورًا ناشراتٍ اعلامها بابتهالِ
نسألُ الله عصمةً ونجاحًا وبقاء لهُ وحسنَ مآلِ .

ومن اقوالهِ يعاتب دهرهُ :

إلامَ تصوّبُ الاوهامُ غيًّا وتنشرُ ما طواهُ الرشدُ طيًّا
أبعد الحقّ تُنتظَر الاماني ويُفرَضُ ميتُ الآمالِ حيًّا
اذا كنّا مع الاحياء موتى فهيًّا نلحقُ الامواتَ هيًّا
شربتُ من الأسى عَلَلًا ونَهْلًا فزدتُ صدًى وما ألفيتُ ريًّا
وكم جبتُ المهامهَ كي أُلاقي بمُنتَجعي جوادًا او تقيًّا
فذاك اراهُ مختالًا فخورًا وهذا قصدهُ يُدعى وليًّا

وقال يصف الاماني الباطلة :

بلوتُ الاماني وجرّبتُها فألفيت فيها عجيبَ العُجابْ
تريك البعيدَ قريبًا كما تريك انقيادَ الامير المهابْ
فلا تتّخذها سبيلًا الى بلوغ المرام ودَعْ ما يُعابْ
فانّ الاماني خيالٌ يمرُّ على من تخيّل مرَّ السحابْ
وغايةُ ما ينتجُ من مُناها تصوّرُ خلافِ الصوابْ

ومن اقوالهِ الحماسيّة قولهُ :

ارى دولة الأيّام خائنة العهدِ مراوغةً تصبو الى الخُلف في الوعدِ
وما بالها تجني على كلّ ماجدٍ كأنّ لها ثارًا على دولة المجدِ
تريناً محيًّا باسم الثغر ظاهرًا ولكن لها قلبٌ مصرّ على الحقدِ
تغرّ فتحلو للغبيّ ومن درى تُجرّعهُ كأس المرار على عمدِ

اعدَّت لحربي جندَها فلقيتُها ... بقوّةِ جأشٍ دونها قوّةُ الصلدِ
وأستقبل الاخطار بالبشر لاهياً ... بدون اكتراثٍ مازج الهزل بالجدِّ
وان ضاق ميدانُ المخاوف لم اكن ... حريصاً على حبّ الحياة ولا افدي

ولابي النصر رحلتان الى القسطنطينية كانت الاولى في ايام السلطان عبد المجيد موفداً من محمّد عليّ الكبير وانشد حينئذٍ شيخ الاسلام قولهُ يمدح القسطنطينية:

وكنّا نرى مصر السعيدة جنّةً ... ونحسبُها دون البلاد هي العليا
فلمّا رأت دار الخلافة عينُنا ... علمنا يقيناً انّها لَهيَ الدنيا

وكانت رحلته الثانية مع الخديوي اسماعيل باشا وصادف دخولها الاستانة يوم عيد جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) فقال ابو النصر يمدح الحضرة السلطانيَّة بقصيدة مطلعها :

تبسَّمتِ الازهار عن لؤلؤ القطرِ ... ففاح شذاها في الحدائق كالعطرِ

ومنها في مدح السلطان :

افادَ العلى جاهاً وعزّاً مؤبَّداً ... وألبسها من مجدهِ حللَ الفخرِ
وابدى لأعلام التقدُّمِ مظهراً ... بهِ ملكهُ يعلو على دولِ العصرِ
واحيا لإحياء العلى كلَّ دارسٍ ... فاضحت قلاعُ الثغر باسمة الثغرِ
وجدَّد في عهدٍ قريبٍ بواخراً ... بها قوّةُ الاسلام محكمةُ الامرِ
بروتقها تكسو الفخار مهابةً ... وتلوّها حازت على الانجم الزُّهرِ
لهُ من رجال الحرب جيشٌ عرمرمٌ ... لهم هِمَمٌ في الفتك بالبيض والسمرِ
مدافعهم شمُّ الأنوفِ على العدى ... تخرُّ لها شمُّ الجبالِ من الصخرِ
واسيافُهم في السِلْم يحلو صيابُها ... متى جُرِّدت مالت الى القطر بالنَّحرِ

وختمها بهذا التاريخ :

وها ان في البُشرى اقولُ مؤرّخاً ... جلوسُكَ عيدُ الدهر ام ليلةُ القدرِ

(محمود صفوت) ومن معاصري ابي النصر علي وطنيُّهُ محمودُ افندي صفوت بن مصطفى اغا الزيلع الشهير بالساعاتي ولد بالقاهرة سنة ١٢٤١ وبها توفي سنة وفاة ابي

النصر ١٢٩٨ (١٨٨١) لزم الآداب واشتهر بنظمهِ ونثرهِ حتى عُدَّ فيها من المقدَّمين. وتوجَّه الى الحجاز ودخل على امير مكَّة الشريف محمَّد بن عون فاكرم مثواهُ وابقاهُ عندهُ الى آخر امارتهِ ثم سافر الى القسطنطينيَّة وعاد بعد ذلك الى وطنهِ وفيهِ قضى بقيَّة حياتهِ. ولمحمود افندي صفوت ديوان شعر نُشر بالطبع في مصر سنة ١٣٢٩ (١٩١١). فمن ذلك قولهُ يفتخر :

ولَع الزمانُ واهلهُ بعداوتي ... انَّ الكرام لها اللئامُ عِداءُ
أَتحطُّ قدري الحادثاتُ وهمَّتي ... من دونها المرّيخُ والجوزاءُ
هيهات تخفضُ جانبي وعزائمي ... مثل البواتر دأْبها الإمضاءُ
صبرًا على كيد الزمان فانَّما ... يبدو الصباحُ وتنجلي الظلماءُ

ولهُ في رثاء احد العلماء :

بكت عيون العلا وانحطَّت الرُّتَبُ ... ومزَّقت شملَها من حزنها الكتبُ
ونكَّست رأسها الاقلامُ باكيةً ... على القراطيس لمَّا ناحت الخُطَبُ
وكيف لا وسماء العلم كنتَ بها ... بدرًا تمامًا فحالت دونك الحجُبُ
يا شمسَ فضلٍ فدتك الشهبُ قاطبةً ... اذ منك لا النجمُ تُغني ولا شهبُ
لمَّا اصابك لا قوسٌ ولا وترٌ ... سهمُ المنيَّة كاد الكون ينقلبُ
ما حيلةُ العبدِ والاقدارُ جاريةٌ ... العمرُ يوهَبُ والاقدارُ تنتهبُ

(صالح مجدي بك) وفي السنة ذاتها ١٢٩٨ (١٨٨١) توفي أديب آخر من نوابغ كتبة مصر السيّد صالح مجدي بك. وُلد في رجوان من مديريَّة الجيزة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وبعد ان تلقَّى مبادئ العلوم العربيَّة ودرس اللغة الفرنسويَّة الحقهُ استاذهُ رفاعة بك الطهطاوي بقلم الترجمة ثم عهد اليهِ بتدريس اللغتين العربيَّة والفرنسويَّة في المدرسة الهندسيَّة الخديويَّة وعهدوا اليهِ تعريب كتب علميَّة للفرنج فعرَّب منها عددًا وافرًا في رسم الامكنة والطبقات الجيولوجيَّة والميكانيكيَّات والحساب والجبر والهندسة والفلكيَّات والفنون الحربيَّة كبناء الحصون ورمي القنابل الى ان تولى رئاسة الترجمة وجعلهُ اسماعيل باشا في المعيَّة السنيَّة وولَّاهُ مناصب أُخرى وكان آخر ما عهد اليهِ قضاء القاهرة فلزمهُ الى وفاتهِ. وكان صالح بك يحسن الانشاء وفنون الكتابة وقد نُشر

مقالات عديدة اجتماعيَّة وسياسيَّة وادبيَّة في جرائد مصر كروضة المدارس والوقائع المصريَّة · واشتغل بتأليف مطول لتاريخ مصر مع علي باشا المبارك ولهُ ديوان شعر واسع طُبع في بولاق سنة ١٣١٢ هـ

ومن شعر السيد صالح بك مجدي قولهُ سنة ١٢٨٩ يهنّئ جناب الخديوي اسمعيل باشا عند رجوعهِ من الاستانة :

مع النصر وافى مَن عليهِ المعوَّلُ ... ومن هو في ايَّامهِ الغرّ اوَّلُ
ومن هو للاوطان والملك والملا ... ملاذٌ وحصنٌ لا يُرامُ وموئلُ
ومن تملأ الدنيا مهابتُهُ التي ... بها الأُسدُ في آجامها تتجدَّلُ
ومن فاض من يمناهُ ماءُ سماحةٍ ... فأحيا بلادًا اهلها قد تمزَّلوا
ومن شاد اركان المعالي بهمَّةٍ ... يقصّرُ عن ادراكها متطوّلُ
وقد جاءت البشرى بذاك فزُيّنت ... لمَقْدَمهِ مصرٌ وفاز المؤمّلُ
وأثنت على دار الخلافة عند ما ... رأتهُ بها يعلو وشانيهِ يسفلُ
فعِشْ ما تشا في دولةٍ انت ربّها ... ومجدكَ فيها من قدمٍ مؤثَّلُ
وقد قلتُ في يوم القدومِ مؤرّخًا ... الى مصر اسمعيلُ بالبشر مقبلُ

وقال من قصيدة يهنئهُ بها في اوَّل العام :

بالبشر في مصرَ لاحت غرَّةُ العامِ ... ترهو بنورِ مليكٍ للحمى حامي
ترهو بنور مليك غيثُ راحتهِ ... في الكون طولَ المدى بين الورى هامي
هو الخُدَيْوُ الذي اوطانهُ نشرت ... للفضل في عصرهِ مطويَّ أعلامِ
وللتمدُّن مدَّت باعها والى ... اوج العلى سارعَتْ من غير إحجامِ
فيا لهُ من حكيم بالعلاج محا ... ما كان في جسمها من فرط أسقامِ

ولهُ في حسين باشا ناظر المعارف والاوقاف والاشغال العموميَّة :

لجنابك العالي ثلاثُ مصالحٍ ... نُظمتْ بسمطَي عسجدٍ ولُجَينِ
واضاءَ منك جبينُها برئاسةٍ ... اعمالُها منشورةُ العلَمَينِ
ونمتْ بها بركاتُ اوقافٍ روت ... مصرًا وقد فاضت على الحرَمَينِ
وبحزمك الاشغالُ زاد نجاحها ... ونجازُها في السهل والجبلَينِ

ولك المعارف غرَّدت ابناؤها بمدائح الاجداد والابوَينِ
وبديعُ نظمٍ كامل في كاملٍ من مخلصٍ بالقلب والشفتَينِ
من مخلص لك في الثناء بدولةٍ اضحيت فيها حائزَ الشرفَينِ

وختمها بهذا التاريخ :

والمجد في علياك قال مؤرخاً زمنُ المعارف مُشرقٌ بحُسَينِ (١٢٨٩)

(ابو السعود افندي) ومن مشاهير ادباء مصر في ذلك الوقت ابو السعود افندي عبد الله المصري ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨) في دهشور قرب الجيزة ودرس في المدرسة الكلية التي انشأها محمّد علي باشا في القاهرة فبرع بين اقرانهِ. ثم ندبتهُ الحكومة الى نظارة اعمالها فكان في وقت الفراغ يواصل دروسهُ ويعكف على التأليف شعرًا ونثرًا. وحرَّر مدَّة جريدة وادي النيل وكاتب أُدباء زمانهِ . ونقل بعض كتب الفرنج الى العربيَّة. ومن تآليفهِ «كتاب منحة اهل العصر بمنتقى تاريخ مصر» نظم فيهِ مجمل حوادث تاريخ مصر للجبرتيّ ووضع تاريخاً لفرنسة الحقةُ بتاريخ ولاة مصر من اوَّل الاسلام دعاهُ بنظم اللآلي . وباشر بترجمة تاريخ عامّ مطوَّل وسمهُ بالدرس التامّ في التاريخ العامّ طُبع منهُ قسمٌ سنة ١٢٨٩ . وكان ابو السعود شاعرًا مجيدًا لهُ ديوان طُبع في القاهرة اودعهُ كثيرًا من فنون الشعر كالمديح والمراثي والفراقيَّات . ونبغ في المنظومات المولَّدة كالمواليا والموشَّحات. ولهُ ارجوزة نظم فيها سيرة محمّد علي باشا كثيرة الفوائد بيّنة المقاصد تبلغ عشرة آلاف بيت. ولهُ غير ذلك مما تفنن فيهِ وسبق آل عصرهِ توفي ابو السعود افندي في ربيع الاوَّل سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨). وقد رثاهُ احد شعراء وطنهِ بقصيدةٍ قال في مطلعها :

خُلِق الهبوطُ مع الصعودْ ومع القيام بدا القعودْ

الى ان قال :

ليس البكاءُ لغادةٍ ابدتْ لمغرمها الصدودْ
لكنَّهُ لمَّا قضى ربُّ القريض ابو السعودْ
من لم يُجبهُ بدمعهِ فكأنَّما نقضَ العهودْ
فهو الحريُّ بان تذو بَ عليهِ بالاسفِ الكبودْ

بحرٌ تدفّق ماؤه لكنَّهُ عذبُ الورودْ
بقريحةٍ سالت على ارجائها سَيْلَ العهودْ
كم انتجت نُخَبًا لـهُ فكأنّها الامُّ الوَلودْ
ابدًا توقَّدُ بالـذكا ء فليس يعروها خمودْ
نشبت مخالبهـا المنيَّــةُ فيهِ وهو من الاسودْ
لا غروَ ان صعـدَ السما بين المـلائكة السجودْ
فبناتُ نعشٍ قد حملـنَ سريرهُ لمن الشهودْ

(الحاج حسين بَيْهم) وفي آخر هذه الحقبة في صفر من سنــة ١٢٩٨ (٢٤ ك ٢ ١٨٨١) فقدت الآداب احد اركانها في بيروت وهو الحاج حسين ابن السيد عمر بَيْهم كان والدهُ عمر من اعيان المدينة وادبائها رثاهُ الشيخ ناصيف اليازجي سنة وفــاتهِ ١٢٧٦ (١٨٥٩) بقصيدة مطلعها :

زُرْ تربةً في الحمى يا ايّها المطرُ وقُلْ عليـكَ سلامُ اللهِ يا عُمَرُ

ومنها :

في شخصهِ الدين والدنيا قد اجتمعا وذاك بنـدرُ ان تحظى بهِ البشرُ

ولد حُسين ابنهُ سنة ١٢٤٩ (١٨٣٣) ونشأ حريصاً على تحصيـل مسائل العلم وفنون الادب فاخذ عن علماء ملّتهِ كالشيخ محمّد الحوت والشيخ عبدالله خالد. وبعد ان تعاطى التجارة زمناً يسيرًا انقطع الى العلم ونال بهِ شهرةً ثم نظم الشعر فصارت لهُ بهِ ملكة راسخة بحيث كان يقولهُ ارتجالًا في المحافل ويخرجهُ على صور مبتكرة تطرب لهُ الاسماع. وقد ولّتــهُ الحكومة عدّة مناصب كنظارة الخارجيّــة ورئاسة الاحكام العدليَّة ثم أُعيدت اليهِ الخارجيَّة فقال في ذلك :

انَّ الفؤاد لهُ في الملك معرفةٌ فـالخارجيَّةُ لم تترك نظارتَهُ
لذاك سلطانُنا المنصور ردَّ لهُ مع حسن انظارهِ أرّخْ بضاعَتَهُ

ولمّا وُضع القانون الاساسيّ وفُتح للمرّة الاولى مجلس النوّاب انتخبـهُ مواطنوهُ ليمثلهم فيهِ فحضر في الاستانة جلساتهِ ثم عاد الى وطنهِ واعتزل الاموريّات وانقطع الى الآداب. وكان حاضر الجواب ثاقب الرأي كريم الاخلاق عالي الهمّة محبوباً عنـد

الجميع . وكان احد اعضاء جمعيَّة العلوم السوريَّة المُنشأة في بيروت فلمَّا توفي رئيسها الاوَّل امير محمَّد ارسلان عهدوا اليهِ رئاستها . وكان للحاج حسين نظمٌ رشيق مطبوع قد بقي منهُ القليل ومن آثارهِ رواية ادبيَّة وطنيَّة مُثلَّث مرارًا وقرَّظها الادباء . ومن شعرهِ قولهُ في تاريخ جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٧ :

خلافة الاسلام قد اصبحت   تزهو افتخارًا بالمليك العزيزْ
وملَّة الايمان ارّختُها   طابت بشاهنشاهَ عبد العزيزْ

وقال مؤرخاً انشاء التلغراف في بيروت :

لله درُّ السلكِ قد ادهشت   عقولنا لمَّا على الجوّ ساقْ
فأعجبَ الكون بتاريخهِ   شبهُ برقٍ او شبيه البُراقْ   (١٢٧٧)

وقال مشطرًا :

اذا العناية لاحظتك عيونُها   وحَباكها من فضلهِ الرحمانُ
ناداك طائرُ يمنها وسعودها   نَمْ فالمخاوف كلُّهنَّ امانُ
واصطَدْ بها العنقاء فهي حبالةٌ   واملك بها الغبراء فهي سنانُ
واصعد بها العلياء فهي معارجٌ   واقتَدْ بها الجوزاء فهي عنانُ

ومن جيّد شعرهِ قولهُ يعزّي صديقاً بفقد مالهِ :

لقد غمَّنا واللهِ والصحبَ كلَّهم   مصابٌ دهاكم بالقضا حكم قادرِ
كأنَّ شرارًا منهُ طار لارضنا   فاحرق احشاء الورى بالتطايرِ
ولكنَّنا قلنا مقالةَ عاقلٍ   يسلّم للباري بكل المظاهرِ
اذا سَلِمتْ هامُ الرجالِ من الردى   فما المالُ الَّا مثل قصِّ الاظافرِ
فكنْ مثل ظنِّ الناس فيك مقابلًا   لذا الخطب بالصبر الجميل المصادرِ
ولا تأسفَنْ اذ ضاع مالٌ ومقتنًى   فربُّكَ يا ذا الحزم اعظمُ جابرِ
وانَّ حياة المرء رأسٌ لمالهِ   سلامتهُ تعلو جميع الخسائرِ

وقد نظم ارجوزةً حسنة في العلم وشرفهِ نُشرت في اعمال الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة لسنتها الاولى (ص ١٦–٢٦)

ومما رُثي بهِ الحاج حسين افندي بيهم قول ابي الحسن الكستي :

فراقكَ صعبٌ يا حسينُ احتمالُهُ وبعدك رَكْبُ الأنس شالت رحالهُ
رحلتَ الى دار البقاء مكرَّماً ومثلكَ مولًى للنعيم مآلهُ
ولكن تركت القوم تبكي عيونهم عليك بدمعٍ كالسيول انهالُهُ
وليس لنا من بعد فقدك حليةٌ سوى الحزن او صبرٍ يعزُّ منالهُ
حويتَ خصالاً جلّ في الناس قدرُها وما كلُّ انسانٍ تجلُّ خصالهُ
عفافٌ ومعروفٌ وعلمٌ ورقَّةٌ وفضلٌ ومجدٌ قلَّ فينا مثالهُ

(محمَّد اكنسوس) وممَّن رُزئت بهِ الآداب في هذا الوقت في بلاد المغرب الاديب الشاعر ابو عبدالله محمد بن احمد اكنسوس المراكشي توفي في بلدهِ مراكش سنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) وقد عُرف المذكور بسعة معارفه لاسيا التاريخيَّة والادبيَّة. ولهُ التاريخ المسمَّى كتاب الجيش وقصائد عديدة في مشاهير بلادهِ من ذلك قولهُ يرثي سلطان مراكش المولى عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩) :

هذي الحياةُ شبيهةُ الاحلامِ ما الناسُ ان حقَّقتَ غيرُ نيامِ

ومنها :

لو كان ينجو من رداها مالكٌ في كثرةِ الانصار والخدَّامِ
لَنجا امير المؤمنين ومن غدا اعلى ملوك الارض نجل هشامِ
خير السلاطين الذين تقدَّموا في الغرب او في الشرق او في الشامِ
يا مالكاً كانت لنا ايَّامهُ ظلاًّ ظليلاً دائمَ الإنعامِ
لا ضير انك قد رحلتَ ميمّماً دار الهناء وجنَّةَ الاكرامِ
فلك الرضى فانعم بما أُعطيتَهُ ولك الهناء بنيل كل مرامِ

وقال يصف خروج السلطان المولى حسن على اعداء دولتهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) :

عصفتَ عليهم بالبأسِ تُزجي كتائبَ كالسحابِ اذا تلوحُ
فالقيتَ الجرانَ على ذراهم بجيشٍ كلُّهم بطلٌ مُشيحُ
فجاء العفو منك وهم ثلاثٌ اسيرٌ او كسيرٌ او ذبيحُ
وقد قُسمت بلادهمُ بعدلٍ ودورهمُ كما قُسمَ الوطيحُ

فلا تحلمْ فانَّ الجرح يُكوى طريًّا بالمحاور او يقبحُ
ابا زيدٍ اذا تبقي عليهم بصفحٍ رُبَّما ندم الصَّفوحُ

ولهُ يصف بستانًا للوزير ابي عبدالله محمَّد بن ادريس :

يا منزلًا قد خصَّصتْهُ سعادةٌ واستبدلَتْهُ انعُمًا من أبؤسِ
اصبحتَ مأوًى للوزير محمَّدٍ نجلِ الأدارسةِ الكرام المغرسِ
انسانُ عينِ الكون من لَبِسَت بهِ رُتَبُ العلى ابهى واحج ملبسِ
يا ايُّها البحر الذي من فيضهِ كلُّ الاماني والغنى للمفلسِ
جنيك ذا القصرُ الذي انشأتهُ بالسعد في عام انشراح الانفسِ
لا زلتَ تشرف من مطالع سعدهِ كالبدر يظهر من خلال الحندسِ
والدهرُ يخدم جانبيك ويحتمي بجلالك العالي الاعزّ الاقدسِ

وكان محمَّد اكنسوس يأسف على ما يرى في وطنهِ من الخمول فقال في ذلك قبل وفاتهِ :

ولستُ أُبالي ان يقال محمَّدٌ أبَلَّ أم اكتظَّت عليهِ المآتمُ
ولكنَّ دينًا قد اردتُ صلاحهُ أحاذِرُ ان تقضي عليهِ العمائمُ
وللناس آمالٌ يُرجّون نَيْلَها وان متُّ ماتَتْ واضمحلَّت عزائمُ
فيا ربِّي ان قدَّرتَ رجعي قريبةً الى عالمِ الارواح وانفضَّ خاتمُ
فبارك على الإسلام وارزقهُ مرشدًا رشيدًا يضيءُ النهجَ والليلُ قاتمُ

هذا ما امكنَنا جمعهُ من تراجم ادباء المسلمين في هذا العُشر وهو برضٌ من عدّ ولا نشكَّ انهُ اشتهر في بلاد الاسلام غير هؤلاء. الَّا انَّ تواريخهم لم تُطبع حتى الآن او تجد منها نُتفًا قليلة متفرّقة لا ينتفع من مضامينها الَّا من وصلت يدهُ الى تلك المنشورات وسمح لهُ الزمان بمراجعتها وقليل ما هم

وممَّن اطَّلعنا على ذكر بعض آثارهم دون معرفة ترجمة حياتهم الشيخ العالم حمزة افندي فتح الله الذي حرَّر مدَّة في الاسكندريَّة جريدة الكوكب الشرقيّ ثم انتقل الى تونس ففوَّضتهُ حكومتها أن يحرّر جريدتها الوسميَّة المدعوَّة بالرائد التونسي مع منشئها منصور افندي كرليتي. فاشتغل بذلك مدَّةً منذ السنة ١٢٩٣(١٨٧٦ م) وكان

ذا باع في الانشاء. ولهُ نظم حسنٌ فمن ذلك قولهُ يمدح الوزير الكبير خير الدين باشا بقصيدة مطلعها :

آلاؤكَ الغرُّ او آناؤك الغررُ ... زها جا في الزمان الجيدُ والطُررُ

ومنها :

الله ملجأنا اذ ليس يفجأنا ... شرُّ الخطوب وخيرُ الدين لي وزرُ
خيرٌ لهُ همّةٌ اعلى وارفع من ... هام الثريّا ومجدٌ ليس ينحصرُ
وسيرة سرّت الدنيا بشائرُها ... وضمّخ الكون عرفاً مسكها الذفرُ
لا زال كهفاً لمن يأوي بساحتهِ ... في ظلّهِ تسعد الآمال والوطرُ
وكعبةً وزراء الفضل انجمُها ... تزهو بهِ وهو فيما بينهم قمرُ

وكان خير الدين المذكور وزيرًا لباي تونس فاشتهر بحسن سياستهِ وتدبيره للامور. وكان كاتباً بارعاً ألّف كتاباً دعاهُ اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك طبعهُ في حاضرة تونس سنة ١٢٨٥. وهو اجود كتاب وضعهُ احد الشرقيين في وصف الممالك الاوربية وتعريف احوالها المدنية مع لمحة من تواريخها

وعُرف بذلك الوقت في المغرب وبلاد تونس من الادباء الوزير ابو العباس احمد ابن ابي ضياف والشيوخ ابو عبدالله محمد الباجي واحمد كريم الحنفي وابو النجاة سالم ابو حاجب وابو عبدالله محمد العربي زورق ومحمد الصادق ثابت وابو راشد يونس المروسي ومصطفى رضوان ومحمد بن الحسن التطواني وقد قرأنا لكلهم فصولاً في الادب الّا انّ اخبارهم منقطعة عنّا

وممَّن لم نقف على اخبارهم ونالوا بعض الشهرة في الادب في الطور الذي نحن بصددهِ السيّد عبد الرحمان النحّاس نقيب الاشراف في بيروت نشر ديوان خطب اسلاميَّة مسجَّعة قرَّظها الشعراء وممَّا قال فيها الشيخ ابراهيم الاحدب :

انشا لنا الخُطَبَ التي الفاظُها ... قد اعربت في السمع لحن مثاني
فقرٌ غدت حُلي المسامع مثلما ... اغنت فقير الفضل بالاحسانِ
أذنت لآلئ لفظها بولوجها ... في مسمع الآذان قبل أذانِ

وللسيّد عبد الرحمان قصائد متفرّقة منها قولهُ يمدح الشاعر مصباح البربير :

لقد ضاء مصباحُ مشكاةِ عصرهِ وفاق بحسن الذكر نشرَ الشمائلِ
فتًى من بني البربير حازَ براعةً وكان بنظم الشعر اوّلَ قائلِ
بهِ طاب اهل المجد فرعاً وقد سما مقاماً على هام البدور الكواملِ
لقد صاغ من نسج القريض نظامهُ وجاء بديوان غريب المناهلِ
وكان حديث السنّ لكنّ قدرهُ كبيرٌ بانواع العلى والفضائلِ

واصاب في طرابلس بعض الشهرة الشيخ محمّد الموقّت كان يتعاطى الشعر ولهُ مراسلات شعريّة مع الشيخ ناصيف اليازجي منها قصيدة في مدحهِ يقول فيها:

لله هاتيك الصفاتُ فانها جمعت ثناء مشارقٍ ومغاربِ
أتظنُّ كلَّ مهنَّدٍ في غمدهِ ماضٍ وكلَّ غضنفرٍ بمحاربِ
لا يخدعنَّك بالمُحال فانَّهُ ما كلُّ من سلَّ الحسام بضاربِ
هذا هو الروض الذي ازهاره عطَّرنَ كل تنوفةٍ وسباسبِ
هذا هو الماء الزلال وغيرهُ ملحٌ أجاجٌ ما يلذُّ لشاربِ
هذا هو الفخر الذي شرُفت بهِ ابناء دوحتهِ لبُعْد تناسبِ

وكان في مصر طرابلسيّ آخر يدعى حسن افندي الطرابلسيّ كاتَبَ ايضاً الشيخ ناصيف فمدح الشيخُ آدابه وشعرهُ فقال:

يا ايّها الحسَنُ الميمونُ طالعهُ احسنت حتى ملأت السَّمعَ والبصرا
ما زلتَ تجلو علينا كلَّ قافيةٍ قد شبَّبت بمعاني حسنها الشُّعرا
يجزك الشعرُ انشاداً فنحن بهِ نغوصُ في البحر حتى نجتني الدُّررا

وكذلك كتب في جرائد مصر الشيخ خليل العزازيّ ونظم القصائد فمدحهُ محرّر الجوائب بقولهِ:

ألم ترَ كيف يزخرُ بالقوافي فيُسكر من سلافتها العقولا
فتروي كلَّ من امسى غليلاً وتشفي كلَّ من اضحى عليلا

وقام في العراق احمد عزّت الفاروقي ابن اخي الشاعر عبد الباقي الذي مرَّ لنا ذكرهُ سابقاً . ولهُ آثار شعريّة لم تُجمع حتى الآن . مدحهُ منشئ الجوائب غير مرَّة لوفرة آدابهِ . واخبارهُ مجهولة لدينا

الادباء النصارى

ظهرت في هذا العهد ثمرة المدارس المسيحية التي أُنشئت في انحاء الشام فخرج منها جمهور من الادباء اخذوا يحرّرون الجرائد ويصنفون التآليف المختلفة وينظمون القصائد ويمثلون الروايات التشخيصيَّة ويعقدون الجمعيَّات الادبيَّة فيلقون فيها الخطب ويهتمون بتنشيط العلوم فحصلت بذلك نهضةٌ استوقفت الابصار وبعثت في القلوب رغبة الترقي والتمدُّن

(بنو اليازجي) واوَّل من يتحتَّم علينا ذكرهم الشيخ ناصيف اليازجي واسرتهُ التي كاد الموت يقصف آخر غصونها بوفاة نجليه المرحوم الشيخ ابراهيم والسيّدة وردة . وها نحن نلخّص اخبارهم جميعاً لائتلاف الموضوع وفرارًا من التكرار . اصل هذا البيت من روم حمص . ثم نمت اسرتهم وتفرَّعت الى عدَّة فروع فهاجر قوم منهم في العشر الاخير من القرن السابع عشر الى لبنان فسكنوا جهة الغرب واستوطن غيرهم وادي التيم وكان بعضهم دخل في خدمة عُمَّال الدولة في اواسط القرن الثامن عشر بصفة كاتب فعُرف باسم اليازجي اي الكاتب وعُرف بهِ ابناؤهُ من بعدهِ . وقد جاهر هذا الفرع بالمذهب الكاثوليكي مع أُسر أُخرى كبيت البحري وبيت كرامة في منتهى القرن الثامن عشر وسكنوا كفرشيما من قرى ساحل بيروت . وكان عبدالله بن ناصيف بن جنبلاط والد الشيخ ناصيف طبيباً درس الطبَّ على بعض رهبان الشوير وتعاطاهُ بالعمل فحذق بهِ وكان مع ذلك محبًّا للآداب العربية يطالع من كتب اللغة ما يحصل عليهِ ووسائل التعليم في ذلك الوقت قليلة . وتعلَّم الشعر فنظم بعض القصائد التي اخذتها ايدي الضياع . وممَّا روى لهُ حفيدهُ الشيخ ابراهيم قولهُ يمدح ديوان شعر للقسّ حنانيا منيّر صاحب التآليف التي سبق لنا وصفها :

يا من عُنيتَ بنظم ذا الديوانِ عشْ بالهنا والخير والرضوانِ
اني لقد طالعتهُ فوجدتهُ نظماً فريدًا ما لهُ من ثانِ

وكان مولد ناصيف ابنهِ في كفرشيما في ٢٥ آذار سنة ١٨٠٠ درس مبادئ القراءة والكتابة على القس متى الشبابي . ثم شعر برغبة عظيمة في معرفة اصول اللغة وفنون الآداب فانكبَّ عليها بنشاط وحرص على اتقانها ما امكنهُ فنال منها نصيباً

حسناً . ثم درس الطبّ على والدهِ ووضع فيهِ ارجوزةً سمّاها «الحجر الكريم في اصول الطبّ القديم» لم تُنشر بالطبع . ودرس ايضاً فنّ الموسيقى ووعى كثيراً من اصولها ودقائقها . وكان مغرًى بالتاريخ مواظباً على قراءة اخبار القدماء فيحفظ منها تفاصيل كثيرة لا تبرح من ذاكرتهِ اذا انطبعت فيها مرَّةً

لكنَّ الادب غلب على الشيخ ناصيف فبلغ فيهِ مبلغاً عجيباً قيل انهُ استظهر القرآن وحفظ كل ديوان المتنبي وقصائد عديدة من الشعر القديم والمولَّد لا يخلّ فيها بحرف . وكان في اوقات الفراغ ينسخ ما يحصل عليهِ من الآثار الادبيَّة بخط جميل اشبه بالقلم الفارسيّ

ومما امتاز بهِ على اهل زمانهِ شعرهُ فانَّهُ نبغ فيهِ على ما رُوي وعمرهُ لا يتجاوز عشر سنين فكان يقول الشعر عفوًا عن البديهة ويأتي بكل معنى بليغ . وكان في اوَّل امرهِ ينظم المغنَّى والزّجليَّات تفكُّهاً . وقد تلف معظم هذه المنظومات العاميَّة

وسطع في ذلك الوقت نجم الامير بشير الكبير فقصدهُ الادباء والشعراء ومدحوه ونالوا من سجال فضلهِ منهم المعلم الياس اده ونقولا الترك وبطرس كرامة فسار الشيخ ناصيف الى بيت الدين واتَّصل بهؤلاء الادباء فقرَّبوهُ من الامير الذي اتَّخذهُ كاتباً لاسرارهِ ورفع شأنهُ . وللشيخ في مخدومهِ قصائد جليلة منها رائيَّتهُ التي قالها مهنّئاً لهُ بانتصارهِ من اعدائهِ سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م) واوَّلها :

حَنيك جَنيك هذا النصرُ والظفرُ   فانعَمْ اذن انت بل فلتنعمِ البشرُ

وبقي في خدمتهِ اثنتي عشرة سنة . فلمَّا كُفَّت يد الامير عن تدبير لبنان سنة ١٨٤٠ فارقهُ الشيخ ناصيف ونزل مع اهلهِ الى بيروت فسكنها الى سنة وفاتهِ

وفي هذه الثلاثين السنة الاخيرة من عمرهِ انقطع الى التأليف في بيتهِ والى التدريس ومراسلة الادباء فحظي بشهرةٍ عظيمة . وسمع بهِ المستشرقون فكاتبوهُ واقترحوا عليهِ عدَّة مصنَّفات اجابهم الى وضع بعضها فطبعوها في مجلَّاتهم . وكان علماء الشرق يتسابقون الى مكاتبتهِ ويتناوبون بينهم القصائد والرسائل . ومن فضل الشيخ ناصيف انهُ سعى مع بعض ادباء الشام بعقد الجمعيَّة السوريَّة لترقية الاداب ورفع منار العلوم . وكان لهُ في كل المساعي الادبيَّة يدٌ مشكورة حتى اصبح في

بلاد الشام كقطب العلوم العربيّة وشرعة المعارف الوطنيّة

واشتغل ايضاً مع اصحاب الرسالة الاميركيّة فنظم لهم المزامير وبعض الاغاني الدينيّة واستفادوا منهُ ايضاً في تعريب الاسفار المقدّسة التي نشروها في مطبعتهم . وكان احدَ اعضاء جمعيّتهم التي انشأوها سنة ١٨٤٨ (المشرق ١٢ : ٤٠ ثم ZDMG, V. 96)

امّا تآليف الشيخ ناصيف فكلُّها مشهورة سردنا اسماءها في تاريخ الطباعة في اعداد سنتنا الثالثة واشهرها مقاماتهُ الشؤُون المعروفة بمجمع البحرين التي عارض فيها المقامات الحريريّة طُبعت مرارًا في المطبعة-الاميركيّة ثم في مطبعتنا الكاثوليكيّة . ولهُ كتاب فصل الخطاب في الصرف والنحو . وجوف الفرا والخزانة وهما ارجوزتان في اصول النحو نظمهما وعُني بشرحهما . وكتاب عقد الجمان في البيان مع ملحق في العروض . ولهُ شرح على المتنبّي اتمّهُ ابنهُ الشيخ ابراهيم ووسمهُ باسم العَرْف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب . وشعرهُ متفرّق في ثلاثة دواوين : كتاب نفحة الريحان وكتاب فاكهة الندماء في مراسلات الادباء وكتاب ثالث القمرين . وقد قصد الاديب ميخائيل افندي ابراهيم رحمة جمع شعرهِ في ديوان طُبع منهُ نبذتان في المطبعة الشرقية في الحدث وفي المطبعة الادبيّة مصحّحاً بقلم نجلهِ المذكور . وعساهُ ان يضيف اليهما ما لم يزل مخطوطاً او شاردًا من القصائد

وشعرُ الشيخ ناصيف يجمع بين الرقّة والمتانة يضارع نظم اجود الشعراء في كل ابواب المعاني وقد مرَّ لنا عدّة اقوال من قلمهِ تشهد على براعتهِ ورسوخ قدمهِ في آداب الشعر . وقد مدح اكثر مشاهير عصرهِ وادباء زمانهِ ورثى قوماً من الكرام الذين انتقلوا الى دار البقاء في ايامهِ ولهُ التواريخ المتعدّدة التي زان بها قبورهم او علّقها على الآثار البنائيّة والكنائس وغيرها . فمن مديحهِ قولهُ من قصيدة غرّاء رفعها الى جلالة السلطان عبد العزيز وضمّن كل شطر منها تاريخاً لسنة ١٢٨٣ :

ظلُّ الالــه علينا أوجُ طالعهِ قد فاق فوق جهات الافقِ كالعَلَمِ
في خلقهِ عجبٌ في عزّهِ طربٌ راحـاتهُ سُحبٌ يمطرنَ بالكرمِ
امينُ ربِّ الورى في الكون مؤتمنٌ على العباد لِحقّ العهد والذمَمِ

ومدح نابوليون الثالث بقصيدة افتتحها بهذه الابيات :

من قال انَّ الدهر ليس يعودُ ... هذا زمانٌ عادَ وهو جديدُ
قد عاد نابُلْيون بعد زوالهِ ... فكأنَّ ذلك يومهُ الموعودُ
لا تُفقَد الدنيا لفقد عزيزها ... ما دامَ يخلفُ مَيْتَها المولودُ
تتجدَّد الاشخاص فيها مثلما ... يُفرَى القضيبُ فينبت الأملودُ

ولهُ في مديح الملكة ڤيكتوريا لمَّا جلست على عرش بريطانية العظمى من قصيدة:

اليوم قامت فتاةُ الملك بارزةً ... وقام من قبلها اسلافُها الاوَلُ
فرعُ الاصول التي رَّت وجحتها ... انَّ الثار من الاغصان تُبتذَلُ
في قلبها خاتمُ التقوى وفي يدها ... من خاتم الملك ما يجري بهِ المثَلُ
قد التقى الدينُ والدنيا بساحتها ... كما التقى الكُحلُ في الاجفان والكحَلُ

ولهُ قصائد أخرى في مدح الخديويين اصحاب مصر ابراهيم باشا وسعيد باشا واسمعيل باشا. وكثيرًا ما كان يجمع في هذه المدائح انواع الجناسات والفنون البديعيَّة الصعبة المرتقى الدالَّة على تذليلهِ للمشكلات اللفظيَّة والمعنويَّة لكنَّ التعسُّف ظاهر في بعض هذه المنظومات التي وضعها لمعارضة قومٍ من شعراء القرون المتأخرة. ومن هذا القبيل بديعيتهُ التي التزم فيها تسمية الجناس والنوع اولها:

عاج المتيَّمُ بالاطلال في العَلَمِ ... فأبرعَ الدمعُ في استهلالهِ العَرِمِ

ومن احسن شعر صاحب الترجمة مراثيهِ التي اوردنا منها امثلة. ولهُ من قصيدة يرثي بها الطبَّ الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم:

وكنْ هوى في دار مصرٍ اوشكت ... منهُ رُبى لبنان ان تتفطرا
ضجَّت بهِ الاسكندريَّةُ هيبةً ... فكأنَّ فوق سريرهِ الاسكندرا
يا ايها الطَّود الذي عبثت بهِ ... ايدي المنون فال محلول العُرى
غدرَتْ بك الأيام مظلومًا كما ... تُدعى فألقت في التراب الجوهرا

ولهُ في رثاء صغير واجاد:

أستودعُ الله في طيّ الضريح فتًى ... كالغصن معتدلًا والبدر مكتملا

كنّا نؤمل ان تجني لهُ ثمرًا فخيّب الدهرُ منّا ذلك الاملا
خان الزمان له عهد الصبا وبنى عليهِ داهي المنايا اذ اتى عجلا
قدألبسوهُ الثياب البيض فاصطبغت بحُمرةٍ من دم الدمع الذي انهملا
والناس من حولهِ غشي وقد نكست رؤوسها وصراخُ الباكيات علا
يا رحمة الله حلّي فوق تربتهِ كما حللتِ على نعشٍ به حُملا

ومن مراثيهِ ما قالهُ في موت ابنهِ حبيب وهو آخر نظمهِ قالهُ شهرًا قبل وفاتهِ ولم يتمّ رثاءهُ لحزنهِ :

ذهب الحبيبُ فيا حشاشتي ذوبي اسفًا عليهِ ويا دموعُ أجيبي
ربّيتُهُ للبَين حتى جاءهُ في جنح ليلٍ خاطفًا كالذيبِ
يا أيها الامُّ الحزينةُ أجملي صبرًا فانّ الصبرَ خيرُ طبيبِ
لا تخلعي ثوب الحداد ولازمي ندبًا عليه يليقُ بالمندوبِ
هذا هو الغصنُ الرطيبُ اصابهُ سهمُ القضاء فمات غيرَ رطيبِ
لا استحي ان قلتُ قلَّ نظيرهُ بين الرجال فلستُ غيرَ مصيبِ
اني وقفتُ على جوانب قبرهِ اسقي ثراهُ بدمعي المصبوبِ
ولقد كتبتُ لهُ على صفحاتهِ يا لوعتي من ذلك المكتوبِ
لكَ يا ضريحُ كرامةٌ ومحبةٌ عندي لأنك قد حويتَ حبيبي

ولهُ يرثي الامير بشير الشهابي لما توفي في الاستانة سنة ١٨٥٠

اذا طلع النهارُ ارى الرجالا كما أبصرتُ في الليل الخيالا
واعجبُ كيف تطوي الارض ناسًا لو اجتمعوا لما كانوا جبالا
يخون الدهرُ شخصًا بعد شخصٍ كما ترمي عن القوس النبالا
اذا اغلقتَ دون الموت بابًا تناولَ الفَ بابٍ كيف جالا
ومن حذرَ المنيّةَ عن يمينٍ تدور بهِ فتأخذهُ شمالا
من الله السلام على امير دفنّا المجد معهُ والجلالا
كأنَّ الموت لم يجسر عليهِ مجاهرةً ففاجأهُ اغتيالا
فتى كالسيف إرهافًا وقطعًا ومثل الرمح قدًّا واعتدالا
ومثل البدر اشراقًا وحسنًا ومثل الغيث جودًا وابتذالا

أجلُّ بني الكرام اباً وجدًّا وأكرمُ رهطهم عمًّا وخالا
واحسنُهم واجملهم فَعالا واوثقهم واصدقهم مَقالا
كريمٌ من كريمٍ من كرامٍ بنوا في المجد اعمدةً طوالا
سليل امير لبنانٍ ينادي انا لبنانُ لمَّا مِلتُ مالا
اذا قلتَ الامير ولم تسمّي فلا يحتاج سامعك السؤالا
سألنا تحت ممنٍ عن نظيرٍ لهُ هل قام قال لا لا
ستبكيهِ البلادُ ومن عليها الى ان تستعيض لهُ مثالا
وتحصي الناسُ ما فعلت يداهُ ولكن بعد ان تحصي الرمالا

الى ان قال :

الى دار السعادة سرتَ فوزًا كانك عاشقٌ يبغي الوصالا
رايت العيش في الدنيا طريقاً لها فاخترتُ اقربهُ مجالا

وقال مؤرخاً سنة وفاتهِ :

هذا الامير السعيد الحظ تخدمهُ ملائكُ اللهُ حول العرش تجتمعُ
تقول ارقام تاريخٍ تحيط به انّ الشهاب على الافلاك ترتفعُ

ومن تعازيهِ اللطيفة قولهُ يخاطب تاجرًا أُصيب بمالهِ :

يا بائع الصبر لا تُشفق على الشاري فدرهمُ الصبر يسوي (كذا) الف دينارِ
لا شيء كالصبر يشفي قلب صاحبهِ ولا حوى مثلهُ حانوتُ عطّارِ
هذا الذي تُخمد الاحزانَ جرعتهُ كبارد الماء يطفي حدَّة النارِ
ويُحفظ القلبُ باقٍ (كذا) في سلامتهِ حتى يُبدّلُ إعسارٌ بإيسارِ
يا من حزنتَ لفقد المال انك قد خُلقتَ عارٍ (كذا) وما في ذاك من عارِ
كما اتى امسِ ذاك المالُ امكتسباً يأتي غدًا من بديع اللطف جبّارِ

ومن زهرياتهِ قولهُ :

مرَّ النسيم على الرياض مسلّما سَحرًا فردَّ هزارَها مترنّما
أحنى اليهِ الزهرُ مفرق رأسه ادباً ولو مَلَكَ الكلام تكلّما
يا حبّذا ماء الغدير وشمسهُ تعطيهِ دينارًا فيقلب درهما

محت الرياحُ به كتابةَ بعضها   فتخاصمت من فوقه فتهشّما

ولهُ هجوٌ قليل فمن ذلك قولهُ في ثقيل :

كفَّ عنّي لا ابا لكْ   قد تبيّنّا مُحالكْ
وعرفناك والّا   فمتى نعرفُ حالكْ
قد مضى لي بك عصرٌ   حاملًا فيه مَلالكْ
حسبُ قلبي منك جورٌ   كاد منهُ يتهالكْ
...نرى النادم منّا   ويُسيء اللهُ فالكْ

وقال في بخيل :

قد قال قومٌ انَّ خبزك حامضٌ   والبعض اثبت بالملاوة حكمَهُ
كذب الجميع بزعمهم في طعمهِ   مَن ذاقهُ يوماً ليعرف طعمهُ

ومن حكمهِ المأثورة :

انّي لقد جرَّبتُ اخلاقَ الورى   حتى عرفتُ ما بدا وما اختفى
كلٌّ يذمُّ الناس فالذي نجا   من ذمّهِ يدخلُ في ذمّ الملا
ولا يحبُّ غير نفسهِ فما   احبَّهُ فهو الى النفسِ انتهى
يعرف كلٌّ حالَهُ فيما مضى   الّا الذي كان دنيّاً فارتقى
وكلّ علمٍ يُدرك المرء سوى   عرفانِ قدرِ نفسهِ كما اقتفى
وكلّ من لا خير منهُ يُرتجى   ان عاش او مات على حدٍّ سوا

وممّا برز فيهِ قولهُ في الدين المسيحي :

نحنُ النصارى آلَ عيسى المنتمي   حسبَ التأنّس للبتولةِ مريم
وهو الإلهُ ابنُ الالهِ وروحهُ   فثلاثةٌ في واحدٍ لم تُقسَم
للآبِ لاهوتُ ابنهِ وكذا ابنهُ   وكذا هما والروح تحتَ تقنُّم
كالشمس يظهر جرمُها بشُعاعها   وبحرّها والكلّ شمسٌ فاعلمِ
والله يشهدُ هكذا بالحقّ في   سفرِ لتوراة الكليم مُسلَّم
عن آدم قد قالا «وصار كواحدٍ   منّا» بلفظِ الجمعِ من ذاك الفم
خالقَ البسيطةَ واحدًا في جوهرٍ   أحدٍ لخدمةِ آدمَ المستخدَم

لكن عصاه بزلَّة لا تنمحي | الّا بإرسال ابنهِ المتجسّمِ
فأتى وخلّصهُ وخلّصَ نسلَه | ذاك المخلّصُ من عذابِ جهنّمِ

ومنها في وصف اعمال السيد المسيح وآياتهِ :

شهدت عجائبُهُ لهُ في عصرهِ | فدرى الحكيمُ وتاهَ من لم يفهمِ
ولنا عليهِ ادلّةٌ قطعيّةٌ | عقلًا ونقلًا ليسَ قطعَ تحكّمِ
قد جاء لا سيفٌ ولا رمحٌ ولا | فرسٌ ولا شيءٌ يُباعُ بدرهمِ
يأوي المغارةَ مثل راعي الضأنِ لا | راعي الممالكِ في السريرِ الاعظمِ
وهو ابنُ يوسفَ لا ابنُ قيصرَ عندهم | يغزو بجيشٍ في البلادِ عرمرمِ
فأتاهُ من شعبِ اليهود جماعةٌ | كانوا على الدين التليد الاقدمِ
وتباعدوا من قومهم بعذلّةٍ | يأبون كلَّ كرامةٍ وتنعّمِ
قالوا هو ابن اللهِ جهرًا والعدى | من حولهم مثلُ الذئاب الحُوَّمِ
والناسُ بين عواذلٍ وعواذرٍ | لهمُ وبين مُحلّلٍ ومُحرِّمِ
ما غرَّكم يا قومُ فيه أسيفُهُ | ام جاهُهُ ام مالُهُ في الانعُمِ
هو ساحرٌ يطغي؟ فقالوا لم نجدْ | من ساحرٍ يُحيي الرميم بطلسمِ
كانت رجالُ اللهِ تُحيي ميتًا | بصلاتها ودعائها المتقدّمِ
ونراهُ يُحيي الميتين بامرهِ | فهو الالهُ ومن تشكّكَ يندمِ
ولئن همُ انخدعوا لغفلتهم فقد | ضَعُفَت عقولهمُ كمن لم يحلمِ
فترى بما خدعوا البلاد ومن جا | من عالمٍ يُفتي ومن متعلّمِ
فاذا اعتبرنا ما ذكرتُ بدا لنا | بالحقّ وجهُ الحقّ غيرَ ملثّمِ

وأُصيب الشيخ ناصيف في السنتين الاخيرتين من عمرهِ بفالج نصفي تحمّل مضضهُ بالصبر ثم دهمتهُ سكتة دماغيّة فتوفي فجأةً في ٨ شباط سنة ١٨٧١ رحمهُ الله ·
وممّا طُبع لهُ من التآليف في اوربّة رسالتهُ الى المستشرق دي ساسي نقلها الى اللاتينيّة الاستاذ مهرن (Mehren) وعلّق عليها الحواشي وطبعها في ليبسيك · وقد وجدنا في مكتبة برلين الملكيّة رسالة مطوّلة في احوال لبنان وسكّانهِ وامرائهِ واديان اهلهِ لا نشكّ انها لهُ وان لم يُذكر فيها اسمهُ · وهذه الرسالة نقلها الى الالمانيّة العلّامة فلَيشر (Fleischer) ونشرها في المجلة الاسيويّة الالمانية (ZDMG. VI, 98, 388)

ثم نشرتها ايضاً مجلة الهلال في سنتها الثالثة عشرة (ص ٥١٣و٥٦٦) ونسبتها الى اندراوس صوصه

قيل انَّ من اشبه اباهُ ما ظلم . وقد صدق المثل تماماً في اولاد الشيخ ناصيف اليازجي فانهم تعقَّبوا كلّهم آثار والدهم . وكان اكبرهم الشيخ حبيب ولد في ١٥ شباط سنة ١٨٣٣ ولمَّا ترعرع وجد اباهُ كهلاً تامّ القوَّة كامل العقل مولعاً بالآداب فدرس عليهِ كلّ الفنون العربية . ثمّ مال الى اللغات الاجنبيَّة فأتقن الفرنسويَّة حتى برع فيها وتعلّم غيرها كالايطالية والانكليزيَّة واليونانيَّة والتركيَّة . وكان يتردد على المرسلين اليسوعيين في بيروت ويستفيد منهم . وتجد اسمهُ في قائمة الادباء المنتظمين في الجمعيَّة المشرقيَّة التي انشأُوها سنة ١٨٥٠ واكتشف بعض آثارها جناب مكاتبنا يوسف افندي اليان سركيس (المشرق ١٥ [١٩١٢]: ٣٢) ثمّ تفرّغ للكتابة وعرَّب بعض التآليف الاجنبيَّة منها قصة عادليدة برنزويك . ومنها ايضاً قصة تلياك التي ألَّفها فنيلون فاجاد في تعريبها الَّا انَّها لم تُطبع وقد طُبعت في مصر ترجمة أُخرى دونها حسناً . ومن تآليفه ايضاً كتاب اللامعة في شرح الجامعة فسَّر فيهِ الارجوزة التي ألَّفها والدهُ في علم العروض والقوافي وكان اسمها الجامعة وقد طُبع الكتاب سنة ١٨٦٩ في المطبعة الوطنيَّة . وكان الشيخ حبيب عاقلاً لبيباً رياضيَّاً وقد اشتغل بالتجارة في آخر عمرهِ وكان في شبابهِ يحبُّ الشعر ولهُ بعض منظومات منها رثاؤهُ للطيّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم بقصيدة اوَّلها :

يسرُّ المرء اقبالُ الليالي ... ويَنسى انَّ ذلك للزوالِ

ومنها : دعِ الدنيا الغرورَ وكُنْ مجدًّا ... كحبرِ الشرق في طلب الكمالِ

هو المظلومُ حين رمى بتاجٍ ... لهُ واعتاض أكفاناً بَوالي

لقد ضُربت بهِ الامثالُ لمَّا ... غدا بين الرُّعاة بلا مثالِ

الى ان قال :

وفي الإسكندريَّة دُكَّ طودٌ ... فلم تنفكَّ فاقدةَ الجبالِ

ثوى في ترجها بدرٌ منيرٌ ... فقد حسدتهُ افئدةُ الرجالِ

رئيسٌ كان في دنياهُ بحرًا ... فكانت تُجتنى منهُ اللآلي

لقد ارضى الالهَ بكل امرٍ ... وارضى الناس في حُسن الفعالِ

فعاش كما نؤرخهُ سعيدًا وفي الدارَين قد بلغ المعالي

وكانت وفاة الشيخ حبيب كهلًا قبل والدهِ ببضعة اسابيع في سلخ السنة ١٨٧٠.

وكما عاجلت المنون بكر الشيخ ناصيف كذلك قطفت ابنهُ الشيخ خليل غصنًا زاهيًا في تمام شبابهِ وعزّ قوّتهِ. ولد هذا في السنة ١٨٥٦ وأخذ الآداب العربيَّة عن ابيه وآلهِ فرضعها مع الحليب ولما نشأ دخل الكليَّة الاميركانيَّة ودرس فيها العلوم وفي ١٨٨١ رحل الى مصر وزار بعض اعيانها وانشأ مجلَّة مرآة الشرق الَّا انَّ الثورة العرابيَّة الجأتهُ الى الرجوع الى وطنهِ فعلَّم مدَّة اللغة العربيَّة في المدرستين البطريركيَّة والاميركانيَّة حتى أُصيب بصدرهِ فكفَّ عن التعليم ولم يزل يطلب علاجًا لوجعهِ حتى غلبهُ الداء. فمات في الحدث في ٢٣ ك٢ سنة ١٨٨٩ ودُفن في بيروت.

وكان الشيخ خليل متوقّد الذهن ذا قلم سيَّال وقد غلب عليهِ الشعر. ومن خدمهِ للآداب طبعتهُ لكتاب كليلة ودمنة مضبوطًا بالشكل مع شرح الغريب من الفاظهِ. وهذه الطبعة كما الطبعات الشرقيَّة كلّها في الشام ومصر والهند مبنيَّة على طبعة العلّامة دي ساسي لا تخالفها الَّا في بعض العرضيَّات بخلاف النسخة التي وقفنا عليها فنشرناها في مطبعتنا سنة ١٩٠٥ ثمَّ كرَّرنا طبعها سنة ١٩٢٣ وهي اقدم نسخة مؤرخة لهذا الكتاب تخالف الطبعات السابقة مع موافقتها لترجمة ابن المقفَّع الاصليَّة ثمَّ بنينا عليها طبعة مدرسيَّة سنة ١٩٢٢ . ومن آثار الشيخ خليل النثريَّة كتاب في انشاء الرسائل وكتاب في الصحيح بين العامّي والفصيح وكلاهما لم يزل مخطوطًا غير تام

أمَّا خِلفة الشيخ خليل اليازجيّ الشعريَّة فهي اوّلًا روايتهُ «المروءة والوفاء» نظم فيها وفاء حنظلة الطائيّ بوعده بعد قدومهِ على النعمان يوم بؤسهِ وضمان شريك لهُ في غيبتهِ ليصلح امور بيتهِ ويرجع الى القتل ثمَّ تنصُّر النعمان لنظرهِ مروءة حنظلة. وهو حادث تاريخي معروف بنى عليهِ الشيخ خليل روايتهُ لكنهُ طمس محاسنها بما اودعها من الادوار المشقيَّة المملّة التي تُنسي سامعها الواقع التاريخي الاصليّ فيضيع الجوهر بزخرف الاعراض الباطلة

ومن خلفتهِ ايضًا مجموع منظوماتهِ الذي عنونهُ بنسمات الاوراق فطبعهُ بالقاهرة سنة ١٨٨٨ في ١٦٢ صفحة نروي منها بعض القطع تبيانًا لفضلهِ وجودة قريحتهِ. فمن مديحهِ قولهُ في عبدالله فكري باشا ناظر المعارف في مصر:

الجاهُ عندك نال اكملَ جاهِ فهناك نورٌ فوق نورٍ زاهِ
والفخرُ منك كُسي بأجمى حلّةٍ وعليك منهُ كلُّ ثوبٍ باهِ
نالت مسامعُنا من اسمكَ لذَّةً ففدت محمَّدةً من الافواهِ

حتى قال وتجاوز الحدَّ في الغلوّ:

ولئن يكُ فيك الثنا متناهيًا فاعذُرْ ففضلك ليس بالمتناهي
نُزِّهتَ عن شبهٍ فتبني شاعرًا متنزِّهًا في الشعر عن اشباهِ
ولأنت ذاك ومن لنا ببدائع لك آياتٍ للقريض نواهِ
فلقد أتاني الشعر يثني عطفهُ ويقول اني عبدُ عبدِ اللهِ

ومن تهانئهِ قولهُ يهنئ المطران ملاتيوس فكاك باسقفيَّة بيروت:

حبَّذا ما بهِ لنا الدهرُ جادا من سرورٍ بهِ فككنا الحِدادا
حبَّذا ما أنالنا من صلاحٍ مُخجلًا مَن غى اليهِ الفسادا
قد حبانا بسيّدٍ ليس يدعو نا عبيدًا وانّما اولادا
سيدٌ شاد في المعالي صروحًا قامَ فيهنَّ راقيًا حيث سادا
ربُّ حزمٍ فكَّاكُ معضلةٍ من كلّ امرٍ تدبُّرًا وسَدادا
خيرُ راعٍ يرعى الرعيَّةَ لا تخشى م لديهِ حملانُها الآسادا
يملأ العين بهجةً حينما يبدو م ويملا آذاننا إرشادا

وختمها بقولهِ:

ايّها السيّد الكريم الذي ليس م يفيهِ الثناء مهما تمادى
ان مدحناك نالنا المدحُ ايضًا كالصدى راجعًا الى من نادى
بك يسمو فخارنا فاذا ازدد تَ فخارًا ففخرنا قد زادا
فاذا كان في الثناء قصورٌ فعلينا قصورنا قد عادا

ولهُ من قصيدة في احد قناصل فرنسة لمَّا زار المدرسة البطريركيَّة:

هذا رسولُ الدولة العظمى التي هي دوحُ مجدٍ وهو من اغصانهِ
دوحٌ سقاهُ الفضلُ اعذبَ مائهِ فجرت مياه العزّ في عيدانهِ
طابت مغارسهُ فأثمرت المنى وشذا المعارفِ فاح من بستانهِ

اهلاً بزائرنا الكريم فانهُ اهلٌ لِيُنزلهُ الفتى بجنانهِ
لا يُدْعَ ضيفاً في حمانا انهُ في بيتهِ منهُ وفي اوطانهِ

ومن اوصافهِ قولهُ في القاهرة يذكر لبنان وطيب هوائهِ :

قِف فوق رابيةٍ من طورِ لبنانِ وقل سلامٌ على ارضٍ وسكّانِ
ارضٌ اذا ماسقاها الغيثُ كاد جا ان يستحيل الى درٍّ ومرجانِ
يا اهل لبنانَ ما لبنانكم جبلٌ لكنهُ قمةُ العلياء والشانِ
فيهِ المشائر اصحاب المفاخر أر بابُ المآثر من مجدٍ وعرفانِ
إمارةٌ قد سمت فيه ومشيخةٌ نشت اصولها من عهد ازمانِ
ملجا الوباء وملجا الحَرّ يقصدهُ مصاب هذين من قاصٍ ومن دانِ
وملجأُ المبتلى من كل ذي سقَمٍ بطيبِ ماءٍ واهواء وجيرانِ

وقال في الحمام :

هذا هو الوطن المحبوب اذكرهُ وما انا براعٍ حُبَّ اوطانِ

وقال مؤرّخاً ميلاد ابنهِ حبيب سنة ١٨٨٤ :

نجلٌ بهِ جاد المهيمن حيث قد حَييَتْ وطابت انفسٌ وقلوبُ
لمّا بتاريخٍ حبيبَ سمّيتُـهُ قلت الحبيبُ الى الخليلِ حبيبُ

ثم توفي الطفل في السنة التالية فقال :

وضيفٍ زارنا ومضى قريباً وما كادت تُعدُّ لهُ شهورُ
تركتَ مؤرّخاً بالويلِ حزني كبيراً ايّها الطفلُ الصغيرُ

وبقي من بعد الشيخ خليل شقيقهُ الشيخ ابراهيم رافعاً أعلام اللغة والادب مواصلاً لاعمال أُسرتهِ الكريمة بين العرب مزيّناً للصحائف بمقالاتهِ في صنوف المعارف . ولد الشيخ ابراهيم في بيروت في ٢ آذار من السنة ١٨٤٧ فاستروَح روْح الآداب منذ حداثة سنّهِ بقرب والدهِ عمدة البلغاء في وقتهِ فاستقى من منهلهِ وخاض في ميدانهِ وجعل يمارس الكتابة حتى برع في النثر والنظم . واستأنف حينئذٍ أُدباء بيروت الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة فانتظم في سلكها والقى فيها الخطب وانشد القصائد ثم

حرّر مدّةً جريدة النجاح . ولمّا عمد الآباء اليسوعيّون الى تعريب الاسفار المقدّسة عن اصلها العبرانيّ واليونانيّ رأوا انّ امانة التعريب لا تفي بالمرام إنْ لم يُعطَ المعرّب حقّهُ من الفصاحة والبلاغة بتنقيح العبارة وسبك الكلام وكان اذ ذاك صيت الشيخ ابراهيم نال بعض الشهرة فدعوا بهِ الى مدرستهم في غزير سنة ١٨٧٢ وباشروا معهُ في العمل. فكان الاب اوغسطين روده الذي درس العربيّة في الجزائر وعلّم العلوم الكتابيّة في فرنسة ينقل الكتب المقدّسة فصلاً فصلاً وآيةً آيةً بعد مراجعة تفاسير الآباء والمعلّمين والترجمات الشرقيّة العديدة منها ثلاث ترجمات عربيّة . فاذا اتمّ عملهُ نظر فيهِ الشيخ نظرًا مدقّقًا فعرض على المعرّب ملحوظاتهِ ثم تفاوض كلاهما الى أن يتّفقا على رأي واحد فيدوّنانهِ بالكتابة ثمّ يعرضان شغلهما على اربعة اساتذة من الآباء المتضلّعين بالعلوم الدينيّة ومعرفة اللغات الشرقيّة فلا يُطبع شيء الّا بعد مصادقتهم على كمال الترجمة

واشتغل الشيخ ابراهيم في تنقيح التوراة العربيّة نحو تسع سنوات في غزير وبيروت . وقد علّم سنين طويلة في المدرسة البطريركيّة فتخرّج عليهِ كثيرون من احداثها اشتهر بعضهم بالتأليف . وفي السنة ١٨٨٤ اتّفق مع الدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة على نشر مجلّة الطبيب فكان الشيخ ابراهيم يحرّر فصولها اللغويّة والادبيّة . ثمّ انفرط عقد وصلتهم بعد سنة وانتقل الشيخ ابراهيم الى مصر حيث أبرز اوّلًا مجلّة البيان في آذار من السنة ١٨٩٧ ثمّ ابدلها بمجلّة الضياء التي انشأها ثماني سنوات الى تاريخ وفاتهِ في ٢٨ كانون الاوّل من السنة ١٩٠٦ . ففقدت بهِ الآداب العربيّة احد أنصارها المعدودين. وقد حضرنا بالسرور في شهر تموز من العام الماضي سنة ١٩٢٤ حفلة نصب تمثالهِ في احد شوارع بيروت فنال ما يستحقّهُ من الاكرام بل أُكرمت بشخصهِ اسرتهُ الفاضلة

وليس من حاجة هنا ان نعرّف صفات الرجل مع قرب عهدهِ بيننا وممّا اشتهر بهِ حسن ذوقهِ في الكتابة وانسجام كلامهِ فيظهر لقارئهِ كأنهُ المرآة الصقيلة او الماء الزلال فكان لا يزال يردّد النظر في ما كتب وينقّحهُ مرارًا حتى يخرجهُ كابُرْد القشيب والخميلة الناعمة . وكان عارفًا باللغة معرفة واسعة كما تدلّ عليهِ بعض مؤلّفاتهِ اخصّها «نجعة الرائد في المترادف والمتوارد» في جزءين على طريقة كتاب الالفاظ

الكتابيَّة لعبد الرحمان الهمذانيّ . ومنها اختصاره او شرحهُ لبعض تآليف والدهِ كمختصر نار القرى ومختصر الجمانة وشرح ديوان المتنبيّ المسمّى بالعرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب وكذلك تصحيحهُ وتهذيبهُ لعبارة بعض كتب الادباء كتاريخ بابل واشور للمرحوم جميل مدوَّر ونفح الازهار في منتخبات الاشعار لجامعهِ المرحوم شاكر البتلونيّ ودليل الهائم في صناعة الناثر والناظم لهُ . وكانت مطبعتنا وكلت الى الشيخ ابراهيم وضع معجم للغة العربيَّة فاشتغل فيهِ زمناً طويلاً ثمَّ اهملهُ فانتدبت حينئذٍ الشيخ اللغوي سعيد الشرتوني الى وضع كتابهِ اقرب الموارد بدلًا منهُ ثمَّ عاد الشيخ ابراهيم الى عملهِ مراراً واتمَّ منهُ قسماً لكنَّهُ مات ولم يمثّلهُ للطبع . وكان الشيخ كما هو معروف قليل الصحَّة بطيء الشغل ومجلَّة الضياء تستنفد همَّتهُ فلا تسمح لهُ بمعاناة عمل سواهُ

ومن آثارهِ اللغويَّة عدَّة مقالات مطوَّلة وانتقادات لسانيَّة كالأماليّ اللغويَّة ولغة الجرائد واغلاط العرب واغلاط المولَّدين واللغة والعصر ونقد لسان العرب وغير ذلك ممَّا اصاب في بعضهِ واخطأ في البعض الآخر فتصدَّى لهُ كثيرون من الكتبة فقامت بينهُ وبينهم الجدالات الطويلة وكان الشيخ « كثير الاباء ظاهر الانفة الى حدّ الترفُّع » كما قال في ترجمتهِ صاحب الهلال (١٥ : ٢٦٧) فأدّى بهِ طبعهُ الى كتابة فصولٍ ما كنَّا لننتظرها من مثلهِ اطلق فيها العنان لاهوائهِ وانتهك في بعضها حقوق الدين وارباب‌هِ سامحهُ الله

وللشيخ ايضاً قصائد متفرّقة ومنظومات رشيقة لم تُجمع حتى اليوم . روى بعضها جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف في ترجمة حياتهِ التي نشرها في المقتطف . ومن اقدم ما وجدنا لهُ من القصائد ما انشدهُ في الجمعيَّة السوريَّة في اوائل سنة ١٨٦٨ وهي منظومة حماسيَّة ذكر فيها العرب فقال في اوَّلها :

سلامٌ ايها العَرَبُ الكرامُ وجادَ ربوعَ قطركمُ الغمامُ
لقد ذكر الزمان لكم عهوداً مضت قِدَماً فلم يَضِع الذمامُ

ثم قال في وصف مجالس العلم :

مجالسُ للعلوم غدت منارًا بهِ لغياهب الجهل انصرامُ

جلاها كلُّ أبلج أريحيٍّ … تقرُّ لهُ البلاغةُ والكلامُ
تُجرَّدُ من اياديهِ المواضي … وتُرسَلُ من لواحظهِ السهامُ
رجالٌ في انتشار الفضل جدُّوا … وفي حبِّ العلوم صبَوا وهاموا
تلاعبتِ الحميَّةُ في حُماهم … كما لعِبت بشاربها المدامُ
تهزُّ الاريحيَّةُ كلَّ يومٍ … معاطفهم كما اهتزَّ الحسامُ
هم الشهبُ المطيرةُ فوق ارضٍ … يلوح لنوءهم فيها غمامُ
غمامٌ قد تخلَّلهُ بروقٌ … يصافحها الرجاء متى تُشامُ
جهابذةٌ يقوم الفردُ منهم … بما اعيا بهِ الجيش اللهامُ

ومن ابياتهِ الحماسيَّة فيها قولهُ عن العرب :

وما العربُ الكرام سوى نصالٍ … لها في اجفُن العُليا مقامُ . . .
لَعمرك نحن مصدرُ كل فضلٍ … وعن آثارنا أخذ الانامُ
ونحن أُولو المآثر من قديمٍ … وان جحدتْ مآثرَنا اللئامُ
فقد علمَ العراق لنا قديمًا … ايادي ليس تنكرها الشآمُ
وفي ارض الحجاز لنا فيوضٌ … يسيل لها الى اليمن انسجامُ
وفوق الأندلسِ لنا بنودٌ … لهامات النجوم بها اعتمامُ
وسلْ في الغرب عن آثار فخرٍ … لها في جبهة الزمن ارتسامُ
ولسنا القانعين بذكر هذا … وليس لنا بعروتهِ اعتصامُ
ولكنَّا سنجهدُ في المعالي … الى أن يستقيمَ لها قوامُ

ومن محاسن نظمهِ ما كتبهُ في المجموع الذي خُصَّ بمدح كريستوف كولب في السنة المئويَّة لتذكار موتهِ :

أبقى خريستوفُ الشهير لنفسهِ … ذكرًا على الأيام ليس يبيدُ
رجلٌ لقد فتح البلاد بصبرهِ … ولهُ من الهمم الجسام جنودُ
قد زاد هذي الارضَ ارضًا مثلها … ليديهِ ألقي كنزها المرصودُ
برزت اليهِ من الغيوب كأنها … خلْقٌ سوى الخلق القديم جديدُ
فكأنهُ اذ حلَّ فيها آدمٌ … وكأنها فردوسهُ المعهودُ

وقال يشكو تقلُّب الأيام من قصيدة:

كأني بالبلاد تنوحُ حزنًا وقد اودى بعظمتها الثبورُ
يحنُّ الارزُ في لبنانَ شجوًا وتندبُ بعد ذاك العزّ صُورُ
وتـدمرُ في دمارٍ مستمرّ وما سكانُها الّا النسورُ
وأضحت بعلبكُّ وليس فيها سوى خِرَبٍ لعظمتها تشيرُ
فلو درتِ البلاد بما عراها لكادت من تلهّفها تمورُ

ومن لطيف قولهِ في مدح سموّ الخديوي عبّاس:

همامٌ تولّى الامرَ وهو على شفا فشيَّد من اركانهِ ما تضعضعا
تقلّد أعباء الرئاسةِ امردًا وقد عرفَتْهُ قبل ذلك مُرضعا
فكانت لهُ امًّا وكان لها ابًا غذتهُ وربّاها وقد نشأا معا

ولهُ تاريخ في الطبيب يوسف الجلخ المتوفّى سنة ١٨٦٩:

هذا الطبيب الذي من بعد مصرعهِ ابلى القلوبَ بأسقامٍ وتعذيبِ
اجرى عيون بني الجلخ الكرامِ لهُ بكل دمعٍ من الاجفان مصبوبِ
فقِفْ على تربهِ واهتف برحمة عليهِ تهبطُ من تلك المحاريبِ
وقل ليوسف أرّخْ طيَّ مضجعهِ أبدتَ في كلّ قلبٍ حزنَ يعقوبِ

ويعجبنا قوله في ساعة دقّاقة:

ومُحصيةٍ أعمارنا كلّما أنقضت لنا ساعةٌ دقّت لها جرسَ الحزنِ
فيا بنت هذا الدهرِ سرتِ مسيرهُ فهل انت دون الناس منهُ على أمنِ

ومثلهُ حسنًا قولهُ في عود طربٍ:

وعودٍ صفا الندمانُ قدمًا بظلّهِ وما برحت تصفو لديهِ المجالسُ
تعشّقهُ طيرُ الاراكةِ اخضرًا وحنَّ عليهِ ريشهُ وهو يابسُ

ورأى قدرة بعلبكّ فذكر قدرة الرحمان بقولهِ:

يا بعلبكّ غريبة الازمانِ والعهد والصنّاع والبنيانِ
لم تُبلكِ الايام في حدثانها الّا لتُظهر قدرة الرحمانِ

ويا ليت قلمهُ لم يرقم غير هذه المعاني البليغة ويسوءُنا ذكر قصائد وكراريس ظهرت غفلًا من اسم مؤلّفها ثمَّ صرّحت الجرائد بانها من انشائهِ كقصيدتهِ السينيَّة التي نشرها سليم افندي سركيس في كتابهِ سرّ مملكة . وقد تطرَّف الشيخ حتى قال فيها عن ارباب الاديان :

ما هم رجالُ الله فيكم بل همُ القوم الابالسْ
يمشون بين ظهورهم تحت الطيالس والقلانسْ

ومثلها شقيقتها البائيَّة التي مطلعها :

تنبَّهوا واستفيقوا ايُّها العربُ فقد طمى الخطبُ حتى غاصتِ الرُكبُ

وفي هذه القصائد والمنشورات مطاعن في الدين وتهييج الخواطر على السلطة الشرعيَّة ما كان الشيخ في غنى عنهُ صوناً لعرضهِ ولشرف اسمهِ

وممَّن فاتنا ذكرهُ في القسم الاوَّل من هذا الكتاب ولا يسعنا السكوت عنهُ وهو احد نجوم تلك الثريَّا اليازجيَّة المنيرة الشيخ راجي اخو الشيخ ناصيف وجدنا شيئاً من آثارهِ في حاشية ذيَّل بها جناب الكاتب الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف تاريخهُ المعنون «دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف (١٩٩)» فذكر انَّ للشيخ راجي (١٨٠٣—١٨٥٧) ديواناً مخطوطاً وانَّ شعرهُ يشهد لهُ بالبلاغة . وقد اطَّلعنا لهُ في مجموع مراثي السيّد مكسيموس مظلوم على قصيدة في ذلك الفقيد الجليل اوَّلها :

معدن البرّ محتد الطهر مكسيـــموسُ ربُّ الحجى حميدُ الخصالِ
من سرى في طريق مولاهُ حتى سبق السابقين بالإفضالِ
ونحا صارفاً الى الله فعلاً بالتقى لا بالقلب والاعلالِ
كم محلٍّ سامٍ اشاد وكم من منزلٍ قد بنى من المجد عالِ
فجعتنا بهِ صروف زمانٍ جائرًا لا يزالُ في كلّ حالِ
ورمتنا النبالُ منهُ الى ان لم يَعُدْ موضعٌ لوقع النبالِ

توفي الشيخ راجي سنة ١٨٥٦ يؤخذ من تاريخ قالهُ فيهِ حنا بك اسعد ابي الصعب :

مذ سار راجي اليازجيُّ الى السما وغدا الى المولى العليِّ مناجيا
قد جاء في ذاك المؤرخ راقيًا قد زار فضلك يا الحي راجيا

وللشيخ راجي ابنٌ يدعى بالشيخ ملحم كان يتعاطى الآداب كابيهِ وكان سابقاً نزيل زحلة ولا نعلم شيئاً من اخبارهِ حاضرًا. وقد وقع لنا من شعره مرثاة نظمها سنة ١٨٦٩ في وفاة الدكتور يوسف الجلخ مطلعها :

كؤوس البين دارت في الانامِ من الشيخ الكبير الى الغلامِ

الى ان قال :

طبيبٌ كان يشفي كلَّ داءٍ اذا استولت تباريحُ السقامِ
دهاه اليوم ما لا منهُ شافٍ ولا منهُ سليمٌ في الانامِ
واعقب فيهِ آلَ الجلخ سكرًا بكاس الحزن لا كاس المدامِ
واوقد بالأسى في كل قلبٍ لهيباً لا يزال في اضطرامِ

وختمها بقولهِ :

تركتَ العالم الغرّار طوعاً وبتَّ مجاورًا دار السلامِ
لئن تكُ قد رحلتَ اليوم عنا فذكرك لا يزالُ الى الدوامِ

ونختم هذا الفصل بذكر آخر فرعٍ من الدوحة اليازجيَّة من اولاد الشيخ ناصيف وهي السيّدة وردة ابنتهُ التي عمّرت زمناً طويلاً ولم ينطفئ سراج حياتها الا منذ زمن قليل فنؤجّل عنها الكلام ونذكرها ان شاء الله في تاريخ الآداب العربيَّة في الربع الاول من القرن العشرين

ولا يزال في قيد الحياة محيياً لاسم الاسرة اليازجيَّة الخوري الفاضل الشيخ حبيب اليازجي ولهُ كسائر قرابتهِ آثار ادبية طيبة امدَّ الله في عمرهِ

(آل المرّاش) كما برز اليازجيون الملكيُّون في لبنان وبيروت بانتسابهم على العربيَّة في القسم الثاني من القرن التاسع عشر كذلك كان آل مرّاش الملكيُّون

يتقدَّمون في حلب اهل نحلتهم في رفع منار تلك اللغة . وبنو المرَّاش عُرفوا في حلب منذ القرن الثامن عشر ومنهم كان بطرس المرَّاش الذي قُتل في سبيل دينهِ سنة ١٨١٨ في حلب باغراء جراسيموس اسقف الروم الارثذكس مع عشرة آخرين من الكاثوليك (اطلب قصيدة المعلّم نقولا الترك في رثائه في المشرق ١٠ [١٩٠٧]: ٦٦٤) . وعُرف بعد قليل فتح الله المرَّاش وكان لهُ المام بالعلوم اللغويَّة والادبيَّات ابقى منها آثارًا مخطوطة ثم اراد ان يخوض ميدانًا لم يكن من فرسانهِ فعثر جوادهُ وكبا زندهُ . وذلك انهُ ألَّف سنة ١٨٤٩ كتاباً في انبثاق الروح القدس فزعم انَّهُ من الآب وحده على خلاف معتقد الآباء والكنيسة الرومانيَّة فدحض اقوالهُ الطيّب الذكر السيد البطريرك بولس مسعد بإثبت الحجج في كتاب طُبع في رومية سنة ١٨٥٦ فلمَّا اطّلع عليهِ فتح الله المراش ارعوى عن غيّهِ واذعن للحق الواضح

وخلفهُ ابنهُ فرنسيس فنال شهرة طيّبة بذكائهِ ومعارفهِ وخلقتهِ الادبيَّة . ولد في ٢٩ حزيران سنة ١٨٣٦ ثم تلقَّن العلوم اللسانيَّة وآداب الشعر وانكبَّ على دراسة الطبّ اربع سنوات تحت نظارة طبيب انكليزي كان في الشهباء . واراد ان يتمَّ دروسهُ في عاصمة الفرنسيس فسافر اليها في خريف سنة ١٨٦٦ وقد وصف سفرهُ اليها في كتاب رحلة باريس الذي طبعهُ في بيروت سنة ١٨٦٧ . ولم يسعدهُ الدهر في غربتهِ فكرّ راجعاً الى وطنهِ وتفرَّغ للتصنيف لا يكترث لما اصابهُ من ضعف البصر وانحطاط القوى حتى أفل نجم حياتهِ فمات في مقتبل الكهولة سنة ١٨٧٣ . وكان فرنسيس صادق الايمان كثير التديُّن وقد ألَّف كتاباً بناهُ على مبادئ العلوم الطبيعيَّة والعقليَّة بياناً لوجود الخالق واثباتاً لحقيقة الوحي سمَّاه « شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة » اعرب فيهِ عن دقَّة نظر ومعرفة باحوال الطبيعة والعلوم العصريَّة . ومن مصنَّفاتهِ التي جمع فيها بين الفلسفة والآداب فاودعها الآراء السياسيَّة والاجتماعيَّة على صورة مبتكرة كتاب « غابة الحق » الذي طُبع في حلب سنة ١٨٦٥ ثم كُرّر طبعهُ في بيروت ومصر . ومثلهُ كتاب « مشهد الاحوال » المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٣ على اسلوب لطيف ونسق حديث . وفي بيروت طبعت لهُ رواية حسنة دعاها « در الصَّدف في غرائب الصُّدف » . وممَّا طبعهُ قبلها في حلب (١٨٦١) كتاب « المرآة الصفيّة في المبادئ الطبيعيَّة » لخَّص فيهِ اصول علم الطبيعة . ثم « خطبة في تعزية

الكروب وراحة المتعوب» (١٨٦٤) وكتاب «الكنوز الفنيّة في الرموز الميمونيّة» (١٨٧٠) وهي قصيدة رائيّة في نحو خمسمائة بيت ضمّنها رموزاً خفيّة على صورة رواية شعريّة. ومن نظمه ايضاً «ديوان مرآة الحسناء» طبعهُ لهُ محمد وهبه سنة ١٨٧٢ في مطبعة المعارف في بيروت

وكان فرنسيس المراش يحبُّ في كلامهِ الترفُّع عن الاساليب المبتذلة فيطلب في نثرهِ ونظمهِ المعاني المبتكرة والتصوُّرات الفلسفيّة فلا يبالي بانسجام الكلام وسلاستهِ فتجد لذلك في اقوالهِ شيئاً من التعقُّد والخشونة مع الاغضاء عن قواعد اللغة. فمن شعرهِ قولهُ في الحماسة:

نبقوا (كذا) من الغفلات يا اهل الوطنْ ... انَّ العدوَّ دنا وها نَقْعُ الفتنْ
حتَّامَ انتم يا بُزاةُ روابضٌ ... هبُّوا فقد حام الغرابُ على الدِمَنْ
هجَمَ العدوُّ وها الغبارُ وانتمُ ... من ذا الغبار ستنسجون لهُ كفَنْ
لا تجعلُ الغربانُ من سعة الفلا ... يوماً اذا خصَّ العُقابُ من الوكَنْ
ناداكمُ الوطن الذي قد ضمَّكمْ ... في حضنهِ وسقاكمُ لبن المِنَنْ
كرُّوا الى الاعداء كرَّ الاسد يا ... أُسدَ الوفاء فهم ثعالبةُ الحَوَنْ
فاصغوا لصوتِ ابٍ لكم يرجو الحمى ... منكم فهيَّا طاردوا عنهُ المِحَنْ
او ما ترون الدمع منهُ لاجلكم ... يجري فقوموا نشّفوا دمع الوطنْ
لا يحسن الموت الزؤام لدى امرئٍ ... لكن فِدى الاوطانِ موتكمُ حسنْ

ولهُ في الزهريَّات:

هوذا الصباحُ بدا وبالانوارِ ... طُبعت وجوهُ الكونِ في الابصارِ
والشمسُ قد نشرتْ بيارقها على ... قمم الجبال امام جيشٍ ضارِ
وعلى عَمود الصبح قد شاد الضحى ... بُرْجَ النهار مسلَّحاً بالنارِ
والشرقُ أوتَرَ قوس نورٍ وانثنى ... يرمي على الدنيا سهامَ شرارِ
والليل مزَّق ثوبهُ حزناً على ... فقد النجوم وغار في الاغوارِ
ما زال مدُّ النور يرفع في العُلا ... جُزُرَ الظلامِ كعاصفٍ لغبارِ
حتى امتلا جوف الفضاء من الضيا ... وزهت بذلك كافَّةُ الاقطارِ
فترنَّمَ القُمريُّ فوق غصونهِ ... طرباً وفاحت نسمةُ الاسحارِ

والدرُ هبَّ الى العلاء كانه يبغي المسير مع السحاب الجاري

وقال يشكو الدهر :

رمتْ قلبي نبالُ الدهر حتى رأيتُ دمي يسيلُ من العيونِ
فلو كان الزمان يُصاغُ جسماً لكنت اذيقهُ كأس المنونِ

وقال في خواص الجسم :

الجسم معروفٌ بستّ خصائصٍ فيهِ فمنهُ قطُّ ليس تحولُ
عدمُ التداخل وامتدادٌ صورةٌ جذبٌ سكونٌ للتجزّي قبولُ

ومن حكمهِ قولهُ :

صدّقوني كلُّ الانامِ سواءٌ من ملوكٍ الى رُعاةِ البهائمْ
كلُّ نفسٍ لها سرورٌ وحزنٌ لا تني في ولائمٍ او مآتمْ
كم اميرٍ في دستهِ بات يشقى بالهُ والاسير في القيدِ ناعمْ
اصغر الخلق مثل اكبرها جرْ ماً لهذا وذا مزايا تُلائمْ
والخلايا للنحل اعجبَ صنعاً من قصور الملوك ذات الدعائمْ

وكان فرنسيس المرّاش يراسل اهل الفضل في زمانهِ كالشيخ ناصيف اليازجي وغيرهِ . ولهُ مآثر عديدة وفصول انشائيّة واراجيز نشرها ارباب الجرائد في عهدهِ كاصحاب الجوائب والنحلة والزهرة والجنان يطول هنا ذكرها . ومن جيّد وصفهِ قولهُ في الحسود :

قالوا لزيدٍ انّ عمرًا فاز اذ ربحت تجارتهُ بحظٍّ كيِّسِ
فازورَّ من غضبٍ وسكرجَ (?) عينهُ وتنفّس الصعداء ايَّ تنفّسِ
وغدا يقول مخرطماً ومبرطماً ويلاهُ من تحسين حال المفلسِ
وكذاك لمّا اخبروا عمرًا بان بكرًا غدا ذا رفعةٍ في المجلسِ
ارغى وأزبد خاسرًا كالمُعتري واتاب سحنتهُ ظلامُ الحندسِ
واغاظ يصرخ قد كذبتم فاصرخوا انّ السعادة لا ترى في المُتعسِ
ورووا على بكرٍ بانّ صديقهُ يجبي بعزٍّ بعد ذلٍّ قد كُسي

فانسابَ كالافعى وقال اعوذُ من   عارٍ غدا متبختراً في الاطلسِ
والكلّ يبدون المسرَّة كلَّما   سمعوا بنائبةٍ سرت في الارؤسِ
تبّاً لبغيك ايّها الانسان ما   ابليسُ ربُّ النحسِ منكَ بانحسِ
ذي كبرياؤك يا لها من آفةٍ   كالأفعوان سمت لقتل الانفسِ

وقد رثاهُ الاديب المرحوم بشاره الشدياق فقال يذكر تآليفهُ:

تركت يا مفردًا شأنًا يذكّرنا   شذاه كالمسك لمّا فاح في الطللِ
من مشهد قد جلا الاحوالَ بان لنا   منهُ عجائب افعالٍ بلا خللِ
ومن غرائب ما شاهدت من صدفٍ   أبهى من الدرّ او اشهى من العسلِ
ورحلة سرتَ فيها قد حوت حكماً   صيغت من الدرّ من قولٍ ومن عملِ

ولفرنسيس المراش اخٌ واختٌ اشتهرا ايضاً بالآداب نؤجّل ذكرهما فنروي اخبارهما في تاريخ القرن العشرين

(رزق الله حسون) وفي هذا الزمان اشتهر حلبيّ آخر لعب دورًا مذكورًا في نهضة الآداب العربية . نعني بهِ رزق الله بن نعمة الله حسون . ولد هذا في حلب نحو السنة ١٨٢٥ من أسرة كريمة اصلها من الارمن ودرس العلوم في دير بزمّار في لبنان. وبعد ان قضى مدّة في وطنهِ متاجرًا سافر الى الاستانة فتوطنها برهةً من الدهر وصار فيها ناظرًا لجمرك الدخان ثم تجوّل في اوربّة ودخل فرنسة وروسيَّة وحلّ مدّة في لندن وكان في اسفارهِ يشتغل بالآداب العربيَّة ويؤلف التآليف النثريَّة والشعريَّة. وكان خطهُ بديعاً وفي مكتبتنا الشرقيَّة من قلمهِ عدَّة كتب تأخذ بالابصار لجودة خطّها واتقانها كتبها على ورق جميل النقش كان انتسخها في اوقات الفراغ في خزائن كتب اوربّة كصبح الاعشى للقلقشندي وديوان الاخطل وديوان ذي الرمّة والمتمّ لابن درستويه ونقائض جرير والفرزدق والاناجيل المقدسة ترجمة الدبسيّ . وبعد حوادث سنة ١٨٦٠ قدم الى الشام في صحبة فؤاد باشا فكان يعرب مناشيرهُ واوامرهُ . ثم عاد الى انكلترة واشتغل بالتأليف في قرية وَنزورث (Wandsworth) بقرب قصر الملكة فكتوريا ومما صنّفهُ وقتئذٍ ثم طُبع في المطبعة الاميركية في بيروت سنة ١٨٦٩ و١٨٧٠ كتابهُ «اشعر الشعر» اودعهُ نظم سفر أيوب ونشيد

موسى في الخروج ونشيدهُ في التثنية ثم سفر نشيد الاناشيد لسليمان وسفر الجامعة وختمهُ بمراثي ارميا . ودونك مثالاً من ترجمتهِ وهو وصف أيوب للفرس :

فهل تُعطي الجوادَ يخبُّ عزماً وتكسو عُنقهُ عَرفاً بَسينا (؟)
أتُوثبُهُ كمثل جرادةٍ نفـخُ منخرهِ مهيبُ السامعينا
يبطن الحَبْت بحاثٌ وَثوبُ بيأسٍ يلتقي الحربَ الزَّبونا
وجزأ بالمخاوف ليس يخشى عن الاسياف لم يُحجم جبينا
تصلُّ عليه واقعةً سهامٌ وترهقهُ رماحُ الدارعينا
ويطوي الارضَ في وَثْبٍ ورجزٍ ولم يُؤمن لصوت البوق حينا
اذا ما البوقُ يُنفخُ قال هَهْ مِن بعيدٍ شُنَّتِ الهيجا شؤونا

وهذا مثال آخر من نظمهِ لمراثي ارميا :

أنّى خلا منها الانيسُ البلدةُ ملأى شعوبٍ بالجلاء تشتتوا
صارت كارملةٍ معظَّمةُ الملا امُّ القُرى ضُربت عليها الجزْيةُ
تبكي دماً والدمعُ فوق خدودها فَقدت عزاء خليلها ووَدُودِها
اصحابُها غدروا بها طُرًّا على غطِ المدى اضحوا شماتَ حسودِها

ومما طُبع لهُ في المطبعة الاميركية « كتاب السيرة السيدية على ما اداهُ الينا المبشرون الذين كانوا شهداء الكلمة . رتبها بهذا النسق تتبعاً لأزمنة الوقائع والمعجزات من البشارة بمولد يوحنا الى صعود الربّ» . وذلك على طريقة طاطيانوس الذي مزج بين الاناجيل الاربعة. وقد طُبع في مطبعتنا كتاب من جنسهِ وهو المعروف « بالقلادة الدريّة في الاربعة الاناجيل السنيّة » للاب يوحنا بلو اليسوعي

ومن مآثر رزق الله حسُّون كتابان آخران طبعهما في لندن: الاول كتاب النفثات ضمّنهُ اربعين مثلاً من امثال احد كتبة الروس يُدعى ايڤان اندريڤتش كورلُف (I. A. Curlov) فنقلها حسُّون الى العربيَّة ونظمها شعراً وألحقها ببعض مقاطيع شعريَّة من نظمهِ . والتعسُّف في كثيرٍ منها ظاهر واغلاطها عديدة هذا منها مثال:

دفع الجوعُ والدُّجى الذئبَ حتى أن تدانى الى سُهول البقاعِ
طارقاً لحظيرةٍ ناظراً من ثُقْبِ صخرٍ بلوحُ ضوءُ شُعاعِ

فرأى الغنمَ المساكينَ والسكّينُ في كفِّ حاسرٍ عن ذراعِ

يذبحُ الحملَ السمينَ ويُلقي للعرى الكرْشَ والمعى في القفاعِ

والكلابُ روابضٌ ونيامٌ لا تذبُّ ولا يَنبحُ تُداعي

فقضى عجباً وولّى كئيباً خائباً من مرامهِ والمساعي

قائلاً يا كلابُ كم تنبحوني لو تعدّيتُ مثل هذا الراعي

والكتاب الآخر هو ديوان حاتم الطائي طبعهُ سنة ١٨٧٢ على نسخة مكتبة لندن في ٣٣ صفحة وقد طُبع هذا الديوان طبعة اخرى افضل من الطبعة السابقة واكمل منها على يد احد المستشرقين الالمان اسمهُ شولتس (Schulthess)

ولهُ كتاب آخر نفيس لم يُطبع حتى الآن سمّاه «حنبر اللثام» ردّ فيه على مزاعم بعض المسلمين. منهُ نسخة بخطّهِ في مكتبتنا الشرقيّة بمجلّدين

وكان رزق الله حسون من رجال السياسة يسعى مع الاحرار في اصلاح تركيا وذلك ما الجأهُ الى سكنى لندن في آخر حياتهِ وهناك طبعَ جريدتهُ مرآة الاحوال سنة ١٨٧٦ وكان سبق قبل ذلك بمدة طويلة فنشرها في الاستانة فكانت اقدم الجرائد العربية فيها(١) وشفعها سنة ١٨٧٩ بمجلّة سياسيّة كان مدارها على حلّ المسألتين الشرقيّة والمصريّة. امّا وفاة المترجم فوقعت السنة ١٨٨٠ مات فجأةً في لندن. وكان رزق الله حسون صديقاً لادباء زمانهِ يكاتبهم ويساجلهم فمن ذلك ما كتب لبطرس كرامة:

خدينَ المعالي وابن بجدتها الفردُ بقيتَ بقاء الدهر يخدمك السعدُ

وزادك ربُّ العرش اسنى كرامةٍ قرينٌ بها الاقبال والفخرُ والمجدُ

ولا زلتَ في امنٍ وموفورَ نعمةٍ ويُمنٍ أيادٍ كسبها الشكرُ والحمدُ

وبعدُ فقد طال البعادُ ومهجتي يكادُ من الاشواق يضرمها الوجدُ

وما لي عن لُقياك صبرٌ ولا غنى ولكنّ خطبَ الدهر ما بيننا سدُّ

ألا بئسما الايامُ اغرتْ ببعد النوى بنا فاستطالت ربّما قصرَ الجدُّ

موانعُ حالت دون فرض زيارتي وقد كنتُ ارجو ان يكون لك وفدُ

واصبحتُ من إبطائكم في هواجسٍ تحيّرني لا تهتدي نحوي الرشدُ

فابغي للاطمئنان منكم ألوكةً اذا لم يكن منكم قدومٌ هو القصدُ

---

١) اطلب مجلة الهلال (٨: ١٤٨ و٢٢٤)

ومما نظمهُ فيهِ المعلم بطرس كرامة ابيات قالها لما اقترن سنة ١٨٤٨ بسيّدة تدعى ماتلد فقال :

حاديك يا نجل الفؤادِ تماثنا تنبئ عن افراحنا حينا تبدو
بخير اقترانٍ جاء وهو مبارك يقارنهُ برٌّ ويصحبهُ سعدُ
فلا زلتما طول الزمان بصحةٍ وعيشٍ رغيدٍ بُرْدُهُ الامنُ والرفدُ
زفاف سعيدٌ والهناء مؤرخٌ موافٍ لرزق الله بالخير ماتلْدُ

وقد وجدنا لرزق الله حسون في الهجاء قولهُ في يوسف حجّار احد عملة نصرالله دلّال الحلبي وكان استغنى بعد فقر فترفّع :

المرء يُذكر بالاعمالِ لا المالِ أحسِنْ بخيرهما عن كسب رئبالِ
ليس الثراء بمُجدي النائليهِ ثنا ان كان ما جمعوهُ سُحتَ اوبالِ
وهل سمعتَ بذي كبرٍ وذي صلَفٍ يرقى المعالي بطول القيل والقالِ
قد ظنّ يوسف حجّارٌ بثروتهِ انّ العلى هزّ عطفيهِ كمكسالِ
فجاء يخطر لا يلوي على احدٍ يتيهُ عجباً بإدبارٍ واقبالِ
الله اكبرُ هذا حالُ ذي شططٍ نال المنى بعد إقتارٍ واقلالِ
ان ساعدتك الليالي كن على حذرٍ فما تدوم على لونٍ ولا حالِ
هلّا تذكرتَ أياماً سلفنَ وقد مضت بخدمة نصرالله دلّالِ

ومنها :

ابا هبنّقةَ القيس الذي اشتهرتْ اخبارهُ سُدْ بجدٍّ ناعم البالِ
قد استرحتَ من العقل الرصين ورا عي الضأن يحكيك في جهلٍ وامثالِ
لا تأسفنّ على ما فات عن عرضٍ فالنّوك داءٌ ولكن غير قتّالِ
قد عاش قبلك عجلٌ وهو ذو إحَنٍ لكننّا انت لا تُعزَى الى آلِ

﴿القس انطون بولاد﴾ وممّن توفّاهم الله في هذه الحقبة القس انطون بولاد احد ادباء زمانهِ. ولد في ختام القرن الثامن عشر في دمشق من أُسرة فاضلة من الروم الملكيين الكاثوليك . ترهّب في دير المخلص قرب صيداء سنة ١٨١٥ ثمّ رقّاهُ الى رتبة الكهنوت السيّد باسيليوس خليل اسقف صيداء في ١٦ نيسان سنة ١٨٢٢ وقد

فُوِّضت اليهِ في رهبانيَّتهِ عدَّة وظائف أعرب فيها عن همَّة ونشاط وترأس على دير القديسة تقلا وعمَّر ابنيةً جديدة في دير المخلص ودبَّر دروس طلَبة رهبانيَّتهِ وعلَّمهم اللاهوت مدَّةً. ثم جرت بينهُ وبين اخوتهِ الرهبان منافرات ومنازعات دخل فيها القاصد الرسولي ڤيلاردل وغبطة البطريرك مكسيموس مظلوم حتى اعتزل القس انطون الاشغال في دير المخلص وانقطع الى الفرائض النسكيَّة الى السنة ١٨٦٠. وفيها انتقل الى بيروت من جرَّاء حوادث تلك السنة فسكنها الى عام وفاتهِ في ١ ايلول سنة ١٨٧١. وكان القس انطون مولعاً بالآداب العربيَّة ولاسيا التاريخ وقد ابقى من آثار اجتهادهِ كتابهُ راشد سوريَّا الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٦٨ ضمَّنهُ عدداً وافراً من المعلومات والافادات اقتطف بعضها من مخطوطات قديمة كالصبح المُنبي عن حيثيَّة المتنبي ورسالة الحاتمي في ما اخذهُ المتنبي من حكم ارسطو فنظمهُ في شعرهِ مع عدَّة فوائد في التاريخ والمصنَّفات القديمة. ومن آثار القس انطون بولاد خلاصة تاريخ البطريركيَّة الانطاكيَّة واتحاد ابنائها مع الكنيسة الرومانيَّة اقترحهُ عليهِ الاب غغرين (Gagarin) اليسوعيّ والامير الرومي المرتدّ الى الكثلكة. ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة وهو مطبوع على الحجر. وفيها ايضاً للقس المذكور ملحق ذَيَّل بهِ كتاب التختيكون للقسّ يوحنا عجيميّ واودعهُ تاريخ طائفتهِ من السنة ١٧٥٩ الى زمانهِ مع خلاصة اخبار الرهبانيَّة المخلصيَّة. ولهُ كتابات اخرى ورسائل متفرّقة. وقد وجدنا في مكتبة الثلاثة الاقمار بعض مخطوطات كان ابتاعها لمكتبتهِ منها مجموعة لقدماء كتبة اليونان وفلاسفة العرب نشرنا قسماً منها

﴿الخوري جرجس عيسى﴾ وعاصر القسّ بولاد راهبٌ آخر جاراهُ بالادب وهو الخوري جرجس عيسى السكاف الذي اثبت المشرق (٩[١٩٠٦]: ٤٩٤،٥٤١) ترجمتهُ بقلم الكاتب البارع عيسى افندي اسكندر المعلوف. ولد الخوري جرجس عيسى في معلَّقة زحلة وانضوى الى الرهبانيَّة الحناويَّة في الشوير سنة ١٨٤٥ ثمَّ تلقَّى العلوم الدينيَّة وانس في نفسهِ ميلاً الى الآداب العربيَّة فتخرَّج فيها على الشيخ ناصيف اليازجي فاتقنها. ودرس الفقه على الشيخ يوسف الاسير فبرع فيهِ ونُصب مدَّةً حاكماً للنصارى في عهد الامير بشير احمد اللمعيّ. وفي اثر حوادث السنة ١٨٦٠ سافر الى ارلندة فجمع احسانات وافرة خصَّ منها بعد عودتهِ الى سوريَّة قسماً لبناء المدرسة البطريركيَّة. ولما

فُتحت هذه المدرسة سنة ١٨٦٦ كان الخوري عيسى اول رؤسائها وقام بشؤونها الدينيَّة والادبيَّة احسن قيام ودبَّرها سنتين واليهِ اشار سليم بك تقلا في مدحهِ للمدرسة المذكورة حيث قال :

وقد خصَّها من قبلُ في جرجس الذي ابان ابتداها وابتغى الكدَّ والقهرا
وقاسى بها كل الصعاب مجاهدًا وجمَّلها علماً وقدرًا كذا ذكرا

ثمَّ عاد الخوري جرجس الى ديرمار يوحنا الصابغ وتعاطى اعمال الرسالة والوعظ وارشاد المؤمنين في لبنان وبيروت بغيرة وتقى حتى ذهب في ٨ آب سنة ١٨٧٥ شهيد تفانيهِ في خدمة المصابين في الهواء الاصفر . فمات في بيروت مأسوفاً عليهِ وقد رثاهُ الشيخ خليل اليازجي بداليَّتهِ التي اوَّلها (المشرق ٩[١٩٠٦]:٤٩٩) :

سقاكِ من الحيا صوبُ العهادِ بدمعٍ سال من مُقَلِ الفوادي

وكان الخوري جرجس عيسى شاعرًا مُجيدًا لهُ ديوان مخطوط انتقى منهُ صاحب ترجمتهِ بعض الشذرات تجدها في عشر صفحاتٍ من مجلَّة المشرق(٩: ٥٤١-٥٥١). ومن نظمهِ قولهُ من قصيدة يمدح بها الشيخ ناصيف اليازجي :

اذا عُرضت مسائلنا لديهِ تراهُ لحلّها حالًا تصدَّى
فيُوضح رمزَها لفظاً ومعنًى ويكشف سرَّها قربًا وبُعدا
لهُ في مجلس العلماء مرأًى تجاوز في المهابة منهُ حدًّا
اذا اختلف النحاة بحكم امرٍ وقدَّم رأيَهُ فيهِ تبدَّى
وان افتى بخطٍّ او لسانٍ ففتواهُ الصحيحةُ لن تُردَّا

ولهُ مؤرخاً وفاة السيد البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٥٥ :

مكسيموسُ المفضال بطركنا الذي كان الامينَ لشعب مولاهُ العلي
لمَّا ارتقى دار الخلود ممجَّدًا لاقتهُ اجواق العلاء بمحفلِ
وهناك من فرحٍ مؤرِّخهُ تلا احسنت يا عبدًا امينًا فادخلِ

وللمترجم ما عدا الديوان الشعري كتابان دينيَّان طبعهما سنة ١٨٧٢ في المطبعة الادبيَّة احدهما «فرض العبادة الواضحة لطالبي الميتة الصالحة» والآخر «كتاب صلوات

خشوعيَّة لنظم الحيوة الروحيَّة»

﴿ جرجس اسحق طراد ﴾ وكذلك عُرف في تلك المدَّة شاعرٌ من أُسرة وجيهة في بيروت اسمهُ جرجس اسحق طراد تكرَّر ذكرهُ في منشورات زمانهِ كالجوائب والنحلة وغيرهما. ولهُ هناك فصول نقلها من اليونانيَّة وقصائد منها قصيدة دعاها المصباح مدح فيها العلم: ومن ابياتها قولهُ:

العلم مصباحٌ منيرٌ في الورى ... والجهل ليـلٌ مظلم لن يلمعا
فاسعوا بكسب العلم سعياً كاملاً ... واللهُ يعطي كلَّ خيرٍ من سعى
واجلوا شموس العلم في بيروتنا ... فالجهلُ غيرَ بسيفهِ لن يُردعا

ولهُ من ابيات في مدح مجلَّة النحلة سنة ١٨٧٠ :

هيَ نحلةٌ من كلّ فنّ قد جنتْ ... وجلَت عن التاريخ ما هو مظلمُ
هبُّوا بني الاوطانِ واجنُوا شهدها ... قد حان آنُ قطافهِ والموسمُ
وشَّى صحائفها جليلٌ ماجدٌ ... في وصفهِ الاوطانُ تزهو وتبسمُ

وقد رثى الطيّبَ الذكر المطران طوبيًّا عون رئيس اساقفة بيروت المارونيَّ سنة ١٨٧١ برثاة قال فيها:

خطبٌ جسيمٌ دهانا اليوم وا اسفي ... كلٌّ غدا قائلًا قد ضاع مصطبري
فقدُ الهمام الكريمِ الحاذق الورع م ... الذي تردَّى بثوب الخير والطهرِ
عونُ الفقيرِ حليمٌ ماجـدٌ فطنٌ ... شهمٌ شهيرٌ وذو قلبٍ بلا وضَرِ

وقد مدح ايضاً اسمعيل باشا خديوي مصر فقال من قصيدة :

على أسماعيل سيّدنا سلامٌ ... تردّدهُ الاكابرُ والصغارُ
اذا ما غاب غاب العزُّ معهُ ... كما إن عاد عاد لنا الفخارُ
لعزَّتهِ تخرُّ الاسدُ طوعاً ... كما للموت والموت اضطرارُ
فما الاسكندريَّة في حماهُ ... سوى روضٍ يجلّلهُ اخضرارُ
ومصر الآنَ في الاقطار خُودٌ ... تميس بحلَّةٍ لا تُستعارُ

ومن حكمهِ قولهُ :

ما كلُّ من رامَ نظم الشعر يدركهُ ولا الذي رام يفدي الناس يفديها
ليس الذي عاش ايامًا مطوَّلة بل الذي عركَ الايام يدريها
بين الحيوة وكلِّ الناس معركةٌ بالحظّ والبؤس تفنينا ونفنيها

وكان مولد هذا الشاعر سنة ١٨٥١ ووفاتهُ في كانون من السنة ١٨٧٧ . أمّا اخباره فقد تحفَّينا في السؤال عنها فلم نحصل على شيء منها . وكذلك لم نقف على اخبار كاتب آخر تلوح من آثارهِ لوائح النجابة والذكاء نريد المرحوم «قيصر ابيلا» . ومن العجب ان الذين افادونا عن تاريخ بيت ابيلا (المشرق ٦[١٩٠٣]: ٦٥٤) لم يتعرَّضوا لذكر قيصر . وقد كنّا عثرنا لهُ على قصيدة دينيَّة حسنة النظم فاثبتناها في مجلّتنا (٧[١٩٠٤]: ٢٥٦) وهي عبارة عن مفاوضة غاية في الرقَّة بين الله والخاطئ اوَّلها :

يدعوك ربُّك ايُّها المتمرِّدُ حتى مَ في ليل المعاصي ترقدُ
فأجبْ نداهُ واعتصم بحبالهِ فهو المجيرُ وغيرهُ لا يَعضدُ

ولهُ غير ذلك من الآثار منها نُبَذ في موادّ علميَّة وصناعيَّة وادبيَّة نشرها في مجلة النحلة سنة ١٨٧٠ (ص ٢٢،٣٦،٥٢ الخ) . توفي قيصر في شرخ شبابهِ في صيداء سنة ١٨٧٣ فأرخ وفاتهُ نقولا افندي النقاش :

قد غبتَ يا بدرًا منيرًا بالثرى وغدا الظلامُ مخيّمًا فوق الورى
وكسوت آبيلا بكاء تفجُّعٍ حاشاهُ ان يَفنى وان يتغيَّرا
رِفقًا بادمع والهٍ يا آلهُ وتصبَّروا فكفاكمُ ما قد جرى
ابن القياصرة المعظَّمُ قدرُهم فالكل ساروا والبقاء تعذَّرا
ونعم فقدتم قيصرًا لكنما أرِّخْ غدا باقٍ قيصرُ قيصرا (١٨٧٣)

ومن شعر قيصر ابيلا قولهُ في وصف الدنيا ونكباتها :

ذر الدهرَ فالايامُ فاسخةُ العقدِ وناشرة البلوى وطاوية العهدِ
وما هذه الدنيا سوى دار ذلَّةٍ وفيها يجولُ المرء في الهمّ والكدّ
نروم بها طول البقاء ودونهُ سيوفُ القضا بالفتك ماضيةُ الحدّ

تُخادعنا الدنيا بوعدِ مسرَّةٍ وليس سوى البأساء فيها وفا الوعدِ
تسلُّ على ذي الملك والجاه سيفها كما انها تسطو على أحقر العبدِ
وهيهاتَ ما الدنيا الغرور بمنزلٍ ولكن بها نجري الى منزل الخلدِ
وكلٌّ على هذا الطريقِ مسافرٌ فلا صاحبٌ يَفدي ولا ثروةٌ تُجدي

ومن مديحهِ قولهُ في مجلّة النحلة :

ألا حبَّذا القومُ الكرامُ الأُلى لهم على وطنٍ من خير أفضالهم فضلُ
عليهم ثناءٌ لا يزال مؤبَّدًا يطيبُ كما طاب الذي جنتِ النحلُ
فأكرِم بمَن مِن روضِ افكارهم لنا جنى نحلةٍ يحلو والمنّهُ تعلو
تطيب لنا مما حوتهُ فوائدٌ واعذبُ شيء ما يلذُّ بهِ العقلُ

ونضيف الى من سبقوا اديباً آخر توفي نحو سنة ١٨٧٣ اسمهُ «اسعد باز» صنّف موشَّحات واغاني تقويّة منها تسبحتان في مريم العذراء شائعتان : « انتِ الشفيعَ الاكرمُ » و« يا بتول ارحمي عبيدك » . ومما افادنا به جناب القانوني جرجي بك صفا ابيات لاسعد باز قالها سنة ١٨٣٠ في تاريخ بناء كنيسة دير القمر المعروفة بسيّدة التلّة :

يا مَقدس الدين الذي يسمو على قمرِ العلى نورًا بإشراقٍ بدا
قد زانهُ الرحمان في آياتهِ وبجودة المنّان عاد مجدَّدا
طوبى لمن وافى اليهِ طالبًا من مريمَ البكرِ العناية والهُدى
ويقول تاريخًا بهِ مترنّمًا انتِ رجا القصّادِ بل سببُ الفدا

ولما اهدى الفاضل غالب افندي شاول صورة السيدة لتلك الكنيسة قال اسعد باز :

تخذتُكِ يا بتولًا لي ملاذًا حصينًا يُرتجى عند المخاطرْ
فأرجوك الشفاية بي لأني انا عبدٌ لكِ بذنوبي شاعرْ

ولهُ ايضاً في قيامة لعازر :

يا بيت عنيا قد غدوتِ مشاهدًا لعجائب الله التي تسبي الورى
قد جاءك المولى المخلّص زائرًا احيا بكِ الميتَ الرميم من الثرى

وتوفي في هذا الزمان (٢٦ كانون الاول سنة ١٨٧٠) احد وجوه الاسرة الدحداحية الذين اجادوا بالكتابة «الشيخ امين» الذي اتخذهُ الامير حيدر كرئيس كَتَبته لما فُوِّضت اليه قائمقامية النصارى في لبنان. وقد ذكرهُ مكاتبنا الاديب الشيخ سليم الدحداح في مقالتهِ عن الكنت رُشيد واسرتهِ (في المشرق ٤ [١٩٠١] : ٣٩٥) آثارًا ادبيَّة ومنظومات شهدت لهُ على رسوخ القدم في الاداب العربية وأيد قولهُ بذكر ما دار بينهُ وبين ادباء عصرهِ من المساجلات والمكاتبات المنبئة بفضلهِ وباعتبار معاصريه لهُ

هذا ما امكنّا جمعُهُ من اخبار ادباء النصارى في هذه الحقبة ولا مراء انهُ فاتنا منها اشياء كثيرة واملنا من اصحاب الفضل والهمَّة ان يسدُّوا الخلل او يرشدونا الى ما يعرفونهُ من الفوائد فننشرها شاكرين. وقد عدلنا عن ذكر الذين قصروا همَّتهم الى تآليف دينيَّة او جدليَّة قليلة كالسيّد امبروسيوس عبده المتوفى سنة ١٨٧٦ بعد تدبيرهِ مدَّة لكرسي زحلة ونقلهِ الى القلاية الاورشليميَّة وهو مؤلف كتاب كنز الرياضة الروحيَّة. وكالارشمندريت غبريل جبارة احد الذين عدلوا جهلًا عن الكثلكة الى الارثذكسيَّة بسبب تغيير الحساب. توفي سنة ١٨٧٨ في ازمير. ولهُ كتابات جدليَّة لتأييد رأيهِ الباطل في الحساب الشرقي وبعض كتب دينيَّة ومواعظ. وغير هؤلاء ممن أبقوا لنا بعض آثار من فضلهم وآدابهم. امَّا اخبارهم فلم يفدنا احد منها شيئًا مع قرب عهدهم من زماننا

المستشرقون الاوربيون

(الفرنسويون) بقيت ازمَّة الدروس الشرقيَّة في ايدي الفرنسويين في السنين العشر التي تمتدّ من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ وان خمدت تلك الحركة بعض الخمود بعد الحرب السبعينيَّة. وكان معظم المستشرقين في فرنسة قد تخرَّجوا على اولئك الائمة الذين سبق ذكرهم كالبارون دي‌ساسي ودي كاترمار ورينو فتقفَّى تلامذتهم آثارهم الَّا انَّ الموت حلَّ ببعضهم فرزئت بهم الاداب العربيَّة

واوَّل من يستحقّ ان تشقّ عليهِ الاداب جيوبها العلَّامة «كوسّان دي برسڤال» (A. P. Caussin de Perceval) الذي سبق لنا ذكر والدهِ. ولد هو في ١٣ ك ١

سنة ١٧٩٥ وانكبَّ منذ شبابهِ على الدروس الشرقيَّة ثمَّ ارسلتهُ حكومتهُ بصفة ترجمان الى الاستانة ثم الى ازمير ثمَّ جال ثلاث سنوات في بلاد الشام فسكن جبلها ومدنها وتوغَّل في باديتها حيث ابتاع لحكومتهِ جيادًا اصيلة . وكان في سياحته اتقن اللهجات العربيَّة العاميَّة فألَّف فيها غراماطيقاً واصلح معجمَ الاستاذ القبطي اليوس بُجتر فجدَّد طبعهُ . وقد ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغة العربيَّة في مكتب دروسها العليا فلم يلبث ان احرز لهُ شهرة كبيرة في التعليم . ثمَّ خصَّ حياتهُ في درس آثار العرب وتاريخهم القديم وقد ألَّف في ذلك كتاباً واسعاً في ثلاث مجلَّدات لم يبلغ فيه احد شأوهُ وقد نفد طبعهُ حتى بيع بثلاثمائة فرنك الى ان جُدِّد طبعهُ بالنور والحجر . وللمسيو دي برسفال تآليف أُخرى عديدة ومقالات فنيَّة في كلّ آداب الشرق اخصَّها تراجم الموسيقيين العرب . كانت وفاتهُ وقت حصار باريس وفيها مات في ١٥ ك٢ سنة ١٨٧١

ومن مشاهير المتوفَّين من المستشرقين في هذه السنين «لويس امالي سيديليو» (L. A. Sédillot) ولد في باريس في ٢٣ حزيران سنة ١٨٠٨ وتخرَّج على ابيهِ الفلكي المغرم بآداب الشرق (ج ١ ص ٦٥) فتعقَّب آثارهُ وجعل يُنقّب في المكاتب الشرقيَّة ليستخرج منها دفائنها فنجح في ذلك بعض النجاح . ونشر سنة ١٨٣٣ كتاب ابي الحسن علي المراكشي المدعو جامع المبادئ والغايات في الآلات الفلكيَّة الذي نقلهُ ابوهُ الى الفرنسويَّة ثم نشر القسم الثاني منهُ في مجموعة مقالات الاكاذمية الفرنسويَّة (Mém. présentés par divers Savants, *1re S. 1 Vol., 1-225*) ونشر مقالات أُخرى رياضيَّة لاحمد بن محمَّد السنجاري وللامام المظفَّر الاسفرلدي وصنَّف تاريخاً للرياضيَّات عند اليونان والعرب . وقد بالغ المسيو سيديليو في تعظيم اكتشافات العرب الفلكيَّة وغيرها حتى بخس حقوق اليونان فقام بينهُ وبين علماء زمانهِ جدال عنيف في ذلك فخطَّأوهُ واثبتوا لهُ انهُ تجاوز في كلامهِ حدود الحقيقة . وكذا يقال عن تاريخ العرب الذي ألَّفهُ وطبعهُ مرَّتين فانَّهُ قد رمى الكلام على عواهنهِ وشطَّ في مزاعمهِ وقد خُدع بكتابهِ المصريّون فنقلوهُ الى العربيَّة ظنًّا منهم انَّهُ من الآثار الفريدة . توفي المسيو سيديليو في ٢ ك١ سنة ١٨٧٥ في باريس

ولبَّى دعوة ربّهِ بعده بزمن قليل المسيو «جول موهل» (J. Mohl) كان هذا الماني الاصل فولد في ستوتغارت سنة ١٨٠٠ ودرس في كليَّة توبنغن . ثمَّ شعر في

نفسهِ ميلًا الى الدروس الشرقيَّة فقصد باريس ودرس على علمائها ثم تجنَّس بالجنسيَّة الفرنسويَّة وتفرَّغ للتأليف فكتب الفصول الواسعة في كل الفنون الشرقيَّة. حتى انَّ خطبهُ التي القاها في الجمعيَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة عن الشرق تقوم مقام كتاب يشمل كل تاريخها الحديث. وكان متعمقاً في آداب الفرس وهو الذي نشر في باريس كتاب الفردوسي المعروف بشاه نامه طبعهُ طبعاً بديعاً في سبعة مجلَّدات ضخمة ونقلهُ الى الفرنسويَّة وذيَّلهُ بالحواشي وعلَّم سنين طويلة اللغة الفارسيَّة في مكتب باريس الاعلى. توفي في ٤ ك١ سنة ١٨٧٦

وفي ١٥ نيسان السنة ١٨٧٧ فُجعت الاداب الشرقية باحد اركانها المسيو فرنسوا الفنس بلن «F. A. Belin» كان قطن زمناً طويلًا بلاد الشرق وخصوصاً عاصمة المملكة العثمانيَّة حيث تعيَّن قنصلًا لدولتهِ. وكان مع تدبيره لشؤون القنصليَّة يهتمُّ بدرس تاريخ الشرق وكشف اسرارهِ فوضع مصنفات جليلة في تاريخ الترك وآدابهم. وكان يُعنى خصوصاً بتاريخ نصارى الشرق واحوالهم ولهُ في المجلة الاسيويَّة الفرنسويَّة فصول حسنة في كل ابواب المعارف الشرقيَّة وقد ألَّف تاريخاً للطائفة اللاتينيَّة في الاستانة العليَّة. كان مولدهُ في باريس سنة ١٨١٧ ووفاتهُ في الاستانة

وفي السنة التالية (٢ ايلول ١٨٧٨) توفي المستشرق الشهير «غارسن دي تاسي» (Garcin de Tassy) ولد في مرسيلية سنة ١٧٩٤ ودرس في باريس اللغات الشرقيَّة على امامها الاكبر دي ساسي. فاشتهر فيها ولاسيما في اللغتين الفارسيَّة والهندستانيَّة وقد توفَّرت مصنَّفاتهُ فيها. ومن آثارهِ «مجموع الرموز الشرقيَّة» جمعهُ من آداب العرب وغيرهم ونقلهُ الى الفرنسويَّة. ومنها كتاب في العروض والنظم عند الشرقيين. وكتاب آخر في البيان والبديع. وقد نشر كتاب كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي وحشَّاهُ وترجمهُ الى الفرنسويَّة ولهُ غير ذلك

وفي هذه السنة ١٨٧٩ وقعت وفاة مستشرق آخر شهير ادَّى للآداب العربيَّة عدَّة خدم. نريد بهِ المسيو «دي سلان» (Bon Mac Guckin de Slane) وجَّه الحاظهُ الى بلاد المغرب ودرس اخبار البربر فألف فيهم تاريخاً في ستة مجلدات ثم تعشَّق ابن خلدون واتمَّ ترجمة مقدَّمته التي كان باشر بها العلامة دي كاترمار فطبعها في ستة مجلَّدات ثلاثة عربيَّة وثلاثة افرنسيَّة. ومن مآثرهِ الطيبة نشرهُ لديوان امرئ القيس

مع ترجمتهِ اللاتينيَّة في باريس سنة ١٨٣٧ ثمَّ وفاة الاعيان لابن خلكان ثم وصفهُ للمخطوطات العربيَّة التي تصان في مكتبة باريس العموميَّة لكنَّ الموت حال دون تتمَّة العمل فاتمَّهُ المسيو زوتنبرغ (H. Zotenberg)

ومن الكهنة الذين ابقوا لهم ذكرًا بدرس الشرقيات في باريس «الاب غلار» (abbé Glaire) من جمعيَّة سان سولپيس ولد سنة ١٧٩٨ وبرَّز في الآداب الشرقيَّة فندبتهُ الحكومة الفرنسويَّة الى تدريس اللغة العبرانيَّة في مدرستها العليا خلفاً لكاهن آخر من جمعيَّتهِ الاب لوهير (abbé Le Hir) الذي تخرَّج عليهِ رينان في درس العبرانيَّة. وكان الاب غلار حاذقاً في تفسير الكتب المقدَّسة وتولَّى شرحها في مدارس دولتهِ العموميَّة وكان عارفاً باللغة العربيَّة وقد وضع في اصولها كتاباً مطوَّلًا في اللغة الفرنسويَّة. توفي الخوري غلار في مدرسة إسّي (Issy) قريباً من باريس سنة ١٨٧٩

وكان يعاصر هذين الكاهنين كاهنٌ فاضل من وطنهما الَّا انهُ سكن المغرب واشتهر في تونس نريد بهِ الاب «فرنسوا بورغاد» (F. Bourgade) ولد سنة ١٨٠٦ . وبعد كهنوتهِ سنة ١٨٣٢ طلب اعمال الرسالة فرحل الى الجزائر سنة ١٨٣٨ وخدم فيها راهبات مار يوسف ثم رافقهنَّ الى تونس سنة ١٨٤٠ ووليَ هناك خدمة كنيسة مار لويس التي شيَّدتها الحكومة الفرنسويَّة. ومن مساعيهِ المشكورة انهُ انشأ مستشفى لابناء وطنهِ وفتح لهم مدارس ادارها بكل غيرة وفتح اوَّل مطبعة عُرفت في تونس. وكان الاب بورغاد محبًّا للآداب العربية مطَّلعاً على احوال العرب وتواريخهم وقد وضع عدَّة تآليف تنبئ بسعة معارفهِ لآداب الاسلام منها كتابهُ المعروف بمسامرات قرطجنة في ثلاثة اقسام طبعهُ بالفرنسويَّة والعربيَّة. ومنها كتاب في تاريخ تونس. ولهُ تفنيد على سيرة المسيح التي ألَّفها الملحد رينان. وطبع بالعربيَّة نبذًا من قصَّة عنتر وقلائد العقيان لابي نصر الفتح بن خاقان وغير ذلك . وقد انشأ جريدتين عربيَّتين عُقاب باريس والبرجيس . وكان اتَّخذ لهُ بصفة كاتب ومحرّر سليمان الحرائري الذي مرَّ لنا ذكرهُ. توفي الاب بورغاد في ٢٠ أيار سنة ١٨٦٦

ونختم جدول هؤلاء المستشرقين الفرنسويين باحد الاثريين المسيو «دي سوسي» (L. F. Caignart de Saulcy) توفي في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٨٠ وعمرهُ ٧٣ سنة بعد ان ادَّى للدروس الشرقيَّة خدماً عظيمة بتعريف آثار الشرق ولاسيما النقود

القديمة فانهُ ساح مرارًا في الشام وفلسطين ومصر وبلاد اليونان وجهات تركيا فدرس آثارها درساً نعمًا وفكَّ كثيرًا من اسرار كتاباتها القديمة في لغات الشرق كالعبرانيَّة والفينيقيَّة والاشوريَّة والعربيَّة. والكتب التي ألفها في وصف العاديات التي اكتشفها او في حلّ رموزها تنيف على المئة. وبعض هذه التآليف كتبٌ ضخمة. ولهُ ايضاً عدَّة تواريخ واسفار كرحلتهِ الى الاراضي المقدَّسة في مجلَّدين وتاريخ هيرودس الكبير. لكنهُ برَّز في علم المصكوكات القديمة

(الالمانيون) سبق لنا الكلام عن مشاهير مستشرقي الالمان كفريتاغ وفلوغل فبعث هؤلاء في مواطنيهم حميَّة الدروس الشرقيَّة فاخذوا يجارون الفرنسويين في حلبة الآداب ويوسعون نطاق مدارسهم الشرقيَّة. وممَّن استحقُّوا شكر الادباء في هذه البرهة من الدهر العلَّامة «إيفلد» (H. Ewald) ولد في غوتنغن سنة ١٨٠٣ ودرس في وطنهِ العلوم الدينيَّة ويعدُّهُ البروتستانت من كبار ائمَّتهم في اللاهوت لهُ فيهِ كتابات عديدة وقد علَّمهُ زمناً طويلاً في مدارس المانية وكان تبحَّر في درس اللغات الشرقيَّة . ومن مآثرهِ العربيَّة غراماطيق واسع في جزءين صنَّفهُ باللغة الالمانيَّة. وقد كتب ايضاً في الشعر والعروض ونشر كتاب فتوح الجزيرة المنسوب الى الواقدي ووصف المخطوطات العربيَّة المصونة في غوتا. توفي ايفلد في ٤ أيار سنة ١٨٧٥

واشتهر ايضاً المانيّ آخر اسمهُ «هرمان روديغر» (H. J. Roediger) كان ابوهُ اميل (Emile) روديغر سبقهُ الى درس الشرقيَّات فنشر امثال لقمان الحكيم وكتب في الترجمات الشرقيَّة للاسفار المقدَّسة التاريخيَّة توفي في ١٥ حزيران ١٨٧٧ في برلين . وقد خلفهُ ابنهُ هرمان روديغر في درس الآداب العربيَّة وعلَّمها مدَّة في مدينة هال (Halle). ومن آثارهِ اشتغالهُ بكتاب جليل يُدعى الفهرست لابي الفرج ابن النديم كان باشر بطبعهِ العلامة فلوغل ففاجأهُ الموت ولم يتمّمهُ فانجزهُ العالمان اوغست مولّر وهرمان روديغر. وقد كتب روديغر في بعض اللغويَّات العربيَّة عدَّة مقالات منها تأليف واسع في اسماء الافعال

(الروس) سبق لنا ذكر عنايتهم بالآداب العربيَّة وكانت دولتهم لبسط سيطرتها على انحاء من القارة الاسيويَّة احسَّت بحاجتها الى لغة قسم كبير من رعاياها

فأنشأت مكتباً خصوصياً للغات الشرقيَّة من جملتها اللغتان العربيَّة والفارسيَّة عهدت بتدريسها الى اثنين من تلامذة البارون دي ساسي وهما الاستاذان «ديمانج» (Desmanges) «وشرموا» (Charmoy) صاحب التآليف الخاصة في تاريخ المغول والاكراد . واخذ عن ديمانج تلميذهُ الروسي «بوتجانوف» (Bottjanoff) الذي نشر بعض قصائد لابي العلاء المعرّي وللنابغة الذبياني . وفي عهده كان «الكسيس بولديراف» (A. Boldyrew) الذي رحل الى باريس وسمع دي ساسي وعلَّم في موسكو وترأس على كليَّتها . ومن تركتهِ العلميَّة نشرهُ لمعلَّقتَي الحارث ابن حلزة وعنترة ثمَّ منتخبات عربيَّة طبعها في موسكو سنة ١٨٣٢ . ولهُ فصول ومقالات شتى في منشورات بلادهِ . وكان عالماً باللغة الفارسيَّة ترك فيها آثاراً مذكورة . وعاصرهُ عالم روسي آخر «يوسف سيانكوفسكي» (J. Sienkowski) ولد في بلاد ليتوانية في اوائل القرن التاسع عشر ودرس العربيَّة وهو في مقتبل العمر ثمَّ ساح في بلاد الشام ومصر وعاد الى بطرسبرج حيث درَّس اللغتين العربية والتركية . وكان عالماً باللهجات العاميَّة فكتب في ذلك عدَّة فصول مفيدة ونشر قصصاً وحكايات وبعض روايات عنتر . ولهُ مقالة حسنة في ديوان لبيد . وساعد بَرغرينَ (Berggren) في تأليف دليلهِ للسيَّاح في الشام ومصر سنة ١٨٤٤ . ومن مآثره انَّهُ جمع من تواريخ العرب والترك والفرس ما رووهُ عن قبائل الهونيين (Huns) وعن امور وطنهِ بولونية

وقد تخرَّج على سيانكوفسكي كثيرون من الروسيين اشتهر بينهم «ساڤلياف» (P. Sawelieff) الكاتب الاوَّل لاسرار الجمعيَّة الاثريَّة في بطرسبورج واحد خدمة الآداب الشرقيَّة في بلادهِ . ثم غريغورياف «W. Grigorieff» معلّم التواريخ الشرقيَّة في عاصمة دولتهِ توفي في ٢ ك٢ ١٨٨٢

وعُرف في ذلك الوقت الكاهن الروسي «باڤسكي» (G. Pawsky) نقل الكتب المقدَّسة من العبرانيَّة الى الروسيَّة وألَّف كتاباً في اصول اللغة العبرانيَّة وكان متضلعاً بالعاديَّات الشرقيَّة وقد صنف فيها المقالات المستجادة . واشتهر مثلهُ في العبرانية العالم «كاجتان كوسوفتش» (C. Kossowicz) الذي نقل الى الروسيَّة غراماطيق

جزنيوس (Gesenius) العبراني وحشّاه وقد نشر منتخبات عبرانيّة توفي في ٧ شباط ١٨٨٣.

وفي السنة ١٨٥٤ أنشئ في كلية بطرسبورج مكتب خصوصي لدرس العلوم الشرقيّة فدُعي الى تدريس العربيّة فيهِ المسيو نفروتسكي (M. Nawrotsky) الذي وضع في اصول اللغة العربيّة كتاباً يرجع اليهِ علماء الروس حتى يومنا هذا. وكان يسعفهُ في تدريس اللغة العاميّة الشيخ محمّد الطنطاوي المتوفى سنة ١٨٨١ ولهُ في اللهجة المصريّة كتاب معروف

واشهر من هؤلاء المستشرق الروسي الياس نيقولافتش برازين (E. N. Béresine) ولد سنة ١٨١٨ ودرس في كلية قازان اللغات الشرقية ثم ارسلتهُ الكليَّة الى بلاد الشرق فطاف اقطار العجم ثم الجزيرة وبرّ الاناضول والشام ومصر وسكن الاستانة مدّة ثم عاد الى بلادهِ مارًّا بالقريم ثمّ رحل الى سيبارية ودرس آثار التتار وكتب تاريخهم. ثمَّ علّم مدّةً في كلية قازان اللغة التركيَّة ولهُ فيها وفي الفارسيَّة عدّة تآليف. وكان يعرف اللغة العربيَّة ودرس خصوصاً لهجات بلاد الجزيرة وما بين النهرين فوصفها ثمّ انقطع الى تاريخ الدول الاسلاميَّة وكتب فيها كتابات اثريَّة وتاريخيَّة وجغرافيَّة وادبيَّة ولغويّة وقد اجاد في وصف شيَع اليزيديين والاسماعيليين واسهب في تعريف نصارى الشام وما بين النهرين. وقد تولى ادارة المطبوعات الشرقيَّة في قازان الى وفاتهِ نحو السنة ١٨٧٠

وقد اشبه العلامة برازين روسيٌّ آخر سبق لنا ذكرهُ (ج ١ ص ١٢٦) المسيو خانيكوف (M. de Khanikoff) فانهُ رحل ايضاً الى العجم واواسط اسيَّة وكتب في آثار بخارى وسمرقند وفي آداب الفرس وشعرائهم. توفي سنة ١٨٧٩ (١

ونختم بذكر مستشرق اسوجي لبّى دعوة ربهِ في هذه الردحة نعني بهِ كرل ترنبرغ (C. J. Tornberg) فانهُ وُلد في ٢٣ ت٢ سنة ١٨٠٧ وتتلمذ لدي ساسي في باريس وعلّم في كليَّة اوبسالا اللغة العربيَّة. ولهُ تآليف في آثار العرب تستوجب شكر محبي

---

١) قد استفدنا بعض ما كتبناهُ عن مستشرقي روسيَّة من احد افاضلها نزيل بيروت هذه الايام واحد طلبة مكتبنا الشرقي الاديب اغناطيوس كراكتشوفسكي (I. Kratchkowski) فنشكرهُ على ما افاد. وسنتمم في الفصول التالية اخبار الذين اشتهروا بعد سنة ١٨٨٠

الشرقيّات اخصّها تاريخ الكامل لابن الاثير طبعهُ في ١٤ مجلدًا واضاف اليهِ ملحوظات مهمّة وفهارس. ثم تاريخ فاس المسمَّى كتاب الانيس المطرب روض القرطاس للشيخ ابن ابي زُرع نشرهُ ونقلهُ الى اللاتينيَّة. وكذا فعل بمنتخبات من تاريخ ابن خلدون ومن خريدة العجائب لابن الوردي ووصف المخطوطات الشرقية المصونة في مدينة اوبسالا. توفي الدكتور ترنبرغ في لند في ٦ ايلول ١٨٧٧

الفصل الثاني

الآداب العربيَّة من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر

نظر عام

(الكليات والمدارس) لم تبلغ الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر كلّه ما بلغتهُ في حقبتهِ الاخيرة فانها اصبحت اذ ذاك كالزهرة المتفتحة من زرها المعطّرة الارجاء بعرفها وكالشجرة التي بسقت افنانها ومدَّت في قاع الارض اصولها فلم تَعُد ترهب الانواء او تكترث لزعازع الرياح. وكان الفضل الاكبر في نجاز هذا المشروع العظيم لبلاد الشام وخصوصاً لبيروت التي اضحت كمركز دائرة الآداب تجتذب اليها زهرة الشبيبة من انحاء سورية ومصر والعراق فتغذيهم بافاويق العلوم وتعيدهم الى اوطانهم فيرقّون شيئاً فشيئاً عقول مواطنيهم ويوسّعون نطاق التمدُّن بنفوذهم.

ولا مراء انَّ المدارس لعبت الدور الاهمّ في هذا الترقي الشريف فكانت الكلية الاميركيَّة بلغت عزَّ قوَّتها تحت نظارة رئيسها النشيط الدكتور دانيال بلس وبهمّة بعض اساتذتها ولاسيما الدكاترة كرنيليوس ڤان ديك ولويس وجرج بست ويوحنا ورتبات مع مساعدة بعض الوطنيّين. وكان وقتئذٍ تعليم المدرسة باللغة العربية فوضعت عمدة الكلية في العربية او نقلت اليها عددًا وافرًا من التآليف العلميَّة التي ادَّت خدماً موقّتة لنشر العلوم في الشام وغيرها الى ان عدلت المدرسة عن العربيَّة الى الانكليزيَّة لمَّا تحقّقت ان تلك التآليف تحتاج في كل سنة الى اصلاح وتحسين بتقدُّم

العلوم فلا تفي بالمرام بعد زمن قليل ما لم يكرَّر طبعها مع وفرة نفقاتها

وكانت الكلية اليسوعيَّة مع حداثة نشأتها تباري رصيفتها الاميركيَّة في نشر المعارف الدينيَّة والدنيويَّة . وكان الاحبار الرومانيُّون يعلقون عليها الآمال الطيبة في اعلاء منار الدين والعلم بين الطوائف الشرقية فمنحها السعيد الذكر بيوس التاسع سنة ١٨٧٤ اسم كليَّة وقام من بعده خلفهُ المغبوط لاون الثالث عشر فخصها سنة ١٨٨١ بامتيازات اخرى وخصوصاً ان تعطي طلبتها شهادة الملفنة في اللاهوت والحقّ القانوني والفلسفة

وكانت الدولة الفرنسويَّة في تلك الاثناء ساعيةً في تعزيز مدارسها في الشرق فرأت في كلية القديس يوسف محققاً لغاياتها ضامناً لحسن نياتها فمنحت لطلبتها الاجازة كطالبي مدارسها في فرنسة . ثمَّ وكلت الى روسائها ان يلحقوا بالكلية مكتباً طبياً . فتمَّ ذلك فعلاً سنة ١٨٨٣ وأُنشئت الدروس الطبية بكل فروعها التي تبلغ الاثني عشر لكلّ منها معلّمها الاختصاصي . فزادت هذه الانعامات كليَّتنا نشاطاً وعزيمةً ورقَّتها الى درجةٍ ما كانت لتطمع فيها الآمال . وكان للدروس العربية في ذاك الترقي حظُّها من الاهتمام كما اثبتنا الامر في خطبة القيناها على الحضور في حفلة توزيع الجوائز سنة ١٨٩٨ (المشرق ١ [١٨٩٨] : ٦٩٩) فخصَّصنا فيها الكلام عن تدريس العربية في كليتنا وقد كرَّرنا طبعها في السنة الحاليَّة ١٩٢٥ بنسبة وقوع يوبيل الكليَّة الذهبي وعدَّدنا تآليف نيف ومائتين من تلامذتها بينهم الكتبة والخطباء والشعراء والصحافيون واللغويُّون

﴿المدارس الكاثوليكية﴾ وكانت المدارس الثانويَّة بعضها للمرسلين وبعضها للوطنيين تركض جيادها في ذلك المضمار . فمنها ما كان سبق انشاؤهُ تلك الحقبة فمرَّ لنا ذكرهُ ومنها ما استجدَّ افتتاحهُ كمدارس «الفرير» في بيروت والقدس وحيفا ويافا وطرابلس ومدرسة الآباء الكبوشيين في صليما والآباء الكرمليين في القُبيَّات والآباء اليسوعيين في صيداء وحمص وسيّدة القلعة . واعظم منها مدرسة القديسة حنة الاكليريكيَّة المعروفة بالصلاحية التي أسَّسها سنة ١٨٨٢ نيافة الكردينال لافيجري وخصَّها بتهذيب طلبة الكهنوت من طائفة الروم الكاثوليك تحت ادارة الآباء البيض (اطلب في المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٨٦٥ مقالة المرحوم الخوري نقولا دهَّان في تاريخ

تلك المدرسة واعمالها) . وتعدَّدت المدارس الابتدائيَّة للذكور والاناث فحظيت بها اكثر قرى لبنان وسهول البقاع ونواحي حوران بهمَّة المرسلين اليسوعيين واللعازريين فضلًا عمَّا عُني بانشائهِ المرسلون البروتستانت في انحاء شتى

امَّا المدارس الطائفية فأُنشى منها للدروس الثانوية مدرسة غزير المارونيـة كان الساعي بها الخوري لويس زوين سنة ١٨٨٠ ومدرسة قرنة شهوان المعروفة باللبنانيَّة من اثار همة السيد يوسف الزُّغبي سنة ١٨٨٣ . وفتح الروم الكاثوليـك في دمشق مدرستهم البطريركية التي اقبل عليها الاحداث لحسن نظامها . وكذلـك مدرستهم الاسقفيَّة في زحلة اهتمَّ بتدبيرها كهنة افاضـل اخصُّهم الخوري فيلبُّوس غير والخوري بطرس الجريجري قبل انتخابهِ الى كرسيّ بانياس . وفي السنة ١٨٩٨ اقامت الرهبانيَّة الباسيليَّة الخنَّاويَّة مدرستها الشرقيَّة وقـد نعتَّتها بالكليَّة فكانت الى ايام الحرب الكونيَّة من المعاهد التي تزين مدينة زحلة . وانشأ الروم الكاثوليك بعد ذلك مدرسة حلب التي يدبرها عدَّة كهنة من تلامذة القديسة حنة تحت نظارة راعيها الغيور السيد ديمتريوس القاضي قبل ارتقائهِ الى السدَّة البطريركيَّة وزيد ايضاً بمساعي الطوائف الشرقيَّة عدد المدارس الابتدائيَّة في عدَّة امكنة فاصبحت بذلك اثمار العلوم دانيـة القطوف حتى بين القرويين والفقراء

﴿المدارس غير الكاثوليكية﴾ وممَّا نعرفهُ من امور المدارس غير الكاثوليكية انشاء الروم الارثذكس لمدرسة كفتين سنة ١٨٨٢ فتقلَّبت عليها الاحوال بين تقدُّم وتأخُّر حتى أُقفلت . ومثلها مدرستهم الاكليريكيَّة في دير البلمند التي اصابت بعض النجاح مدَّةً . وانشأت السيدة املي سرسق مدرسة وطنيَّة في الثغر لبنات طائفتهـا دعتها زهرة الاحسان عام ١٨٨٠ . وقـد وجد الروم الارثذكس مساعداً كبيراً في الدولة الروسية لتوفير مدارسهم وحسن تنظيمها . فـانَّ شركة فلسطين المسكوبيَّة اخذت بانشاء عدة مدارس في الشام وفلسطين كانت تنفق عليها المبالغ الوافرة . وفتح الاسرائيليون مدرسة في بيروت ترأسها زكي افندي كوهن سنـة ١٨٧٥ فخدمت طائفة اليهود نحو ٢٥ عاماً ثم أُبطلت وقامت بدلًا منها مدرسة الاتحاد الاسرائيلي

كذلك انشأت الحكومة للمسلمين في بيروت المكتب الاعدادي سنة ١٣٠٩ (١٨٨٥) وقابلتها المدرسة الرشيديَّة العسكريَّة ثم انشأ بعض الاهالي اصحاب الهمة

مدارس اهليَّة اخصُّها المدرسة العثمانية لصاحبها الشهير ورئيسها الشيخ احمد افندي عبَّاس الازهريّ سنة ١٣١٣ (١٨٩٧) والمدرسة الوطنيَّة والمدرسة العلمية وهـذه المدارس ارقى نوعاً من المدارس الابتدائية فتزيد غالباً على المبادئ واصول الدين واللغة درس اللغتين التركيـة والفرنسويَّة او الانكليزيَّة مع اصول الحساب والجغرافية ومسك الدفاتر. ثمَّ تألَّفت لجنة التعليم الاسلاميَّة سنة ١٣١٧ (١٨٩٩) كان يرئسها الشيخ عبد الرحمان الحوت ففتحت مدرستين الواحدة للذكور والاخرى للاناث

﴿المطابع والمطبوعات﴾ وكانت المطـابع السوريَّة في هذه البرهـة سيَّارة الآداب تجري على حرّيتها دون ان يضغط عليهـا المراقبون ويقصُّوا اجنحة اطيـار الافكار. فكان الصحـافيُّون يعلنون الاخبار الجـارية ويعربون عن آرائهم في اصلاح الامور وتلافي الشرور لا تأخذهم في ذلك لومة لائم وفي تلك الاثناء اتَّسعت مجلة المقتطف في ابحاثها وكبر حجمها بعد الغاء مجلة الجنان لكنها وجدت في طريقها عثرات بمقاومة بعض الحسَّاد فانتقلت الى مصر سنة ١٨٨٦ وجرت على سَنَنهـا الى السنة الجارية ١٩٢٥ وهي السنة الخمسون من عمرها. وأُنشئت بعد ذلك مجلة الطبيب كان يحرّرها بشارة زلزل والشيخ ابراهيم اليازجي ولم يطل عمرها على ثلاث سنوات. فقامت بدلًا منها مجلة أُخرى باسمها حرَّرها المرحوم الدكتور اسكندر البـارودي. ونشر الروم الارثذكس مجلتهم الهديَّة خمس سنين وظهرت في لبنان مجلَّتا الشفاء والصفـا فخدمتا الآداب بضعة اعوام. وكانت مجلتنا المشرق آخر ما بزغ في ختام القرن التاسع عشر من المجلّات في بيروت ظهرت في غرَّة السنة ١٨٩٨ وغايتها خدمة الدين والعلوم والآداب وخصوصاً نشر الآثار الشرقيَّة. نفع الله بها اهل الوطن ومحبي الدين والادب. وكذلك بوشر بعدَّة جرائد منها لسان الحال ظهرت سنة ١٨٧٧ ثم جريدة المصباح كان ينشئها المرحوم نقولا النقَّاش ثم جريدة التقدُّم كان صاحب امتيازها يوسف الشلفون. وجريدة الاحوال لصاحبها الاديب خليل افندي البدوي. وأُنشئت الصحافة اللبنانيَّة فظهرت في بيت الدين جريدة لبنان الرسميَّة ثم الروضة (١٨٩٤) ثم لبنان لصـاحب امتيازها جناب ابراهيم بك الاسود ثم الارز في جونية لطيّبي الذكر الشيخين فيليب وفريد الخازن

وطُبعت عدَّة مطبوعات مفيدة منها علميَّة ومنها تاريخيَّة ومنهـا ادبيَّة. وكانت

مطبعتنا الكاثوليكيَّة في مقدَّمة المطابع فنشرت بهمّة مديرها وآباء كليتنا مطبوعات جليلة لا تزال معدودة من خيار المنشورات العصريّة . ومما وجَّهت اليه عنايتها الكتب المدرسية لتكون في ايدي الاحداث قدوةً ودليلاً

على ان ادارة المعارف في الاستانة اخذت تنشئ القوانين الصارمة لتقييد حريّة المطبوعات ولم تزل تضايقها شيئاً بعد شيء حتى بلغت في ضغطها حدّاً لا يكاد يتصوَّرهُ غير الذين قاسوا مضضهُ . ولعلَّ ذلك الضنك الذي بلَغ الروحَ التراقي كان من اقوى اسباب الانقلاب العثماني . ومن المطبوعات الجديرة بالذكر التي صدرت في ذلك الوقت في بيروت دائرة المعارف باشر بها المعلم بطرس البستاني ثم خلفهُ في نشرها اولادهُ وانسباؤهُ آخرهم الطيّب الاثر سليمان البستاني ولم يتمّ منها الَّا نصفها . وكذلك طُبع ديوان الاخطل وديوان الخنساء وديوان ابي العتاهية واقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني وفرائد اللآل في مجمع الامثال للشيخ ابراهيم الاحدب وتاريخ ابن العبري وشرح المتنبي للشيخ ابراهيم اليازجي ومجموع مجاني الادب مع شروحه وكتاب الف ليلة وليلة منقَّحاً وكتب أُخرى عديدة جعلت لبيروت بين المستشرقين سمعةً طيبةً حتى ضربوا المثل بحسن مطبوعاتها . وكان الحظ الاوفى في ذلك للمسيحيين وخصوصاً للكاثوليك

﴿الجمعيات الادبية﴾ ومما يحيي الآداب ويبعث هِمم ذويها الجمعيات الادبية وقد ذكرنا سابقاً ما أُنشئ منها في بيروت على انَّ تلك الجمعيات الادبية انتقض حبلها وتضعضعت اركانها اذ تصدَّت لها الحكومة المحليَّة وكانت لا تزال تترصَّدها وتتجسَّس بواطن اصحابها وتسيء الظنَّ بهم فرأوا في شتاتهم خيراً لهم . وقد سعى مع ذلك الادباء بانشاء نوادي ادبية منها الدائرة العلمية المارونية التي عقد اصحابها من اساتذة الحكمة بعض جلسات في السنتين ١٨٨١ و ١٨٨٢ ونشرت نبذاً من اعمالها . ولم تطل كذلك حياة دائرة ثانية انتسبت الى القديس جرجس دبَّرها الاب يوسف برنيه اليسوعي ثلاث سنوات واتت ببعض النتائج الحسنة (١٨٨٣—١٨٨٦) . وأسس الاميركان جمعية اخرى مختلطة دعوها بشمس البرّ تلتئم حتى اليوم في اوقات معلومة وتُتلى فيها الخطب في مواضيع شتى تُستشفّ من وراء بعضها حريّة الافكار

﴿المطابع﴾ وقد ساعد ايضاً على نشر الاداب في جهات الشام وبالاخصّ في

بيروت انشاء الكتبيين للمكاتب فانَّ باعة الكتب قبل السنة ١٨٨٠ كانوا قليلين لا يزيدون على ثلاثة او اربعة بين نصارى ومسلمين ففُتحت عدَّة مكاتب حتى تجاوز عددها العشرين وكان بين الكتبيين رجال ذوو نشاط كانوا يجلبون المطبوعات من بغداد والعجم والهند ومن اوربَّة. ثم خمدت تلك الحركة بعد ان تشدَّدت الحكومة في مراقبتها للمطبوعات فلم تكتفِ بان تمنع الكتب المخالفة لسياسة الدولة بل حجزت على مطبوعات جليلة لمجرَّد ما توهَّمتهُ فيها من المحظورات حتى لم تسمح بادخال تاريخ ابي الفداء والعقد الفريد لابن عبد ربه . وقد رأينا من مراقبة المأمورين عجائب وغرائب لو اثبتناها هنا لعُدَّت من اساطير الاوَّلين او اقاصيص الامم الهمجيَّة

ومع ما نفعتْ تلك المكاتب كنَّا نحضّ ذوي الامر على انشاء خزائن عمومية تودع فيها اخصّ المطبوعات الشرقيَّة ليقتبس من انوارها المشتغلون بالآداب كما هو جارٍ في معظم البلاد المتمدّنة لكننا كنَّا ننفخ في رماد ونضرب على حديد باردٍ . والى يومنا هذا نتمنَّى بفروغ الصبر ان تصرف بلديَّتنا نظرها الى هذا الامر النافع وقد اخذت تلوح اليوم بارقة امل لتحقيق رغائبنا فلقي مطلوبنا اذناً سامعة

على انَّ بعض الجمعيَّات استدركت الامر وبذلت المال في تجهيز تلك الخزائن . فانَّ المدرسة الامركيَّة عنيت بفتح مكتبة في معاهد كليَّتها يبلغ عدد كتبها نحو عشرة الاف بينها نحو ثلاثة آلاف كتاب عربي بين مطبوع ومخطوط وهي ترخص لادباء البلدة فضلًا عن ذويها بمطالعة تلك المصنَّفات . وكذلك اهتمَّت احدى السيدات الامركيَّة بانشاء غرفة للقراءة تُعرَض فيها الجرائد على القرَّاء وتتضمَّن مع هذا عددًا وافرًا من الكتب العربية وخصوصاً التآليف الدينيَّة البروتستانيَّة

وكان رؤساء مدرستنا الكليَّة وجَّهوا جلّ اهتمامهم لانشاء مكتبة واسعة تشتمل على اخصّ المآثر الشرقيَّة فوكلوا الامر الى بعض رهبانهم فانشئت سنة ١٨٨٠ المكتبة الشرقيَّة التي لم تزل تمتدّ وتتَّسع حتى ينيف اليوم عدد كتبها على الخمسة والثلاثين الفاً. بينها مجموع المجلَّات الاسيويَّة واخطر التآليف واعزّها في كل ضرب من العلوم الشرقيَّة . هذا فضلًا عن ثلثة آلاف كتاب مخطوط بنيف في العربيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والتركيَّة والفارسيَّة مع آثار قليلة في اليونانيَّة والقبطيَّة والحبشيَّة . فاذا

أضيف الى هذه الخزانة ما تحتويه المكتبة الغربيَّة والمكتبة الطبيَّة والمكتبة المدرسيَّة وغيرها بلغ عدد كتب كليتنا نحو مئة وثلثين الفاً. وكثيراً ما تلطَّف الرؤساء فسمحوا لاهل الادب من الوطنيين والاجانب على اختلاف الاديان ان ينتفعوا من تلك الكنوز الادبيَّة ويقطفوا ما شاؤوا من تلك الثمار الجنيَّة. ولم يريدوا ان يُحرم طلبتهم الاحداث من مراجعة كتب الآداب فقرَّبوا منهم منافعها وخصُّوا بهم مكتبة عربية يجدون فيها ما يهذب اخلاقهم وينير عقولهم ويفكه ارواحهم

ومما يستحقّ الذكر بين مكاتب الشام خارجاً عن بيروت مكتبة الملك الظاهر في دمشق جُمعت فيها على عهد مدحت باشا الكتب المتفرقة الموقوفة على الجوامع والمدارس فاضحت من اخصّ المعاهد الادبية وهي تحتوي نحو سبعة آلاف كتاب يغلب عليها الكتب الخطيَّة النفيسة

﴿فن التمثيل﴾ ومما يعود فضلهُ الى بيروت خصوصاً في تعزيز الآداب العربيَّة فنُّ التمثيل وقد سبق لنا كيفيَّة ظهوره على يد المرحوم مارون نقَّاش وما نجم عنهُ من المضرَّات بسوء استعماله في المراسح العمومية حيث مُثلت رواياتٌ مخلَّة بالاداب. الَّا انَّ هذا الفن الجليل عاد الى شرف مقامه في المدارس المسيحية. وكانت كليَّتنا اوَّل من سبق الى تشخيص الروايات التمثيليَّة العربية سنة ١٨٨٢ فكان مديروها يختارون لذلك الوقائع الخطيرة ولاسيما الحوادث الشرقيَّة ليرسخ في قلوب طلبتهم مع حبّ الوطن ذكر تواريخ بلادهم. فمن جملة ما مثّلوا حكم هيرودس على ولديهِ في بيروت واستشهاد القديس جرجس فيها ورواية صدقيَّا ثم داود ويوناثان. ومما اقتبسوهُ من تاريخ العرب رواية ابن السموءل ورواية المهلهل وشهداء نجران ونكبة البرامكة واخوة الخنساء. وكان للطلبة في تأليف بعض هذه الروايات سهمٌ وافٍ الَّا انَّ معظمها بقلم الآباء او بعض اساتذة الكلية

﴿المحافل الادبية﴾ وكما مُثلت المآسي والروايات الفاجعة او الفكاهيَّة كذلك كانت تُعقد في كليتنا محافل ادبية يحضرها اعيان البلد فيبحث الطلبة في بعض المشاكل التاريخيَّة او المسائل اللغويَّة والادبية فيأتي كل منهم بما جادت به قريحتهُ نظماً او نثراً حتى يستوفوا الموضوع حقَّهُ ويُبرزوا محاسنهُ من كل وجه. فدارت بعض هذه المجالس على مفاخر بيروت ووصف الآداب العربية وتنصر النعمان ومآثر

القديسين يوحنا فم الذهب ويوحنا الدمشقي واعمال الرشيد وبني برمك والمامون وعصره . وكان وجوه البلدة يحضرون تلك الحفلات بمل الرغبة والشوق . واخذت بقية المدارس تجري على هذه الآثار لاسيما المدارس الكاثوليكية كالمدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة بهمّة بعض اساتذتها الأدباء وخصوصاً عبد الله افندي البستاني وتلميذنا المرحوم نجيب حبيقة

﴿الاداب العربية في مصر﴾ هذه لمعة من احوال الآداب العربية في بلاد الشام في الخمس الاخير من القرن التاسع عشر . وكانت مصر بعد تقدُّمها على الشام في النهضة الادبية اصابها بعض الخمول رغماً عن انتشار العلوم الحديثة في مدارسها ووفرة مطبوعاتها العربية وهمّة خديويَّها محمّد علي باشا ووزير معارفها الهمام علي باشا مبارك . ولعلَّ سبب هذا الخمول انما كان انصراف نظر اهلها الى العلوم الاجنبية فكان شيوخها ساعين في نقل التآليف الاوربية الى العربية فيدرّسونها في مدارسهم فيشغلهم الامر عن الاهتمام بالآداب العربية

ثمَّ حدثت الثورة العرابيَّة سنة ١٨٨١ واحتلّت الجيوش الانكليزية القطر المصري فكان الاحتلال مضرًّا للغة العربية من جانب ومفيدًا من جانب آخر اما ضرره فقد حصل باتخاذ اللغات الاجنبية كلغات التدريس فحُرمت العربية من التآليف المنقولة من غيرها اليها واهمل كثيرون درسها . ألا ان مصر اعتاضت عن هذه الخسارة بفوائد اخرى كتنظيم الدروس العربية في مدارسها وادخال تلك اللغة في جملة الدروس الثانويَّة لنوال شهادة الحكومة . وزاد عدد المدارس الاجنبية التي لم تكن لتغضي عن درس العربية كمدرسة العائلة المقدّسة في القاهرة للآباء اليسوعيين ومدرستهم في الاسكندريَّة وكمدارس الآباء الافريقيين في طنطا وزقازيق ومدارس عديدة لاخوة المدارس المسيحية

وكذلك المدارس الوطنية زادت عددًا ونموًّا في القاهرة وبقية بَنادر القطر المصري حتى جُعل لها ديوان يهتمُّ بشؤونها دُعي ديوان المدارس ثم عُرف بديوان المعارف العمومية . وفي هذا الوقت حُوّرت طرق التعليم في بعض المدارس المنشأة سابقاً لاسيما مدرسة الازهر التي نالها بعض الاصلاح بدخول فروع جديدة من التعليم كالجغرافية والتاريخ لكنها لم تزل بعيدة عن مرتبة الكليات الاوربية

وفتحت اذ ذاك بعض المكاتب الجامعة لمنفعة العموم. وكان اخصّها المكتبة الخديويّة التي أُنشئت في عهد محمّد علي الّا انها لم تنتظم ولم تحفل بالمطبوعات والمخطوطات النادرة الّا بعد ذلك بهمّة نظّارها الاوربيين كالمرحوم الدكتور ڤولرس والدكتور مورتس

ونشأت عقيب الاحتلال الانكليزي الحياة السياسية بما مُنحتهُ المطبوعات من الحرّيّة واتّسعت دوائر الصحافة خصوصاً فبلغ عدد الجرائد والمجلّات العربية في مصر ما يُربي على المئة. وكان للسوريين في هذه الحركة نصيب عظيم حتى كان اكثر مديري تلك المنشورات ومنشئيها من اهل سوريّة وزاد عددهم في وادي النيل بعد ضغط الدولة العثمانية على المطبوعات حتى اناف على ثلثي الكتبة المصريين فتقدّموا على غيرهم بما عُرفوا بهِ من النشاط والذكاء والتفنُّن في الكتابة. والحقّ يقال ان اكبر مجلّات القطر المصري في تلك الاوان كالمنار والمقتطف والضياء والهلال واعظم جرائدهِ كالمقطّم والاهرام والعمران كان يحرّرها السوريّون

وممّا اكتسبتهُ مصر من الاحتلال الانكليزي لنشر آدابها توفُّر المطابع وتحسن ماديّاتها فأمكن المصريّين لو شاؤوا ان يطبعوا الكتب طبعاً متقناً كمطبوعات الشام. وقد استعاروا من مسابكها حروفهم. فنشرت اذ ذاك في وادي النيل معاجم جليلة كلسان العرب وتاج العروس ونهاية ابن الاثير. وكتب لسانية خطيرة ككتاب سيبويه ومخصّص ابن سيده. وكتب تاريخية اخصُّها ما نشرتهُ المكتبة الخديويّة كتاريخ ابن اياس وتاريخ ابن دقماق وتاريخ ابن جيعان وتاريخ الفيّوم. ومثلها تاريخ السخاوي وطبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة. وكتب ادبية كخزانة الادب وحلبة الكميت للنواجي وبعض دواوين وتآليف أُخرى. ومع ما اجدَت هذه المطبوعات المصريّة من المنافع للعلم لا يسعنا السكوت عن نقائص كثيرٍ منها كسقم طبعها وكثرة اغلاطها وقلّة ضبطها بالشكل وخلوّها من المقدّمات المفيدة والشروح والملحوظات والروايات والفهارس. وربّما عمد اصحابها الى مطبوعات المستشرقين فنسخوها بحرفها ومسخوها بالتصحيف وجرّدوها عن محاسنها وقد بيّنا كل ذلك في نظر سابق انتقدنا فيهِ مطبوعات مصر (في المشرق ١١: ٩٣٠–٩٤٠) فشكرنا عليهِ أُولو الذوق ومحبّو الآداب

اما الجمعيات الادبية في مصر فسعى بانشائها بعض ذوي الفضل والعلم من الفرنسويين وغيرهم فخدموا بها القطر المصري خدماً صادقة كما تشهد على ذلك منشوراتهم المطبوعة في كل عام وكان بعض الوطنيين من جلة القوم يشاركونهم في الاعمال. وقد اراد الوطنيون غير مرة ان يجمعوا قواهم بالانضام ويعقدوا جمعية علمية فلم ينجحوا وكان عقدهم ينفرط بعد قليل لتباين الاغراض

﴿ الاداب العربية في انحاء الشرق ﴾ اما الاقطار الخارجة عن الشام ومصر فكانت حركة آدابها خفيفة لم يشتهر في نهضتها الّا الافراد . ففي هذه المدة ابرزت مطبعة الجوائب مطبوعات مفيدة حسنة الطبع كديوان البحتري وادب الدنيا والدين وشرح مقصورة ابن دريد ورسائل فلسفية وادبية متعددة لابن سينا والثعالبي وللضبي وغيرهم. وادّى المرسلون الدومنيكان في الموصل بمطبوعاتهم الجديدة ومدارسهم خدماً تُذكر فتُشكر. وكذلك الآباء الكرمليّون في بغداد عزّزوا مدارسهم فزاد اقبال الناشئة العراقية عليها. وقصَّ آثارهم الكلدان الكاثوليك فجاروهم بتهذيب الاحداث

وفي ذاك العهد دخل فنّ الطباعة الى مكّة فأُنشئت مطبعتها الاميرية واخصُّ ما طبع فيها الفتوحات الاسلامية للسيد احمد زيني دحلان وبعض الدواوين

ونُشرت في جهات العجم عدّة منشورات بعضها تاريخية كمقاتل الطالبيّين لابي فرج الاصبهاني وروضات الجنّات في احوال العلماء والسادات. وبعضها ادبية ولغويّة واغلبها دينيّة واكثر هذه المطبوعات سيئة الطبع يسقط بذلك معظم فوائدها . وربّما كان طبعها على حجر في اسوإ صورة. ومثلها سقماً وسخافةً مطبوعات الهند في لوكنو وبمباي فانّ مطبوعات كثيرة ظهرت هناك كشفاء ابن سينا وقواعد العقائد للطوسي وشرح الهداية الاثيريّة لكنها لا تستحقُّ اعتبارًا لسوء طبعها. واحسن منها رسائل اخوان الصفا وديوان عليّ بن ابي طالب وديوان الموسوي وديوان علي بن مقرَّب وديوان شرف الدين التّري وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. وللحكومة الانكليزيّة في كلكوتا مطبعة اصدرت عدّة تآليف مفيدة أُتقن طبعها وقد مرَّ لنا ذكرها

﴿ الاداب العربية في بلاد اوربة ﴾ امّا المدارس العربيّة في اوربّة فانّها نالت

اكبر حظوى بهمّة علمائها ومدارسها الكليّة ومكاتبها الشرقيّة نخصّ منها بالـذكر المكتب الشرقي الذي انشأهُ الالمان في عاصمة برلين لدرس لغات الشرق وبالخصوص لتعليم العربية

ومما افاد الدروس الشرقيّة كثيراً المؤتمراتِ الدولية التي كانت تُعقد كل سنتين او ثلاث سنين في عواصم البلاد وكان اوّل تلك الاجتماعات العموميّة في باريس سنة ١٨٧٣ ثم في لنـدن (١٨٧٤) ثم بطرسبورج (١٨٧٦) ثم فيرنزة (١٨٧٧) ثم برلين (١٨٨١) ثم ليدن (١٨٨٣) ثم ڤينّا (١٨٨٦) . الى ان عُقد المؤتمر الخامس عشر العام ١٩٠٩ في كوپنهاغن (اطلب المشرق ١١ : ٧٤٦) . وقد أُلقيت في هذه المؤتمرات عدّة دروس وابحاث كانت تُجمع عادةً فتطبع ومجموعها اليوم بمثابة مكتبة واسعة

وزادت المطبوعات العربية في هذه المدّة زيادة عظيمة فانّ المجـلّات الاسيويّة القديمة وفّرت قسماً اكبر من صحائفها للعلوم العربيّة ونشأت مجلّات جديـدة في عدّة بلاد للابحاث الشرقيّة عموماً والعربيّة خصوصاً كالمجلة الاسيويّة النمسويّة (WZKM) والمجلة الاسيويّة الايطاليّة وكمجلة الشرق المسيحي (ROC) واصداء الشرق (EO)

وفي المدّة ذاتها طُبعت قوائم موسّعة للآثار العربية التي تحفظ في خزائن الـدول حتى لم يكد يبقى بينها مكتبة لم توصف مخطوطاتها ونوادرها وصفاً مستوفياً

أمّا الآثار القديمة التي صدرت بالطبع فكانت تبلغ المئات في السنة . وقد امتازت بمطبوعاتها العربية مطبعة ليدن حيث نُشرت تآليف جغرافية وتاريخية وادبية تُعد من أشرف المطبوعات واعظمها فائدةً كمجموع جغرافيي العرب الذي عُني بنشرهِ فقيـد الآداب المأسوف عليه الاستـاذ دي غوي (de Goeje) وكتاريخ الطبري الكبير وفتح البلدان للبلاذري ومفتـاح العلوم للخوارزميّ والاخبـار الطوال للدينوري ورسائل الجاحظ وجزيرة العرب للهمداني تزين هذه المطبوعات ما يُقدَّم عليها من الفوائد التاريخيّة وتُذيَّل بالروايات والملحوظات الدقيقة وتُختَم بالفهـارس الممتعة .

وكانت بقية الدول تتنافس في نشر كنوز اخرى دفينة . فبرز في المانية كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني وكتاب تاريخ الهند له . وظهر في باريس كتـاب مروج الذهب للمسعودي واخبار ملوك الفرس للثعالبي وكتاب البدء والتاريخ للمطهَّر ابن طاهر المقدسيّ . وظهر في روميـة كتاب دياطاسرون طاطانيوس اي الاناجيل

لاربعة التي جمعها هذا الكاتب في القرن الثاني للمسيح فتُقد اصلها ووُجدت ترجمتها العربية . وهناك طُبع ديوان ابن حمديس الصقلي وقسم من جغرافية الادريسي

﴿ الآداب العربية في اميركة ﴾ وكذلك اخذ الاميركيون يوجّهون نظرهم الى الشرق فابرزوا مجلّة اسيويّة بلغ اليوم عدد مجلّداتها فوق الاربعين . ولمّا هاجر السوريون الى العالم الجديد كان دخولهم الى تلك البلاد كبعثة أثارت في قلوب البعض الحميّة لدرس اللغات الشرقيّة . وجعل السوريّون ينشرون هناك الجرائد فبرز منها في العشر الاخير من القرن التاسع عشر جريدة كوكب اميركا للمرحوم نجيب عربيلي سنة ١٨٩٢ . ثم طُبعت في فيلادلفيا جريدة الهدى لصاحبها نعوم افندي مكرزل سنة ١٨٩٨ وقد نقلها بعد مدّة الى نيورك . واصدر نجيب افندي دياب جريدة مرآة الغرب في السنة عينها ونشر في سان بولو الاديب شكري خوري جريدة ابي الهول . ثم تعدّدت بعد ذلك الجرائد في اوائل القرن العشرين في اميركا الشماليّة والجنوبيّة حتى كادت تبلغ الخمسين . امّا المطبوعات غير الجرائد فكانت قليلة الجدوى مدارها غالباً على القصص والروايات الخياليّة

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر

﴿ ادباء الشام ﴾ كان التقدّم بين المسلمين في رفع لواء الآداب في ختام القرن التاسع عشر لاهل الشام فقد اشتهر بينهم بعض الافراد الذين لا يزال اسمهم الى يومنا شريفاً مكرّماً فنذكرهم اقراراً بفضلهم

﴿ الشيخ يوسف الاسير ﴾ ولد الشيخ يوسف ابن السيد عبد القادر الحسيني الاسير في صيداء سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) فتلقى في وطنهِ مبادئ العلوم ثم انتقل الى دمشق لمواصلة دروسه ثم رحل الى مصر واخذ العلوم العقليّة والنقليّة عن علماء الازهر . وبعد سبع سنين عاد الى الشام وسكن في كثير من مدنها يتعاطى العلوم الفقهيّة وتولى في الاستانة رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف لكنهُ آثر العود الى وطنه فتفرَّغ للتأليف في الفرائض والابحاث الفقهيّة وخرّج في الفقه كثيرين من الاحداث وعلّم مدّة في مدرسة الحكمة وكان زكي الفؤاد فصيح اللسان يجيد النثر والنظم

ومن آثارهِ الادبية التي خلَّفها شرح اطواق الذهب للزمخشري وكانت وفاتهُ سنة ١٣٠٧ ٢ كانون الاوَّل سنة ١٨٨٩ وللشيخ يوسف الاسير موشَّحات وقصائد متفرقة وابيات حكمية جمعها في ديوانهِ الروض الاريض الذي طبع في بيروت سنة ١٣٠٦. ومن حسن اقواله ما وصف بهِ الشعر الجيد وناظمهُ:

خليليَّ كم قد جدَّ في الناس شاعرٌ … وليس لهُ بيتٌ من الشعر عامرُ
واحسنُ شعرٍ ما تراهُ مهذَّبًا … بليغًا بهِ يلتذُّ بادٍ وحاضرُ
بهِ تطرب الاسماع من كل مُنشدٍ … وتجري بهِ الامثالُ وهي سوائرُ
ولم يرَ غبنًا مَن شراهُ بمالهِ … وفيهِ بلا شك تُسرُّ السرائرُ

ولهُ في وصف لبنان بعد ان فاز بالدستور بعد مذابح سنة ١٨٦٠:

نرى لبنان اهلًا للتهاني … فقد نال الامانَ مع الاماني
واضحى جنَّةً من حلَّ فيهِ … قريرَ العين مسرور الجنان
وجلَّت للعلوم بهِ دروسٌ … وكانت في الدروس وفي التواني
وللاخبار قد وُجدت سلوك … كذلك طبع ذي الصحف الحسان
ومَن وردَ الشريعة فيهِ يصدرْ … بحقٍّ كاملٍ في ذا الاوان
وذاك جميَّة الشهم المسمَّى … بداؤدٍ سليمان الزمان
عظيم الشأن ذي الهمم العوالي … وذي الرأي المصيب بكل شان
سديد الحزم ممدوح المعالي … شديد العزم محمود المعاني

ومن مدحهِ قولهُ في اسرة بني العطَّار في دمشق:

يا بني العطَّار يا عمارَ دمشقٍ … قد ملكتم بمزيد اللطف رقِّي
فاحَ في الكون شذاكم فائقًا … طيبَ وَرْدِ الروض في نشرٍ ونشقِ
أسماء المجد سامٍ فرعُكم … ولكم اصل نما من خير عرقِ
طفلُكم نجمٌ وبدرٌ كهلكم … ثم ان الشيخ منكم شمسُ أُفقِ
يا بدور الشام يا اهل الملا … ضوءكم لاح بغربٍ وبشرقِ
سدتمُ الناس بعلمٍ وتُقًى … وبمعروفٍ واحسانٍ ورفقِ
فاذا رام مجاراةً لكم … ذو اعتلاء فلكم أقصاب سبقِ

حبذا الأمرة انتم في الورى ... يا سَراةً احرزوا كل ترقي
انا لا ابرح اشدو باسمكم ... حاكياً في ورقي تغريد وُرْقِ
زادكم ربي علوّاً وهُدى ... مع رغيد العيش في اوسع رزقِ

وافتتح رثاء شريفٍ بقوله :

انما موتتي كإطلاق أسري ... حيث اني لرحمة الله أسري
انَّ اكدار هذه الدار يتلو ... بعضُها البعضَ كأمواج بحرِ
ألِفَت انفسُ البريَّة اجسا ... مًا ودنيا قد فارقتها بجبْرِ
همُ فيها مثل الاجنَّة في الار ... حام يُستخرجون منها بقسْرِ
وهي كالفُلْك قد أُعِدَّ لنقلٍ ... او هي الجسر قد أُعِدَّ لعبرِ
أنِس الغافلون فيها وأنسوا ... انها لا تكون دارَ مقرِّ
لو درى الغافلون فيها بقاءً ... ايقنوا انهم باعظم خسرِ
هي دار السلام ما تشتهي الانفسُ فيها من كل خيرٍ وبرِّ
لا يَحِلُّ الانسانُ فيها مقاماً ... اذ تخلَّت من كل شرٍّ وضرِّ

وللشيخ يوسف مراسلات نثريَّة وشعريَّة مع ادباء زمانهِ تجدها في تآليفهم كالشيخ ابراهيم الاحدب واحمد افندي الشدياق . وقد مدحهُ الشيخ ناصيف بقصيدة يقول فيها :

اسيرَ الحقِّ في حُكْمٍ تساوى ... فما يُدرَى الحبيبُ من البغيضِ
يقلِّبُ في المسائل كلَّ طَرْفٍ ... ويَلْقى الناسَ بالطَّرْفِ الغضيضِ
إمام الشعر يبتدعُ القوافي ... ويأمن دونها حَولَ القريضِ
يقلُّ لهُ الثناء ولو اخذنا ... قوافيَهُ من الروضِ الاريضِ

ولمَّا توفي قال فيهِ الشعراء مراثي عديدة جمعها الشيخ قاسم الكستي في مجموع نُشر بالطبع

﴿الشيخ ابراهيم الاحدب﴾ كان مولدهُ في طرابلس الشام سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وطلب العلوم اللسانيَّة والادبيَّة منذ نعومة اظفارهِ فبرع فيها . ثم عكف على التدريس في طرابلس وبيروت فعُدَّ فيها من نوابغ عصرهِ فتألَّب اليهِ الادباء

واقبل عليهِ الاعيان والحكام وقلّدوهُ المناصب الخطيرة ككتابة الاحكام ورئاسة الكتابة. ثم تعين كرئيس لكتّاب محكمة بيروت فتعاطى شؤونها نيفاً وثلاثين سنة. وكان احد اعضاء مجلس المعارف في الثغر فامتاز فيهِ بسعة آدابهِ وحسن ذوقهِ. وقد حرّر مدّةً ثمرات الفنون فاودعها كثيراً من اثار آدابهِ. وكانت وفاتهُ في رجب سنة ١٣٠٨ (١٨٩١). وقد تبلغ تآليفهُ الادبية نحو العشرين نُشر منها في مطبعتنا الكاثوليكية كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان وكتاب فرائد اللآل في مجمع الامثال الذي نظمَ فيها امثال الميداني وقد أُتقن طبعهُ فجاء كطرفة بين المطبوعات العصرية. وكان للشيخ ابراهيم الاحدب قريحة شعريّة غريبة حتى انّ مجموع ابيات قصائدهِ يكاد يبلغ ثمانين الف بيت. فلهُ ثلثة دواوين ومقامات جارى فيها العلّامة الحريري عددها ٨٠ مقالة وألَّف عدَّة تآليف كروايات ادبية ومناظرات ورسائل ومجاميع حكميَّة ومقالات مسجَّعة وغير ذلك ممَّا عدَّدهُ نجلاه الاديبان في مقدمة مجمع الامثال. ومن شعرهِ ما قالهُ يمدح الامير عبد القادر الجزائري:

اني بمدح ابن محيي الدين ذو همم ... غدا نظامي بها في ارفع الدرج
وفي مآثر عبد القادر أطّردت ... ابياتُ شعري فراقت كلَّ مبتهجِ
غوث النزيل وغيثٌ فيضُ نائلهِ ... من الانامل يُجري الدرَّ في خلجِ
شمسٌ انارت بلاد الشرق فابتهجت ... سوريَّة بسناها الفائق البهجِ
في الكون آثارهُ كملكٍ قد نفحت ... ألا لمزكوم طبعٍ عُدَّ في الهمجِ
لله غربٌ حسامٍ منهُ قد شُهدت ... في الغرب آثارهُ كالصبح في البلجِ
لا زلتَ تُهدى لك الامداح ما طلعتْ ... شمسٌ بنورك تغنينا عن السُّرُجِ

وقال في الرجز ناظماً بعض امثال رويت لابي بكر الصدّيق:

يقرنُ ربّي الوَعد بالوعيدِ كي ... يرهبَ عبدٌ راغبٌ في كل شي
ليست مع العزا مصيبةٌ ألا ... تعزَّ يا سامي بما قد نزلا
الموتُ ممَّا قبلهُ أشدُّ ... مع أنَّهُ اهونُ ممَّا بعدُ
قد ذلَّ قومٌ أسندوا أمرهم ... لِامرأةٍ حيث جنوا ضُرَّهم
انَّ عليك ابداً عيونا ... تراك ممَّن جلَّ فالزَم دينا

ورَحِمَ الله امرءًا اعانا اخاهُ بالنفس وما أهانا
والنفسَ أصلِح يَصلحِ الناسُ لكا وافعل جميلاً يَغدُ خيرًا فعلكا

﴿ابو حسن الكستي﴾ هو الشيخ ابو الحسن قاسم بن محمَّد الكستيّ اصلهُ من بيروت وفيها اشتهر نحو اربعين سنة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ اخذ الآداب عن ائمَّة زمانهِ فلمَّا رسخت فيها قدمهُ صار مرشدًا لغيرهِ وتعاطى التدريس مدَّةً بين مواطنيهِ من اهل ملّتهِ. وقد مات الكستي في منتصف السنة ١٩٠٩ لكنَّا اتبعناهُ بالشيخين السابقين اذ اشتهر معهما وجاراهما في الأدب ومعظم كتاباتهِ في عهدهما . ومن آثار فضلهِ ديوانان احدهما ديوان مرآة الغريبة طُبع على نفقة السيد سليم رمضان سنة ١٢٧٩ (١٨٨٠) افتتحهُ بقصيدة ابتهالية هذا اوَّلها :

اليك رفعنا الامر يا مَن لهُ الأمرُ فمن فضلك الاحسان والنفعُ والضرُّ
تعطَّف وجُدْ بالخير يا خيرَ منعمٍ على كَسْرنا يا مَنْ بهِ يحصُلُ الجَبرُ
عليك اعتمادُ الخلق في كلّ لمحةٍ وبابك مقصودٌ بهِ الفتحُ والنصرُ
فقلتَ لنا أدْعوني دعوناك ربَّنا أَجِبْ سؤلنا بالخير يا ربُّ يا برُّ

والديوان الآخر ترجمان الافكار طُبع سنة ١٢٩٩. ومن شعرهِ ما مدح بهِ سعيد باشا عزيز مصر لمَّا قدم الى بيروت :

عزيز مصرٍ سعيدُ الوقت ذو شرف الى علاهُ تناهى المجدُ والحسبُ
يتيمةَ العقد اضحى في العُلى ولذا قد صاغ مدحَ علاهُ العُجْمُ والعربُ
انَّا لنشهد منهُ كل مكرمةٍ لها المحامدُ دون الناس تنتسبُ
عن وصفهِ ومزاياهُ وأنعُمهِ تقاصر الدرُّ والازهارُ والسحبُ
مآثر العزّ في علياه مشرقةٌ كالشمس لكن سناها ليس يحتجب
من معشر لهم في كل كائنةٍ ذكرٌ تولَّد من اسبابهِ الطرب

وقال في الحكم :

وعالمٍ لا تَنفع في علمه ولم تكن اعمالهُ صالحه
فهو بحُكم العقل بين الملا كوردةٍ ليس لها رائحه

ولهُ مضمّناً الشطر الاخير :

أيّها الانسانُ لا تجنَحْ الى طُرقاتِ الغيّ والزمْ ورعَكْ
واقطعِ النفسَ عن الشرّ تجدْ كلَّ خيرٍ ترتجيهِ تبعَكْ
وبحالِ الفقرِ او حال الغنى كُنْ مع الله ترَ الله معَكْ

وسمع يوماً شاكر بك يدقّ العود فاستفزّهُ الطرب فقال بديهاً :

بشاكرٍ هذا العصر طابت نفوسنا وثغرُ الهنا امسى بهِ يتبسَّمُ
ترى كلَّ عودٍ من جمادٍ وعودُهُ يحسُّ وعن سرّ القلوب يُترجمُ

وللشيخ القاسم الكستي عدّة اراجيز طويلة حسنة منها ارجوزة تنيف على مئة بيت وصف فيها مكارم الاخلاق في النساء الصالحات . ومن اراجيزهِ الحكمية قولهُ :

لم يخلُ في الدنيا كريمٌ من أذى ولو توارى في مغارات الخفا
ومن يظنُّ انهُ يبقى جا وانهُ منها يفوزُ بالمُنى
وان يكون ناجياً من ضرّها فقُل لهُ أخطأتَ يا هذا الفتى
فتاَنةٌ تُضحكنا لكنَّها تُخرج من اعيننا الضحكَ بكا
فلم نجد لعفوها من سببٍ ولا لدائها سوى الصبرِ دَوا

ونظم ارجوزة فكاهيَّة وصف فيها الملوخيَّة على سبيل المداعبة :

سُبحانَ من أنبتَ في الوجودِ حشيشةً كجوهرِ العُنقودِ
وقد سقاها من غيوثِ الرحمهْ فحملَتْ لكن ثمار الحكمهْ
هيَ الملوخيَّة ذات الشهرهْ ومَنْ جا المعمورُ يلقى يُسرهْ
بحسنها كل النفوس ابتهجتْ وألسن الناس بها قد لهجتْ
كم هطلت من فوقها الغمائمُ وصُبغت بلونها العمائمُ
وكم مشى يأكلها كسيحُ وصحّ من ترياقها جريحُ
خيوطها بيضاء كاللُجَين تظهر كالصبح لذي عينَينِ
فاقت على الريحان بالروائحِ صالحةٌ لمدح كل مادحِ
لو انها قد نبتت في اللدَ بشمّها مَنْ في بلاد الهندِ

يحرسها الناطورُ في البستانِ خوفاً عليها من يدِ الزمانِ
بُخارها يصعد بالهباء كمَصْعد البالون في الهواء
كأنها قد نزلت من السما فأصبحَ الكونُ بها منسَّما
وطعمُها يجلبُ للافهامِ بسُكرهِ حلاوةَ المُدامِ
ميأسةُ الأعطاف في الرياضِ يأكلها كلُّ شريف راضِ
عنها سَلُوا مصرَ وتلك الحطَّهْ فانهم ادرى بهذي النقطهْ
اذ عندهم لها اعتبارٌ زائدُ وقدرُها تسمو بهِ الموائدُ
ترى عليها كثرة الملاعقِ تُقرعُ بالاسنان كالصواعقِ
إن مُلئت بها بطون القِصَعِ تشرقها الابصارُ قبل المَبلعِ
وترجمتْ عنها فحولُ المغربِ فملأوا بها بطون الكتبِ
وخصَّها بالذكر أفلاطونُ وقال منها يُصنعُ المعجونُ
كانت للقمانَ الحكيم مأكلا وجوفهُ لها استقرَّ منزلا
وكان يوصي سائرَ الاطبا بقراطُ ان يستعملوها شربا
كذا ابن سينا قال في القانونِ لا تبخلوا بها على المبطونِ

وهي طويلة تفنن فيها الشاعر ما شاء. ومن فكاهاتهِ ما رثى بهِ طائراً من نوع الكنار مات لاحد اصحابه فقال يعزّيه :

يا صاحبي عُزّيتَ بالكنار فانهُ من احسن الاطيارِ
قد صدحت بمدحهِ الاخبارُ وحُمدتْ لذاتهِ الآثارُ
ولم تقصِّر في أداءِ ما وجبْ من حقه وقمتَ بالذي طلبْ
من امهِ كنتَ عليهِ أشفقا ومن ابيهِ يا رفيقي أرفقا
ما مات من جوع ولا من قلَّهْ لكن رماهُ ريشهُ بعلَّهْ
لا يُرتجى لدائهِ شفاءُ والموت ان حلَّ فما الدواءُ
عليه لا تحزنْ وكن صبورا والتزمِ الشكرَ تكن مأجورا
لو كان يُفدى بالنفيس الغالي فديتَهُ من طارق الليالي
لكن اذا ما حادثُ الموتِ نزلْ لا ينفعُ الحزمُ ولا تُغني الحيَلْ
عوَّضك الرحمن عنهُ طيرا يكون بالتغريدِ منهُ خيرا

فما رأينا قبلهُ من طائرٍ يشنّف الاسماع بالجواهرِ
يُغني عن المُدام والنديمِ اذا شدا بصوتهِ الرخيمِ
ابن الكمنجا منه صوتاً ان شدا وربّما استُغني عنها ان بدا
فيا لهُ من طائرٍ صدوحِ يدعو الى الغَبوق والصَبُوحِ
ذو ذَنبٍ فاقَ وفهِ العجبْ على اللُجَين وهو بالحُسن ذهبْ
مزيَّنٌ بالتاج كالطاووسِ ملوَّن الرداء كالعروسِ
لله حسنُ ذلك المنقارِ من ذهبٍ قد صيغَ لامن قارِ
قد كان في الدنيا من الزهّادِ ملازمَ الخلوة بانفرادِ
وعاش محبوساً ولم يشكُ الضجرْ حتى اباده القضاء والقدرْ
فانني أُهدي اليهِ الفاتحهْ وان يكن من الطيور الصادحهْ

﴿عبد السلام الشطّي﴾ واشتهر في طرابلس الشام قبل هؤلاء بزمن قليل الشيخ عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بالشطي الدمشقيّ . واصل اسرتهِ من بغداد وولد هو بدمشق سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) ثم درس العلوم الدينيَّة والفقهيَّة على علماء الفيحاء وتعبَّد على الطريقة القادريَّة وكان صبًّا للآداب مشهورًا بفرط الذكاء وحسن النظم غلب على شعرهِ اللطف والعذوبة . ولهُ ديوان طُبع بهمَّة حفيدهِ محمَّد جميل الشطّي سنة ١٣٢٤ . وقد سافر المترجم الى بلاد الروم مرَّتين ودخل القسطنطينيَّة سنة ١٢٩٣ ووُجّه عليهِ تدريس ادرنه وخُصّص لهُ راتب سنوي من الصرَّة السلطانيَّة . توفي فجأةً في دمشق في ١١ محرَّم سنة ١٢٩٥ (منتصف كانون الثاني ١٨٧٨) . ومن شعرهِ ما قالهُ في وصف بيروت وتهنئتها بسحب ماء نهر الكلب اليها :

بيروت اني في هواها ارغبُ من ثغرها البسّامِ طابَ المشربُ
يا حسنها من بلدة قد خصَّها ربُّ العباد بما يسرُّ ويطربُ
بين البلاد بديعةٌ فكأنها شمسٌ على أُفقِ العلى لا تغربُ
يا طالما قد زرتُها فوجدتُها ظمآنةً من حرّها تتلهَّبُ
حيرانةً حار الطبيب بدائها ودواؤها قد عزَّ فيهِ المطلبُ
تشكي وتبكي حسرةً وتأسُّفاً من فقدها ما تشتهيهِ وتطلبُ
من بعد ذاك اتيتُها فوجدتُها تختال من عُجْبٍ وذيلًا تسحبُ

فسألتها عن حالها فتبسَّمت واخلٌ من فيها فراتٌ اعذبُ
فاستيقنت نفسي بيرد حميمها فغدوتُ في نعمائها اتقلّبُ
واتيت في هذا النظام مهنّئًا اذ جاءهم هذا الطهور الطيّبُ
ورجوتُ من فضل الاله دوامهُ في كلّ حين دائمًا لا يُسلبُ

وكتب رقعةً دعا بها بعض اصحاب الفضل من اصدقائهِ :

يا سادةً في دُورهم تسلسلت قومٌ كرامْ
وزيَّنوا بجمعهم ليل الشتا في كل عامْ
ومتِّعوا بقربهم صديقهم عبد السلامْ
اذا اردتُم انهُ يحظى بكم على الدوامْ
اعطوهُ منكم موثقًا بخطكم على الكلامْ
في ليلةٍ لطيفةٍ في دارهِ لكم تقامْ
ويرتجي من فضلكم ارِّخْ بهِ السدور ختامْ (١٢٨٩)

وقال مستغفرًا عن ذنوب شبابهِ :

يا ربِّ انَّ العبد عبدٌ مذنبٌ وهو فقيرٌ ما لهُ عنك غنى
قد قطف اللذّات في شبابهِ بجهلهِ فاغفر لهُ ما قد جنى

﴿محمد الميقاتي﴾ وفي هذا الوقت عُرف شاعر آخر فاضل وهو الشيخ محمد افندي ابن عبد القادر الميقاتي وكان طرابلسيًّا اديبًا لهُ النظم الرائق فجمع شعرهُ بعد وفاتهِ سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) الاديب عبد الحميد بن محمد جبلص احد مواطنيهِ وطبعهُ في بيروت في المطبعة الادبيَّة سنة ١٣٠٤ ودعاهُ ديوان حسن الصياغة لجوهر البلاغة. فمن قولهِ يعاتب الدهر :

الدهر شيمتُهُ يُبدي لنا العجبا فلا تكن من فِعال الدهر معتجبا
ولا تثق بشرابٍ منهُ وقتٌ صفا فيستحيلُ سرابًا صفوهُ وهبَا
ولا يغرّك ما يوليك من منحٍ فقلبُها يحن تركو بهِ لهبا
إن يسمحِ الدهرُ يومًا يستردُّ غدًا او يحسنِ الدهر يومًا بالاسى انقلبا
هيهات يجدي الفتى من دهرهِ هربٌ ولو سما فوقَ افلاك السما هربا

فالصبرُ اجملُ بالحرّ الكريمِ على ما خصَّهُ قلمُ الاقدارِ او كتبا
ما لي وللدهر يرميني بكلكلهِ كأنني قاتلٌ امًّا لهُ او ابا
ويلاهُ من زمني كم ذا يقابلني من جورهِ بالأسى ويلاهُ وا حَرَبا
اهل البسيطة قد اثنت على ادبي واذعنت لي بأني سيّد الأُدبا
ودأبُ قومي معاداتي ومنقصتي ولا ارى ليَ ذنبًا لا ولا سببا
لا ذنب لي غير أني فقتهم شرفًا وانني فقتُهم بين الورى رُتَبا
ما ضرَّني لا اقال اللهُ عثرتَهم لو انهم قابلوا فضلي بما وجبا

ولهُ مؤرخًا دارًا بناها آل كتسفليس في طرابلس :

لكمُ الهنا يا آل كتْـــسفليس يا أهلَ المآثرْ
جدَّدتمُ فوق العلى بيت المكارمِ والمفاخر
بيتٌ لحسن بنائهِ بدرُ المسرَّةِ فيهِ سافرْ
قد شادهُ اسكندرٌ مَنْ فضلُهُ في الناس ظاهرْ
والسعدُ حول رحابهِ بالعزّ والاقبال دائرْ
وفمُ السعادة قد غدا ارخ لهُ بالشكر فاغرْ (١٨٦٨)

وقال مخمّسًا :

لمن أشتكي ضعفي وضنكي وشدَّتي ومَن يشفِ اسقامي ويرحمْ لعبرتي
لجأتُ فما لي غير ذلّ مقالتي الهي بتقديس النفوس الزكيَّةِ
وتجديدها من عالم البشريَّةِ

وبالنور سرّ الكائناتِ ومن دنا اليك مقامًا لن يُحيط بها سنا
وناديتُهُ ها انت حي وها انا أزلْ عن فؤادي ما ألاقي من العنا
فاني قليل الصبر عند البليَّةِ

﴿عبد الفتّاح اللاذقي﴾ ونبغ في اللاذقية في الوقت عينهِ شاعر متفنّن ابو الحسن عبد الفتّاح ابن مصطفى بن محمّد المحمودي اللاذقي العطّار كان مولدهُ سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) ونظم الشعر في شبابهِ ثم جمعهُ في ديوان ودعاهُ «سفير الفؤاد» فطبعهُ في بيروت في مطبعة جمعيَّة الفنون سنة ١٢٩٧ (١٨٨٠) وجعلهُ اربعة اركان في المدائح

والتوسلات ثم في امتداح السادات ثم في التهاني والمراثي واخيراً في القدود والموشحات. فمن ذلك قوله مبتهلاً الى الله عزَّ وجل :

شكوتُك فاقتي وانك تعلمُ بحالي ونارُ الفقرِ في القلب تُضرَمُ
وللخلقِ لا اشكو افتقاري وفاقتي فمن يشكُ للمخلوق لا شكَّ يندمُ
فجُدْ لي برزقٍ يملأُ القلبَ عفةً فجودُك لي عزٌّ وكنزٌ ومغنمُ
والَّا فصبِّرْني على ما قسمتَ لي فأمرُك يا ربَّ البريَّة مُبرَمُ

وكتب الى نائب المحكمة فيض الله افندي عن لسان شيخ كان خدم جبل الريحان وصلَّى في اهلهِ فلم يعطوهُ حقَّهُ من الموسم :

اخا الأفضال فيضَ الله يا من حوى المجد المؤثَّلَ واللطافهْ
فناقِلُ شقَّتي هذا فقيرٌ وموصوفٌ بانواع المفاقهْ
لقد صلَّى بأقوامٍ إماماً وفي محراجم جعل اعتكافهْ
وفي شهر الصيام فكم تعنَّى وكم قد سار مع بُعد المسافهْ
لقد جحدوا إمامتَهُ وجادوا لهُ بالهزل جدًّا والكثافهْ
وما جادوا لهُ ابدًا بخبزٍ ولا عملوا لهُ ابدًا ضيافهْ
وقد حرموهُ من اكل المحاشي ومن اكل القطائف والكنافهْ
فهم قومٌ لقد مكروا جهارًا وليس لهم من المولى مخافهْ
وقد رُفعتْ قضيتُهُ اليكم وفي انظاركم يرجو انتصافهْ
اخا الافضال فانظرْ امرَ هذا فعينُ العدل لم تنظر خلافهْ
فهذا قد أُضيف الى علاكم وحاز الفخر في تلك الاضافهْ

ومن محاسن شعره قولهُ في مولود سنة ١٢٧٩ :

اهلاً بهِ من قادمٍ في كلِّ جاهٍ جاهرُ
بشراك فيهِ انما النخلُ الفخيمُ الفاخرُ
فاهنأ بهِ لانهُ نعمَ الغلامُ الناضرُ
بيت الهنا والسعدُ فيهِ م كلَّ عامٍ عامرُ
والعزُّ فيهِ قد غدا والبشرُ فيه ظاهرُ

والفخرُ نادى منشدًا ارخْ غلامٌ باهرُ (١٢٢٩)

﴿احمد فارس الشدياق﴾ كان مارونيًا لبنانيَّ الاصل مولدهُ في عشقوت سنة ١٨٠٤ ثم انتقل مع والديه الى ساحل بيروت سنة ١٨٠٩ فسكن الحدث ودرس مبادئ العلوم اللسانية في عين ورقة ثم قصد القطر المصريّ فاتقن فيهِ العربية وجعل يكتب في اول جريدة ظهرت هناك اي الوقائع المصريّة وفي السنة ١٨٣٤ دعاه المرسلون الاميركان الى مالطة وولَّوهُ ادارة مطبعتهم فتظاهر بالدين البروتستاني وخدم الرسالة الاميركيّة بنشاط وطبع في مالطة بعض مصنفاتهِ وألف هناك كتابهُ الموسوم «بالواسطة في معرفة مالطة» ثم تجوَّل مدَّة في انحاء اوربَّة وخصوصاً في فرنسة وانكلترَّة فأكرم اهل تلك البلاد مثواهُ وصنف حينئذٍ كتابهُ الفارياق الذي لم يرعَ فيهِ جانب الادب وشفعهُ بكتاب آخر اجدى نفعاً واصوب نظرًا دعاه «كشف المخبَّا عن احوال اوربَّا» واشتغل في لندرا في تعريب ترجمة التوراة فزادت بذلك شهرتهُ . ولمَّا جاء باي تونس احمد باشا زائرًا مدينة باريس مدحهُ الشدياق بلامية جارى فيها لاميَّة كعب ابن زهير فأعجب من حسن نظمهِ ودعاهُ الى خدمة دولتهِ في تونس فلبى دعوتهُ ورحل الى المغرب وكان هناك محرّر جريدة الرائد التونسي . وفي مدَّة اقامتهِ في تونس سوَّل اليهِ اعيانها بان يعتنق الدين الاسلاميّ فجحد البروتستانيَّة طمعاً بالمناصب كما جحد الكثلكة طمعاً بالمال . وفي السنة ١٢٧٤ (١٨٥٧) طلبتهُ الصدارة العظمى الى الاستانة وعهدت اليهِ تصحيح مطبوعاتها بضع سنوات . وهناك باشر السنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) جريدته الشهيرة بالجوائب فظهرت ٢٣ سنةً بانشائه وانشاء والدهِ سليم الى السنة ١٨٨٤ فأُبطلت وحصلت بينهُ وبين شيوخ الاسلام منافرات فنسبوهُ الى المراء في دينه الحديث . وكانت وفاة احمد فارس بعد ذلك بثلاث سنوات توفي في الاستانة سنة ١٨٨٧ ثم نُقلت رفاتهُ الى لبنان كما اوصى قبل موتهِ فرثاه شعراء زمانهِ . وقد هجاهُ بعض مواطنيهِ بهذا التاريخ :

يا مَنْ رحلتَ الى الجحيم مسوكرًا لم يبق بعدك للسفاهة باقِ
ناداك ابليسُ الرجيم مؤرخاً هنئت يا احمدَ فارس الشدياق

وقد اخبرنا الشيخ المرحوم ظاهر الشدياق احد انسباء احمد فارس ان المترجم قبل

وفاته طلب احد كهنة الارمن الكاثوليك واعترف لديهِ بخطاياه ومات على الدين المسيحي كما شهد على ذلك خليل افندي يعقوب الذي حضر وفاتهُ وكان يصحبهُ منذ سنين عديدة. وكانت امرأة فارس الشدياق من بيت صولا تُدعى وردة

ولاحمد فارس مؤلفات جليلة غير التي ذكرناها اخصّها سرّ الليال في القلب والابدال على شكل معجم لم يتمّهُ. وكتاب منتهى العجب في خصائص لغة العرب اتلفهُ الحريق قبل ان يُطبع. ثم الجاسوس على القاموس انتقد فيهِ على القاموس الفيروزابادي. وكتاب غنية الطالب ومنية الراغب. وكتابان في تعليم اللغتين الانكليزيّة (الباكورة الشهيّة) والافرنسيَّة (السند الراوي) وردود على انتقادات الشيخ ابراهيم اليازجي اللغويّة. وبهمّة المترجم طُبعت في مطبعة الجوائب عدّة كتب ادبيَّة قديمة استخرجها من مكاتب الاستانة فنشرها بالطبع بالحرف الاسلامبولي المُشرق. ومن مآثره ايضاً عدّة قصائد ومنظومات طبع منها نبذة في ٢١٩ صفحة سنة ١٢٩١. فمن اقوالهِ الحسنة ما وصف بهِ الحرب السبعينيّة بين فرنسة والمانية. وهذا مطلع تلك القصيدة التي تزيد عن مئة بيت :

أُصيبَت فرنسا بالرجال وبالمالِ ... فيا ويحها من بعد عزّ واقبالِ
اعدّت جيوشاً للقتال وجهَّزت ... بوارجَ حربٍ في البحار كأجبالِ
وقالت الى برلين يا جنديَ انفُروا ... فتلك التي قد كدَّرت صفو احوالي
وتلك التي قد زاحمتني على العلى ... ولم تكُ قبل اليوم تخطرُ بالبالِ
وصولوا على جرمانيا كلّها فقد ... اراها بدا منها تحاوِلُ إذلالي
فلي قيصرٌ قرمٌ جليلٌ تهابهُ ... جميع ملوك الارض هيبةَ رئبالِ
اذا أنذر الأملاك حرباً تزلزلت ... ممالكهم من بأسهِ ايَّ زلزالِ

وقال في مطاردة الالمان لنابوليون وفي موقعة سِيدان وخلع الامبراطور:

فطاردهُ جيش العدوّ معقّباً ... فولّى الى شالونَ بجزعُ كالرالِ
ومنها الى سيدانَ بالجيش كلّهِ ... عقيبَ مُعاناةٍ وبؤسٍ وآجالِ
وذلك حصنٌ عند بلجيكَ حولهُ ... ربًى وتلالٌ حبذا الوَزَرُ العالي
ولكنّهم ناؤُوا سفاهاً عن الربى ... فحلّت بها الجرمان من دون امهالِ

هنالكَ عمَّ الويلُ والشرُّ والرَّدى ... بترميل ازواجٍ وتيتيم اطفالِ
وتبضيعِ آرابٍ وتقطيع اوصالِ ... وتعليقِ هاماتٍ وتدمير اطلالِ
وبزّتهم الجرمانُ فاستسلموا لهم ... ثمانين الفًا او يزيدون في الحالِ
فلم يبقَ من ذا الجيش أجمعَ راجلٌ ... ولا فارسٌ فالجوُّ من ذكرهم خالِ
فلما درت باريس ذا الخطبَ اعولت ... وضجّتْ وباتت في شجون وولوالِ
وقالت منتني دولةٌ قيصريّةٌ ... باهلاك اجنادي واتلاف اموالي
وانَّ صلاحي دولةٌ جمهريّةٌ ... تسدّدُ اعمالي وتصلحُ احوالي
فنادت بخلع الأمبراطور وابنهِ ... وثارت لأخذ الثار ثورة قسطالِ

وختمها بهذا البيت الحكمي المقتبَس من المزامير وهو نِعم ختام :

اذا لم يكن للمرء من ربهِ هدًى ... فلا شيءَ يجديهِ من القيل والقالِ

﴿محمَّد سليم القصاب﴾ ومن فرسان حلبة الادب بين مسلمي الشام في ختام القرن التاسع عشر الدمشقي محمَّد سليم بن انيس الشهير بالقصَّاب . طُبع لهُ ديوان حسن في دمشق في مطبعة الجمعيَّة الخيريَّة سنة ١٢٩٨ (١٨٨١) فمن اقواله الجيدة ما قالهُ من قصيدة في السيّد عبد القادر الجزائري واولادهِ :

لمّا بأرض الشام حلَّ ركابهُ ... ناديتُها باهي البلادَ وفاخري
أمُّوا بنا فاليوم جلّقُ اصبحت ... دارَ الخلافةِ وهو عبد القادرِ
يا دوحةً طابت مغارسها فلم ... تُثمر سوى ليثٍ وشبلٍ كاسرِ
من كل شهمٍ في الانام محمَّدٍ ... يعلو الى علياء كلَّ مفاخرِ
مولاي محيي الدين مصباحُ الهدى ... ذاك العليّ الشأن احمد شاكرِ
فكأنَّهم لمّا تبدّوا حولهُ ... اقمارُ تمٍّ حولَ بدرٍ سافرِ
أكرِمْ بهِ فرعًا يفاخر فرعهُ ... باصولهِ فلكُ السماء الدائرِ
لا زال في اوج المعارج نجمهُ ... يسمو بمجدٍ ما لهُ من آخرِ

وقال في جنينة شادها مدحت باشا لاهل دمشق دعاها جنينة الملّة سنة ١٢٩٦ :

هذه غرفةُ انسٍ أزلفت ... في رُبى الشام تسرُّ الناظرينْ
قد بدت ازهارها تثني على ... مدحتَ العلياء صدرِ الاعظمينْ

شادها للملّة الغرّاء قُلْ　　فادخلوها بسلام آمنين

ومن رثائهِ قولهُ في وجيه قومهِ حسين بيهم اا توفي في بيروت سنة ١٢٩٨ :

هوى الكوكب الدُرّيّ من أُفُق العلى　　فجرّ القضا ذيلَ الظلام وأسبلا
مُصابٌ كسا بيروت بُردَ حدادها　　وحقّ لها بالحزن ان تتسربلا
فما كان الّا روحها وحياتها　　وقد اصبحت من بعدهِ جسدًا بلا .
عفافٌ وحلمٌ وافتخارٌ ورفعةٌ　　وجودٌ حكى فيضَ السحاب ترسّلا
أقيموا بني الآداب واجب نعيهِ　　فلم يبقَ ما للنفس ان تتعلّلا

وختم المرثاة بقولهِ :

فلمّا دعاهُ الله جلّ جلالهُ　　الى جنّة الفردوس لبّى مهلّلا
فقال بشير العفو تاريخهُ زها　　حسينُ المعالي قرّ في جنّة العلا

ومن محاسن وصفهِ قولهُ في وطنهِ الشام :

ما الشام الا جنّة الامصار　　تزهو بغوطتها على الاقطار
حصباؤها الدرّ النضيدُ وترجما　　م الكافورُ والبلّورُ فيها جاري
فيها الرياضُ الزاهرات محاسنًا　　فاخص بنا ننشقْ شذا الازهار
قد هبّ فيها الريح يُرقص غصنها　　والطيرُ غنّى في على الاشجار
وتفجّرت فيها المنابع انّما　　ذَوْبُ اللُجَين بجدول الانهار
هي موطني دون البلاد وبغيتي　　فيها انتعاشي وانقضا اوطاري

﴿ السيد محمود حمزة الحسينيّ ﴾ هو العالم الدمشقي العريق النسب من عائلة اصلها من حرّان تُرقي نسبها الى الحسين. كان مولدهُ في دمشق سنة ١٢٣٦ ونيها توفي سنة ١٣٠٥ (١٨٢٠–١٨٨٧) واكبّ منذ صغرهِ على العلوم اللغويّة ثم انقطع الى العلوم الفقهيّة فاصبح فيها اماماً ومعظم مصنفاتهِ في الدين وفي كل ابواب الشرع الّا القليل منها كاعلام الناس والبرهان على بقاء دولة آل عثمان. ولهُ قصائد حسنة وقد شرح بديعيّة لوالدهِ وعُرف بحسن الخطّ. وكان السيّد محمود رجلاً مَهيباً جليل

القدر كريم الطباع تولّى الإفتاء في دمشق دهراً طويلاً وقد اظهر نحو المسيحيين في نكبة دمشق سنة ١٨٦٠ مروءة أجازته عنها الدولة الفرنسوية بهبة سنية . وقد اجتمعنا مع السيّد محمود في دمشق غير مرّة فلقينا منهُ شيخاً واسع المدارك غزير الآداب . ولهُ في تقريظ كتابنا مجاني الادب رسالة تنبئ بحسن ذوقهِ وتقديره للمشروعات الادبية . وفيهِ يقول محمد القصّاب بمدحهِ :

مفتي الانام سليلُ المجد ملجأنا ... تاج الفخام فخار الفخر ذو الهمم
ماضي العزائم لا ندٌّ يضارعهُ ... بالامر والنهي والاحسان والكرم
بحر المعارف بالامواج زاخرهُ ... يلقي لنا جوهر الارشاد والحكم
في كلّ فنّ لهُ باعٌ يصيد بهِ ... ما شذّ ادراكهُ عن حاذقٍ فهمِ

﴿الامير عبد القادر الجزائري﴾ ونضمُّ الى ادباء اسلام الشام في آخر القرن التاسع عشر حسيناً آخر عاش زمناً طويلاً في دمشق وان لم يكن اصالةً منها نُريد السيّد الاجلّ والامير العظيم عبد القادر الجزائري فانهُ وان كان من رجال السيف الّا انهُ كان ايضاً من فرسان القلم . كان مولد هذا الامير في القيطنة من قرى ايالة وَهران في بلاد الجزائر سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧م) درس العلوم اللسانيّة في حداثتهِ على اساتذة وهران . ثم رافق والدهُ في رحلتهِ الى الحجاز والشام والعراق وعاد الى وطنهِ فعكف على العلوم الخاصّة كالفلسفة والفلك والتاريخ حتى حمل الفرنسيس على الجزائر سنة ١٨٣٠ تلافياً لاهانةٍ لحقت هناك بسفير ملكهم كرلوس العاشر واحتلّوا جهاتها . فانتشبت الحرب بين اهلها والفرنسيس وبايع الجزائريون للامير عبد القادر فقاموا معهُ قيام الابطال للدفاع عن اوطانهم . وكانت تلك الحرب سجالاً تارةً لهم وتارة عليهم ودامت خمس عشرة سنة أُلجئ الامير بعدها الى التسليم فسلّم ولقي من الفرنسويين كل احتفاء ورعاية وجعلوا لهُ راتباً سنوياً ثم تنقّل مدّةً في مدن فرنسا وغيرها الى ان اتخذ لهُ دمشق سكناً في اواسط سنة ١٢٧١ (١٨٥٥) فطابت لهُ هناك السكنى وفيها توفي في ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ (حزيران ١٨٨٣) . ومن مبرّاتهِ جازاهُ الله خيراً دفاعهُ عمّن احتمى في دارهِ من نصارى دمشق في مذابح سنة ١٨٦٠ وكان عددهم نحو اربعة آلاف . وكان الامير عبد القادر مُغرى بالعلوم محبّاً للعلماء يعظّمهم ويحسن اليهم . قيل انهُ كان يبلغ ما يوزّع عليهم وعلى الفقراء مائتي ليرة في كل شهر . ولهُ

تآليف مفيدة في التصوُّف وعلم الكلام وبعض كتب ادبيـة منها « ذكر العاقـل وتنبيه الغافل » اتمَّهُ سنـة ١٢٧١ (١٨٥٤) . وقد نقلـهُ الى الفرنسويَّة المستشرق غوستاف دوغا (G. Dugat) فطبعهُ في باريس سنة ١٨٥٨ وكان للامير سليقة جيّدة في نظم القريض . ومن قصائدهِ رائيَّةٌ اوَّلها :

أَسعودُ جاءَ السعد والخيرُ والبِشرُ ووافت ليالي النحس ليس لها ذِكرُ

ومنها قصيدة حماسيَّة كان يتمثَّل في معاركهِ باحد ابياتها الفخريَّة :

ومن عـادة السـادات بالجيش تحتمي وبي يحتمي جيشي وتُحرَسُ ابطالي

ومن ابياتهِ الفخريَّة قولهُ يذكر فيها احد ايامهِ لمَّا حارب الفرنسويين :

ونحن لنا دينٌ ودنيا تجمَّعـا ولا فخر الّا ما لنـا يرفع اللوا
مناقب مختاريَّة قـادريَّةٌ تسامت وعبَّاسيَّةٌ مجدَها احتوى
فان شئتَ علماً تلقَني خير عالمٍ وفي الروع اخباري غدت تُوهن القوى
ونحن سقينا البيض في كل معركٍ دماء العدى لمَّا وهت منهم القوى
ألم ترَ في خنق النطاح (١ نطاحنا غداةَ التقيناهم شجاع لهم لوى
وكم هامة ذاك النهار قددتُهـا بحدّ حسامي والقنـا طعنهُ شوى
وأشقر تحتي كلَّمتهُ رماحهم ثمانٍ ولم يشكُ الوجى بل ولا التوى
بيوم قضى نحباً اخي فارتقى الى جنانٍ لهُ فيهـا نبيُّ الرضى اوى
فما ارتدَّ من وقع السـهام عنانهُ الى ان اتاهُ الفوز رغماً لمن عوى

ومنها في وصف الحرب :

واسيافنا قد جُرِّدت من جفونها ولا رُدَّ الا بعد وردٍ بهِ الروا
ولمَّا بدا قرني بيمناه حربـةٌ وكفّي بها نارُها الكبشُ قد ثوى
فايقن اني قابض الروح فانكفا يولّي فوافاهُ حسامي بمـا هوى
شددتُ عليهم شدَّةً هاشميَّةً وقد وردوا وِردَ المنايا على الغوى

وقد مدح الشعراء الامير عبد القادر بقصائد يبلغ مجموعها كتـاباً ضخماً . وممَّا

١) خنق النطاح مكان قريب من وهران حارب فيهِ جيش الفرنسويين

قيل فيهِ لاحدهم :

بحر المعارف والعوارف والندى ذو الحكمة العليا الكريم العنصرِ
مولى يتيهُ بهِ الزمان وحسبهُ أن لم يفز بنظيرهِ مذ اعصرِ

وفي طرابلس الشام قضى نخبةُ في العقد الاخير من القرن التاسع عشر نحو ١٢١٠ﻫ (١٨٩٢م) الشيخ «محمد الشهّال الطرابلسي» كان لهُ في نظم الشعر حظٌ وافر سلك فيهِ منهج الرقة واللطف. فجمع ابنهُ عبد الفتّاح قصائدهُ في ديوان دعاه «عقد اللآل من نظم الشهّال» وطبعهُ في طرابلس سنة ١٣١٢ ﻫ . فمن حسن اقوالهِ ما قالهُ مراسلاً بعض اصدقائهِ :

متى يجمعُ الرحمانُ شملي بمُنيتي وأحظى بطيب الوصل بعد تشتُّتي
أأحبابنا كم ذا أبثُّ شكايتي ولم تسمعوا دعوى حليفِ المحبةِ
قضى الله بالهُجران بيني وبينكم فيا ليت قبل الهجر كانت منيّتي
تحجّبتمُ عن ناظريَّ وشخصُكم مقيمٌ بقلبي اينما كان وجهتي
وذكركمُ ما زال وسط ضمائري يجارُ في كل يومٍ وليلةِ
نأيتم فخلّفتم جفوني قريحةً فباحت بأسرار الشجون الخفيّةِ
عسى الله ان يجلوا دُجى البُعد باللقا ويجمعني فيهِ بأحسن حالةِ

وقال يهنئ احد اصحابهِ بقدومهِ الى الفيحاء بغتةً :

خليلَ العلى والمجد عن غير موعدٍ لقد واصلَ الفيحا فطابت بهِ نشرا
وأضحى لسانُ العزّ عند قدومهِ ينادي لقد وافى الخليلُ فيا بُشرى

وممَّن يجب نظمهُ بين شعراء اواخر القرن التاسع عشر «الشيخ محمد الهلالي» هو محمد بن هلال بن حمّود المولود في حماة السنة ١٢٣٥ (١٨١٩م) والمتوفى في ٢٩ ذي الحجة ١٣١١ (حزيران ١٨٩٤) نشأ بحماة ودرس على علماء اهل ملّته العلوم الدينيَّة ثمَّ انقطع لدرس الآداب ونظم الشعر فقصَّد القصائد على نمط ذلك العهد ومدح كثيرين من وجهاء بلادهِ ثم ارتحل الى دمشق سنة ١٢٩٨ (١٨٨١م) فاستوطنها ونعِمَ في سكناها وأنس بأهلها وعاشر ادباءها وكرام اهلها وامراءها

فنال الحظوة من فضلهم ولم يزل في هناء عيش الى وفاته في الفيحاء. فقال الشيخ عبد المجيد الخاني يؤرخ سنة موته :

لقد توفّي الهلالي سيّدُ الشعرا	وكوكبُ الادب العالي الذي اشتهرا
فلا غريبٌ اذا نادى مؤرخهُ	ألا توفي الهلالي سيّدُ الشعرا (١٣١١)

وقد جمع بعض مواطنيه ديوانهُ فطبعوهُ في حماة سنة ١٣٢٩ وقسموهُ ابواباً على حسب معاني الشعراء من مديح وتهانئ ورثاء وتواريخ . فممَّا قالهُ لمَّا هاجر من حماة الى دمشق باهلهِ يستمنح فضل الامير السيّد عبد القادر الجزائريّ :

هاجرتُ من بلدي بأهلي غازياً	بعساكر الآمال خير همامِ
ورميتُ سهم الظنّ عن قوس الرجا	طمعاً وحاشا ان تطيش سهامي
وبجيش فقري قد اتيتُ الى حمىً	أغنى وأندى كل بحرٍ طامي
مستمطياً حسن الطويَّة راكباً	فرسَ الفراسة ناشراً اعلامي
مستبشراً من سيدي بعنايةٍ	عني يزولُ جا عناهُ أوامي
مولاي عبد القادر الحسَنيّ الذي	في ظلّ نعمتهِ نصبتُ خيامي
الكاشف الفاقات ماحي ليلها	بسناء صبح الجود والإنعامِ
وافيتُ جنَّة قربهِ لافوزَ من	مأوى مكارمهِ بدار سلامِ
ولما أؤمّل من عوائد فضلهِ	طال انتظاري في دمشق الشامِ
ماذا جوابي ان رجعتُ الى حما	ةَ بزوجتي من بعد غربة عامِ

فأمر لهُ الامير بجائزة سنيَّة . ومن ظريف قولهِ يؤرخ انشاء سبيل في دمشق سنة ١٣٠٤ :

بادِرْ لأعذب سلسبيلٍ فيهِ ما	بجمينهِ يشفي العليلَ من الظما
لله فاعلُ خيرِ فعلٍ دائمٍ	لينال من مولاهُ اجراً أعظما
حوضٌ لواردهِ الصفا منهُ شدا	ارخ وناد أسقِ العطاش تكرُّما

وقال ايضاً مؤرخاً وفاة والدهِ هلالا سنة ١٨٨٠ :

لتنعَم عقبى الدار دارُ البقا	وحبذا الى النعيم المآلْ
يا زائراً هذا الضريحَ الذي	حوى هلالاً فاز بالانتقالْ

لنصف ذي الحجة قل أرخوا عاماً به آن غياب الهلال

«ادباء مصر» لم يبلغ ادباء مصر من المسلمين في ختام القرن التاسع عشر ما بلغهُ ذوو دينهم في الشام واشرنا الى سبب ذلك في ما تقدم. على انَّ مدرسة الازهر بعد الاحتلال الانكليزي كانت لا تزال ضابطة لرئاسة تعليم العربية نائلة لقصبات السبق في القطر المصري على الرغم مما اصابها من التأخر في ذلك الزمن كما اقرَّ بهِ ارباب الامر ومن ثم انشأوا سنة ١٣١٢ (١٨٩٤) مجلساً ليتدارك الخلل في ذلك وتُصلح طرق التعليم

وممن نالوا بعض الشهرة في اواخر القرن التاسع عشر من شيوخ الازهر واساتذتهِ الشيخ «مصطفى العروسي» الذي تولى ست سنين (١٢٨١–١٢٨٧) رئاسة الازهر ولهُ ما خلا الكتب الاعتقادية أحكام المفاكهة في انواع الفنون المتفرقات توفي سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦). ومنهم الشيخ «محمد المهدي العباسي» ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨م) واشتهر في العلوم الدينية وصارت اليهِ رئاسة الافتاء في الديار المصرية مع شياخة الاسلام واختارته عمدة الازهر لمشيخة تلك المدرسة فتقلدها سنة ١٢٨٧ الى ١٢٩٩ وعاش الى سنة ١٣١٥ (١٨٩٧) قال بعضهم مؤرخاً لوفاته :

عليهِ دمع الفتاوى بات منحدراً وللمحابر حزنٌ ضاق عن حدّ
فيها المسائل قد باتت تؤرّخهُ مات المجيب الإمام المقتدى المهدي

ومن تآليفهِ الفتاوى المنسوبة اليهِ المعروفة بالفتاوى المهدية في الوقائع المصرية

ومنهم الشيخ «محمد الانبابي» ألف عدة كتب في الصرف والنحو وآداب البحث وقد تخرج على يديهِ كثيرٌ ممن تصدَّروا للتدريس. وتولى مشيخة الازهر مرتين. كان مولدهُ سنة ١٢٤٠ ووفاته سنة ١٣١٣ (١٨٢٤–١٨٩٦)

ومنهم «الشيخ عليش» احد مشايخ السادة المالكية في مصر ولد بالقاهرة سنة ١٢١٧ وبها توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٠٢–١٨٨٢) اشتغل بالعلم في الازهر حتى ادرك الجهابذة واخذ عنهُ جلّ الازهريين لهُ تآليف عديدة في الفقه والبيان والمنطق وكتاب مواعظ. نُكب في آخر حياتهِ بسبب الثورة العسكرية العرابية

ومنهم «حسين بن احمد المرصفي» كان مكفوفاً وبلغ باجتهاده الى ان يدرّس في الازهر ومن تآليفهِ الوسيلة الادبية الى العلوم العربية والكلم الثمان في الادب توفي

سنة ۱۳۰۷ (۱۸۸۹م)

واشتهر غير الازهريين رجال يعدّهم المصريون كان لهم شأن في النهضة العلميّة في وطنهم في العشرين الاخيرين من القرن السابق نختصر هنا اخبارهم

﴿عبدالله باشا فكري﴾ هو احد نوابغ الناشئة المصريّة في القرن الاخير ولد في مكّة اذ كان ابوهُ محمد مرافقاً في الحجاز للجنود المصريّة سنة ۱۲٥۰ (۱۸۳٤) ثم نشأ في مصر وشاب في حضانة المعارف حتى تضلّع في كل علم . وقلّدتهُ الحكومة المصريّة للمناصب الجليلة كنظارة المدارس ووزارة المعارف . وكان سار قبلها في رفقة الخديوي اسماعيل باشا الى استنبول سنة ۱۸٦۱ ثم عُهد اليهِ تهذيب وليّ العهد محمد توفيق باشا مع اخويهِ الحسن والحسين فقام بتلك المهمّة احسن قيام . ولمّا ولي نظارة المعارف سعى في تنظيم الدروس وصنّف للدارسين كتباً يدرسون فيها ومن خدمهِ الطيبة انهُ لم يزل يحضّ الحكومة حتى انشأت المكتبة الخديويّة التي تُعَدّ من اغنى الخزائن الكتبيّة بالمخطوطات والمآثر العربية . ولمّا حدثت الثورة العرابيّة سنة ۱۸۸۲ أُلقي القبض على عبدالله باشا فكري وبقي مدّة تحت الاستنطاق الى ان عُرفت براءتهُ وبُرئت ساحتهُ وكان الخديوي قد قطع معاشهُ فكتب اليهِ من قصيدةٍ :

مليكي ومولاي العزيز وسيّدي ... ومَنْ ارتجي آلاء معروفهِ العمرا
لئن كان اقوامٌ عليَّ تقوّلوا ... بامرٍ فقد جاؤوا بما زوّروا نكرا
فما كان لي في الشرّ باعٌ ولا يدٌ ... ولا كنتُ مَن يبغي مدى عمرهِ الشرّا
فعفوًا ابا العبّاس لا زلتَ قادرًا ... على الامر انَّ العفو من قادرٍ احرى
وحسبي ما قد مرّ من ضنك اشهرٍ ... تجرّعتُ فيها الصبر أطعمهُ مرّا
يعادل منها الشهرُ في الطول حقبةً ... ويعدل منها اليومُ في طوله شهرا
أيجمل في دين المروءة أنني ... أُكابد في أيّامك البؤس والعسرا

فما لبث أن اعادهُ الخديوي الى مقامهِ السابق فقال يشكرهُ من قصيدة طويلة :

ألا انَّ شكر الصنع حقٌّ لمنعمٍ ... فشكرًا لآلاء الخديوي المعظّمِ
مليكٌ لهُ في الجود فضلٌ ومفخرٌ ... على كل منهلٍّ من السحب مرهمِ
ساشكرهُ النعماء ما عانقت يدي ... يراعي او استولى على منطقي فمي
فلا زال محروسَ الحمى متمتّعًا ... مع الخيرة الاشبال في خير أنعمِ

وتجوَّل عبدالله باشا بعد ذلك في جهات الحجاز والشام . ولمَّا عُقد في استوكهلم مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٨ اوفدتهُ الحكومة للنيابة عنهـا وزار معظم الحواضر الاوربيَّة وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاه «ارشاد الالبَّاء الى محاسن اوربَّا» لكنَّ الموت عاجلهُ فتوفي قبل اتمامهِ في اواخر سنة ١٣٠٧ (١٨٩٠م) فانجزهُ نجلهُ بعد وفاتهِ .

وقد خلَّف عبدالله باشا فكري آثارًا ادبيَّة جليلة كنظم اللآل في الحكم والامثال والمقامة الفكريَّة في المملكة الباطنيَّة والفوائد الفكريَّة للمكاتب المصريَّـة جمع فيهِ فصولًا تهذيبيَّة حسنة لناشئة وطنهِ . ولهُ شرح على ديوان حسان بن ثابت لم يتمَّهُ وقد جمع ابنهُ كثيرًا من كتاباتهِ وقصائدهِ في كتاب دعاهُ الآثار الفكريَّة (وصفناهُ في المشرق ١ [١٨٩٨] : ١٨٩) وكان المترجم بارعاً بالنظم والنثر راسخ القـدم في بلاغة التعبير وكان بالخصوص اماماً في الانشاءات الديوانيَّة فاستخدمهُ خـديويَّا مصر سعيد باشا واسماعيل باشا في اشغال الكتابة عنهما باللغتين التركيَّة والعربيَّة الى الملوك والسلاطين . ومن حكمهِ قولهُ :

اذا رُمتَ المروَّةَ والمعالي   وأن تلقى إِلهَ العرش برًّا
فلا تقرب لدى الخلَوات سرًّا   من الافعال ما تخشاهُ جَهرا

وقال يصف ثامن مؤتمر المستشرقين في استوكهلم من قصيدة :

نادٍ بهِ احتفل الافاضلُ حفلةً   بحديثها تتقادَمُ الاعصارُ
جمعتْ لثامن مرَّةٍ معدودةٍ   في الدهر لا يُنسَى لها تذكارُ
متآلفين بعيدَهم بقريبهم   والفضلُ اقربُ وصلةٍ تُختارُ
من كل فيَّاض القريحة وِردُهُ   عذبٌ وبحرُ علومهِ زخَّارُ
وموزَّرٍ بالفضل مشتمل بهِ   منهُ شعارٌ زانهُ ودثارُ
لا زال ملك الفضل معمور الذرى   بذويهِ معدودًا لهُ الاعمارُ

وكان لعبد الله باشا ولد تقفَّى آثار والدهِ اسمـهُ «امين باشا فكري» درس الحقوق في فرنسا ثم عاد الى بلدهِ فتعاطى فنَّ الدعاوي وبرز فيهِ حتى رقَّتهُ الحكومة المصريَّة الى رئاسة النيابة سنة ١٨٨٨ ثم ولَّتهُ قضاء محكمة الاستئناف ثم محافظـة الاسكندريَّة حتى انتدبتهُ لنظارة الدائرة السنيَّـة لكنَّ الموت اهتصر غصن حياتهِ فمات سنة ١٨٩٩ وكان مولدهُ سنة ١٨٥٦ . ومن تركتهِ الطيبيَّـة كتاب مطوَّل في

جغرافيَّة مصر والسودان . وكان رافق اباهُ مع الوفد المصري الى استوكهلم عاصمة بلاد اسوج فانجز اخبار رحلة ابيه فدعاها «ارشاد الالباء الى محاسن اوربَّا» كما انهُ جمع مآثرهُ المتفرِّقة على ما سبق ذكرهُ ولهُ ايضاً فضلاً عمَّا تقدَّم رسائل وقصائد لم يُنشر منها الَّا النزر القليل

﴿علي باشا مبارك﴾ هو احد اركان النهضة المصريَّة ولد من عائلة فقيرة في قرية برنبال من مديريَّة الدقهليَّة سنة ١٢٣٩ (١٨٢٣) فتقلَّبت بهِ الاحوال الى ان توفَّق الى دخول مدرسة القصر العينيّ وأُرسل الى باريس فدرس فيها فنَّ الحرب ثم أُلحق بالجيش المصري وحضر حرب القريم سنة ١٨٥٤ . ثم انتدبتهُ الحكومة المصريَّة لوكالات ونظارات ودواوين مختلفة ابدى في جميعها عن مقدرة عظيمة . وقد خدم الآداب العربيَّة بتنظيم مكاتب القاهرة والبنادر وانشاء مدارس جديدة اخصّها مدرسة دار العلوم وفتح المكتبة الخديويَّة وتولى نظارة المعارف فاجرى فيها اصلاحات مهمَّة . وفي آخر حياتهِ اعتزل الاعمال الى سنة وفاتهِ ١٣١١ (١٨٩٣) ولهُ تآليف ذات شأن اجلُّها الخطط التوفيقيَّة حذا فيها حذو الخطط المقريزيَّة فوصف الخطط الجديدة التي أُنشئت في القاهرة ومدنها القديمة والشهيرة في ستَّة مجلَّدات . ومنها كتاب نخبة الفكر في تدبير نيل مصر وكتاب الميزان في الاقيسة والاوزان وكتاب علم الدين في عدَّة اجزاء على طرز رواية ادبيَّة عمرانيَّة اودعها كثيرًا من المعارف والفنون كالتاريخ والجغرافية والهندسة والطبيعيَّات وغير ذلك ممَّا قرَّب الى قرَّائهِ فهمهُ بعرضٍ شهيّ

﴿الشيخ الابياري﴾ هو الشيخ عبد الهادي نجا الابياري احد الكتبة المعدودين في اواخر القرن السابق . ولد في ابيار في جهات مصر السفلى سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) واخذ عن والدهِ مبادئ الآداب ثم حضر دروس اساتذة الازهر كالشيخ البيجوري والشيخ الدمنهوري وغيرهما . ولم يزل يكدُّ ويجدُّ في تحصيل العلوم حتى نال منها ما لم ينلهُ الَّا القليلون من معاصريهِ فعهد اليهِ الخديوي اسماعيل باشا تثقيف اولادهِ . وتصدَّر للتعليم في الجامع الازهر فذاع صيتهُ في انحاء القطر المصري وجعلهُ الخديوي توفيق باشا إمام المعيَّة ومفتيها فقام بمهامّ رتبتهِ الى وفاتهِ سنة ١٣٠٦ (١٨٨٨) وكان يجالسهُ الادباء ويراسلهُ فضلاء عصرهِ وقد جُمعت مكاتباتهُ للشيخ ابراهيم الاحدب في كتاب الوسائل الادبيَّة في الرسائل الاحدبيَّة . ومن تآليفهِ الشهيرة كتاب سعود المطالع في

مجلدين ضمّنهُ كلاماً واسعاً في ضروب العلوم العربيّة. ومنها كتابهُ نفح الاكمام في مثلثات الكلام كمثلثات قطرب . وكتاب الفواكه في الآداب. واتخذهُ صاحبا الجوائب والبرجيس كحكم ليفصل المناظرات اللغويّة التي قامت بينهما فكتب كتابهُ النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوائب فنظم احمد فارس قصيدتهُ الداليّة التي يقول فيها شاكرًا:

ابدى لنا في مصرَ نجماً ثاقباً لكن سَناهُ بكل مصرٍ هادِ
فيهِ الفوائد والفرائد فُصّلت موصولةَ البرهانِ بالإسنادِ
ان قال لم يترك لقوّالٍ مدًى او صالَ هالَ وطال كلَّ معادِ
هو فَيْصلٌ في الحكم يرضى فصلهُ من كان لم يقنع من الأشهادِ
لولاهُ لم يُقطَع لسانُ المفتري عني ولم يُفصَل جدالُ بلادِ
فلذاك كان على الجوائب مدحُهُ حقاً وايجاباً مدى الآبادِ

﴿الشيخ عليّ الليثي﴾ كان من اشعر شعراء العصر السابق. ولد نحو السنة ١٨٣٠ وصرف همّهُ الى العلوم اللغويّة والادبيّة فصار منشئاً بليغاً وشاعرًا مفلقاً حتى نظمهُ أولو الامر في سلك رؤساء المعيّة السنيّة. ورافق الخديوي اسماعيل باشا في سفرهِ الى الاستانة سنة ١٢٩٠ ومدح السلطان عبد العزيز . وكان الادباء يتسابقون الى مطارحة الليثي ويتفاخرون بمكاتبتهِ. وقد طال عمرهُ حتى توفي مأسوفاً عليهِ في ٢٥ ك ٢ سنة ١٨٩٦ (١٣١٣ هـ). ولهُ منظومات جمّة يُجمع منها ديوان الّا انها لا تزال متفرّقة. فمن محاسن اقوالهِ رثاؤهُ لعبدالله باشا فكري:

نذمُّ المنايا وهي في النقد أعدلُ غداة انتقت مولى بهِ الفضلُ يكملُ
كأنّ المنايا في انتقاها خبيرةٌ بكسب النفوس العاليات تُعجّلُ
فتمّ لها من منتقى الدُرّ حليةٌ بها العالَمُ العُلويُّ انسًا تجمّلُ

ومنها في وصف الفقيد:

لقد كان ذا برّ عطوفاً مهذَّباً سجاياهُ صفوُ القطر بل هي امثلُ
رقيق حواشي الطبع سهلٌ محبّب الى كل قلبٍ حيث كان مبجّلُ
كريم السجايا لا الدنايا تشينهُ عظيم المزايا اذ يقولُ ويفعلُ

شمائلهُ لو قُسِّمت في زماننا على الناس لازدانوا بها وتجمَّلوا
فقدنا محيَّاهُ ولكنَّ بيننا بديع مزاياهُ بها نتمثَّلُ

وقال يمدح السلطان عبد العزيز في عيد جلوسهِ سنة ١٢٩٠ :

دعْ ذكر كسرى وقصرٌ ان اردت ثنا عن قيصر الروم حيث النفعُ مفقودُ
واشرحْ مآثر مَن سارت بسيرتهِ ركائبُ المجد تحدوها الصناديدُ
مولى الملوك الذي من يُمن دولتهِ ظلُّ العدالةِ في الآفاقِ ممدودُ
عبدُ العزيز الذي آثارهُ حُمدت ابُ الأُلى جدُّهم في المجد محمودُ
اجاد نظم امور الملك في نسقٍ لا يعتريهِ مدى الازمانِ تبديدُ
وشاد فوق العلى اركانَهُ فغدا لهُ على هامةِ الجوزاء تشييدُ
فلا تَقِسْهُ بأسلافٍ لهُ كرُمتْ والشبلُ من هؤلاء الأُسد مولودُ
ففخرهُم عقدُ درٍّ وهو واسطةٌ في جيد آل بني عثمانَ معقودُ

ولهُ اللاميَّة المشهورة قالها بعد الفتنة العرابيَّة مستعطفاً مستصفحاً عن الجناة :

كلُّ حالٍ لضدّهِ يتحوَّلْ فالزمِ الصبرَ اذ عليهِ المعوَّلْ
يا فؤادي استرحْ فما الصبرُ الَّا ما بهِ مظهرُ القضاء تنزَّلْ
قدَرٌ غالبٌ وسرُّ الخفايا فوق عقل الاريب مهما تكمَّلْ
رُبَّ ساعٍ لحتفهِ وهو ممَّن ظنَّ بالسعي للعلى يتوصَّلْ

﴿السيّد عبد الله نديم﴾ هو كاتب بليغ نبغ في مصر وسعى في تحرير وطنهِ فأنشأ عدَّة جرائد سياسيَّة كان يزرع فيها بذور آمالهِ ويُنهض همم مواطنيهِ حتى لُقِّب بخطيب الشرق . ولمَّا ثارت الفتنة العرابيَّة نُفي من وطنهِ ثم صُفح عنهُ وبعد قليل اضطرَّ الى مغادرة بلادهِ فتوجَّه الى الاستانة ونال الحظوة لدى السلطان وما لبث ان توفي في القسطنطينيَّة سنة ١٣١٤هـ . وكان مولدهُ بالاسكندريَّة سنة ١٢٦١ (١٨٤٤—١٨٩٦)

وكان عبد النديم خطيباً لسناً متوقد الذهن صافي القريحة شديد العارضة متفنّناً في الكتابة نثراً ونظماً لهُ ثلاثة دواوين كبيرة ورسائل وتآليف لغويَّة وادبية طُبع منها قسم في كتاب سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله نديم وهو في نثرهِ سهل

العبارة قريب المعاني يتحاشى كل تصنُّع . فمن اقوالهِ ما ذمَّ بهِ الخمرة :

طافَ النديمُ بكأسهِ في الحانِ ومشى يزفُّ البكرَ بالالحانِ
برزت تُقهقهُ بين ندمانِ الطلا فخجلتُ اذ ضحكت على الاذقانِ
ذلَّت لدولة حكمها دُوَلُ الورى من غير ما حربٍ ولا اعوانِ
خفَّت فطارت بالعقولِ وخلَّفت تلك الجسوم بحالةِ الحَيْرانِ
ايُّ المحاسن ابصروا في وجهها وهي العتيقة من قديم زمانِ
أمُّ الخبائث بنتُ عُسلوج الهوى اخت الحشائش زوجة الشيطانِ
مَن زفَّها من خدرها لفؤادهِ صرعَتْهُ عند مزالق الأطيانِ
واذا تستَّر في ترشُّفها بدت من فيهِ تفضحهُ لدى الاخوانِ
واذا مشى لعبتْ بهِ من مكرها فيقال هذي مشية السكرانِ

ومن اوصافهِ الحسنة قولهُ يصف قطارًا بخاريًّا :

نظر الحكيم صفاتهِ فتحيَّرا شكلًا كطَوْدٍ بالبخار مُسَيَّرا
دومًا يحنُّ الى ديار اصولهِ بحديد قلب باللهيب تسعَّرا
ويظلُّ يبكي والدموع تزيدهُ وَجْدًا فيجري في الفضاء تسترا
تلقاهُ حالَ السَّير أفعى تلتوي او فارسَ الهيجا اثار العِثْيَرا
او سبعَ غابٍ قد احسَّ بصائدٍ في غابهِ فعدا عليهِ وزمجرا
او انَّما شهبٌ هوت من افقها او قبَّة المنطادِ تنبذ بالعرا

ولهُ في الفخر والحماسة :

اذا ما المجدُ نادانا اجبنا فيظهر حين ينظرنا حنينا
فانَّا في عداد الناس قومٌ بما يرضى الالهُ لنا رضينا
اذا طاش الزمان بنا حلُمنا ولكنَّا نُحيِنا ان حَيينا
وان شئنا نثرنا القول درًّا وان شئنا نظمناهُ ثمينا
وان شئنا سلبنا كلَّ لبٍّ وان شئنا سحرنا المنشئينا

﴿محمد عثمان جلال﴾ هو ابن يوسف الحسني الوناني ولد سنة ١٢٤٥ (١٨٢٩) ودرس في صغرهِ اللغات في مدرسة الالسن في حيّ الازبكيَّة ثم دخل سنة ١٢٦١

(١٨٤٤) في قلم الترجمة ثم انتدبتهُ الحكومة لاشغال الكتابة في وزارتها الى ان استوزره توفيق باشا الخديوي واتخذهُ لصحبتهِ في رحلته الى جهات القطر المصري فكتب تأليفهُ «السياحة الخديوية» ثمَّ تقلد القضاء في محكمة الاستئناف وأحيل على المعاش سنة ١٨٩٥ وكانت وفاتهُ في ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٨ . وللمترجم عدة تآليف نقل بعضها من الافرنسيَّة كرواية پول وڤرجيني وكامثال لافونتين نظمَها بالشعر ودعاها العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ دونك مثالاً منها وهو مثل البخيل والدجاجة :

كان البخيل عنده دجاجهْ ... تكفيهِ طولَ الدهر شرَّ الحاجهْ
في كل يوم مرَّةً تعطيهِ العجبْ ... وهي تبيض بيضةً من الذهبْ
فظنَّ يوماً انَّ فيها كنزا ... وانهُ يزداد منهُ عزّا
فقبضَ الدجاجةَ المسكينُ ... وكان في يمينهِ سكينُ
وشقَّها نصفينِ من غفلتهِ ... اذ هي كالدجاج في حضرتهِ
ولم يجد كنزًا ولا لَقيةْ ... بل رِمَّةً في حُجرهِ مرميةْ
فقال: لا شكَّ بأنَّ الطمعا ... ضيَّع للانسانِ ما قد جمعا

وكان محمد عثمان يحبُّ اللغة المصريَّة العاميَّة فنقل اليها عدَّة روايات تمثيليَّة عن الشاعرين راسين وموليار تصرَّف فيها بعض التصرُّف . ومن ظريف شعرهِ قولهُ يمدح الحضرة الخديويَّة العباسيَّة سنة ١٣٠٩ :

مَنْ يضاهيك في العلى مَنْ يُداني ... يا عزيزًا لهُ علينا يدانِ
يدُ حكمٍ بالعدلِ لا يعتريها ... عارضُ الميل فهي كالميزانِ
ويدٌ في العطاء كالنيل قد فا ... ض بإنعامهِ على البلدانِ

ولهُ في رثاء عبد الله باشا فكري :

همامٌ علا فوق السماك بفكرهِ ... فمن ثمَّ سمَّتْهُ الافاضلُ بالفكري
فتى غاص في بحر المدارس رأيُهُ ... فأخرج من حصبائهِ غاليَ الدرِّ
وسال غديرٌ من عذوبة لفظهِ ... فأنضج اثمارًا على يانع الزهرِ
زها نجمهُ دهرًا بمصر فلم يجدْ ... قرينًا ولكن لا امانَ الى الدهرِ

ثلاثُ لغاتٍ كالعرائس حازها جميعَه لا بالجهاز ولا المهرِ
من العرب العرباء كان اذا حكى وحرّر بالنظم البديع او النثرِ
وكان لاهل الفارسيَّة تحفةً بعلومهِ الوهبيّ يحكي ليزدَجِرْ(١
ونال بديوان المعارف رفعةً مفضَّلةً من فضل زيد على عمرِو
فوا اسفًا واراهُ قبرٌ ولو درى لآثر سوداء القلوب على القبرِ
وما مات ليثٌ أورث الغابَ شِبلَهُ ولا كان هذا الغابُ يخلو من الزأرِ

ومن جمع في مصر بين الآداب التركيَّة والعربيَّة ﴿حسن حُسني الطويراني﴾ وُلد في مصر سنة ١٢٦٦هـ (١٨٥٠م) وتوفي في الاستانة سنة ١٣١٥ (١٨٩٧م) نشط منذ حداثتهِ الى العلم والادب حتى برَّز بين كتَّاب زمانهِ وقضى قسماً من عمرهِ في السياحة في افريقية وآسية وبلاد الروملي وانشأ عدَّة جرائد كالزمان والانسان والنيل والعدل ومجلَّة المعارف والمجلة الزراعيَّة . وألف تآليف عديدة دينيَّة واجتماعيَّة وادبيَّة بعضها تركيَّة وبعضها عربيَّة . ولهُ ديوان شعر دعاهُ ثمرات الحياة اختار منهُ قسماً عبد الغني العريسي وطبعهُ في مصر سنة ١٣٢٥ . فهذه بعض امثال نقتطفها منهُ قال مفتخرًا :

ان كنتَ محتقرًا حالي وتجهلُها سَلْ عارفًا عن شأني فتعرفَني
انا الذي ما سعتْ بي للخنا قدمٌ ولا شكا همَّتي مَن كان يصحبُني
لي جانبٌ لصديقي هيّنٌ ابدًا وجانبٌ لعدوّي ثمَّ لم يلِنِ
ولي لسانٌ ارى ان تبقى بضاعتهُ ولي فؤاد بحبِّ الباقياتِ فَني

وقال ايضاً :

غيري تغيّرهُ الصروفُ وسواي تُفزعهُ الحتوفْ
وانا الذي لا عيبَ لي إلا اقتحامي للمخوفْ
لا أتقي بأس القوي ولا يَرى بأسي الضعيفْ
حسبي يُقال : سكوتهُ ادبٌ ومَنطِقُهُ شريفْ

ومن حكمهِ :

١) اراد يزدجرد وهو ازدشير فرخشهُ

لا تقلْ اني صديقٌ او فلانٌ لي صديقْ
انّما انت وهذا لرفيقٍ في طريقْ
فاجتماعٌ في اتساع وافتراقٌ وقت ضيقْ

ومن محاسن اقوالهِ :

انّ الحياة وطيبها ونعيمها ممّا يؤمَّلُ في الزمان ويُعشَقُ
غاياتنا فيها بدايةُ غيرنا كالشمس مَغرِبُها لغيرك مَشرِقُ

وقد اشتهر في مصر غير هؤلاء ممن تخصّصوا ببعض الفنون ونالوا السبق في بعض الاعمال فصنّفوا فيها المصنّفات المفيدة. منهم «محمود باشا الفلكي» ولد سنة ١٢٢٠ في مديريّة الغربيّة وتوفي في مصر سنة ١٣٠٣ (١٨٠٥—١٨٨٦) تقلّب في المناصب الخطيرة وتولّى وزارة المعارف. وقد عُرف خصوصاً بتآليفهِ الفلكيّة ورسم الخرائط وضبط التقاويم التاريخيّة لاسيما العربيّة ووصف مقياس النيل. ولهُ ايضاً بعض التآليف الاثريّة كرسالتهِ في الاسكندريّة القديمة وفي الاهرام وغير ذلك وقد صنّف بعض هذه التآليف في الافرنسيّة فحلّ بين علماء الافرنج محلًا اثيرًا

ومنهم «محمّد مختار باشا» كان مولدهُ في بولاق مصر سنة ١٨٣٥ وتوفي في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٧ تعلّم في مدرسة دار العلوم وانتظم في الجنديّة وترقّى فيها الى رتبة لواء سنة ١٨٨٦ وقد اشتهر في حروب السودان. وكان متضلّعاً بالعلوم الفلكيّة والرياضيّة ألّف فيها عدّة تآليف بالعربيّة والافرنسيّة. ولهُ ما خلا ذلك تراجم لبعض الخاصّة كمحمود باشا الفلكي والجنرال ستون الاميركيّ وكتب في وصف بلاد السودان والحبشة رسائل حسنة

ومنهم «محمد علي باشا الحكيم» ولد سنة ١٢٢٨ في مديريّة المنوفيّة درس العلوم الطبيّة فنال منها حظًا وافرًا الى ان تعيّن رئيساً للمدرسة الطبيّة في مصر وقد رافق سعيد باشا في رحلتهِ الى اوربا. ولمّا انتشبت الحرب المصريّة مع الحبشة سنة ١٨٧٧ سار في رفقة الحملة الى تلك البلاد وفيها توفي سنة ١٢٩٣ (١٨١٣—١٨٧٧) ولهُ تآليف طبيّة في فنون الجراحة وقانون طبي ورسائل مختلفة

وقد اشتهر مثله في الطبّ والجراحة «الدكتور درّي باشا» الذي وُلد وتوفي في القاهرة (١٢٥٧—١٣١٨=١٨٤١—١٩٠٠) ودرّس في مدرسة القصر العيني وألّف

التآليف المشهورة في الطب كتذكار الطبيب ورسالة في الهيضة. وصنَّف غير ذلك ايضاً كترجمة حياة علي باشا مبارك والتحفة الدرّية في مآثر العائلة الخديويّة. وفيهِ قال الشيخ علي ابو يوسف الازهري يمدحهُ:

لو نلتُ في الدهر ما ابغيهِ لم ترَني ... في مدحِ من شئت الّا ناظمَ الدُّرِ
او كنتُ ادلجتُ في المسرى فليس الى ... شيء يكون سوى للكوكب الدرّي
او ان أَلَمَّتْ بيَ الاسقامُ في زمنٍ ... لم استطبَّ سوى بالماهر الدرّي
فهو الحكيم الذي لم يشكُ ذو مرضٍ ... الّا ونادى بهِ يا كاشف الضرِّ

وممَّن حصل لهُ شهرة في الطبّ في مصر «حسين بك عوف الكحّال» المتوفى سنة ١٣٠١ (١٨٨٣) و«محمد بك حافظ» المتوفى سنة ١٣٠٥ (١٨٨٧) درسا امراض العيون في القصر العيني ثمَّ في اوربا. ونشر الاول كتاباً في الرَّمَد والثاني في تشخيص امراض العين. وفاق عليهما شهرةً «سالم باشا سالم» في العلوم الجراحيَّة التي اتقنها في مدارس المانية ثمَّ أُسندت اليهِ رئاسة مدرسة الطبّ في القاهرة فنشر عدَّة تآليف طبيَّة اشهرها وسائل الابتهاج الى الطبّ الباطني والعلاج. توفي سنة ١٣١١ (١٨٩٣). ونال في الصيدلة نصيباً حسناً «علي بك رياض الصيدلي» المتوفى سنة ١٣١٧ (١٨٩٩) لهُ تآليف في الاعمال الاقرباذينيَّة والمادَّة الطبيَّة والتاريخ الطبيعي

وقد اشتهر في فن الدعاوى وعلم القوانين والرياضيات والموسيقى الشرقية «شفيق بك» ابن منصور باشا يكن ولد في القاهرة ١٨٥٦ ومات في عزّ شبابهِ سنة ١٨٩٠ بعد ان خدم العلم مدَّةً بالتعليم والتصنيف. ومن تآليفهِ كتاب التفاضل والتكامل وكتاب في اصول الحساب والجبر والهندسة والهيئة ورسالة في الموسيقى عرّب تأليف مختار باشا «رياض المختار» من التركيَّة ونقل تاريخ مصر للجبرتي الى الافرنسيَّة. ونقل من الافرنسية بعض المؤلفات الى غير ذلك ممَّا أثار الاسف على فقدهِ قبل بلوغهِ الكهولية

وقد كان لغير هؤلاء المدريين بعض الشهرة ايضاً في فنون شتّى كالشيخ (ابراهيم ابن عبد الغفار الدسوقي) الذي ولد سنة ١٢٢٦ وتوفي سنة ١٣٠١ (١٨١١–١٨٨٣م) ثم بعد ان درس في الازهر تولى فيهِ تعليم العربيَّة ثم نُقل الى الهندسخانة الخديويَّة

واشتغل في الرياضيّات وسعى بطبع الروضة السندسيَّة في الحسابات المثلثيَّة . وتعيَّن مدَّة لتصحيح مطبوعات بولاق وانشأ جريدة الوقائع المصريَّة . ومن تآليفهِ حاشية على المغني . وعليهِ درس العربيَّة المستشرق الانكليزي لان (E. W. Lane) الشهير بمصنَّفاتهِ الشرقيَّة ولاسيما معجمهُ العربي الانكليزي الواسع

ومنهم الاديب عبده حمولي (١٨٤٥ — ١٩٠١) نبغ بالموسيقى العربية واعاد لها شيئاً من رونقها المطموس بما وضعهُ من الأنغام واحدثه من اصول الفنّ

﴿ادباء العراق﴾ اصاب قطرَ العراق بعض الخمول في اواخر القرن التاسع عشر فلم ينلْ فيهِ الشهرة في الكتابة الّا القليلون . هذا الى انقطاع اخبارهم عنّا وندرة المدارس والمطبوعات في تلك الجهات

ومن اتَّصلت بنا منظوماتهُ ﴿الملّا حسن الموصلي البزّاز﴾ اشتهر في اواسط القرن التاسع عشر وتوفي في عشرهِ الاخير . لهُ ديوان شعر طُبع بمصر سنة ١٣٠٥ بهمَّة تلميذه الحاج محمد شيت الجومرد الموصلي الذي ذيَّل الديوان بنبذٍ من شعرهِ . وقد اتّسع حسن البزّاز في قصائدهِ بمدح اصحاب الطرائق المتصوّفين . ومن شعرهِ ما وصف بهِ اشتداد البرد وسقوط الثلوج في الموصل في اواخر رجب سنة ١٢٧٧ (كانون الثاني ١٨٦١) :

تجلّى علينا عارضٌ غيرُ ماطرٍ ولكنهُ بالثلج عمَّ نواحيا
فاصبحتِ الخضراءُ بيضاءَ قد زهت وعادت رباها والبطاحُ كواسيا
وكم بسطت منهُ يدُ البردِ والشتا بساطاً على وجه البسيطة باهيا
وكم جبلٍ راسٍ يقول مُفاخراً ألم تنظروا قد عمَّم الثلجُ راسيا
فقلتُ بهِ اذ كان شاذًا وقوعهُ ليذكرهُ من بعدُ من كان باقيا
غمامٌ بكانونٍ بدا يا مؤرخاً حبا مصرَنا برداً من الثلج زاهيا (١٢٧٧)

ومن ظريف قولهِ في حبهِ تعالى وعمل الصالحات لوجههِ عزَّ وجلَّ :

لئن لم يكن في الصالحات مَثوبةٌ وليس على العصيان منهُ عقابُ
لطاعتهُ عندي نعيمٌ وجنَّةٌ وعصيانهُ قبل العذاب عذابُ

وقال يرثي اخويهِ عليًا ومصطفى :

يبكينَ حماماتُ الأراكِ لغربتي ونحنُ على فقدان ما انا فاقدُ
لقد غاب عني فرقدٌ بعد فرقدٍ وقد بات عني ماجدٌ ثمَّ ماجدُ
وما لي عزاءٌ عنهم غير انني جم ملحقٌ يوماً وما انا خالدُ

ومن أدباء العراقيين ﴿ ابراهيم فصيح الحيدري ﴾ كان مولدهُ في بغداد سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠ م) من بيت علم وفضل وسافر الى دار الخلافة وحصلت لهُ رتبة الحرَمين مدَّة وتولى نيابة القضاء في بغداد ولهُ بعض التآليف وفيها الغثّ والسمين توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٨١م)

ومنهم السيد ﴿ صالح القزويني ﴾ هو ابن السيد مهدي الحسيني . ولد في النجف في اواسط شهر رجب ١٢٠٨ (١٧٩٣ م) وبها توفي في ٥ ربيع الاول سنة ١٣٠١ (اوائل كانون الثاني سنة ١٨٨٣ م انقطع منذ حداثتهِ الى درس العلوم الدينيَّة والدنيويَّة على مشايخ وطنهِ فتضلَّع منها ثمَّ نبغ بالشعر فقصد القصائد وتفنَّن في المنظومات . وقد جمع شعرهُ في ديوانين واسعين . وانتقل في شبابهِ الى بغداد فوجد بين اهلها اطيب مثوى الى آخر حياتهِ . فمن شعرهِ قولهُ في وصف بغداد :

تاللهِ ما الزوراء الَّا جنَّة الفردوس فيها وافرُ النعماء
ما الترب الَّا عنبرٌ ما الماء الَّا كوثرٌ يبري عضالَ الداء
وكأنَّ بين رياضها وحصاها دررٌ على ديباجةٍ خضراء

ومن حكمهِ قولهُ :

لم يشرب الصفوَ من لم يشرب الكدرا وليس يخطرُ من لم يركب الخطرا
ولم يفز بالمنى من ذلَّ جانبهُ ولم يطُل في الورى مَن باعهُ قصرا
أولى الورى بالعُلى من كان أكرمها كفًّا واشرفها ذكرًا اذا ذُكرا
جرّد لنيل المعالي صارماً ذكرًا من العزائم يبري الصارمَ الذكرا
ومُدَّ كفًّا الى العلياء باسطةً للمجد بُردًا بطيِّ اليدِ منتشرا
شمّر من العزم أذيالًا وكن رجلًا بالحزم يملأ سماعَ الدهرِ والبصرا

ومنهم ﴿ الشيخ اسماعيل الموصلي ﴾ ولد في الموصل وجاء الى بغداد في ابّان شبابهِ ودرّس في مدرسة الصاغة عدة سنين حتى وفاتهِ في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٠٢

(١٨٨٤) وكان حنفيَّ المذهب على الطريقة النقشبنديَّة . وكان إماماً في العلوم اللدنية وبرَز في النحو وفي الفنون النقليَّة والعقليَّة . وقد اعقب جملةً من الابناء كلُّهم من طلبة العلم اكبرهم محمد راغب خلف اباهُ في التدريس . ولاحمد فارس الشدياق قصيدة يمدح فيها الشيخ ابراهيم ويثني على معارفهِ منها :

كل ما لذَّهم فذلك عندي ألمٌ غير ذكر إبراهيما
عبقريٌّ مهذَّبٌ قد حوى في صدرهِ قبل أن يشبَّ العلوما
ولهذا يُدعى فصيحاً وقد جا ء فصيحاً بكل فنٍّ عليما
كم لهُ من متنٍ وشرحٍ افادا واجاد المنثورَ والمنظوما
وقوافٍ من كل بحرٍ اذا ما سُردت خلتهنَّ درًّا نظيما
عن ابيهِ وجدِّهِ مستفيضٌ كلُّ فضلٍ فكان ارثًا مقيما

ومنها في شكر الشيخ لمدافعتهِ عنهُ وانتصارهِ لهُ :

ردَّ عني السفيهَ بالنظم والنثـ ـر فكانا لذا الرجيم رُجوما
عَلِم الناسُ ابرهيمَ خليلاً وصديقاً لي ان دعوت حميما
هذه مدحتي فان كنت قصَّر تُ فاني مدحتُ برًّا حليما

ومنهم ﴿عبد الله افندي العمري الموصليّ﴾ من ادباء وطنهِ المعدودين واحد روساء علماء العراق . لهُ فصول نثريَّة واشعار متفرّقة لم تُجمع حتى اليوم وقد مدحهُ علماء زمانهِ منهم عبد الباقي العمري نسيبهُ حيث قال :

ليت شعري ماذا اقول بمولًى قد اقرَّت بفضلهِ الاعداءُ
فيهِ قرَّت عيوننا واستنارت وازدهت في وروده الخضراءُ
يا اديباً سما سماءَ المعالي كيف ترقى رُقيَّك الادباءُ
نلتَ حدَّ الإعجاز نظماً لهذا خرسَت دون نطقك الفصحاءُ
انت يا سيدي بغير رثاهِ خُتمَ النظمُ فيك والانشاءُ

ورثاهُ حسن البزَّاز فقال من قصيدةٍ :

قضى الحبرُ الذي للعلم جبرٌ بهِ فرجاءُ اهل العلم يأسُ
كفى ما قد جرى ان غاض بحرٌ وغابت من سماءِ المجد شمسُ

اساء الموتُ فيهِ كلَّ نفسٍ وطابت منهُ في الفردوس نفسُ
هو التاج الشهير بكل فضلٍ تباهى فيهِ العلماء رأسُ
كأنَّ الموت نقَّادٌ بصيرٌ احسَّ بما يحاول منهُ حسُّ
تفرَّد فانتقى منا نقياً تحسَّر بعده عربٌ وفرسُ

وجارى عبد الله افندي العمريّ في معارفهِ وبلاغة كتاباتهِ «شهابُ الدين العلويّ» احد رجال وطنهِ المقدَّمين يعدُّهُ العراقيُّون كفارس حَلْبة الآداب في زمانهِ. لهُ ديوان شعر لم يُنشر بالطبع وكان يكاتب علماء عصره ويناوبهم الرسائل الادبيَّة والقصائد الرنَّانة ومن شعرهِ الذي قالهُ في الوصف قصيدتهُ التي رويناها في المشرق (١٠: ٧٤٠) يصف فيها طغيان دجلة اولها:

طغيان دجلة خطبٌ من الخطوب المخلَّة

ومن شعرهِ ابيات قالها في مدح مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي:

حديقةٌ أثمرت اوراقُها حِكَماً لنا ثمارُها امتدَّت وقد ينعتْ
فمن يشأ يتفكَّهْ في مناقبها ومن يشأ يتفقَّهْ بالذي شرعتْ
طالعْ تُقابلْكَ مرآة الزمان بما وانظرْ الى صورة الدنيا وقد نصعتْ
كم أودعت نُبَذاً للسمع قد عَذُبتْ ورُدَّ او من قلبِ ذاك الصدر قد نبعتْ
على الكمالات طبع اللطف أرَّخها لطفاً مقاماتُ ناصيفَ التي طُبعتْ (١٨٨٥)

ولهُ قصيدة في رثاء السيد الجليل اقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق على السريان سنة ١٨٩٠ اولها:

من قوم عيسى جانبٌ تهدَّما والدهرُ قد نكَّس منهُ علَما
خطبٌ جسيم ومصابٌ عَظُما يموت من ابكى عليهِ الأمما
قد فقدوا منهُ حكيماً حكما وكان ذا علم بطبّ الحُكما

وممَّن مدح الشيخَ شهابَ الموصلي صاحبُ الجوائب فقال فيهِ من ابيات:

شهابُ العصر خلَّاقُ المعاني فهل من ذاكر للأرَّجاني
عزيز الشأن تفتخر المعاني بهِ فخر المعالي والمعاني
ولعمرُكَ انَّ ما يلقيهِ قولاً ليحكي ما يُنسَّق بالبنانِ

فذاك الدرُّ للأسماعِ حليٌ وهذا الشذرُ نورٌ للعيانِ
وصفتُ حلاهُ عن بُعدٍ كأني اراهُ في علاهُ على التداني

ولا نعلم ايَّ سنة توفي الشهاب الموصليّ . كما أننا لم نقف على تفاصيل اخبارهِ

ونُلحق بشعراء العراق ذكر كاتبين آخرين اشتهروا في الهند احدهما « السيد صديق حسن خان » وهو ابو الطيّب القَنوجيّ البخاري ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٤) في قنوج واتّصل بخدمة بعض ملوك الهند خان بهادر وافاد مالًا كثيرًا حتى تزوَّج بملكة بهوپال في الاقليم الهندي المسمى دِكان وجمع مكتبةً واسعةً واشتغل بالعلم ونشر عدَّة مصنَّفات زعم البعض انَّها ليست لهُ وانما كلَّف العلماء بتصنيفها فعزاها لنفسهِ كفتح البيان في مقاصد القرآن وكتاب العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة والبلغة في اصول اللغة والعلَم الخفّاق في الاشتقاق ولفّ القماط على تصحيح بعض ما استملَّتهُ العامَّة من المعرَّب والدخيل والمولَّد والاغلاط وكتاب لقطة المجلان وكتاب غصن الباق المُورق بمحسّنات البيان وكتاب ابجد العلوم . وقد جمع في كتاب دعاهُ قرَّة الأعيان ومسرَّة الاذهان ما اثنى بهِ عليهِ أُدباء الزمان . توفي صديق حسن خان سنة ١٨٨٩ بعد ان تجوَّل مدَّة في البلاد وصارت لهُ سمعة واسعة

والاديب الثاني هو السيّد « حيدر الحلّي » وُلد سنة ١٢٤٦ (١٨٣١ م) وتوفي سنة ١٣٠٤ (١٨٨٧م) برَز بنظم الشعر منذ شبابهِ فدُعي بشاعر العراق . طُبع لهُ ديوان في بمباي في الهند معظم قصائدهِ في النسيب والفخر والمديح . وهذه ابيات من محاسن قولهِ في الرثاء :

أأحبابنا هل عائدٌ بكمُ الدهرُ طواكم وعندي عن شمائلكم نشرُ
سلامٌ على تلك المحاسنِ انَّها مضتْ فمضى في إثرها الزمنُ النَّضْرُ
ليَ اللهُ بَعْدَ اليوم مَنْ لي بقُربكم وأبعدُ غادٍ مَنْ أتى دونهُ القبرُ
قِفوا زوّدونا انما هي ساعةٌ ووعدُ التلاقي بيننا بَعْدها الحشرُ
رحلتم وقلبي شطرهُ في ظعونكم وللوَجْدِ باقٍ منهُ في أضلُعي شطرُ
وشيَّعتكم والدمعُ يوم نواكمُ غريقانِ فيهِ خلفكم انا والصبرُ
فكم خلفكم لي أنَّةٌ ما لوتْ بكم على أحَدٍ قد لانَ شجوًا لها الصخرُ
سابكيكمُ ما ناحَ في الوكرِ طائرٌ فطائرُ قلبي بعدكم ما لهُ وكرُ

وقال يمدح صرعى العلويين:

سَقيًا لثاوينَ لم تُبْلَلْ مضاجعهم إلّا الدماء والّا الأدمعُ السُّجُمُ
افناهمُ صبرُهم تحت الظُّبا كرمًا حتى مضَوا ورداهم بِملوِهِ كَرَمُ
مشَوا الى الحربِ مَشْيَ الضارياتِ لها فصارعوا الموتَ فيها والقَنا أَجَمُ
فالحربُ تعلمُ إن ماتوا بها فلقدْ ماتتْ بها منهمُ الاسيافُ لا الهِمَمُ
عهدي بهم قِصَرُ الاعمارِ شأنُهمُ لا يَهرَمونَ وللهيابةِ الهَرَمُ

واشتهر كذلك في العراق السيّد « جعفر الحِلّي » المولود في اعمال الحلّة سنة ١٢٧٧ والمتوفي في عزّ شبابهِ في النجف سنة ١٣١٥ (١٨٦٠–١٨٩٧م). كان شاعرًا مكثرًا في شعرهِ الحسنُ والسقيمُ وقد طبع شعرهُ في صيداء سنة ١٣٣١ مدح اشراف القوم وخصوصًا امراء نجد. ومن لطيف قولهِ يهنئ شاه العجم مظفّر الدين بعد قتل سلفهِ ناصر الدين:

حلَّ المظفَّرُ لمَّا الناصرُ ارتحلا فما خلا الدستُ حتى قيل فيه حلا
وجهٌ تخفَّى ووجهٌ بانَ رونقهُ كالنيّرَين بدا هذا وذا أفلا
نحسٌ وسعدٌ بآفاق العُلى اعتركا فالحمدُ للهِ اذ نجمُ السعودِ علا
مالت جوانبُ تختِ الملكِ واعتدلتْ سرعانَ ما مال تختُ الملكِ واعتدلا
ما جرَّع الدينَ صابًا فقدُ ناصرهِ حتى دعاه ابنهُ ان يجتني العسلا
كذي يدَين اماتَ اللهُ واحدةً بقوّةِ البطش والاخرى انثوت شللا
فسلَّم اللهُ للاسلامِ حارسَهُ ويرحم اللهُ مَن في نصرهِ قُتلا
قام الزمان سريعًا من تعثُّرهِ كبا على وجههِ ثمَّ استوى عجلا
لقد بكينا على مَنْ قد مضى حزنًا كما ضحكنا بمن أُبقي لنا جذلا

ومن شعراء العراق في اواخر القرن التاسع عشر « الشيخ ملّا كاظم الازري » تفنّن ايضًا في الشعر فعُدَّ من فحولهِ ونُشر ديوانهُ في بمباي. وممَّا استحسنّا لهُ من الحكم قولهُ:

ان رُمتَ توطئةَ المرامِ الأصعبِ فاركبْ من الإقدامِ اخشنَ مركبِ
إربأ بنفسك ان تَذُودك شهوةٌ دون انتصابِكَ فوق اشرفِ منصبِ

لا تكثرنَّ من الشبابِ وذكرهِ انتَ ابنُ يومِكَ لا ابنُ ماضي الاحقبِ

ومنها :

كم من اخٍ لك غيرِ أمِّك امُّهُ تُنسيكَ سيرتُهُ إخاء المَنسبِ
من لم تُؤدِّبه خلائقُ طبعهِ ألفيتَهُ بالسيفِ غيرَ مؤدَّبِ
فاحذر عداواتِ الرجالِ ودارِها إن لم تكن جدَّت لديك فرَحِّبِ
وافطَنْ لأدويةِ الامور فانَّما سمُّ الافاعي غيرُ سمِّ العقربِ
واذا تَنكَّبهُ من مكان ريحهُ فتخطَّ منهُ الى المكانِ الاطيبِ

وفي هذه الحقبة ازهر في مكة شيخ علمائها «احمد بن زيني المعروف بدحلان» ولد في حاضرة الحجاز وتولَّى الافتاء للشافعيين واشتغل بالعلوم مدَّة وفي زمانهِ أُنشئت في مكَّة اوَّل مطابعها فكان السيِّد دحلان متولياً نظارتها ونشر فيها تآليف من قلمهِ كالجداول المرضيَّة في تاريخ الدول الاسلامية وكتاب الفتوحات الاسلاميَّة في جزءين كبيرين . وكان طبع في مصر قبل ذلك كتباً أُخرى كالسيرة النبويَّة والفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وخلاصة الكلام في بيان أُمراء البلد الحرام طبعهُ في مصر ثم اضاف اليهِ ملحقاً طبعهُ في مكة . توفي الشيخ دحلان سنة ١٨٨٦ في المدينة بعد ان سار اليها في رفقة الشيخ عون الرفيق لمَّا خرج هذا من وجه حاكمها عثمان باشا

ونختم هذا الفصل في ادباء المسلمين بذكر احد مشاهير رجال الدولة التركيَّة الذي رفع في أمتهِ لواء الاداب فضلاً عما احرزهُ من المجد في تدبير الامور وحسن السياسة نعني بهِ الوزير الخطير «احمد جودت باشا» . وُلد في لوفجة في ولاية الطونة سنة ١٢٣٨ (٨٢٢) وانكبَّ منذ حداثتهِ على درس العلوم الدينيَّة والدنيويَّة وبرع في اللغتين الفارسيَّة والعربيَّة فضلاً عن لغتهِ التركيَّة . وليس من غايتنا ان نتقفَّى آثار المترجم في المأموريَّات التي تولَّاها والمناصب التي تقلَّب فيها في كل الدواوين منها الاحكام العدليَّة ونظارة المعارف الى ان بلغ رتبة الوزارة السامية وانتظم في سلك شورى الدولة . وانَّما نكتفي بذكر مؤلفاتهِ فاعظمها شأناً تاريخهُ لآل عثمان في تسعة مجلَّدات عرَّب جزءهُ الاوَّل جناب عبد القادر افندي الدنا فطبعهُ في بيروت سنة ١٣٠٨ . ولهُ رسائل عربيَّة وتعليقات . ونقل قسماً من مقدَّمة ابن خلدون الى

التركيَّة وصنَّف عدَّة كتب مدارسيَّة للاحداث ظهر بعضها في العربيَّة . وكان جودت باشا احد الاتراك القليلين الذين بلغوا من آداب العرب مبلغاً واسعاً . امَّا معارفهُ في اللغة التركيَّة فيُعدُّ فيها اماماً وحجَّةً . كانت وفاتهُ سنة ١٣١٢ (١٨٩٤)

ومن أدباء الاسلام في تونس ﴿الشيخ محمد بيرم﴾ ولد فيها سنة ١٢٥٦ وتوفي في مصر سنة ١٣٠٧ (١٨٤٠–١٨٨٩) تقلَّب في بلادهِ في المناصب الخطيرة كنظارة المطابع ونظارة الاوقاف . وقد لعب دوراً مهماً في مناهضة الحكم الاستبدادي في وطنهِ وعَضْد الشورى الَّا انَّ آمالهُ خابت بعدَ فرنسة سيطرتها على بلاد تونس فانتقل الى مصر وخدم فيها السياسة الانكليزيَّة ووُلّي القضاء في محكمتها الابتدائيَّة . ولهُ آثار ادبيَّة اخطرها كتابهُ صفوة الاخبار بمستودع الامصار ضمَّنهُ تاريخ تونس واخبار سياحاتهِ في انحاء اوربا . ولهُ ردّ على رينان في ما كتبهُ عن الاسلام وكتاب في فنّ العروض ومقالات اجتماعيَّة حاول فيها بيان طرق اصلاح الاسلام وتقريبهم من عوامل التمدُّن الحديث

أدباء النصرانيَّة في هذهِ المدة

قد امتاز في ختام القرن التاسع عشر نخبة من كتبة النصارى الذين تلقَّنوا الآداب العربيَّة في مكاتب مللهم الخاصَّة او في نوادي العلوم التي انشأها المرسلون ولو اردنا ذكرهم فرداً فرداً لاتَّسع بنا المجال وحسبنا تعداد من برز بينهم بمعارفهِ

كان في مقدّمتهم رؤساء الطوائف من بطاركة واساقفة وكهنة افاضل لا يسعنا السكوت عن خدمتهم للآداب ومساعيهم الطيّبة في ترويج اسواقها فضلاً عمَّا خلَّفوهُ من آثار قلمهم . فكان على الطائفة المارونيَّة السيد السَّند ﴿البطريرك بولس مسعد﴾ رعاها مدَّة ٣٦ سنة بتُقى واجتهاد وكانت وفاتهُ في اواسط نيسان من السنة ١٨٩٠ ولهُ من العمر ٨٥ سنة . وكان متضلّعاً بالتاريخ الشرقي الديني والعالميّ ومن آثارهِ كتابهُ التحفة الغرَّاء في دوام بتولية العذراء وكتابهُ الدرّ المنظوم الذي طُبع في طاميش وسعى هناك بطبع لاهوت القديس الفونس ليغوري معرَّباً الى غير ذلك من الاعمال المفيدة

واشتهر بين اساقفة الموارنة المطران ﴿يوحنا حبيب﴾ مطران الناصرة شرفاً

(١٨١٦—١٨٩٤) ومنشئ جمعيَّة المرسلين الكريميين . تولى في لبنان القضاء زمناً على عهد الامير بشير الكبير وبرع في معرفة الفقه والحقوق وكتب في ذلك تأليفاً . ومن مآثرهِ تعريب اللاهوت الادبي للاب يوحنا غوري اليسوعي في مجلَّدين وذيَّل ترجمتهُ بملحوظات فقهيَّة من الشرع الحنفي . ولهُ ردّ على الشيعة الماسونيَّة وعدَّة رسائل في مواضيع مختلفة لا تزال مخطوطة امَّا جمعيَّة المرسلين اللبنانيين فانَّما انشأها سنة ١٨٦٥ ونُسبت الى الكريم وهو الدير الذي اتَّخذه في لبنان لادارتها

وممن عُرفوا بسموّ الهمَّة في تعزيز الآداب في الربع الاخير من القرن السابق اساقفة حلب الموارنة « السيّد يوسف مطر ١٨١٤—١٨٨٢ » انشأ في الشهباء مكتباً لملَّتهِ واستجلب اليها مطبعة ادَّت للحلبيين خدماً مشكورة سبق لنا تفصيل مطبوعاتها (في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٣٥٨) . ودرج ادراجهُ خلفُهُ « السيد بولس حكيم الحلبي ١٨١٧—١٨٨٨ » لهُ مواعظ وخطب شتى . وكان يقول بديهاً القدود والقصائد والزجليَّات اللطيفة والاناشيد التقويَّة على اللهجة العاميَّة

وأناف عليها شهرةً خلفهما السيّد « جرمانوس الشمالي » من سُهَيلة كسروان المولود سنة ١٨٢٨ والمتوفى في ٨ ك ١ ١٨٩٥ تهذَّب في مدرسة مار عبدا هرهريَّا الاكليريكيَّة وبرع في معرفة اللغتين العربيَّة والسريانيَّة وعلَّم هناك مدَّة عشر سنين بعد كهنوتهِ سنة ١٨٥٥ ثمَّ انضوى الى جمعيَّة المرسلين اللبنانيين فكان احد اعضائها المتازين باعمالهِ الرسوليَّة وتقاه وبلاغتهِ الى ان رقَّاهُ غبطة البطريرك يوحنَّا الحاج الى رئاسة اسقفيَّة حلب سنة ١٨٨٨ فاخذ اسم جرمانوس ذكراً بنابغة حلب السيد جرمانوس فرحات فساسها مدَّة سبع سنين بحكمة عجيبة وغيرةٍ لم تعرف الملل حتى أدَّى بهِ تفانيهِ في خدمة رعيَّتهِ الى انحلال القوى ثم الى انقضاء الاجل يوم عيد حبل العذراء بلا دنس . وكان السيد جرمانوس مثالاً حيًّا لكلّ الفضائل الاسقفيَّة . امَّا شهرتهُ في الآداب العربيَّة فتشهد عليها آثارهُ الباقية . منها مجلَّدان ضمَّنهما مجموع خطبهِ وعظاته ثم ديوانه المسمَّى « نظم اللآلئ » وفيهِ كثير من المنظومات الجيِّدة . وقد سبق المشرق فأثبت ترجمة حياتهِ مطوَّلة (٥ : ٨٥٠—٨٦٠) فنحيل اليها القرَّاء . وهذا مثال من شعرهِ نضيفهُ الى ما هنالك وهو مدحهُ لمصر قالهُ سنة ١٨٨٩ :

أحسن بمصرَ وما شاءت مَواليها مَن لي بجادٍ الى مدحٍ يوازيها
عاينتُ اكثرَ ممَّا كُنت اسمعهُ من عزَّةِ النفس والتقوى بأهليها
محروسةٌ صانها المولى بقدرتهِ وعينهُ لم تزل يَقظى تراعيها
فيها مباني عِمادِ المجد من قِدَمٍ تُعدُّ اعجوبةَ الدنيا مبانيها
من فائض النيل تُسقى مثلما شرعت من فائض العلم تَسقي مَن ثوى فيها
تبارك الله ما اشهى خمائلها تستنشق الروح ريَّاها فتُحييها
فالبحرُ اوسطُها والبرُّ حاطَ بها والسهلُ والوعرُ كلٌّ من فحاويها
سبحان من يجمع الدنيا بواحدةٍ فتحتوي كلَّ ما تحوي اقاصيها
أهرامها الشمُّ والآثار شاهدةٌ بعزَّةِ الملك من اعصار بانيها
تُدعى بقاهرة الاعداء عن ثقةٍ ومنبعُ العلم من أسمى اساميها
ودَّعتُ قلبي لدى نظمي مؤرِّخهُ وِداعَ مصرٍ فاني غير ناسيها (١٨٨٩)

وعُرف ايضاً في هذا الزمان احد رؤساء اساقفة قبرس المطران «يوسف الزغبي» درس في مدرستنا الاكليريكية في غزير ثم علّم في كليَّة ليل من اعمال فرنسة اللغتين العربيَّة والسريانيَّة وسعى في أيام اسقفيَّتهِ بإنشاء مدرسة قرنة شهوان سنة ١٨٨٥ فنالت بهمَّتهِ نجاحاً. ولهُ كتاب في الفلسفة لم يسعدهُ الوقت على اتمامهِ. توفي في اواسط كانون الاوَّل من السنة ١٨٩٠

أمَّا الكهنة الموارنة فنال السبق بينهم في الآداب الخوري «ارسانيوس الفاخوري» وُلد في بعبدا سنة ١٨٠٠ وتوفي في غزير سنة ١٨٨٣ خدم الكنيسة والوطن بكلّ تفانٍ فاتخذهُ القصَّاد الرسوليّون كمعاونٍ لهم في اشغالهم. ولزم مدَّةً اعمال القضاء في لبنان ودرَّس العلوم العربيَّة والقوانين الفقهيَّة لكثير من الطالبين كما ذُكر في ترجمتهِ المطوَّلة التي نشرناها في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٦٠٦-٦١٦). وعدَّدنا هناك ما أبقى من الآثار الجليلة كشرح ديوان المتنبي وشرح ديوان المطران فرحات ومطوَّل في الصرف والنحو. وقد طُبع من تآليفهِ كتابهُ روض الجنان في المعاني والبيان وكتابهُ زهر الربيع في فنّ البديع والميزان الذهبي في الشعر العربيّ. ولهُ ديوان كبير اقتطفنا منهُ بعض قصائدهِ في المشرق منها بديعيَّتهُ (المشرق ٤ [١٩٠١]: ٢٦) وقصيدتهُ في خميس الاسرار (٢٠ [١٩٢٢]: ٣٨٥) وفي قبر المسيح (٣ [١٩٠٠]: ٣٦٣) وغير ذلك.

ومن شعرهِ في الطهارة من ابيات :

يا صاحِ عِش متسربلًا بطهارةٍ تُصِبِ المعالي في عُلى سربالها
لا إرثَ في ملك الإله لفاجرٍ هيهات ان يأوي السما مع آلها
فالله من دون الطهارة لن يُرى انَّ النعيم معلَّق بكمالها

وقال مخمساً لبيتين نظمهما احد الشعراء :

أتوق لودّ مَن يهوى ودادي وفي شكلٍ كلانا باتحادِ
كأني في وفاقي بالفؤادِ رأيتُ بنفسجاً في ظلّ وادي
وغصنَ البانِ منعكفاً عليهِ
فكلٌّ يجذبُ الثاني لحبٍّ كمغناطيسَ قد كنا بجَذبِ
وقلبهُ شاخصٌ عيناً لقلبي فقلتُ تأمّلوا بصنيعِ ربي
شبيه الشكل منجذبٌ اليهِ

ولهُ ارجوزة طويلة قالها سنة ١٨٦٩ ليبيّن فيها حرّية الانسان وخلوّ ارادتــهِ من الاضطرار السابق هاكَ اوّلها :

الحمدُ لله القدير السرمدي حمدًا يقينًا من شرور المعتدي
خلقَنا الله على صورتهِ وشبهِهِ جلَّ عُلَى قدرتهِ
لكي نحبَّه هنا ونعبدا ونرثَ الملك الذي قد خُلِّدا
فينا اختيارًا كاملًا قد اوجدا لكلّ قولٍ ثم فعلٍ يُبتدا
حرّيةٌ مطلقةٌ وفيةٌ في فعل ما تريدهُ المشيّةْ
قد ضلَّ من قال بهِ الخلافا ولا يرى رأيًا بذا مُعافى
أمامك النيرانُ والماء فما تختارُ منها لهُ أمدُدْ معصما
بذا ابنُ سيراخَ الحكيمُ علَّما كذا لنا الدينُ القويمُ سلّما
لولا اختيارٌ لفعالِ فاعلِ لم يُجزَ عنها من وليّ عادلِ

وفي هذا العُشر التاسع اي نحوسنة ١٨٨٠ توفي احد شعراء لبنان الراهب الفاضل «القس اغناطيوس الخازن» من الاسرة الخازنيّة والرهبانيّة اللبنانيّة تولى زمناً طويلًا رئاسة دير البنات وكان معروفاً بفضلهِ وجودة قريحتهِ عارفاً بالفقه . وقد وقفنا لهُ على

ديوان مخطوط يدلّ على توقّد فهمهِ وذكاء عقلهِ ضمّنهُ كثيرًا من تواريخ لبنان من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٧ لكنَّ نسخة هذا الديوان سقيمة قد تشوَّهت اكثر قصائدها باغلاط النسَّاخ. ومما يُروى لهُ قولهُ في دير سيّدة ميفوق يشكو اثقال الرئاسة:

وبلٌ لمن طلب الرئاسة فاعتلى ... فالرفعُ بالخفض استبانَ ما ولي
كم بات مضطربًا لصرف ملمَّةٍ ... كم ضاق من تعب الفؤاد فولولا
تبًّا لها من مهنةٍ بل محنة ... يُلهي بها النُّسَّاك عن ربّ الملا
كم حاسدٍ جلبت وردّت حاسدًا ... والبالُ فيها لا يزال مُبلبلا
مملوَّةٌ مرًّا ولا حلوٌ بها ... تخلو من الحلوى وهل صبرٌ حلا
ان قيل كلٌّ للرئاسةِ مائلٌ ... قلتُ الفراشةُ تشتهي ضوءًا صلى

وقال مؤرخًا وفاة الامير حيدر اللمعي قائمقام النصارى المتوفى سنة ١٨٥٤:

بكتِ العيونُ أميرَ عُربٍ حيدرا ... من بعدهِ هجر القلوبُ سلاما
اذ غابَ عنها صاح كل مؤرخٍ ... آهًا بيتِ اللمعِ صار ظلاما

وقال متفكهًا في أقرع اتتهُ من بعض اصحابهِ قَرْعة مملوَّة من الخمر الجيّدة فعثرت رجلهُ بها وافاض الخمر:

قد صبَّ اقرعُ في طريقٍ قرعةً ... وأتى بعذرٍ يشتكي من تعسهِ
عزّيتُهُ بالقول طِبْ نفسًا وسِرْ ... فلكل شيءٍ آفةٌ من جنسهِ

واشتهر بفنون الآداب كاهنان مارونيان من غزير وقعت وفاتها في الربع الاخير من القرن السابق. الاول «الخوري يوسف الهاني» وكان يُدعى قبل كهنوتهِ منصور الهمش تعلم في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير وعلم فيها العربيَّة. ومن آثارهِ مقامتهُ الغزيريَّة التي طُبعت سنة ١٨٧٢ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة وفي آخرها قصيدتهُ العامرة الابيات في لاموريسيار وجنودهِ المتطوعين البسلاء المعروفين بالزُّواوة الذين ماتوا شهداء في خدمة الكرسي الرسولي في كستلفيدَرْدو سنة ١٨٦٠ وكانوا من نخبة الشبيبة وانجال اشرف الاسر الكاثوليكيَّة. هذا مطلعها:

كريمَ النفس قُمْ بالنفس فادِ فقد نَبي العَقُوقُ ثدى الولادِ
عهدتُ الحرَّ يعتنق العوالي ويدفعُ عنقهُ عن ذي ودادِ
وان خان الدعيْ حليبَ امّ فذاك بنفسهِ عنها يُفادي

ومنها يصف ثورة اعداء الدين وشهامة انصارهِ :

أثاروا ضدَّ رأس الدين حرباً جراجمُ بها كانت صرادي
ونادوا اين مَن يحمي ذمارًا تروم تزالهُ في اي نادِ
فما لبث الزواوةُ ان أتوهم بأسرعَ من صدى صوت المُنادي
وصاحوا يا لحقٍّ بابويٍّ متينِ الاصل مرتفعِ العمادِ
وشاقتهم كؤوس الحتف شرباً وحنّوا للمهنّدةِ الحدادِ
رويدًا أيّها الابطال مهلًا فسيفُ عُداتكم للدم صادِ
حُسامٌ من جهنّمَ قلّدوهُ تقدُّ شفارُهُ صُمّ الجمادِ
ألا دَعْنا نُلاقي الحتف عفوًا ولا نحرِمْ جياعاً حُسن زادِ
يمَ الأعضاء تحيا بعد رأسٍ وكيفَ الجسمُ دون القلب هادِ
فكُفَّ ملامةَ الحُسّادِ عنّا ونادِ على السطوح وفي المهادِ
دَعوهم ينصرون الحقَّ جهرًا على اهل الضلالةِ والفسادِ
دعوهم في الفخار لجرّ ذيلٍ ونَيلِ أكلّةٍ عُقبى جهادِ
ولا تخشوا عليهم من ضلالٍ فلاموريسارُ احقُّ هادِ

الى ان قال يمدحهم بفوزهم اكليل الشهادة :

فاذ شهد الزواوةُ في الرزايا ونارَ الحرب تُضرَمُ باتّقادِ
بدمّهمِ المزكّى أطفأوها وما أحلى الدماء بذا الجهادِ
فلا تحزنّ عليهم نادباتٌ خرائدُ سافراتٌ في حدادِ
فان غابوا فأقمار توارت وليس أفولها حدَّ النّفادِ
وان فقدوا الحياةَ فقد اصابوا بدار الخُلد مجدًا بازديادِ
أتوا ،ولاهمُ شهداءَ حقٍّ وعدّوا القتل أشهى من شهادِ

وللخوري يوسف الهاني مآثر أخرى اخصُّها كتاب منارة الطُّلّاب في التصريف

والاعراب طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية . ولهُ اناشيد متفرّقة كقوله على لسان مريم العذراء عند مهد طفلها يسوع :

نَمْ يا حياتي بالهنا . يا نور عيني والمُنى

ذوقَنْ بطرفٍ أنعسِ وسنًا يلَذُّ لنعَسِ
في جنحِ ليلِ الحندسِ فالى جفونك قد دنا

ولدي ايا زهر الرُّبى تسمو البنين كما الصَّبا
قد فُقْتَ عِقدًا مذهبا بل عقدَ درٍّ بالسنا

ما سوسنٌ في جامهِ قد ذرَّ من أكمامهِ
مع وردهِ وخُزامهِ يحكيك يا بدر المُنى

كانت وفاة الخوري يوسف الهانيّ في السنة ١٨٨٥ . أمّا وطنيُّهُ الآخر فالخوري حنّا رعد المعروف بالعاصي ايضاً كان ذا قلم سيّال يُحسن الكتابة نظماً ونثرًا . ولهُ ديوان شعر مخطوط يضنّ بهِ آلهُ ويحاولون نشرهُ سلس مطبوع روينا منهُ سابقاً قصيدة في مريم العذراء (المشرق ٧ : ٤٣١) . ومن جملة اقوالهِ قصيدة دعاها جَبر الكَسْر يذكر فيها وفاة البطريرك بولس مسعد ويهنّئ بها خلفهُ السيّد يوحنّا الحاج سنة ١٨٩٠ :

بالامس كان الرثا والدمعُ ينسجمُ والیومَ عمَّ الهنا والثغرُ يبتسمُ
طافت بنا الكاس من صابٍ ومن عسلٍ والحمدُ لله في الحالين ملتزمُ
لا جلَّ الله في الجُلّى كنيستَهُ ولو احاطت بها الارزاءُ تلتطمُ
ازال بالجبر يوحنّا مصائبنا فالكَسْرُ منجبرٌ والجرحُ ملتئمُ

وهي طويلة ختمها بقولهِ :

انت المؤمَّل أن تُضحي رئاستُهُ لنا وللدين حصناً ليس ينثلمُ
آمالنا فيك كالالحاظ شاخصةٌ لها معانٍ ولكن ما لها كَلِمُ

جئنا نهنّيك لكنَّ الهناء لنا ... فانَّ نعماك للابناء مغتنمِ
فاقبل ثناءً بلا منٍّ وتهنئةً ... بما يترجمُ عن فحوى الفؤادِ فمُ

وكان المترجم مولعاً بفرنسا يعظّم مفاخرها ويطري بشهامة ابنائها ويشكر لدولتهم التي انقذت نصارى الشرق من نكبات المعتدين فمن ذلك عينيَّته الشهيرة التي قالها سنة ١٨٦٠ بعد حوادث الشام :

كفَّ البكا وامسحْ عيونًا تدمعُ ... واحفظْ بقيَّة مهجةٍ تتصدَّعُ
صبرًا ولا تملكْ أسى وتوجُّعاً ... فلعلَّ سعدك في الطوالع يطلعُ
يا شرقُ امرُك مذهلٌ او مُعضلٌ ... والقلبُ حيران لذاكَ وموجعُ
قد كُنتَ آلفت المدائب ذلَّةً ... حتى دهتكَ مصيبةٌ لا توسعُ
لبنانُ ما هذه الجماجمُ والدما ... ما للمنازلِ وهي قفرٌ بَلقَعُ

الى ان قال على لسان الربِّ ملبياً دعوة المنكوبين :

حتَّام تفترسُ الذئاب رعيَّتي ... فقطيعيَ المختارُ كادَ يُقطَّعُ
ولقد اقمتُ لنصر شعبي ظافرًا ... بطلاً تخرُّ لهُ الجهات الاربعُ
صحنا وكان الى فرنسَ الصوت: يا ... نابوليون . اجابنا : لا تجزعوا
اني لَمُنجدكم وكاشفُ كَربكم ... برضى الالهِ سواهُ فخرًا يُمنَعُ

ومنها في وصف الحملة الفرنسويَّة :

وكواسرٌ لا الهَولُ في اوهامها ... هولٌ ولا الموتُ الربيع يروِّعُ
لا ترهبُ الاسيافَ ان سُلَّت ولا ... تحمي الجيوشُ ولا المدافعُ تدفعُ
منها الزؤافُ ولم تكن يوماً سوى الـموتِ الزؤاف وكلُّ عاتٍ موقعُ
تلك البُحورُ على البرور طمَتْ ولا ... سدٌّ يصدُّ ولا حجابٌ يمنعُ
لبس الملا الا المراكبُ والموا ... كبُ والقواضبُ والقنا والأدرعُ
وهي السوابقُ والسرادق والبنا ... دقُ والصواعقُ والمنيَّةُ تتبعُ
سعدًا ليومٍ بشَّرت أعلامُهُ ... انَّ الحياةَ من المنيةِ اسرعُ
لله درُّكِ يا فرنسا مركزًا ... للدين والدنيا اليكِ المرجعُ
لولاكِ لم يشرق نهارُ سلامةٍ ... فينا ولا زال الشقا المستفظعُ

وهي طويلة ابياتُها من غرر الاقوال تتدفّق جودًا ورقّةً . ولهُ قصيدة مثلها في بلاغتها وهي نونيّة قالها سنة ١٨٧١ لمّا زار لبنان القنصل الفرنسويّ روستان مطلعها :

حبٌّ قديمٌ ثابتُ الاركانِ   لفرنسَ قام على ذُرى لبنانِ

وللخوري حنّا رعد عدّة اناشيد يتغنّى بها النصارى الى يومنا في المجتمعات التقوية كقولهِ في مدح البتول :

مَجدُ مريم يتعظّمْ   في المشارقْ والغروبْ

وقوله :

عليك السلامُ بلا ملَلْ   يا نجمة البحر والاملْ

وقولهُ في القربان الاقدس :

لـك التسبيح والشكرانْ   لك المجد يا سرّ القربانْ

توفي الخوري يوحنا رعد في ١٣ ايلول من السنة ١٩٠٠

وفي ١٩ شباط من السنة ١٨٨٩ فقدت الشهباء احد كهنتها الموارنة الاجلاء «القس اغوسطينوس عازار» درس العلوم في مدرستنا الاكليريكيّة في غزير و كان يسمّى جرجس وبرع في اللغة العربية فلمّا عاد الى وطنهِ انقطع الى التدريس والتأليف ونَقْل الكتب الى العربية وخدم الآداب نحو عشر سنين . ومن تآليفهِ كتاب خلاصة المعرفة في اخصّ قضايا الفلسفة طُبع سنة ١٨٨٦ في بيروت (١ . ولهُ ديوان شعر اخذتهُ يد الضياع الّا بعض القصائد التي نُشرت في المجاميع الادبيَّة . فمن قولهِ في رثاء يذكر الموت :

من ابن يرجو المرء خلدًا اذ يرى   كلًّا يزول مع الزمانِ ويُدفعُ
انّ الحياة لدى الحقيقةِ عهدُها   يمضي كلمع البرق او هو اسرعُ
كلٌّ لهُ يومٌ يودّع اهلَهُ   فيهِ وداعًا مطلقًا ويودَّعُ

(١) ولاخيهِ القس بولس كتاب الادلّة النظرية في وحدة النفس البشرية وكتاب الشعاع الساطع في حرفة الزارع . في مطبعة الاحوال سنة ١٨٩٨ (ص ٩٧)

لا فرق عند الموت بين اكابرٍ واصاغرٍ حين القضاء يُلَمْلَمُ
ما هذهِ الدنيا لدى عيني سوى سفرٍ الى ابديّةٍ لا ترجعُ
ان رمتَ يا صاحِ السعادةَ والبقا فاسلك سبيل الله صدقاً تنجعُ

ولهُ في يوبيل البابا لاون (سنة ١٨٨٧—١٨٨٨) قصيدة غرّاء افتتحها بقولهِ :

نادى المنادي بوَحْيِ الله ما كتبا في آية النصر انّ الليث قد غلبا
ليثٌ من الانس تخشى الارض سطوتهُ في الغرب والشرق إن عجماً وان عَرَبا
فاعجب لهُ اسداً بالبأس منتصراً بالانس مشتهراً في الكون مرحبا

ومنها :

رِعيًا لراعٍ رعى حقَّ الاله ولم يُبدِ التساهلَ فيما العدلُ قد طلبا
مذ قام حقَّ قيامٍ في رسالتهِ بهمّةٍ بلغت غاياتها الأربا
ووفّق الدينَ والدنيا بحكمتهِ ولم يَدَعْ لهما عذرًا ولا سببا
بناهُ حاملةُ الانجيل ما برحت بمراه تُعضدُ سادات الورى الحُسَبا
قوّى الملوكَ على اعداء سلطتهم بكبحهِ الثورة الشنعاء والغضبا
وقام يجهد في العمران طاقتَهُ فردّ ما كان منهُ الدهرُ قد سلبا
هزّ العصا فأراع الكُفر فارتعدت منها العُصاةُ فاذا لو جا ضَربا

وهي طويلة بليغة ختمها بهذا التاريخ :

قد حاز لاوون ما التاريخ ينشدهُ اسماً مدى الدهر يبقى ذكرهُ عجبا

ولم يتأخر الاكليروس السرياني الكاثوليكي في نهضة الآداب العربية في ختام القرن التاسع عشر ففي سنة ١٨٧٤ توفي البطريرك «فيلبُّس عركوس» وكان متضلّعاً بعدّة لغات شرقيّة وغربيّة. لهُ كتاب مخطوط عنوانهُ قوت النفس فيهِ ارشادات ومواعظ. فخلفهُ السيد البطريرك «اغناطيوس جرجس شلحت» الحلبي الاصل (١٨١٨—١٨٩١) اشتهر بالعلوم الطقسيّة وعزّز الموسيقى الكنسيّة. ومن آثارهِ الطيّبة كتابان احدهما يحتوي على مواعظ وخطب دينيّة والآخر ضمّنهُ تاريخ الكنيسة الشرقيّة. هذا فضلاً عن عدّة كتب طقسيّة سعى بتنقيحها وطبعها في السريانيّة والعربيّة

وقام من بعده السيد « اغناطيوس بهنام بني » الموصلي (١٨٩١-١٨٩٧) درس في رومية العظمى ونال شهادة الملفنة في اللاهوت والفلسفة. وقد نشر في مطبعة الآباء الدومنكيين في الموصل كتاباً اثبت فيه حقيقة الكنيسة الكاثوليكية دعاهُ الدرَّة النفيسة في حقيقة الكنيسة ولهُ كتاب كلندار السَّنة لابرشيَّة الموصل السريانيَّة. في رئاسة بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين

وزيّن الشام في اواخر ذلك العصر حبران جليلان من الطائفة نفسها اعني السيد «تاوفيلس انطون قندلفت» الحلبي (١٨٣٦-١٨٩٨) الذي تعيَّن مطراناً على طرابلس وسكن بيروت. ولهُ تركة علميَّة واسعة منها دينيَّة كالسراج الوهَّاج في سنَّة الزواج والرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزيجيَّة عند الشرقيين وكتاب مواعظ دعاهُ عقود الجمان في شرح قانون الايمان في ثلاثة مجلدات اردفهُ بكتاب القلادة الدريَّة في شرح الوصايا الالهيَّة وكتاب القيثارة الشجيَّة في التسابيح الالهيَّة جمع فيهِ تسابيح واناشيد تقويَّة أدرجها في الكنائس وكل هذه الكتب الَّا الاخير نُشرت بالطبع. امَّا كتبهُ الادبية فمنها رواية ظريفة تُدعى الذميم والذميمة وكتاب الذكرى لمن اعتبر يحتوي انتقادات وحكماً وشذرات ادبيَّة بالنثر والنظم لم يطبع. ولهُ عدَّة مقامات وقصائد وروايات طُبعت في مجلَّة النحلة وفي الجنان وفي بعض المجاميع فمن ذلك قولهُ في مدح احد أدباء الاستانة يوسف نعمة الله جدّ :

ما لي وللدهر دَعني انني ثَمِلٌ ... من راح اهل الوفا والفهم والكرَمِ
مَن جدُّهم جاد واستملت معالمهم ... حتى غدا فضلُهم ناراً على علَمِ
مِن اهل جدٍّ فتى رام العُلى فَعلا ... بالفضل والعقل والاحسان والشيمِ
سميٌّ رأيٍ سنيُّ الفكر ذو حذقٍ ... في وصف جانبهِ قد حار كل فمِ

ولهُ مجيباً لقدسي زاده قدري بك وكان ارسل اليه قصيدة يُعرب فيها عن اشواقه الى وطنهِ وخلّانهِ في الشهباء اوَّلها :

يا راقباً يبني ذرى الشهباء ... ومعرِّجاً للبلدة البيضاء

فوجَّه المطران انطون اليهِ بهذه القصيدة من بحرها وقافيتها :

يا صاعداً أوج العلى ببناءِ ... ولواك منعقدٌ على الجوزاءِ

وسواك يبغي المجد لكن جدَّهُ هيهات مثلك يا ذُرى الفضلاء
حسبٌ وفضلٌ قد جمعت كليهما مع رقةٍ ومكارمٍ وسناء
اوليتني الإحسانَ بالتوديع في مصرٍ بخير قصيدة غرَّاء
فيها الحنينُ الى المواطن والحما والى الافاضل من بني الشهباء
فلثمتُها وتلوتها ونشرتها وحسبتها من اوجه النعماء

ومنها :

انت الملاذُ لآلِ قُدْسٍ وأنتَ الفخرُ للاوطانِ يا مولاني
لم تنسَ شيمتكَ الكريمةَ دائمًا بالحلّ والترحالِ دون وناء
فلتفتخر حلبٌ بعبد القادر م القُدْسي على الأقطار والانحاء

وختمها بقوله :

خذها لردّ صدى الوداد على الندى من ذي وفاء ودُّهُ بصفاء
واصفحْ بفضلك عن قصوري انني في كنفِ عفوكَ قد وجدتُ حمائي

وزاد على من سبق ذكرُهم شهرةً السيّد « اقليميس يوسف داود » ولد في الموصل من أُسرة كلدانيَّة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٢٩ وبعد ان درس فيها مدَّةً في مدرسة الآباء الدومنيكيين ثم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير اتمّ دروسهُ في رومية وحاز السبق على كل اقرانهِ في العلوم الدينيَّة والدنيويَّة ثمَّ انضوى الى الطائفة السريانيَّة وعاد الى وطنهِ وعلَّم عدَّة سنين في مدرسة الآباء الدومنيكيين فتخرج عليهِ كثيرون عُرفوا بآدابهم ومنشآتهم ووكل المرسلون اليهِ نظارة مطبعتهم واصلاح منشوراتها فقام بالامر احسن قيام واهتمّ بطبع تآليف جمّة لا تزال واسطة قلادتها. وقد اهتمّ بالاعمال الرسوليَّة اهتمام العبد الصالح فخدم النفوس بالمواعظ والكتابة والتأليف وانشاء المدارس الى أن عهد اليهِ الكرسي الرسوليّ تدبير ابرشيَّة دمشق فلبَّى دعوتهُ مرغوماً. وآثاره العديدة في الفيحاء لا تزال تنطق بفضلهِ وهناك أُقيم لهُ نصف تمثال من الرخام في الدار الاسقفيَّة التي زانها بفضائلهِ وعلومهِ من السنة ١٨٧٨ الى تاريخ وفاتهِ في ٤ آب ١٨٩٠. وقد استوفى جناب الفيكنت فيليب نصرالله طرازي ذكر اعمالهِ في كتابهِ القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة الذي طبعهُ في

مطبعتنا سنة ١٨٩١ وهناك تجد جدول تآليفهِ المطوَّل · ومجموع آثارهِ العلميَّة في كل الفنون والمعارف العصريَّة تنيف على الثمانين تأليفاً او تعريباً او اصلاحاً وتنقيحاً. بينها قسم واسع في الآداب العربيَّــة من صرف ونحو وعروض وخطب وتاريخ وآداب شعريَّة ونثريَّة ولعلَّهُ اوَّل من زوَّد المدارس الكاثوليكيَّة بكتب تعليم منقَّحــة · وتعريبهُ للاسفار المقدَّسة ينبئ بفضلهِ العميم. واما آثارهُ بالسريانيَّة فتكاد لا تُحصى. ولهُ حتى يومنا عدَّة تصانيف لم تنشر بالطبع مع كثرة فوائدها. وكان للسيد اقليميس داود مقامٌ جليل بين العلماء الاجانب يقدّرون قدرهُ في كل الابحاث الشرقيَّة وقــد رثاهُ كثيرون بالمراثي النفيسة ومن اجودها قول الدكتور لويس صابونجي:

وترثي دمشقُ الشامُ فَقْدَ عزيزها … مع الموصل الحدباء اذ قام مشهَدُ
سأبكي عليهِ ما تقطَّر مدمعي … وراح يمامٌ في الاراك يغرّدُ
بكتهُ طروسٌ واليراعُ ونثرُهُ … وناح عليهِ الشعر اذ بات يُنْشَدُ
بكَتْهُ علوم الاوَّلين بأسرها … بدمعٍ غزيرٍ سيلهُ لا يُجمَّدُ
وراح عليهِ المجدُ يبكي تأسُّفاً … وقَلْبُ المعالي بالمرائر يَفسُدُ
وراح من السريان مجمعُ شرفةٍ … يُقرُّ لهُ بالفضل في ما يجدِّدُ
ومجمعُ واتيكانَ يندب فَقْدَ مَنْ … لديهِ تقاليد الطوائف توجَدُ

وهي طويلة منها قولهُ في قبر الفقيد:

عليك سلامُ الله ما ضاء فرقدٌ … ودمتَ بقطر الغيث تُسقَى وتُقصَدُ
سألتُ الهي ان يمنَّ بفضلهِ … عليَّ بتقبيل الضريح فأحمَدُ
واغسل ذاك القبر بالدمع فرجةً … لانَّ غليلي بالدموع يُبرَّدُ

وممن اشتهر بين كهنة السريان الخوري «يوسف معماد باشي» المارديني تلميذ مدرسة بروبغندا ودير الشرفــة رحل الى اميركا سنة ١٨٨٠ وسطَّر اخبار رحلتهِ في كتاب دعاهُ ارشاد القريب والبعيد الى معرفة العالم الجديد. توفي سنة ١٨٧٩

وكذلك عُرف كاهن فاضــل كان من تلامذة مدرستنــا في غزير ومدرسة الشرفة الخورفسقفوس «ميخــائيل دلّال» تولى كتابة الاسرار للبطريرك جرجس شلحت زمناً طويلاً وكان شاعراً مجيداً · ومن اثارهِ روايات ادبيَّة كإحسان الانسان

والنفح العاطر في الفتى المهاجر والفتاة الخرساء. ولهُ ديوان شعر غير مطبوع فمن اقوالهِ الزهديَّة :

أرى الدنيا جاها لا يطولُ وزُخرفها برمَّتهِ يزولُ
فعزَّتها وبهجتها خيالٌ وزهرُ الحقل برهان دليلُ
فهذا الزهرُ عند الصبح يزهو ويفتك في المساء بهِ الذبولُ
فكيف الناس في لهوٍ حيارى وراسهم تدور بهِ الشمولُ
ألا ليت الانامَ يعون قولي ففي الاخرى لهم خيرٌ جزيلُ

وقال من قصيدة طويلة في مديح لاوون الثالث عشر :

حبرُنا لاوونُ مَن قدرًا سما وتعالى سؤددًا دون مثَلْ
مَن حباهُ الله اوفى منحةٍ اذ رآهُ مستحقًا للنحَلْ
خلف المغبوط شمعونَ الصفا مَن مفاتيحَ السماوات اقتبلْ
فبنى نصرًا لحق الدين في كل حالٍ منه لا يحوي بدَلْ
وازاح الستر عمَّا قد فشا من ضلال الكفر في كل محلْ
إن أقُلْ فيهِ ختامًا قد غدا محوَرُ الدنيا عليهِ لا جَدَلْ

توفي القس ميخائيل دلال سنة ١٨٩٤

وقد جارى الاكليروسُ الكلدانيّ اخوتَهم السريان في رفع لواء الآداب الا ان همتهم كانت مصروفة الى لغتهم فانَّ مطبعتهم في الموصل عُنيت خصوصاً بنشر الآثار الكلدانيَّة. على انَّ البطريرك «جرجس عبد يشوع خيَّاط الموصلي» كان يتقن اللغتين السريانيَّة والعربيَّة ولهُ في كلتيهما مصنفات. ومن تآليفهِ العربيَّة مجموع بالنثر والنظم لافادة طلبة المدارس دعاهُ روضة الصبي. ولهُ فصول في التواريخ القدسيَّة عرَّبهُ من تاريخ بيليز (Belèze) وذيَّلهُ وطبعهُ في مطبعة الآباء الدومنيكان. توفي السيّد عبد يشوع سنة ١٨٩٩

وممن عُني من الكلدان بنشر الآثار العربية القس يعقوب نعمو نشر كتاباً جليلاً للبطريرك النسطوري ايليا الثالث المعروف بابي الحليم ابن الحديثي في القرن الثالث عشر يُدعى التراجم السنيَّة للاعياد المارونية يحتوي عددًا من انفس الخطب الدينيَّة

وابلغها كلّها مسجعة يقرّ لها بالبلاغة كل من يسمعها · وقد نشرنا في المشرق خطباً له لم نجدها في هذا المجموع

امّا الروم الارثذكس فقد اشتهر في اكليرسهم بالآداب العربيّة السيد «جراسيموس يارد» مطران صيدنايا ومعلولا زحلة · كان مولده في راشيا سنة ١٨٤٠ وبعد درسهِ في مدرسة طائفته في دمشق علّم في مدرسة حماة ثم أُرسل الى موسكو سنة ١٨٥٨ لتدبير اونطش ملّتهِ فيها فوجّهت اليهِ الدولة الروسيّة انظارها ودعتهُ الى تدريس اللغات الشرقيّة في مدارسها وقد ألّف هناك كتباً بالروسية طُبعت على نفقة الدولة منها تاريخ فوطيوس في نظر الروم · وفي السنة ١٨٨٣ عاد الى بلاد الشام وخدم الكرسي الانطاكي بنشاط حتى رُقي الى رتبة الاسقفية سنة ١٨٨٩ فدبّر ابرشيَّتهُ عشر سنوات وكانت وفاتهُ في ايلول سنة ١٨٩٩ · وممّا تركه من الآثار تعريب كتاب خلاص الخطأة ورواية اقوار بيلاطس وكراريس في الرتب والطقوس والاعياد الكنسية · وكان خطيباً مفوّهاً

*

«البستانيّون» نقدّم ذكرهم على بقيَّة الادباء العالميين الذين اشتهروا في ترقية الآداب العربيَّة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر · وكان اشهرهم المعلم (بطرس البستاني) فانهُ وُلد في الدبيَّة من اقليم الخرّوب سنة ١٨١٩ من عائلة مارونيَّة وجيهة وفي صغرهِ تلقَّى العلوم في مدرسة عين ورقة وهو يريد الانتظام في سلك الاكليروس ثم جنح الى البروتستانيَّة واخذ عن مرسليها المعارف المستحدثة ودرس عليهم العبرانيَّة وعلّم في مدرسة اعبيه لرسالتهم الاميركيَّة واظهر من الاجتهاد في التحصيل والبراعة في التعليم ما حبَّبهُ الى اصحاب تلك الرسالة كالدكتور عالي سميث والدكتور ڤان ديك فاستدعوهُ الى بيروت لموازرتهم في اعمال مطبعتهم فساعدهم في عدَّة تآليف اخصّها ترجمة التوراة من العبرانيَّة الى العربيَّة وتولى مدَّةً منصب الترجمة في قنصليَّة اميركا ثم تفرَّغ للتأليف ووضع عدداً من الكتب المدرسيَّة في الصرف والنحو والحساب ثم باشر بقاموسهِ المطوّل المعروف بمحيط المحيط واختصره في قطر المحيط فنال من السلطان عبد العزيز الوسام المجيدي من الطبقة الثالثة ومبلغاً وافراً من المال كجائزة على عمله ·

ولمّا رأى الصحافة في سوريّة ضيقة النطاق عدل الى انشاء الصحف فحرَّر مع آله الجنان والجنَّة والجنينة وكان الجنان مجلّةً تتضمَّن المباحث السياسيَّة الحرَّة والمقالات العلميَّة والتاريخيَّة والادبيَّة ثم عهد الى ابنهِ سليم مواصلة هذا العمل وابتدأ اوَّل دائرة علميَّة ظهرت في اللغة العربيَّة فابرز منها سبعة اجزاء قبل وفاته · وكان المعلم بطرس مع وفرة هذه الاعمال يتعاطى التدريس فأنشأ في بيروت مدرستهُ الوطنيَّة التي نالت بهمَّتهِ نجاحاً الى ان اضطرتهُ اعباء الاشغال الى انتداب ابنهِ سليم الى ادارتها ثم أُقفلت بعد حين · وكانت وفاة المعلم بطرس فجأة في غرَّة ايار سنة ١٨٨٣ وممن رثاهُ الشيخ خليل اليازجي فقال من قصيدة:

يا قُطْرَ دائرةِ المعارفِ والحجى ومحيطَ فضلٍ فاض في إمدادهِ
تبكي العلوم عليك واللغة التي بقريضها ترثيك في انشادهِ
فاذا المحيط بكاك لم يكُ دمعهُ دون المحيط يزيد في إزبادهِ
يبكي الحسابُ عليك متَّخذًا لهُ دمعاً يسيل عليك من أعدادهِ
تبكي المدارس والجرائد حسرةً والشرق بين بلادهِ وعبادهِ

وفي السنة التالية ١٨٨٤ نشبت مخالب المنون في نجلهِ «سليم البستاني» وكان سليم يتقيَّل أباهُ في نشاطهِ وهمتهِ وآدابهِ وقد ساعدهُ في تحرير مجلَّة الجنان فكتب فيها فصولًا واسعة وتولَّى ادارة صحيفة الجنَّة وانجز الجزء السابع من دائرة المعارف ونشر جزءَهُ الثامن · ولم يظهر من هذا التأليف بعد ذلك الَّا ثلاثة اجزاء تولَّى نشرها شقيقاهُ البستانيَّان نجيب ونسيب ولاسيما ابن عمّهم سليمان النابغة الشهير المتوفَّى حديثاً ولعلَّ الباقي لن يُنشَر ابدًا · وكان الاجدر بمؤلف هذه الدائرة ان يقسّم الشغل على جملة من الكتبة فيتولَّى كلٌّ منهم تحرير القسم الخاصّ بهِ فانَّ ذلك كان أضمن لانجازها فضلًا عن كونهِ أشمل لموادّها واوفى بفوائدها فانَّ هذه الدائرة مع محاسنها بعيدة عن الدوائر الاوربيَّة التي يتولَّاها قومٌ من الاختصاصيين · ومن اكبر خللها انَّ موادّها الشرقيَّة قليلة فان مؤلفيها نقلوا خمسةً او ستة من الكتب العربيَّة الشائعة ولم يعنوا بالبحث عن كثير من المطالب التي تهمُّنا من تاريخ بلادنا

ولسليم البستاني روايات قصصيَّة نشر كثيرًا منها في الجنان وروايات تمثيليَّة كرواية الاسكندر وقيس وليلى جرى تمثيلها في الجمعيَّة السوريَّة وكان احد اعضائها

المتازين . ونُشر ايضاً باسمهِ تاريخ فرنسة بمجلّد كبير وانّما الفضل في تأليفهِ لجناب الشيخ خطّار الدحداح . توفي سليم البستاني في ١٣ ايلول ١٨٨٤ وكان مولدهُ في اعبيه في ٢٨ ك ١ سنة ١٨٤٨ وكان في العربيّة احد المتخرّجين على الشيخ ناصيف اليازجي

وممن شرّفوا الاسرة البستانيّة بآدابهم دون ان تصيبهم في دينهم شائبةٌ كالمعلم بطرس وابنه سليم السيّدُ الجليل ﴿ بطرس البستاني ﴾ رئيس اساقفة صور وصيداء على الموارنة (١٨١٩–١٨٩٩) واحد تلامذة عين ورقــة خلف عمّهُ المطران عبدالله البستاني منشئ مدرسة مشموشة في تدبير كرسي صور وصيدا وكان متضلعاً بالعلوم الدينيّة والفقهيّة واشتهر بتعليم الحقوق والفرائض واتخذهُ مدّة السيّد البطريرك بولس مسعد لكتابة اسرارهِ الى ان سامــهُ اسقفاً سنة ١٨٦٦ واستصحبهُ الى رومية في رحلتهِ اليها سنة ١٨٦٧ احتفالاً بالتذكار المئوي لاستشهاد القديسين الرسولين بطرس وبولس وسنة ١٨٧٠ لحضور المجمع الواتيكاني . توفي في ٢ تشرين الثاني ١٨٩٩

وقــد اشتهر من الاسرة البستــانيّة غير هؤلاء سيأتي ذكرهم في تاريخ آداب العربيّة في القرن العشرين . فانهم اجمالاً قد حقّقوا معنى اسمهم فأغنوا الآداب بما غلّهُ بستانهم من الاثمار الجنيّة

ومن مشاهير لبنــان في الادب وفنون الكتابــة ﴿يوسف حبيب باخوس﴾ الكسرواني الغزيري من الاسرة الباخوسيّة الشائعة الفضل وُلد في ٥ ايار سنة ١٨٤٥ في غزير وفيها توفي سنة ١٨٨٢ في ريعان شبابهِ وقد ادّى للآداب العربيــة مع قصر حياتهِ خدماً مشكورة . فانّهُ بعد ان تلقّن العلوم في مدرسة مار عبــدا هرهريا قريباً من عرامون انقطع مــدّةً للتدريس في مدرسة عينطورا ثم في مدرسة الحكمة في بيروت حتى انتدبتهُ حكومة دولة ايطالية الى تحرير جريدة عربيّة في كاليــاري من اعمال سردينية فرضي بذلك وباشر بالعمل وانشأ جريدة «المستقلّ» وحرّرها سنتين . ثم حرّر جريدة البصير في باريس خدمةً للمصالح الافرنسيّة وقد اصابت الجريدتان بهمّتهِ بعض النجاح لولا ان المرض احوجهُ الى مغادرة القلم للاهتمام بصحتهِ . فرجع الى وطنهِ وما نشب ان توفي . وقد نشر المشرق ترجمةً مطوّلةً بقلم احد آلهِ الادباء نجيب افندي باخوس (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ١٥١ و٤٩٧) وهناك عدّة مقاطيع نثريّة وشعريّة تشهد لهُ بانسجام الكلام ورقّة النظم والتفنن في الكتابة فعليك بها . وكذلك مرّ لنــا

وصفهُ للربيع في باريس (في المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٣٤٨) ولدمار پومپاي (٣ : ٤٦٢) وقصيدتهُ في حكمة النفس (٣: ٣٢٢) وليس في الاعادة افادة

وفي السنة ١٨٨٣ رُزئت الآداب باحد ابناء عائلة شريفة في بيروت المرحوم «سليم بن موسى بسترس» كان مولدهُ في بيروت في ٢٩ آب سنة ١٨٣٩ واقبل صغيرًا على درس الآداب العربية وبعض اللغات الاجنبيَّة وفي السنة ١٨٥٥ تجوَّل في انحاء اوربَّة وزار عواصمها. وقد وصف رحلتهُ في كتاب طبعهُ في المطبعة السوريَّة دعاهُ النزهة الشهية في الرحلة السليمية. ثم تعاطى بعد ذلك الاشغال التجاريَّة في الاسكندريَّة ثم انتقل الى انكلترة وسكن ليڤربول ولندن واتَّسعت هناك اشغالهُ وعُرف بفضله وسخاء يدهِ فتوفَّر عدد اصحابه بين وجوه البلاد واعيانها ونال من محاسن الامبراطور اسكندر الثاني التعطفات الفائقة وحاز الامتيازات الخاصة وكذلك الدولة العثمانية منحتهُ اوسمتها العالية الشان. وكانت وفاتهُ في لندن في ٣ شباط سنة ١٨٨٣ لكنَّ جثتهُ نُقلت الى بيروت فدُفن في ضريح عائلتهِ وقد رثاهُ كثير من الادباء نثرًا ونظمًا بنخبة الاقوال التي جُمعت في كتاب خاصّ. فمن رقيق ما قيل عن لسان الفقيد عند نقل جثتهِ الى بيروت ابيات لالياس افندي نوفل:

لمَّا قضى السُّقمُ ان يسطو على بدني … قد رقَّ حتى رأيتُ الروح تُثقلني
فقلتُ: لا تدفنوا جسمي بغربتهِ … فالشرق اقربُ تربًا الى عدنِ
هناك فوق رباهُ خيرُ مَن تركتُ … عيني وتحت ثراهُ خيرُ مُرتَهنِ
قد جئتكم اثرًا يا جيرتي وانا … م العينُ التي شخصت للاهل والوطنِ
فعنده مشهد نعشي فاندبوا اسفًا … صباي او عند قبري فاذكروا زمني
اودعت جسمي لديكم في المات وكم … اودعتكم في حياتي القلبَ في شجني
فاستعطفوا الله من اجلي فرحمتهُ … هي الغناء لنفسي يوم يحشرني

وكان سليم دي بسترس شاعرًا بليغًا لهُ منظومات متعدّدة جمع فيها بين سلاسة الكلام ولطف المعاني. فممَّا استحسناهُ من نظمهِ قولهُ وفيهِ ما يدلُّ على ايمانهِ:

لا شيءَ غير نفوسنا يتخلَّدُ … تلك البقيَّة غيرها لا يوجدُ
وسواؤها فوق البسيطة كلهُ … يفنى وضمنَ ترابها يتوسَّدُ

روحٌ إلهُ الكون ارسلها الى جسد الفنا نورًا بهِ يتوقدُ
فتقود ذاك الجسمَ في طرق الهُدى وترى لهُ الحقَّ المبين وترشدُ
حتى اذا كملَتْ مواعيدٌ لها نادى بها موديَ اليَّ فتصعدُ
وتُفارق الجسم الذي سُجنَتْ بهِ بحياتهِ والى السعادة تقصدُ
حتى اذا تمَّ المعادُ وقد أتى يومٌ بهِ كلُّ الخلائق تُحشَدُ
تعطي الى رب العباد حسابها في محفل فيهِ الملائكُ تشهدُ
في ساعةٍ يا هولها من ساعةٍ ان لم تكن فيهِ الفضائل تعضدُ
وتبيت مع طغمات اجنادِ العلا تجثو الى العرش المنير وتسجدُ
وتشاهدُ المجد المشعشعَ نورُهُ وتسبّح الربَّ العظيم وتحمدُ

ولهُ تهنئة في عام جديد :

اتى العام الجديدُ يزيد عامًا بتاريخ المحبَّة والودادِ
على قدر السنين اليك جدى تحيات السليم على بعادِ
اسرُّ بكلّ عامٍ حيثُ فيهِ محبَّتنا تدومُ على التمادِ
وان كنتُ البعيد فانَّ قلبي على طول المدى بين الايادي
اوكّلهُ ينوبُ اليوم عني بتقديم التحيات الجدادِ

﴿ المعلّم ابراهيم سركيس ﴾ هو اخو الوطني الشهير خليل افندي سركيس صاحب مطبعة الآداب ومنشئ جريدة لسان الحال كان مولدهُ في اعبيه سنة ١٨٣٤ من عائلة مارونيَّة الَّا انهُ درس على المرسلين الامريكان فجنح الى مذهبهم وصار احد شيوخ الكنيسة الانجيليَّة في بيروت وعلَّم في احدى مدارسها. ثم اشتغل عدَّة سنين في مطبعة الامريكان فأحكم صناعة الطباعة وتولَّى تصحيح المطبوعات ومبيع الكتب الى ان توفي في ١٠ نيسان سنة ١٨٨٥ : وكان ذكي الفؤاد محبًّا للعلوم محسنًا للكتابة وقد نفع مواطنيهِ بعدَّة مصنَّفات تأليفًا وتعريبًا اخصّها الدرّ النظيم في التاريخ القديم والدرَّة اليتيمة في الامثال القديمة وصوت النفير في اعمال اسكندر الكبير والاجوبة الوافية في علم الجغرافية واوضح الاقوال في متلف الصحة والصيف والمال وتحفة الاخوَين الى طلبة اللغتين (عربي وانكليزي). ولهُ تآليف اخرى دينيَّة

وكان ينظم ايضاً فمن منظوماته ترانيم روحيَّة في مجموع اغاني البروتستانت · هـذه ترنيمة منها في الحرب الروحية :

١ هلمَّ جميعًا قريبًا بعيدْ فها صوت بوقٍ لاجل القتالْ
جنودُ الاعادي تراها تريدْ فهاتوا سلاحاً لذاك النزالْ

قرار

مرنّمين نحن مرنّمين سيوفكم احملوا هاجمين
هوذا الحربُ شديد طويلْ سيروا بقوّات ربّ اسرائيلْ

٢ عدوّي امامي بصفّ القتالْ فأثبتُ لا عن طريقي أحيدْ
ونعمتُنا قوّتي ذو الجلالْ فسيروا بايمان عزمٍ وطيدْ . . .

وممَّا نظمهُ فنشره تحت رسمهِ :

وان نُقض البيتُ الذي انا ساكنٌ فلي في السما بيتٌ من اللهِ قد بُني
ونفسيَ تحيا عند فاديَّ دائمًا وان يكنِ الجسمُ الترابيُّ قد فني

﴿اسكندر ابكاريوس﴾ وتوفي في هذه السنة ١٨٨٥ في ٢٣ ك ١ كاتب آخر اصاب بعض الشهرة في اوربَّة فضلًا عن الشرق بمنشوراتهِ العربية اعني بهِ اسكندر اغا ابكاريوس وكان ابوهُ يعقوب بن ابكار ارمنيًّا غريغوريًّا ذا شأن يسكن بيروت فلمَّا مات أرّخ وفاتهُ الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٤٥ بقوله :

مضى الى الله من طابت سريرتهُ بالله وهو بعفوِ الله مصحوبُ
فقُلْ لمن جاء بالتاريخ يطلبهُ قد صار في حضن ابراهيم يعقوبُ

ونشأ ابناهُ اسكندر ويوحنا على حبّ الآداب منذ حداثتهما وجال اسكندر في انحاء اوربَّة ثمَّ عاد الى بيروت واشتغل بالتأليف ثم دخل مصر وخدم اصحابها ومدحهم فاجازوهُ بتقليدهِ عدَّة مناصب. وتوفي اسكندر في اواخر سنة ١٨٨٥ في بيروت وكان اتى الى وطنهِ طلباً للعلاج من مرض السَّحج. ولهُ مصنَّفات مفيدة انبأ في تأليفها بحسن ذوقهِ وكثرة مطالعتهِ منها كتابهُ «نهاية الارب في اخبار العرب» طبعهُ اوَّلًا في مرسيلية سنة ١٨٥٢ ثم زاد عليهِ وجدَّد طبعهُ في بيروت في المطبعة الوطنيَّة سنة ١٨٦٧ . وألَّف سنة ١٨٥٨ كتاب روضة الادب في طبقات شعراء

العرب قرّظهُ كثيرون من الادباء منهم الشيخ ابو حسن الكستي حيث قال من ابيات :

لله روضةُ آداب لقد جمعتْ اوراقُها غرَّ الأخبار والسِيَرِ
ناهيك من طبقاتٍ شاد محكمها اسكندرٌ فاحتوت من مبدع الاثرِ

ولاسكندر ابكاريوس ديوان شعر لم يزل مخطوطاً وكتاب ديوان الدواوين في اجود المتقدّمين والمتأخرين وكتاب نزهة النفوس وزينة الطروس . ولهُ ترجمة ابراهيم باشا دعاها المناقب الابراهيميَّة والمآثر الخديويَّة وكلُّها مسجَّعة يتخلَّلها الشعر في آخرها قائمة تآليفهِ . ومثلها ايضاً المآثر الخديويَّة ووزراء الحكومة المصريَّة نشرها في اعداد الجنان سنة ١٨٧٤ وكتاب التحفة الغرَّاء في محاسن تونس الخضراء . ولهُ تاريخ مخطوط في المكتبة الخديويَّة(٥ : ١٧١) قدّمهُ لمصطفى فاضل باشا وسمَّاهُ نوادر الزمان في ملاحم جبل لبنان . ومن شعرهِ قولهُ يهنئ الخديوي سعيد باشا لمَّا زار بيروت سنة ١٨٥٩ :

شرَّفتنا فتزيَّنتْ اقطارنا وزهت معالمها وطاب المَوْرِدُ
وتنوَّرت بيروت حتى اصبحتْ من نور مجدك كوكباً يتوقَّدُ

وقال يمدح ابراهيم باشا :

همامٌ كان في الدنيا فريداً وركناً في المهمَّات العظامِ
ولا زالت وقائعهُ المواضي مخلَّدةً على طول الدوامِ
وقائع لو رآها الطفلُ يوماً لشاب لهولها قبل الفِطامِ

وقال في محمَّد توفيق باشا اذ كان ولي العهد :

يا من بهِ آمالنا تتعلقُ ونفوسنا للقائهِ تتشوَّقُ
فيك الفضائل واللطائف والتقى والمكرمات وكل حسنٍ يُرْمَقُ
لم تجتمع فيك المحاسن انما منك المحاسنُ كلُّها تتفرَّقُ
تاهت بكم مصر السعيدة عزَّةً وغدا جبين العصر فيكم يشرقُ
لا زلت للقصَّاد احسن كعبةٍ وطريق رزق بابهُ لا يُغلَقُ

واسلم ودمْ في غبطةٍ وسعادةٍ ... وتُدام مأمولاً وانت موفَّقُ

امّا «يوحنا ابكاريوس» اخو اسكندر فانَّهُ عاش بعده الى سنة ١٨٨٩ وتوفي في سوق الغرب في لبنان وقد جارى اخاهُ اسكندر بتآليفهِ منها كتاب قطف الزهور من تاريخ الدهور طُبع غير مرَّة في المطبعة الامركيَّة وقد تأسفنا لكون مؤلفه ضمَّنهُ بعض الفصول التي تحطُّ من شأن الكنيسة. ولهُ كتاب نزهة الخواطر جمع فيهِ عدَّة اخبار ومقاطيع ادبيَّة وقصص شائقة فطبعه سنة ١٨٧٧. ومن اثارهِ معجم انكليزي عربي مطوَّل اختصرهُ لطلبة المدارس وقد عرَّب ايضاً للامير كان بعض كتبهم الدينيَّة

«اديب اسحق» كان من الطائفة الارمنية الكاثوليكية دمشقي الاصل وُلد في ٢١ك٢ سنة ١٨٥٦ في الفيحاء وتعلّم في مدرسة مرسليها اللعازريين اللغتين الفرنسويَّة والعربية ثم أُغرم بالكتابة والانشاء ونظم الشعر منذ ربع شبابهِ وقدم بيروت ودرس في مدرستنا القديمة في حيّ الصيفي ثم اجتمع بقوم من شبَّانها العصريين فنزع منزعهم واشتغل بالسياسة والتأليف ثم انتظم في سلك جميّة انشأها الماسون سنة ١٨٧٣ وكان المترجَم من اخصّ اعضائها العاملين وقد الغتها الحكومة مدَّةً لتطرُّف اصحابها وطَعنهم في الحكومة والدّين كمألوف عادتهم. ثم تولّى تحرير جريدة التقدُّم فضمَّنها فصولاً ثوريَّة دحضتها جريدة البشير. ثم تنقَّل بعد ذلك فسافر الى فرنسة ثم عاد الى مصر وكتب في عدَّة جرائد وانشأ جريدة مصر ولمَّا حدثت الثورة العرابيـة انكفأ الى بيروت وسكنها مدَّة ثم بارحها الى مصر وحرَّر في جرائدها الى ان أُصيب بداء السلّ فاقفل راجعاً الى سواحل الشام ولم يلبث أن توفي في قرية الحدث قريباً من بيروت في ١٢ حزيران سنة ١٨٨٥ وهو في عزّ شبابهِ ودُفن دفناً مدنياً. وكان اديب اسحاق سلس القلم سريع الخاطر ذلق اللسان الَّا ان مجاهرتهُ بمعاداة الدين واتباعهُ للتعاليم الماسونية اظلما عقلهُ وافقداهُ اصالة الرأي وسداد الفكر في امور كثيرة. وكان انشاؤهُ عصرياً يتشبَّه فيهِ بانشاء كتبة الفرنج وها نحن نذكر من نثرهِ فقرة كتبها في «الجزويت» تفكهةً للقرَّاء وبياناً لما اقرَّ بهِ من صفاتهم وهو الدُّ اعدائهم

«ما ادراك وما رهبانيَّة الجزويت؟ طائفة من اهل الكهنوت على مذهب الكاثوليك يبلغ عددهم ثمانية آلاف او يزيدون (اليسوعيون اليوم ثمانية عشر الفاً) ... وهم اهل العلم والسياسة (كذا) والذكاء والاجتهاد والهمَّة والفضل والثبات والبأس لا يعارضهم في ذلك معـارض ولا

يُذكَر شأوهم فيه . يُنشئون المدارس ويجلبون المنافع ويكشفون النوامض ويستخرجون أسرار العلوم منتشرين في اقطار الارض واصلين بياض النهار وسواد الليل سعياً في تعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين وتمدين الاقطار وجمع آثار المعارف »

ثم شوّه الكاتب هذه المحامد بما نقلهُ من تُهم اعداء الجزويت فجعلها على لسانهم مع كونها مضادّة تماماً للفقرة السابقة فروى عن اولئك الخصوم ان الجزويت «يجيزون الكذب ويتسامحون في السرقة ويحللون القتل» الى غير ذلك من الترهات التي تُضحك الثكلى وابطلها الكاتب من حيث لا يدري بنسبتها الى اعداء الدين فقال :

« وذلك بعض ما يدّعيه اعداء الجزويت وما اعداؤهم بقليل فان فرقة البروتستانت وهي الوف الوف وجماعة الماسون واهل حريّة الضمير اي الذين لا يدينون بدين كل هؤلاء لو تمثَّل لهم الجزويتي في الماء لما وردوهُ وان كانوا ظماء !!! »

وكأنَّ بالكاتب احسَّ ما في نقلهِ مثل هذه السفاسف من العار فالقى التبعة على القائلين كأنَّ الناقل لا يحتاج الى التروّي في صحة ما ينقلهُ لاسيما بعد مدحهِ للجزويت واقرارهِ بما عرفهُ فيهم من «الفضل والهمَّة والثبات وتعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين» فقال يبرّئ نفسهُ ممَّا نقل جزافاً :

«وانَّا لنبرأ من موافقتهم على جميع ذلك او على بعضهِ ولا تبعة علينا في الحكاية نحن نقلهُ وليس على الناقل من سبيل (كذا)»

ولاديب اسحاق شعر حسن نختار منهُ قولهُ في وصف المرأة :

حسْبَ المرأةَ قومٌ آفةً	مَن يدانيها من الناس هلكْ
ورآها غيرهم أُمنيَّةً	ملكَ النعمةَ فيها مَن ملكْ
فتمنَّى معشرٌ لو نُبذتْ	وظلام الليل مشتدُّ الحلَكْ
وتمنَّى غيرهم لو جُعلت	في جبين الليث او قلب الفلكْ
وصوابُ القولِ لا يجهلهُ	حاكمٌ في مسلك الحق سلَكْ
انَّما المرأة مِرآةٌ بها	كلُّ ما تنظرهُ منك ولكْ
فهي شيطانٌ اذا افسدتَها	واذ أصلحتَها فهي ملَكْ

وقد جمع الاديب جرجس افندي نحّاس منتخبات من انشاء الاديب فطبعها

بكتاب دعاهُ الدرر واعاد فيها النظر اخو المترجم عوني بك اسحق . والمترجم غير ذلك من التآليف لاسيما روايات عربها او صنفها كاندروماك ورواية الباريسية الحسناء.

﴿الياس صالح﴾ توفي ايضاً في سنة ١٨٨٥ في ١٥ ايلول . وهو الياس بن موسى بن سمعان صالح ولد في ٢٦ ك ٢ ١٨٣٩ في اللاذقية من أسرة وجيهة من طائفة الروم الارثوذكس وبعد دروسهِ مبادئ العلوم في وطنهِ تمكن بكدهِ وذكاء طبعهِ وثباتهِ من التاليف ونظم الشعر وخدم عدة سنين كترجمان القنصلية الاميركية وكعضو في محكمة الدولة التركية. وسافر الى مصر ومدح حضرة الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ بقصيدة مطلعها :

البِشرُ في قطر مصرٍ فاح عاطرهُ والبُمن قد نوَّرت فيهِ ازاهرهُ

يقول فيها :

ربُّ المكارم اسماعيلُ مَن شرُفت بهِ المعالي وزانتها مفاخرهُ
مولى عليُّ اثيلُ المجدِ باذخهُ شديدُ عزمٍ سديد الرأي باهرهُ
منيفُ فضلٍ وريفُ العدل ناشرهُ كثير حلم غزير الجود زاخرهُ
همومُ كل كئيبٍ فهو فارجها وكسرُ كل كسيرٍ فهو جابرهُ
ركابهُ السعدُ بالاقبالِ يخدمها وجيشهُ الله أنَّى سار ناصرهُ

كانت وفاة الياس صالح في وطنهِ وأبقى من بعدهِ آثارًا منها نظم المزامير عُني نجلهُ رفيق افندي بطبعهِ ولهُ تاريخ مطوَّل لمدينة اللاذقية وطنهِ لم يُطبع وعرَّب عدة تآليف تاريخية من الافرنسية ولهُ ديوان شعر . وكان متقناً للغة التركية فعرَّب بعض تآليفها كالدستور الهمايوني وقوانين الدولة

وكان المرحوم الياس صالح تقيًا متعبدًا للعذراء وقد نظم في مديحها عدة اناشيد نشرت في ديوانهِ (ص ١٣٤-١٤٤) كقولهِ :

كلّ من في مدح مريم قد تغنى وترنَّم
من خطوب الدهر يسلم آمناً كل المعاطب

زاد في الدنيا بلائي وحنى ظهري شقائي

بكِ علّقتُ رجائي يا رجا اهل المتاعبْ

انت في كلّ بليَّةْ مُلتجى كل البريَّهْ
من دعاكِ يا تقيَّةْ فهو لا يرتدُّ خائبْ

في الخطايا ضاع عمري وغدا جهلي وشرّي
لكِ قد سلّمتُ امري فاقبلي من جاء تائبْ

ولالياس المذكور سميٌّ آخر عُرف مثلهُ بالياس صالح من ملتهِ ولعلهُ من قرابتهِ اشتهر بعدهُ بقليل. ولد في بيروت سنة ١٨٦٩ وقيل ١٨٧٠ وتلقّى العلوم في الكليَّة الاميركانية ونبغ في العربية الّا ان الموت لم يسمح لهُ بخدمة الآداب زمناً طويلاً فقصفته المنية غصناً رطباً في ٢ حزيران سنة ١٨٩٥ وكان سافر الى مصر فكتب في جريدة المقطَّم ولهُ قصائد كثيرة وكان سلس النظم مبتكر المعاني يقول الشعر عفواً وكان حرّ الافكار يجاري في ذلك بعض المحدثين. ولهُ قصيدة في الحرّيَّة مزج فيها الغثَّ بالسمين. ومن اقوالهِ الزهديَّة الحسنة ما ورد لهُ في جملة موشَّح :

يا الهي من ذنوبي والخطا مُلْءُ الدَّلْوُ لعقد الكُرَبِ
وفد الشيب بفَوْدي وخطا واحاطت بي دعاوي الكِرَبِ
يا مليكي في يدي قد سُقطا وانا بعدُ انا لم أَتُبِ
أنا في دم فادي الأنا ارتجي تطهير كل الدنسِ
فهو عوني كلّما الخطبُ طما وادلهمّ الهمُّ وسط الحندسِ

ومن ظريف قولهِ لغزٌ في اسمهِ (الياس صالح) :

أفصحْ لنا يا صاحبي ولك منّا المننُ
ما اسم فتى تفسيرهُ قطعُ الرجاء حسَنُ

ولهُ في ذمّ النحو متفكّهاً :

ما ذا الذي يهمّني أن قامَ زيدٌ او قعدْ
او ان ذهبتُ ماشياً او راكباً نحو البلدْ

او كان زيدٌ مبتدًا | او فاعلًا سدّ المَسَدّ
او ان يكُنْ ذا الامُ يبنى م او يَكُنْ هذا يُجَدّ
تَصالح الفعلانِ او | تنازعا طول الابدْ
في النحو لا تَقْهرُني | الّا تفاصيل العدَدْ
وأصلُ التفضيل كم | قد شذّ فيهِ وشرَدْ
وغيرُ هذي عُقَدٌ | تبًّا لحاتيك العُقَدْ
ترى بها قواعدًا | بدون معنى وزَبدْ
مختومةٌ جميعُها | بقِسْ عليهِ ما وردْ

وقال يصف سفينةً سافر عليها :

تلك السفينة بسم الله مجراها | على دموعيّ مسراها ومرساها
تجري وفي قلبها النيرانُ موقدةٌ | مثلي كأنَّ هوى الاوطان اشجاها
سكرى تميد بنا فيها فتُسكرهم | وهمًا فكيف اذا ذاقوا حميَّاها
وليس بدعٌ اذا سارت بنا مرحًا | فتلك جاريةٌ يهتزُّ عطفاها
هيفاء لكنّها بالقار قد خُضِبت | كالخَوْد يُخضَب بالحنّاء كفّاها
سلطانةُ البحر اذ ترسو يحيط بها | من القواربِ جندٌ من رعاياها
وان سرَتْ نشرتْ أعلامها وشدا | صوت البخار لها والموج حيّاها
طورًا تُرى في قرار اليمّ غائصةً | وتارةً فوق هام السُّحبِ تلقاها
لم انسَ ليلة بتنا والرفاقُ بها | نرى النجوم ولو شئنا مسَسْناها
وحولنا الماء من كل الجهات ولا | شيءٌ سوى الماء يغشانا ويغشاها

﴿انطون صقّال﴾ هو ايضًا احد رجال النهضة الادبية التي حصلت في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولد في ٣ آذار سنة ١٨٢٤ وتوفي في الشهباء في ٨ كانون الاول سنة ١٨٨٥ . اقبل على الآداب صغيرًا وتعلّم اللغات الشرقيّة والاوربيّة في مدرسة عين ورقة ثم في حلب ومالطة . وخدم في هذه الجزيرة المعارف زمنًا طويلًا ثم رافق الجنود الانكليزيّة في حرب القريم بصفة ترجمان اول سنة ١٨٥٤ . ولهُ مراسلات نثريّة ومنظومات شعريّة ومقالات ادبيّة تنوّه بفضلهِ ووفرة اطلاعهِ

على دقائق اللغة . ولهُ ديوان شعر اكثرهُ حكم لم يُطبع . وقد نشر منهُ شيئاً نجلهُ الاديب ميخائيل افندي صقال في كتابهِ السَّمَر في سكَّان الزهرة والقمر وهو على شكل رواية فلسفية ضمَّنهُ رؤيا خيالية شخَّص فيها والدهُ بعد وفاته نازلاً من مقامهِ في الزُّهرة ليُعلمهُ ما يجري في العالم الآخر وقد ادَّعى فيها الكاتب بعض المدَّعيات الغريبة التي تبعد عن التصديق او قُــلْ انَّها تمويهٌ وتلفيق لولا كونها من اضغاث الاحلام . ومما روى في كتابهِ لوالدهِ من الشعر قصيدتهُ العينية ومنها :

تـدورُ بيَ الأسواءُ لم أدرِ مأمّي ... وما ليَ إسعافٌ بذي الدار من عينِ (١

ودهري وقد انفقتُ دينارَ حظِّهِ ... يطالبني بالاصل منهُ وبالعينِ (٢

فيا أيها الدهر الخؤونُ ألا ارتدعْ ... على انني ما بتُّ العينَ بالعينِ (٣

فعين الهوى دمٌ وآخرهُ دمٌ ... ومعظمهُ ليلٌ فما فيهِ من عينِ (٤

لعمري هم الاعيانُ بالعينِ خُضَّعٌ ... جُثيًّا على عينٍ (٥ اذلاء للعينِ (٦

وفيِّينَ في المكيال والعينُ (٧ شأنهم ... يجودونَ بالارواح فضلاً عن العينِ (٨

يروّون في حقل الاماني بذورَهـا ... بتَسكاب دمع سال كالماء من عينِ (٩

ولهُ قولهُ :

كم اراعي النذلَ حلماً ... وهو مشتدُّ الخصامْ

وألين القول لطفاً ... وهو فــظٌ في الكلامْ

جـاز من جـازاك يا م ... قلبي بقطعٍ وانصرامْ

واعتزلْ من خان عهداً ... واخلُ من سوء اتهامْ

﴿نوفل الطرابلسي﴾ هو نوفل نعمة الله نوفل ولد في طرابلس الشام سنة ١٨١٢ من اسرة وجيهة . ولما ترعرع رافق والدهُ في خدمة محمَّد علي باشا الى مصر فدرس على اساتذتها ثم عاد الى الشام سنة ١٨٢٨ وبعد ثماني سنين سنة ٢٩ حزيران ١٨٣٦ قتل

---

١) واحد الاعيان للاخوة من اب وامّ واحدة
٢) الربا ٣) اي حاضرًا بحاضر
٤) الشمس او شعاعها ٥) نقرة الركبة
٦) النظر ٧) الميل في الميزان
٨) الدينار ٩) ينبوع الماء

والدهُ ظلماً ابراهيمُ باشا وكان خُدع بوشاية اعدائهِ ثم عرف غلطهُ فقدَّم نوفل ابن المرحوم وقلّده عدّة مناصب في بيروت وطرابلس الى ان استقال من الخدمة وتعيَّن كترجمان لقنصليَّتي المانية واميركا في وطنهِ . وقضى بقيَّة عمرهِ في التأليف الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٨٧ . ولهُ تآليف حسنة تشهد لهُ بسعة علومهِ وتنقيبهِ . طُبع منها كتاب زبدة الصحائف في اصول المعارف وسوسنّة سليمان في اصول العقائد والاديان وصنّاجة الطرب في تقدُّمات العرب وهو اعظمها فائدة . ونشر عدَّة مقالات في جرائد بيروت ومجلّاتها لاسيما الجنان . وقد عرَّب عن التركية كتاب قوانين المجالس البلديَّة وكتاباً في اصل ومعتقدات الأمة الشركسيَّة وكتاب حقوق الامم وكتاب دستور الدولة العلية في جزئين نال عليهِ جزاء من الدولة

ومن آثارهِ المخطوطة «اخبار تاريخية» وهي مجموعة مفيدة من تاريخ جودت باشا التركي ومن كتاب تاريخ بربر لالياس صدفه ومن مطالعات كثيرة منها نسخة في مكتبة الكلية الاميركانية يسعى اليوم بنشرها وتذييلها جناب الاستاذ اسد افندي رستم في مجلّة الكليَّة

ومن انسباء نوفل نعمة الله المذكور «سليم دي نوفل» ولد في طرابلس سنة ١٨٢٨ وبعد ان احرز جانباً من مبادئ اللغة والعلوم في وطنهِ تعيَّن وكيلاً لشركة البواخر الروسية ثم ترك الوكالة وسافر الى اوربَّة وعاين التمدُّن العصري في انكلترة وفرنسة . وبعد عودته الى مسقط رأسهِ اكبَّ على الدرس والمطالعة ونقل الى العربية رواية المركيز دي فونتانج فطبعها سنة ١٨٦٠ وبقي على ذلك مدَّة الى ان انتدبتهُ الدولة الروسية باشارة قنصلها في بيروت الى تدريس العربية في كلية بطرسبورج فشخص اليها مع اهلهِ واقام فيها الى سنة وفاتهِ في خريف سنة ١٩٠٢ بعد ان حصل في عاصمة الروس على عدَّة امتيازات نالها بفضلهِ وسعة معارفهِ ومصنَّفاتهِ حتى نُظم في جملة مستشاري الدولة وكان يعرف لغات متعدّدة يكتب فيها ويتكلم بفصاحة ولاسيما الفرنسويَّة . ومن مصنفاتهِ بالفرنسويَّة سيرة محمَّد صاحب الشريعة الاسلامية وغير ذلك . وكان ينظم في العربية ومن شعرهِ رثاؤه لوطنيهِ وصديقهِ سليم دي بسترس السابق ذكرهُ فقال عند نقل رفاتهِ الى وطنهِ ليدفن في ضريح اسرتهِ :

العبدُ وافى يا سليمُ الى ما   هذا التنائي عن الديار الى ما

ذكر ترجمته (ج١ ص٥٨–٦٥) ولد ابرهيم في دير القمر في ٩ نيسان ١٨٢٣ وجرى صغيرًا على آثار والده وبرع في العربيَّة ودخل ديوان الكتابة في لبنان ثم سافر الى الاستانة وتوظَّف في جملة عمَّال الدولة وامتاز هناك في العلوم الشرعيَّة وتقلَّد منصب الترجمة بنظارة الخارجيَّة مكان والده ثمَّ جاء مع فؤاد باشا سنة ١٨٦١ الى سوريَّة ترجمانًا ونائب رئاسة المجلس الذي فوق العادة. ولاسبابٍ نُفي الى جزيرة مِدِلّي (متلين) على اثر ذلك . وتزوَّج بيونانيَّة من سكانها فولد له بطرس قائم مقام زحلة سابقًا سنة ١٨٦٦ . ثم عاد ابراهيم الى الاستانة فصار عضوًا في مجلس المعارف فاقترح عليهِ تأليف معجم عربي وتركي. ومن ظريف ما مُدح بهِ ابراهيم بك قول الشيخ ناصيف اليازجي فيهِ لمَّا رحل الى القسطنطينية ليستلم مأموريَّتهُ :

خلت الديارُ فلا كرامةَ عندها تُرجى ولا ابنُ كرامةٍ للمُعتفي
هيهات انَّ ابن الكرامة حلَّ في دار الخلافة بالمقام الاشرفِ
سبحان ذي العرش المجيد فقد بدت في شخص ابراهيمَ صورةُ يوسفِ
أصلى بنار فراقهِ قلبي ولا بَردٌ هناك ولا سلاةَ فتنطفي
ذاك الكريمُ ابن الكرام ومَن لهُ الذكر الشهيرُ ومن لهُ اللطف الخفي
ورث الكرامة عن ابيهِ وجدّهِ لكنَّهُ بتليدها لا يكتفي
شهدت لهُ الاتراك بالفضل الذي شهدت بهِ الاعراب دون تكلُّفِ
قد نال ما هو اهلُ ما هو فوقهُ فانظر لأجل الثناء وأنصفِ

ثم عاد ابراهيم كرامة الى وطنهِ سنة ١٨٨٥ واعتزل الاشغال وكانت وفاتهُ في بيروت سنة ١٨٨٨ . فقال يؤرخ ضريحهُ جناب الفيكنت فيليب دي طرازي :

مثوًى غدا في حماهُ الآنَ مضطجعًا مَن كان في قومهِ من اكبر العمدِ
سليلُ بيتٍ رفيع الشأن مشتهرٍ في الشعر والنثر والتدبير والرشدِ
بطلهِ عَلَمٌ قد زانهُ عمَلٌ برأيهِ غُرةً في جبهة الاسدِ
بنو كرامة قد ناحوا عليهِ كما عليهِ ناحت ديار العرب من كمدِ
مضى واحرفُ تاريخٍ لنا رقت حُيِّيتَ يا قبرَ ابراهيمَ للابدِ (١٨٨٨)

وكان ابراهيم بك كرامة مغرمًا بالآداب يتداول الرسائل مع مشاهير عصرهِ

كالشيخ ناصيف اليازجي وجبرائيل الدلّال وكان ينظم النظم الحسن ولهُ ديوان لم يطبع . فمن قولهِ بيتان في تاريخ ظهور جريدة السلام في الاستانة سنة (١٣٠٢–١٨٨٤) :

نُشرت صحيفتنا السلامُ ونشرُها قد طاب يا اهل الوفاء لديكمُ
ان ضنَّ بالخبر الصحيح مؤرخٌ يتلو حوادثهُ السلامُ عليكمُ

ويروى لهُ في فتاة لبست ثوباً وردياً :

ورديّة الخد بالورديّ قد خطرت تميس تيهاً وتثني القدَّ إعجابا
لم يكفِ قامتها الهيفاء ما فعلت حتى اكتست من دم الطلّاب اثوابا

﴿ الكونت رشيد الدحداح ﴾ وفي هذه المدَّة انطفأ سراج حياة احد وجهاء اللبنانيين في فرنسة . اعني الكونت رشيد الدحداح . وليس هو اوَّل من امتاز بين المشايخ الدَّحادحة بذكاء عقله وآدابهِ في القرن التاسع عشر . فان تاريخ لبنان ذكر منهم كثيرين نالوا شهرةً في دواوين الكتَّاب كالشيخ سلّوم الدحداح واخيهِ الشيخ ناصيف كاتبَي الامير يوسف الشهابي في جهات طرابلس ثم عاملَي الامير بشير . وكالشيخ منصور الدحداح ابن سلّوم مدبّر الامور في لبنان مدَّةً (توفي سنة ١٨٦١) . وكالشيخ امين الدحداح رئيس الكتبة عند الامير حيدر وقد ألّف تآليف ادبيَّة منها رسائل وحكم ومراثٍ . وكالشيخ يوسف ابنهِ من شعراء زمانهِ توفي قبل والدهِ سنة ١٨٥٠ وغيرهم من فرسان القلم

الّا ان الشيخ رُشَيد فاق الجميع . ولد سنة ١٨١٣ في قرية عرامون كسروان ثم درس في عين ورقة . وفي سنة ١٨٣٨ اختارهُ الامير امين الشهابي ابن الامير بشير كاتباً لاسرارهِ . ثم خدم لبنان في مناصب شتى لولا أنهُ وجد في وطنهِ من سوء المعاملات واسباب العداء ما حملهُ الى ان يتغرَّب الى البلاد فانتقل الى مرسيلية سنة ١٨٤٥ في صحبة الشيخ مرعي الدحداح الذي كان عاد الى سورية بعد فتحهِ هناك محلًا تجاريًا . فرافقهُ الشيخ رشيد واقترن بابنتهِ وشاركهُ في الشغل الى السنة ١٨٥٢ حيث فتح محلًا تجاريًا لحسابهِ مع اخيهِ سلّوم . لكنهُ بعد حين انقطع الى خدمة العلم والآداب معرضاً عن التجارة فأنشأ جريدة برجيس باريس وحظي لدى الحكومة

الفرنسويَّة واعيانها . ثم اتَّسعت شهرتهُ بين الادباء واتَّصل بباي تونس لمَّا حضر الى باريس سنة ١٨٦٢ فمدحهُ بلاميَّتهِ التي نشرناها في المشرق(٥[١٩٠٢]:١٥٥) وعارض فيها لاميَّة كعب بن زهير فاجازهُ عليها الباي واتَّخذهُ كترجمانه الخاصّ وقلَّدهُ الامور الخطيرة في دولتهِ

ثم عاد الكونت رشيد الى باريس وابتنى فيها قصرًا بديعاً واقتنى قرية دينار في مقاطعة بِرطانية فاجال فيها يد العمارة وشيَّد فيها دارًا فخيمة سكنها مع اهلهِ ولم يزل في آخر حياتهِ يُعنى بالمطالعة والتأليف الى يوم وفاته في ٥ ايار سنة ١٨٨٩ . وللكونت رُشيد من الآثار الادبيَّة ما اكسبهُ اسماً طيباً في الشرق والغرب معاً . فمن ذلك انَّهُ سعى بنشر معجم السيّد جرمانوس فرحات في مرسيلية سنة ١٨٤٩ بعد ان رتَّبهُ وهذَّبهُ واصلح ما فيهِ من الخطإ . ثم طبع فيها ايضاً سنة ١٨٥٥ شرحين مستوفيين على ديوان ابن الفارض للشيخ حسن البوريني وللسيّد عبد الغني النابلسي . وهما الشرحان اللذان اعاد طبعهما المسمَّى محمَّد السيوطي في المطبعة الخيريَّة في مصر سنة ١٣١٠ (١٨٩٣) وساكتاً عن اسم الكونت وانَّما اشار اليه اشارةً خفيفة لئلا يُعرف متولّي العمل فدعاهُ « رشيد بن غالب المجتبي » وكان الكونت اوَّل من نشر كتاب فقه اللغة الذي اعدنا بعد ذلك طبعهُ . ولهُ مقالات شتَّى سياسيَّة طبع بعضها على حدةٍ منها كتاب التمثال السياسي مع بيان احوال فرنسة في عهد نابوليون . ولهُ مجموعان احدهما يشتمل على اشعار حكميَّة جناها من كتب العرب يُدعى « طرب المسامع في الكلام الجامع » والثاني يتضمَّن مقالات ادبيَّة وفوائد لغويَّة يُعرف بقمطرة طوامير طُبع في فينَّة سنة ١٨٨٠ . ولهُ غير ذلك ممَّا لم يزل مخطوطاً وتمنَّى نشرهُ كمقالة واسعة في فنّ المناظرة دعاها « ترويح البال في القام والمال » ولاسيما تاريخهُ الكبير الذي دعاه « السيَّار المشرق في بوار المشرق » وكان الكونت ينظم الشعر الجيّد كما يُستدلُّ عليهِ من قطرتهِ ومن لاميَّتهِ التي ذكرناها . وممَّا انشدهُ في مدح نابوليون الثالث سنة ١٨٥١ اذ كان في اوج عزّتهِ اذ لم تعرف غير سجاياهُ الطيبة قولهُ من قصيدة :

الله أكبرُ مُعطٍ من يشاء فما ... كلُّ المحاسنِ والاحسان في رَجلِ

وليس ذا من غلوّ الشعر اذ ظهرت ... للعين انوارهُ كالشمس في الحَمَلِ

فيهِ المجالُ وسيعٌ للمقال لذا — قد عاد بسطُ كلامي ضيّق الحِيَلِ
ذو همَّةٍ لم يُثبِّط عزمها خطرٌ — ولم يكن لصعابٍ قطُّ بالوَكِلِ
ولم يضعضعهُ هولُ الخطب آونةً — ولم يَضِقْ صدرهُ في حادثٍ جَلَلِ
وبالنواصي قد اقتاد الذكاءُ لهُ — شهبَ الرئاسة فانقادت على عجلِ
وفي السياسة كم ابدت براعتهُ — حذقًا بهِ عادت الحُذَّاقُ في فشلِ

وختمها بقولهِ :

ابقاكمُ الله يا فخر الورى فلكًا — للسِلمِ والأمن والاقبال والجَذَلِ

وبعد سنتين لموت الكونت رشيد (١٨٩٠) فُجعت الطائفة المارونيَّة بوفاة شقيقهِ السيّد «نعمة الله الدحداح» مطران دمشق الذي اشتهر بفضائلهِ الاسقفيَّة اكثر منهُ بآثار قلمهِ. وبهمَّتهِ نال من افضال الكرسي الرسولي تجديد المدرسة المارونيَّة في رومية (١

«اسعد طراد» هو اسعد بن ميخائيل طراد من أسرة شائعة الفضل في هذه الاصقاع من نخبة شعراء سوريَّة. ولد في بيروت سنة ١٨٣٥ وتخرَّج في حداثتهِ في مدرسة اعبيه الامركانيَّة. ثم تردَّد على الشيخ ناصيف اليازجي فاخذ عنهُ واجتمع بافضل اساتذة العربيَّة في عهدهِ حتى أتقن العلوم اللغويَّة ونظم الشعر في شرخ الشباب فطُبع عليهِ وكان يقولهُ بديهًا. خدم عدَّة سنين الدولة العليَّة بنشاط ثمَّ انتقل الى مصر سنة ١٨٧٢ وتعاطى في انحائها التجارة الى وفاتهِ سنة ١٨٩١. ولهُ شعر كثير متفرّق جُمع معظمهُ في ديوان بعد وفاتهِ بهمَّة بعض انسبائهِ فطبع سنة ١٨٩٩ في الاسكندريَّة. ولهُ غير ذلك من الآثار منها مقالات ادبيَّة نشرها في الجنان. ومن شعرهِ الذي لم نجده في ديوانهِ قولهُ في موت بعض الكرام :

يا ارحمَ الناس قلبًا عند نائبةٍ — هلَّا رحمتَ عويل الصارخ الوجِلِ
دارت عليك من الاقدار وا اسفًا — كأسٌ فلتَ بها كالشارب الثَمِلِ
هذا الشرابُ الذي لا بُدَّ منهُ لنا — وليس تمنعُ منهُ كثرةُ الحِيَلِ

١) اقتطفنا هذا الفصل من ترجمة مطوَّلة للشيخ الفاضل والكاتب المحقّق سليم خطّار الدحداح اثبتها في المشرق تحت العنوان «الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ» (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٢٨٥ ; ٤٥٦ ; ٤٨٩)

وكان بيتهُ اشبه بمنتدى لعلماء وطنهِ يجتمع فيهِ الشعراء والادباء فمدحهُ بعضهم بقصائد غرّاء ولنصرالله كتاب في الادب دعاهُ منهاج العلم وكتاب في فلسفة يسمّى اثمار التدقيق في اصول التحقيق طُبع في المطبعة الادبية سنة١٨٨٨ (ص ٨٩) توفي نصرالله سنة ١٨٨٢

اما «جبرائيل» فكان مولدهُ في ٢ نيسان سنة ١٨٣٦ ونشأ على آداب والدهِ ودرس في مدارس المرسلين في عين طورا وحلب. وكان مغرماً بالعلوم العصريَّة فاحرز منها حصَّة حسنة وانكبَّ على الفنون العربية ودرس آثارها نثرًا ونظماً فصار من اوسع اهل وطنهِ معرفةً بآداب العرب. وسافر غير مرَّة الى الاستانة وتعلَّم فيها التركيَّة وتجوَّل في الاقطار حتى بلغ اسبانية والبورتغال وبلاد الجزائر وحطَّ عصا التسيار في باريس فحرَّر مدَّة صحيفة «الصدى» لسان حال السياسة الفرنسويَّة وصار ترجماناً لوزارة المعارف وتعرَّف في منصبهِ بكثيرين من اهل الوجاهة القادمين الى باريس. ثم استدعاهُ الوزير خير الدين باشا لمَّا قُلِّد منصب الوزارة الى دار السلطنة لينشئ فيها صحيفة السلام لكنَّ تلك الجريدة لم تلبث ان تُلغى بعد استقالة خيرالدين باشا فطلبهُ المكتب العلمي في فيانا ليدرّس العربية في كلّيتها ففعل مدَّة سنتين. وصنَّف هناك بعض المصنَّفات منها رسالة في ملخَّص التاريخ العام ورسالات لغويَّة. ثم عاد الى وطنهِ سنة ١٨٨٤ بعد تغيُّبهِ عنهُ نحو عشرين سنة. فبقي مدَّة يتعاطى الآداب. وهناك اجتمعنا بهِ سنة ١٨٨٧ ونقلنا بعض مخطوطات مكتبتهِ. وما كنَّا لنظنَّ انَّ هذه المكتبة ستُباع يوماً ويقع في يدنا كثير من آثارها. وكأن صاحب الترجمة لاختلاطهِ باهل السياسة في اوربَّة عرف ما تقتضيهِ بلادهُ من الاصلاحات ففرط منهُ بعض اقوال نُقلت الى ذوي الامر فأُلقي في الحبس وبقي هناك الى يوم وفاتهِ. وقيل انَّهُ قُتل مسموماً في اليوم الذي جاء الامر باطلاقهِ والله اعلم. وكان بين جبرائيل الدلَّال وبعض مشاهير العصر وشعرائه مراسلات ومساجلات. ولهُ قدود غناء وكان بارعاً باصول الموسيقى. وقد جمع الاديب البارع قسطاكي افندي الحمصي ما وجدهُ من آثارهِ الادبية في كتاب دعاهُ السحر الحلال في شعر الدلَّال وصفناهُ في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٨٥٩) واقتطفنا بعض جناهُ. ولهُ فيهِ قصائد غرَّاء مدح فيها علية زمانهِ فمن ذلك قصيدة نظمها في ناصر الدين شاه ملك ايران منها قولهُ في مدح السلم والعدل:

فالسلمُ اوفى واقياً ولثروة البلدانِ اوفرْ
والعدلُ ان عمَّ الما لكَ شاد علياها وعمَّرْ
والباقياتُ الصالحا تُ على مرور الدهر تُذكرْ

ومن طيّب نثرهِ ما روي له هناك من جواب الى صديق :

«كتبتُ اعزَّك الله وقد وصلني طرسُك الذي فاق الدرَّ النضيد ببهجتهِ ، وازرى على رخيم التغريد بلهجتهِ ، واني لأحقُّ بابتدائك بما ابتدأتني بهِ من الصلة تفضُّلًا ، ولكن قُدّر لك على السبق وان تكن في كل شيء اوّلًا ، فلساني عاطر بشكرك ، وقلبي عامر بذكرك ، غبتَ او حضرتَ سرتَ او أقمت . فوالله لم اذكر ايّام اللقاء ولذّتها الّا وطارت نفسي شعاعًا ، ولا تخيّلتُ ساعات الوداع وكربتها الّا وزدني الشوقُ التياعاً ، . فان تأملتُ قصر مدّة أُلفتنا هاج بي الشوق آلاماً ، وان تذكّرتُ حميم صحبتنا زادني التذكار هياماً ، واذا فكّرتُ في فرقتنا قلت ما كان اللقاء الّا مناماً»

﴿سليم بك تقلا﴾ و كأنَّ تلك السنة ١٨٩٢ كانت مشئومة على الآداب العربية فتوفي في اواسط تموز رجل لبناني نبغ في تحرير الجرائد خصوصاً نريد بهِ سليم بك تقلا . ولد المذكور سنة ١٨٤٩ في كفرشيما من قرى سواحل بيروت و كان روميًا ملكيًا كاثوليكيًا فاستنشق منذ نعومة اظفاره ريح الآداب التي نمَّ شذاها في مسقط رأسهِ من الحديقة اليازجيَّة . فدرس في صغرهِ في مكتب قريتهِ ثم دخل مدرسة اعبيه الامريكانيَّة لكنَّ حوادث السنة ١٨٦٠ المشئومة اضطرَّتهُ الى ان ينزل الى بيروت فاكمل دروسهُ في المدرسة الوطنيَّة على المعلم بطرس البستاني وابنهِ سليم . وكان في كل تقلّباتهِ مثالًا لاقرانهِ يسبقهم بذكائهِ ورغبتهِ في احراز العلوم . ولمَّا أُنشئت سنة ١٨٦٥ المدرسة البطريركيَّة في بيروت انتدبهُ اصحابها الى تدريس العربيَّة فيها فكان رصيفاً للشيخ ناصيف اليازجيّ فيلقي عليهِ مشاكلهُ اللغويَّة حتى رسخت قدمهُ في العلوم اللسانيَّة وامكنهُ وضع كتاب مدرسي في الصرف والنحو دعاه «مدخل الطلّاب» . فاتخذته المدرسة دستورًا للتعليم وزادت ثقة الرؤساء بهِ فجعلوهُ رأس اساتذتهم ووكيل اعمالهم . ثم اجتذبتهُ مصر لما رأى في ربوعها من الحريَّة وفي امرائها من الاريحيَّة والتنشيط فأمَّها ورفع الى خديويّها اسماعيل باشا قصيدة رنانة مهّدت لهُ سبيل النجاح فنال الامتياز بانشاء جريدة الاهرام سنة ١٨٧٥ وهي التي لا تزال الى اليوم احدى جرائد مصر اليوميَّة الكبرى فتحيا بروح منشئها وقد لعبت في حياتهِ

نهضته دورًا مهمًا مع ما صادفته في سيرها من العوائق لاسيما سنة ١٨٨٢ وقت الحوادث العرابيّة الّا انّ عزم محررها لم يُغلَب بتلك العوارض بل زاد نشاطًا وعانى اعمال الصحافة الى وفاته فتوفي في قريـة بيت مري سنة ١٨٩٢ وكان قصد لبنـان تغييرًا للهواء وطلبًا للشفاء من الم اصابه في القلب فلم يمهلهُ أجلهُ زمنًا طويلًا ونُقلت جثّـتهُ الى موطنهِ باكرام. وكان اسليم بك تقلا موقع عظيم في نفوس ارباب الامر من دولتهِ فنال منهم ومن الدول الاجنبيَّة عدَّة رُتب وامتيازات شرفيَّة. وهو قد ابقى من آثار قلمهِ —ما خلا فصولهُ ومقالاتهِ المتعدّدة في الاهرام— مجموعًا فيهِ مقاطيع من نظمهِ ونثرهِ. فمن حسن شعرهِ قولهُ يصف اساطيل حربيَّة :

تلك الأساطيلُ فوق النَّهرِ سابحةٌ ... والغمرُ منها كـمهـلٍ وهي كالقُلَلِ
دانت لهيبتـهـا الانواء خاضعةً ... فحيثما قصدتْ حلَّت بلا مَهَلِ
خاضت عبابَ بحـار الارض آمنةً ... عَصْفَ الرياحِ وقصفَ الرَّمْي بالكللِ
اذا شكتْ سفنُ الخصمِ العنيد ظما ... تُرْ اِلها اوردتْها الماء للـدَّقَلِ
وان تشامخَ حصنٌ دُكَّ عن أُسُسٍ ... ولو تطـاولَ مرفوعًا الى زُحَلِ
خاجا الجنُّ ثمَّ الانسُ من بشرٍ ... والنَّسْرُ في الجوّ مثل الحوتِ في الوشلِ
هذي قوى المـاء فوق الماء ناشرةً ... بَنْد الهلال فصفْ ما تبتغي وقُلِ

ولسليم بك تقلا غير ذلك ممَّا لم يُطبع كرسائل ونُبذ تاريخيَّة وروايات معرَّبة منها رواية مِتريدات ورواية ايوب البارّ. وهذهِ رسالة كتبها في تهنئة :

السيّد السنـد اطال الله بقـاءهُ . لا ادري اي الثلثة اهنئُ اياك ام الرتبة ام نفسي ؟ امَّا انت فبتـاتيك وان كُنْتَ فوق ما نلتَ . واما الرتبة فبتشرُّفها لأنَّها دون من سمت اليهِ . واما انا فلاني اوَّل مُخلص لك ووُدّك فتهنئتي بما أفتخر بهِ لك . ويا حبَّذا لو كان لي مداد برقيّ ويراع كهربائي أفيك بهِ حقَّك من مسروري ولعلَّ ما بين قلبينا يقوم هذا المقام عني فأقول :

فان أشكُكْ أُراجعْ فالدليل معي ... وان تشكك فراجعْ فالدليلُ معكْ

ومن ظريف قوله في من عذلهُ على التدخين :

عذلَ التدخينَ قومٌ قد رأوا ... بيدي سيكارةً اعشَقُها
قـال : دَعها فهي سمٌّ ناقعٌ ... قلت : لا والله لا اعتقُها
ان تكن سمًّا فـاني محرقٌ ... شرَّها بالنـار اذ أحرقُها

وعليهِ فاعـذلوا او فاعذروا   فعلى الحالين لا أُطلقها
إنْ حلالًا او حرامًا اشرحـا   فانا الصبُّ الذي يعشقُهـا

وقام من بعد سليم بك شقيقهُ «بشاره باشا تقلا» المتوفي سنة ١٩٠١ وسنذكره في جملة أُدباء القرن العشرين

القانوني «نقولا نقَّاش» هو نقولا بن الياس نقاش اخو المرحوم مارون نقاش الذي سبق ذكرهُ (في المشرق ١١ [١٩٠٩] : ٣٨٢) وهناك اشرنا الى اصل العائلة من صيدا وانتقالها الى بيروت . وكان مولد المترجم في هذه المدينة سنة ١٨٢٥ وجرى على آثار اخيهِ في طلب العلوم ودرس اللغات وساعدهُ في انشاء الروايات التمثيليَّة . ثم تعاطى التجارة من السنة ١٨٥٩ الى السنة ١٨٦٨ فانتدبتهُ الحكومة الى خدمتها كعضو مجلس الادارة في لواء بيروت وكمدير جمارك الدخان فانكبَّ على مطالعة قوانين ونظامات الدولة العليَّة . وتخرَّج في العلوم الشرعيَّة على مشائخ العلماء اخصُّهم الشيخ يوسف الاسير فاحرز شهادة وكلاء الدعاوي ونُصب عضوًا دائمًا لمحكمة بيروت التجاريَّة واشتغل وتنشَّأ بالتأليف وعرَّب عن التركيَّة عدَّة كتب قانونيَّة واضاف اليها الشروح والفوائد حتى صارت في دوائر الحكومة المحليَّة بمثابة الترجمة الرسميَّة يُرجع اليها في حلّ المشاكل . ونمت شهرة المؤلف بذلك حتى وقع عليهِ الاختيار سنة ١٨٧٨ كمبعوث بيروت الى الاستانة في الندوة الدستوريَّة لولا انَّ ثمرة الدستور لم تنضج بعد فعاد بعد مدَّة الى وطنهِ وانشأ سنة ١٨٨٠ جريدة المصباح الكاثوليكيَّة فنالت بتدبيرهِ ومقالاتهِ شهرة واسعة طول حياتهِ . وقد ضعف نور ذلك المصباح بوفاة منشئهِ حتى انطفأ تامًا . وكان المرحوم نقولا نقَّاش شديد التمسُّك بالدين مجاهرًا بايمانهِ كما تشهد لهُ بعض تآليفهِ كتكريم القديسين ومجموع صلوات تقويَّة . ولهُ من الكتب الادبية خطب في مواضيع شتى سياسيَّة واجتماعيَّة . ولهُ ديوان شعر طُبع في المطبعة الادبية سنة ١٨٧٩ ضمَّنهُ كثيرًا من المعاني الحسنة والاوصاف العصريَّة فمن ذلك قولهُ من قصيدة طويلة ارَّخ فيها وصول ماء نهر الكلب الى بيروت سنة ١٨٧٥ :

يا اهل بيروت بشرى   قد صحَّ فينا الرجاء
هذا هو الماء جارٍ   فلترْوَ منهُ الظماء

مـاءٌ لذيذٌ شهيٌّ رِدُوهُ فيهِ الهنـاءُ
بيروت ضاهت دمشقاً وزال عنها العنـاءُ
فقلْ لمن عيَّرونا وقلَّةُ الماءِ داءُ
تعـالَوا الآن تلقوا مـاءً وفيـهِ النماءُ
سقياً لبيروت ارِّخْ في ثغرنا حلَّ ماءُ (١٨٧٥)

ومن اوصافهِ تعديدهُ لعجائب العصر:

الله اكبرُ هـذا عصرُ تجـديدِ عصرُ المعارف لا بل عصرُ تمجيدِ
عصرٌ جديدٌ لهُ الاكوان باسمةٌ تثني على اهلهِ الغُرِّ الصناديدِ
ذيَّاك ينطق في تسبيح خالقهِ وذاك يلهجُ في حمدٍ وتوحيدِ
هذا يطير الى العليا بخفَّتهِ وذاك يخرقُ اجبال الجلاميدِ
ترى السفـائنَ اعلاماً مدرَّعةً إن تصدم الحصنَ ألقى بالمقاليدِ
ما البيضُ ما السُمرُ إن ألقت مدافعها كُرَاتها الحُمْرَ من أفواهها السُودِ
كنا نخافُ من الأفلاك صاعقةً أضحت من البرّ تأتينا بتهديدِ
تجوبُ اخبارُنا كالبرق مسرعةً تكادُ تسبق فكراً غيرَ مولودِ
اضحت قوافلنا والنار تحملها تسيرُ كالطيرِ لا كالعيسِ في البيدِ
واللهِ ما فعل قُوّات البخار سوى ضربٍ من السحر لكن للخير محمودِ
هي الطبيعةُ جلَّ الله مبدعُها الى الوجود بدت من عمق مفقودِ
كلٌّ يحاولُ منها كشفَ معجزةٍ فكلُّ مَن جدَّ يلقى جلَّ مقصودِ

ومن محاسن نظمهِ قولهُ في لبنان ومقاطعاتهِ بعد حوادث السنة ١٨٦٠:

للهِ درُّك يا حمى لبنان اذ اصبحتَ مغتنم الرضا الشاهاني
نُشرت معارفهُ الجليلة اذ غدا يروي حديثاً عن بني نبهانِ
وبقـاعهُ ذاك العزيزُ مقامهُ اضحى عزيزاً اخصبَ الوديانِ
وبمتنهِ وبغربهِ حـلَّ المنى والجُرد اضحى ساحـلاً لأمانِ
وبشوفهِ يشفى العليلُ تيمنّاً غَرْباهُ قُلْ بالخير يلتقيـانِ
قد عُدتَ يا عرقوبُ عمّا مضى وغدوتَ معروفاً بصدقِ لسانِ
وكذا المَناصف أنصفت لمّا صفت في خدمةٍ تهدى الى الأوطانِ

وبكسروانَ ترى الامانَ موطَّدًا … من سيفِ كسراهُ الجليلِ الشانِ
وترى القُوَيطع كالقطيع مطاوعاً … وكذاك قاطمهُ بوصلٍ دانِ
وجُبَيلُهُ وجبالهُ وسهولهُ … ووعورُهُ حاكت رياض البانِ
وبزاوِيَتهِ (كذا) قد بُني نعمَ البنا … هل لا وذا وعدٌ من الرحمانِ
تحمى بسَيفٍ باترٍ بَترونُهُ … وكذا غدت أميونُهُ بأمانِ
نادى حسامُ العدلِ فيهِ هاتفاً … ألقى «بشرّي» كلٌّ من عاداني
بجنوبهِ وشمالهِ تلقى الهنا … وبشرقهِ وبغربهِ هنّانِ
قم أيُّها الشيخُ القديمُ زمانهُ … وانظرْ هضابَك بهجة الاكوانِ
نسجَ الربيعُ بنحو هامك خوذةً … كزبرجدٍ قد صيغ مع مرجانِ
هامٌ تكلّلهُ الثلوجُ أكلّةً … بيضاء تكني عن جليل معاني
والخصبُ في اكنافهِ ووسوطهِ … قُل جنّةٌ تردانُ بالافنانِ
حتى الصخورُ غدت رياضاً أثمرت … من كل فاكهةٍ بها زوجانِ
ومناهل يحيي القلوبَ ورودُها … وعيونهُ تروي ظما الظمآنِ
هو جنّة في الارض تحكي للسما … والخلق ترتع في رياضِ امانِ

ولهُ قصيدة طويلة تنيف على ١٤٠ بيتاً دعاها التوبة وضمّنها المعاني الزهديّة. وقد روينا لهُ في المشرق (٥[١٩٠٢]: ٦٣١) نشيدًا نظمهُ لجمعيّة مار منصور. كانت وفاة نقولا نقّاش في ٤ كانون الاوّل سنة ١٨٩٤ فأبنهُ مصقع الخطباء. ورثاهُ جلُّ الشعراء فجُمعت اقوالهم في كرّاسٍ مخصوص. وقد ورث اولادهُ من بعدهِ آدابهُ فعُرف منهم كبيرهم المرحوم يوسف ولهُ بعض الآثار الادبيّة. والقانوني جان صاحب كتاب مغني المتداعين عن المحامين. ومن الاسرة عينها اشتهر «سليم بن خليل» المتوفى في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٨٤ وهو صاحب جريدة المحروسة ومحرّر العصر الجديد ولهُ تاريخ المسألة المصريّة سمّاهُ «مصر للمصريين» وكتب عدّة فصول ومقالات وروايات طُبعت في بيروت ومصر. ونضيف الى هؤلاء «جرجس بن حبيب» المتوفى في ١٧ تشرين الاوّل سنة ١٩٠٧ وكان من ادباء طائفتهِ لهُ بعض المصنّفات في تاريخ العرب اوقفنا عليها وهي لم تُطبع: وسليم وجرجس ابنا اخوي نقولا نقّاش

«يوسف الشلفون» كان احد انصار النهضة الادبيّة في الفصل الثاني من القرن

التاسع عشر . وهو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون كان جدُّهُ حاكماً على ساحل لبنان من قِبَل الامير بشير الشهابي الكبير . اما حفيدهُ يوسف فكان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ درس في مكاتب بيروت مبادئ العربيَّة واللغات الاجنبيَّة واشتغل مدَّة في المطبعة السوريَّة التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ بصفة مرتّب حروف ومصحح مطبوعات . وفي اثر حوادث سنة ١٨٦٠ استدعاهُ فوَاد باشا معتمد الدولة العليَّة لترتيب ونظارة المحرَّرات الرسميَّة التي كانت تُطبع في التركيَّة والفرنسويَّة . وبعد ان تقرَّر نظام جبل لبنان انشأ على حسابهِ مطبعتهُ المعروفة بالمطبعة العموميَّة سنة ١٨٦١ ونشر فيها عدَّة مطبوعات عدَّدناها في المشرق (٣ : ١٠٠١ = ١٠٠٣) وكان يوسف الشلفون ذا همَّة عظيمة فانتدبهُ اوَّل متصرّف في لبنان المرحوم داود لتنظيم مطبعة في مركز المتصرّفيَّة فقام المندوب بهذه المهمَّة القيام الحسن . ثم صرف عنايتهِ الى انشاء الجرائد فنشر منها اربعاً وهي الزهرة ثم النحلة ثم النجاح واخيرًا التقدُّم وذلك بالاشتراك مع بعض الكتبة المجيدين كالقس لويس صابونجي والخوري يوسف الدبس واديب اسحاق . ثم اشترك مع المرحوم رزق الله خضرا فجعل مطبعتهُ في خدمة الطائفة المارونية الى ان انفصل عنها وانشأ المطبعة الكليَّة كما فصَّلنا كل ذلك في تاريخ الطباعة في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٥٠١) وقد اضرَّ بالمترجم تقلُّبهُ في الاشغال وميلهُ الى ذوي المبادئ الحرَّة . وكان احد اعضاء الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة وفي مطبعتهِ نُشرت اعمالها في السنتين ١٨٦٨–١٨٦٩ . وكان حسن الكتابة ولهُ نظم جمعهُ في ديوان ودعاهُ انيس الجليس وطبع قسماً منهُ في مطبعتهِ الكليَّة سنة ١٨٧٤ . فمن نظمهِ قصيدة في مدح داود باشا هذه بعض ابياتها :

ضاءت بشمس سعودك الايَّامُ … وزهت بطلعة مجدك الاعوامُ
وسما بذاتك سفحُ لبنانَ الذي … حسدَتْهُ مصرُ بعزّهِ والشامُ
فكأنَّهُ فلكٌ وانت بأفقهِ … بدرٌ له دون البدورِ تمامُ
اقطارهُ بالعدلِ منك استأمنت … ورعت بها الآسادُ والاغنامُ
يا ايُّها المولى الذي عن وصفهِ … وثنائهِ قد كلَّتِ الاقلامُ
قلَّدتَ قوماً تحت امرك منَّةً … لم تحصِ واجبَ شكرها الارقامُ
ونسختَ آيات المظالم بعدما … قامت على ساقٍ بها الاقدامُ

ونصبتَ يا داودُ احكاماً جا ظهرَ اليقينُ وزالتِ الاوهامُ
فينا لك الذكرُ الجميل مخلَّداً هو في الحديث بداءةٌ وختامُ

وقال مهنئاً احد الرهبان اليسوعيين في عيدهِ فافتتح كلامهُ بهذه الابيات:

المرءُ يُعرفُ في جميل خصالهِ وبعزٌ عند مقالهِ وفعالهِ
والشهمُ مَن نال العُلى في جدّهِ حتى غدا الراقونَ دون منالهِ
ويشيد صرحَ الخير في طلب العُلى كي يدرك الافلاك في اعمالهِ
فيرى اتّقاء الله خيرًا يرتجي يوماً ويَشفي قلبهُ بزُلالهِ
ويميل عن كل الانام تعفّفاً ويرى بحبّ الله راحةَ بالهِ

ولهُ قصائد في اماثل الرجال وكبار الامراء الذين قدموا بيروت ومدح امبراطور النمسا ووليَّ عهد المانية وانكلترة وسموّ الخديوي اسماعيل باشا فاستحق بذلك بعض الامتيازات الشرفيَّة لكنهُ توفي خاملاً السنة ١٨٩٥

﴿سليم جدي﴾ وفي السنة ١٨٩٥ عينها انتقل في ربيع عمرهِ شابٌّ اديب قصفتهُ المنون غصناً يافعاً نريد بهِ سليم بن نصرالله جدي من أسرة جدي المعروفة بفضلها في بيروت . كان مولدهُ نحو السنة ١٨٧٠ وتخرَّج في الآداب والعلوم في كليَّتنا . وقد عرفناهُ حق المعرفة اذ كنا ندرّسهُ العربية وكان في مدرستنا مع المرحوم نجيب حبيقه صاحب الفارس الاسود فعهدناهما طالبين يتلهّبان شوقاً الى خدمة الاوطان فيجريان مذ ذاك في ميدان الآداب كخيل الرهان ولكليهما مآثر نثريَّة وشعريَّة لدينا منها اشياء متفرّقة والبعض منها قد نُشر بالطبع كعدّة قصائد وروايات. وكأنَّ دار الآخرة حسدت الوطن على فضلها فاشربتها كأس المنون المرّة عاجلاً. الا ان نجيباً عاش بعد قرينهِ عشر سنوات وسيأتي ذكرهُ مع ادباء القرن العشرين. ولسليم جدي رثاء في الشيخ خليل اليازجي صحّ فيهِ فكأنَّهُ سبق ورثى نفسهُ بقولهِ:

لك بين الانام ديوانُ شعرٍ بمعانيهِ حرَّك الجلمودا
تلك بانت للعصرمبتكراتٍ ومن المجد ألبستك برودا
لو درى الموت انّ ذلك درٌّ للمعاني نظمتَ منهُ عقودا
ما اصابت سهامهُ لك قلباً كان قبل اللسان ينشي القصيدا

﴿شاكر شقير﴾ وفي خريف السنة التالية خسرت أُسرة كريمة من الروم الاورثذكس كاتباً آخر من ابناء الوطن وهو شاكر مغامس شقير عُرف في بلاد الشام مدّةً بتفننه بالكتابة ونظم الشعر تولّى التدريس في عدّة مدارس وطنية وساعد المرحوم بطرس البستاني في بعض فصول دائرة المعارف وكتب في مجلّة الجنان وادار مجلّة ديوان الفكاهة (١٨٨٦–١٨٨٩) . ثم انتقل الى مصر وانشأ فيها مجلّة الكنانة في نيسان سنة ١٨٩٥ فاتت بموت محرّرها بعد سنتها الاولى (١٨٩٦) . توفي في وطنه الشويفات وللمذكور عدّة مقالات وروايات وقصائد تجدها متفرّقة في كثير من المجلّات . وقد روينا عنهُ قصة ظريفة في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٥٧١–٥٧٥) عنوانها الطواف بالقربان الاقدس . ولهُ كتاب مصباح الافكار في نظم الاشعار طُبع في بيروت سنة ١٨٧٣ ومنتخبات الاشعار طُبع سنة ١٨٧٦ وعُني بتكرار طبع ديوان ابي العلاء المعرّي دون ان يزيد عليهِ شيئاً يُذكر من المحسّنات . ولشاكر اخٌ اسمهُ فارس ترك ايضاً بعض المؤلفات وسنذكرهُ في تاريخ آداب القرن العشرين . ومن حسن شعر شاكر قولهُ من رثاء في سليم دي بسترس دعاهُ «حقيقة الاسف» وقد تفنّن فيهِ كثيراً :

فتلهّبٌ وتلهّفٌ وتأسّفٌ ... وتأفّفٌ وتحسُّرٌ وتحرّقُ
كبدٌ تذوب وانفسٌ تشكو العنا ... اذنٌ تطنُّ واعينٌ تتدفّقُ

ثم انتقل الى بحرٍ آخر وقافية أُخرى فقال :

سليمُ الفؤادِ لهُ طلعةٌ ... تحيي الشموسَ وتزري القمرْ
وذو هيبةٍ كأسودِ الشرى ... وأنسٍ كأنسِ الغزال الاغرّ
تخرُّ الذقونُ لهُ سجّدًا ... تسرُّ العيونُ بهِ اذ حضرْ
عليُّ المكان جليُّ البيانِ ... طليُّ اللسانِ مليُّ البصرْ
نقيُّ البنانِ تقيُّ الجنان ... رقيُّ الزمانِ بقيُّ الاثرْ

وممّا قالهُ سنة ١٨٦٩ في مدح الجمعية السورية :

وزهرة روضٍ كلّما طال وقتها ... تزيد نموًّا بالجمالِ مقلّدًا
جا افتخرت بيروت حتى لقد سمت ... على كلّ مصرٍ وهي تشبهُ فرقدا
مؤلفة من كل صاحبِ غيرةٍ ... ذوات بنوا للخير بيتاً مشيّدا

كواكب سعدٍ يسطعُ اليوم نورهم ... ويهدي الذي في الجهل ضلَّ الى الهدى
وقد ألبسوا بيروت حلَّةَ سؤددٍ ... تتيه بها اذ اصبحَتْ منبع الندى
فكلُّ لسانٍ في ثناهمُ لاهجٌ ... يصوغُ بهِ لفظًا لدرٍّ منضَّدا
وكلُّ جنانٍ حمدُهم فيهِ راسخٌ ... وكل مديحٍ في سواهم تفنَّدا
فلا زال مسعاهم بذلك ناجحًا ... ونالوا المنى ما الطيرُ في الغصن غرَّدا

ومن نظم شاكر قولهُ من قصيدة في رثاء نقولا نقَّاش :

من كان بالامس نقَّاش الصحاف هدًى ... يُنسيك حسَّانَ او يزري بسحبانِ
من كل نثر انيق الوصف مندمجٍ ... وكل شعرٍ رشيق النظم طنَّانِ
كم حرَّر اللفظ والمعنى تصوَّرهُ ... بما استرقَّ لهُ احرارَ تبيانِ
اذا انبرى لا يبارى في مناظرةٍ ... وان جرى لا يجارى بين اقرانِ

وختمها بقولهِ :

مضى الى الله حيث الدارُ خالدة ... مستوفيًا أجر اعمالٍ وايمانِ
لا يبرح العفوُ فيهِ فوق مضجعهِ ... تحت الاكلَّةِ من آسٍ وريحانِ

﴿ امين شميّل ﴾ اسرة شُمَيّل هي فرع آخر من دوحة الآداب التي نمت في كفرشيما . يقال ان اصلهم من حوران فاستوطنوا كفرشيما في مبادئ القرن التاسع عشر . وكان مولد امين بن ابراهيم شميّل في ١٤ شباط سنة ١٨٢٨ وتلقَّى مبادئ العلوم واللغة الانكليزية في مدرسة الاميركان في بيروت فامتاز بين اقرانهِ . ثم سار الى رومية في بعض شؤون طائفتهِ فاصاب فيها نجاحاً . ثم رحل الى انكلترة وتعاطى فيها التجارة فاتَّسعت اشغالهُ وفتح محلًّا في الاسكندرية فلم يزل في تقدُّم ونجاح الى ان دار دولاب الدهر فاباد ثروتهُ . الَّا انَّ تلك الاحوال المشؤومة لم تفلَّ شباة عزمهِ . فصفَّى اشغالهُ وقصد مصر سنة ١٨٧٥ ليتعاطى فنَّ المحاماة فبرَّز فيهِ واشتغل بالآداب وانشأ مجلَّة الحقوق فكانت باكورة المجلَّات الشرعية . ونشر في تلك الاثناء بعض التآليف القانونية كالمباحث القضائية ونظام الحكومة الانكليزية والتآليف السياسية الدقيقة النظر اخصها كتابهُ الوافي في المسئلة الشرقية طبعهُ في مطبعة الاهرام سنة ١٨٧٩ وهو كتاب ضخم في جزئين ضمَّنهُ ملخَّص تواريخ العرب من اوَّل الاسلام

الى زماننا (ص٥٤٦) وكان وضع قبلاً رواية سياسية دعاها الزفاف السياسي . وكان ضليعاً بالآداب حسن الكتابة نثراً ونظماً ويضمّن تآليفهُ المعاني الفلسفيّة والاعتبارات النظرية والرموز كما تشهد لهُ بعض مصنفاتهِ كبستان النزهات في فن المخلوقات الذي لم يُطبع وكالمبتكر في وصف الحياة البشرية ومقاماتها المختلفة منذ الولادة الى الموت انجز تأليفهُ في ليفربول سنة ١٨٦٧ فطبعهُ في المطبعة السورية في بيروت . وكان لامين شميّل اولاد نجباء تهذّبوا كلّهم في كليّتنا البيروتية الا انّ يـد المنون اغتالت سنة ١٨٨٥ اثنين منهم في وقت واحد فتوفي ارثور في بيروت وفردريك الكبير في مصر وكان كلاهمـا من اذكى تلامذة مدرستنا واكملهم ديناً وادباً وارقاهم في سلّم النجاح في الدروس فكان موتهما مصاباً اليماً على والدهما اضعف قواهُ وهـدّ ركن حياتهِ . لكنهُ لم يزل يجاهد جهاد المستميت حتى لبى دعوة ربّهِ في اواخر سنة ١٨٩٧ في ٦ كانون الاول منها بعد وفاة اخيهِ اسعد ببضعة اشهر في لبنان

ولامين الشميّل اخوان آخران ضارعاهُ عقلاً وذكاء الواحد منها ملحم كان ايضاً عالماً وشارك اخاهُ في اعمالهِ التجاريّة وآدابهِ توفي في ١٧ شباط سنة ١٨٨٥ اي سنة وفاة نجلَي امين فقال الشيخ خليل اليازجي مؤرخاً وفاتهُ :

يا مُلحماً جرحت سهامُ مصابهِ ... منّا القلوبَ جراحةً لا تُلحمُ
اسكرتَ عند البَينِ آل شميّلٍ ... بشَمولِ حزنٍ ليس يرشفها الفمُ
للمجد والعليا عليك مناحةٌ ... ولكلّ فنٍّ في المعارفِ مأتمُ
غادرتَ مجدكَ واستويتَ من العُلى ... أرّخ لدى المجد الذي هو اعظمُ (١٨٨٥)

ولد مُلحم في ٥ نيسان سنة ١٨٢٦ وتقلّب في مناصب التعليم فالتجارة فالسياسة حتى ادركتهُ الوفاة . ومارس الطبّ مدّة على الطريقة الاختباريّة القديمـة . ومن آثارهِ الادبية ارجوزة وضعها في علم الجبر والمقابلة ولـهُ مقدّمة طويلـة على علم الحساب وكان شاعراً مجيداً لهُ عدّة قصائد منها واحدة مدح فيها الخديوي اسماعيل باشا ورثى كريمتهُ زينب هانم برثاة افتتحها بقولهِ :

يوسعُ القلبَ صاحب الحزم صبرا ... يومَ بينٍ يجرّعُ الصبَّ صبرا
وحكيمٌ من يزدري بحياةٍ ... كلَّ يومٍ تزداد بالطول قِصرا

وفي آخر عمره دخل ملحم حكومة لبنان وخدم وطنه الى سنة وفاته

امّا الاخ الآخر فهو الدكتور شبلي شُميّل الشهير بكتاباته المتوفى بعد الحرب وسنذكره في تاريخ الآداب العربية في القرن العشرين وكان امين رجلاً ديّناً على خلاف اخيه الدكتور ومن حسن قوله في الخالق سبحانه وتعالى :

هو المهيمنُ والاكوانُ صاغرةٌ تجثو لقدرتهِ العليا وترتعدُ
هو العزيزُ هو الباقي بقوّتهِ هو الرحيمُ هو المحيي هو الصمَدُ
يا مُبدعَ الكلّ هل في ذاك من امدٍ يُبنى لديك وماذا يا ترى الامدُ
انتَ الكريمُ وتُعطي ما تشاءُ كما تشاءُ من بحرِ جودٍ نبعهُ الزَبدُ
نفختَ في منخريّ هذا المركّب من طينٍ فأصبحَ ذا نفسٍ بها البَدَدُ
هل نالت العُجْمُ نفساً لا تموت كما نلنا والّا فما البرهانُ والسَنَدُ
النفسُ من عالمِ الارواحِ لا عَرَضٌ يفنى ولا كائنٌ ينحلُّ او جسدُ
فارحب بها مَلَكاً من فضل واهبها تَنَل بها مُلكاً كرسيّهُ الابدُ
وهبتها لك تمييزاً وقد ظهرتْ نوراً فكن مؤمناً ويلٌ لمن جحدوا

ولامين شميّل قصائد متفرّقة لم تجمع نُشرت في مجلّات شتّى كقصيدة كنز المنى في المقتطف (١٨٨٥ ص ٩٨) وكقصيدته الشرعيّة في الجنان (١٨٨٥ ص ٢٢٨) وغير ذلك ممّا اخذته يد الضياع

﴿حنّا بك اسعد الصعب﴾ من اسرة المشايخ الموارنة ابي الصعب الشهيرين بنواحي البترون. كان ابوهُ سرعسكر الامير بشير الشهابي الكبير فنشأ صغيراً على التقى وحبّ الآداب فاتخذهُ الامير في خدمتهِ فتعلّم العلوم اللسانيّة وبرع في الخطّ العربي حتى ضُرب المثل في خطهِ البديع. ولمّا سار الامير بشير الى مالطة اختار المترجم بصفة كاتب لاسرارهِ فرافقهُ الى تلك الجزيرة ثم الى الاستانة العليّة وانتهز ثمّ الفرصة ليتعلّم عدّة لغات كالايطاليّة والفرنسويّة والتركيّة ودرس الفنون العصريّة حتى اصاب لهُ شهرةً واسعة. ولمّا عاد الى وطنهِ انتدبتهُ الحكومة الى خدمتها فخدمها في عدّة مناصب جليلة مدّة اربعين سنة وكان اوّل من حاز لقب البك بين نصارى لبنان وبرّ الشام. توفي في اواسط سنة ١٨٩٦ . ولحنا بك الصعب رسالات وشروح لم تُطبع ولهُ

شعر كثير تفنَّن فيهِ واجاد وقد جمعهُ في ديوان واسع طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٩٣ وفي صدرهِ صورة ناظمهِ. وقد ختمهُ بقصائد تركيَّة تشهد على براعتهِ في اللغة العثمانيَّة. وفي شعرهِ منظومات متعدّدة تفيد تاريخ لبنان من السنة ١٨٥٠ الى السنة ١٨٩٠ فمن ذلك قولهُ مهنئاً دولة رستم باشا عند قدومهِ الى لبنان سنة ١٨٧٣ بقصيدة هذا مطلعها:

ما بالُ لبنانَ يُبدي النَّورَ أنوارا ... هل وجهُ رُستمَ اهدى النَّور انوارا
او تلك ألطافهُ الحسناء مذ لمعتْ ... ازاحتِ الشمسَ للتنوير استارا

الى ان قال:

حُيِّيتَ لبنانُ كنْ باللهِ معتصماً ... وكُنْ شكوراً بحمد الله مكثارا
ها قد أتى السرُّ والإقبال يُسعدهُ ... والضرُّ غاب مع العنقاء قد طارا
ضاءت مشارقنا لاحت بيارقنا ... طابت حدائقنا عَرفًا وأثمارا
جادت محابرنا زادت مخابرنا ... ناغت منابرنا سجعاً وأشعارا
حسَّنْتَنا سَنَنًا كمَّلْتَنا سُنَنًا ... نوَّلتنا مِننًا شيَّدت امصارا
مكَّنتَ محرسَنا طيَّبت أرؤسنا ... خوَّلت أنفسنا بالخلدِ أخدارا
لا زلتَ يا علمٌ تجثو لك أُممٌ ... سيفٌ كذا قلمٌ ملَّكت احرارا

وكان قال سابقاً لما تعين داود باشا اوَّل متصرّف نصراني على لبنان:

لنا البُشرى لقد نلنا انتصارا ... وفزنا في سرور لن يبارى
مليكُنا قد حبا لبنان قدراً ... وخوَّلهُ مقاماً واقتدارا
بوالٍ من بني عيسى وزيرٍ ... وهذا الفخرُ وافانا ابتكارا
شذا باليمن تاريخ بفخرٍ ... وزيرٌ جاء نصراً للنصارى (١٨٦٢)

ولهُ من قصيدة يوبّخ فيها الخاطئ ويستدعيهِ الى التوبة.

ألا أرفقْ بنفسٍ انَّ كل نفائسٍ ... لديها بذي الدنيا اخسُّ الخسيسةِ
أأنت عدوّ النفس ام انت خدنها ... فمن شيمة الاخوان صونُ الخدينةِ
اراك بلا الاشفاق تبغي عذابها ... وترمقها شذراً بعينٍ غضوبةِ

فلو شامتِ الاعداءُ ما انت فاعلٌ　لرقَّت لها رُحمًا وأيَّة رقَّةِ
أَتجهلُ ما للنفس من هول موقفٍ　امام العلي الديَّانِ في كل رهبةِ
وفيهِ لإعلانِ الخفايا مظاهرٌ　على مشهد الابصار من كل حدقةِ
مصاحفُها مفتوحةٌ اذ تُرى بها　ذنوبٌ ولم يُترَك بها قدرُ ذرَّةِ
فقدِّرها ولا تعبأ بظلٍّ عبورُهُ　يكونُ كطرفِ العين في كل سرعةِ

ولحنَّا بك عدَّة اناشيد تقويَّة في السيد المسيح والبتول الطاهرة نقلنا منها سابقًا بعض شذرات. وممَّا لم نجدهُ في ديوانهِ زجليَّةٌ في سبت عازر :

لمَّا توفي عازرُ　فورًا بلحدٍ بادروا
جثمانهُ مذ غادروا　في جوف رمس قد غدا

اللازمة

يا عازرُ ربُّ الفدا　وافاك لا تخشَ الردى
والموتُ ولَّى مذ بدا　مولًى قديرٌ مزبدا

وختمها بقولهِ :

فقام من جوف الضريحْ　في صوتهِ العالي يصيحْ
انت العلي انتَ المسيحْ　مستوجبٌ ان تُعبَدا

﴿الشيخ نجيب الحدَّاد﴾ ولد في بيروت في ٢٥ شباط سنة ١٨٦٧ ورحل صغيرًا الى الاسكندريَّة فتلقَّى في مدارسها العلوم. ولمَّا حدثت الثورة العرابيَّة عاد الى بيروت فأتمَّ بها دروسهُ في المدرسة البطريركيَّة وكان رضع صغيرًا افاويق الادب في قرابة الشيوخ اليازجي وامهُ كريمة الشيخ ناصيف فعاش مدَّة في معيَّة اخوالهِ الكرام. ولمَّا سكنت الامور في القطر المصري كرَّ راجعًا اليهِ وعكف على الكتابة في عدَّة جرائد انشأها وكان رئيس تحريرها او احد كَتبتها الاوَّلين كلسان العرب وانيس الجليس والسلام. الَّا ان الاسقام لم تزل تنتابهُ حتى هصرت غصن حياتهِ رطبًا قبل بلوغهِ الكهولة فمات في مصر في ٩ شباط سنة ١٨٩٩ . وكان نجيب الحدَّاد متضلعًا بالكتابة يجمع في انشائهِ بين متانة العبارة وسهولتها. ولهُ المقالات السياسيَّة الحسنة. واشتهر بانشاء الروايات او تعريبها. وقد لقي بعضها اقبالًا ونجاحًا كرواية السيد للشاعر

كرنيل الفرنسوي من تعريبهِ ورواية البخيل ورواية المهدي ورواية الوجاء بعد الياس ورواية ثارات العرب. وكان شعرهُ اجود من نثرهِ حذا فيهِ حذو الشعراء العصريين. من ذلك قصيدتهُ في ذمّ القمار التي رويناها سابقاً في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٦٧٣). ومن شعرهِ الطيّب قولهُ في وصف السكك الحديدية وقطاراتها :

تخلَّ عن التشبيب بالبيض والسُّمرِ وذَع عنك تشبيه المحاسن بالبدرِ
وعُج بي الى طُرق الحديدِ ووصفها الـجديد ودَع ما مرَّ من قِدَم الدهرِ
ففيها يروقُ الوصفُ وهو حقائق وفيها يحقُّ النعت لا مذهبُ الشعرِ
وعنها يصحُّ القول ان قيل بارقٌ يشقُّ الفلا لا عن جواد ولا مُهرِ
فطيرٌ بلا جُنحٍ وطودٌ بلا بقا وبرقٌ بلا جوٍّ وهادٍ بلا فكرِ
بلى هي طيرٌ والبخار جناحهُ وطودٌ اذا شبهتَ بالطود ما يسري
وبرقٌ ولكنَّ الدخانَ سحابُهُ وهادٍ لهُ لبٌّ توقَّدَ عن جمرِ
يسير فما يدري لسرعة سيرهِ أنجري اديم الارض ام فوقها يجري
وللريح حولَيهِ حفيفٌ كأنه حفيفُ جناح الصقر حنَّ الى الوكرِ
اذا سار ثارت فوقهُ راية من الدخان لتنبي انهُ ملك القفرِ
تمزّقها الارياح حنقاً كأنما تحاول في تمزيقها الأخذ بالثأرِ
لعمرُك ما هذا جادي البلاد بل هو القائد الحادي الى العزّ والنصرِ

واحسن من ذلك قصيدتهُ الغرّاء التي قالها في احتراق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ حيث رُزئ الكاثوليك بموت قوم من كرامهم لاسيما النساء الشريفات فماتوا في تلك السوق التي انشأوها لمساعدة الفقراء والبائسين بعد ان اتّقدت اسلاك آلتها الكهربائية وامتدّ اليهم لهيب النار :

سوقُ برٍّ تُباعُ فيها اللُّهى بيعاً ويُشرى الثواب فيها شراء
زيَّنتها بيض الايادي وايدي م البيض من محسنٍ ومن حسناء
أنفسٌ تبتغي السماء فما أمسينَ الّا وقد بلغنَ السماء
ادركت ما تروم من جنَّة م الخلد ولكن كان الطريق صلاء
من رأى قبلها جحيماً يؤدّي لنعيم ابناءهُ الشهداء
او رأى محسناً يجودُ على الناس فيلقي نار الحريق جزاء
أترى كان ذاك مطهرَ من ما توا فيمحو عن النفوس الخطاء

ام هو الدهر لا يزالُ مسيئاً لكريمٍ ومُكرِماً من اساءَ
يا ربوعاً كانت معاهد احسا نٍ وحسنٍ فاصبحت قفراءَ
ودياراً كانت منازل اينا سٍ فاضحت بلاقعاً وخلاءَ
وكراماً كانوا مناهل جودٍ لفقيرٍ فاصبحوا فقراءَ
أمراءُ نادى النَّدى فاطاعو هُ ابيراً لهم ولبَّوا نِداءَ
وحسانٌ قد جُدْنَ برّاً كأنم م البرَّ ثوبٌ يزيدهنَّ جاءَ
ساحــة تُنبت المكارمَ والرأ فة والمجد والندى والاخاءَ
فنساءٌ بها تباري رجالاً ورجال بها تباري النساءَ
اوجهٌ يشرق السَّنا من محيّا ها فتزداد بالجميل سناءَ
رحن يزهون بالبياض فما امــسَين إلّا كحالها سوداءَ
رَمماً لم تدع بها النار إلّا رَسْمَ جسمٍ واعظماً جرداءَ
نقمة صبَّها القضاءُ على الانا م برار حتماً ومن يردّ القضاءَ
رحم الله من قضى وشفى الجر حى وعزّى الباكين والثُّماءَ

﴿سليمان الصوله﴾ هو سليمان بن ابراهيم الصوله الرومي الملكي الكاثوليكي. كان مولدهُ في دمشق سنة ١٨١٤ وفيها قضى اوَّل سني حياتهِ ولمَّا ترعرع انتقل مع والديهِ الى مصر ونشأ فيها وتلقَّن العلوم في مدارسها وكان يتردَّد على اساتذة الازهر فاخذ عنهم العلوم العربيَّة ونظم الشعر وقد اخبر عن نفسهِ انهُ في ايَّام الشبـاب كان يعارض قصائد ابي فراس الحمداني ويخمّس قصائد الحِلّي ويشطّر منظومات المتنبي. وقد ألَّف كتاباً سمَّاهُ حصن الوجود في عقائد اليهود وتآليف أُخرى راحت حرقـاً او غرقاً في حوادث سنة ١٨٦٠ . وتقلّد سليمان الصوله المناصب في الـدواوين المصريَّة وصحب ابراهيم باشا لمَّا جاء لفتح الشام ثم استقرَّ بعد ذلك في دمشق وتقدَّم في خدمة الدولة العليَّة وتقرَّب من الامير عبد القادر الجزائري وبفضلهِ نجا من الموت في فتنــة السنة ١٨٦٠ المشؤومة. ولمَّا كانت السنة ١٨٨٤ عاد الى مصر وفيها اقام الى وفاتهِ في ١٤ آيار سنة ١٨٩٩ عن ٨٥ سنة. ولهُ ديوان واسع في ٣٨٢ صفحـة طبعه في مصر سنة ١٨٩٤ واعتذر في مقدّمتهِ انهُ «بعضٌ من كلّ ومجموعٌ صغيرٌ بقي من ديوان كبيرٍ، غادرتهُ اللصوص، بين محروق ومقصوص»، فقال وهو بهِ يتعزَّى: اذا ما كان لي ابل

فمزى . ثم اضاف اليهِ ما جدَّ عليهِ من النظم فطبعهُ مفضلًا القليل المقبول على الكثير المرذول . والحق يقال انَّ شعرهُ رائق منسجم ومواضيعهُ مبتكرة اقرب الى المنظومات العصريَّة . ومن شعرهِ ما قالهُ ارتجالًا فمدح يوحنا بك البحري وكان الشاعر في الرابعة عشرة من سنهِ فاحبَّ البحري ان يسمع نظمهُ :

امرتَ لك الامرُ المطاع بأن ترى ... فرائد شعري وهي اغرزُ من شَعري
فوا خجلي من فقد درٍّ أصوغهُ ... لديك وكلُّ الدرّ بعض حصى البحرِ

ومن مدحهِ قصيدة طويلة قالها في فقيد القطر المصري الوزير بطرس باشا غالي منها :

رجلٌ وحسبُك انهُ الرجل الذي ... نجتِ البلادُ بهِ من الإقلالِ
احيا الندى وامات بالكمد العدى ... ونفى الصَّدى بسماحهِ الهطّالِ
تبدو الغيوبُ لدى لواحظ حذقهِ ... غررًا مجرَّدةً من الإشكالِ
وتناولت منهُ المجالس حكمةً ... سادت على الماضي بها والتالي
نظر العزيزُ بهِ فطانةَ يوسفٍ ... فأحلَّهُ منهُ المحلَّ العالي
وامدَّهُ بالرتبة العظمى التي ... ما نالها قَبلٌ من الاقيالِ
فافاد مجد القبط مجدًا ثانيًا ... مترفّعًا اثيرهِ المتعالي
والناسُ حول ندى يمينهِ أرّخت ... نيلُ الهناء يمينُ بطرس غالي

ولهُ عدَّة مراثي حسنة قالها في ابنهِ ابراهيم المتوفَّى في سنة ١٨٨٣ وابنته السيدة ليلى . فما قالهُ في ليلى :

يا ليلةً غادرتْ ليلى بلا نفَسٍ ... وغادرتني أقاسي حرَّ انفاسي
لولاك لم يدجُ نورالشمس في بصري ... ولا تبطَّن جوفَ اللحد نبراسي
ولاجفا الراحُ راحي والكرى بصري ... وصار دمعي سُلافي والجوى كاسي
اين التي كنتُ ان غابت اقولُ لها ... ما قالهُ شاعرٌ من آل عباسِ :
ما اقبح الناس في عيني واسمجهم ... اذا نظرتُ ولم القاكِ في الناسِ
قالوا : نسيتَ بها ابراهيم قلت لهم : ... لاعشتُ ان كنت يا ناسُ لهُ ناسِ
ولا رستْ بين ارباب العلى قدمي ... ان كان غيرهما في خاطري راسي

وقد روينا لهُ في المشرق(٧[١٩٠٤]: ٤٣٢) ابياتاً قالها في مريم السيدة البتول. ولهُ قصيدة اخرى في مدحها نجت من حريق الشام على منوال عجيب وفيها يقول مستغيثاً من داء اصابهُ:

ايا بابَ النجاةِ وسلسبيلَ الـ ـحياةِ وسورَ ربّاتِ الخدورِ
خذي بيدي الشقية واخصبني ونجّيني من الخطر الخطيرِ
وداوي علّتي أعدي حبوري لأخص بالسرور عن السريرِ
فاني بين اشواك المنايا أعذّب في الاصائلِ والبكورِ
أيُكسَر خاطري يا امَّ ربي لديكِ وانت جابرةُ الكسيرِ ؟
ويلفني الجحيمُ وانتِ غوثي وادخلُ في الظلام وانت نوري؟
أجيريني اجيريني والّا فـدلّيني لمن اشكو اموري
وهل يرضى حنوّكِ بافتقاري لغير نداك يا بحر البحورِ
تبارك مَنْ بنورك جلَّ قدرًا عن التشبيه أخجل كلَّ نورِ
واعطاكِ الشفاعةَ يا سماءٌ تحيّرها خلّاق البدورِ
سأبذلُ في امتداحك كل جهدي لعلَّ اللهُ يسمحُ عن قصوري
ويغفر لي ويصفح عن ذنوبي ويصلح عند خاتمتي اموري

وبسليمان الصوله قد خُتم القرن التاسع عشر الذي اخذنا على نفسنا تاريخ ادبائهِ. على انهُ في هذه الحقبة الاخيرة قد اشتهر غير الذين ذكرناهم ممّن لم يبلغوا شأوهم او لم نحظ بآثارهم

ومنهم بطل لبنان «يوسف بك كرم» الذي ولد سنة ١٨٢٤ في اهدن من اسرة كريمة وتخرّج في مدرسة عينطورا وتولّى في لبنان بعض المناصب الى ان حدثت بينهُ وبين متصرّف الجبل داود باشا تلك المنازعات المشئومة التي انتهت بسفر يوسف بك الى اوربة ثم الى الاستانة حتى قضى آخر عمرهِ في نابولي وفيها توفي معتزلًا عن الاشغال السياسية منقطعاً الى خدمة ربهِ في اوائل نيسان من السنة ١٨٨٩. وقد ذكرناهُ هنا لما كان عليه من الاقتدار في الكتابة وقد نشر في العربيَّة والفرنسويَّة عدَّة مقالات سياسيَّة طُبع بعضها مفردًا. وكان ينظم الشعر العربي. قيل انهُ في ريعان شبابهِ نظم كتاب سفر نشيد الاناشيد. ولهُ قصائد روى بعضها صاحب الجوائب

كقصيدتهِ في راشد باشا التي يقول فيها :

ذا راشد البرَّين وجـهُ مدينة م البحرَين وأله العزيز على الورى
يكفي العبادَ بودّهِ وبجدهِ فبنَدِهِ وجـهُ الزمان تعطَّرا
اضحت لهيبتهِ القلوبُ كبيرةً والخطب في الامر الكبيرِ تصغَّرا

وقد اثبتنا لهُ في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٤٩٧) قصيدة ارسلها الى صديقهِ الاديب يوسف حبيب باخوس

ومنهم الدكتور «سليم بك الجريديني» المتوفَّى سنة ١٨٨٥ واخوهُ (اسكندر الجريديني) وكان كلاهما من انصار الآداب انشأا مقالات علميَّة وادبية نشراها في اعمال الجمعيَّة السوريَّة وفي بعض المجلَّات

ومنهم «الحاج يوسف فرنسيس» الـذي نشأ في حاصبيـا وتوطَّن القليعة في مرجعيون وكان عالمًا بامور الخيل كما يدلُّ عليهِ كتابهُ سراج الليل في سروج الخيل . كانت وفاتهُ سنة ١٨٩٢ . ولهُ شعرٌ

ومنهم ايضاً «سليم دياب» احد محرّري مجلَّـة الجنان نشر فيهـا عدَّة فصول تاريخيَّة وقصائد توفي سنة ١٨٩٥

ومنهم الاستاذ «فرنسيس شمعون» من تلامذة المدرسة الامركانيَّة في اعبيه كان راسخ القدم في العلوم العربية متضلّعًا بالرياضيَّات ولـهُ مؤلف لطيف في الحساب ونشر ديوان الفارض في بيروت . توفي في ١١ شباط سنة ١٨٩٩

ومنهم «حنين بن نعمة الله الخوري» من اعضاء الجمعية السورية لهُ في نشرتها عدَّة مقالات وعرَّب تأليف الوزير كيزو الفرنسويّ في التمدُّن الاوربّي . لا نعلم سنة وفاتهِ

المستشرقون الاوربيون في ختام القرن التاسع عشر

قامت الدروس الشرقيَّة على ساق في ختام القرن التاسع عشر في الاصقاع الاوربية فانَّ الدول كلها بفضل السلام السائد في بلادها استنهضت همم ذويها لدرس لغات الشرق والبحث عن آثارهِ . وكان للغة العربية حظٌّ اوفى من سواها لوفرة كنوزهـا واتّساع نطاقها

(الفرنسويون) بعد ان فقدت فرنسة فئة من كبار مستشرقيها وخمد نوعاً نشاطها المألوف بسبب رزايا الحرب عادت الى سباقها في حلبة الآداب . على أنَّ درس الآثار الشرقية غلب شيئاً على الدروس اللغويَّة . وها نحن نذكر بالتلخيص اسماء بعض الذين استحقُّوا شكر الادباء بما خلَّفوهُ من ثمار قرائحهم على حسب تاريخ الوفيات كما فعلنا سابقاً

فقدت مصر في ١٨ كانون الثاني من السنة ١٨٨١ إمام علمائها بالعاديَّات المصريَّة «اوغست ادورد ماريت (A. E. Mariette)» بعد أن اعدَّهُ لمواجهة ربّهِ احد آباء جمعيَّتنا . كان مولده في ١١ شباط سنة ١٨٢١ وقدم مصر سنة ١٨٥٠ فقضى ثمَّ ثلاثين سنة توالت فيها اكتشافاتهُ العجيبة كهيكل سيرابيس العظيم ومدافن سقَّارة وهو اوَّل منشئ للمتحف المصري ولهُ في كل ذلك تآليف جعلتهُ في مقدَّمة علماء زمانهِ وكان يُحسن العربيَّة ويعرف آثارها وقد عرَّب كتابهُ تاريخ قدماء المصريين الشيخ عبدالله ابو السعود توفي ماريت في بولاق

وفي ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٨٢ توفي في باريس اثريٌّ آخر فرنساوي «هنري دي لونپاريه (H. de Longpérier)» عن ٦٦ سنةً خدم فيها العلوم الاثريَّة لاسيما النقود الشرقية فكتب فيها الكتابات الجليلة وقد جُمعت آثارهُ في عدَّة مجلَّدات . وممَّا يفيد تواريخ هذه البلاد خصوصاً كتابهُ في نقود ملوك العجم في دولتي بني ارشك وبني ساسان . ولهُ كتاب آخر في نقود ومسكوكات دول الاسلام في المغرب والاندلس . وكان المذكور مع علمهِ كثير التحمُّس في الدين

واشهر منها في العلوم الشرقية «فرنسوا لونرمان (Fr. Lenormant)» ابن شارل لونرمان السابق ذكرهُ . ولد في ١٧ ك ٢ سنة ١٨٣٧ وتوفي في باريس في ٩ ك ١ سنة ١٨٨٣ وقد احبَّ الشرق منذ شبابهِ فتجوَّل في بلاد اليونان ومصر والشام وكتب في ما عاينهُ المقالات الواسعة . وقد اشتهر خصوصاً بالعلوم الاثريَّة والتاريخ . ومؤلفاتهُ تُنيف على خمسين مجلَّداً نخصُّ منها كتابهُ الشهير تاريخ امم الشرق القديمة في تسعة مجلَّدات . وكان عالماً بآثار العرب القدماء كما تدلُّ عليهِ كتبهُ . وكان لونرمان كثير الدين يدافع عنهُ دفاع المؤمن الصادق

ومِمَّن عُني خصوصاً بدرس العربية الاستاذ «شربونو» (J. Aug. Cherbonneau) ولد سنة ١٨١٣ وتوفي سنة ١٨٨٢ في باريس . درس على المستشرقَين دي ساسي وكوسان دي پرسڤال ثم انتدبتهُ الدولة الفرنسوية لتنظيم مدارسها العربية في الجزائر فاهتمَّ بالامر اهتماماً عظيماً وعلم في قسطنطينة مدَّة وكان ينشّط الطلبة على درس آداب العرب وآثارهم وقد صنف لذلك عدَّة كتب مدرسيَّة للقراءة وتعليم الاصول والتكلُّم ولهُ معجم كبير عربي وفرنساوي ونشر في المجلة الاسيويَّة مقالات متعدّدة في شعراء العرب وكَتَبَتِهم ونقل الى الفرنسويَّة عدَّة تآليف قديمة منها رِحَل وتواريخ وقصص كرحلة العبدري وتاريخ ابن حمَّاد . وكان مغرماً خصوصاً بتاريخ المغرب والجزائر لهُ في ذلك عدَّة آثار وفي آخر حياتهِ استدعتهُ الحكومة لتدريس العربية في مكتب لغاتها الشرقية الحيَّة في باريس

وكان يعلّم في ذلك المكتب مستشرق آخر اختطفتهُ المنون في ١٣ ك ١ سنة ١٨٨٩ وهو «پاڤه دي كورتيل» (Pavet de Courteille) المولود في باريس في ٢٣ حزيران ١٨٢١ لكنهُ برَّز في درس اللغة التركية فاحيا كثيراً من آثارها المدفونة. واشتغل بترجمة كتاب مروج الذهب للمسعودي بمعيَّة بربيه دي مينار (Barbier de Meynard) المتوفى في العشر الاول من القرن العشرين . ومن تصانيفهِ كتاب بالفرنسويَّة في صفة احوال البلاد العثمانية

وفي السنة التالية لوفاة شربونو توفي رجل هُمام متضلّع بمعرفة العربية المسيو «شرل دِفرامري» (Ch. Defrémery) وُلد في ٨ كانون الاوَّل سنة ١٨٢٢ وتوفي في ١٩ آب سنة ١٨٨٣ درس العربية على كوسان دي پرسڤال والفارسية على العلامة دي كاترمار وبرع في اللغتين فاختارتهُ دولتهُ ليعلّم في مدرستها العليا . ولهُ عدَّة تآليف اخصُّها تواريخ الدول الاسلامية في خوارزم وتركستان وما وراء النهر وتاريخ الاسماعيليين وهو اوَّل من نشر رحلة ابن بطوطة وترجمها الى الفرنسويَّة وساعدهُ في عملهِ المستشرق الايطالي «بنيامين سَنغيناتي» (B. Sanguinetti) الذي كان استوطن فرنسة منذ سنة ١٨٣١ . ومن غريب الاتّفاق انَّ الرصيفين توفّيا في السنة عينها . وكان سنغيناتي اعدَّ للطبع عدَّة تآليف عربية كتراجم الاطباء لابن ابي اصيبعة وتراجم الصفدي المسمَّى الوافي بالوفيات وبعض الكتب الطبّية وكلها لم تُطبع . ومما نشرهُ في المجلة الاسيويَّة

الفرنسوية سنة ١٨٥٩ كتاب فيهِ رسوم قديمة تُدعى «احكام العتيقة» لطائفة مسيحية زعم انها طائفة الموارنة

وخسرت الدروس العربية في فرنسة عالمًا آخر كانوا يبنون عليهِ اما لا طيّبة في خدمة الشرقيّات وهو «ستانسلاس غويار» (Stan. Guyard) ولد سنة ١٨٤٦ ومات منتحرًا سنة ١٨٨٤ . تعلَّم عدة لغات شرقية كالسنسكريتيّة والفارسية والاشورية وقد نشر فيها كلّها مصنفات عديدة ألا انهُ خصَّ قسماً كبيرًا من حياتهِ القصيرة في العربية فألَّف فيها تآليف جليلة اخصّها كتاباتهُ عن الباطنية والاسماعيلية المعروفين بالحشّاشين ولهُ تأليف جليل في الاعاريض العربية واشتغل بتاريخ الطبري مدَّةً . وكانت غلبت عليهِ السويداء فحملتهُ على قتل نفسهِ

واشتهر بين الفرنسويين غير هؤلاء ممَّن لا يسعنا الافاضة في ذكرهم «كرسال دوڤيك» (M. Devic) المتوفى سنة ١٨٨٦ نشر في العربية كتاباً قديماً يُدعى عجائب الهند نقلهُ الى الفرنسويَّة . وقد ألحق معجم ليتره (Littré) بجدول للالفاظ الفرنسويَّة المستعارة من اللغات الشرقية وبالخصوص من العربية . و «كريشار بوشه» (R. Boucher) المولود سنة ١٨٤٣ والمتوفى في تشرين الاول من السنة ١٨٨٦ نشر قسماً كبيرًا من ديوان الفرزدق عن نسخة اياصوفيا ونقلهُ الى الفرنسوية . وقد اتمَّ نشر هذا الديوان جناب الاديب البقاري نزيل كلّيتنا الدكتور يوسف هال (Dr J. Hell) المولود في ١١ حزيران ١٨٧٥ .

ومنهم «ارنست رِنان» (E. Renan) المتوفى في ٢ ت١ سنة ١٨٩٢ اشتهر خصوصاً بمعاداتهِ للدين . امَّا ما عُرف لهُ من التآليف الشرقية فتاريخ اللغات السامية في جزءين وكتابهُ عن ابن رُشد بالفرنسويَّة . وتجوَّل مدَّة في سوريَّة فنشر آثار سواحلها في كتابهِ بعثة فينيقية . لكن في تآليفهِ المذكورة الغثّ والسمين كما بيَّنهُ قوم من العلماء

ومنهم الدكتور «لوكلار» (Dr Leclerc) المتوفى سنة ١٨٩٣ وهو الذي نقل الى الفرنسويَّة مفردات ابن بيطار وكتب تاريخ الطبّ في الشرق نقلًا عن ابن ابي اصيبعة وغيرهِ من كتبة العرب في اربعة اجزاء .

ومنهم «غستاف دوغا» (G. Dugat) احد معلمي مكتب اللغات الشرقية في باريس . ولد سنة ١٨٢٤ وتوفي في ٢٦ أيار ١٨٩٤ . لهُ تاريخ المستشرقين الاوربيين

فلم يطبع منهُ الا قسمين وصنَّف مقالات في جغرافية بلاد الاسلام

ومنهم الاستاذ «جوزف درنبورغ» الموسوي (J. Derenbourg) المتوفى في ٢٩ تموز سنة ١٨٥٩ كان مولدهُ في ميانس في ٢١ آب ١٨١١ نشر رسائل لغويَّة لابي الوليد بن جناح واشتغل مع غيره من الموسويين في طبع الاسفار المقدَّسة لربّي سعديا الفيُّومي · وقام من بعدهِ ابنهُ هرتويك (Hartwig Derenbourg) ففاق على ابيهِ في العلوم العربيَّة ونشر كثيرًا من آثارها وسنذكرهُ في تاريخ الآداب العربية في القرن العشرين

«ومنهم العلامة هنري سوڤار» (H. Sauvaire) المتولّي القنصلية لدولتهِ في بلادنا لهُ تآليف شرقية جليلة · منها كتاب في المقاييس والموازين العربية وكتاب عيون التواريخ لمحمَّد بن شاكر ونشر تاريخ مدارس دمشق ونقل الى الفرنسويَّة الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل لشهاب الدين المقدسيّ · وغير ذلك مما يشهد لهُ بطول الباع في العلوم الشرقية · توفي في أيار من السنة ١٨٩٦

ومنهم ايضاً القانوني «جان برجس» (J. J. Bargès) الكاهن الفرنسويّ الذي علَّم العربية في مرسيلية واشتغل في باريس في جريدة البرجيس وترجم تاريخ بني زيَّان للتنيسي وتاريخ بني جلَّاب للسيد حاج محمَّد الادريسي ونشر منتخبات من كتب عربية نادرة كالفيض المديد من اخبار النيل السعيد للمنوفي · وابرز بالطبع سفر الزبور ونشيد الاناشيد لربّي يافث بن علي البصري وميمر ساويرس بن المقفَّع في القديس مرقس الانجيلي ولد في ٢٧ شباط ١٨١٠ في نيسان وتوفي سنة ١٨٩٦

ومنهم العلامة الشهير «شرل شيفر» (Ck. Schefer) توفي في ٣ آذار ١٨٩٧ كان تجوَّل في حداثتهِ في الشرق وتولّى شؤون الدولة الفرنسويَّة في الشام والعجم وبرع في الفارسيَّة وقد نشر بالعربية وصف الشام لابي الحسن علي الهرويّ · وترأس مدَّة سنين عديدة مكتب اللغات الشرقية في باريس فخدم الشرق خدماً مذكورة ولهُ منشورات فارسية جليلة كان مولدهُ في باريس في ١٦ ت ٢ ١٨٢٠

وللكاتب السياسي الشهير « برتلمي سنت هيلار » (Barthélemy S^t Hi-laire) تآليف في اديان الشرق فكتب عن دين بوذا الهندي (١٨٥٩) وعن محمَّد والقرآن (١٨٦٥) كان مولدهُ في ١٩ آب ١٨٠٥ توفي في باريس في ٢٤ ت ٢ ١٨٩٥

ونضيف الى هؤلاء الافرنسيين سبعة من آباء رهبانيّتنا خدموا الدين والآداب العربية معاً في هذه البلاد اوّلهم الاب « بطرس مرتين » (P. Martin) المولود في سابوديا سنة ١٨٢٥ والمتوفَّى في شامبري في ١٥ ايلول سنة ١٨٨٠ اشتغل مدَّة عشرين سنة لتأليف تاريخ واسع في لبنان . وكتابهُ فريد في جنسهِ لم يزل عندنا مخطوطاً في عشرة مجلَّدات ضخمة وانما طُبع منه بعض الاقسام القليلة في مطبعتنا الكاثوليكيَّة معرَّبة بقلم المرحوم رشيد الشرتوني . ولهُ مقالات واسعة في حوادث السنة ١٨٦٠ وبعض كتب روحية كشهر قلب يسوع ورسالة الصلاة ورسائل شتَّى

والثاني جول بلِنْ (J. Blin) المتوفَّى كهلًا في القاهرة في ٨ حزيران ١٨٩١ صنَّف للاوربيّين غراماطيقاً عربياً ونشر الحان الكنيسة القبطيَّة

والثالث الاب « لويس كساڤاريوس ابوجي » (L. X. Abougit) ولد في مدينة پوي (Le Puy) وقصد سوريَّة بصفة مرسل سنة ١٨٤٩ فأتقن العربية حتى امكنهُ ان يحرّر الكثير ويصنّف الكتب في العربية او ينقلها اليها من اللغات الاوربية . وقد بلغت تآليفهُ وتعريباتهُ الخمسة عشر منها كتب دينيَّة وجدلية كالشهر الملاكي وكردودهِ على المقتطف وتزييفهِ لبعض مزاعم البروتستانت وكتراجم بعض القديسين ومنها مدرسيَّة كمختصر الجغرافية وغرماطيقين عربيّ شرحهُ بالفرنسويَّة وفرنساوي شرحهُ بالعربية . توفي الاب ابوجي في ١٦ تموز ١٨٩٥ في غزير وكان مولدهُ سنة ١٨١٩

والرابع هو الاب « فيلبُّوس كوش » (Ph. Cuche) ولد في مقاطعة فرَنش كونته سنة ١٨١٨ وتوفي في بكفيا في ٢٧ آب ١٨٩٥ بعد ان خدم الرسالة خمسين سنة بصفة رئيس مدارس واديرة وكمدير للمطبعة . لهُ قاموس عربي فرنسوي اصاب شهرة بين المستشرقين وهو المعجم الذي جدَّد طبعهُ الاب حنا بلُو (J. B. Belot) المترجم في المشرق (٧ : ١١٤٤) واضاف اليهِ اضافات عديدة وسمَّاه القلائد الدريَّة

والخامس هو الاب « يوسف روز » (J. Roze) جاء الى سوريَّة قبل كهنوتهِ فتعلم اللغة العربية حتى برع فيها . وكان احد المشتغلين بترجمة التوراة . ومن آثارهِ مكالمات عربية وفرنسويَّة في جزءين ولهُ سبعة مجلَّدات مواعظ مخطوطة انشأ بعضها ونقل بعضها الآخر عن اللغات الاوربية ولهُ معجم عربي فرنسوي لم يُطبع . توفي الاب روز في ١٠ اذار سنة ١٨٩٦ في بيروت ومولدهُ سنة ١٨٣٤

وفي ٢ كانون الثاني سنة ١٨٩٧ توفي في زحلة الاب «يوسف هوري» (J. Heury) المولود في اڤنيون سنة ١٨٢٤ جاء كمرسل الى سورية سنة ١٨٥١ واشتغل فيها بالتعليم والتبشير. له قاموس فرنسوي عربي تكرَّر مرارًا طبعهُ لرواجهِ

وكان اشتهر قبل هؤلاء الاب «يوسف ڤان هام» (J. Van Ham) الهولندي المولود سنة ١٨١٣ والمتوفى في ١٣ آب سنة ١٨٨٩ في تمنايل لهُ عدَّة تآليف في الآثار الفلسطينيَّة. وكتب مقالات ولسعة في الاسفار المقدَّسة وتاريخ الاصلاح الموهوم ولهُ ردود مختلفة على النشرة الاسبوعية ومزاعم البروتستانت في بيروت طُبعت في مطبعتنا

(الالمانيون والنساويون) كانوا بعد الفرنسويين ابعد همَّةً من سواهم في تعزيز الدروس الشرقية. نال منهم بعض الشهرة «غليوم سپيتًا بك» (G. Spitta Bey) في مصر فنشر بالالمانية كتاباً في لهجة المصريين ولغتهم الدارجة واضاف اليها مقاطيع وقصصاً لدرسها ومن منشوراتهِ كتابٌ في ابي الحسن الاشعريّ ومذهبهِ. توفي في ٦ ايلول سنة ١٨٨٣ في مقاطعة ڤستفاليه

ومنهم الاستاذ «فلَيشر» (H. L. Fleischer) المولود في ٢١ شباط سنة ١٨٠١ والمتوفى في ١٠ شباط سنة ١٨٨٨ درس اللغات الشرقيـة في باريس على دي ساسي وكوسَّان دي پرسڤال ثم خلف المستشرق روزنمولّر في تعليمهِ في ليپسيك. فكان في المانية احد ائمة الدروس الشرقية مدَّة خمسين سنة مجارياً لفريتاغ ولفلوغل وكان يكاتب ادباء سوريَّة وينشر رسائلهم وقد ألف نحو مائة تأليف في كل الفنون الشرقية لاسيا العربيَّة ومن منشوراتهِ تفسير القرآن للبيضاوي والمفصَّل للزمخشري وكتاب الف ليلة وليلة مع الاستاذ هابشت (Habicht) ورسالة هرمس في زجر النفس وتاريخ ابي الفداء في الجاهليَّة مع ترجمتهِ اللاتينيَّة وتآليف متعدّدة في نحو العربية

ومنهم الاستاذ «غوستاف ڤيل» (G. Weil) ولد في سولزبورغ في ٢٥ نيسان سنة ١٨٠٨ وتوفي في فريبورغ برسغاو سنة ١٨٨٩ في ٢٩ آب. درَّس التاريخ الشرقي في كلية هيدلبرغ وكتب تواريخ الدول الاسلاميَّة العامَّة والخاصَّة وكلها مطوَّلة تُعَد

من انفس التواريخ واضبطها لاسيا تاريخ الخلفاء في ثلاثة مجلّدات وتاريخ العباسيين في مصر في مجلّدين

وفي تلك السنة توفي البارون «الفرد فون كريمر» (Bon Alf. Kremer) الذي وُلد في ١٣ أيار ثيناً سنة ١٨٢٨ ومات بقربها ٢٧ ك ١ ١٨٨٩ تجوّل في مصر والشام وعلّم العربية في حاضرة بلادهِ . الى ان أُرسل الى مصر بصفة قنصل لدولتهِ . ثم تعيّن قنصلاً لها في بيروت سنة ١٨٧٠ حتى عهدت اليهِ حكومتهُ وزارة الخارجية ووزارات غيرها الى سنة وفاتهِ . لهُ كتب متعدّدة في آداب العرب وتواريخهم واشعارهم وجغرافيّتهم وقد نشر من ذلك نحو عشرين كتاباً منها كتاب الاستبصار في عجائب الامصار وكتاب المغازي للواقدي وكتاب الاحكام السلطانيّة للماوردي والقصيدة الحميريّة ومقالات واسعة في شعراء الاسلام كابي العلاء المعرّي وابي نوّاس وعبد الغني النابلسيّ

وجارى السابقين في فضلهم هنري توربكه (H. Thorbecke) المولود في مَيْنْهِن في ١٤ آذار سنة ١٨٣٧ . برز بين اقرانهِ في معرفة الآداب العربية وعلّمها سنين طويلة في كليّتي هيدلبرغ وهال توفي في مانهيم في ٣ ك ٢ سنة ١٨٩٠ ومن مآثرهِ نشرهُ لكتاب الملاحن لابن دريد ودرّة الغوّاص للحريري والرسالة التامّة في كلام العامّة لميخائيل صبّاغ . وكان مثّل للطبع المفضّليّات فنشر من قصائدها قسماً فقط

ومن مشاهير المستشرقين الالمان «حنا غلدميستر» (Joh. Gildmeister) المولود في ٢٠ تموز ١٨١٢ والمتوفّى في بُنّ (Bonn) في ١١ آذار ١٨٩٠ كان احد المنشئين للمجلّة الاسيويّة الالمانيّة وعلّم اللغات الشرقية في مدارس بلادهِ . نشر بالعربية رحلة الادريسي الى الشام وما ورد في كتب العرب عن الهند ثمّ وصف الاناجيل العربية المنقولة عن السريانيّة

وفي السنة ١٨٩١ في ٢٢ ك ١ فقدت المانية احد كبار اساتذتها المستشرقين وهو العلّامة «پول دي لاغرد» (P. de Lagarde) المولود في برلين في ٢ ت ٢ سنة ١٨٢٧ . اشتغل بهمّة قعساء مدّة نيف وثلاثين سنة في الآثار النصرانية القديمة والاسفار المقدّسة وعلم في كليات وطنهِ وتآليفهُ كلّها تُعرب عن سعة فضلهِ وكان يُحسن اللغات الشرقية كالسريانيّة والعبرانيّة والقبطيّة والعربية لهُ في كلّها آثار طيّبة . ومما نشر

في العربية نسخ قديمة من الاناجيل ومن المزامير ومن قوانين الرسل ومن بعض التآليف الابوكريفا ونسخة من غراماطيق قديم عربي ولاتيني للراهب پترو دي ألكالا الفرنسيسي . توفي في غوتنغن

وفي ١٩ ك١ السنة ١٨٩٣ توفي الدكتور ﴿لويس سپرنغر﴾ (Al.Sprenger) الذي ولد في معاملة التيرول في ٣ ايلول سنة ١٨١٣ وكان رحل الى لندن ودخل في خدمة الانكليز فسار الى الهند وتولَّى ادارة مدرسة دهلي سنة ١٨٤٣ واشتغل في مطبعة كلكوتا فنشر فيها تآليف خطيرة منها كتاب اصطلاحات الصوفيَّة لعبد الرزَّاق السمرقندي وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي وتاريخ الغزنويَّة للعتبي وكتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني وكتاب الاتقان في علم القرآن للسيوطي وكتاب حدود الفاكهي . ثم رجع الى وطنهِ وعلَّم اللغات الشرقية في برلين ثم انقطع الى التأليف في هيدلبرغ . ومن تآليفهِ سيرة مطوَّلة لمحمَّد نبيّ الاسلام كتبها في ثلاثة مجلَّدات وكتاب في تعليم محمَّد

وغلب كلَّ هؤلاء مع نشاطهم الغريب كاتبٌ المباني اخر أنشبت فيهِ المنون مخاليبها سنة ١٨٩٩ في ٨ شباط العلَّامة هنري فرديناند وستنفيلد (H. F. Wüsten-feld) المولود في مُنْدن من اعمال هانوفر في ٣١ تموز سنة ١٨٠٨ . درس اللغات الشرقية على اكبر اساتذة وطنهِ ثم جُعل استاذًا للعربية في غوطا . وتآليفهُ العربية عبارة عن مكتبة واسعة تنيف عن مائتي تأليف بين صغير وكبير وقد ادَّى للعلوم الشرقيَّة خدماً لا تُنسى بما نشرهُ من المصنفات القديمة كطبقات الحفَّاظ للذهبي وتراجم ابن خلكان وقائمة تواريخ العرب وتصانيف اطبَّائهم وكتاب الاشتقاق لابن دريد ومعجم البلدان لياقوت الحمويّ ومعجم ما استعجم للبكري وسيرة الرسول لابن هشام وتهذيب الاسماء للنووي وكتاب الالباب في تهذيب الانساب لابي سعد السمعاني وكتاب المشترك وضعاً لياقوت وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني وآثار البلاد لهُ واخبار قبط مصر للمقريزي وكتاب المعارف لابن قتيبة وتاريخ مدينة الرسول للسمهوديّ وتواريخ مكَّة في ثلثة مجلَّدات وتاريخ الخلفاء الفاطميّين وجدول مؤرخي العرب على ترتيب ازمنتهم وكتب عديدة غيرها مع تذييلات وحواشٍ وفهارس تدهش العقل بوفرتها . احيا الله لنا امثالهُ كثيرين

وتوفي بعده باشهر الاستاذ «شرل كسپاري» (Ch. Caspari) ولد في المانية في ٨ شباط ١٨١٤ وتوفي في عاصمة اسوج كريستانيا في ١١ نيسان ١٨٩٢ كان موسويّ النحلة ثمَّ عدل الى البروتستانية . لهُ غراماطيق عربي مدرسي كتبهُ باللاتينيَّة ثمَّ نُقل الى الالمانيَّة والانكليزيَّة والفرنسويَّة وتكرَّرت طبعاتهُ مع اضافات شتى . وطبع في ليپسيك سنة ١٨٣٨ كتاب تعليم المتعلّم لبرهان الدين الزرنوجي ونقلهُ الى اللاتينيَّة وذيَّلهُ بالحواشي

ومنهم «فردريك مولر» (Fr. Müller) ولد في بلاد بوهيمية في ٥ اذار ١٨٣٢ واشتهر في ابحاثهِ عن اللغات الساميَّة والعلاقات بين لهجاتها المختلفة ولهُ شرح على لغز قابس علَّم زمناً طويلاً اللغة العربيَّة في كلية ڤينا وفيها كانت وفاتهُ في ٢٤ ايار ١٨٩٨

وفي سنة وفاة وستنفيلد توفي في ٢٥ حزيران ١٨٩٩ في ليپسيك مستشرق آخر «البر سوتسين» (Al. Socin) كان مولدهُ في بال (Bâle) في ١٨ ت ١ ١٨٤٤ انقطع الى الدروس الشرقيَّة فاصبح احد علمائها المتازين وانتدب الى تعليمها في جامعتَي توبنغن وليپسيك وألَّف غراماطيقاً عربيًّا في الالمانية ودرس لهجات مرَّاكش واهل البادية . ولهُ مجموعة امثال عربية ونشر ديوان علقمة الفحل

(الهولنديون) عُرف الهولنديُّون بانصبابهم على اللغات الشرقيَّة ولاسيا العربية . وممن اشتهر بينهم في آخر القرن التاسع عشر پول دي يونغ (Paul de Jong) احد معلمي كليَّة اوترخت ولد سنة ١٨٣٢ وتوفي في ٢٥ ك ٢ سنة ١٨٩٠ اشتغل مع العلّامة دي غوي (de Goeje) في وصف مخطوطات كلية ليدن ونشر كتاب المشتبه لابن القيسراني وكتاب لطائف المعارف للثعالبي وفصولاً شتى لبعض مؤرخي العرب

وزاد على السابق شهرةً الهولندي رَينهرت دوزي (R. Dozy) الذي ولد وتوفي في ليدن (كان مولدهُ في ٢١ شباط ١٨٢٠ ووفاتهُ في ٢٩ نيسان ١٨٨٣) . أولع منذ حداثتهِ بحبّ الشرق والعلوم الشرقيَّة وتعمَّق في درس العربية حتى دُعي الى تدريسها في كليَّة بلدهِ ومنشوراتهُ العربية عديدة نفيسة منها كتابهُ في ملابس العرب بالفرنسويَّة

الشرقيَّة على مشاهير المستشرقين . وفي سنة ١٨٢٩ استدعتهُ الدولة الروسية للتعليم في كلية خركوف ثم في مكتبها الاسيويّ في بطرسبورج وتولى نظارة مكتبتها الشرقيَّة ومتحفها الامبراطوري . توفي في بطرسبورج في ٣١ أيار سنة ١٨٨١ بعد ان اغنى العلم بتآليفهِ لاسيما في تواريخ الشرق العجمي والشرق الاسلامي كتاريخ القفقاز والخزر والكرج واتَّسع في وصف الآثار الشرقيَّة كالنقود العربية والمخطوطات الاسلاميَّة فانَّ مآثرهُ تُربي على ١٥٠ عدداً

ومنهم المعلم « گرگاس » (W.O. Guirgass) كان مولدهُ في روسية نحو السنة ١٨٣٥ ودرس اللغات الشرقية في بطرسبورج ثم في باريس ثم قصد الشرق فسكن سنتين بتيف في جوار بيروت . ولما عاد الى روسية قُلّد منصب التعليم في حاضرتها فاقبل عليهِ الدارسون وكان من جملتهم العلّامة البارون ڤون روزن الذي نشرنا في المشرق (١١ [١٩٠٨] : ١٧١) خلاصة ترجمتهِ . توفي المعلم گرگاس السنة ١٨٨٨ . لهُ مؤلفات مفيدة منها كتاب حقوق النصارى في البلاد الاسلامية ومنتخبات عربية ومعجم عربي روسيّ . ونشر كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري وتاريخ الآداب العربية طبعهُ بالروسية على الحجر

وتوفي في ليتوانية الاستاذ « اسكندر تشوسكو » (Al. Chodzko) كان مضلعاً باللغات الشرقية ولاسيا الفارسيَّة . لهُ رحلة الى جهات العجم وكتب عن الاسلام ومنشئهِ وعن القرآن . ولد في ١١ تموز ١٨٠٤ وتوفي في ٢٠ ك ١ ١٨٩١

(الايطاليون) وممن اسفتْ على فقدهِ ايطالية من المستشرقين الاستاذ « ميشال اماري » (M. Amari) وُلد في پالرمة في ٧ تموز سنة ١٨٠٦ وتوفي في ١٦ تموز ١٨٨٩ تعلَّم اللغات الشرقية في باريس وفي رومية وخصَّ نفسهُ بالعربية وبآدابها وتاريخها في بلادهِ . فكتب تاريخ المسلمين في صقلّية ونشر رحلة ابن جبير الى تلك الجزيرة وصنَّف تأليفهُ الذي دعاهُ بالمكتبة الصقلّية فعزَّزها بالكتابات والمعاهدات التجاريَّة المبرمة بين العرب والايطاليين وغير ذلك ممَّا اوجب لهُ شكر المستشرقين عموماً واهل بلادهِ خصوصاً

(الاسبانيون) وفقدت اسبانية في السنين الاخيرة من القرن التاسع عشر ثلاثة من

اساتذتها المستشرقين «جوزه دي لرخندي» (J.de Lerchundi) مؤلف معجم عربي اسباني ومجموع منتخبات عربية و«فرنسوا كساڤيه سيمونت» (Fr.X.Simonet) استاذ العربية في غرناطة الذي نشر تاريخ النصارى المستعربين (Mozarabes) في الاندلس وألف بعض كتب مدرسيّة عربية ونشر اعمال مجمع طليطلة عن نسخة عربية قديمة ولهُ مقالات متعدّدة عن العرب نشرها في المجلات الاسبانية. وقد اجتمعنا بهِ في مؤتمر لندن ١٨٩١ فاخذنا العجب من سعة علمه. توفي في غرناطة في ٨ تموز سنة ١٨٩٧ . أمّا الثالث فهو استاذ العربية في مدريد العلامة «بسكوال كيَّانغوس» (Don Pasc. Gayangos y Arce) المولود في اشبيلية سنة ١٨٠٩ قدم لندن وصنّف فيها تآليف مختلفة اشتهر منها تاريخهُ للدول الاسلامية في اسبانية وترجمتهُ الانكليزيّة لتاريخ المقّري نفح الطيب في مجلدين ضخمين ووصف آثار قصر الحمراء وكتاباتها . توفي في لندن سنة ١٨٩٧ . وكان هؤلاء اخذوا عن مستشرقين سبقاهم عهدًا «لافوانتي القنطري» (Lafuente y Alcantara) المولود في جهات مالقة سنة ١٨٢٧ والمتوفَّى سنة ١٨٥٦ : كتب تاريخ غرناطة ونشر كتاباتها العربيّة . والثاني «امادوردي لوس ريوس» (Don José Amador de Los Rios) ولد في نواحي قرطبة سنة ١٨١٨ وتوفي في اشبيلية سنة ١٨٧٨ . علّم العربيـة في مجريط ثم صـار مديرًا لكليّتها ونشر آثار قرطبة واشبيلية

(اسوج ودنيمرك) واشتهر في اسوج «هولمبو» (Chr.A.Holmboe) المولود في ١٩ آذار ١٨٩٦ والمتوفَّى في كريستيانيا في ٢ نيسان سنة ١٨٨٢ صار استاذًا في عاصمة بلادهِ كرستيانية بعد ان تخرّج في باريس على دي‌ساسي وكوسان دي پرسڤال واشتهر خصوصاً بالعلوم الكتابيّة واللغات الهنديّة . وقـد ترجم الى الالمانيّة كتاب كليلة ودمنة ونشر عدّة مقالات عن الاسلام في الهند

وفي ١٨٩٨ رُزئت دنيمرك بموت مستشرقها الشهير «اوغست مِهرن» (A.F. van Mehren) ولد سنة ١٨٢٢ في ٦ نيسان واخذ العربيـة عن فلَيْشر وعلّم في كوبنهاك اللغات الشرقية نحو ٥٠ سنة . ألّف كتاباً في بيان اللغة العربية ونشر كتاب عجائب البرّ والبحر لشمس الدين الدمشقيّ ومجموعة من تآليف الرئيس ابن سينا نشرها ونقلها الى الفرنسويّة

اما (الاميركيون) فلا نعرف منهم احدًا اشتهر بالعلوم العربية الّا نزيل بيروت الدكتور ﴿ كرنيليوس فان ديك ﴾ (Van Dick) المولود في ولاية نيويرك سنة ١٨١٨ والمتوفى في بيروت في ١٣ ت٢ سنة ١٨٩٦ . قدم الى سورية بصفة مرسل بروتستاني سنة ١٨٤٠ فصار الى آخر نسمة حياتهِ قطب الرسالة الاميركية في هذه البلاد وقد نشر سيرة الدكتور اسكندر افندي نقولا البارودي في المطبعة العثمانية فنحيل القرّاء الى تفاصيلها . وفي آخرها جدول تآليفهِ البالغة نحو ٣٠ كتاباً في العلوم العصرية كالرياضيات والآثار الجوّية والطبّ والجغرافية ولهُ كتاب النقش في الحجر في ثمانية اجزاء ونقل الى العربية الكتاب المقدّس دون الكتب الثانوية ساعدهُ في نقلهِ الشيخ ناصيف اليازجي وألف عدّة كتب جدلية ردّ عليها الاب ڤان هام اليسوعي وغيرهُ من آباء جمعيّتنا فأفحموهُ

وهنا نختم كلامنا عن الآداب العربية في القرن التاسع عشر وسنضيف اليهِ ان شاء الله جزءا آخر في احوال الآداب في القرن العشرين

زيادات واصلاحات

الصفحة ٤ س ١٣ وص ٨ س ٧ وص ١٨ س ٢٠ « الشيخ الطهطاوي » والصواب « الطحطاوي » نسبة الى مدينة طحطا المصرية

ص ١٥ س ١ « وأسعد كتاب » ص « ولأسعد كتاب »

ص ٢٨ ورد في رأس هذه الصفحة غلطاً « الاداب العربيـة في الربع الاول من القرن العشرين » والصواب « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » . وورد ايضاً بالغلط في الكراس التابع (ص ٦٥—٧٩) في رؤوس الصفحات المفردة « الآداب العربية من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ » والصواب من السنة ١٨٨٠ الى ١٩٠٠

ص ٦١ س ٧ « الالمانيون » يضاف اليهم في هذا العقد السابع ﴿ مرقس جوزف مولّر ﴾ (Marcus Jos. Müller) ولد في كنيتن في ٣ حزيران ١٨٠٩ وتوفي في مونيخ في ٢٤ آذار ١٨٧٤ اشتغل بالفلسفة العربية فنشر لابي الوليد بن رُشد مقالات

شتى ثم نقلها الى الالمانيَّة. وله ايضاً تآليف في تاريخ العرب وكتب في تاريخ غرناطة ونشر للسان الدين ابن الخطيب مقالتهُ في الطاعون التي عنوانها «مقنعة السائل عن المرض الهائل»

ص٦٢ س٦ «الكيسيس بولديراف» له ايضاً كتاب في اصول اللغة العربية في اللغة الروسيَّة

— س١٤ «برغرين» توفي قبل هذه الحقبة نحو السنة ١٨٥٠

ص ٦٧ س ٧ « المطابع والمطبوعات » نشرت المجلة الفلسطينيَّة الالمانيَّة (ZDPV, XII, p. 124-128) قائمة الجرائد العربيَّة التي كانت تطبع في الشام والجزيرة والعراق سنة ١٨٨٩

ص ٧٢ س ٤ « مطبوعات مصر » للمرحوم الاستاذ الالماني مرتين هرتمان كتاب حسن في الانكليزيَّة خصَّهُ بمطبوعات مصر في اواخر القرن التاسع عشر (Martin Hartmann : The Arabic Press of Egypt, *London, Luzac 1899*)

ص ١٠٧ س ٣-١٤ « ولاحمد فارس الشدياق قصيدة يمدح فيها الشيخ ابراهيم» هذه الابيات تأخرت بالغلط وحقُّها ان تقدَّم للصفحة السابقة فانها قيلت في الشيخ ابرهيم الحيدري المترجم هناك

ومما فاتنا ذكرهُ العلَّامة الانكليزي والمستشرق الكبير «ادورد وليم لان» (Edw. W. Lane) الذي أدَّى خدماً مذكورة ومشكورة للآداب العربية اخصُّها معجمهُ الكبير العربي الانكليزي الذي دعاه « مَدُّ القاموس » جمع فيهِ باصطلاحات مختصرة كل ما جاء في معاجم العرب وكتبهم اللغويَّة فنشر منهُ ستة مجلَّدات (١٨٦٠-١٨٧٦) ولمَّا مات ألحق بهِ حفيدهُ «لان پول» بقيَّة مسودَّاتهِ بثلثة مجلَّدات. ومما نشرهُ كتاب الف ليلة وليلة نقلهُ الى الانكليزيَّة. ولهُ كتاب واسع في مصر واخلاق اهلها طبعهُ سنة ١٨٣٦ وكتب عن احوال الشرق العربي في القرون الوسطى. ولد «لان» في هَرتفُرد في ١٧ ايلول ١٨٠١ وتوفي في وارتنغ في ١٠ آب ١٨٧٦

تمَّ بحوله تعالى

فهرس

اعلام الادباء الذين ورد ذكرهم في هذا الجزء

الادباء المسلمون

الادباء النصارى

فهرس

اسماء المستشرقين المذكورين في هذا الجزء

اسماؤهم بالعربية

فهرس اسماء المستشرقين بالافرنسية

Table

des Orientalistes mentionnés dans la 2e partie de l'ouvrage.

فهرس

اعلام الامكنة المذكورة في هذا الجزء

فهرس

لمواد الجزء الثاني

من الآداب العربية في القرن التاسع عشر

الفصل الاول في الآداب العربيَّة من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

الصفحة

الفصل الثاني في الآداب العربية من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر

مُلحق لتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر

تاريخ

الآداب العربيّة

في

الربع الاول من القرن العشرين

تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

(ظهر تباعاً في مجلة المشرق)

طُبع

في مطبعة الآباء اليسوعيّين

بيروت

سنة ١٩٢٦

تاريخ
الآداب العربيَّة
في الربع الاول من القرن العشرين

مقدمة

لمَّا انتهينا السنة ١٩١٠ من نشر كتابنا الذي وسمناهُ بالآداب العربية في القرن التاسع عشر كان قصدُنا ان نشفعهُ بنظر عامّ عن احوال تلك الآداب وتطوُّرها في اوائل القرن العشرين فلم تسنح الفرصة بتحقيق نيَّتنا وانَّما اكتفينا بان نختمهُ بلحقَين او فصلين موافقين لاحوال العشر الاوَّل من ذلك القرن الجديد دعوناهما : الحماسة الدستوريَّة ومنظومات الوقائع الدستوريَّة يبلغان اربعين صفحة

لكنَّنا لم نزل مذ ذاك الحين نجمع الموادّ لمواصلة العمل وتدوين اخبار قسم من آداب القرن العشرين اذا امدَّ الله بحياتنا . واذ قد بلغنا بنعمتهِ تعالى الربع الاوَّل من هذا القرن فرأينا انّ هذه الحقبة تستدعي تصنيف خلاصة ما جرى فيها من المشروعات والمساعي لرقي لغتنا الشريفة وما انتجتهُ قرائح الادباء لتعزيزها ورفع منارة آدابها . فها نحن نعرض عليهم هذه المجموعة فعساها تروق في اعينهم وتأتي ببعض الفائدة

ولعلّ البعض منهم ينسبوننا الى التهوُّر والثقة الزائدة بقوانا لما يلزم عملاً مثل هذا من المطالعة الكثيرة ووفرة المعارف وقد اتَّسعت في هذه السنين دائرة الآداب العربية اتّساعاً كاد يستحيل على كاتب حصرها وضمّ اطرافها

نعم أنّنا نقرّ بهذه المشقَّة ولم نزل نقدّم رجلاً ونؤخّر اخرى حتى تردَّد على فكرنا المثل السائر «ما لا يستطاع كلُّهُ لا يُهمل قلُّهُ» فان بناء المعارف كصرح شاهق غاية ما يُطلب من كلّ اديب ان لا يضنَّ عليهِ بحجر صغير او كبير يزيد في بنيانهِ سموًّا

ومما ينشطنا في مباشرة هذا العمل النظر الى ما حرَّرهُ البعض من ذوي النجابة والهمّة القعساء. فقرَّبوا الينا نوعاً القيام بهِ فاننا نجد في ما صنّفهُ في مصر الكاتب الهمام المرحوم جرجي زيدان في كتابهِ تاريخ الآداب العربيـة ونشرهُ في بيروت جنـاب الفيكونت فيليب دي طرّازي في تاريخ الصحافة العربية معلومات لم نجدها في وصف آداب القرن التاسع عشر. وكم نشرت المجلّات والجرائد في القطرين المصري والشامي من فصول حسنة يمكن الاقتباس من انوارها والاستقاء من مناهلها العذبة . فهي قد أحيت ذكر كثير من المعاصرين الافاضل لولاها لبقيت اسماؤهم خاملة مجهولة وحقُّها ان يشاد بذكرها لتكون قدوة للناشئة وفخرًا للوطن

وقد قسمنا تاريخ هذه الآداب ثلثة اقسام . فالقسم الاوّل يشمل وصفها وتراجم اصحابها في الثاني السنين الاولى من القرن العشرين من اوّل السنة ١٩٠٠ الى اعلان الدستور العثماني في ٢٤ تموز ١٩٠٨ . ويتناول القسم الثاني العشر السنين التالية الى نهاية الحرب الكليّة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ . ونخصّ القسم الثالث بالآداب العربيـة في هذه السنين الاخيرة الى ١٩٢٥

القسم الاول

الآداب العربيّة من السنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٨

الباب الاول

نظر اجمالي في الآداب العربية

في بدء القرن العشرين

قد اتّفق ذوو الفراسة وارباب الحكمة والنظر على القول بانّ لكل قرنٍ ميزةً تفرزهُ عن سواه كما انّ لكل دولة وسلالـة سيماء خاصّة تتّسمان بها وتفرقهما عن خلافهما

كان القرن العشرون جيل انتباه ويقاظة لاهل الشرق فانهم استفاقوا من سِنَتهم العميقة واستنشقوا رائحة الحريّة باختلاطهم مع الشعوب لدى نفوذ الاجانب بينهم ومهاجرتهم الى انحاء المعمور فأثّر ذلك في افكارهم واخذوا يسعون الى اماطة اللثام التي كانت الدولة العثمانيّة عوَّدتهم بها و نَزع اللفائف التي كانت قمّطت بها حياتهم الروحيّة . وكان اذ ذاك السلطان عبد الحميد في عزّ مجدهِ يسوس رعاياهُ بقضيب من حديد لا يأنف من سفك دماء كلّ من يحاول النجاة من نيرهِ الثقيل

ومن مميّزات هذا العصر اتّساع نطاق العقول بالوسائل الجديدة التي قرّبت اليها رقيّها وأنارت بصائرها وشحذت افكارها . واخصّها المدارس التي شاعت في نفس القرى فضلاً عن المدن . بينها الجامعات والمدارس العليا والوسطى والابتدائيّة كان يتقاطر اليها الاولاد من كل طبقات الاهالي حتى الفقراء والوضعاء . ففتحت لكثيرين منهم سبلاً جديدة للارتزاق بصفة كتبة واطبّاء ومحامين ومهندسين وتجّار اصوليين جاروا الغربيين في مضمار الحضارة والتمدُّن . وخرج بعضهم من الجامعات الاوربيّة فأتقنوا علومها كسائر الغربيين

وكذلك عرف الشرقيّون ما في الاتّحاد من القوّة فأخذوا على مثال الغربيّين يؤلفون الجماعات الادبيّة لتعزيز اللغة العربيّة ونشر آثارها . لكنها لم تثبت لعدم اتّفاق اعضائها ولنفور الحكومة منها خوفاً على مسيس سياستها

وقد ساعد على ترقي الآداب العربيّة في الشرق انتشار الصحافة وتوفُّر المطابع والمطبوعات فانّ العدد العديد من المتخرّجين في المدارس تحزّوا للكتابة فانشأوا من الجرائد السيّارة والمجلاّت عدداً كاد لا يفي بهِ احصاء سواء كان في الوطن ام في المهجر . وقد بيّن ذلك جناب الفيكونت دي طرّازي في كتابهِ الممتع عن الصحافة فعدّد منها العشرات مع كونهِ لم ينشر بعد ما استجدّ منها في القرن العشرين . وابرزوا مع المجلاّت مئاتٍ من المطبوعات في كلّ علم وفنّ اصبحت المكاتب تضيق عن جمعها . وبين هذه المطبوعات عدد وافر من مخطوطات القدماء كانت ضائعة في زوايا المكاتب استخرجوها من مطاميرها فأتت مساعدةً للنهضة الادبيّة

ولعلّ المستشرقين اصابوا قصبة السباق في هذه الحَلبة فانّهم ابرزوا من مكاتبهم تآليف نادرة تهافت على درسها طلبة الآثار القديمة . وقد تنافسوا في نشر هذه الكنوز

الادبيّة في كلّ الدول لم يثبّطهم في العمل ما كانوا يجدونهُ من العناء والمشقات وكثرة النفقات . وكانت في الوقت عينهِ مجلّاتهم الاسيويّة لا تدع بحثاً مهمّاً في سائر فنون الشرق إلّا خاضت فيهِ . وقد احتفل البعض من اصحابها بعرسهم الفضي والذهبي بل بلغ بعضها السنة المئة لانشائها كالجمعيّتين الاسيويّتين الفرنسويّة والانكليزيّة

وزادت ايضاً في بدء القرن العشرين المكاتب التي تمكّن الباحثون من مراجعة مخطوطاتها كمكاتب الاستانة والشهباء وبغداد . واتّسعت مكتبتنا الشرقيّة فخُصّ بها معهد واسع لضيق مكانها السابق فبلغ عدد مطبوعاتها الشرقية ثلثين الفاً فضلاً عن ثلثة آلاف مخطوط من منتخب المصنفات العربيّة الاسلاميّة والنصرانيّة

ولحقت المكاتبَ المتاحفُ التي اخذت في اوائل القرن العشرين تُلفت انظار الشرقيين فودُّوا لو تُستحضر لهم متاحف تُجمع فيها الآثار العربية خصوصاً والشرقيّة عموماً على مثال المتاحف الاوربيّة فعُرضت في بيروت في باحة السراية القديمة بعض الآثار المكتشفة في المدينة وكان لمتحفَي كلّيتي اليسوعيّة والاميركانيّة شأن اعظم . وقد ابتنى الاميركان بناية خاصّة بتلك الآثار احسنوا هندامها وتنظيمها

وكان الاجانب في مصر قد سبقوا الشام الى ذلك بمتحفَي الاسكندريّة والقاهرة استفاد منهما الاثريون بما نشروهُ في مقالاتهم الرائقة . ومثلهما متحف الاستانة الذي نُقل اليهِ كثيرٌ من عاديّات سوريّة وفلسطين منها الناؤوس المعروف بناؤوس الاسكندر قبر فيهِ احد ملوك صيدون

وقد أدّى امتزاج الشرق بالغرب في اوائل القرن العشرين الى التطوُّر في اساليب الانشاء نثرًا ونظماً فاخذ البعض يُنشئون على منوال الخياليين (les romantiques) بما يدعونهُ النثر الشعري او الشعر النثري فيرصفونهُ كمقطّعات شعريّة وينسقونهُ دون ارتباط كبير في المعاني سواء ارادوا ان يتمثّلوا بالسُّوَر القرآنيّة ام يقتدوا ببعض المُحدَثين من كتبة الفرنج

وقد اكتسب الشعر من طريقتهم ان خرج من دائرتهِ السابقة الضيّقة واخذ اصحابهُ يتفنّنون في نظمهِ صورةً ومعنًى . فترى الدواوين الجديدة مشحونة بالقصائد في كلّ الوقائع المستحدثة والحوادث التاريخيّة والاختراعات الجديدة وتُصوّر كل عواطف الانسان وكلّ مظاهرات الكون . وربّما تحرّروا ايضاً فيها عن البحور الشعريّة

فوضعوا طرائق مختلفة لنظم اشعارهم وابراز شواعرهم

وقد اكثروا من وضع الروايات الخيالية ونقلوا ما شاع منها في البلاد الى العربيَّة فغلبت في اذهان الكتبة والقرَّاء قوَّة الاحساسات والشواعر التخيُّليَّة على قوَّة العقل ورزانة الفكر . على انَّ ذوي الذوق السالم واصالة الرأي لم ينخدعوا بهذه القشور وثبتوا على الكتابة السلسة المنسجمة التي شاعت في عصور اللغة الذهبيَّة ففضَّلوا اللبَّ على القشر والجوهر على السطحيَّات

ومن مميزات اوائل القرن العشرين اتساع نطاق الآداب العربيَّة فانَّ تلك النهضة التي شملت اوَّلاً مصر والشام وبعض العراق اخذت تنتشر بفضل المواصلات والمهاجرة الى انحاء السودان ومرَّاكش وتونس وطرابلس الغرب وبلغت انحاء اميركة الشماليَّة والجنوبيَّة وبالاخص نيويرك والبرازيل . فكثرت المطبوعات وتوفَّرت الصُّحف السيَّارة

وكان من سِمة تلك المنشورات انَّها تحرَّرت من كلّ مراقبة فكان اصحابها يعرضون افكارهم بكلّ حرّيّة لا يخافون تقييدًا في بسطها . فنالها بذلك بعض المحاسن وبعض المساوئ فامَّا المحاسن فبكونها خاضت كلّ المواضيع السياسيَّة والادبيَّة والتاريخيَّة والفنيَّة مُطلقةَ العنان لكلّ العواطف والتخيُّلات لا تخشى انتقاد الاعمال المذمومة ضاربةً على ايدي كلّ ظالم حتى السلاطين . وامَّا المساوئ فلانَّ بعضاً من الكتبة لم يقفوا على حدود الاعتدال والانصاف فلاموا غير مَلُوم وحمدوا غير حميد وانتقدوا ليس لإصلاح فاسد او تقويم معوج بل لغايات شخصيَّة سافلة . وصوَّبوا سهامهم للدين واربابهِ الكرام واستعاروا من الماسونيَّة ومن بعض المذاهب البروتستانيَّة مغالاتهم في مناهضة التعاليم المسيحيَّة الكاثوليكيَّة وابتخسوا حقوق الآداب فهاموا في بيداء اوهامهم وتاهوا في مهامهِ جهلهم

ومن مساوئ ذاك الانتشار البعيد ما اصاب اللغة من آفة الفساد وذلك بتوفُّر الالفاظ الاجنبيَّة والاساليب الغربيَّة . وربَّما وضع الصحافيُّون والمعرّبون في نقلهم عن اللغات الاوربيَّة مفرداتٍ مختلفة لمسمًّى واحد لاسيما للمخترعات الجديدة . فاضطربت بخلافهم افكار القرَّاء . واسوأُ من ذلك اغلاط وسقطات لغويَّة شاعت في الجرائد والتآليف المستحدثة فقام بعض الادباء كالمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي ينتصرون لآداب اللغة ويزيّفون ما رأوهُ مخالفاً لاوضاعها ولعلَّهم لم يلزموا في انتقادهم الطريقة

الوسطى والخطة المثلى فقام غيرهم يردّون عليهم ويثبتون صواب تلك التعابير. فبقيت هذه المناقشات عقيمةً اذ لم يوجد مجمعٌ علميّ يقضي بين المتناقشين فيفرز بين الغثّ والسمين وينفي الباطل ويقرّر الحقّ المبين

وقد اخذت النهضة الادبيَّة في بدء القرن العشرين تتَّصل ايضاً بالجنس اللطيف فانّ فئةً من السيدات حاولنَ كتابة فصول ادبيَّة شعريَّة ونثريَّة في الجرائد السيَّارة في اواخر القرن التاسع عشر كريانا مرَّاش ووردة اليازجي ووردة الترك بيد اننا لم نطّلع على جريدة او مجلَّة نلن لها الامتياز باسمهنّ قبل القرن العشرين غير مجلّة الفتاة التي ظهرت في مصر في ٢٠ نوفمبر من السنة ١٨٩٢ لصاحبة امتيازها هند نوفل ثم مجلة مرآة الحسناء للسيدة مريم مزهر كان اوَّل صدورها في مصر سنة ١٨٩٦ ثم مجلة انيس الجليس لالكسندرا افيرينوه ظهر اوَّل عددها في الاسكندريَّة في غاية كانون الثاني من السنة ١٨٩٨ . وتبعتها في الحقبة التي نحن بصددها مجلة السيدات والبنات للسيدة ماري فرَح نشرتها ايضاً في الاسكندريَّة في اوَّل ابريل من السنة ١٩٠٣ ثمَّ فتاة الشرق للسيدة لبيبة هاشم سنة ١٩٠٦ في مصر وهي لا تزال ثابتة الى الآن

ومما ساعد القرن العشرين في ترقّيهِ في الآداب ظهور بعض النوابغ الذين تكاتفوا وتناصروا لرفع منار العلوم سبقوا عهدهُ ببضعة اعوام او وافقوا طلوع هلالهِ فكان لهم في نهضتهِ فضل مشكور. وسنأتي على ذكرهم في اثناء المقالة

امَّا الآداب العربيَّة في اوربَّة فكانت في اوائل القرن العشرين ثابتةً على سيرها الحثيث بهمَّة جمعيَّاتها ومدارسها الشرقيَّة. فانَّ عدد المستشرقين كان يزيد يوماً بعد آخر وكان البحّاثون منهم يطّلعون كل يوم على كنوز ادبيَّة جديدة في البلاد التي يتَّصل اليها النفوذ الاوربيّ كتونس ومرَّاكش وبعض جهات الهند والسودان. فنشروا منها قسماً كبيراً في حواضرهم. وجاراهم علماء الشرق فابرزوا الى عالم الوجود مخطوطات عديدة كانت مطمورةً في زوايا النسيان . وكفى دليلاً على ذلك لوائح عديدة كانت تُطلع القرَّاء مراراً في السنة على ما يُنشر منها بالطبع. كتعريف المطبوعات الشرقيَّة في برلين ولائحة مطبوعات الشرق في لندن وهناك الاعداد الضافية الدالَّة على تلك الحركة العلميَّة وها نحن نتتبع في تاريخ هذه الحقبة الاولى سياق كتابنا «تاريخ الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر» فنذكر اوَّلاً أدباء المسلمين ثم أدباء النصارى والمستشرقين

الباب الثاني

اركان النهضة في اوائل القرن العشرين في مصر

﴿السيد الافغاني﴾ يسرُّنا ان نفتتح باسمهِ الكريم هذه الحقبة الاولى وان كانت وفاتهُ سبقتها قليلًا اذ لم نستوفِ حقَّهُ في كتابنا عن أدباء القرن التاسع عشر. هو السيد جمال الدين الافغانيُّ الاصل مولود اسعد آباد سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨م) درس في كابل ثمَّ في الهند على علمائها ثمَّ سافر الى مصر والى الاستانة حيث قدَّر رجالُ الدولة قدرهُ وجعلوهُ احد اعضاء مجلس المعارف فاجتهد في توسيع نطاقها. لكنَّ أولي الامر تخوَّفوا من حرّيَّة افكارهِ فألجأوهُ الى هجر العاصمة والالتجاء الى وادي النيل سنة ١٨٧١ فحلَّ في القاهرة ضيفاً كريماً وانصبَّ على العلوم العصريَّة حتى بلغ منها مبلغاً عظيماً وعُرف بفيلسوف الشرق. فالتفَّ حولهُ كل طالبي الترقّي والتحرُّر فكان يبعث فيهم بلهجتهِ وخطبهِ وكتاباتهِ روح الاستبداد فنُفي الى بلادهِ سنة ١٨٧٩ فاحتلَّ حيدر آباد وسكن في كلكتّا في زمن الثورة العرابيَّة. ثمَّ سافر الى اوربَّة. وانشأ في باريس مجلَّةَ العروة الوثقى مع صديقهِ الشيخ محمَّد عبده المصري ساعياً الى توحيد كلمة المسلمين. ثمَّ تنقَّل في البلاد الاوربيَّة الى ان استقدمهُ ناصر الدين شاهُ الى طهران وجعلهُ وزير الحربيَّة فلم تطل مدَّتهُ في تلك الوزارة فسافر الى روسيَّة ورحل الى باريس وشاهد معرضها سنة ١٨٨٩ وعاد الى ايران باغراء الشاه فعُني باصلاح امورها. فخاف ارباب الدولة من تطرُّفهِ فأُبعد مريضاً الى حدود تركيًا وسكن مدَّة البصرة الى ان استدعاهُ السلطان عبد الحميد الى الاستانة سنة ١٨٩٢ واسكنهُ في بعض قصورها فبقي فيها مكرَّماً الى سنة وفاتهِ بداء السرطان في ٩ اذار سنة ١٨٩٧.

أما آثارهُ الكتابيَّة فهي مفرَّقة في صُحف زمانهِ. نشر منها الشيخ محمَّد عبده رسالتهُ في نفي مذهب الدهريّين وقد اثنينا عليها مرارًا ونقلنا عنها فصولًا شائقة في مناصبة هذا المذهب وبيان الشرور الناتجة عنهُ وفي تأثيم زعمائهِ الكفرة كفولتير وروسو

﴿الشيخ محمَّد عبده﴾ لا يجوز ان نفرق بين جمال الدين الافغاني وتلميذه الشيخ محمَّد عبده. فانَّهما سيَّان في النهضة الادبيَّة التي حدثت في الشرق الاسلامي.

ولد الشيخ عبده في اواخر سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٥٣م) في شنبيرا من مديرية الغربية في مصر ودرس مبادئ العلوم الدينيَّة والفقهيَّة في طنطا ثمَّ في الازهر لكنَّهُ لم يجد في شيوخها واساتذتها ما يأنس بهِ عقلهُ حتى قدم الى مصر جمال الدين الافغاني سنة ١٢٨٨ (١٨٧٥م) فحضر دروسهُ مع بعض ادباء القاهرة وشُغف بتعاليمه واخذ عنهُ المنطق والفلسفة وارتوى من روحهِ حتى قام مكانهُ بعد ان أُبعد الافغاني وعُهد اليهِ التدريس في المدارس الاميريَّة فازدحم الطلاب لاستماعهِ وحرَّر في الوقائع المصريَّة مقالات اثَّرت في مواطنيهِ كان يدعوهم فيها الى الاصلاح . وفي تلك الاثناء وقعت حوادث عرابي باشا وحوكم هو بسببها وحُكم عليهِ بالنفي . فجاء سوريَّة واقام فيها ستَّ سنوات انتدبهُ في اثنائها رئيس رسالتنا الى شرح مقامات بديع الزمان فلبَّى طلبهُ وأحكم تفسير تلك الطُّرَف اللغويَّة التي راجت رواجاً عظيماً فتكرَّر طبعها

ثمَّ سافر الشيخ عبده الى باريس وفيها اجتمع باستاذهِ الافغاني فنشرا « العروة الوثقى » التي مع قصر زمانها اصابت بين المسلمين شهرةً كبيرة . وكان الشيخ مدَّة اقامتهِ في عاصمة فرنسة وقف على تمدُّن الغرب ورقيّهِ وخمود الشرق وخمولهِ لاسيما بعد ان درس اللغة الفرنساويَّة واطَّلع على كنوزها الادبيَّة . فكان يتلهَّب غيرة لاصلاح امور وطنه . ثمَّ اجازوا لهُ بالرجوع الى مصر فقدَّرت الحكومة قدرهُ فتعيَّن مستشارًا في محكمة الاستئناف وعضواً في مجلس ادارة الازهر . وأُسند اليهِ اخيرًا رئاسة الافتاء في الديار المصريَّة سنة ١٣١٧ (١٨٩٩م) فقام بواجبات منصبهِ احسن قيام الى سنة وفاته سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥م) وهو لا يزال يدعو الى اصلاح الدين وذويهِ . وقد ألَّف كتباً عديدة اكثرها دينيَّة كتفسير القرآن والرسالة في التوحيد . وبعضها منطقيَّة وادبية واجتماعيَّة . ومما لم نستحسنهُ لهُ كتابهُ الاسلام والنصرانية . وفيهِ اشياء كثيرة لا توافق تعاليم النصرانيَّة اخذها عن بعض اعداء النصرانيَّة او حملها على غير معناها . ولو راجع في ذلك علماء الدين المسيحيّ لوقف على الصواب

﴿ محمود باشا سامي البارودي ﴾ هو ايضاً من اركان النهضة الادبيَّة في اواخر القرن السابق وغرَّة القرن الحالي . كان من مولَّدي الجركس وكان ابوهُ حسن بك من امراء المدفعيَّة في الجيش المصري . ولد ابنهُ محمود في القاهرة سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠م) ثمَّ تخرَّج في المدارس الحربيَّة في مصر وتلقَّن فيها مبادئ العلوم فأحرز منها

قسماً حسناً وانما تغلّب عليه الادب وأُغرم بالشعر العربي واتقن اللغتين التركيّة والفارسيّة وتقلّب في المناصب العسكريّة وحارب مع الاتراك في الحرب الروسيّة سنة ١٨٧٧ . وكانت مصر انفذت لمساعدة الدولة العثمانيّة نجدةً كانت فرقتهُ من جملتها فكوفي لحسن بلائهِ برتبة اللواء وتعيَّن سنة ١٨٧٩ مديراً للجهة الشرقيـة . ثم تولّى نظارة الحربيَّة ثمّ الاوقاف ثمّ المعارف . وكان لهُ يد في الثورة العرابيَّة فنُفي الى سيلان ثم عُفي عنهُ وعاد الى وطنهِ وانقطع فيهِ الى الآداب الى سنة وفاتهِ وكفَّ بصره في اواخر حياتهِ . وهو احد امراء الشعر العربي الحديث يُعدّ شعرهُ من الطبقة الاولى مع القليل من معاصريهِ من شعراء مصر وشعرهُ يجمع بين السهولة والمتانة

ومن آثارهِ مجموع نفيس دعاهُ مختارات البارودي في اربعة اجزاء ضمّنهُ اطيب قصائد قدماء الشعراء قسمها الى ستة ابواب واسعة . ودونك مثالاً من شعرهِ قال يرثي زوجتهُ المتوفاة وهو في المنفى :

وردَ البريدُ بغير ما أمّلتهُ ... تَعِسَ البريدُ وشاهَ وجهُ الحادي
فسقطتُ مغشياً عليَّ كأنما ... نهشَتْ صميمَ القلبِ حيّةُ وادي
ويلُمّهِ رُزْءاً أطار نعيُّهُ ... بالقلبِ شعلةَ مارجٍ وقّادِ

ومنها :

أسليلةَ القمرَين ايُّ فجيعةٍ ... حلّت لفقدكِ بين هذا النادي
أعزِزْ عليَّ بأن أراكِ رهينةً ... في جوف أغبرَ قاتمِ الأسوادِ
او أن تبيني عن قرارةِ منزلٍ ... كنتِ الضياء لهُ بكلِّ سوادِ
لو كان هذا الدهرُ يقبلُ فديةً ... بالنفس عنكِ لكنتُ اوّلَ فادي
قد كدتُ اقضي حسرةً لولم أكنْ ... متوقعاً لُقياكِ يومَ معادِ
فعليكِ من قلبي التحيةُ كلّما ... ناحت مطوَّقةٌ على الاعوادِ

وقال يصفُ حالتهُ في منفاه الى سيلان (وهي سرنديب القدماء) :

لم يبقَ لي اربٌ في الدهر اطلبهُ ... الّا مصاحبَ حرٍّ صادقِ الحالِ
واين أدركُ ما أبغيهِ من وطرٍ ... والصدقُ في الدهر أعيا كلَّ محتالِ
لا في سرنديبَ لي إلفٌ أجاذبهُ ... فصلَ الحديثِ ولا خلٌّ يُرعى لي
ابيتُ منفرداً في رأس شاهقةٍ ... مثلَ القُطاميّ فوق المَرْبإِ العالي

اذا تلفّتُّ لم أُبصِر سوى صُوَرٍ في الذهنِ يرسمُها نقّاشُ من مالي
تهفو بيَ الريحُ احياناً ويلحفني بَرْدُ الطلال ببُرْدٍ منهُ أسمالي
فلو تراني وبُرْدي بالندى لَثِقٌ لخِلتَني فرخَ طيرٍ بين أدغالِ
لا يستطيعُ انطلاقاً من غيابتِهِ كأنّما هو معقولٌ لعقّالِ

ادباء المسلمين المصريّين في اوائل القرن العشرين

﴿ عبد اللطيف الصيرفي ﴾ هو شاعر مصري معاصر لسامي البارودي كاد يجاريه في سنتي مولده ووفاته . ولد في الاسكندريّة سنة ١٢٥٧ هـ (١٨٤١م) وتوفي سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤م) تعلّم في المدارس الاهليَّة حتى أتقن اللغة العربيـة والحساب والانغام وبرع بالخطّ فدخل في دواوين التحريرات وخدم حكومة وطنه زمناً طويلاً ثمّ اشتغل بفنّ المحاماة الى سنة وفاته . صنّف ديواناً نشره بعد وفاته ابنهُ عبد العزيز وهو مجلّد واسع في ٢٢٠ صفحة طُبع سنة ١٣٣٥ هـ (١٩٠٨م) وشعرهُ سهل وسَط لا يخلو من بعض الرقّة والتفنّن وكذلك نثرهُ لهُ منهُ فصول ومراسلات ومداعبات مسجّعة

وهذا مثال من شعرهِ قالهُ يهجو احد العمّال في دَمَنهور :

كانت دَمَنهورُ لنا مهدَ المحاسن والظرائف
لاسيّما لمّا رقَتْ بمُدبرها ربّ اللطائف
خيري الخلائقِ احمدٍ مُحيي المفاخر والمعارف
وسعَتْ لنادي فضلهِ اهلُ الفضائل والعوارف
فاستأنسَتْ نفسي جم وظللتُ ألتقطُ الطرائف
واقول قد سعدت دمنـهورُ وراقَ كلُّ طائف
لكن بها كلبٌ عقُورٌ قد بدَتْ منه المخاوف
لا زال يعطفُ كاسراً فيُسِيء جالسَها وواقف
حتى غـدَتْ موبوءةً بوجوده والكلُّ واجف
فمن الـذي يأتي لهـا ما دام فيها الكلبُ عاطف
ألا وبَـتْورُ لـهُ في كل آونة مساعف
ولرُبما لم يُجـده تطبيبهُ والـداءُ ناقف
فالله يخفي رسمـهُ منها فتأخذهُ المتالف
لأكونَ اوّل آمن واكون آخرَ من يخازف

«ابرهيم بك المُوَيلحي» في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين وقعت ايضاً وفاة احد اعيان المصريين الذين احرزوا لهم ذكرًا في عالم الادب نعني بهِ ابرهيم المويلحي المولود في مصر سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦ م) والمتوفى سنة ١٣٢٢هـ (٢٩ ك٢ ١٩٠٦ م) تقلَّب في عدَّة اعمال وغلب عليهِ الادب والسياسة فخدم وطنهُ مصر في ايَّام الخديو اسماعيل باشا ورافقهُ بعد استقالتهِ الى اوربَّة فكان امين اسرارهِ وسكن مدَّة باريس ونابولي معهُ ثمَّ تردَّد مرارًا الى الاستانة فحظي بالنعم السلطانيَّة والرتب عند عبد الحميد. وانشأ عدَّة جرائد مثل الخلافة في نابولي والرجاء في باريس ونزهة الافكار ومصباح الشرق في القاهرة ولهُ عدَّة مقالات في الصحف العربيَّة غيرها . وكان لم يستقرّ على خطَّة مع كونهِ شديد الذكاء بليغ الانشاء كثير التفنُّن من الانتقاد وهو منشئ جمعيَّة المعارف لنشر الكتب المفيدة. ومن آثارهِ كتابهُ الشهير «ما هنالك» وصف فيهِ اسرار يلدز وسياسة السلطان عبد الحميد ولهُ شعر قليل وانشاؤه اقربُ الى الانشاء العصري لا تصنُّعُ فيهِ كمن سبقهُ. وانَّما يزينهُ بالنُّكت البديعة والمعاني المستطرفة . وممَّا وقفنا لهُ من قلمهِ ما كتب في «الانشاء والعصر» وهو كلام طويل ينتقد فيهِ خمول المصريين بصناعة الانشاء مع تزايُد المطابع وانتشار التعليم وكثرة المدارس ويبحث عن اسباب انحطاطها فقال في ذلك:

«انَّما السبب عند جمهور الباحثين هو سوء طريقة التعليم والتلقين للعلوم العربيَّة بين طلبة المدارس وضعف العناية في اختيار الكتب النافعة للتدريس. وليس هذا في نظرنا السبب الوحيد لِما نشاهدهُ من التأخُّر والانحطاط في صناعة الانشاء والتحرير وقلَّة العاملين فيها فذلك مهما جئتَ بهِ من التحسين والتعديل لطريقة التعليم لا ينفع في ملكة الانشاء في أذهان التلاميذ التي عليها المعوَّل في حسن الصناعة لانَّ المدَّة لدرس اللغة العربيَّة في المدارس لا تكفي لغير الحصول على اصول اللغة وقواعدها ولا تفيد لتكوين الملكة لشيء صالح. ولا يخفى عن علمك انَّ الطالب يتجرَّع هذه القواعد والاصول في الدرس ولا يكاد يُسيغها ولا يتناولها الَّا كما يتناول المحموم من الدواء ولا تمكث في صدرهِ الَّا ريثما يمجُّها عند اخذ الشهادة . . .

«على مثل هذا يخرج المتخرّجون في المدارس سواء الفائز منهم بالشهادة والخائب فيها ثمَّ ينصرف كل واحد منهم الى الاشغال التي تلهيه عن كلّ صحيفة وكتاب ولا يجد امامهُ مجالًا لنموّ ملكة الكتابة. . . امَّا اذا ابتلاهُ الله بالدخول في خدمة الحكومة فقُلْ يا ضيعة العلم والادب ويا بؤس صناعة الانشاء والتحرير ويا زوال ملكة الافصاح والتعبير ! اذ يتلقَّى هناك لسانًا جديدًا ولغةً حديثةً لا يُهتدى فيها الى قاعدة ولا ترتبط برابطة ولا تفضل لغة البرابرة. . . ولو انهُ ذهل يومًا وجاء في بعض عمله بجملة صحيحة وعبارة مستقيمة في اللغة وانحرف عن

ذلك اللسان المصطلح عليه شيئاً قليلاً لأصبح عرضةً للتهكّم عليه والاستهزاء به بين العمّال فيعمد الى التوبة من الذنب . . . ويأخذ بلسانهم فيأمن من مكرهم . . .

«ومن سوء الحظّ لم تلتفت الجرائد السيّارة الى اتقان صناعة التحرير ولم تعمل لهذا المقصد النبيل ولم يرَ اربابُها ان يُتعبوا انفسهم ويكدُّوا خواطرهم للتفنُّن في بلاغة القول وفصاحة التعبير وانتقاء الالفاظ وتنويع التراكيب وتجديد الاسلوب وما شابه ذلك من محاسن هذه الصناعة التي تتوق للنفس وتطرب اليها القلوب . . . فينبغ فيهم النوابغ من الفصحاء والبلغاء ويكثر بيننا عديد الكتّاب والادباء . . . وفاتهم انَّ الواجب على الكتّاب المجيدين الذين يضعون أنفسهم امام القارئ في موضع الهادي والمرشد ومقام المربّي والمعلّم ان يرتفعوا بذهن القارئ الى درجة اذهانهم لا أنهم يتنزلون بافكارهم الى درجة افكاره . . .»

ومن فصولهِ الحسنة ذكرهُ في كتابهِ «ما هنالك» (ص ١٣٠–١٣٢) موكب السلطان عبد الحميد في الاستانة يوم الجمعة (السلاملك) تلك حفلةٌ حضرناها مرّةً فأحسن المويلحي بوصفها قال :

« واذا صدرت الارادة السنيَّة بتعيين مسجد صلاتهِ اجتمعت العساكر في ساحة المسجد امام باب السراي واصطفَّت صفوفاً مضاعفةً بعضُها وراء بعض. وفي هذه الاثناء تتسابق مركبات المُشيرين والوزراء والمشائخ والاجانب من السفراء وغيرهم فيجلس السفراء ومن كان معهم من علية قومهم الوافدين على الاستانة في قاعة الجيب الهمايوني المطلَّة على تلك الساحة التي لا يسمع السامع فيها قيلاً ولا صهيلاً الَّا صليل الاسياف وترديد الانفاس هيبةً واجلالاً وانتظاراً واستقبالاً لإشراق نور الحضرة السلطانيَّة. فاذا حان وقت الصلاة اشرقت المركبة السلطانيَّة المذهَّبة كالشمس ضياء من مطلع السراي تحمل الإمام نائب الرسول صلعم ويجلس امامهُ الغازي عثمان باشا. والمشيرون وكبار رجال المابين حافُّون من حول المركبة مشاةً خُشَّع الابصار ترهقهم ذلَّةٌ من جلال تلك العظمة الإماميَّة وهم في غير هذه الساعة أكاسرةُ الزمان وقياصرة الرومان كبراً وجبروتاً وكلهم في امواج الملابس الذهبيَّة يَسْبحون وعلى صدورهم نياشين الجوهر تخطف الابصار وتأخذ الالباب حتى انَّ الناظر ليكاد يوالي الحمد لله تباعاً على ما منحهُ للدولة من عديد الرجال الصادقين في خدمة الملَّة بشهادة الكلمات الناطقة فوق النياشين . . . فاذا اختلف المكتوب على الصدر عن المكنون في القلب كانت كبائع يغشُّ الناس بوضعهِ على زجاجة الخلّ عنوان ماء الورد . . . ثمَّ تسير المركبة بالعزّ والاجلال والسعادة والاقبال تحدها الكواكب وتحفظها المواكب . . ثمَّ يصعد السلطان الى المكان المخصَّص لصلاتهِ فيصلّي فيه وحدهُ وصفوف العساكر العثمانيَّة واقفون في تلك الساحة ينتظرون تشريف جلالتهِ للسراي بعد تأدية الصلاة . . »

ومن أدباء المسلمين ايضاً المتوفَّين في اوائل القرن العشرين بعض الذين تركوا آثاراً

قليلة من اقلامهم «كوفاء افندي محمّد» المتوفّى سنة ١٣١٩ (وقيل ١٣٢٢) (١٩٠١–١٩٠٤) كان امين المكتبة الخديويّة دونك مثالاً من رسائله يهنئ بعض السادة بالعيد :

«كيف أهنئك وحدي وانك العالَمُ في واحدٍ . فقد انطلقت الالسن بتهنئتك حيث اجمعت القلوب على محبّتك . وقد وافانا يومُ العيد الاكبر فالناسُ بين مهلّل ومكبّر . وهذا الربيعُ قد احتفلَ بيمْنِ طالعك السعيد فنشر على الرُّبى مطارفهُ السندسيَّة ورفع أعلامهُ الزَّبرجديّة . وبعث برسول النسيم ، الى الروض فتلقّاهُ بوجهٍ وسيم ، وثغر بسيم ، ونثر من الزهر النضير ، دراهم ودنانير ، ورقصت الغصون فغنّت الطيور فوق الافنان ، بفنون الالحان ، فهكذا تكون اشارات التهانئ ، وان لم تفِ بوصفها الالفاظ والمعاني ، والية عن أولاك ، رفعةً تصافحُ السماء وولاك ، رتبةٌ لا تُدانيها الجوزاء ، انَّ صحيح الفهم في داركِ عُلاك لَعليل ، وإنَّ الَلسِنَ وان شحذَ اللسان في وصف مجدك لَكليل والسلام»

ومنهم «مصطفى بك نجيب» المتوفّى سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢) وكان رئيس قلم بنظارة الداخليّة وهو احد الادباء الفضلاء الذين اشتهروا بفصاحة القلم ونثر المواعظ وجليل الحكم فمن قوله نبذة وصف فيها الفونغراف قال :

«الفونغراف مثال القوَّة الناطقة ، من غير ارادة سابقة ، يختطف الالفاظ اختطافاً ، ويختطف الصوتَ اختطافاً ، . . أشدّ من الصدى في فعلهِ ، في اعادة الصوت على أصلهِ ، كأنهُ الوَتَر عن يد الضارب ، والقصَب عن فم القاصب ، يحفظُ الكلام ولا يبيدهُ ، ومتى استعدته منهُ يعيدهُ ، كأنما حفظُ الوديعة ، في نفسهِ طبيعة ، فلو تقدَّمَ لهُ الوجود في رتبة الزمن لأسمعَنا كلام السيد المسيح في المهد ، وصوت ألعازرَ من اللَّحد ، وكانت استودَعَتْه الفلاسفةُ حكمتَهم ، وأنشدوهُ كلمتهم ، فرأينا بهِ غرائب اليونان ، وبدائع الرومان . . . نديمٌ ليس فيهِ هفوة النديم ، وسميرٌ لا يُنسب اليهِ تقصير ، تُسكتُهُ وتستعيدهُ ، وتَذُمّهُ وتستجيدهُ ، وتَنقصهُ وتَستزيدهُ ، وهو في كلّ هذهِ الاحوال ، راضٍ بما يقال ، لا يكلُّ من تحديث ، ولا يملُّ من حديث ، نمّام كما ينمُّ لك ينمُّ عليك ، وينقل لغيرك كما ينقل اليك ، فهو المتكلم بكل لغة المحدِّث عن كل انسان ، المؤرخ لكل زمان ، الشاعر الناثر المغنّي العازف ، لا تعجزهُ العبارة ولا يُجهدهُ الأداء ، ولا يضرُّهُ اختلاف شكل ، ولا تباينُ اصل ، بل تعدَّت شدَّةُ حفظهِ البشريّة من اللغات ، الى حفظ اصوات العجماوات ، الى تركة اصطكاك الجمادات

«عائشة التيموريّة» هي احدى النساء المسلمات التي تفرّدت في الآداب في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين فتوفّيت في صفر من السنة ١٣٢٠ (أيار ١٩٠٢) وكان مولدها في القاهرة سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) ووالدها اسمعيل باشا تيمور

وأمها جركسية. أحبّت منذ صغرها العلم والادب وبعد ان اقترنت بالزواج ثمّ ترمّلت انصرفت الى الآداب وبرعت بنظم الشعر في اللغات الثلث العربيّة والتركيّة والفارسيّة. وقد طُبع ديوانها العربيّ المسمّى حلية الطراز فأثنى عليه الادباء طيّب الثناء وشفعتهُ بكتاب نتائج الاحوال فاقبل عليهِ العلماء ايضاً واطرأوا صاحبتهُ. وممّن قرّظ كتاب حلية الطراز السيّدة وردة كريمة الشيخ ناصيف اليازجي فقالت:

حبّذا حليةُ الطراز أتتْ من مصرَ تزهو باللؤلؤ المنظومِ
حليةٌ للعقول لا حليةُ الوَشْـي وكنزُ المنطوق والمفهومِ
انشأتهُ كريمةٌ من ذوات م المجد والفخر فرعُ اصلٍ كريمِ
قد اعاد الزمانُ عائشةً فيـها فعاشت آثارُ علمٍ قديمِ
هي فخرُ النساء بل وردةٌ في جيدِ ذا العصر زُيّنت بالعلومِ
فأدام المولى لها كلّ عزّ ما بدا الصبحُ بعد ليلٍ بهيمِ

وقالت في تقريظ نتائج الاحوال:

هذا الكتابُ الذي هام الفؤادُ بهِ يا ليتني قلمٌ في كفّ كاتبهِ

ودونك امثلةً من شعر عائشة تيمور قالت في الفخر:

بيد العفافِ أصونُ عزّ حجابي وبعصمتي أسمو على أترابي
وبفكرةٍ وقّادةٍ وقريحةٍ نقّادةٍ قد كمّلتْ آدابي
فجعلتُ مرآتي جبينَ دفاترٍ وجعلتُ من نقشِ المدادِ خطابي
ما عاقني خجلي عن العليا ولا سدْلُ الخمارِ بلمّتي ونقابي
عن طيّ مضمار الرهان اذا اشتكتْ صعبَ السباقِ مطامحُ الركّابِ
بل صولتي في راحتي وتفرُّسي في حُسنِ ما أسعى لخيرِ مآبِ

وممّا قالتهُ ترثي ابنتها وكان موتها في رمضان:

طافت بشهر الصوم كاساتُ الردى سحَرًا واكوابُ الدموع تدورُ
ومضى الذي اهوى وجرّعني الأسى وغدتْ بقلبي جُذْوةٌ وسعيرُ
ناهيك ما فعلتْ بماءِ حشاشتي نارٌ لها بين الضلوع زفيرُ
اني ألِفتُ الحزنَ حتى انني لو غاب مني ساءني التأخيرُ
قد كنتُ لا ارضى التباعدَ برهةً كيف التصبّرُ والبعادُ دهورُ

ابكيكِ حتى نلتقي في جنّةٍ برياضِ خُلْدٍ زيّنتها الحُورُ
هذا النعيمُ بهِ الأحبةُ تلتقي لا عيشَ إلّا عيشُهُ المبرورُ
واللهِ لا اسلو التلاوةَ والدُعا ما غرّدت فوقَ الغصونِ طيورُ

ولعائشة تيمور قصائد مختلفة في الاوصاف والاخلاق والغزل والمديح وانّما اخذت في كلّ ذلك أخذ كتبة زمانها فلم تُعالج المواضيع المبتكرة. وكذلك نثرُها في نتائج الاحوال لا يخلو من التصنّع في نظم سجعاتهِ. هذا فضلاً عما يحتويهِ من التخيّلات والاقاصيص المصنوعة التي قصدت بها ترويح الافكار وتلهية الاحداث

وفي هذه الحقبةِ ذاتها فقدَتْ مصر قوماً من مشاهير اطبّائها الذين كانوا أغنوا الطبّ الوطني بمؤلفاتهم بعد ان تخرّجوا على اطبّاء نطاسيّين من الاوربيين. منهم «محمد باشا الدرّي» و «احمد بك حمدي الجرّاح» وقد اتقن كلاهما علم الطبّ في باريس. وقد ألّف الاول «تذكار الطبيب» وألّف مُطوّلًا في الجراحة وكتب تاريخ الأسرة الخديويّة. كانت وفاتهُ في مطلع القرن العشرين. وصنّف الثاني في اعمال الجراحة ونشر جريدة طبيّة دعاها المنتخب. كانت وفاتهُ سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م). ومنهم الدكتور «محمّد بك بدر» تخرّج في فنّ الطبّ في انكلترة وهو مؤلف كتاب «علم الشفا» والمادّة الطبيّة وكتاب شرح الادوية الجديدة وكتاب الصحّة التامّة. توفي سنة ١٩٠٢. وكان محمّد بك بدر اشتغل في المانية بالفلسفة الاسلاميّة ودرس هناك اللغات الساميّة وباشر بتاريخ فلاسفة الاسلام ومؤلفاتهم منذ ظهور الاسلام الى اليوم ولا نعلم أنُشر تأليفهُ بالطبع. وهو الذي نشر كتاب ابي منصور عبد القادر البغدادي «الفرق بين الفرَق»

وممّن درسوا الطبّ في المانية «حسن باشا محمود» له مصنّفات عديدة في الامراض العصريّة كحمّى الدنج والهيضة وخصّ بدرسهِ ادواء وطنهِ كالدمّل المصري والطاعون الساري. ومن تآليفهِ الحسنة كتابهُ الخلاصة الطبيّة في الامراض الباطنيّة

وتفقّه ايضاً في اوربّا غير هؤلاء. مثل «عبد الرحمن بك الهراوي» صاحب تأليف في الفيسيولوجية توفي سنة ١٩٠٦. و«الدكتور سليمان نجاتي» الذي تخصّص بمعالجة الامراض العقليّة وألّف كتاب «اسلوب الطبيب في فنّ المجاذيب». كانت وفاتهُ سنة ١٩٠٧

واشتهر في العلوم الفلكيَّة « اسماعيل باشا الفلكي » الذي درس الرصد في مرصد باريس وادار في مصر المرصد الفلكيّ وكان ينشر تقاويمَ ارصادهِ الفلكيَّة الرسميَّة في اللغتين العربيَّة والافرنسيَّة . ومن تآليفهِ : « الآيات الباهرة في النجوم الزاهرة » توفي سنة ١٩٠١

فترى انَّ العلوم العصريَّة كانت مَدينةً خصوصاً لاوربَّة حيث تخرَّج فيها المصريون ثمَّ نشروها في وطنهم إمَّا بالتدريس في القصر العينيّ وإمَّا بالمزاولة والتأليف فكانت سبب نهضةٍ علميَّة معتبرة تتمتَّع اليوم مصر بثمرتها

أُدباء الاسلام في الشام والعراق

وبينما كان المصريُّون يحاولون كسر اغلال التقليد القديم الذي كان يضايقهم في الكتابة ويحول بينهم وبين الرقي العصري . كان اخوانهم في الشام يجاهدون للحصول على حرية كافية لينزعوا عنهم ضغط نير الاتراك فيطلقوا العنان لاقلامهم للبحث في المسائل الاجتماعيَّة والاصلاح السياسيّ . وفي مقدَّمتهم :

« عبد الرحمان الكواكبي » وُلد في حلب سنة ١٢٦٥هـ(١٨٤٩م) من اسرة آل الكواكبي القديمة التي اليها تُنسب في الشهباء المدرسة الكواكبيَّة . وفيها تلقَّى العلوم اللسانيَّة والشرعيَّة وبعض العلوم الحديثة ثم أَنِس بالكتابة فحرَّر عدَّة جرائد كالفرات والشهباء والاعتدال وخدم الدولة متقلّباً في مناصبها العلميَّة والاداريَّة والحقوقيَّة الَّا انَّ ماطُبع عليهِ من الإباء والنخوة ودقَّة النظر وحبّ الانتقاد في العصر الحميدي حمل اعداءَهُ الى الوشاية بهِ الى المراجع العليا فزُجَّ بالسجن وجُرِّد من املاكهِ . ثمَّ خرج سائحاً الى البلاد وطاف جانباً من افريقية وجزيرة العرب حتى توغَّل في صحاريها وبلغ اليمن ثمَّ رحل الى الهند وسكن آخراً في مصر وفيها توفي سنة ١٩٠٣ . ومن آثارهِ ما يثبت لهُ سعة اطّلاعهِ على تاريخ الشرق ولاسيما تاريخ الممالك العثمانيَّة فعرف ادواءها وحاول علاجها كالافغاني . ومما ألَّفهُ في ذلك كتابهُ « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » وكتاب « ام القرى » نظر فيهِ الشيخ محمد عبده . وكان الكواكبي مع انفته من الاستبداد رقيق الجانب عطوفاً على الضعفاء والمساكين

« محمد رشيد الدنا » وقد اسفت بيروت في اوائل القرن العشرين على فقدها

هذا الكاتب الضليع في السنة ١٩٠٢ (١٣٢٠هـ) وهو احد تلامذة المعلّم بطرس البستاني في مدرستهِ الوطنيّة. خدم الحكومة التركيّة عدّة سنين ثمّ استقال من مناصبها ليخدم وطنهُ بالتحرير فانشأ جريدة بيروت سنة ١٨٨٦ وادارها الى سنة وفاتهِ وكان معتدل الطريقة في سياستهِ فأمِن نكبات الدهر. وكان يرتشد بآراء شقيقهِ الاكبر السديدة السيّد عبد القادر وصارت الجريدة بيروت من بعدهِ في عهدة اخيهِ محمّد امين

نضيف الى أدباء المسلمين في الشام «السيد ابراهيم الطباطبائي» من مشاهير ادباء العراق قضى نحبهُ سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) في النجف وفيها كان مولدهُ سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م) كان إمام النهضة اللغويّة في وطنهِ بين صدور الشيعة. ولهُ ديوان شعر طُبع في صيداء تلوح فيه الاساليب البدويّة القديمة وكان مُغرًى بغريب اللغة وترى ذلك في معظم اشعارهِ. وقسمٌ كبير من قصائدهِ في الغزليّات. ومن حسن قولهِ ابياتٌ ذكر فيها الاحباب وأيّام الانس :

أُخيَّ هل راجعٌ ليلٌ فينظمنا ... بشطِ دجلةَ نظمَ العقدِ اخوانا
أَحبابَنا ان تَخُنْ فيكم وسائلُنا ... فحسبُنا كلّ شيءٍ بعدكم هانا
ان فرّق الدهرُ ما بيني وبينكمُ ... فقد صَحِبتُكمُ دهرًا وأزمانا
تركتُ في النَّجَف الاعلى لصحبتكم ... صَحبًا وأهلًا واوطانًا وجيرانا
عوَّضتموني عن اهلي وعن وطني ... بالأهل أهلًا وبالأوطان اوطانا

ومن حكمهِ :

ما كلُّ من صَحِبَ الاخوانَ جرَّبهم ... لا يُعرَفُ الخلُّ إلّا بالتجاريبِ

وقال في محاسن الشعر :

للشعر حُسْنانِ لا تعدوهما جهةٌ ... حسنٌ بمعنًى وحسنٌ بالاساليبِ

٢ ادباء النصارى في الحقبة الاولى من هذا القرن

أُدباء النصارى في الشام ومصر

جارى أُدباء النصارى في مصر ادباءها المسلمين ولعلّهم كان لهم التقدُّم في تلك

النهضة الادبيَّة . على انَّ ذلك الفضل يعود خصوصاً الى نصارى الشام الذين لم يجدوا في وطنهم ما رغبوا فيهِ من سعة الحال وبسطة العيش والحرّيَّة المعتدلة فهاجروا الى مصر ليَتمتعوا فيها بحضارتها تحت نظارة بريطانية العظمى . وما لبثوا ان تخصص بعضهم ممَّن تخرَّجوا في مدارس الاجانب في الشام للكتابة فنبغوا فيها كما تشهد لهم تآليفهم والصُحُف التي تولَّوا ادارتها فنهجوا الطريق في ذلك لاهل مصر . وها نحن نذكر الذين اشتهروا في تلك الحقبة الاولى

«عبدالله مرَّاش» توفي في غرَّة القرن العشرين في ١٧ كانون الثاني ١٩٠٠ في مرسيلية . وكان مولدهُ في حلب في ١٤ أيار ١٨٣٩ وهو اخو فرنسيس الذي مرَّت لنا ترجمتهُ بين أُدباء القرن التاسع عشر وكلاهما من أُسرة فاضلة عُرف اصحابها بفضلهم ورقي آدابهم . تخرَّج عبدالله في الشهباء في مدرسة الآباء الفرنسيسين ثمَّ تعاطى التجارة فيها مدَّةً واتَّسع في اعمالها وسافر الى انكلترَّة عميلًا لشركة من التجار في منشستر فاصاب ثروةً واسعة . ثمَّ عدل عن التجارة واشتغل بالآداب في باريس وفي انكلترَّة وحرَّر في جرائدهما العربيَّة كمرآة الاحوال لرزق الله حسُّون ومصر القاهرة لاديب اسحاق والحقوق لميخائيل عورا وكوكب المشرق لاحد الفرنسويين وقضى اواخر سني حياتهِ في مرسيلية . وكان عبدالله مرَّاش يشبهُ رزق الله حسُّون في درسهِ للغة العربية ومعرفة تاريخ العرب والبحث عن الآثار العربية في مكاتب لندن وباريس ونسخهِ عنها ما يراهُ من نوادرها جديرًا بالذكر ينقل ذلك بخط بديع . وكان عبدالله ضليعاً بالانشاء العربي يُحسن الكتابة ويحرص على وضوح معانيها . ولهُ فصول رائعة في الاخلاق والآداب وانتقادات حسنة على منشورات المستشرقين ورسائل شتى في العلوم العصريَّة والاحوال السياسيَّة . وتعريبات لبعض كتابات الفرنسويين (اطلب الضياء ٢ : ٣٤٤ و ٤٩١)

وممَّن اشتهروا في مصر من اهل الشام المرحوم «بشارة تقلا» اخو سليم وقرينهُ بإنشاء الصحافة والتأليف . ولد في كفرشيما في ٢٢ آب ١٨٥٢ وتوفي في ١٥ حزيران ١٩٠٢ عُرف منذ حداثتهِ بتوقُّد الذهن ودرس في المدرسة الوطنيَّة ثمَّ في المدرسة البطريركيَّة وعلَّم مدَّة في مدرسة عين طورا . ثمَّ لحق سنة ١٨٧٥ بأخيهِ الذي كان سبقهُ الى الديار المصريَّة فأنشأا هناك في اوائل آب من السنة ١٨٧٦ جريدة الاهرام ثم

صدى الاهرام وكابدا بسبب الجريدتين عدَّة مشقَّات ومضايقات لِما نشراهُ من المقالات الحرَّة وانتقاد اعمال الحكَّام والدفاع عن حقوق المصريين واستعانا بحماية فرنسة لردّ غارات من يتعرَّض لهما. وسافر بشارة غير مرَّة الى اوربَّة وزار عواصمها ثم رحل الى الاستانة ونال من امتيازات سلطانها فضلاً عمَّا نال من انعامات فرنسة كوسام جوقة الشرف ووسامات غيرها من الدول. ثم عاد الى مصر ووسَّع دائرة جريدة الاهرام فوصل بجدهِ ونشاطهِ الى ان اصبحت بفضلهِ في مقدَّمة الجرائد المصريَّة وقد خدم بها صوالح المصريين بازاء الاحتلال البريطاني وانتصر لفرنسة وحقوقها. أُصيب في اواخر عمرهِ بداء القلب فرجع الى سوريَّة انتجاعاً للشفاء فتوفي في وطنهِ

وخدم مصر شابٌ آخر فات في عزّ شبابهِ نعني بهِ «خليل الجاويش» المولود في بيروت سنة ١٨٧٢ والمتخرّج في مدارسها وخصوصاً في المدرسة البطريركيَّة حيث درس العربية على الشيخ ابراهيم اليازجي ثمَّ انتقل الى مصر وخدم في حكومتها بضع سنوات. ثمَّ تولى في الاسكندريَّة رئاسة تحرير جريدة الاهرام عدَّة سنين الى ان شعر بانتهاك القوى فعاد الى لبنان رجاء ان ينعش بهوائهِ قواهُ فلم يجد ما أمَّلهُ فعاد الى مصر وتوفي في حلوان في ٢١ شباط ١٩٠٢ . ألَّف روايات ادبيَّة ومنظومات شعريَّة نُشر بعضها في مجلَّات مصر

وفي مصر كانت وفاة احد مواطنينا السوريين «نقولا بك توما» ولد في مدينة صيداء سنة ١٨٥٣ ودرس في مدرستها للآباء اليسوعيين ثمَّ صار من اساتذتها وعلَّم في بعض مدارس لبنان حتى انتقل الى مصر سنة ١٨٧٤ فانتظم مدَّة في سلك عمَّال دولتها. ثمَّ تسنَّى لهُ السفر الى باريس فاجتمع فيها باصحاب النهضة كالسيّد الافغاني والشيخ محمَّد عبده وكتب عدَّة مقالات نشرها في جريدة مرآة الحال ثمَّ عدل الى فنّ المحاماة ولم يزل منكبًا على درس اصولها ومشكلاتها حتى برع فيها . وانشأ مجلة الاحكام المصريَّة فزادت بها سمعتهُ واقبل عليهِ الجمهور فعدل عنها ولزم المحاماة حتى عُدَّ من نوابغها سالكاً فيها بكل جرأة الى ان اضطرتهُ الامور مع انتهاك الصحة الى السفر الى اوربَّة وفيها كانت وفاتهُ في ٢٥ آب ١٩٠٥ . كان نقولا بك في مرافعاتهِ في القضاء بليغ الكلام يتدفَّق في بسط الدعوى وبيان غثها وسمينها لا يتلجلج لسانهُ في شرحها وتطبيقها على القوانين الشرعيَّة وفيهِ قال بعض الشعراء :

اجا الطالبُ البيانِ وعلم م المنطقِ الحقِ نصهُ والنُقولا
لا تجدْ الـشري وحسبُك مصرٌ لبلوغ المنى وفيها نقولا

وفي السنة التالية في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٦ ذهب الموت بحياة سوري آخر أدّى في مصر خدماً مشكورة للآداب العربيّة وهو « الدكتور نقولا غر » احد مراسلي مجلة المقتطف . كان مولدهُ في حاصبيا سنة ١٨٥٨ واتت بهِ امُّهُ مع اخوتهِ الى صيداء ثمَّ الى بيروت بعد ان قُتل والدهم في حوادث السنة ١٨٦٠ فتربّى نقولا في المدارس الانكليزيّة ثمَّ في الكليّة الاميريكيّة وفي السنة ١٨٧٦ درّس في احدى مدارس دمشق ثمَّ عاد الى الكليّة فدرس فيها الطب ونال شهادتها ولهُ في مجلّة الطبيب فصول طبيّة تشهد لهُ بحسن النظرِ والذكاء . ثمَّ رحل الى مصر وتعاطى فيها الطبابة منتظماً في سلك الجيش المصري متنقلاً معهُ الى اصوان فوادي حلفا . ثمَّ سافر الى اميركة وواجه رئيس الولايات المتحدة ونشر تفاصيل رحلتهِ اليها في مجلة المقتطف وكذلك رحل الى إرِتْرِيَة والحبشة فحرَّر اخبار سفرهِ اليها مع ما وجدهُ فيها ممَّا يلذُّ القرّاء من الامور الطبيعيّة واخلاق البشر . وكأن هذه الاسفار أثّرت في صحّتهِ بحيث لم تنجع في علاج دائهِ حيلة الاطبّاء وكان اتى بيروت مؤمّلاً الشفاء فزاد مزاجهُ انحرافاً فرجع الى مصر وتوفي فيها بعد قليل

وفي ٢٤ ك ٢ ١٩٠٧ قبضت المنون روح احد ادباء بيروت المستوطنين للقاهرة وهو « جميل بك نخله المدوَّر » من اسرة معروفة في الشام بفضلها وادب اصحابها . وكان المذكور مولعاً بالتنقيب عن آداب العرب وتاريخ الامم الشرقيّة القديمة . فصنّف في حداثتهِ تاريخ بابل وأشور وسبكهُ سبكاً حسناً واخرجهُ بعبارة بليغة وعرّب كتاب التاريخ القديم ورواية « أتالا » لشاتوبريان . وانَّما افضل تآليفهِ كتابهُ « حضارة الاسلام في دار السلام » روى فيهِ على صورة رحلة خياليّة لبعض اهل الشيعة ما ورد في تآليف المؤرخين والادباء عن احوال المملكة في ايّام هارون الرّشيد وهو فكر حسن اقتبسهُ الكاتب من احد ادباء الفرنسويين المدعو برتلمي الذي روى على هذه الصورة سفر احد الاجانب المدعو اناكرسيس (Anacharsis) الى جهات اليونان قبل وفاة الاسكندر واصفاً ما يستحسنهُ من عادات اليونان واخلاقهم وعلومهم . ومثلهُ سفر تلياك لفنيلون اسقف كمبراي . وهذه نبذة من تلك الحضارة تطلعك على أُسلوب

كاتبها البارع ضمَّنها وصف زبيدة امّ جعفر. زوجة هارون الرشيد بنت جعفر بن المنصور وامّ الخليفة الامين (ص ١٥٢–١٥٣) :

«ولئن كنتُ رأيتُ لهُ (اي للرشيد) في تدبير المملكة ذلك التصرُّف الجميل فاني ما وجدتُهُ لهُ في تدبير اهل بيتهِ ومواليهِ وانّما يرجع الرأي في ذلك الى زوجة امّ جعفر وهي انفذ نساء العبَّاسيين كلمةً في الدولة. وقد ربيَتْ في مهاد الدّعة والدلال كما يشير اليها اسمها. فانّما سمَّاها ابو جعفر جدُّها بزُبَيْدة لنضاضة بدَنها وقد كان يُرقصها متملّلاً بها وينظر الى غضاضتها وملاحتها فسمَّاها زبيدةَ لذلك (١. فلمَّا بنى بها الرشيد وجدها طرفةَ حديثٍ ومصدرَ رأيٍ جميل لم يرَ بُدًّا من الانقياد اليها في قضاء جميع ما ترومهُ من الحوائج (٢. ومن ذلك انّهُ مكَّنها من بيوت المال فأنفقت من سعةٍ ما ينيف عن ثلاثين الفَ الفِ دينار. فبنت مسجدًا مباركًا على ضفَّة دجلة بقربة من دور الخلافة يسمَّى بمسجد زبيدة. ومسجدًا سامي الحُسْن في قطيعتها المعروفة بقطيعة امّ جعفر (٣ بين باب خراسان وشارع دار الرقيق (٤ وحفرت بالحجاز العين المعروفة بعين المشاش (٥ ومهَّدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهلٍ ووعرٍ حتى اخرجتها من مسافة اثني عشر ميلاً الى مكة فبلغ ما انفقتهُ عليها الفَ الفِ دينار. وهذا من الاعمال التي لم تباشرها امرأة في الاسلام إلّا الخيزران امّ الرشيد.. . فان لم يكن عند زبيدة من المال ما بلغ هذا القدر الجسيم فانَّ لها في السياسة رأيًا تسمو بهِ الى التداخل في امور الدولة كأفطن ما يكون من الرجال»

وقد امتاز بين السوريين المهاجرين الى مصر ﴿ الشيخ ابراهيم اليازجي ﴾ فانّهُ بشهرة اسم والدهِ الشيخ ناصيف وشهرتهِ الشخصيَّة وتآليفهِ كان من اعظم المساعدين على نهضة الآداب العربيَّة في القطر المصري وفيهِ كانت وفاتهُ في ٢٨ كانون الاول سنة ١٩٠٦. ولا نعود هنا الى ذكرهِ بعد ما وفَّيناه حقَّهُ في كتابنا الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر (٢ : ٣٩–٤٠) مع سائر الاسرة اليازجيَّة. وقد ذكرنا في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] : ٦٣٧–٦٣٨) حفلة نصب تمثالهِ

﴿ الدكتور بشاره زلزل ﴾ كان زميل الشيخ المرحوم ابرهيم اليازجي وقد توفي قبلهُ في ١١ تشرين الثاني ١٩٠٥ في الاسكندرية. كان مولدهُ في بكفيا ودرس الطبَّ في الكلية الاميركيَّة في بيروت ونال شهادتها وزاول فنَّ الطبابة في بيروت

---

١) الاغاني (٩ : ١٠٢) والشريشي (٢ : ٢٤٥) والحصري (٢ : ٢٢٦)

٢) في المسعودي (٢ : ٢٢٧) انها كانت من الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدَّمها احد من نظرائها

٣) ياقوت (٤ : ١٤١)

٤) ابن خلكان (١ : ١٨٦) والمستطرف (١ : ٢٨٩)

٥) المسعودي (٢ : ٤٠٢) وابن جبير (١٧٢) والشريشي (٢ : ٢٤٥)

وهاجر الى مصر فرارًا من استبداد الترك . كتب في وطنه وفي مصر مقالات علميّة وادبيّة كثيرة في مجلّة النحلة سنة ١٨٧٠ ثم في المقتطف وساعد الشيخ ابرهيم في تحرير مجلة الطبيب والبيان والضياء. ونشر في الاسكندريّة سنة ١٩٠١ كتاب دعوة الاطباء لابن بطلان على نسق كليلة ودمنة والحقهُ « بتكملة الحديث في الطب القديم والحديث» . ومن مصنفاته كتاب تنوير الاذهان في حياة الانسان والحيوان . ظهر منهُ قسمان . ولهُ في مجلّة النحلة منظومات شتى منها قولهُ في صاحب الدولة داود باشا اول متصرّف في جبل لبنان النصارى :

هو رأسنا داوُد باشا الذي لهُ من المجد والمعروف ما ليس يُحصَرُ
وزيرٌ مُشيرٌ عادلٌ ذو مهابةٍ يُقاد لـهُ الليثُ الجَسورُ الغضنفَرُ
اقام لفتحِ العلم همّتهُ التي تُنادي لهذا الفتحِ أللهُ اكبرُ
كريمٌ بهِ عودُ الهُدى بعد يُبسهِ أعيد نضيرًا فهو ينمو ويثمرُ
لهُ دولـةٌ ترهو بحسن عدالةٍ وبطشٌ كما قد كان كسرى وقيصرُ
ومن دولةٍ عليهِ قام بفخرها فتفخرُ فيهِ وهي بالعدل تفخرُ

وفي هذه الحقبة انقصف غصنٌ من الدوحة البستانية «سعيد البستاني» توفي في أيار ١٩٠١ في الحدث (لبنان) . تقلّب بين مصر وبلاد الشام وعكف على الآداب العربية واصدر بعض الروايات التمثيليّة كذات الخدر وسير الامير مثّل فيها اخلاق القطر المصري وامراء لبنان وحرّر عدّة سنين جريدة لبنان الى سنة وفاتهِ . برح الحياة وهو في منتصف العمر

وقضى نحبهُ بعده ببضعة اسابيع وطنيّـهُ «سبع شميّل» من اسرة الشميّل الكفرشيميّة وهو في الرابعـة والثلثين من عمرهِ تخصّص كآلـهِ بفن الكتابة فألّف وحرّر في الجرائد في بيروت ومصر واوربا حتى أُصيب بداء الصدر فمات في اوائل حزيران ١٩٠١

ومن مشاهير السوريين الذين أسفت على فقدهم الآداب «خليل غانم» السياسي الحرّ . ولد في بيروت في ٨ت٢ سنة ١٨٤٦ وتوفي في باريس في غرّة حزيران ١٩٠٣ . تخرّج في شبابهِ في مدرسة عينطورة واتقن اللغتين الفرنسويّة والعربية وخدم الدولة

التركيَّة كترجمان لمتصرفيَّة بيروت ولولاية سوريَّة وللوزارة الخارجيَّة في الاستانة. وانتخبهُ سكان سورية كنائب عنهم لمجلس المبعوثان سنة ١٨٧٥ وساعد مدحت باشا في وضع قانون الدولة الاساسي فكان احد اركان النهضة الدستوريَّة. ولمَّا حلَّ عبدالحميد مجلس المبعوثان وتشدَّد على انصارهِ فزع خليل غانم الى السفارة الفرنسويَّة وأبحر سرًّا الى فرنسة حيث ناضل الى آخر حياتهِ عن استقلال وطنهِ. فانشأ في باريس عدَّة جرائد عربيَّة كالبصير وعربية فرنسويَّة كتركيَّا الفتاة وفرنسويَّة محضة كالهلال واصبح من مكاتبي جرائد فرنسة الكبرى. وألَّف جمعيَّة تركيَّا الفتاة فسعى السلطان الى ان يؤلف قلبهُ بالهبات والمناصب فردَّه خائبًا ومنحتهُ فرنسة وسام جوقة الشرف. وبقي طول حياتهِ متشبثًا بدينهِ. ومن مآثره الطيبة كتابٌ من انشائه في حياة السيد المسيح يُثبت فيهِ بالبراهين العلميَّة والدينيَّة الوهيَّتهُ. ولهُ في الافرنسيَّة تاريخ سلاطين بني عثمان. وقد عرفنا في بيروت قرينتهُ الفاضلة فاوقفتنا على بعض آثارهِ ونشرنا منها فصلًا في الاقتصاد. ولقد قال المرحوم يوسف خطار غانم في رثائهِ :

اليومَ أُطفئَ نورُ بدرٍ لامعٍ ... بسما المواطن فالمصابُ بهِ وقَعْ
وخبا شهابُ فؤادِ حرٍّ صادقٍ ... ومجاهدٍ اضناهُ بالوطنِ الوَلَعْ
قد فاجأتنا الحادثاتُ وأسرعتْ ... بسقوط صاعقةٍ لها القلبُ انصدع

ومنها :

رجلُ الحقيقة لن يموتَ لَدُنْ الأولى ... سمعوهُ واعتبروهُ بالحقّ ادَّرَعْ
ما مات غانمُنا فانهُ خالدٌ ... في ضجنا في فكرنا في ما وضَعْ
وفؤادهُ كنهُ الطهارة انهُ ... لقلوبنا يوحي ثبات المجتمَعْ
ومعركٌ فيها صلاحَ مواطنٍ ... عظمتْ وبالنصر القريب المرتفع

وفي السنة ١٩٠٦ في ٢٤ ايلول فقدت كليَّتنا احد نخبة الادباء من ذوي البراعة في التعليم والكتابة والتأليف المرحوم «رشيد الشرتوني» كان درس مدَّة في مدرسة مار عبدا هرهريَّا وعلَّم في مدرستي عين تراز وعين طورا ثم انتدبتهُ مدرستنا الى تعليم العربيَّة فخدمها خدمة نصوحًا عدَّة سنين. وكذلك وجدت فيهِ مطبعتنا الكاثوليكية خير مساعد لنشر كتبها المدرسيَّة ولتحرير جريدة البشير فاعرب في كل اعمالهِ عن

مقدرةٍ حسنة ولهُ في المشرق فصول تاريخيَّة ولغويَّة اعترف لهُ القرَّاء بجودة انشائها ودقَّة مضامينها. ومن آثاره المستجادة مبادئ العربيَّة في الصرف والنحو مع تمارينهِ للطلَّاب في التصريف والاعراب وكتابهُ نهج المراسلة ومفتاح القراءة. وقد نشر لخدمة طائفتهِ بعض مخطوطات العلَّامة الدويهي كتاريخ الطائفة المارونيَّة ومنارة الاقداس واعمال بعض المجامع المارونيَّة كما انهُ عرَّب قسماً من تاريخ لبنان للاب بطرس مرتين اليسوعيّ وتراجم بعض القديسين للاب فكتور دي كوبيه. ومن تعريبهِ ايضاً كتاب الموافقة بين العلم وسفر التكوين لهُ ورواية السفر العجب الى بلاد الذهب للاب اميل ريغو اليسوعي وحبيس بحيرة قدس للاب هنري لامنس. ومما بقي من مخطوطاتهِ ترجمة فلسفة الاب تونجرجي اليسوعي

وفي السنة ١٩٠٦ في يوم عيد الميلاد ودَّع الحياة احد تلامذة كليتنا النوابغ «نجيب حبيقة» انكبَّ على درس اللغات المدرسيَّة واحراز العلوم العصريَّة بكل رغبة فبرَّز فيها بين اقرانهِ وما كاد ينال الشهادات المؤذنة بكفاءتهِ حتى دُعي الى التدريس في كليَّة القديس يوسف فعلَّم عدَّة سنين الصفوف العربية العالية. وعرفت ايضاً فضلهُ في التعليم مدرسة الحكمة الجليلة والمدرسة العثمانيَّة للشيخ احمد عباس الازهريّ. ثمَّ تفرَّغ للكتابة والتأليف وتولَّى تحرير جريدة المصباح سنة ١٩٠٣ لهُ فيها وفي المشرق وغيرهما فصول ادبيَّة وفنيَّة مستطابة. وكان ساعياً الى تعزيز الآداب العربية وتأليف قلوب الناشئة في خدمة الوطن كما انهُ خدم الجمعيَّات ووقف نفسهُ لتعليم اولاد طائفتهِ الفقراء. ولهُ آثار عديدة منها مدرسيَّة كدرجات الانشاء في ستة اجزاء ومنها ادبيَّة كمقالاتهِ عن فنّ التمثيل والانتقاد ومنها روايات معرَّبة كالفارس الاسود وشهيد الوفاء وخريدة لبنان والشقيقتين. ولهُ قصائد رائقة سلسة وكانت باكورة قصائدهِ ما نظمهُ في يوبيل الحبر الاعظم الكهنوتي سنة ١٨٨٧ وهو اذ ذاك تلميذ فوصف السفينة البطرسيَّة المرموز بها الى الكنيسة:

عصفتْ على بحر الانام رياحُ   حجب النهارَ من الظلام وشاحُ
وهوت صواعقُ مُصعقاتٌ أزعجت   بشراً فكادت ترهقُ الارواحُ
والبحر عاد عرمرماً مُصخباً   والموجُ ثار فساءَ منهُ جماحُ
والناس في غمر الخِضَمّ جميعهم   خاضوا فليس من النهار بَراحُ

ورأوا المياه تلاطمت امواجها ... وعلت عليهم كالجبال وصاحوا
طمت المصيبة فالمنية قد دنت ... آهاً أليس من الهلاك مراحُ
لكن على سطح الخضمّ سفينةٌ ... وعلى مقدَّمها يُرى مصباحُ
قد أقبلت وتطايرت لخلاصهم ... شكراً لجدّك ايها الملاّحُ
فيك النجاة وليس غيرك يرتجى ... واليك كلٌّ قلبهُ مُلتاحُ
ها قد تقدّمت السفينةُ نحوهم ... فنجا بها قومٌ وفيها راحوا
لم ينأ عنها غيرُ مَن قد آثروا ... شربَ الحتوف فذي الفعالُ قباحُ
شاموا البروق فأمّلوا منها الهدى ... خابت ظنونهمُ فليس نجاحُ
لا نور في غير السفينة فاعلموا ... مَن ينأ عنها ضاع منهُ صلاحُ
جُدُّوا ايا غرقى وأمّوها يفو ... زُ كمُ اليها نورُها الوضّاحُ
جدُّوا فليس لكم خلاص دونها ... ولجميعكم فيها الدخول مباحُ
اعداؤها سخروا بها قبحاً لهم ... قالوا بأن ستُحطّمُ الالواحُ
فالموجُ يصدها فيدفعها فلا ... املٌ لنفسٍ بالنجاة مُتاحُ
واذا بصوتٍ صارخٍ : كن آمناً ... بين السفينة والخضمِّ كفاحُ
فسفينة الصيّاد تقهر خصمها ... ابداً لانَّ لها الصفا ملّاحُ
للحين عاد النوء صفواً رائقاً ... وعن البلايا زالت الاتراحُ

وقد احبَّ تلامذتهُ واصدقاؤهُ ان يقيموا لهُ ضريحاً لائقاً في مقبرة طائفتـــه في رأس النبع تكلّفوا عليهِ مبلغاً وافراً فنصبوهُ لهُ في حديقةٍ خاصّة عيّنوها في اواسط أيار سنة ١٩١٠ ونقشوا على صدرهِ الابيات التالية :

حيّاك يا قبرُ منّا غيثُ ادمعنا ... وجادك الله من اسنى عطاياهُ
ضممتَ كنزاً ثميناً دونهُ مُهجٌ ... تسيل حزناً وتُدمي القلبَ ذكراهُ
قد قدر الله ان نبكي عليه فتى ... غضاً فصبراً على ما قدّرَ اللهُ
يا ساهرَ العين في التاريخ دامعها ... حبّي النجيب فهذا القبرُ مثواهُ (١٩٠٦)

وفي شهر تموز من تلك السنة ١٩٠٦ ادركت المنية اديباً آخر من اسرة فاضلة في بيروت « ميخائيل بن جرجس عورا » مولود عكّا في السنة ١٨٥٥ وخرّيج المدرسة البطريركية في اوّل منشإها . درس فيها العربية على الشيخ ناصيف اليازجي ثمَّ

سافر الى باريس متاجراً ونشر فيها جريدة الحقوق ثمَّ أعقبها في مصر بمجلة الحضارة فلم تطل حياتها بسبب الثورة العرابيَّة. ثمَّ عاد الى الصحافة ككتشىٍ ومحرّرٍ ومُكاتب الى ان أُصيب بمرض الجأه الى السفر الى اوربَّة انتجاعاً للعافية فمات في مدينة نابولي. ومن آثاره روايات مختلفة ادبيَّة وقصائد قليلة. فمن قولهِ في وصف الدنيا الغرور :

تأفّه ما الدنيا بدارٍ يُبتغَى فيها الثوا ويطيبُ فيها المسكنُ
كلَّا ولا للدهر عهدٌ يُرتجى منهُ الوثوقُ وليس منهُ مأمنُ
والارضُ يورثُها الالهُ عبادهُ هذا يسيء وذاك عكساً يُحسنُ
والمرء مَرمى الموت فهو اذا نجا منهُ النهارَ ففي غدٍ لا يُمكنُ

وفي العام التالي في ٢٦ ت ١ ١٩٠٧ خسرت الدولة التركيـة والوطن السوري احد المخاصين في خدمتها المرحوم «خليل الخوري» المولود في الشويفات سنة ١٨٣٦ درس في مدارس طائفتهِ وتحت ادارة بعض المعلّمين الخصوصيين. وهو اوَّل من فكَّر في نشر جريدة عربيَّة في بلاد الشام فابرزها الى النور سنة ١٨٥٨ تحت اسم حديقة الاخبار فصار لها بعض الرواج ونشرها على مدَّةٍ باللغتين العربية والافرنسية وساعد بذلك على نهضة البلاد الادبية. وانتدبتهُ الدولة التركيَّة لخدمتها فشغل عدَّة مأموريَّات كمفتش للمكاتب ومدير للمطبوعات ومدير الامور الخارجيَّة وهو يراعي سياسة دولتهِ التي اعربت لهُ عن رضاها ومنحتهُ اوسمتها كما نال ايضاً امتيازات بعض الدول الاجنبيَّة لحسن تصرُّفهِ. وكان خليل الخوري احد الشعراء القليلين الـذين نبغوا في اواسط القرن التاسع عشر في سوريَّة تشهد لهُ منظوماتهُ العديدة كزهر الرُّبى في شعر الصبا والعصر الجديد والنشائد الفؤاديَّة والسمير الامين والشاديات والنفحات. وفي شعرهِ طلاوة ورقَّة لم يعهدهما شعراء زمانهِ إلَّا الشيخ ناصيف اليازجي معاصرهُ. وهذه بعض امثلةٍ من نظمهِ. قال في وصف لبنان :

انا في رُبى لبنانَ فوق رؤوسهِ نحو الكواكب للعُلى مجذوبُ
بريَاضهِ حيثُ المقامُ منزَّهٌ وغياضهِ حيثُ المزاجُ يطيبُ
أنسابُ في جوِّ الهواجسِ حيثما كفي الى هام النجوم طَلوبُ
اهوى بلبنانَ التوحُّدَ انَّما هو بي الى حيثُ الالهُ قريبُ

جبلٌ يُظلِّل رأسَهُ جوّ السما فيلوحُ بالتعظيمِ وهو مهيبُ
يبدو برأس بلادنا كعصابة منها لزينةِ قطرنا ترتيبُ
عرشٌ الى ملكِ النسور أمامَهُ يزهو بساطٌ بالمروج خصيبُ
قد مدَّ يغسل في المياه أكفَّهُ ولها برمل سهولهِ تخضيبُ
في كلِّ زهر قد تصوَّر شكلهُ وبكل افقٍ إسمهُ مكتوبُ
لولا مطامعهُ العليَّةُ لم يكن شرفٌ ولا بأسٌ ولا تهذيبُ

وقد استحسنّا لهُ قولهُ في وصف اللغة العربية قدَّمها الى فتاة انكليزية قصدت الشرق لتدرس العربية :

قد رُمتِ من لغة الأعارب مأربا فأتت تصادفُ منكِ فكرًا صيِّبا
أقبلتِ نحو ديارها بتشوُّقٍ فبدَت بك الآدابُ تهتف مرحبا
لغةٌ تجمّلها البلاغةُ والعلى بذكائها تَفْسُ اللغات تطيَّبا
مرَّت جماتها الدهور ولم تزل تزهو وتزهرُ في جلابيب الصبا
لم تخشَ عاصفةً ولم تفتك بها ايدي المُصابِ اذا الزمانُ تقلَّبا
فلذاك قد سلِمتْ وكم لغةٍ لقد شاخت فصارت مثل منثور الهبا
سنةٌ يشابهُها الفضاءُ وقدرةٌ تعلو على هام الكواكب مركبا
مرآةُ شعر الكون قد رسمتْ بها صُورَ العقول وكم اصابت مذهبا
فلكِ الهناءُ برشفِ طيبِ زُلالها ولها الفخارُ بان تطيب وتعذبا

وفي ١٥ ت ١ سنة ١٩٠٧ فُجعت أُسرة شحاده بعميدها المرحوم «سليم شحاده» ترجمان دولة روسيا وسنَد طائفتهِ الاورثذكسيَّة توفاهُ الله في سوق الغرب عن ٤٨ سنة قضاها بالجدّ والنشاط وخدمة الآداب وقد اشترك سنة ١٨٧٥ مع سليم افندي الخوري لنشر معجم تاريخيّ وجغرافيّ دعَواهُ بآثار الادهار فظهر منهُ بعض الاجزاء وعُني بنشر ديوان الفكاهة سنة ١٨٨٥ وكتب عدَّة مقالات في مجلة المشكاة وغيرها. ومن آثارهِ لمحة تاريخيَّة في اخويَّة القبر المقدَّس اليونانيَّة والخلاصة الوافية في انتخاب بطريرك انطاكية وكلاهما تحت اسم مستعار كشف فيهما عن مخازي ومطامع الاكليروس اليونانيّ في سوريَّة وفلسطين. وكان المرحوم جمع مكتبة واسعة بينها

كتبٌ نفيسة عربيَّة واجنبيَّة . ونقلنا فصولًا عن احد مخطوطات مكتبتهِ العربيَّة «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» (المشرق ١٠ [١٩٠٧]: ٩٦١ و ١٠٧٩)

ومن أدباء الروم المتوفين في السنة ١٩٠٥ في ١٣ ت ١ ﴿نخله قلفاط البيروتي﴾ وُلد سنة ١٨٥١ ودرس على اسكندر آغا ابكاريوس ثمَّ اقبل على الدروس الفقهيَّة والقوانين الدوليَّة ثمَّ زاول الكتابة فنشر عدَّة روايات في مجلَّتهِ سلسلة الفكاهات وعرَّب كثيرًا منها كبهرام شاه وفيروز شاه وألف نهار ونهار ومائة حكاية وحكاية. ونشر ديوان ابي فراس الحمداني وحقوق الدول وتاريخ روسيا وغير ذلك ممَّا أثار عليهِ خاطر ارباب الدولة التركية فنفوهُ الى قونية سنتين وزُجوه في الحبس سنة أُخرى الى ان أُخرج عنهُ منهوك القوى بعد النفقات الطائلة ومات مفلوجاً لما نالهُ من سوء المعاملة. ومن خلفتهِ ديوان من نظمهِ لم يطبع. وقد نُقش على قبرهِ هذا التاريخ:

لمَّا هوى الموت الزؤام بنخلةٍ ارَّختُها بسما الاعالي تُغرَسُ

وفي هذهِ الحقبة السابقة للدستور مُنيت الكنائس الشرقيَّة ببعض اربابها الذين ساعدوا بلادهم في تنشيط الآداب. منهم بطريرك طائفة الروم الكاثوليك ﴿السيد بطرس الجريجيري﴾ درس في مدرستنا في غزير ثمَّ في مدينة بلُوا في فرنسة وقد أُسند اليهِ تدبير كرسي طائفتهِ البطريركي وكافَّة المشرق في ٢٥ شباط سنة ١٨٩٨ فلم تطل مدَّة بطريركتهِ فاستأثرت رحمة الله بنفسهِ في ٤ نيسان سنة ١٩٠٢ وكان أدار مدَّةً دروس المدرسة البطريركيَّة الكبرى في بيروت ونشر لتلامذتها كتاب التعليم المسيحي سنة ١٨٦٩ واليهِ يُنسَب انشاء المدرسة الاسقفيَّة في زحلة لهُ مناشير وخطب

وقد أسفت الطائفة المارونيَّة في ٤ ت ١ ١٩٠٧ على فقد حبرها المثلث الرحمات المطران ﴿يوسف الدبس﴾ رئيس اساقفة بيروت بعد ان أدَّى لابناء ملَّتهِ خدماً جليلة في أيام كهنوتهِ واسقفيتهِ فانشأ مع رزق الله خضرا المطبعة الكاثوليكية العمومية التي سبق لنا وصف تاريخها ومطبوعاتها النفيسة (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ١٠٠٠-١٠٠٣ و ١٠٣٠). وشيَّد مدرسة الحكمة العامرة سنة ١٨٧٥ لتربية الناشئة وتهذيب المرشَّحين للكهنوت وبنى كنيسة مار جرجس الكاتدرائية على طرز كنيسة مريم الكبرى في رومية ونشر تآليف عديدة منها مدرسيَّة كمربّي الصغار ومرقي الكبار

ومغني المتعلِّم عن المعلِّم ومعجم في العلوم الفقهية وتقسيم الميراث . ومنها دينيّة وطقسية كمجموع خطبهِ ومواعظهِ وكتاب الخطب البيعيّة ونبذة تاريخيّة في الفروض البيعية والناقور اليومي والشحيم الكبير ورتب توزيع الاسرار ومنها تاريخية كسفر الاخبار في سفر الاحبار وخصوصاً تاريخ سورية في ثمانية اجزاء مع موجزهِ في جزئين . ومنها جدالية كروح الردود وتآليفهِ في المردة . وقد عرَّب كتباً كثيرة كتحفة الجيل في تفسير الاناجيل وترجمة تاريخ الارطقات للقديس الفونس ليغوري والرسوم الفلسفيّة للاب يوسف دموسكي اليسوعي الى غير ذلك ممّا يخلّد ذكرهُ في قلوب ابنائهِ ومواطنيهِ

وفقدت طائفة الروم الاورثذكس في بيروت في ٢٠ ك٢ ١٩٠١ مطرانها السيد «غفرئيل شاتيلا» ولد في دمشق سنة ١٨٢٥ وتلقّى الدروس في وطنهِ وترهّب في القدس الشريف وتعيَّن كاتباً لاسرار البطريرك ايروثاوس ورافقهُ الى الاستانة ثم وكل اليهِ رئاسة الأمطوش الانطاكي في موسكو . وفي السنة ١٨٦٩ وقع عليهِ الانتخاب كمطران لكرسي بيروت سنة ١٨٧٠ فعُني بفتح المدارس في ابرشيّتهِ في بيروت وقرى لبنان فأصابت ملتهُ في ايامهِ بعض الرقي

ورزئت بطريركيّة الروم في ٢٦ ك٢ بوفاة بطريركها السيّد «ملاتيوس الدوماني» . ولد في دمشق سنة ١٨٣٧ وتخرّج في المدارس الوطنيّة ثمَّ لبس الاسكيم الرهباني سنة ١٨٥٧ وصحب الى الاستانة البطريرك الانطاكي ايروثاوس ولمّا ترمّلت سنة ١٨٦٥ ابرشيّة اللاذقية دُعي الى رعاية كرسيها فعُني بانشاء مدرسة لابناء طائفتهِ . وفي السنة ١٨٩١ بعد استقالة البطريرك اليوناني اسبيريديون انتُخب بطريركاً واستقلَّ بهِ كرسي انطاكية عن الخضوع لبطريرك الاستانة . وممّا يعود فيهِ اليهِ الفضل لتعزيز الآداب تجديد مدرسة البلمند وانشاء مكتبة جمعت نحو ٤٠٠٠ كتاب والعناية بطبعة الدار البطريركية وعُني بتهذيب الشبيبة من طائفتهِ وعقد الجمعيات الخيرية

وأسف الاقباط على فقدان احد رهبانهم في اوائل القرن العشرين «الايغومانس فيلوثاوس» اشتهر بنشر تاريخ نوابغ الاقباط الذين كان لهم الفضل في النهضة والاصلاح

هذا ما عرفناهُ من أدباء النصارى في السنين السابقة للدستور العثماني . ولا يبعد ان يكون فاتنا قسمٌ منهم لاسيما الذين برعوا في اميركة لقلّة ما كان يبلغنا من اخبارهم

٣ المستشرقون في اوائل القرن العشرين

كانت الدروس الشرقية في غرّة القرن العشرين راقيةً في سائر انحاء اوربّة والعالم وقتئذٍ في سلامٍ لم تكدّر صفاءهُ معامع الحروب. فكان للغتنا العربيّة مقام رفيع في الجامعات الاوربيّة يتنافس اساتذتها في نشر تعليمها واستخراج مئات من دفائن كنوزها. وكانت تساعدهم على ذلك المؤتمرات التي كانت تُعقد من وقت الى آخر في عواصم البلاد ورحلات السيّاح الى بلاد الشرق القاصية الى اليمن والهند ومرّاكش فيعثرون على تآليف عزيزة الوجود كانوا يعدّونها ضائعة مفقودة فينشرونها بالطبع فيتّسع بنشرها نطاق معارفنا عن آثار العرب

وكانت مجلّات المستشرقين حافلة بتلك المآثر النفيسة لاسيما المجلّات الاسيويّة الفرنسويّة والانكليزيّة والالمانيّة والنمساويّة والايطاليّة والاميركانيّة فلم تترك باباً إلّا قرعتهُ ولا بحثاً إلّا خاضت فيهِ لا يهدأ لها بالٌ حتى تبيّن غثّهُ من سمينهِ وها نحن نذكر بعضاً من الذين خدموا العربيّة في ذلك العهد فأسفت البلاد على فقدهم في اوائل القرن العشرين

(الفرنسويون) فقد مكتب اللغات الشرقيّة الحيّة في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين رجلاً هماماً ترأس عدّة سنين على تنظيمها وترتيب دروسها الوجيه ﴿ ادريان بربيه دي مينار ﴾ (A. Barbier de Meynard) ولد في ٦ شباط ١٨٢٦ على المركب الذي كان يقلّ والدتهُ من الاستانة الى مرسيلية وتخصص منذ حداثة سنهِ بدرس اللغات الشرقية وساعدتهُ على اتقانها رحلاتهُ لخدمة قنصليّات وطنهِ في القدس وفي طهران والاستانة فتعلّم اللغات الفارسيّة والتركيّة والعربيّة وتمكن من دقائقها حتى تولّى تعليمها في مكاتب فرنسة العليا. فانتُدب الى رئاسة المجلة الاسيويّة الباريسية ولهُ فيها فصول عديدة ممتعة تشهد لهُ بسعة معارفهِ. وقد حضرنا دروسهُ في باريس سنة ١٨٩٤ فكان لا يزال يطرى محامد الشرق وآلهِ. ولهُ منشورات عديدة في التركية والفارسية. ومما خدم بهِ اللغة العربية نشرهُ لمروج الذهب للمسعودي في تسعة مجلدات مع ترجمتهِ الى الفرنسويّة ونشر من معجم البلدان لياقوت ما يختصّ ببلاد فارس. وساعد في نشر التآليف العربية المنوطة بالصابيين فنقل الى الفرنسويّة كتاب الروضتين

لمجيد الدين الحنبلي في المجلد الرابع من مجموعها العربي . اما مقالاتهُ عن العرب والآداب العربية فمتعددة كمقالتهِ عن السيد الحميري والالقاب عند العرب الخ . كانت وفاتهُ في باريس في اواسط آذار ١٩٠٨

وفي تلك السنة عينها في ١٣ نيسان ١٩٠٨ فقد المكتب المذكور احد اساتذتهِ المعدودين هرتفيك ديرنبورغ (Hartwig Dérenbourg) وهو ابن جوزف ديرنبورغ الذي مرَّ ذكرهُ بين ادباء القرن التاسع عشر . اخذ عن ابيهِ ميلهُ الى درس الشرقيات فجاراهُ في نشاطهِ فانتُدب الى تدريس اللغة العربية في مكتب اللغات الشرقية الحيَّة وفي مكتب فرنسا الاعلى ونشر عدَّة مطبوعات مفيدة اخصُّها كتاب سيبويه وديوان النابغة الذبياني مع ترجمتهِ الافرنسيَّة وكتاب الانشاء والاعتبار لأُسامة بن مُنقذ والنكت العصريَّة لعمارة اليمني ونقلها الى الافرنسية وجدَّد طبع الفخري الآداب السلطانيَّة لابن الطقطقى . ومن آثارهِ وصف جديد لقسم من مخطوطات مكتبة الاسكوريال في مدريد . كان مولدهُ في ١٧ حزيران ١٨٤٤ في باريس وفيها توفي

وسبقهُ بالوفاة احد ابناء دينهِ الموسوي جول اوبرت (Jules Oppert) ولد في همبورغ في ٩ تموز ١٨٢٥ ثم عدل الى الجنسية الفرنسويَّة وتوفي في باريس في ٢١ آب ١٩٠٥ . كان احد كبار العلماء باللغات الساميَّة كالعبرانيَّة والعربيَّة . وانَّما امتاز خصوصاً بدرس اللغة المسماريَّة وكان احد الاوَّلين الذين ساعدوا على كشف الغازها . بعد ان قضى اربع سنوات في العراق يدرس احاجيها . ولمَّا عاد الى فرنسة نشر نتيجة ابحاثهِ في كتابهِ المعنون «رحلة علميَّة الى بلاد ما بين النهرين» ولم يزل مذ ذاك الحين يتحف العلماء بمنشورات متتابعة في تاريخ بابل واشور وفي اللغات الساميَّة وخواصها

وفي هذه السنين الاولى من القرن العشرين رُزئت رسالتنا السوريَّة بوفاة ثلاثة من رهبانها الفرنسويين الذين ادّوا للآداب العربية خدماً مشكورة استحقُّوا بها ان يُنظموا في عداد المحسنين الى الوطن . اوَّلهم الاب «يوحنا بلو» (J.B. Belot) المولود في غرَّة آذار من السنة ١٨٢٢ في لوكس من اعمال بورغندية والمتوفَّى في بيروت في ١٤ آب ١٩٠٤ . باشر درس اللغة العربية منذ اوائل سني رهبانيتهِ ثمَّ قدم الى بيروت سنة ١٨٦٦ ولم يزل ينشط في إحراز فرائد لغتنا حتى امكنهُ ان يتولى ادارة مطبعتنا ويهتمَّ بنشر عدَّة تآليف مفيدة . منها دينيَّة كالقلادة الدريَّة ومروج الاخيار

والفصن النضير ومنها علميَّة اصابت لدى المستشرقين وارباب المدارس في الشرق والغرب حظوةً واسعة كالفرائد الدرّيَّة في اللغتين العربية والفرنسويَّة وكمعجميه الفرنسوي العربيّ الكبير والصغير وكقراطيقه الفرنسويّ العربي

وتوفي بعده باسبوعين في ٣١ آب ١٩٠٤ يسوعيٌّ آخر ذو حرص كبير على خدمة الوطن ونشر الآداب الشرقيَّة الاب «ڤكتور دي كوپيه» (V. de Coppier) . أُرسل اولًا الى الجزائر ثمَّ اتى الى بيروت فقضى فيها عشرين سنةً بشغل متواصل. ثمَّ ألَّف عدَّة كتب ساعده في تعريبها جناب الاديب خليل البدوي والمرحوم رشيد الشرتوني. منها كتاب التوفيق بين العلم وسفر التكوين وكتاب كشف المكتوم في تاريخ اخري سلاطين الروم وكتراجم بعض القديسين اليسوعيين : ريحانة الاذهان ونفح الرند ومظهر الصلاح وكنخبة النخب في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب. ونقل الى الفرنسويَّة ديوان الخنساء. وكتب فصلًا كبيرًا عن شواعر العرب وترجم الى الفرنسويَّة ايضًا كتاب القرآن (لم يطبع) ونشر في مجلّة الكنيسة الكاثوليكية فصولًا عديدة. كان مولده في فرنسة سنة ١٨٣٦

والمستشرق اليسوعي الثالث المتوفَّى في هذه الحقبة هو الاب «اوغستين روده» (Aug. Rodet) المولود في فرنسة في ٣١ ت ١ ١٨٢٨ درس العربيـة في الجزائر ثم أُرسل الى سوريَّة السنة ١٨٦٨ فترأس على مدرسة غزير قبل نقلها الى بيروت ١٨٧٠–١٨٧٥ . ومن خدمه المعتبرة للوطن ترجمةُ للاسفار الكريمة من العبرانيَّة واليونانيَّة الى العربية ساعدهُ في تنقيح تعريبها المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي . ونشر للمدارس مع الاب يوحنا بلو مجموعة نخب الملح في خمسة اجزاء. توفي في ١٢ كانون الاول سنـة ١٩٠٦

(الولمانيون والنمسويون) مات في اوكسفرد في غرَّة القرن العشرين ٢٨ ت ١ ١٩٠٠ العلّامة الالماني الكبير «وليم ماكس مولّر» (W. Max Müller) كان معظم شغله باللغات الهنديَّة والمقابلة بين اصول اللغات. وقد نقـل الى الانكليزيَّة كتاب القرآن مع كتب الشرق الدينيَّة . كان مولده في ديساو (Dessau) سنـة ١٨٢٣ في ٦ كانون الاول

وفي ١٨ آب من السنة ١٩٠٣ انتقـل الى جوار ربّه في برلين الاستاذ الشهير

«فردريك دياتاريشي» (Fr. H. Dieterici) كان مولده في مدينة برلين في ٦ تموز ١٨٢١ وساح في شبابهِ في جهات الشرق ثم تعيَّن في وطنهِ كاستاذ العربية سنة ١٨٥٠ فثبت في تعليمهِ عدَّة سنين. ولهُ تآليف عربيَّة متعدّدة منها معجم عربي الماني وشرح الفيَّة ابن مالك وصنَّف كتاباً في الشعر العربي ونشر نخباً من يتيمة الدهر للثعالبي ومن ديوان المتنبي. ودرس خصوصاً تآليف العرب الفلسفيَّة كالفارابي واخوان الصفا فنشر منها بعضاً ونقل بعضاً الى الالمانيَّة

وفي برلين توفي الرحَّالة المستشرق «وتسشتين» (Joh. Gottfr. Wetzstein) ولد في ١٩ شباط ١٨١٥ وتوفي في ١٧ ك٢ ١٩٠٥ تعيَّن قنصلاً لدولتهِ في دمشق وللسياحة في جهات حوران وجبل الدروز سنة ١٨٦٠ ونشر بعض ما وجدهُ فيها من الكتابات

وفي كانون الثاني من السنة عينها توفي ايضاً «فرنسيس جوزف شتينغاس» (F. J. Steingass) كان ضليعاً باللغتين الفارسيَّة والعربيَّة. فمن منشوراتهِ قاموس عربي انكليزي ونقل قسماً من مقامات الحريري الى الانكليزية وكتب عن تاريخ الخطوط والكتابات الساميَّة. ولد في فرنكفورت في المانية وتوفي في انكلترة

وفي العام التالي في ٢٥ ك٢ ١٩٠٦ فقدت النمسة احد علمائها المستشرقين الكاهن «غوستاف بيكل» (G. W. Bickell) علَّم زمناً طويلاً اللغات الشرقية في كلية إنسبروك وفينَّة وبرَّز خصوصاً في درس اللغة السريانيَّة فنشر فيها كتباً جليلة كديوان اسحاق النينوي والترجمة الكلدانية لكليلة ودمنة وهي التي سبقت ترجمة عبدالله ابن المقفَّع العربية وقابل بين الترجمتين. كان مولدهُ في ٧ تموز ١٨٣٨ وارتدَّ عن البروتستانيَّة الى الكثلكة

وممن ذاع اسمهم في هذه الحقبة ثم حلَّ أجلهم الدكتور «مورتس شتينشنيدر» (Moritz Steinschneider) المولود في ٣٠ آذار ١٨١٦ والمتوفى في برلين في ٢٤ ك٢ ١٩٠٧. قد نشر قوائم غاية في الافادة عن الكتب العربية المنقولة الى اللاتينيَّة وعن التآليف اليونانيَّة التي نقلها العرب الى لغتهم. ولهُ جدول واسع للتآليف التي كتبها المسلمون والنصارى واليهود في صحَّة اديانهم وفي تفنيد اديان سواهم. وكذلك سرد قائمة جميلة لما نشره العرب في الرياضيَّات والعلوم الفلكيَّة. ولهُ تأليف آخر في الآداب العربية وانتشارها بين اليهود طبعهُ سنة ١٩٠٢ بالالمانيَّة

وزاد عليهم شهرةً «ادوار غلازر» (E. Glaser) الذي ولد في بوهيمية في ١٥ آذار ١٨٥٥ وتوفي في مونيخ في ٧ أيار ١٩٠٨ . رحل الى بلاد اليمن ووصف كثيراً من احوالها وآثارها ونشر كتابات حميريّة قديمة اوقفتنا على اخبار ملوكها التبابعة واخبار ملوك الحبش الذين استولوا على اليمن بعد نكبة نجران واستشهاد اهلها النصارى في عهد ذي نوًاس الملك اليهوديّ

(الانكليزيون والبلجيكيون) من اعيان الانكليز الذين قضوا أجلهم في العشر الاوّل من القرن العشرين العلّامة «وليم ميور» (W. Muir) احد المحقّقين المدقّقين في تواريخ المسلمين والعرب . ألّف سيرةً مطوّلة لنبيّ المسلمين في مجلّدين سنة ١٨٥٨ . وكتب في القرآن وتأليفه وفي الخلافة الاسلاميّة واطوارها المختلفة . ولهُ مجادلات دينيّة في الاسلام ومقالات في شعراء العرب ونشر تاريخ دولة المماليك في مصر . توفي في لندن في ١١ تموز ١٩٠٥ وعمرهُ ٨٦ سنة

واشتهر في انكلترة «هنري كسّل كاي» (H. Cassels Kay) ولد في أنفرس في بلجيكة ودخل انكلترة فاتخذته جريدة التيمس كمراسل لها في مصر فنشر كتابات عاديّة وجدها في مصر ودمشق . . ثم استوطن لندن وعلّم فيها وطبع تاريخ بني عُقَيل ثم تاريخ عمارة اليمني ونقلهُ الى الانكليزيّة وذيّلهُ بالحواشي (١٨٩٢) توفي في ٥ حزيران ١٩٠٣ وكان مولده في ٢١ نيسان ١٨٢٧

المستشرقون في **(اسوج وهولندة وروسيا)** . عُنيت كلية اوبسالا في اسوج بتعليم اللغات الشرقية فكان يعلّم فيها العربية الاستاذ «هرمان المكويست» (Herm. Nap. Almqvist) نشر قسماً من رحلة ابن بطوطة وكتب في خواص الضمائر في اللغات الساميّة . توفّي في ٣٠ ايلول ١٩٠٤

ولم تزل هولندة رافعة منار التعليم للغات الشرقية وخصوصاً العربية جاريةً على آثار كبار علمائها الذين شرّفوا وطنهم من هذا القبيل منذ القرن السابع عشر . وممّن فقدتهُ الآداب العربيّة في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين احد علماء ليدن الذي مات في ريعان شبابه وهو الاديب ڤان ڤلوتن (C. Van Vlouten) . نشر كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ومعظم رسائل الجاحظ الادبيّة توفي سنة ١٩٠٧ منتحراً

امَّا روسيا فكان ناشر لواء علومها الشرقيَّة العلّامة « البارون ڤيكتور فون روزن » المولود سنة ١٨٤٩ في مدينة رول من اعمال استلنـد وتوفي في بطرسبورج في ٢٣ كـ٢ ١٩٠٨ (راجع ترجمتهُ في المشرق ١١ [١٩٠٨] : ١٧١—١٧٣) درس على العلّامة المستشرق فلَيْشر في ليبسيك ثمَّ عُهد اليهِ تعليم اللغة العربية في كلية بطرسبورج فاضحى قطب علومها الشرقية ونال ارفع الامتيازات الشرقيَّة لسموّ فضلهِ . والعربية مَدينةٌ لهُ بنشره من اثارها منها منتخبات مدرسيَّة شتى مع ترجمتها الى الروسيـة . وطبع قسماً من تاريخ يحيي الانطاكي الـذي عُنينا بنشرهِ ملحقاً بتاريخ سعيـد بن بطريق . ولهُ وصف مخطوطات مكاتب روسيَّة الشرقيَّة وساعد على طبع تاريخ ابي جعفر الطبري في ليـدن . وكان ذا لطفٍ كبيرٍ يسعى الى خدمة من التجأ اليهِ في الابحاث الشرقيَّة وعليهِ تخرَّج كثيرون من الروسيّين فاشتهروا في وطنهم وخـدموا الآداب العربيَّة خدماً مشكورة

القسم الثاني

الآداب العربيَّة من ١٩٠٨—١٩١٨

الجزء الاول

نظر في الآداب العربية في هذه الحقبة

هي الحقبة الثانية من الاداب العربية في هـذا الربع الاوَّل من القرن العشرين وهي تتناول عشر سنوات اوَّلها اعلان الدولة التركية بالدستور وآخرها ختام الحرب الكونيَّة

وما يقال عنها اجمالًا انَّها ابتـدأت بالفرح ولم يلبث ان عقبها الحزن والشقـاء . فتأثَّرت بها الآداب العربية وجمعت بين المتناقضَين . فكان صدى الافراح والاحزان يُسمَع متناوباً في صرير الاقلام المعربة عن عواطف القلوب

أُعلن بالدستور العثماني بعد فوز الحزب العسكريّ في الاستانة في ٢٤ تموز ١٩٠٨

فكان لهذا النبأ فرحٌ شمل عموم الرعايا في تركية واستبشر بـهِ الجميع خيراً وشعَرَ الناس كأنَّ حملاً باهظاً سقط من كواهلهم او حُلَّت عنهم ربقـة الاستعباد وكُسِرت اغلال أسرهم. فأنطلقت الالسنة بالمديح وشُحذت الاذهان بالقريض فضاقت صفحات الجرائد عن استيعاب ما تُنتج بهِ القرائح من الفصول الشائقة والقصائد الرنانة الرائقة وما لبثت الجرائد المصريَّة والمغربية والاميركيَّة من مسلمين ودروز ونصارى تضرب على الوتر عينهِ فتارةً تطرئ الحرّية وتحبّذ المساواة والاخاء. وتارة تسلق بسهام حادَّة تركية وسلطانها المستبدَّ وحيناً ترفع الى السحاب نيازي وانور وطلعت وجمالاً وتُسكَر بمحامد تركية الفتاة لاسيما بعد ان اضطرَّت عبدَ الحميد الى النزول عن عرشهِ مخلوعاً منفياً الى سالونيك يبكي على سلطانهِ المفقود

على انَّ هذه الافراح لم تلبث ان ترنَّق صفاؤها بما ظهر للفَرِحين من استبدادٍ كان شرّاً من الاستبداد الحميدي بتطرُّف ضابطي ازمَّة الامور من جمعيَّة الاتحـاد والترقي اذ تحاملوا على مَن لم ينحزْ الى رأيهم فرفعوا البعض منهم على الاعواد واذاقوا غيرهم ضروب العذابات التي اعتادهـا همج الشعوب. فكفَّت تلـك الكتابات عن ترميرها وتطبيلها وغيَّرت لهجتها نوعاً إلَّا انها خوفاً من عقاب الحزب المتولي في الدولة لم يجسروا ان يعلنوا بما تمّهِ

ثمَّ زادت الاحوال حراجـةً بمكايد جمعيَّة الاتحـاد والترقي وتقلّبت الوزارات وتعدَّدت الاحزاب وبلغت امور الدولة التركية منتهاها من الاضطراب بحربَيْها مع ايطالية سنة ١٩١١ـــ١٩١٢ ومع الدول البلقانيَّة سنة ١٩١٢ ـــ ١٩١٣ ففقدت آخر ولاياتها في افريقية طرابلس الغرب وكادت الدول البلقانيَّة تأتي على ولاياتها الاوربية لولا ما وقع بينها من النزاع. فوجدت هذه الاحوالَ كتبَـةً وشعراء طنطنوا بمعاظم تركيَّة وبالتشنيع على اعدائها الايطاليين والبلغار

وكانت ثالثة الاثافي الحرب الكونيَّة التي انحازت فيها تركية الى الدول المركزيَّة مدفوعةً الى تحزّبها بمواعيد المانية العرقوبية وبمطـامع بعض زعمائهـا الساعين وراء مصالحهم الخاصَّة فكان ما كان بكسرة المانية والمحاربين في جانبها فخرجت منهـا تركيَّة مذلّلةً خاسرة

أمَّا الآداب العربيَّة في مدَّة تلك الفوضى فانَّها كاد يُقضى عليها بمصادرة الجمعيَّات

العربية وشنق بعض اصحابها واقفال المدارس ومناصرة اللغة التركية وتعطيل معظم الجرائد الوطنيّة والمطابع الاجنبيّة والحرّة في انحاء دولة الاتراك في بيروت ولبنان وفلسطين وانحاء الشام والعراق . امّا في الخارج في مصر واميركا فانّ النهضة العربية بقيت على حالتها إلّا انها لم تترقَّ لانقطاع معاملاتها مع بلاد الشرق التي منها تستمدّ كثيراً من موادّ حياتها وبانشغالها بامور الحرب واطوارها

امّا اوربّة فانّ غيرة علمائها في درس العلوم الشرقيّة عموماً والعربية خصوصاً لم تخمد فانها من السنة ١٩٠٨ الى السنة ١٩١٤ ثبتت على خطتها من النموّ والنجاح كما تشهد عليها مؤتمرات المستشرقين الدولية سنويّاً والعدد العديد من المطبوعات الجديدة التي نشروها ومن الآثار القديمة التي وقفوا عليها . وانّما تأثّرت ايضاً بالحرب العمومية لفقدانها عدّة من المستشرقين الذين هجروا الدروس ليدافعوا مع مواطنيهم في ساحات الحرب عن حرمة بلادهم

ومع ما رأيت من نكبة الآداب العربية في هذه الحقبة لا بُدَّ من الاعتراف بهمّة الحكومة المصريّة في تحسين مدارسها الوطنية وسعيها الى زيادة مصاريف برنامجها لتعميم المدارس ولانشاء مدارس عليا وجامعة وطنية تلقى فيها الدروس العلميّة الخاصّة ينتدب اليها اساتذة بارعون من الوطنيين والاجانب وهذه الجامعة المصريّة تقوم بثلثة اقسام كبيرة وهي : كليّة الآداب تشمل الآداب العربية وعلم مقارنة اللغات السامية وتاريخ الشرق القديم وتاريخ الامم الاسلامية والفلسفة العربية . ثمّ قسم العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة . ثمّ كليّة السيدات . وكان شروع الجامعة بهذه العلوم السنة ١٩١٠

وكانت الجامعتان البيروتيّتان الاميركيّة والفرنسويّة زادتا ترقّياً واتّساعاً في هذه الحقبة الثانية ففي السنة ١٩٠٩ اضافت الكليّة الاميركيّة الى مدرستها الطبيّة ثلثة مستشفيات للنساء وللاطفال ولامراض العيون . وانشأت في السنة ١٩١٠ مجلّتها «الكليّة» في العربيّة والانكليزيّة . اما الكليّة اليسوعية فأقيمت لمدرستها الطبيّة معاهد جديدة فسيحة قريباً من رأس النبع على طريق الشام صار تدشينها برونق عظيم في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٢ ثمّ فتحت برتبة فخمة في ٢١ من الشهر في العام المقبل . امّا معاهدها القديمة فخُصِّصت بفرعٍ جديد من الدروس العليا اعني

مدرسة الحقوق التي أُنشئت سنة ١٩١٣ وغايتها ان تجدّد مفاخر مدرسة الحقوق الرومانيّة التي اكسبت بيروت مدّة ثلثمائة سنة مجدًا مؤثّلًا اوقفته نكبات الزلازل التي هدمت المدينة في القرن السادس للمسيح. وفي تلك الاثناء أُنشئت للمسلمين في دمشق مدرسة طبيّة وفي بيروت مدرسة حقوقيّة كان التعليم فيهما باللغة العربية

ومما أُنشئ من المجلّات النفيسة قبل الحرب مجلّة المقتبس سنة ١٣٢٤ لصاحبها السيّد محمّد كرد علي في دمشق. ومجلّة الآثار في زحلة سنة ١٩١١ لمنشئها عيسى افندي اسكندر المعلوف. والنبراس لصاحبها مصطفى افندي الغلاييني سنة ١٣٢٧ والكوثر للاديب بشير رمضان وكلتاهما في بيروت. وانشأ ايضاً في بيروت الابوان يوسف علوان اللعازري ويعقوب الكبوشي مجلّتي الجمانيّة وصديق العائلة. والقس يوسف الشدياق الانطونياني نشر في بعبدا سنة ١٩١١ كوكب البريّة. ونشر العرفان احمد افندي عارف زين الدين في صيداء سنة ١٣٢٨–١٩١٠. أمّا في مصر فتعدّدت المجلّات المستحدثة نخصّ منها بالذكر مجلّة الزهور للشيخ انطون افندي الجميّل (١٩١٠) والمرآة لخليل افندي زينيّه

تصرّف الشعراء باوزان الشعر

ومن ميزات هذه الحقبة الثانية من القرن العشرين تصرُّف الشعراء باوزان الشعر وذلك انهم لما رأوا انبساط الغربيين في معاني الشعر واتّساعهم في اغراضهِ وتصرُّفهم باوزانهِ شاءوا ان يجاروهم في ذلك لئلّا تنحصر قرائح الشعراء في دائرة القصائد الشائعة في الدواوين السابقة

واوّل ما تصرّفوا فيهِ بحر الرجز لقربهِ من النثر بكثرة جوازاتهِ وبسهولة تغيير قوافيهِ. كما فعل نابغة العصر المرحوم سليمان البستاني في شعر الالياذة القصصي فتفنّن في اراجيزهِ ايّ تفنُّن فرارًا من سأم القارئ وملّهِ عند مطالعة هذا الكتاب لو جرى على طريقة واحدة وقد فعل ذلك دون تعسُّف وبحسن ذوق

ووجد ايضاً الشعراء في الموشّحات متّسعاً في نظمهم فاتّخذوها مثالًا وتصرّفوا في البحور الستة عشر واوزانها وقسّموها تقاسيم جديدة في الابيات وفي الادوار وجروا على قوافي متناسقة الى غير ذلك مما ارشدتهُ اليهم قريحتهم فربّما اجادوا وربّما اساؤوا وانّما بيّنوا ما يستطاع استخراجهُ من كنوز الفنون في الشعر العربي في معالجة الاغراض المعنويّة العصريّة كما ترى في الروايات التمثيليّة والقدود الغنائيّة

وقد جرى على ذلك اصحاب الشعر العامّي ولعلّهم سبقوا الشعراء النظاميين فمهّدوا لهم الطريق. ولدينا من دواوينهم مجاميع سبقت عصرنا تدلّ على استنباطهم لاوزان شعريّة جديدة لا تخلو من محاسن المنظومات ولا ينقصها إلّا ضبطها على القواعد اللغوية والعروض وتجريدها من بعض الفاظ العامّة

الشعر المنثور

ومما سبق اليهِ أدباء عصرنا فابتكروهُ دون مثال في لغتنا ما دعوه بالنثر الشعري او الشعر المنثور كانهُ جامع بين خواصّ النثر والنظم. أما النثر فلانهُ على غير وزن من اوزان البحور. وامّا النظم فلانهم يقسمون مَقاطعهُ ثُلاث ورُباع وخُماس وازيد دون مراعاة اعدادها ويسبكونها سبكاً مموّهاً بالمعاني الشعريّة

وهذه الطريقة استعارها على ظنّنا الكتبة المحدثون كأمين الريحاني وجبران خليل جبران ومن جرى مجراهما عن الكتبة الغربيّين ولاسيا الانكليز في ما يدعونهُ بالشعر الابيض غير المقفّى وفي بعض كتاباتهم الشعريّة المعاني غير المقيّدة بالاوزان. ولسنا لننفي هذه الطريقة الكتابيّة التي لا تخلو من مَسْحة من الجمال في بعض الظروف اللهمّ اذا رُوعي فيها الذوق الصحيح ولم يَشِنْها الاستهتار وتلاحمت معانيها وتنمّقت بأشكال البديع السّهلة المنسجمة ولم يُفرَط الاتّساع فيها فتصبح لَغطاً وثرثرة

على انّنا كثيراً ما لقينا في هذا الشعر المنثور قشرة مزوّقة ليس تحتها لباب وربما قفزَ صاحبها من معنًى لطيف الى قول بذيءٍ سخيف او كرَّر الالفاظ دون جدوى بل بتعسّف ظاهر. ومن هذا الشكل كثير في المروّجين للشعر المنثور من مصنّفات الريحاني وجبران وتَبَعَتهما فلا تكاد تجد في كتاباتهم شيئاً ممّا تصبو اليهِ النفس في الشعر الموزون الحرّ من رقّة وشعور وتأثير. خذ مثلاً وصف الريحاني للثورة:

ويومها القطيب العصيب . وليلها المنير العجيب
ونجمها الآفل يحدّج بعينهِ الرقيب
وصوت فوضاها الرهيب . من هتاف ولجب ونحيب . وزئير وعندلة ونعيب
وطغاة الزمان تصير رماداً . واخياره يحملون الصليب
ويل يومئذٍ للظالمين . للمستكبرين والمفسدين
هو يوم من السنين . بل ساعة من يوم الدين
ويل يومئذٍ للظالمين

هي الثورة ويومها العبوس الرهيب
الوية كالشقيق تموج . تثير القريب . تثير البعيد
وطبول تردّد صدى نشيد عجيب
وابواق تنادي كلّ سميع مجيب
وشرر عيون القوم يرمي باللهيب
ونار تسأل هل من مزيد . وسيف يجيب . وهول يشيب
ويل يومئذٍ للظالمين . وبل لهم من كلّ مريد مهين
طلّاب للحقّ عنيد مدين . ويل للمستعزّين والمستأمنين
هي ساعة للظالمين

وهي طويلة على هذه الشاكلة. ولو اردنا انتقادها وبيان نقائصها النثريّة والشعريّة والمعنويّة لطال بنا الكلام. وقس عليها فصولاً عديدة من جنسها اعني طنطنة الفاظ وشقشقة لسان واذا حاول الاديب استخلاص معانيها بقي متضعضعاً مرتاباً

وكم مثلها في كتابات جبران. دونك فصلهُ المعنون بالارض :

تنبثق الارض من الارض كرهاً وقسراً
ثمّ تسير الارض فوق الارض تيهاً وكبراً
وتقيم الارض من الارض القصور والبروج والهياكل
وتنشئ الارض في الارض الاساطير والتعاليم والشرائع
ثمّ تملّ الارض اعمال الارض فتحوك من هالات الارض الاشباح والاوهام والاحلام
ثم يراود نعاسُ الارض اجفان الارض فتنام نوماً هادئاً عميقاً ابدياً
ثم تنادي الارض قائلة للارض
انا الرَّحِم وانا القبر وسأبقى رَحِماً وقبراً حتى تضمحلَّ الكواكب وتتحوّل الشمس الى رماد

فلعمري هذه الغاز لا شيء فيها من منظوم رائق ولا منثور شائق هي اقرب الى الهذيان والسخف منها الى الكلام المعقول . ولو شئنا لجمعنا من هذا الصنف صفحات تضيق عنها اعداد المشرق. وشتّان بينها وبين فصول أُخرى بديعة لبعض الكتبة البلغاء كمثل فصلٍ رويناهُ في المشرق عنوانهُ « الموسيقى » لصديقنا وفخر كليّتنا الاديب يوسف افندي غصوب (راجع كتابهُ اخلاق ومشاهد ص١١٧) وكفصلهِ « ايها الصليب » (المشرق ٢٢ [١٩٢٤]: ٢٦٣) فاذا استثنينا هذه الفصول الرائعة التي عرف صاحبها من اين يؤكل الكتف لصدّقنا على قول الكاتب الاديب مصطفى افنـدي صادق

الرافعي في عدد المقتطف الاخير الصادر في يناير ١٩٢٦ (ص ٣١)

نشأ في أيامنا ما يسمّونهُ «الشعر المنثور» وهي تسمية تدلُّ على جهل واضعيها ومَن يرضاها لنفسهِ ؟ فليس يضيق النثر بالمعاني الشعريّة ولا هو قد خلا منها في تاريخ الادب. ولكن سرّ هذه التسمية انَّ الشعر العربي صناعة موسيقية دقيقة يظهر فيها الاختلال لأوهي علّةٍ ولأيسر سبب ولا يوفَّق الى سبك المعاني فيها إلّا من امدَّهُ الله بأصلح طبع وأسلم ذوق وأفصح بيان ، فمن اجل ذلك لا يحتمل شيئاً من سخف اللفظ او فساد العبارة او ضعف التأليف . . . غير انَّ النثر يحتمل كل اسلوب وما من صورة فيهِ الّا ودونها صورة الى ان تنتهي الى العامّيّ الساقط والسوقيّ البارد ومن شأنهِ ان ينبسط وينقبض على ما شئتَ منهُ ، وما يتّفق فيـه من الحسن الشعري فـانّما هو كالذي يتّفق في صوت المُطرب حين يتكلّم لا حين يتغنّى . فمن قـال «الشعر المنثور» فاعلم انَّ معناهُ عجزُ الكاتب عن الشعر من ناحيةٍ وادّعاؤهُ من ناحيةٍ اخرى

وقد آثر البعض ان يدعوا هذه الطريقة الكتابيّة «بالادب الجديد» فنقول انَّ هذه الجدّة لا تزيدهُ حسناً الّا اذا جمعت تلك الصفات التي يمتاز بها انشاء الكتبة البلغاء الحسنة السبك المتناسقة الالفاظ المنسجمة المعاني التي لا تتراكم فيها التشابيـه على غير جدوى وتتكرّر الالفاظ بلا معنى وعليهِ لم نستحب ما اختارهُ صاحب الادب الجديد للآنسة ميّ في العيون

العيون : تلك الاحداق القائمة في الوجوه كتعاويذ من حلك ولجين

تلك المياه الجائلة بين الاشفار والاحداب كبحيرات تطفّن بالشواطئ واشجار الحور

العيون الرماديّة بأحلامها . والعيون الزرقاء بتنوّعها

العيون السليّة بحلاوتها . والعيون البنيّة بجاذبيّتها

والعيون القاتمة بما يتناوبها من قوّة وعذوبة

*

جميع العيون : تلك التي تذكّرك بصفاء السماء

وتلك التي يركد فيها عمق اليوم (كذا)

وتلك التي تريك مفاوز الصحراء وسرابها

وتلك التي تعرّج بخيالك في ملكوت اثيري كله بهاء

وتلك التي تمرُّ فيها سحائب مبرقة مهضبة . . . . الخ

فانْ كان هذا هو الادب الجديد فنحن في غنًى عنهُ . على انَّ للآنسة ميّ كتابات كثيرة افضل من هذا الشعر المنثور

الأدباء المسلمون في هذه الحقبة الثانية (١٩٠٨–١٩١٨)

ادباء مصر المسلمون

«مصطفى كامل» كانت وفاتهُ في سنة الدستور التركيّ قبل الاعلان بهِ باشهر في ٨ شباط ١٩٠٨ وهو في الرابعة والثلثين من عمرهِ ٠ ولد في القاهرة في ١٤ آب سنة ١٨٧٤ ودرس على اساتذتها في المدارس الابتدائية والتجهيزيّة والحقوقيّة ثمّ نال في فرنسة في جامعة طولوز شهادة الحقوق . ولمَّا رجع الى وطنهِ بعد الاحتلال الانكليزي ساءتهُ حالتهُ واجتمع بمن رآهم على فكرتهِ ولم يلبث ان تصدَّر بينهم بما ظهر عليهِ من الذكاء والنجابة والإقدام فاصبح خطيب الوطنيّين وزعيمهم لا يأخذه في تحرير وطنهِ والدفاع عن حقوقهِ ملل من السنة ١٨٩٣ الى حين وفاتهِ وقد تشكل بهمَّتهِ الحزب الوطني فاصبح رئيسها تُناط بهِ الآمال وتهتزّ لهُ الجوارح. هذا فضلًا عن شهرتهِ في فنّ المحاماة. وقد وقفنا على المجموعة التي نُشرت فيها سيرتهُ واعمالهُ من خطب واحاديث ورسائل سياسيّة وعمرانيّة وكلّها تدلّ على عبقريّتهِ وحبه الصادق نحو الوطن. وكان اوّل امرهِ يحرّر في الصحف المصريّة ومن اوّل تصانيفهِ رواية فتح الاندلس على عهد طارق ألفتَتْ اليهِ انظار اهل وطنهِ. وهو في انشائهِ نثرًا ونظمًا لم يقصد تنميق العبارة وتحليتها بالسجع والمحسنات النافلة بل كان جلُّ قصدهِ ان يكون لكلامهِ وقعٌ في القلوب ليحملها الى ما يراهُ من صوالح الوطن بعبارة سلسة سالمة من التعقيد وفاسد التركيب. وهذا نشيد كان من بواكير قلمهِ.

هلمُّوا يا بني الاوطان طرًّا لِنُرجِعَ مجدنا ونُعِزَّ مصرا
هلمُّوا كي نوفّي القطر حقًّا نسيناهُ فضاع بذاك قدرا
هلمُّوا أدركوا العلياء حتى تنال بلادُنا عزًّا وفخرا
هلموا واتركوا الشحناء منكم وكونوا اوفياء فذاك احرى
أليس يشيننا تركُ المعالي تُباعُ بغير وادينا وتُشرى
ونحنُ رجالُها وبنا لديها من الإسعاد والخيرات أدرى
فعارٌ أن نعيش بغير مجدٍ ونُبصر في السما شمسًا وبدرا
وعارٌ ان يكون لنا وجودٌ ويحظى غيرنا فوزًا ونصرا

فقوموا واطلبوا للنيل عزًّا ولا تبقوا بذلٍّ كي يُسرى
وسيروا نحو هذا القصد حتى تُنادوا اجمعين بعزّ مصرا

ودونك مثالًا من نثره في تربية الاناث وفي التهذيب والتربية الدينيّة :

«يجدرُ بي ان ألفت انظاركم عموماً الى امرين خطيرين : اولهما تربية البنت لازمة وضرورية لأنها ذات الشأن الاول في تربية الاطفال متى صارت امًّا وربّة عائلتها وهي التي عليها الجزء الاعظم من اعمال هذا الوجود . وثانيهما ان تعليم البنين والبنات العلوم والفنون لا يفيد وحده بل يجب قبل كلّ شيء تربية الروح حتى يصير الطفل متى شبّ رجلاً شجاعاً ممتلئاً بالوطنيّة الحقّة قائمًا بالمبادئ الجنسيّة . وتصير الطفلة متى شبّت امرأةً رشيدة مدبّرة تعلّم ابناءها محبة البلاد وتغرس في قلوبهم وجوب التفاني في خدمة الامة وفي اعلاء شأن الوطن العزيز . فتكون بذلك المدارس منبع حياة الامة ومصدر وجود جديد . . .

«ويجب قبل كل شيء ان تكون التربية الدينيّة اساس التعليم والتهذيب . فالدين عاصم من الدنايا رادع عن الخطايا معلّم للفضائل محبّب للكمالات . واذا بحثنا بحثًا مدققاً عن سبب تأخر المسلمين في سائر البلاد لوجدنا الاسباب كلها مجتمعة في سبب واحد وهو اننا ابتعدنا عن الدين وقصّرنا في اتباع اوامرهِ واجتناب نواهيهِ . . . »

وفي تلك السنة ذاتها فقدت مصر اديباً آخر كان ايضاً من الدعاة الى الاصلاح اعني بهِ « قاسم بك امين » المولود سنة ١٨٦٥ والمتوفى في ٢١ نيسان ١٩٠٨ وهو في عزّ كهولتهِ . درس على نفقة حكومة مصر في فرنسة وعاش زمناً بين اهلها فرأى ما للمرأة الفرنسوية من المنزلة الرفيعة في وطنها وما لها من الفضل في تربية بنيها وترقية وطنها . فلما عاد الى مصر بعد درسهِ الحقوق ترقى في كل دوائر الشرع . ثم خصّ نفسهُ بتحرير المرأة المسلمة اذ رأى بانحطاطها والتضييق عليها آفةً على الوطن والتمدُّن . فسبق الى المجاهرة بوجوب رفع الحجاب وباعطاء المرأة الحرية المعقولة وبتحوير سنن الإضرار والطلاق الى غير ذلك مما تسعى اليوم الجمهورية التركية الى اصلاحهِ بين الاتراك . ولقاسم امين عـدّة تآليف في هذا المعنى واسباب ونتائج كتحرير المرأة وخواطر قاسم امين والواجب على المرأة لنفسها ولعائلتهـا . ولم يكترث لما وجدهُ في مواطنيهِ من المعاكسات ولهُ محاضرات ومقالات عديدة في غير مواضيع . وهو في كل كتاباته يجري جرياً واحدًا يتعمّد اقناع القرّاء اكثر منهُ خلب عقولهم بطنطنة الكلام وترويق الانشاء . ودونك ما قالهُ عن الخلاف المزعوم بين الدين والعلم :

« ليس حقيقي بانهُ يوجد بين الدين والعلم خلاف حقيقي لا في الحال ولا في الاستقبال ما دام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسَّسة على الاستقراء . فمهما كثرت معارف الانسان لا تلاُ كل فكرهِ بعد كل اكتشاف يتحقّقهُ العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفي غاية كل مسئلة يحلها تظهر مسألة جديدة تطالبهُ بحلّها . الآن وغداً يشتغل عقل الانسان بالعلم اي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعهُ ذلك من التفكر في المجهول الذي يحيط بهِ من كل طرف . . . »

وفي السنة ١٩١١ توفّى الله عالماً ثالثاً بالحقوق ﴿ عُمر بك لطفي ﴾ مولود الاسكندرية سنة ١٨٦٧ تلقى العلوم في مدرسة اخوة المدارس المسيحيّة ثم دخل مدرسة الحقوق في القاهرة ونال شهادتها بل برع في فنونها حتى انتدبتهُ الحكومة للتدريس فيها . ثمَّ تفرَّغ للمحاماة وخصَّ نظرهُ بالاقتصاد فعُرف كاحد مصلحيهِ وصرف نظرهُ للزراعة وظهرت ثمار سعيهِ في مشروعات وطنه لمصلحة الامّة الاقتصاديّة او الاجتماعيّة وانشأ لذلك الاندية والنقابات ونشَّط دروسها في الشبيبة فأدّى بهمّتهِ لمصر خدمات مشكورة ساعدت على رقي قطر النيل

وكان عُمر بك لطفي من ارباب الكتابة ألَّف عدَّة تآليف في شرح الموادّ القضائيّة وفي الامتيازات الاجنبيّة . ولهُ في الافرنسيّة ايضاً تآليف مختلفة في الشرع الاسلامي كالدعوى الجنائيَّة في الشريعة الاسلاميَّة وحقوق المرأة فيها . وقد رثاهُ امير شعراء مصر شوقي بك بقصيدة فريدة اوّلها :

اليومَ أصعدُ دون قبرك مِنبَرا وأقلّد الدنيا رثاءَكَ جوهرا

وأسفت الصحافة المصرية في السنة ١٩١٣ على فقد احد اربابها الممتازين الاستاذ الشيخ عليّ ابي يوسف الازهري . وُلد سنة ١٨٦٣ ودرس اللغة والفقه في الجامع الازهر ثم احسَّ بميل للآداب فتمرَّن عليها ونظم الشعر فنشر ديوانهُ نسمة السحر . وفي السنة ١٨٨٥ انشأ مجلّة علميَّة ادبيَّة سمَّاها الآداب ثم عدل بعد مدَّة عنها الى جريدة المؤيد السياسيَّة حرَّرها سنين طويلة واكسبها بقلمه شهرة واسعة ونفوذاً عظيماً حتى عُدَّ كمؤسس الصحافة الاسلاميَّة في القطر المصري وبلغ لدى كبار الدولة مقاماً معتبراً بعد تذليله كل العقبات التي صادفها في سبيله . ومن ظريف شعرهِ وصفهُ للربيع :

أنِخْ نحو الرياض عند مياهٍ طاب فيها الورودُ للظمآنِ

واقتطِف زهرَ وَرْدِ خدٍّ بطاحٍ رقّ فيها ملاعبُ الغزلانِ
وانظرِ الماءَ اذ يسيل بلطفٍ في وهادِ الرياضِ كالوَسنانِ
يلثمُ السوقَ من غصونِ قدودٍ هائمًا بالقدود والاغصانِ

ولهُ في الفخر :

يُشيرِ لذُرْوة العليا بناني ويمنعني الوصولَ لها زماني
ولي هِمَمٌ همّ الى الثريّا وحظٌّ بالثرى رخى العنان
ولي نفسٌ تعافُ الضيمَ وِردًا وتأنفُ شيمةٌ تزري بشأني
ولي عندالحوادث سيفُ صبرٍ يذيب فِرِنْدُهُ الحدّ اليماني
ولي عهد الشبيبة عفُّ نفسٍ تعفّ عن الخنا في كل آنِ
أُقارن بالعلا أملي ولكن يغارُ بيَ الزمانُ على قراني
وكم اشكو زماني لليالي وكم اشكو اللياليَ للزمانِ
فيسمعُ قصّتي هذا وهذا وما هذانِ الّا ساحرانِ

وممّن اصابتهُ المنيّة في السنــة ١٩١٤ « فتحي باشا زغلول » من ائمّة الادباء المعدودين واحد الكتبة الاجتماعيّين في مصر. كان مولدهُ سنة ١٨٦٣ وبعد دروسه الابتدائية والثانويّة في وطنه تمّم دروسهُ العليا في فرنسة ثمّ خدم وطنهُ بالقضاء ونظارة الحقّانية وبعدّة تآليف خلّفها من اثار قلمه بعضها في الشرع كشرحه للقانون المــدني وكتاب المحاماة وكتعريب اصول الشرائع وبعضها اجتماعيّة نقلهــا من الفرنساوية كسرّ تقدّم الانكليز السكسونيين وكسرّ تطوّر الامم وروح الاجتماع وخواطر وسوانح في الاسلام

وتوفي قبلهُ في السنة ذاتها ١٩١٤ في اواسط كانون الثاني عالم آخر بالعلوم القضائية في مصر « محمّد بك النجاري » اضاف اليها انصبابهُ على الدروس اللغويّة . ومن آثارهِ الجليلة قاموس فرنساوي عربيّ في خمسة مجلّدات ضمّنهُ كثيرًا من المصطلحات العلميّة والسياسيّة والطبيّة ولهُ معجم آخر عربي يحتوي خلاصة المعاجم العربية الكبرى لم يُنشر بالطبع

وفي السنة والشهر السابقين كانت وفاة اديبة مسلمة شيعيّــة « زينب فوّاز » صاحبة « الدرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور » نقلنا عنهُ في المشرق ١٩ [١٩٢١] : ١٠٨ــ١١٤) ترجمة جان درك . ولها ايضاً رسائل منسوبة اليها تعرف بالرسائل الزينبيّة

وممّن توفاهم الله في السنــة عينها ١٩١٤ اديبــان مصريّان لهما بعض الآثار الكتابيّة اوّلها « الشيخ احمد مفتاح » مؤلف رسائل تلوح فيها لوائح البلاغة كقولهِ

يستدعي بعض الادباء الى مواجهتهِ من رسالة :

«... اني وان لم أكُنْ أُسعدتُ من قبل باجتلاء طَلْعتك الزاهرة واجتناء مفاكهتك الغضَّة فقد دلَّني على الليث زئيرُهُ ، وعلى النهر خريرهُ ، وعلى السيف جوهرهُ ، وعلى العقل أثرهُ. ولئن لم يجمعنا لُحمة النسب ، فقد جمعتنا حرفةُ الادب ، او لم يضمَّنا قبلُ مرتبع ، فالطيور على اشكالها تقع ، وشبه الشيء مُنجذب اليهِ ، واخو الفضائل هو المعوَّل عليهِ ، وهذه الرُّقعة وان وصفَتْ لك بعض ما انا مطويٌّ عليهِ من التهافت على رؤيتك والميل الى صداقتك فقلما تنوب عن المشافهة او تقضي حاجاتٍ في النفس طالما تردَّد صداها ، وفي ظني انَّ سيدي يودُّ ما أوَدُّهُ ، وعمَّا قليل يُسفر صبحُ اللقاء ، وتتجاذب اهداب المعرفة فارى من سيدي فوق ما توسَّمتُهُ وسمعتهُ» ، ويرى مني ما يُرضيهِ والسلام

والثاني «احمد افندي سمير» اشتهر ايضاً بمكاتباتهِ للاصحاب. فمن قولهِ بمعنى ما سبق للشيخ احمد مفتاح في التعارُف والتوادّ :

«يعلم سيدي ان المودَّة لا تُباع ولا تُشرى وانَّما هي نتيجة الاجتماع والتعارُف ، وقد خُلق الانسان مضطراً اليها لان انتظام العمران عليها موقوف . ولهذا شهد العيان بان المنفرد بأعماله المستبدَّ بآرائهِ عرضةٌ للخطأ مظنَّةٌ لعدم الثقة . . . اذ لا جرم انَّ المرء كما قيل « قليلٌ بنفسهِ كثيرٌ باخوانهِ» وقد سمعتُ عن السيد وقرأت من آثارهِ المأثورة ما حبَّبهُ اليَّ وشاقني التعرُّف بهِ لنشترك في منفعة تبادل الافكار. . . »

وقد اغتالت المنيَّة في وقت الحرب الكونيَّة سنة ١٩١٧ احد الادباء اللغويين الاستاذ الجليل «حمزة فتح الله» كان في مصر مفتش اللغة العربية بنظارة المعارف العمومية. توفي ضريراً ولهُ تآليف شتّى بالنثر والنظم ونشر في جرائد الاسكندرية المقالات المتعدّدة وكان يحبّ ان يرصف كلامهُ بالالفاظ الغريبة دلالةً على سعة معارفهِ بمفردات اللغة . ودونك مثالاً من بعض رسائلهِ في الشوق :

«مولاي أمَّا الشوق الى رؤيتك فشديد وسَلْ فؤادك عن صديق حميم ، ووِدّ صميم ، وخلَّة لا يزيدها تعاقُب الملوين وتألُّق النيّرَين إلَّا وثوقاً في العرى ، وإحكاماً في البناء ، وغناء في المراس ، وتشيداً في الدعائم . ولا يظنَّنَّ سيدي انَّ عدم ازدياري ساحتهُ الشريفة ، واجتلائي طَلْعتهُ المُنيفة ، لتقاعس او تقصير ، فانَّ لي في ذلك معذُرة اقتضَت التأخير ، والسيد اطال الله بقاءه أجدَرُ مَن قَبِلَ معذرة صديقهِ . . . وبعدُ فرجائي من مقامكم السامي ان لا تكون معذرتي عائقاً لكم عن زيارتي فلَكَم مِنناً طوَّقتمونيها ولكم فيها فضلُ البداءة وعليَّ دوام الشكران والسلام »

هذا مجمل ما وقفنا عليهِ من اخبار ادباء مصر في هذه الحقبة الثانية الى اواخر الحرب الكونية ولعلَّهُ فاتنا بعض اخبارهم لانقطاعنا في تلك المدَّة عن عالم الادب

ادباء الشام المسلمون

﴿ الشيخ حسين الجسر ﴾ توفي هذا العالم الاديب في ١٣ رجب ١٣٢٧ (٢٩ تموز ١٩٠٩) كان احد مشاهير اعلام طرابلس الشام ولد فيها سنة ١٢٦١ (١٨٤٥م) وتخرَّج على ادباء وطنهِ ثمَّ على اساتذة الازهر . ولمَّا عاد الى طرابلس درس العلوم العصريَّة ثمَّ قضى عمرهُ في التأليف والتصنيف والنثر والنظم ودرَّس عدَّة سنين في المدرسة الوطنيَّة فاخذ عنهُ كثيرون من ادبائها ثمَّ اصدر جريدة طرابلس فحرَّرها زمناً طويلاً . لهُ ما خلا بعض التآليف الدينيَّة كتاب في مناقب والدهِ الشيخ محمَّد الجسر ومجموعة ادبيَّة في عدَّة مجلَّدات سمَّاها رياض طرابلس الشام ثمَّ رسائل ادبيَّة وسياسيَّة ومنظومات في التربية . وممَّا لم يُطبع كتاب الكواكب الدرّيَّة في الفنون الادبيَّة . رثاهُ صاحب الرغائب حكمت شريف بقصيدة اوَّلها :

خَطْبَ الحُسَينِ أرى ام جِسْرُنا انتقضا ام طَوْدُ علمٍ لجنَّات النعيم مضى
اوَّاهُ من زمنٍ قد دكَّ جِسْرَ تُقًى وهدَّ رُكناً من الآداب حين قضى .

وفي العام الثاني في تشرين الاوَّل سنة ١٩١٠ اصابت المنون ﴿ صادق باشا العظم ﴾ من وجوه دمشق الشام . تلقَّى العلوم في وطنهِ ثمَّ درس مدَّة في كليَّتنا البيروتيَّة . وقف نفسهُ في إثرها لخدمة الدولة العثمانيَّة فترقَّى في مناصبها العسكريَّة بصفة ضابط الى امارة لواء وفول اغاسي . ثمَّ انتدبتهُ الحكومة لمهمَّات عند الشيخ السنوسي وأُرسل معتمدًا عثمانيًا الى عاصمة البلغار . ولمَّا قصدت الدولة ان تنشئ بينها وبين ملك الحبشة منليك علائق وديَّة ارسلتهُ كرئيس وفدٍ فكتب تفاصيل رحلته ونشرها بالطبع وألَّف ايضاً تاريخ دفاع بلفنا ولهُ رحلة الى الصحراء وادبيَّات شتَّى تركيَّة وعربيَّة . وحرَّر مع ابن عمهِ رفيق بك العظم بالعربيَّة والتركيَّة جريدة الشورى العثمانيَّة اوجبت فرارهُ من الاستانة الى القطر المصري فعلَّم زمناً في المدرسة التوفيقيَّة ثمَّ عاد الى الوطن بعد اعلان الدستور فما لبث ان ودَّع الحياة

وفي سنة وفاة صادق بك العظم توفي الكاتب النحرير ﴿ الشيخ ابو حسن الكستي ﴾ وقد سبقت ترجمتهُ في القسم الثاني من كتابنا الآداب العربيَّة في القرن

التاسع عشر (ص ٧٩ــ٨١) ذكرناهُ مع رصيفَيهِ الشيخين يوسف الاسير وابرهيم الاحدب وقد جعلنا هناك وفاتهُ سنة ١٩٠٩ والصواب ١٩١٠

وممَّن عظم على الادباء نعيهُ سنة ١٩١١ ﴿ السيّد حسين وصفي رضا ﴾ شقيق السيّد محمّد رشيد رضا صاحب مجلّة المنار المولود في اوائل سنة ١٨٨٢ مات في تمام شبابهِ وكان درس على علماء وطنهِ مشايخ الازهر العلوم الدينيّة والادبيَّة وبرع في الكتابة فشارك اخاهُ في تحرير المنار وفي اصلاح امور الاسلام

وفي ٢٥ تموز سنة ١٩١٣ فُجعت فلسطين باحد رجالها المعدودين ﴿ روحي بك الخالدي ﴾ سليل أسرة قديمة في القدس الشريف كان مولدهُ سنة ١٨٦٤ وتلقَّى مبادئ العلوم في وطنهِ ثم في نابلس وطرابلس وفي المدرسة السلطانيَّة في بيروت ثمَّ انكبَّ على الدروس الفلسفيّة والحقوقية والسياسية في الاستانة وفي باريس حيث اجتمع بعلماء الفرنج فعرفوا قدرهُ. وانتدبهُ الفرنسويون الى التعليم في مدرسة اللغات الاجنبية في باريس وكان احد اعضاء مؤتمر المستشرقين فيها سنة ١٨٩٧ . ثم اختارتهُ الدولة التركية كقنصلها في مدينة بوردو عدَّة سنين فاطَّلع على احوال الفرنسويين وآدابهم . وألَّف وقتئذٍ كتابهُ علم الادب عند الفرنج والعرب. ولمَّا حدث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ انتخبهُ مواطنوهُ كمبعوث القدس الشريف وقُلّد بين رصفائهِ وظيفة الرئيس الثاني لمجلس النوَّاب وبعد انحلال المجلس عاد الى القدس ثمَّ كرَّ راجعاً الى الاستانة وفيها توفي بالحمَّى التيفوئيديَّة وهو في الخمسين من عمرهِ . وكان روحي الخالدي كاتباً بارعاً له عدَّة مقالات ومحاضرات ورسائل متفرّقة نشرها في صحف مختلفة . ومن آثارهِ تاريخ الانقلاب العثماني وكتاب العالم الاسلامي. وله ايضاً رحلة الى الاندلس ذكر فيها بقايا آثار العرب لم تُطبع

وفي السنة التالية ١٩١٤ فقد المسلمون رجلين من نخبة علمائهم ﴿ السيد جمال الدين القاسمي ﴾ ثم ﴿ محيي الدين الخياط ﴾ عُرف الاول بتآليفهِ الدينيّة التي جعلتهُ في مقدّمة علماء دمشق المعدودين. وقد امتاز عن كثيرين منهم باستقلالهِ عن النوافل والفضوليات وخلوهِ من تضليل المُخرفين والمهرفين. ولم يكتفِ بالوقوف على اسرار الشريعة بل درس ايضاً العلوم العصريَّة وبها ظهر فضل طريقتهِ العلمية . وممَّا قالهُ جرجي

افندي الحدّاد في رثائهِ :

نَم يا جمالَ الدين غير مُروَّعٍ ان الزمان بما ابتغيتَ كفيلُ
فستعرفُ الاجيالُ فضلكَ في غدٍ ان كان لم يعرفهُ هذا الجيلُ

اما الشيخ محيي الدين الخياط فكان مولدهُ في صيداء سنة ١٨٧٥ وقدم الى بيروت فتعلّم في مدارسها واخذ عن الشيخين الكبيرين يوسف الاسير وابرهيم الاحدب ونبغ في الآداب حتى اصبح من خيرة ادباء المسلمين في بيروت . وكان ذا روح حرّة وله كتابات عديدة نثريّة ونظمية في الصحائف البيروتية الاسلامية لاسيما ثمرات الفنون والإقبال . ومن فضلهِ على الناشئة عدّة تآليف وضعها للمدارس في البلاد العربية كدروس القراءة ودروس الصرف والنحو ودروس التاريخ الاسلامي ودروس الفقه . وقد فسّر تفسيراً خفيفاً الغريب من ديوانَي ابي تمّام وابن المعتزّ وله تعليق على شرح نهج البلاغة وعرّب رواية الوطن للكاتب التركي نامق كمال بك . توفي في نيسان ١٩١٤

وكانت السنة ١٩١٦ سنة مشئومة على الآداب العربية قُتل فيها ظلماً بامر جمال باشا وحزبه (الاتحاد والترقي) جملة من نخبة الكتبة واهل الادب نصارى ومسلمين . ونذكر هنا المسلمين منهم الذين تركوا آثاراً من اقلامهم . واخصّهم «السيد عبد الحميد الزهراوي» مولود حمص سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) تنقَّل في البلاد لطلب العلوم ونشأ حرَّ الافكار دون تطرُّف ولا تذلُّل واصدر في وطنهِ جريدة المعلومات فلم يَرُق اسلوبهُ في عين عبد الحميد فأبعده الى دمشق ثمّ الى حمص تحت المراقبة الى ان امكنهُ الفرار الى مصر سنة ١٩٠٢ فحرّر في المؤيد وفي الجريدة . ولما وقع الانقلاب العثماني اختارهُ الحمصيون كمبعوث مدينتهم الى الاستانة وعاين ما حدث هناك من القلاقل وعاد الى مصر فانشأ جريدة الحضارة . ورئس اخيراً في باريس الوفد الطالب اللامركزية فكان في المؤتمر المنعقد هناك بمثابة الدماغ من الجسد . وبفعلهِ أوغر عليهِ صدور اهل دولتهِ فاحتالوا عليهِ حتى ارجعوهُ الى بلادهِ وحكم عليهِ جمال باشا بالاعدام في دمشق في ٦ أيار سنة ١٩١٦ . وكان الزهراوي لسناً وخطيباً محنكاً . ولهُ شعر حسن . منهُ قولهُ :

ما انتَ يا انسانُ هل تدري دماغُك لِمْ شَعَرْ
دَعْ عنكَ دعوى واستمع قولًا مفيدًا مختصَرْ
الناس هاموا في الغرو ر وراجعون الى الغُرَرْ
ويرى بنو الانسانِ احـ ـسمُ خلاصةُ ما فُطِرْ
دعوى جا يَسلون مـا يلقَونَ من تعبٍ وضَرْ
فتسلَّ فيا استطَعْتَ ان فكِّرتَ فيا قد حضرْ
واعبر على المقياس من ماضٍ الى مـا يُنتظَرْ
واعلم بانَّ المفلحين بذي الحياة اولو البصرْ
والكون ظَرْفُ جواهرٍ والسرُّ فيهِ مـا ظهرْ

وقُتل مثلهُ شنقاً في ذلك اليوم في بيروت اديب آخر «عبد الغني العُرَيسي» المولود سنة ١٨٩١ درس في مدارس بيروت وخصوصاً في المدرسة العثمانية لمؤسسها الشيخ عباس الازهري ثمَّ علَّم فيها سنتين . ثم انقطع الى الكتابة فاصدر جريدة المفيد أيَّد فيها النهضة العربية وأثار عليهِ غضب الاتراك حتى تسنَّى لجمال باشا ان يلقي عليه القبض فذهب ضحيَّة الاستبداد . ومن آثارهِ الادبية طبعهُ لديوان الطويراني ثمرة الحياة وتعريبهُ لكتاب البنين لبول دومر

وكان شريكهُ في تلك النكبة «الشيخ احمد طبَّارة» احد ادباء بيروت ووجهائها . اصاب لهُ في الصحافة ذكرًا طيباً فحرَّر في اول عهد الدستور جريدة الاصلاح فكان لها وقعٌ كبير في قلوب العرب السوريين . ثم انشأ جريدة الاتحاد العثماني فامتازت بحسن انشائها . وحضر في باريس المؤتمر العربي السوري وكان احد اعضائه العاملين فنقم عليهِ جمال باشا وذووه فحُكم عليهِ بالاعدام

وفي السنة ١٩١٧ اخترمت المنون احد ادباء الدروز «محمد ابا عزّ الدين» كان كاتب ضَبط دائرة الحقوق الاستئنافيَّة في جبل لبنان ثم تعيَّن رئيساً لمحكمة الشوف . كان مُجيد الكتابة ويراسل الصحف السيَّارة ولهُ عدَّة مقالات وقصائد أعرب فيها عن حسن ذوق ومعرفة بفنون الانشاء . نشرنا لهُ مقالة مستجادة في المشرق ٢ [١٨٩٩ : ٥٣٦) تحت عنوان «شهيد العلم»

وفي تلك السنة ايضاً فقدت الاسرة الرافعيَّة الشريفة ومدينة طرابلس رجلًا من

اعيانها «الشيخ محمّد كامل الرافعي» . اخذ العلوم الدينيَّة والادبيَّة عن علماء طرابلس ثمَّ قصد مصر ودرس في الازهر . ولما عاد الى وطنهِ تولَّى فيه تدريس مواطنيه وتخصَّص بعلوم الدين الاسلامي . ومن مآثرهِ الادبيَّة شرحهُ لديوان اخيه الشاعر الكبير مصطفى صادق الرافعي في ثلثة اجزاء طُبع في مصر . وكان الشيخ محمد يعيش عيشة الزهد لا يحفل بمعاشرة الكبار والذوات ويفضّل العزلة حتى انهُ اوصد باب دارهِ على زائرهِ متصرّف طرابلس التركي فلم يقبلهُ في بيتهِ

وفي اوائل السنة ١٩١٨ قبل نهاية الحرب الكونيَّة بأشهر علمنا بالاسف وفاة احد شيوخ دمشق الافاضل «الشيخ عبد الرزَّاق البيطار» المولود سنة ١٨٣٧ . وكنَّا اجتمعنا بهِ غير مرَّة وعرفنا فضلهُ الكبير وسعة معارفهِ وطول باعهِ في التاريخ والموسيقى وفنون الادب . خلَّف آثارًا حسنة في الموضوعات الدينيَّة والصوفيَّة والتاريخيَّة . لهُ كتاب نفيس دعاهُ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر . وقد أدَّت بالشيخ معارفهُ الى انهُ تحرَّر من قيود التقييد ونبذ كثيرًا مما كشفت لهُ العلوم الحديثة بطلانهُ

وتبعهُ بعد قليل الى القبر في ذات السنة اديبٌ من اهل بيروت المسلمين «بشير رمضان» صاحب مجلَّة الكوثر انشأها بعد الاعلان بالدستور سنة ١٩٠٩ واودعها عدَّة فصول ومقالات حسنة . قد حرَّر مدَّة في مطبعة الولاية ومن آثارهِ منتخبات شعرية وقصائد من نظمهِ

ادباء المسلمين في العراق والهند

اجاب الى دعوة ربهِ في هذه الحقبة الثانية رجل من ادباء العراق نعتهُ ناشر ديوانهِ «باشعر شعراء الشرق امس واكبر علماء اليوم» نعني بهِ السيّد «محمد سعيد حبوبي الحسَني» احد علماء الشيعة . كان مولدهُ في النجف ونشأ بين اسرتهِ في بلاد نجد ثم عاد الى وطنهِ وتعاطى الكتابة ونظم الشعر فعُدَّ من زعماء النهضة الادبيَّة في العراق ومات في الناصريَّة قرب النجف بعد ان دعا مواطنيهِ الى الدفاع عن الوطن بالجهاد في ٢ شعبان ١٣٣٣ (ايار ١٩١٦م) . وشعرهُ فطري رقيق يجمع بين السهولة والمتانة . ولهُ موشحات بديعة جارى فيها موشحات الاندلسيين . وقد طبع ديوانهُ في

بيروت في المطبعة الاهليَّة سنة ١٣٣١ . ودونك مثالًا من شعرهِ يرثي بعض الاعاظم :

ألا ايها النادي وليتكَ سامعٌ اذا ما دعا الداعي ألا ايها النادي
بودّيَ لو تدنو فتسمعَ لوعتي عليك ولو تُصغي فتسمعَ انشادي
قضيتَ وما عهدُ الدموع بمُنقضٍ وثار الجوى يشوي الضلوعَ بايقادِ
كأنَّ ندى كفيكَ عاد لأعينٍ ونارَ قراك اليوم عادت لاكبادِ
فيا عبرتيَّ عينيَّ جودا فيكما اذا لم تساعدني الاحبَّةُ إسعادي
ويا ايها اللاحي رويدكَ لاحيًا فـانّك في وادٍ وانيَ في وادِ
ولو قد عرفتَ الحبَّ معرفتي بهِ لأحمدتَ إقحامي وأنجدتَ إنجادي

وصرعت المنون في الهند في هذه الحقبة احد معالم المسلمين « الشيخ شبلي النعماني » توفَّاهُ الله بعد اعلان الحرب الكونيَّة بقليل (١٨ ت٢ ١٩١٤) تعلَّمَ العلوم وساح في البلاد الاسلاميَّة فدرس الطباع واطَّلع على احوال العصر . ولمَّا عاد الى وطنهِ عُهد اليهِ التعليم في كليَّة عليكده فعُدَّ من كبار علماء بلاده وكان يعرف الهندية والفارسيَّة والعربية يحسنها كلها . وقد تخصَّص في وطنهِ لاصلاح المسلمين في الهند . ولهُ مصنَّفات مشكورة في الفلسفة والتاريخ وآداب اللغتين الفارسيَّة والهنديَّة . ومن تاليفهِ في العربيَّة تاريخ الخليفة عمر بن الخطَّاب كتبها على صورة عصريَّة . ولهُ ردّ على كتاب المرحوم جرجي زيدان تاريخ التمدُّن الاسلامي . ورسالة في الجزية وكان يشتغل قبل موتهِ بسيرة رسول الاسلام . توفي عن ٦٥ سنة

وفي السنة ١٩١٧ توفي في تونس احد ادبائها المسلمين « عليّ ابو شوشة » صاحب جريدتها الرسميَّة المعروفة بالرائد التونسي وهي اوَّل جريدة ظهرت هناك سنة ١٨٦١

الحقبة الثانية (١٩٠٨–١٩١٨)

ادباء النصارى

توفَّر في هذه الحقبة عدد ادباء النصارى الذين اشتهروا بملازمة الآداب العربيَّة فانتقلوا في اثنائها الى دار البقاء . وها نحن نقدّم عليهم ذكر احبار الكنائس الشرقيَّة وكهنتها الذين خلَّفوا شيئًا من آثار قريحتهم

الاساقفة

رُزئ (الموارنة) بوفاة احد كبار رجالهم السيد «بطرس زغبي» رئيس اساقفة قبرس في ٢٨ تشرين الاوّل سنة ١٩١٠ كان مولدهُ سنة ١٨٣٣ وتخرَّج في مدرسة عين ورقة ثم في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير . نشر مع الخوري يوسف البستاني مجموعاً مدرسيًّا لطيفاً تحت عنوان نُخب الملح وغرَّة المُنح مع شروح واسعة وطبعاه على الحجر في مطبعتنا البيروتيَّة في اوائل عهدها سنة ١٨٥٠ وكان خطيباً مصقعاً

وفي اواسط السنة ١٩١٤ قُبَيل الحرب الكونيَّة برح الحياة الفانية المأسوف عليهِ كثيرًا لسموّ فضلهِ السيد «يوسف نجم» مطران عكا شرفاً والنائب البطريركي . افاد طائفتهُ بتعريبهِ المدقّق والفصيح لاعمال المجمع اللبناني وطبعهُ في مطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٠ طبعاً متقناً

وفجعتنا الحربُ الكونيَّة بوفاة حبرَين آخرَين جليلين السيّد «بطرس شبلي» رئيس اساقفة بيروت والمطران «يوسف صقر» رئيس اساقفة حماة . عُرف الاول بثقوب فهمهِ وسعة معارفهِ التاريخيَّة والاثريَّة نشر نُبذًا منها في المجلَّات الاجنبيَّة والوطنيَّة . وقد اكتسب شكرنا بنشرهِ لترجمة نابغة طائفتهِ البطريرك اسطفانوس الدويهي فأنجز طبعها سنة ١٩١٣ . وكان السيد بطرس شبلي درس مدَّةً في كليتنا ثم رحل الى باريس فدرس في مدرستها الكهنوتيَّة الشهيرة بسان سولبيس . وقد توفي في آطنة في السابعة والاربعين من عمره ضحيَّة محبّتهِ لفرنسة في ٢٠ آذار سنة ١٩١٧ . امَّا السيّد يوسف صقر فأحرز كل علومهِ في مدرستنا الاكليريكيَّة البيروتيَّة وتوفي بعد شهر من وفاة السيد شبلي في ٢٠ نيسان ١٩١٧ نشرنا لهُ في المشرق مقالات حسنة في اخلاق اللبنانيين وعاداتهم القومية

(الروم الكاثوليك) وفي هذه الحقبة الثانية من القرن العشرين استأثر الله بذاك الحبر الجليل ذي المآثر الطيبة المطران «جرمانوس معقَّد» المولود في دمشق سنة ١٨٥٣ والمتوفَّى في بيروت في ١٣ شباط من السنة ١٩١٢ وكل يعرف ما افاد بهِ الوطن من الاعمال الشريفة لاسيما انشاؤهُ لجمعيَّة المرسلين البولسيين الذين يشتغلون في كرم الربّ بغيرة وثبات . وقد اغنى الآداب العربية بتآليف شتى منها دينيَّة كرحلة الفيلسوف الروماني والكلام الحيّ وسبيل الصلاح وحسن الختام . ومنها طقسية كرفيق العابد والسواعيَّة

والميناون وتفسير القدّاس وخدمة الفصح ونشائد روحية وتحقيق الاماني لذوي الطقس اليوناني. ومنها ادبية لطيفة كذخيرة الاصغرين ورواية حسنا بيروت ومقالات وفصول ممتعة نُشرت في مجلة المسرّة التي أنشئت بهمّتهِ وجُمع بعضها في كتابهِ السلوة فاستحقّ بها جميعاً شكر الوطن (١

وفي ايام الحرب المشئومة توفي في دمشق في ١٧ شباط ١٩١٦ رئيس اساقفة صيداء السيّد «باسيليوس حجار» المولود في اوائل سنة ١٨٣٩ في جزّين بعد ان خدم طائفتهِ الكريمة بصفة كاهن غيور ثم في رتبة متروبوليت على بصرى وحوران ١٨٧٠ واخيراً على صيداء من السنة ١٨٨٧ الى سنة وفاتهِ. عُرف حيثما حلّ بجدّهِ ونشاطهِ في خدمة طائفتهِ. لهُ من آثار القلم تعريبهُ لكتابين للطوباوي اليسوعي الكردينال بلرمين وهما وصيّة السيد المسيح الاخيرة من على الصليب وسُلّم السعادتين مع تأليف لهُ في وصف مقام سيّدة المنطرة بجوار صيداء.

ومن ضحايا الحرب الكونية بين (الكلدان) السيد الجليل المطران «ادّي شير ابرهينا» رئيس اساقفة سعرت قتلهُ الاتراك جوراً فمات ميتة الابرار الشهداء في منتصف صيف السنة ١٩١٥ وهو في عزّ كهولتهِ في الثامنة والخمسين من عمره (٢. وقد نفع الوطن والآداب بما نشرهُ من التآليف التاريخية والدينيّة والادبيّة كتاريخ كلدو واثور طبع منه جزئين وفُقد باقيهِ في الحرب. ومن مآثره تاريخ مدرسة نصيبين الشهيرة والالفاظ الفارسية في العربية ونشرَ في المجلات الاوربية وصف مخطوطات مكاتب ماردين ودياربكر وسعرت والموصل ونشر في مجموعة الآباء الشرقيين تاريخاً قديماً لاحد النساطرة. هذا ما عدا تآليف كلدانية مدرسية عديدة. ولهُ في المشرق فصول مدقّقة عن طائفة الكلدان جازاهُ الله خيراً

وفي اثناء الحرب المذكورة فقد الكلدان اسقفاً آخر السيد «توما اودو» مات ايضاً ضحية الاتراك والعجم في كرسي اسقفيتهِ اورميا في شهر آب ١٩١٨ كان مولدهُ في القوش سنة ١٨٥٥ وقد اشتهر خصوصاً بما نشرهُ من التآليف الكلدانيّة في مطبعة الموصل للآباء الدومنيكان اخصّها معجمٌ مطوّل للكلدانية الحديثة في جزئين

١) أطلب سيرة السيد جرمانوس في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ٤٥٦-٤٦٥)
٢) ترجمتهُ في المشرق (٢٣ [١٩٢٥] : ٣٦-٤٤)

وترجمتهُ للكلدانية كتاب كليلة ودمنة وقوانين المجمع التريدنتيني وميزان الزمان للاب نيرنبرج اليسوعي

وفي آخر شهور الحرب في ٢٠ آب ١٩١٨ توفي من (السريان) في مدرسة الشرفة اسقف رستن شرفاً السيد «اوسطاثيوس موسى سركيس» المولود في دمشق سنة ١٨٤٨ . كان احد تلامذة مدرستنا الاكليريكية في غزير علّم العربية في كليتنا ثم ترأس عدة سنين على مدرسة الشرفة . ومن آثارهِ تعريبهُ لكتاب التاريخ المقدَّس للاب شوستر المطبوع في مطبعتنا سنة ١٩١٠

وتوفي من اساقفة الروم الاورثذكس في زمن الحرب في اميركا السيد «رافائيل هواويني» اسقف بروكلين في ٢٧ شباط ١٩١٥ . كان مولدهُ في بيروت سنة ١٨٦٠ ودرس في مدرسة خالكي في الاستانة . ثمَّ أقيم سنة ١٨٩٥ راعياً للجالية السورية الاورثذكسية في نيويرك فنشر هناك مجلة الكلمة سنة ١٩٠٥ ونقّح كتب طائفتهِ الطقسيّة كالقنداق والافخولوجي . ومن تآليفهِ كتاب اللمحة التاريخيّة في اخويّة القبر المقدَّس اليونانية

الكهنة العلمانيون والرهبان المرسلون

فقدت الآداب العربية احد افاضل كهنة الارمن ورجال البرّ والصلاح الورتبيت «بولس بليط» ولد في حلب سنة ١٨٢٧ وفيها توفي في ١٢ ت١ سنة ١٩١٠ . اوقف حياتهُ على خدمة آل وطنهِ عموماً وابناء طائفتهِ خصوصاً فاشتهر بقداستهِ وسموّ فضائلهِ واوقف قلمهُ في اوقات الفراغ على تأليف الكتب من لاهوت وفلسفة وتاريخ وعبادات طبع قسماً منها مثل كتابهِ الدعامة في وجود الله وخلود النفس وكتاب النبراس في خمس محاورات دينيّة وتاريخ ابرشيّة حلب الارمنيّة في مجلة المشرق . وعرَّب كتاب رياضة تشرين الثاني لاسعاف الانفس المطهريّة . ولهُ عظات ومياومات تاريخيّة ورحلة الى الاستانة ورومية سنة ١٨٦٩ لحضور المجمع الواتيكاني (١

وفي السنة التالية في ٥ ت١ ١٩١١ أسفت حلب ايضاً على فقد احد ابنائها العريقين في الآداب العربية القس «توما أيوب» السرياني الكاثوليكي المولود في الشهباء في

١) راجع ترجمتهُ لحضرة القس جرجس منش في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٨١-٨٩)

٢٢ آذار سنة ١٨٦١ درس العلوم في كلّيتنا الاكليريكيّة وفي دير الشرفة وانقطع بعد كهنوتهِ في وطنهِ للتدريس والتأليف وكان مولعاً بدرس العربية فجمع لهُ مكتبة حسنة من مخطوطاتها ومطبوعاتها . وقد تخرَّج عليهِ كثيرون من الشبّان وكان يجتمع بادباء حلب فيتفاوضون في الفنون الادبية واللغويَّة وقد عرَّب روايات عديدة منها للتمثيل ومنها خيالية ادبية طُبع منها رواية فابيولا ورواية الى اين ورواية الكفّارة في مطبعتنا الكاثوليكية وكلها تمتاز ببلاغتها . ومن تاليفهِ الروحيـة كتاب تحقيق الامنية في عبادة الوردية

وفي أيام الحرب الكونية فُجعت الطائفة المارونيَّة باحد كهنتها الضليعين بالآداب الدينيَّة والدنيويَّة معاً المنسيور «يوسف العلم» توفي في شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ في داريّا . كان احد تلامذة عين ورقة الممتازين فرُقّي في طائفتهِ الى مناصب شريفة كالرئاسة على مدرسة الحكمة والنيابة الاسقفية . لهُ تآليف عديـدة نُشرت بالطبع كتعريبهِ لتفسير رسائل مار بولس وكتاب قداسة الكاهن واعترافات مار اوغسطين وتأملات الوردية ومن آثارهِ النثريَّة والشعريَّة كثير مما نشرناه في مجلة المشرق ثم جمعهُ في كتاب دعاهُ «نفثات القلم على يدِ العلَم»

وفي تلك السنة عينها توفي في ١٨ شباط ١٩١٧ كاهن ماروني آخر كانت طائفتهُ توسمت فيهِ الخير وهي تنتظر منهُ خدماً جلّى الخوري «لويس دريان» مولود بيروت سنة ١٨٧٩ . كان درس العلوم في جامعة لوفان الشهيرة فنال شهادتي الدكتوريَّة في الفلسفة واللاهوت . ولمَّا عاد الى وطنهِ احبَّ ان ينفق عليهِ كنز علومه فنشر سنة ١٩٠٦ كتاباً في الفلسفة التوماويَّة بيّن فيهِ فضل القديس توما الاكويني في علمَي الفلسفة واللاهوت . ونشر بعض المواعظ التي القاها في كنيسة مار مارون تحت عنوان « الاعتقاد تجاه العقل والدين » . وعرَّب للفلكي الاب مورو كتاب « من اين جئنا » وللاجتماعي جول ليمتر كتابهُ « تهذيب الارادة » ونشر في مطبعتهِ المعروفة بمطبعة النهضة تآليف ادبية شتى وخصوصاً مجلته « الرسالة » والمحاسن الروائية

وفي زمن الحرب رُزئت الطائفة اللاتينيَّة في القدس الشريف باحد كهنتها الاجلاء «دون خليل مرتا» الذي تخرَّج في مدرستنا الاكليريكية في غزير وانتدبهُ السيّد البطريرك الى تهذيب التلامذة المترشحين للكهنوت في القدس فخدمهم سنين طويلة

وقد ألف لتدريسهم كتابهُ الخلاصة الجليّة في قواعد اللغة العربية في جزءين ونشرنا لهُ في المشرق مقالات لغويّة وتاريخيّة وانتقاديّة غاية في الحسن والدقة. وكان المذكور ضليعاً ايضاً بعلم الآثار فنشر بالفرنسويّة والايطالية كتباً حسنة منها كتابهُ عن دار بيلاطس وعن موقع بيت ايل ومكان وفاة مريم العذراء والتحفة الكريمة في الجمعة العظيمة

وفي هذه الحقبة الثانية خسرت رسالتنا السوريّة بعض مرسَليها العاملين الذين تركوا آثارًا طيّبة من قلمهم. نخصّ منهم بالذكر الاب «انطون رباط» الذي كانت تُبنى عليهِ آمال طيّبة لخدمة الآداب والوطن فاستأثر بهِ الله في ١١ أيار سنة ١٩١٣ وهو لم يتجاوز السادسة والاربعين من عمره ومع قصر حياتهِ امكنهُ ان ينشر قسماً حسناً من الآثار التي كان جمعها في خزائن اوربة. فمن ذلك مجلّدان في عدّة اجزاء نشر فيها آثار تاريخيّة جليلة عن كنائس الشرق منذ القرن السادس عشر. ومن مطبوعاتهِ الممتعة روايتهُ التمثيليّة البديعة في نكبة البرامكة ومقالاتهُ عن صحّة الاناجيل المقدّسة وسلامتها من كلّ تحريف وعدّة آثار تاريخيّة قديمة كرحلة اوّل شرقي الى اميركة وترجمتي الاسقفين ناوفيطس نصري وعبدالله قرألي وقد ترك مخطوطات لم يسمح لهُ الوقت بنشرها

وفي الجمعة الاولى من الحرب العمومية في آب ١٩١٤ أُصيبت رسالتنا بفقد كاهن آخر ترأس على كليتنا في بيروت مدّة سبع سنين وهو الاب «جبرائيل اده» الذي توفي في القاهرة وهو ساعٍ في القاء مواعظ رياضة روحية هناك. كان خدم سنين طويلة الآداب العربية بالتدريس والتأليف. تكرّر مرارًا طبع كتابهِ القواعد الجليّة في علم العربية. ولم يدّخر وسعاً في تعزيز اللغة العربية بين الناشئة

وانتقل ايضاً الى جوار ربه في زمن الحرب في غزير الاب «ادوار سلزاني» في غرّة شباط سنة ١٩١٦. خدم الآداب الدينية بتعريب بعض الكتب التقويّة في العبادة نحو مريم العذراء وفي حب يسوع المستقيم

وفي ٢٨ ايلول من تلك السنة قُتل في الحرب الكونية بينما كان يتفانى في ساحة الوغى بعلاج الجرحى الاب «فردريك بوفيه» الذي كان علّم الآداب والبيان في كليتنا وعُني بجمع تاريخ مطوّل لسوريّة من عهد الفتح الروماني الى زماننا فطبعهُ على الحجر بالفرنسويّة في نيف و٦٠٠ صفحة. ونشر في مجلة الشرق المسيحي تاريخ

الشام على عهد الدولة الطولونية وكان المذكور ضليعاً بعلوم الاديان

وقبل ختام السنة عينها في ١٦ ك ١ ١٩١٦ قضى نحبهُ في عين ابل في بلاد البشارة الاب «يوسف حوا» الحلبي الاصل. وُلد سنة ١٨٥١ وتقلّب في عدَّة وظائف مدنيَّة في لندن ثمَّ ترهّب سنة ١٨٨٢ واشتغل بالاعمال الرسولية مدَّة سنين عديدة في رسالتنا السوريَّة. نشر في مطبعتنا معجماً ضخماً في اللغتين العربية والانكليزيَّة

وفي السنة التالية في ٤ أيار ١٩١٧ توفي في مستشفى الراهبات الالمانيَّات الاب «دونا ڤرنيه» المعروف بالاب عطاء الله المولود في فرنسة سنة ١٨٣٦ خدم الآداب العربية بتأليف واسع في اصول اللغة العربية وألَّف ترجمة القديسة جان درك وعرَّب كتاب الاقتداء بالمسيح. ولهُ تآليف شرقية مخطوطة في مكتبتنا بالعربية والافرنسية

وفي ٢٣ من الشهر والسنة ذاتها توفّى الله مرسلاً آخر من الرهبانية الافرنسيَّة في حريصا الطيّب الذكر الاب «فرنسيس فرا» الحلبي نشر في مطبعة القدس تآليف دينيَّة حسنة كالروضة الروحية وتعريب فصيح للاقتداء بالمسيح وغير ذلك

وفي ٢ نيسان من العام المقبل ١٩١٨ مُنيت ايضاً رسالتنا بوفاة احد عملتها النشيطين الواسعي الفضل الاب «لويس رنزڤال» مات في رومية بعد نفيهِ من سورية بسبب الحرب. أدّى للعلوم الشرقية خدماً جمة بالتعليم والتأليف في فنون مختلفة. وقد تولّى ادارة مجموعة مكتبتنا الشرقي. لهُ فيها عدَّة آثار لغويَّة وفنيَّة وقد نشر في المشرق رسالة الدكتور مشاقة في الموسيقى العربية ثمَّ نقلها الى الافرنسية وذيَّلها بالحواشي. وقد كتب في ابحاث متعدّدة عن اللغات اليونانية والتركية في مجلّة باريس الاسيويَّة ونشر رسالةً من كتب الدروز مع الاب يوسف خليل ولهُ في المشرق عدَّة مقالات فلسفيَّة وتاريخيَّة وادبية

فترى انَّ علية الاكليروس وكهنة الطوائف الشرقية والمرسلين كانوا ماشين مع المواطنين في مصافّ جيش الآداب ناشرين لواء العلوم والمعارف

ادباء النصارى العلمانيون

نقدّم عليهم بعض الذين فاتنا ذكرهم في الحقبة الاولى تتمَّةً للفائدة. منهم الاديب المرحوم «حبيب انطون السلموني» المولود في بيروت سنة ١٨٦٠ تلقّى

العلوم في مدرسة الروم الكاثوليك وفي كلية القديس يوسف ثمّ هاجر الى اوربّة وساح في جهات العجم والهند ثمّ استقرّ في لندن وتعيَّن كاستاذ العربية في جامعتها وصار عضواً في جمعيتها الملكيَّة الشرقية وطبع هناك معجماً انكليزياً عربياً . كانت وفاتهُ في ٢٣ ت ٢ ١٩٠٤

وممَّن ترجمهُ الاستاذُ عيسى افندي اسكندر المعلوف في كتابهِ دواني القطوف (ص ٦١٠—٦٢٤) الدكتور « اسكندر بك رزق الله » الطبيب الشهير المولود في المحيدثة (المتن) في ١٢ شباط ١٨٦٠ والمتوفى في بيروت في ٧ ك ١ ١٩٠٥ درس اللغة والادب في بيروت وتلقى العلوم الطبية في القصر العيني في مصر ثم في فرنسة وتعيَّن في الثغر طبيباً لمستشفى القديس جاورجيوس فجرى في تنظيمهِ على نمط المستشفيات الاوربية العصريَّة . وكان المذكور احد المولعين بدرس العربية وفنونها فأُقيم قبل انقطاعهِ للطبابة استاذاً لها في المدرسة السورية ورئيساً لقلم التحريرات العربية في ديوان الروم البطريركي ونظم القصائد والالحان الغنائية والمقطَّعات وسكن مدَّةً مصر ورفع الى الخديوي اسماعيل باشا قصيدة بليغة أُعجب بذكاء ناظمها واراد ان يثيبهُ عنها بمبلغ من المال فأبى تبولهُ بلطف قائلاً : «انا يا مولانا طالب علم لا طالب مال» وكان ذلك سبباً لدخولهِ في مدرسة القصر العيني قبل رحلتهِ الى فرنسة . ومدح ناظر المعارف في مصر عليّ ابراهيم باشا وهنأه بالعيد بقصيدة غرّاء اوَّلها

دعِ التشبُّبَ بالغاداتِ واعتزلِ ذكرَ الغواني وجانِبْ جانبَ الغَزَلِ

وختمهُ بهذا التاريخ :

ختامُ ما احسنتَ قولاً نؤرخـهُ ألعيدُ يعلو بأنوار الجليل عليّ (١٢٨١ هـ)

وللدكتور رزق الله رسالات بليغة منمَّقة ومقالات عديدة منها طبية ومنها ادبية في المجلات الوطنية والاجنبية في كلتا اللغتين العربية والافرنسية . وقد جُمعت اقوال الجرائد او مراثي الشعراء في مدحهِ بعد موته في كرَّاسةٍ عنوانها نَوح الحمام صدَّرها الشاعر المجيد الياس افندي الخيكاني بهذين البيتين تحت رسمهِ :

قالوا : اطلتَ من التأسُّف والبكا هل ذا النطاسي عادمُ الاشباهِ

فاجبتُهم : ما كلُّ رزقٍ في الملا يبكى عليهِ نظير رزقِ اللهِ

وفي ١٦ آب من السنة ١٩٠٦ فقد الادب احد الشعراء الوطنيين سليل عائلة الشدياق «بشاره الشدياق» كان ابن اخي احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ونشر في جريدة عنه فصولاً شائقة. وكان المذكور عريقاً في دينهِ لهُ في جريدة البشير مقالات دينية وادبية . ومن آثاره ديوان شعر مخطوط نصونهُ في مكتبتنا الشرقية جمعهُ سنة ١٨٨٨ . دونك مثالاً من نظمه قال في وصف الحسود:

انَّ الحسود مدى الايام يمقتُ مَنْ … نال السعادةَ حتى منتهى الابدِ
وكلُّ داءٍ لـهُ طبٌّ يصحُّ بهِ … امّا الحسود فلا يشفى من الحسَدِ
داءٌ خبيثٌ تُرى ماذا يؤمّلهُ … ذاك اللئيمُ سوى الاكدار والكمدِ
فبئسَ حاسدُ توفيقٍ بلا أملٍ … يموت من جهلهِ بالذلّ والحقدِ

ومن قولهِ في رثاء المطران طوبيا عون رئيس اساقفة بيروت:

قد كان طوبيًّا ذا برٍّ وذا عملٍ … سامٍ وفضلٍ لهُ في الناس مشهودِ
كم بات يرعى خرافاً ظلَّ يرشدها … الى حقيقةِ ايمانٍ وتسديدِ
نعمْ وقد كان عوناً للانام ومَنْ … قد أمَّهُ نال من فضلٍ وتأييدِ
فهو لعمري الذي كانت شمائلهُ … م الغرّاء شائعةً في السهل والبيدِ
بكتْهُ بيروت حزناً والدموع على … فقدانهِ تنذمُّ من قلب صيخودِ
قد مات في جمعة الآلام وا أسفي … بفقدهِ قد حُرمنا بهجة العيدِ
ضاقت بنا الارض من غمٍّ ومن كدرٍ … ومن مُصاب ومن نحبٍ وتنهيدِ
هيهاتَ يُطفى لهيبٌ او يحولُ بكا … ما دام آماقُنا قرحى بتشديدِ

وفي السنة التالية ١٩٠٧ وقعت وفاة ابن عم بشارة «سليم الشدياق» كانت وفاتهُ في سان ريمو. اخذ سليم الآداب عن ابيهِ ثمَّ صار يُساعدهُ في تحرير الجوائب في الاستانة لهُ فيها عدَّة مقالات. وعُني بنشر بعض تآليفهِ

وفي ٢٠ ايار من السنة ١٩٠٦ توفي في بيروت عن ثمانين عاماً الرياضي والطبيعي العلوم المعلم «الشدودي» . كان مولدهُ في عاليه سنة ١٨٢٦ ودرس في مدرسة اعبيه فنبغ اسعد في الرياضيَّة بين تلامذتها ثمَّ دُعي بعد انتهائهِ من درسها الى تعليمها في عدَّة مدارس ثمَّ في الكلية الاميركية سنة ١٨٦٧ ونشر سنة ١٨٧٣ كتابهُ العروسة

البديعة في علم الطبيعة . وكان يُحسن الكتابة ويجيد الانشاء دون تكلف . ولهُ شعر رائق تفنن فيهِ منهُ حكمي ومنهُ هزلي . ولدينا ارجوزتهُ التي نظم بها امثال سليمان الحكيم نظماً سهلاً قريب المأخذ دونك مثالًا منهُ :

مخافةُ القديرِ رأسُ الحكمةِ فمن حواها حازَ كلَّ نعمةِ
بالحكمةِ الجهَّالُ تستهينُ لكن بها الحكيمُ يستعينُ
يا أبنِ اذا اغراكَ اهلُ الشرِّ للسيرِ في طريقهم لا تجرِ

ومنها وصف الحكمة عن لسانها :

لي الرأيُ لي الشورى انا الفهمُ الذكي وبي القوى ولي قديمُ المسلكِ
بي تملكُ الملوكُ والولاةُ وبي القضاء تعدلُ القضاةُ
قد كنتُ منذ البدء قُنيَةَ العلي مُسبحتُ في القدمِ منذ الازلِ

وفي السنة ١٩٠٧ في غرة شباط توفي المرحوم « سليم الياس كسّاب » ابصر النور في دمشق سنة ١٨٤١ تعلم في مدرسة طائفته الاورثذكسية فاخذ عن احد مشاهيرها الخوري يوسف الحدّاد ثمَّ انتدبهُ المرسلون الانكليز والاميركان الى التعليم في مدارسهم في جهات لبنان وهو الذي انشأ في بيروت المدرسة الوطنيّة الاورثذكسية . ثمَّ طلبت اليهِ السيدة مس طومسن التي قدمت الى سورية بعد السنة ١٨٦٠ ان يعلمها العربية ثمَّ يساعدها في مشروعها التي حاولتهُ وهو تأسيس مدارس سوريَّة انكليزيَّة في انحاء سورية فوجدت فيه خيرَ استاذ ومساعد وبقي في خدمة تلك السيّدة وتولى نظارة المدارس المختلفة التي انشأتها . وكان ينصب في الوقت عينه على المطالعة والتأليف فنشر كتاب الدرّة الفريدة في الدروس المفيدة في قسمين وكتاب قلادة النحر في غرائب البرّ والبحر . واشترك مع الاديب جرجس همّام في تأليف كتاب الكنوز الابريزيّة في اللغتين العربية والانكليزية ولهُ مقالات اخرى وخُطب دينية ورسائل شتى

وفي السنة التالية في ٩ ت ١ ١٩٠٧ نعي الينا احد رجال الفضل والادب المعلم « حنّا عورا » المولود في عكا في ٢٩ حزيران ١٨٣١ . كان المذكور وقف نفسهُ على خدمة الحكومة العثمانيَّة فعهدت اليهِ اعمال تولّى تدبيرها بكل امانة ونشاط

كمديرية التحريرات ووظيفة مميز لقلم المكتوبي ومراقبة المطبوعات واشتغل بنظام جبل لبنان بعد حوادث السنة الستين . وقد دخل اولادهُ في خدمة الدولة على مثاله فاستحقُّوا معهُ شكر اربابها

وتوفي فجأة في بيروت في ٢٨ ك ٢ من السنة ١٩٠٨ اللبناني الاديب «فارس بك شقير» كان تهذَّب بالعلوم العصرية وتولى في لبنان مأموريات شتى منها منصب القائمقامية في الكورة وكان شاعرًا وكاتبًا نُشرت لهُ آثار حسنة من قلمه في الصحائف الوطنية . وهو اخو شاكر شقير السابق ذكره

وبعد اعلان الدستور العثماني بزمن قليل ودَّع الحياة احد اساتذة الكلية الاميركية الدكتور «يوحنا ورتبات» في ٢٢ ت ٢ ١٩٠٨ عن ثمانين عاماً . كان اصلهُ من الارمن فنزحت عائلتهُ الى سوريَّة ودانت بالمذهب البروتستاني . وكان مولد يوحنَّا في حلب سنة ١٨٢٧ ثم دخل في خدمة المرسلين الاميركان فتعلَّم وعلَّم في مدارسهم ثمَّ دفعوه الى درس الطبّ وارسلوهُ الى انكلترة والى اميركة فاتقن فيها العلوم الطبية والجراحيَّة وتعاطاهما ودرَّسها وألف فيها التآليف الواسعة كحفظ الصحة والفيسيولوجيا ومبادئ التشريح واصول التشريح . وقد نشر في المقتطف والمقتبس مقالات عديدة وكتبَ في الانكليزيَّة عن اديان سوريَّة ونشر مع ابنه قاموساً انكليزيًا عربيًا ومع الدكتور بورتر قاموساً عربيًا انكليزيًا . وكان الدكتور ورتبات درس العربية على الشيخ ناصيف اليازجي فاتقنها وبها علَّم طلبتهُ الى السنة ١٨٨٦ حيث غيَّرت المدرسة الاميركيَّة خطَّتها في لغة التدريس فجعلتها الانكليزية عوضاً عن العربية فاستعفى الدكتوران ورتبات وفان ديك ولازما بيتهما

في غرَّة حزيران من السنة ١٩١٠ فقدت مجلَّة المقتطف احد اركانها الثلثة الذين باشروا انشاءها في بيروت سنة ١٨٧٦ اعني به «شاهين مكاريوس» ولد في جهات مرج عيون سنة ١٨٥٢ وتعلَّم فيها مبادئ القراءة والكتابة ثمَّ دخل كعامل في مطبعة الوطن في بيروت وثابر على المطالعة وتمرَّن على الكتابة ونَظْم الشعر فبرع فيها ثمَّ انقطع مع زميليهِ يعقوب صرُّوف وفارس نمر الى خدمة مجلَّة المقتطف فادَّى لها باجتهادهِ وثباته اجلَّ الخدم ونشر فيها مقالات مختلفة . وقد أُولع المذكور بخدمة الماسونية حتى اصبح احد اقطابها في سورية ومصر وقد بيَّنَّا في كتابنا «السرّ المصون

في شيعة الفرمسون» ما ألفهُ فيها من التآليف المتعددة مموّهاً على قرّائه راجياً ان يبيّض الحبشيّ ويزكّي ابناء الارملة ممّا تقرّر عنهم في كافّة البلاد بخصوص مناهضة الاديان ونفخ روح الثورة

وتوفي في ٢٤ آذار من السنة ١٩١٠ الدكتور « الياس بك مطر » المولود في حاصبيا سنة ١٨٥٧ والمتخرّج في بيروت في مدرستي الثلاثة الاقمار والبطريركية ثمّ في الكلية الاميركية فدرس الصيدلية ونال شهادتها في الاستانة ثمّ اضاف اليها هناك درس الطب واتخذهُ الوزير الشهير جودت بك معلماً لابنه علي سَداد ثم استصحبهُ الى دمشق لمّا جاء والياً على الشام فعيّنهُ طبيباً للبلديّة ودرس الشرعَ هناك في مكتب الحقوق والشرائع الدولية فاصبح من الادباء الممتازين وكان يتقن التركية والافرنسية والانكليزية . ونشر في العربية كتابهُ تاريخ سوريا سنة ١٨٧٤ ثمّ شرح مجلّة الاحكام وانشأ مجلّة الحقوق بالعربية والتركية فظهرت مدّة خمس سنوات. وله ايضاً كتاب حسن في علم حفظ الصحة

وفي هذه السنة عينها في شهر تشرين الاوّل توفي في دلبتا المرحوم « الياس باسيل فرج » الذي خدم زمناً طويلاً مطبعة الآباء الفرنسيسين في القدس الشريف بصفة ناظر ومصحّح مطبوعات . ونشر فيها من قلمه بعض الآثار النثريّة والشعريّة

خسرت الدولة المصريّة في ١٧ أيار سنة ١٩١١ احد عمّالها الكبار « جرجس بك حنين » . وُلد في الفيوم ثمّ درس في مدارس المرسلين الاميركيين ودخل في خدمة الحكومة في دواوينها المالية والادارية وهو في اثناء العمل يهتمّ بتوسيع دائرة مداركه ومراقبة احوال وطنه الزراعية والمالية والعمرانية حتى اصبح من اقدر رجاله في التدبير والسياسة . ووضع في ذلك كتباً نفيسة ألفتت اليها نظر ارباب الدولة فاتخذوها حجّة في بابها منها كتابهُ الشهير « الاطيان والضرائب في القطر المصري » ومجموعه « قوانين الاموال المقرّرة ولوائحها » وخطابهُ « في الضرائب العقاريّة » . وكان المذكور احد الساعين الى اصلاح ملته القبطية والمولعين بدرس لغتها وتاريخها

ومن موتى السنة ١٩١١ في ٢٢ نيسان الكاتب الضليع « نجيب ابراهيم طراد » الذي ولد في بيروت سنة ١٨٦٠ ودرس بضع سنوات في مدرستنا الكلية ثمّ أنِسَ من نفسه قدرةً على الكتابة فتقلّب في عدّة مجلّات في بيروت ومصر ونشر مقالات حسنة

في جرائدهما وانشأ جريدة الرقيب في الاسكندرية فلم تنل رواجاً فلزم العزلة في وطنه واشتغل بالكتابة فصنّف عدّة تآليف منها تاريخ الرومانيين وتاريخ الدولة الرومانية الشرقية وتاريخ مكدونيا وعرّب بعض الروايات نأخذ عليه من جملتها تعريبهُ لرواية اليهودي التائه المشحونة كذباً وافتراء في حقّ من تخرَّج عليهم

وبعد نجيب ابرهيم بسنتين في ٧ حزيران ١٩١٣ أُصيب آل طراد بفقد احد اعيانهم. «الياس جرجس طراد» ولد في بيروت سنة ١٨٥٩ ودرس في المدرسة الوطنية البستانية ثمَّ تعاطى التعليم والمحاماة وصار عضواً في محكمتيْ البداية والاستئناف ودخل الجمعية العلمية السورية وساعد الجمعيَّات الخيرية وخطب في النوادي الوطنية. ولهُ آثار كتابية حسنة كتعريب عدَّة روايات تمثيلية وفصول عديدة في القوانين والنظامات وفي السياسة والعمران نشرها في صحف الاستانة وسورية ومصر وصنَّف ترجماناً في اللغتين الانكليزية والعربية. ولهُ ارجوزتان في الفرائض والجزاء. وقد جمع مآثرهُ جناب الاديب جرجي نقولا باز في مجلد واسع قدَّم عليه ترجمة حياته وضمَّنهُ كثيراً من شعره الطيِّب. فمن لطيف اقواله ما وصف به غضب النساء

غضبُ المرأة صعبٌ سادتي ... دونهُ كلُّ عناءٍ وألَمْ
كلُّ ما قالتهُ صدقاً كان أمْ ... خطأً قالت لها الناسُ: نعَمْ
لم يَعُدْ امرٌ ولا حُكمٌ لهم ... فهيَ الآمِرُ فيهم والحَكَمْ
قُل لمن خالف آراءٍ لها: ... انت خالفتَ شعوباً وأُمَمْ
عُدْ وإلّا صوَّبتْ الحاظَها ... أسهماً ترميكَ عن قوس النِقَمْ

وقال في ملامة الجهال وطعنهم في العقلاء:

انَّ مقال الطعن من جاهلٍ ... لا يجلبُ النمَّ لاهل النظرْ
كذلك الاحجار لا يُرتمى ... بها سوى الاشجار ذات الثمرْ

وقال بمعناه:

اذا رأينا حجرًا ... اصاب كأس الذهبِ
فلا يزيد قدرهُ ... وقدرُها لم يَذهبِ

وفي اوائل السنة ١٩١٢ في ٩ كانون الثاني توفي الصحافيّ الشهير «سليم عبَّاس الشلفون». ولد في بيروت سنة ١٨٥٣ وتعلَّم في مدرسة الآباء اليسوعيين في حيّ الصيفي واحكم فيها اصول اللغتين العربية والافرنسية ثم لازم الشيخ ابرهيم اليازجي بضع سنوات فأتقن الكتابة نثرًا ونظماً ثمَّ اشتغل مع نسيبهِ يوسف الشلفون وحرر

فصولاً في جريدة النجاح ووقف مذ ذاك حياتهُ على الصحافة فقضى معظم أيامهِ في خدمتها في بضع عشرات من الجرائد في بيروت كثمرات الفنون والتقدُّم والمصباح وبيروت ولسان الحال وفي الاسكندرية ومصر كالعصر الجديد والمحروسة. وسافر الى الاستانة ونال رضى ارباب الدولة العثمانيَّة وكان لمقالاتهِ السياسيَّة وقعٌ عظيم فاثارت عليهِ غضب الحكومة المصريَّة فنجا بنفسهِ منها هارباً

وفي ١٨ آب سنة ١٩١٢ فقدت الآداب العربية احد انصارها «الشيخ سعيد الخوري الشرتوني» توفاه الله عن ٦٣ سنةً في ضواحي بيروت في الطيُّونة. كان مولده في شرتون من قضاء الشوف (لبنان) درس اوَّلاً في مدرستي اعبيه الاميركيَّة وسوق الغرب الانكليزيَّة وبعد أن حصل على مبادئ اللغة والادب صرف همَّتهُ الى المطالعة والدرس الخاصّ فبلغ بها مبلغاً حسناً حتى انتدبتهُ مدرسة عين تراز الى تعليم العربية. ثمَّ درَّس في مدرسة الروم الكاثوليك في دمشق ثم في مدرسة الحكمة والمدرسة البطريركيَّة في بيروت ولم يزل مذ ذاك الحين يضاعف جهدهُ في اتقان الفنون الادبيَّة حتى برع فيها. ولما فتح اليسوعيُّون كليَّتهم اتَّخذوه كاستاذ لتلامذتهم وكمساعد لتصحيح ونشر مطبوعاتهم فقضى في تينك المهنتين اكثر من عشرين سنة ولم يدعهما إلَّا للقيام بامور بيتهِ. ولم يزل مع ذلك يكتب ويصنف حتى اواخر حياتهِ. وكان باكورة مصنفاتهِ انتقادهُ على كتاب غنية الطالب ومنية الراغب لاحمد فارس شدياق. ومن اكبر مؤلفاتهِ قاموس اقرب الموارد في ثلثة مجلَّدات والشهاب الثاقب في المراسلات والغصن الرطيب في الخطاب والمعين في تمرين الاحداث على الانشاء ومطالع الاضواء في مناهج الكتَّاب والشعراء ونجدة اليراع في اللغة وحدائق المنثور والمنظوم. وقد عُني بتحشية بحث المطالب للسيِّد فرحات. ونشر كتباً مفيدة كنوادر ابي زيد وفصل الخطاب مع مخاطبات فنيلون ولهُ عدَّة مقالات ادبيَّة وانتقاديَّة ومنظومات شتى في الجرائد والمجلَّات وقد امتاز في طول حياتهِ بفضله وصحَّة دينهِ

وفي ذات شهر آب من العام ١٩١٢ توفي أديب آخر «الشيخ امين الحدَّاد» شقيق الشيخ نجيب الحدَّاد. ولد الشيخ امين في بيروت سنة ١٨٧٠ وهو ابن سليمان الحداد وحنة ابنة الشيخ العلَّامة ناصيف اليازجي فنشأ في مهد الادب وجرى على مثال اسرتهِ الكريمة فبرع في العربيَّة وسار الى مصر فحرَّر مع اخيهِ الشيخ نجيب

جريدة لسان العرب اليوميّة ثمّ تولى انشاء مجلّات وجرائد غيرها كانيس الجليس والسلام والجامعة العثمانيّة والبصير الى ان أُصيب بداء الكبد فعاد الى بيروت يطلب الشفاء فثقلت عليهِ وطأة الداء حتى ذهبت بحياتهِ . وللشيخ امين مقالات ادبيّة في الضياء ومجلّات اخرى . وكان شاعرًا مجيدًا فجُمع شعرهُ وطُبع في الاسكندريّة . ومن ظريف قولهِ في خزّان اسوان:

وما أنتَ خزّانُ المياهِ وطَمْيِها ... وإبليزِها بل خازن الدرّ والتبرِ
تدفّقتَ بالخيرات من كل جانبٍ ... وجمّعتَ اقطار المنافع في قطرِ

وقال يقابل بين امانة الكلب وغدر كثيرين من الناس .

نرى الكلبَ ما إن عضّ أُذْنَ نظيرهِ ... ونحن نَخُشْنا بعضَنا نُظراءُ
ويا عجباً للكلب زاد مودّةً ... على حين زاد العالَمون جفاءُ
اقام مع الانسان منذ نُشوئهِ ... برافقهُ أنّى مضى وتناءى
تعلّم منّا كلّ شيءٍ مطاوعاً ... سوى الغدر يعصيهِ تُقىً وإباءُ
اذا ما رآنا خائنين وفى وإن ... رآنا نريدُ الغدرَ زادَ ولاءُ

وقد اشتهر قبل الشيخ امين ابوهُ «الشيخ سليمان الحداد» واخوهُ «الشيخ نجيب» فنُلحقهما بالشيخ امين . فالشيخ سليمان هو ابن نجم الحداد ولد في كفرشيما وهاجر الى مصر فتعاطى فيها التجارة وكان شاعرًا محسناً طُبع ديوان شعره «قلادة العصر» سنة ١٨٩١ في الاسكندريّة . فمن قولهِ رثاؤهُ للبرنس نابليون ابن نابليون الثالث الذي قُتل في محاربة الزولوس مع الانكليز:

الدمعُ بعدَك في العيون قليلُ ... اذ انتقوهُ عليك وهو يسيلُ
لا بدعَ ان يبكيك شعبٌ ماجدٌ ... فيه لنابوليونَ انتَ سليلُ
يا تارك المجد الاثيلِ بأمّةٍ ... في حالِ يُتمٍ يعتريهِ ذبولُ
لك مأتمٌ كلُّ البسيطة دارهُ ... تبكي بهِ وفؤادُها متبولُ
تبكيك كل العالمين كأنّما ... لك كلُّ شعبٍ في الانامِ خليلُ
طعنوا وما علموا بأنّ طعينهم ... عينُ الزمانِ وهم لديهِ تزولُ
يبقى بلُندنَ ذكرُ مجدك خالدًا ... ابدًا ومن باريسَ ليس يزولُ

ولم نقف على تاريخ وفاة الشيخ سليمان ولعلّهُ تخلّف عن وفاة ولديهِ

امّا «الشيخ نجيب» فانّهُ اصاب بنثرهِ وشعرهِ فخرًا بلغ بهِ مبلغ الادباء اليازجيين . ولد في بيروت سنة ١٨٦٧ وهاجر الى مصر مع اهلهِ سنة ١٨٧٣ فتعلّم هناك في مدرسة الفرير ثم عاد الى بيروت فتخرّج على خالَيهِ الشيخين ابرهيم وخليل

اليازجي وجرى على آثارهما. واخذ ينظم الشعر مع حداثة سنهِ ثمَّ استُدعي الى الاسكندريَّة فكتب في جريدة الاهرام المقالات المستحسنة مع عدَّة روايات تمثيليَّة احرز بها سمعةً واسعة. ثمَّ انشأ جريدة لسان العرب اليومية وحوَّلها بعد مدَّةٍ الى شبه مجلَّة. وقد امتاز بين أُدباء زمانهِ بالتعريب وتأليف الروايات. وشعرهُ من افضل ما نظمهُ الشعراء العصريُّون. وقد روينا لهُ سابقاً قصيدتهُ في القمار وفي حريق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧. وقد طُبع ديوانهُ مرَّتين في بعبدا سنة ١٩٠٦ ثمَّ في الاسكندرية بعد وفاتهِ في السنة ١٨٩٩. دونك مثالاً من نظمهِ قال وقد اقترحت عليهِ الحكومة المصريَّة نَظم ابيات تُكتَب على محطَّة القاهرة:

يا حُسنَ عصرٍ بعبَّاسِ العُلى ابتسما ... حتى الحديدُ غدا ثغرًا له وفما
طرائقٌ في ضواحي القطر تُبلغنا ... اقصى البلاد ولم تَنقل بها قدما
مصرٌ كصفحةِ قرطاسٍ بتُربتها ... غدا القِطار عليها الخطَّ والقلما
ارضٌ بها كان خصب النيل منتثرًا ... حتى اتاها قطارُ النار فانتظما
لنا غنًى عن قطار السُحب منسجماً ... ولا غنى عن قطار النار مضطرما
يجري بها الرزق في جسم البلاد كما ... يجري دمٌ في عروق الجسم منتظما
محطَّةٌ هي قلبٌ والخطوطُ بدت ... مثل الشرايين فيها والقطارُ دما
مع السلامة يا من سار مرتحلاً ... عنَّا واهلاً وسهلاً بالذي قَدِما

ومن أدباء النصارى المتوفين في السنة ١٩١٣ في ٨ شباط منها الاستاذ شاهين عطيَّة اللبناني المولود في سوق الغرب سنة ١٨٣٥ درس في قريتهِ مبادئ اللغة ثمَّ انتقل الى بيروت فتعلَّم فيها العلوم اللسانيَّة والمنطقيَّة على الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير. ثمَّ انقطع الى التدريس في مدرسة الروم الاورثذكس المعروفة بالثلثة الاقمار سنين طويلة وتولى تدريس طلبة الكهنوت فتخرَّج عليهِ غبطة بطريرك الروم الحالي وعدَّة اساقفة. وانتدبتهُ الجمعيَّة الفلسطينيَّة الى تعليم العربيَّة في مدرسة بيت جالا فخدمها ١٣ سنة وهو لا يزال يثابر على درس العربية ونوادرها وآدابها فنشر ديوان ابن تمَّام مع بعض تعليقات عليهِ وكذلك شرَح رسائل ابي العلاء المعرّي شرحاً خفيفاً قبل ان يتوسَّع فيهِ استاذ العربيَّة في جامعة اوكسفرد العلَّامة مرغوليوث. ونقَّح

بعض المطبوعات وانشأ الروايات التمثيليَّة كعاقبة سوء التربية وحكم سليمان. وقد جرى على مثالهِ ابنهُ الاديب جرجي افندي صاحب نسمات الصَّبا في منظومات الصِبا

وفي السنة ١٩١٣ في ٧ نيسان توفي احد وجوه اسرة سرسق الكريمة «جرجي بك دمتري سرسق» ترجمان قنصليَّة المانية ورئيس الاحرار الماسونيّين في بيروت والجاري على سُنَنهم المتطرّفة بازاء الدين وارباب. كان مولدهُ في السنة ١٨٥٢ وتلقى علومهُ في المدرسة الوطنيَّة وفي مدرستنا البيروتيَّة القديمة واتقن العربيَّة على الشيخ ناصيف اليازجي وساعدهُ علمه باللغات الفرنسويَّة والانكليزيَّة والالمانيَّة على الاختلاط بوجوه الاوربيّين. ومما خدم بهِ الآداب العربيَّة طبعهُ سنة ١٨٧٦ لتأليفهِ تاريخ اليونان عرَّبهُ عن المؤرخ دوروي الفرنساوي مع بعض اضافات ووضع كتاباً في التعليم الادبي ضارباً الصفح عن التعليم الديني ولهُ مقالات ادبيَّة وتاريخيَّة شتى في جرائد مصر وبيروت ومجلّاتها

في هذه السنة ايضاً في ٧ آذار ١٩١٣ توفي في القدس الشريف الاديب «هبة الله صرُّوف» المولود سنة ١٨٣٩ في دير البلمند حيث كان ابوهُ الخوري سبيريديون معلماً. درس اوَّلًا على ابيهِ ثمَّ تخرَّج في مدرستي الروم الاورثذكس في دمشق ثمَّ في القدس الشريف في مدرستها المعروفة بالمصلَّبة. ثمَّ خدم طائفتهُ خدماً مشكورة وزار دير طورسينا وتفقَّد مخطوطاتهِ سنة ١٨٧٠ ثمَّ أُنيط اليهِ تصحيح المطبوعات العربيَّة في القدس بدعوة البطريرك داميانوس سنة ٨٩٩ وبقي هناك الى سنة وفاتهِ. ومن آثارهِ كتب دينيَّة كثيرة بعض القديسين منها سيرة القديسين برفيريوس اسقف غزَّة ويوحنا الكوخي والكسيوس وكتاب الفريضة السنيَّة في الواجبات الكهنوتيَّة. ونشر مواعظ والدهِ تحت عنوان الروض الداني القطوف. ولهُ ايضاً جغرافيَّة فلسطين ومناهج القراءة

وفي أيار من السنة المذكورة ١٩١٣ فقدت الصحافة العربيَّة رجلًا من اساطينها «سليم باشا الحموي» المولود من اسرة ارثوذكسيَّة في دمشق سنة ١٨٤٣ وفيها تلقَّن مبادئ العلوم. ولما هاجر مع عائلتهِ الى القطر المصري انشأ في الاسكندريَّة مع اخيهِ عبدالله اول جريدة يوميَّة سياسيَّة سنة ١٨٧٣ اشتهرت بالكوكب الشرقي والحقها بجريدة «الاسكندرية» ثمَّ بجريدة الفلاح التي انتشرت انتشارًا واسعاً وخوَّلتهُ

الحكومة المصريَّة بسببها رتبة الباشويَّة ومنحتهُ اوسمة مختلفة . ومن آثارهِ الادبيَّة كتابهُ المعنون ترجمان العصر عن تقدُّم مصر نشرهُ سنة ١٨٧٤

واشهر الادباء الذين غادروا هذه الفانيـة سنة ١٩١٤ رصيفنـا «جرجي بك زيدان» ولد في بيروت في اواسط كانون الاوَّل سنـة ١٨٦١ ودرس في مدرسة طائفتهِ المعروفة بالثلثة الاقمار . ولمَّا فتحت الكليَّة الاميركيَّة مدرستها الطبيَّة كان بين اوَّل الطلبة الذين انتظموا فيها وقد نشر عنهُ ابنهُ في الهلال خبر ما حدث في المدرسة من المنازعات التي كان لهُ فيها نصيب وافر ثمَّ مـا حصـل بين المعلمين من الانقسام بسبب التعليم بالانكليزيَّة بدلًا من العربيَّة . على انَّهُ لم يهمل دروسهُ الطبيَّة حتى نال شهادة الأذونيَّة فيها . ثمَّ انتقل الى مصر سنة ١٨٨٢ وحرَّر مـدَّةً في جريدة الزمان المصريَّة ثم رافق الحملة الانكليزيَّة على السودان بقيادة غوردون باشا فقاسى فيها مدَّة ١٤ شهرًا ضروب الاتعاب ولقي اصناف الاخطار حتى نجا من اهوال تلك الحرب في اوائل السنة ١٨٨٥ . فعاد الى بيروت وصرف فيها سنةً يشتغل مع اعضـاء المجمع العلمي الشرقي ونشر اذ ذاك كتابهُ الالفاظ العربيَّة والفلسفة اللغويَّة . ثمَّ سنحت لهُ الفرصة للسفر الى انكلترة فاكمل في لندن دروسهُ الطبيَّة واجتمع بمشاهير المستشرقين وتردَّد على المتحف البريطاني . ثمَّ عاد الى مصر وزاول الكتابة والتعليم في مدرسة الاورثذكس الكبرى . ثم انتدبتهُ مجلَّة المقتطف ليكتب فيها فنشر عدَّة مقالات مستحسنة حتى امكنهُ من انشاء مطبعة على حسابهِ اخذ ينشر فيها مجلَّتهُ الهلال الشهيرة في تشرين الاوَّل من السنة ١٨٩١ فلم يزل يديرها وينشئ مقالاتها الى سنة وفاتهِ . ولهُ فيهـا سلسلة روايات تاريخيَّة تكرَّر طبعها ونُقلتْ الى لغات شتى . ومن تآليفهِ التي أقبل عليها الجمهور لفوائدها كتاب تاريخ آداب اللغة العربيَّة وتاريخ التمـدُّن الاسلامي وتاريخ العرب قبل الاسلام وتاريخ مصر وجغرافيتها ومختصر تاريخ اليونان والرومان وتاريخ انكلترة وانساب العرب القدماء وطبقـات الامم وعجائب الخلق . وممَّا لم نستحبهُ لهُ كتاب علم الفراسة الحديث مع ما فيهِ من الاوهام والخياليَّات . واقبح منهُ تاريخ الماسونيَّة العام الذي ذهب فيهِ الى مذاهب صبيانيَّة خرافيَّة اعتبرها كحقائق راهنة . على اننا لا ننكر انهُ كان احـد اركان النهضة الادبيَّة الجديدة في الشرق الادنى

ومذ انتشبت الحرب الكونية أُصيبت الآداب العربية بعدد عديد من ادبائها النصارى الافاضل. واوّل من نُعي الينا المرحوم «عطيّه بك وهبي القبطي» المولود سنة ١٨٦٨ والمتوفى في ٢٦ ت ٢ ١٩١٤ درس في المدارس الاميركانية والوطنية ثم اشتغل بدرس علم الحقوق في المدرسة الفرنساويّة بالقاهرة ونال في باريس اجازة الملفنة. ثمَّ ساح في البلاد الاوربية وحرَّر اخبار سياحتهِ ثمَّ كتب الفصول الحسنة في جرائد اوربّة ومصر عن الابحاث الفقهية والاقتصاديّة. وألقى في مؤتمر الآثار الدولي في مصر سنة ١٩٠٩ محاضرات نفيسة في الفنون القبطية وتولّى رئاسة مدارس ملّتهِ وعُني بامورها الادبية وبنشر مآثرها التاريخية. وقد جمع احد مواطنيهِ راغب اسكندر المحامي آثارهُ ومقالاتهِ وخطبهُ فنشرها سنة ١٩١٥ تحت عنوان «الاثر الذهبي للمرحوم عطيّه بك وهبي»

وكان سبقهُ الى الابديّة اديبٌ آخر من ملّتهِ «عبد السيد ميخائيل القبطي» منشئ جريدة الوطن في مصر سنة ١٨٧٧ وصاحب تآليف حسنة في مواضيع ادبية منها كتابهُ سلوان الشجيّ انتصر فيهِ لصاحب الجوائب على الشيخ اليازجي. ومن مآثرهِ ردٌّ واسع على كتاب اظهار الحقّ. توفي في ٢٦ ايار ١٩١٤ وكان مولدهُ سنة ١٨٦٠

وفي السنة ١٩١٥ في ١٩ ايار فُجعت أُسرة سركيس بوفاة احد اعيانها «خليل سركيس» الذي لهُ في خدمة الآداب العربية نصيبٌ وافرٍ سواء كان في انشائهِ لمطبعتهِ الادبية ام في تحريره لجريدة لسان الحال التي نال امتيازها سنة ١٨٧٥ فزيَّنها بمقالاتهِ السياسيّة والادبية او ايضاً بتآليفهِ المدرسية والادبية والتاريخية كسلاسل القراءة وتاريخ القدس الشريف وكتاب العادات ورحلة امبراطور المانية. درس المرحوم في المدارس الاميركانيّة وعدل الى مذهب اصحابها. كان مولدهُ في اعبيه في ٢٢ ك ٢ ١٨٤٢

ومن مناعي ارباب القلم في أيام الحرب الشاعر المفلق «نقولا رزق الله» تخرَّج في الآداب بالوطن وهاجر الى مصر واشتهر بالكتابة فأنشأ مجلّة الروايات الجديدة ونقل الى العربية كثيراً من الروايات الفرنسويّة وعُني بنشرها. وكان يُعَدّ بين كبار شعراء العصر وهو غزير المادّة كثير التفنن في شعرهِ يزين نظمهُ بالالفاظ الحكمية والمعاني

البليغة . وقد استحسنّا لهُ قولهُ في الشعراء الذين يفسدون شعرهم بالغايات الـدنيئة قال :

ليتَ شعري متى أرى شعراءَ م | الشرق يوماً بفضلهم اغنياء
ورثوا من تقدَّموهم فنالوا | شرَّ إرثٍ مَذَلَّةً وشقاء
بين هجوٍ كالسبِّ او هو أدنى | ومديحٍ تمدُّهُ استجداء
عُوِّدوا الذُّلَّ فالكبيرُ كبيرٌ | فيهم حين يسألُ الكبراء
ليس كلالٍ للقرائحِ سُمٌّ | حين يلهو بيماً جا وشراء
انما الشعرُ للنفوسِ غذاءٌ | أفسدوهُ فصيَّروه هُذاء
يتبعُ الشعرُ أهلهُ فامتهانًا | وأبتذالًا او عزّةً وإباء

ومن حسن اقوالهِ لمّا أُعلن بالدستور العثماني :

يا ايها الناسُ حيّوا ذلك العَلَما | وسبّحوا مانحَ الحريّةِ الأُمَما
وقبّلوا البندقيّاتِ التي فضلَتْ | اقلامَنا بعد ما كانت لها خدما
وظاهِروا عُصبةَ الاحرار انهمُ | أتوا بما أعجزَ الأبطالَ والهِمَما

ومنها :

وأدعوا لمن بعثَ الدستورَ من جدثٍ | بكت عليهِ عيونُ العالمين دما
فقد حُرِمناهُ ظُلماً وانقضى زمنٌ | عليهِ حتى حسِبْناهُ غدا عَدَما
واليومَ جرَّدَ سيفَ الحقِّ صاحبُهُ | وهاجمَ الظُّلمَ حتى فرَّ منهزما
تعانقَ الشيخُ والقسيسُ واصطحبا | من بعد ما افترقا ضدَّين واختصما
تعانقا في حمى الدستور واتحدا | ورفرفَتْ رايةُ التوحيد فوقهما . . .

وما احسن قولهُ يصف الأوانس المحتشمات :

وفريدةٍ لولا الحِما | رُ حيازُها كان الخمارا
تغضي لحاجاتها ولا | ترنو يميناً او يَسارا
لا سَمعَ تُلقيهِ الى | ما قيل سرًا او جهارا
هي واللواتي مثلُها | يفعلنَ ذاك ولا فخارا
يحجبنَ نضرةَ الوجو | هِ على محاسنها شِعارا
اولاء ربّاتُ الفضا | ئلِ قد رفعنَ لهُ منارا

واردف يحذّرُ المتهتكات :

يا من تليقُ جا الكرا مةُ حاذري ذاك الصغارا
صُوني جمالًا طالما اولاكِ تيهاً وافتخارا
لا كان حُسنٌ فيك لم يكُنِ العفافُ لهُ شِعارا

ولد نقولا رزق في بيروت سنة ١٨٦٩ وتوفي في القاهرة في نيسان ١٩١٥

وفي هذه السنة ايضاً في ٩ أيار ١٩١٥ توفي في بيروت اوّل من عُني فيها بمهنة الكتبيين «ابرهيم صادر» باشر بهذهِ التجارة منذ السنة ١٨٦٣ فخدمها نيفاً وخمسين سنةً وقرّب الى اهل بيروت عموماً والى الناشئة خصوصاً درس المطبوعات العربية ومطالعة التآليف النادرة. فقام بعدهُ بمهنتهِ ولداهُ الاديبان سليم ويوسف من خريجي مدرستنا الكلية

وفي السنة ذاتها في ٢٤ ك ١ ١٩١٥ نشبت المنيَّة اظفارها في احد رجال الفضل وهو في عزّ شبابهِ «عسّاف بك الكفوري» لم يتجاوز عمرهُ ٣٣ سنة كان قضى قسماً كبيراً منها بعد خروجهِ من كليَّة زحلة الشرقية في التعليم في عدَّة مدارس وطنية واجنبيَّة. وكان كاتباً بارعاً وشاعراً مُجيدًا لهُ آثار حسنة في المجلات والجرائد الوطنيَّة منها مقالات في التعليم والتاريخ والصحَّة وقد نظم ديوانين وكان يحسن الخطابة والتمثيل

وفي العام المقبل ١٩١٦ في ٢ شباط وقعت وفاة اديب آخر مستفيض السمعة «الشيخ ابراهيم الحوراني» كان مولدهُ في حلب سنة ١٨٤٤ ثمَّ تنقَّل في مدن الشام كحمص ودمشق الى ان استوطن بيروت فعلَّم في مدارسها بينها المدرسة البطريركية. ثمَّ أُنيطت بهِ ادارة مجلَّة النشرة الاسبوعيَّة وتولَّى تصحيح منشورات المطبعة الاميركية. وقد ألَّف او ترجم ما يبلغ ثلاثين كتاباً منها كتابهُ الحقّ اليقين في الردّ على بُطل دروين. وكان ابرهيم الحوراني يجيد الانشاء نثراً ويحسن النظم شعراً وذلك دون تكلُّف. وقد خلَّف ديواناً شعرياً يشهد لهُ بطول الباع في النظم دونك ابياتاً قالها في الزهد بالدنيا :

يا غافلين تنبَّهوا أزِفَ السُّرى وحدَت مطيَّ رحيلها الركبانُ
وَحياً الى دار البقاء فليس في دار الفناء لعاقلٍ اوطانُ

غبراؤها سوق الوغى وسماؤها فلَكُ النحوس نجومهُ الاحزانُ
لا يسلمُ الجبّارُ في حوماتها والمشتري في أفقها كيوانُ
حكت العبادُ بها الهشيمَ وأُصليت نارَ المصائب فالحياةُ دخانُ

وفي السنة ١٩١٦ في ٦ حزيران قُتل ظلماً بامر جمال باشا « الشيخان فيليب وفريد الخازن » وكل يعلم ما ترك كلاهما من الآثار الادبية الطيّبة منها سياسيّة ومنها تاريخية دافعا بها عن استقلال لبنان وامتيازاته بوجه الاتراك دون ان يتعدّيا حدود القانون واخصّها مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية التي عُنيا بجمعها وتعريبها (راجع المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٣٩١ — ٣٩٢ ومفكّرات هند المطبوعة في حريصا سنة ١٩٢٩) . ولا يجهل احد جريدة الارز التي انشأاها وحرّراها سنين طويلة

وفي تلك السنة توفي في مستشفى دمشق الكتبي « امين الخوري » نشر عدّة كتب مدرسية وانشأ دليلًا لبيروت على صورة مجلة عنوانها الجامعة ضمّنها معلومات مفيدة عن بيروت واصدرها سبع سنين . تولّى مع اخيه خليل ادارة مكتبة الآداب ثمّ انقطع الى الكتابة وكان كثير التقلّب قليل التروّي

في غرّة العام في ١ ك٢ من السنة ١٩١٧ مات فجأةً « الدكتور شبلي شميّل » من اسرة الشميّل اللبنانيّة الكريمة تلقّى العلوم في الكلية الاميركية في بيروت فبرع في الطبّ والطبيعيّات إلّا انهُ جنح الى الآراء الدروينية فتطرّف فيها وبلغ به غلوّهُ الى ان أصبح من الماديّين لا يرى صحّةً لما يتجاوز الحواسّ حتى انكر وجود الخالق وخلود النفس وهو القائل وبئس القول :

فدَعُونا من الخلود المُعنّي إنْ نرحّبْ فبالفنا الترحيبُ
فلماذا هذا الثوابُ المرجّى ولماذا هذا العقابُ الرهيبُ ؟

وقد بالغ في نشر آرائهِ الكفريّة وكان لا يرى فائدةً في العلوم ما خلا الطبيعيّات والعلوم الوضعيّة وجنحَ لتأييدها الى مزاعم الغُلاة من الملحدين فقام كثيرون وردّوا على اقوالهِ حتى بين اصحابهِ

وفي ١٦ ايلول من السنة ١٩١٦ فُجعت بيروت باحد اساتذتها الفضلاء الشيخ « ظاهر خير الله عطايا صليبا الشويري » وُلد في الشوير سنة ١٨٣٤ ثمّ تفرّغ للآداب في كهوليّتهِ فأصاب منها بجدّهِ ما لم ينلهُ من اساتذة زمانهِ فنبغ ودُعي للتعليم في عدّة

مدارس فأصبح اوحد وطنهِ في الرياضيّات واللغويّات وعلم الشريعة. وقد ابقى آثارًا عديدة تنطق بفضلهِ منها رسائل لغويّة فريدة كاللُّمَع والتواجم في اللغة والمعاجم ومنها حسابية كمدخل الطلّاب في علم الحساب وكلمحة الناظر في مسك الدفاتر. وكان الفقيد شديد التمسُّك بدينهِ كما بيَّن ذلك بردودهِ على مزاعم البروتستانت الباطلة في كتابَيهِ المتّعين «الادلّة الغرّاء على سموّ شأن مريم العذراء» ثم «تحقيق المقال في انَّ الخلاص بالايمان والاعمال». وقد وقفنا لهُ على كتاب مخطوط اثبت فيهِ بتولية القديس يوسف ردًّا على احد اساقفة طائفتهِ السيّد الهواويني

وممَّن فقدتهم الآداب في آخر سنوات الحرب الكونيّة الصيدلي والاثري الشرقي «مراد بك البارودي» توفاهُ الله في ١٥ شباط سنة ١٩١٨ كان مغرمًا بالآداب والآثار العربية فجمع منها قسمًا كبيرًا من جملتها مكتبتهُ الحاوية على عدّة مئات من المخطوطات النفيسة فباعها ابنهُ من اغنياء الاميركيين. وكان مراد بك كثير الاطّلاع نشر في الكليّة والمقتطف والطبيب عدّة مقالات عن مآثر العرب وعن المسكوكات والعاديّات

وفي ٦ تموز من السنة استأثر الله بأديب آخر من الطائفة الملكية الكاثوليكية «فتح الله جاويش» الكاتب الضليع. لهُ فصول سياسية وادبية وتاريخية في الجرائد الوطنية اصاب فيها لفظًا ومعنى. وقد أبقى بعد وفاتهِ آثارًا كتابية أطلعنا على قسمٍ منها فأخذنا العجب من سعة معارفهِ وحسن انشائهِ. وكان ايضًا من المتشبثين بروح الدين والتُّقى لم يخجل عن الدفاع عن ايمانهِ بازاء الخصوم

وفيها توفي بعيدًا عن الوطن احد أدباء حلب «جرجي الكنديرجي» مات في فرنسة سنة ١٩١٨ بعد ان كان نزح مع اسرتهِ عن الشهباء فرارًا من ظلم الاتراك سنة ١٨٩٨. وقد عُني اخوهُ بجمع ونشر نخبة من ديوانهِ روت عنهُ مجلة المسرّة الغرّاء (٨ [١٩٢٢] : ٤٧٠—٤٧٢) بعض مقاطيعه المُعربة عن جودة قريحتهِ. منها هذه الابيات التي قالها اذ زار الاهرام ورأى ما فيها من التصاوير الهيروغليفية وعاين بازائها ابا الهول فقال يذكر تلك الآثار المشيَّدة بتسخير الالوف من العبيد :

اني وقفتُ بساحةِ الاهرامِ والبدرُ يسطعُ في الفضاء السامي
وأجلتُ طرفي حولها متنقبًا متهيبًا لجلالة الاجسامِ

مستطلعاً اسرارَها متسائلاً عمّا حوت من أعظمِ الاجسامِ
فبدا ليَ التاريخُ في صفحاتهِ متمثّلاً متحركاً قدامي
ورأيتُ خلقاً لا يُعَدُّ عديدهم بسياقهم فرعونُ كالأنعامِ
صُفر الوجوهِ شعورُهم مغبرّةٌ حُنيَ الظهورُ لشدّة الآلامِ
تعلو القروحُ جلودَهم وتسيل من قِمَم الرؤوسِ لمنبتِ الاقدامِ
من قَرعِ اسواطٍ وشدِّ سلاسلٍ في جرِّ اثقالٍ ونَقلِ رُكامِ
كلٌّ يئنُّ مردِّدًا لشكايةٍ واللعنةِ المظلوم للظُلّامِ
فكأنّما الاحجارُ اكبادُ الورى مرصوصةٌ والرمل دمعُ الرامي
وكأنّما الاهرامُ شبهُ نواجذٍ شهدت لنا بشراسةِ الحكّامِ
فدهشتُ ثمَّ سألتُ محتشماً ابا الهَوْلِ الصَموتَ الكشفَ عن ابهامي
وهو الامين لكلِّ سرٍّ غامضٍ حَرصت عليهِ جوانحُ الايامِ
يحمي خبايا العادياتِ كحارسٍ يقظانَ يحجبها بسترِ ظلامِ
فتبسَّم الصنمُ القديم تعطُّفاً واجابني من بعد ردّ سلامي
ان كنتَ تحسبُ ما رأيتَ حقيقةً اخطأتَ فهو محصَّلُ الاوهامِ
هذي الشواهق شخَصَتْ فيما مضى أثرَ الحجى ومآثر الأعلامِ
لو عادتِ الاسلافُ يوماً بينكم لبكت على الاخلاق والافهامِ

وعلى ظنّنا انهُ قبل نهاية الحرب حلّت وفاة اديب آخر ترجمهُ الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف وهو «ميخائيل جرجس ديبو» من الاسرة المعلوفيّة(١) ولد في طرابلس الشام وتخرّج في مدارسها الوطنيّة وفي مدارس المرسلين ثمّ تنقّل في البلاد وتقلّد عدّة وظائف في خدمة الدولة الايرانيّة في آطنه وطرسوس ثمّ عاد الى وطنهِ ولزم الآداب والتأليف فألّف عدّة روايات من جملتها رواية داود وشاؤل والشيخ الجاهل والامبراطور شرلمان. ولهُ منظومات عديدة جمعها في كتاب دعاهُ الشعر العصري وقسمهُ اربعة اقسام تبلغ اربعمائة قصيدة بنيّف. روى البعض منها الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف في كتابهِ «دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف» (ص ٥٩٨ — ٦١٠ م)

(١) افادنا الاستاذ عيسى بعد ذلك ان المترجم توفي بعد الحرب سنة ١٩٣٥

ادباء المستشرقين من السنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨

﴿ الفرنسويون ﴾ فقدوا في هذه العشر السنين عدداً معدوداً من ادبائهم المستشرقين. كان اوَّلهم في الحقبة التي نحن بصددها المرحوم انطونين غوغوياي (Ant. Goguyer) الذي خدم وطنهُ زمناً طويلاً في تونس ثمَّ في مدينة مسقط في خليج العجم وفيها حلّت وفاتهُ في ١٦ ت ١ سنة ١٩٠٩ . والمذكور تخصَّص بالعلوم الفقهيَّة الاسلاميَّة ونشر عدَّة تآليف في ابحاثها. واشتغل ايضاً باصول اللغة العربية ولهجاتها المختلفة في انحاء الشرق. ومكتبتنا الشرقيَّة تشكر لهُ لطفهُ لما اوصى لها قبل وفاتهِ من نفائس مكتبتهِ

وفي العام التالي غرق في نهر ميكون في الصين الجنرال الفرنسوي اوجين دي بيليه (Eug. de Beylié) قلب بهِ زورقٌ في ١٥ تموز سنة ١٩١٠ . كان مولدهُ في السنة ١٨٤٩ وأُولع منذ حداثتهِ بدرس آثار الشرق لاسيا الهندسة. ومن تآليفهِ في ذلك كتابهُ المسمَّى «المنزل البوزنطي» وصف فيهِ وصفاً مدقّقاً كلّ ما يوقف الباحثين عن ابنية البوزنطيين. وكان زار مكتبتنا الشرقيَّة ووجد في تصاوير مخطوطاتها ما أيَّد آراءهُ . وللمذكور فضلٌ في تعريف اصول الابنية الاسلاميَّة في المغرب وفي الاندلس

وفقدت الآداب الشرقيَّة في ١٠ ايَّار سنة ١٩١١ احد اساتذة جامعة فرنسة البارعين الكاثوليكيّ العامل روبنس دوڤال (Rubens Duval). ولد سنة ١٨٣٩ وكان متضلعاً من الآداب الشرقيَّة الساميَّة كالعربيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة. ومما نشرهُ في ذلك المعجم السريانيّ العربيّ لابن بهلول وغراماطيق فرنساويّ سريانيّ مطوَّل. ولهُ كتاب نفيس في الآداب السريانيَّة تكرَّر طبعهُ اربع مرَّات لكثرة فوائدهِ. وصنَّف تاريخ مدينة ادسًا (الرها) وبيَّن فضل السريان في درس الكيميا قبل العرب وابحاث اخرى عديدة

وفي ٢٤ آذار من السنة ١٩١٢ توفي في باريس احد مشاهير الاثريّين الشرقيين المرحوم فيليب برجه (Ph. Berger) . تولَّى زمناً نشر مجموعة الكتابات الساميَّة. وكان طويل الباع في هذه العلوم الكتابية. ومن تآليفهِ النفيسة كتابهُ في اصول

الكتابة بين الشعوب القديمة . ونشر عدَّة آثار كتابيَّة آراميَّة وبابليَّة وله ابحاث ممتعة في شريعة حمُورَبي وفي احوال العرب قبل محمَّد استناداً الى الكتابات والآثار المكتشفة هناك

وفي زمن الحرب توفّي في كانون الثاني سنة ١٩١٥ املينو (E. Amélineau) الذي بعد دخوله في الكهنوت ضحَّى دينهُ لدنياه . فارسلتهُ الحكومة الفرنسويَّة الى مصر وتفرَّد لدرس آثار الاقباط وتاريخ أُمَّتهم واديرتهم ورهبانهم القدماء وجغرافية بلادهم . ومن هذه الآثار ما هو بالعربية فنشرهُ بترجمتهِ وقد تطرَّف في بعض آرائهِ

واشهر منهُ بالعلوم الاثريَّة الشرقيَّة والتآليف الكتابيَّة الكاهن الجليل فرنسوا ڤيغورو (F. Vigouroux) من جماعة سان سولپيس كان من اساتذة المكتب الكاثوليكيّ في باريس فعلَّم العبرانيَّة ثمَّ انكبَّ على درس الاسفار المقدَّسة وشرحها وبيان ما اظهرتهُ حفريَّات مصر وبابل تأييداً لتلك الاسفار فصنَّف في ذلك عدَّة مجلَّدات راج سوقها ايَّ رواج . ثمَّ باشر بنشر مُعجم كتابي في خمسة مجلَّدات ضخمة أودعهُ بمساعدة بعض علماء الكاثوليك خلاصة العلوم الكتابية في كل الابحاث المختصة بالكتب المقدَّسة . وقد زار غير مرَّة بلاد فلسطين وسوريَّة ليعاين آثارهما توفي في ٢١ شباط ١٩١٥

وفي العام ١٩١٦ في ١٠ ت٢ استأثر الله بنابغةٍ من علماء الشرقيَّات المركيز ملكيور دي ڤوغويه (Melchior de Vogüé) الذي تجوَّل مراراً في بلادنا السورية والفلسطينيَّة باحثاً عن آثارهما الدينيَّة والمدنيَّة تارةً وحدهُ وتارة بصحبة بعض علماء وطنهِ اخصّهم المسيو وادنغتون . ومن تآليفهِ التي يرجع اليها محبّو الآثار الشرقيَّة كتابهُ في سوريَّة المركزيَّة حيث نشر عدداً وافراً من كتابات حوران وجبل الدروز وشرحها شرحاً مدقَّقاً . ولهُ رِحَلٌ وصف فيها بلادنا الشاميَّة وآثارها . ومن مصنَّفاتهِ كتاب ضخم عن هيكل سليمان وكتاب آخر عن آثار الاراضي المقدَّسة وكنائسها . وبقي على نشاطهِ وداوم على التصنيف والتأليف الى آخر حياتهِ

وفي تموز من السنة عينها توفّى الله سيّدةً فاضلة مادام جان ديولافوا (M^e J. Dieulafoy) . اقترنت بزواج المسيو ديولافوا فوجدت فيهِ رجلاً مقداماً محبّاً للسياحة والعلوم فارادت ان تجاريهُ في كلّ اعمالهِ . ولمَّا استُدعي زوجها لحرب فرنسة السنة

١٨٧٠ لم تشأ ان تنفصل عنهُ وبقيت تخدم الجيش بقربهِ ثمَّ تجشَّمت معهُ الاسفار الى العراق والعجم متنكرةً بلبس الرجال وتولَّت معهُ الحفريات الاثريَّة ووصفت كل ذلك بقلمها السيَّال في عدَّة مجلّدات تهافت على مطالعتها اهل وطنها

ومن مشاهير المستشرقين الذين أسفت الآداب الشرقيَّة على وفاتهم في أيام الحرب في ٢١ ك ١ ١٩١٧ العالم الموسوي يوسف هالوي (J. Halévy) مولود ادرنه في السنة ١٨٢٧ ثمَّ دخل فرنسة وتخرَّج في العلوم الشرقيَّة فاصبح احد اساطينها المعدودين. وكان يتقن العبرانيَّة والعربيَّة والحبشيَّة انتدبتهُ الحكومة الفرنساويَّة لجمع الكتابات الحميريَّة في جنوبي العرب فساح اليها وجاء بمجموعة كبيرة منها عُني بنشرها. ثمَّ عاد فطاف بلاد اليمن ودخل نجران وقدم الى الشام وسعى بتفسير كتابات الصفا فكان اوَّل من كشف رموزها. وقد نشر في باريس مجلّة الدروس اليهوديَّة فادارها نيفاً وثلثين سنة

وقبل نهاية الحرب بزمن قليل ودَّع الحياة احد كبار المستشرقين الفرنسويين المسيو غستون مسپيرو (G. Maspéro) الذي قضى نحو اربعين سنة في مصر صارفاً قواهُ في نشر آثارها ووصف تواريخها وآدابها وكشف اسرارها متولياً لكثير من حفريَّاتها الغامضة فصنَّف فيها المصنفات الممتعة التي تدلُّ على سعة معارفهِ بكل امور الشرق منها كتابهُ الجميل في تاريخ الشعوب الشرقيَّة القديمة. توفي في ٣٠ حزيران ١٩١٨. وكان سبقهُ الى القبر ابنهُ جان (J. Maspéro) في ١٨ شباط سنة ١٩١٥ الذي كان يتأثر آثار والدهِ فنشر كتاباً حسناً في فقه قدماء المصريين. وقع في ساحة الشرف دفاعاً عن وطنهِ

وفي اثناء الحرب ايضاً مُنيت رسالتنا بوفاة ثلثة من عملتها الفرنسويين احدهم الاب فردريك بوڤيه «Fréd. Bouvier» كان سكن عدَّة سنين في كلّيتنا وعلَّم فيها البيان ثمَّ علم التاريخ وفي ديرنا في غزير وألَّف كتاباً مستطاباً مدقَّقاً في تاريخ سوريَّة من اوائل تاريخ الميلاد الى عهدنا طبعهُ على الحجر فلم يسمح لهُ الوقت بطبعهِ على الحروف اذ قُتل في ساحة الشرف في ١٨ ايلول ١٩١٦ وهو ساعٍ بخدمة الصرعى والجرحى. وكان الفقيد مضطلعاً بالتاريخ والفلسفة واللاهوت وانتقاد الاديان. ومن آثارهِ عدَّة ابحاث اعرب فيها عن حسن نظر من جملتها تاريخ سوريَّة في عهد بني طولون

وعقبهُ الى دار البقاء الاب دونا (عطاء الله) ڤرنيه (Donat Vernier) توفي في بيروت في مستشفى الراهبات الالمانيات في ١٧ أيار ١٩١٧ . ولد سنة ١٨٣٥ وقدم الى الشام سنة ١٨٦٠ فانكبَّ على درس العربية وفرائدها فنشر كتاباً مطوّلًا في اصولها بالفرنسويَّة . ومن آثارهِ المطبوعة تأليفهُ في سيرة القديسة جان درك وتعريبهُ لكتاب الاقتداء بالمسيح . ولهُ عدَّة مخطوطات لغويَّة وادبيَّة في مكتبتنا الشرقيَّة

وقد أسفنا جدًا في ٢ نيسان ١٩١٨ لوفاة احد مرسلي كليتنا الاب لويس رنزڤال (Louis Ronzevalle) مولود ادرنة سنة ١٨٧١ عاجلتهُ المنون في رومية ففقدنا بهِ رجلًا مشبعاً بالآداب وكاتباً ضليعا متقنا لعدَّة لغات شرقية وغربية ذا ذكاء فريد متفنّناً بالمعارف المختلفة في الفلسفة والموسيقى واصول اللغات لهُ في كل ذلك كتابات مستجادة في المشرق وفي المجلات الاوربية الشرقية

﴿ المستشرقون الالمانيّون ﴾ خسرت المانية في هذه الحقبة عدَّةً من اعلامها المتازين بالشرقيّات . نخصُّ هنا بالذكر الذين اشتهروا بالادبيات العربية . ففي ٥ من كانون الثاني ١٩٠٩ توفي الدكتور كرل ڤولرس (Karl Vollers) احد اساتذة كلية يانا (Iéna) في المانية ولد سنة ١٨٥٧ وتولى زمناً طويلًا ادارة المكتبة الخديويَّة في مصر وعُني بتنظيمها ووصف بعض مخطوطاتها في المجلة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG) وفي مجلة مصر . ومن تآليفهِ الحسنة كتابهُ في اللغة العربية العاميَّة بين قدماء العرب بالالمانيَّة (سنة ١٩٠٦) وكتابه عن اللهجة العربيَّة في مصر . وقد وصف بمجلَّد ضخم المخطوطات الشرقية التي في مكتبة ليبسيك العموميَّة ونشر بالعربية والالمانيَّة ديوان المتلمِّس

وفي السنة المذكورة في ١٢ حزيران وقعت وفاة الاستاذ سجسمُنْد فرنكل (Sig. Fraenkel) اشتغل خصوصاً باللغويّات العربيَّة منها كتابهُ في الالفاظ الآراميَّة الاعجميَّة الداخلة في العربيَّة طبعهُ في ليدن سنة ١٨٨٦ . وكان سبق ونشر كتاباً هناك (١٨٨٠) في الالفاظ الاجنبيَّة التي دخلت في العربيَّة في عهد الجاهليَّة وفي نفس القرآن

وفي ٧ آب من السنة توفي في مونيخ الاستاذ يوحنا ساپ (J.-N. Sepp) الذي قدم الى فلسطين ونشر آثارًا تاريخيَّة عن صور وعن انحاء الاراضي المقدَّسة

وفي هذه السنة بارح الحياة احد كبار المجتهدين في تعزيز الآداب العربية الاستاذ وليم بن الورد البروسي (W. Ahlwardt) ولد في غرمسوَلد في المانية سنة ١٨٢٨

وفيها توفي في ٢ ت٢ ١٩٠٩ قضى حياتهُ في درس الشرقيَّات ولاسيما العربيـة . وكان اول ما نشرهُ ديوان خلَف الاحمر (١٨٥٩) ثم كتاب الفخري الآداب السلطانيَّـة والدول الاسلاميَّة سنة ١٨٦٠ واعقبها بنشر دواوين مختلفة مباشرةً بستَّـة شعراء العرب: النابغة وعنترة وطرفـة وزهير وعلقمة وامرئ القيس ثمَّ عُني بمجموع اشعـار العرب في ثلثة اجزاء تحتوي الاصمعيات ودواوين العجّاج وابنهِ رؤبة والزفيان . وترجم كثيرًا منها الى الالمانيَّة وعلّق عليها الحواشي المفيدة . ولو لم يكن لهُ من الفضـل إلَّا وصفهُ المخطوطات العربيَّة في مكتبة برلين لكفى لهُ فخرًا . وهذا الوصف يتناول عشرة مجلّدات ضخمة وصف فيها عشرة آلاف وثلثمائة وسبعين كتابًا عربيًّا هناك مع فهارس ممتعة مستوفية

وفي ٨ آذار ١٩١١ توفي احد الاثريين الالمان الذين اشتغلوا في بعلبك ليكشفوا عن آثارها ويعيدوا لها بعض بهائها القديم نريد به الـدكتور اوتو بوخشتين Otto Puchstein) وقد ألَّف مع بعض رصفائهِ تآليف جميلة وصفوا فيها تلـك الابنيـة العجيبة التي تأخذ بمجامع الابصار وصوَّروها تصويرًا رائعًا . وللدكتور بوخشتين دليل مدقّق في ذلك نقلهُ الى الافرنسيَّة احد الآباء اليسوعيين

وفي غرَّة السنة ١٩١٣ توفي الدكتور جوليوس اوتنغ (J. Euting) من اساتذة جامعة ستراسبورغ . رحل مع السائح الفرنسويّ الشهير المسيو شرل هوبر (C. Hu-ber) الى داخليَّة العرب فبلغا الى النفود وحائل سنة ١٨٨٣ــ١٨٨٤ وانتسخا كتابات آرامية في تيماء وفي تبوك والحِجر فقُتل هوبر وعـاد اوتنغ سالمًا ونُشرت تفاصيـل سياحة كليها بالفرنسويَّة والالمانية . وقد رأينا في بيروت الدكتور اوتنغ عند رجوعهِ وهو متنكر لابسٌ ثياب اهل البادية . ومن منشوراتهِ وصف المخطوطات العربية في مكتبة ستراسبورغ (١٨٧٧) وكذلك نشر كتابات مختلفة نبطيَّة وارامية وجـدت في سينا وفي عيون موسى وجهات فلسطين جمعها في سياحات متتاليـة قاسى فيهـا ضروب المشاقّ

ونُعي الينا في اوائل الحرب في ٢٤ ت١ ١٩١٤ الاستاذ المرحوم يعقوب بَرْت (Jacob Barth) من كبار المستشرقين في برلين نشر في المجلـة الاسيويَّة الالمانيَّـة مقالات ضافية الذيل في كلّ الآداب العربيـة لاسيما التاريخيَّة واللغويَّة . هو احـد

المستشرقين الذين سعوا بطبع تاريخ الطبري في ليدن · ومن منشوراتهِ كتاب فصيح ثعلب طُبع في ليبسيك سنة ١٨٧٦ ونشر ديوان الشاعر النصراني القطامي ولهُ ابحاث نفيسة في اصول اللغات الساميَّة كالعبرانية والآرامية والعربية

ومن المتوفين من المستشرقين الالمان سنة ١٩١٥ الدكتور بولس شرودر (P. Schroeder) الذي تولى في بيروت اعمال القنصليَّة الالمانيَّة سنين طويلة وكان يُعنى بالآثار الشرقيَّة ويكتب في جرائد وطنهِ مقالات واسعة تاريخيَّة وادبيَّة واثريَّة · توفي في برلين

وفي تلك السنة توفي ايضاً في برلين في ٩ آب الدكتور ريشرد كيبرت (R. Kiepert) الذي نشر بعد ابيهِ خوارط حسنة لسوريَّة وتركيَّة وبلاد العرب

وفي آخر سنة الحرب في كانون الثاني ١٩١٨ فقدت المانية احد اركان علومها الشرقيَّة الدكتور ڤلهوسن (A. Wellhausen) الذي صنَّف التآليف المدقَّقة في تواريخ العرب قبل الاسلام وآثارهم الدينيَّة والشرعيَّة والمدنيَّة · ثمَّ تتبَّع اخبارهم بعد الاسلام في عهد بني اميَّة وبني العباس الى سقوط دولتهم وتآليفهُ هذه من اجود ما كُتب في هذا الصدد · وللمذكور تآليف أُخرى عن الاسفار المقدَّسة ذهب فيها مذهب الاباحيين

﴿ النمسويون ﴾ رُزئت الدروس الشرقيَّة في النمسة بوفاة اربعة من مستشرقيها في هذه الحقبة الثانية · اولهم مدير المكتب الشرقي الملكي في ڤينّا الدكتور داود هنريك مولّر (D. H. Müller) توفي في ٢١ ك١ سنة ١٩١٢ بعد ان خدم الآداب العربية زمناً طويلاً وتولى رئاسة المجلة النمسويَّة الشرقية (WZKM) وهو الذي نشر جغرافيَّة جزيرة العرب للهمداني ١٨٨٤–١٨٩١ وكتاب الفَرْق للاصمعي · ورحل الى جنوبيّ العرب ونشر عدَّة كتابات حميريَّة وآثاراً لغويَّة لقبائل شائعة هناك

والثاني هو الدكتور ادولف ڤاهرمُند (Ad. Wahrmund) دهمتهُ المنون في ايار سنة ١٩١٣ وعمرهُ ٨٦ سنة علَّم في جامعة ڤينّا العربيَّة · ومن آثارهِ معجم عربي الماني في مجلَّدين طُبع سنة ١٨٧٧ ولهُ مجموعة ادبيَّة مدرسيَّة بالعربيَّة · وكان متقناً للغة الفارسيَّة ألَّف فيها عدَّة تآليف

والثالث الدكتور مكسيمليان بيتنر (Max Bittner) فارق الحياة في ٧ نيسان سنة ١٩١٨ لم يتجاوز عمرهُ ٤٩ سنة · كان ايضاً استاذاً للغات الشرقية في ڤينّا ولهُ في

مجلّتها الاسيويّة مقالات واسعة تشهد لهُ بالمعرفة باللغات الساميّة ودرس ايضاً لهجات مهرة والحضرموت وكتب عن تاريخ اليزيديّين ونشر اوّل ارجوزة من اراجيز العجّاج

والرابع الدكتور المأسوف عليهِ جوزف فون كراباتشيك (Josef von Karabacek) توفي في آخر الحرب الكونيـة في ت ٢ ١٩١٨ خدم لغتنا العربية بدرسهِ لاقدم مخطوطاتها التي وُجدت في مصر مكتوبةً على البردي وعلى رقوق وقطع من الكتان وهي ترقى الى اوائل الاسلام وبهـا يثبت انَّ اصـل الخطّ العربي ليس من الخطّ الكوفي بل من الخطّ النبطي المستحدث الدارج المتعلّق الحروف وقد وُجدت بعض آثار خطيّة عربيّة تقدَّم عهدها على الاسلام ونشرناها في كتابنا الآداب العربية وتاريخها في عهد الجاهليّة تؤيّد هذا الرأي

امّا «الهولنديّون» فقد اسفوا منذ شهر أيّار السنة ١٩٠٩ على فقـدهم إمام الدروس العربية في اوربّة الدكتور دي غويه (M. J. de Goeje) توفـاهُ الله في مدينة ليدن التي شرَّفها بآثار علمهِ الواسع فكان خير خلفٍ لسلفٍ سبقوا فاشتهروا في هولندة منذ القرن السابع عشر بمعرفة اللغة العربية ونشر آثارها . بل سبقهم جميعاً بوفرة تآليفهِ وضَبْطها واتقانها . فهو الذي نشر في ثماني مجلّدات مجموعة جغرافيي العرب : كالاصطخري وابن حوقل وابن خرداذبه والمقدسي وابن الفقيهِ وابن رسته واليعقوبي والمسعودي فاحرز لهُ فخرًا قلّما يبلغهُ غيرهُ . واليهِ يعود الفضـل في نشر تاريخ الطبري برواياتهِ وفهارسه ومعجم الفاظهِ . فهيهات ان يبلغ شأوهُ احد الشرقيين . وقـد نشر ايضاً قسماً من جغرافية الادريسي (نزهة المشتاق) في وصف المغرب . واشتغـل مع بعض اساتذة ليدن في وصف مخطوطات مكتبتها الشرقية الغنيّة بالآثار العربيّـة ولم يكتفِ الدكتور دي غويه بكل هذه الخدم وغيرها كثير بل وضع مبلغـاً كبيرًا من المال ليُصرف ريعهُ في كل سنة لمجازاة بعض المنشورات الشرقيّة تحكم بها لجنة مخصوصة . وقد عرفنا شخصياً هذا الرجل العظيم واخذنا العجب من لطفهِ وشهامتـهِ واستعدادهِ لمساعدة كل من كان يطلب منهُ خدمةً في سبيل الشرق

وفي هذه الحقبة في شهر نيسان ١٩١٤ كانت وفاة استاذ اللغات الساميّـة في لوزان (سويسرة) جان هنري سبيرو (J. H. Spiro) المعروف بتأليفهِ لمعجم انكليزي عربي طُبع في مصر

﴿الانكليز والاميركيون﴾ نُعي الينا في شهر آذار ١٩١٧ احد اصحابنا الانكليز العلّامة اميدروس (H. F. Amedroz) المولود سنة ١٨٥٤ . تخرَّج على آداب وطنهِ وتقلّد فيهِ عدَّة اعمال ثمَّ تفرَّغ لدرس العربية ومخطوطاتها فكان احد كتبة المجلّة الملكيَّة الاسيويَّة الانكليزيَّة . وغيرها من المجلّات . ومما خدم بهِ الشرق العربيَّ كتابان من اجلّ كتب التاريخ نشرهما في مطبعتنا الكاثوليكيَّة : الاوَّل تاريخ الوزراء لابي الحسن الهلال الصابيّ مع الجزء الثامن من تاريخ آخر لهُ (سنة ١٩٠٤) والثاني ذيل تاريخ دمشق لابي يعلي حمزة ابن القلانسي (١٩٠٨) مضيفاً اليها خلاصتها بالانكليزيَّة وحواشي واسعة وفهارس جليلة

وفي ١٤ نيسان سنة ١٩١٧ فُجعت جامعة پرنستون في الولايات المتحدة برجل من متقدّمي علمائها الدكتور برونُّوف (R. F. Brünnow) الذي افادنا كثيراً بمطبوعاتهِ العربية . نخصُّ منها بالذكر كتاب الموشّى لابن اسحاق الوشّاء طبعهُ في ليدن سنة ١٨٨٦ وكتاب الإتباع والمزاوجة لابن زكريّا ومنتخبات مدرسيَّة ولاسيا الكتاب الحادي والعشرين من الاغاني الذي يفضل كثيراً على الطبعة المصريَّة . وقد اشتغل في وصف الآثار العربيَّة وكان احد المتولّين لحفريّات حوران مع اساتذة جامعة پرنستون فوصفوا ما اكتشفوهُ بمجلّدين ضخمين غاية في الحسن مع خارطة مدقّقة من رسمهِ الخاصّ

ومُنيت الكليَّة الاميركانيَّة في بيروت في ٢٨ ايلول ١٩٠٩ باحد معلّميها الافاضل الدكتور جورج پوست (G. Post) الذي انشأ مع الدكتور كورنيليوس ڤانديك ويوحنا ورتبات سنة ١٨٦٧ مدرستها الطبيَّة فخدمها نيفاً واربعين سنة بكل همَّة وتعاطى الطبَّ والجراحة في بيروت ولبنان . وكان تعمّق في درس العربيَّة وبها انشأ كتبهُ الطبيَّة في الجراحة وغيرها . وكان مولعاً بعلم النبات لهُ فيهِ تأليف كبير بالانكليزيَّة والعربيَّة فوصف نبات سوريَّة وفلسطين وشبه جزيرة سينا متجشّماً لجمع حشائشها اسفاراً شاقّة

وفي أبَّان معمعان الحرب في ٢٨ تموز سنة ١٩١٦ رحل الى الابديَّة ركنٌ آخر للكلية الاميركيَّة الدكتور دانيال بلس (D. Bliss) الذي قدم بيروت سنة ١٨٥٦ فكان لهُ اليد الطولى في انشاء مدرستهم الكلية سنة ١٨٦٦ وبقي رئيسها

نحو اربعين سنة فدبّرها بكل حكمة وجهّزها بالابنية العلميّة والادوات والمتاحف التي جعلتها من اكبر معاهد العلم في سوريّة بل في كافّة الشرق لم نأخذ عليها سوى تربية طلّبتها على المبادئ البروتستانية التي دفعت كثيرين منهم الى التحرُّر من تعاليم الدين

﴿الاسبانيُّون . الايطاليون . الروسيُّون﴾ أسفت اسبانية في ٦ ت٢ ١٩١٧ على فقد شيخ علمائها المستشرقين الدكتور دون فرنسسكو كوديرا إي زيدين (Fr. Codera y Zaidin) الذي ولد في ٢٣ حزيران ١٨٣٦ ودرس الآداب العربية على المستشرقين كاتلينا (S. Catalina) ودي غاينغوس (P. de Gayangos) فبرع فيها وتعيَّن مدرّساً للغة العربية في جامعة مدريد سنة ١٨٧٩ . رحل الى تونس ومرّاكش والجزائر فبحث عن المخطوطات الشرقية وسعى بجمع المصكوكات العربية الاسبانيّة القديمة فوصفها بكتاب كبير . ومن منشوراته الجزيلة الفائدة مجموعة «المكتبة العربيّة الاسبانيّة» فنشر عشرة اجزاء منها تتناول تواريخ اسبانية العربيّة وعلمائها لابن بشكوال وابن الفرضي وابن ابّار واحمد الضبي فكان لهُ الفضل في النهضة الادبية للدروس الشرقيّة في وطنهِ . فتخرَّج عليهِ عدّة تلامذة قدّموا لهُ يوم يوبيلهِ الذهبي سنة ١٩٠٢ مجموعةً لطيفة ضمّنوها عددًا عديدًا من الآثار العربية . وقد جمع هو في مجلّد كبير مقالات لهُ متفرّقة عن تاريخ العرب وآثارهم فنشرها على حدة

اما ﴿الايطاليُّون﴾ فرُزئوا باحد اساتذة الكلية اليسوعيّة الرومانيّة الاب هنري جسموندي (H. Gismondi) معلم اللاهوت في مدرستنا ببيروت مدّة عشر سنوات عُني بدرس اللغتين السريانيّة والعربيّة فنشر فيها تآليف مختلفة منها كتابهُ في اصول اللغة السريانيّة مع منتخبات ومعجم . ومنها نشرهُ لمقامات عبديشوع الصوباوي مع ترجمتها الى اللاتينيّة والقسم الثاني من قصائد القديس غريغوريوس بالاسطرنجلي وطبع في رومية تاريخين عربيين من تواريخ الكلدان : اخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى من كتاب المجدل (١٨٩٦) وتاريخهم لماري بن سليمان (١٨٩٩)

وكذلك الروسيّون فقدوا في هذهِ الحقبة الاستاذ داود كڤولسون (D. Chwolson) توفي في بطرسبورج في ٦ نيسان ١٩١١ وكان مولدهُ في ١٠ ك١ ١٨٢٠ . كتب في مجلة اكادمية بطرسبورج مقالات عديدة عن الشرق . ومن تآليفهِ ما نقلهُ

العرب من آثار البابليين الاقدمين (١٨٥٩) ونشر ما ورد في الاعلاق النفيسة لابن دوسته عن الروسيين والصقالبة وشعوب البلقان وترجمها الى الروسيَّة

الحقبة الثانية من القرن العشرين (١٩٠٨-١٩١٨)

استدراك

فاتنا ان نذكر بين المتوفين من نصارى الشام في هذه الحقبة الثانية بعض الادباء المعدودين فها نحن نخصّ بهم الاسطر الآتية :

توفي قبل الحرب الكونيَّة في ٢٧ شباط ١٩١٢ في دار مطرانيَّة الروم الارثوذكس في زحلة الاستاذ الدمشقي « جرجس مرقس » رحل الى روسيَّة فحلَّ في عاصمتها موسكو ضيفاً كريماً . فعرفت الدولة فضلهُ وانتدبتهُ الى تعليم اللغات الشرقيَّة في جامعتها فلبَّى طلبتها واصاب هناك سمعةً طيّبة وثبت في منصبهِ ٢٥ سنة ونشر في مجلّات روسيَّة مقالات عديدة في الامور الكنائسيَّة الشرقيَّة وخدم الكنيسة الاورثذكسيَّة بماكسة اخويَّة القبر المقدَّس اليونانيَّة وكان ساعياً في نشر رحلة البطريرك مكاريوس زعيم الحلبي الى روسيَّة . وقد اثابتهُ الدولة الروسيَّة بمنحهِ رتبة جنرال مع عدَّة اوسمة شرفيَّة

وفي الشهر التابع لدخول تركيا في الحرب في ٢٧ ك ١ سنة ١٩١٤ فقد الوطن احد رجالهِ المعدودين « تامر بك ملاط » ولد سنة ١٨٥٦ في بعبدا وتلقَّى العلوم في مدرسة مار عبدا هرهريا الاكليريكية فأتقن علومها الدينيَّة والادبية حتى اللاهوت استعداداً لقبول الدرجة الكهنوتيَّة وتعلم اللغة السريانية فبرع فيها . ثمَّ عدل عن الكهنوت الى التعليم في مدارس لبنان وبعد مدَّة انتظم في سلك اساتذة مدرسة الحكمة في بيروت وعكف على درس الفقه فانتدبتهُ الحكومة اللبنانيَّة الى خدمتها فخدمها في عدَّة وظائف في محاكم كسروان وزحلة والشوف في عهد متصرفي لبنان واصا باشا ونعوم ومظفر الى ان اعتزل الاشغال وأُصيب بمرض طويل انتهى بوفاتهِ . وكان تامر بك كاتباً مجيداً وشاعراً مطبوعاً نشر شقيقهُ شبلي بك ديوانهُ سنة ١٩٢٥ فقدَّمهُ على ديوانه الخاص . وفيهِ عدَّة قصائد تشهد لهُ بجودة القريحة . وقد استحسنَّا لهُ قولهُ في الزهد :

واللبيبُ اللبيب من خاف يوماً واتقى الله في جميل الفعالِ
وانتحى توبةً اذا زلّ يرجو في زوال الحياة حسن المآلِ

وفي معظم جلبة الحرب العمومية ودّع الحياة احد وجوه نصارى بيروت الطيّب الذكر «المركيز موسى دي فريج» توفاهُ الله في ١٧ أيار ١٩١٦ . درس في مدرسة اليسوعيين في غزير اللغات ومبادئ العلوم ثمَّ تعاطى التجارة وحصل على ثروة واسعة وكانَ من انصار الآداب والعلم مع تأصّلهِ في روح الدين . عدَّتهُ الجمعية العلميّة السوريّة المنشأة في اواسط القرن التاسع كاحد اركانها . لهُ في نشرتها المطبوعة خطب وقصائد ومقالات ادبية

وفي العام التالي في ٨ تشرين الاوَّل ١٩١٧ خسر العراق احد كهنتهِ الافاضل المعروفين بنشاطهم في خدمة التاريخ والعلوم الدينيّة «القس بطرس نصري الكلداني» الذي سبقت ترجمتهُ في المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٦٥٧_٦٦٠) كان مولدهُ في الموصل سنة ١٨٦١ وتخرّج تحت نظارة ارباب طائفته ثم في مدرسة انتشار الايمان في رومية . ولما رجع الى الموصل تخصّص لخير مواطنيه بكل الخدم الكهنوتية ولاسيما بالتعليم والتأليف فدرّس العلوم الدينيّة العليا في المدرسة البطريركيّة الاكليريكيّة وصنّف كتباً عديدة في اللاهوت والفلسفة والتاريخ تجد جدولها في آخر ترجمتهِ

وممَّن كان حقّهم ان يُذكروا في هذه الحقبة الثانية من القرن العشرين فذكرناهم سابقاً في عداد ذوي القرن التاسع عشر «المعلّم سعد العضيمي» نشر سنة ١٨٧٢ ديواناً مدح فيهِ اعيان ذلك الزمان وذكر حوادثهُ فنقلنا قطعاً عنهُ في الطبعة الاولى من الآداب العربية في القرن التاسع عشر (ص ٥٠_٥١) وقد عاش زمناً طويلاً حتى بلغ العشر الثاني من القرن العشرين

القسم الثالث

الآداب العربية من السنة ١٩١٨ الى ١٩٢٦

البحث الاول

نظر عامّ في الآداب العربية بعد الحرب الكونية

كان وداعنا للحقبة الثانية من الربع الاوَّل من القرن العشرين وداعاً مبلولاً بدموع الحزن والكآبة بعد ان افتتحناها بالسرور والبهجة. كيف لا وقد حلّت تلك الداهية الدهياء اي الحرب الكونية التي كانت اشبه بصاعقةٍ هائلة دوت في جوّ صافٍ لا يحسب حسابها منتظر. على انَّ الصواعق اذا أرعدت وأرعبت وتفجّرت لا تلبث ان تهدأ زمجرتها ويسكت هزيمُ رعدها وتنكشف سحب سمائها المتلبدة. وهكذا كان امل الشعوب يتكهنون بقصر مدة الحرب، مع ما لدى الدول من الاسلحة الحديثة التي من شأنها ان تجلب دماراً واسعاً باسرع وقت. وما أخيب ما كان ذاك الامل فطالت الحرب ونشرت الهلاك في معظم اصقاع المعمور ولم ينجُ من اضرارها ذات البلاد التي لم تخض عبابَها فأصيبت برجع صداها المؤلمة

وما عسى ان يكون مع اهوال الحرب سهم الآداب. وهل يُسمع صرير الاقلام عند صلصلة السيوف او يُصغى الى صوت البلغاء مع دويّ المدافع حين يكون «السيف اصدق انباءً من الكتبِ»

فان كانت الحرب اصابت ببلاياها انحاء المعمور فهل كان من امل ان تنجو من تيارها الآداب عموماً والآداب العربية خصوصاً وهي مع سَعَتها لم تبلغ مبلغ الآداب الاوربية التي بكت على ألوف من نوابغ علمائها وأُصيبت ايضاً بمصاب أليم

وقد تراكمت ويلات الحرب على البلاد الناطقة بالضاد لاسيما الواقعة تحت حكم الدولة العثمانية من جزيرة العرب الى حدود القفقاز ومن بحر الشام الى العجم. فأقفلت معظم المطابع وأُوقفت المجلات وأُلغيت الجرائد إلّا ما ندر منها وكان اصحابها

مستعبدين لتركية. وقتل او نُفي كثيرون من الادباء.

على انَّ هذه الحالة الحرجة لم تقتل الآداب العربية تماماً وقد ذكرت مجلة المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٤٨١ــ٤٨٦) مطبوعات قليلة صدرت في ايام الحرب اخصُّها كتاب لبنان الذي عُنينا بنشره مع بعض اهل العلم الاختصاصيين (المشرق ١٨ : ٧٣ــ٧٤). ونشر في دمشق جناب السيد كرد علي في مجلة المقتبس آثاراً عربية قديمة وكذلك الشيخ عبد القادر بدران نشر جزءين من تاريخ دمشق لابن عساكر

اما مصر فلم تخمد فيها الحركة الفكريَّة في تلك السنين الصعبة فاستفادت الآداب العربية مما نُشر فيها من التآليف الجليلة القديمة كصبح الاعشى للقلقشندي في عدَّة اجزاء والخصائص لابن جني وديوان ابن الدُّمَيْنة والمكافأة لابن الداية والاعتصام للشاطبيّ وكتاب الاصنام لابن الكلبي. ولدار الكتب الخديويَّة في هذه المطبوعات فضلٌ كبير. ونشر ادباء الاقباط خطباً وميامر بيعيَّة لابن العسال ولابن البركات ابن كبر

ومن التآليف المستحدثة المنشورة في ذلك الوقت تاريخ سينا القديم والحديث لنعوم بك شقير وديوان حليم حلمي المصري وكتاب سياحتي الى الحجاز وتاريخ الآداب العربية لاحد اخوة المدارس المسيحية وكتب أخرى وقفنا عليها فوصفناها في مقالتنا «الآداب العربية منذ نشوب الحرب العمومية» وذكرنا ايضاً هناك بعض المطبوعات الشرقية التي تولى نشرها المستشرقون (راجع المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٤٨٧ــ٤٩٤)

وفي خريف السنة ١٩١٨ انقشعت عن ساحات الحرب تلك الظلمات بانتصار الدول المتحالفة فأتى وقت الاصلاح وليس الاصلاح كالخراب فانَّـه لا يتمُّ إلّا بزمن طويل ونفقات باهظة ورجالٍ ذوي همة قعساء.

على انَّ دولتَي فرنسة وانكلترا اللتين فُوّض اليهما الانتداب على البلاد العربية لم تضنّا باموالها وتنشيطها على الاهلين ليسدُّوا تلك الثلمة الواسعة ويردُّوا للبلاد شرفها السابق. وكان كثيرون من الناشئة قد صدأت اقلامهم وفشلت قواهم لكسود سوق الآداب فنهضوا بهمَّة جديدة لخدمة مواطنيهم فنهم من تولى التدريس في المدارس العمومية ومنهم من فتح المطابع الجديدة وانشأ المجلات والجرائد حتى بلغت بعد حين عدداً لم تبلغهُ في الازمنة السابقة للحرب ويا ليتها كلها كانت صادقة الخدمة

معتدلة اللهجة متقنة للكتابة

وكان اوّل من استأنف العمل لخدمة العلوم والآداب اصحاب المطبعة الكاثوليكية التي كان الاتراك مع محالفيهم الالمان ضربوها ضربةً كادت تكون قاضيةً عليها فنُقلت ادواتها الى دمشق ولبنان ونُهبت حروفها ونقوشها وورقها وكتبها بل نُزعت حجارة ارضها فقُضي على اصحابها ان يصرفوا اشهرًا طويلة ومبالغ وافرة ليتداركوا ذاك الخلل ويعودوا الى نشر مطبوعاتهم المشهود لها بألسن الوطنيين والاجانب

فهذه ثماني سنوات منذ منَّ الله بالفرج على عبادهِ وانقذنا من تلك النكبة الهائلة التي حوّلت الارض الى منقعٍ من الدم. فيحسن بنا ان نسرّح النظر في احوال آدابنا العربية لنرى ما افضتْ اليهِ امورها من ترقٍ مرغوب او تقهقر مرهوب لاسيما في الشرق الادنى محور الشعوب الناطقة بالضاد

وما لا يُنكر انَّ هذه البلاد قد حصلت في هذه الحقبة الثالثة على حرّية لم تعهدها سابقاً في زمن الاتراك فانَّ الدولة الافرنسيَّة والانكليزية اطلقتا الحرّية التامة للطباعة ولم تدَّخرا وسعاً في تنشيط الآداب والعلوم لم تستثنيا من ذلك سوى بعض الكتابات السياسيَّة المتطرّفة دفعاً لاضرارها. ولو لم تحصل عاصمتنا بيروت من فضل فرنسة على غير مكتبتها العمومية وهي اوّل مكتبة من جنسها لوجب علينا شكرها

فماذا نتج لخدمة الآداب العربية من الفوائد بعد الحصول على هذه الحرية مع كثرة الكتبة المتخرّجين في المدارس ؟ فاين الجمعيات الادبية الراقية ؟ واين الشركات المؤلفة لتنشيط الاداب ولطبع التآليف الممتازة ولمجازاة اصحابها ؟ واين المصنّفات التي تباري المصنّفات الاوربية صورةً ومعنًى لنرجع اليها في العلوم العصريّة فتغنينا عن الالتجاء الى اللغات الاجنبية ؟

وكم نرى في المنشورات فصولًا تندّد بالاجانب ويتبجّح اصحابها بالرقي الشرقي ونحن مَدينون الى الاجانب في سائر امورنا من مشاريع عمومية وخصوصية واهلية كلها يعود انشاؤها الى همتهم. وان قصرنا النظر على لغتنا فاننا لا نرى فيها من الترقي ما كان يؤمَّل من المزاولين لها المجتهدين في تعزيزها

وكان معظم ما يصرفهُ الكتبة من القوى في ذلك يبرز في المجلّات والجرائد .

فاما الجرائد فللتسرُّع الكتبة في انشائها قلّما تصلح لان تُتّخذ مثالًا وقدوةً للغة بليغة راقية اللهمَّ إلّا القليل الزهيد منها وذلك في بعض فصولها المحرَّرة بعد نضج الفكر واختيار الذهن

واما المجلّات فكثيرًا اما تأخذ موادّها عن المنشورات الاوربية فيُشتمُّ منها رائحة الغرابة ويُستشفَّ من وراء كتاباتها لوائح أصلها الاجنبيّ ما خلا البعض منها التي لا تتجاوز عدد الانامل

اما المطبوعات المنفردة فانَّ التسعين في المئة منها روايات يغلب عليها الغرام معرَّبة عن الروايات الاوربية القليلة الجدوى الشائنة للاداب . وقد راقنا منها بعض روايات اخلاقية وصف فيها أصحابها العادات المألوفة بين العامّة لاسيما في مصر

اما الكتب الادبية فكان للدين منها قسمة الصالح فأبرز المرسلون والرهبان الوطنيّون والكهنة العالميّون تآليف حسنة منها لاهوتيّة وفلسفية ومنها روحية وزهدية ومنها تراجم ابرار وصالحين وقد وصفنا في كل اعداد المشرق منذ السنة ١٩٢٠ هذه المطبوعات وبيّنّا فضلها

ومما نُشر ايضاً كتب تهذيبية ومدرسية وانشائية وشعريّة لإفادة الاحداث في المدارس الوطنية ومطالعة الجمهور . والخلل في كثير منها ظاهر

ونُشرت ايضاً عدّة كتب تاريخية واجتماعية وسياحات ليس بينها إلّا النزر القليل ممّا لم يُنقل عن التواريخ الاجنبية كتواريخ الحرب الكونية وتواريخ بعض البلدان وكبار الرجال

وقد ظهرت في مصر بعض الآثار المطمورة في زوايا النسيان كتاريخ النويري «نهاية الارب في فنون الادب» وكتاب «التاج للجاحظ» و«زهرة الآداب للحصري» المطبوع سابقاً على هامش العقد الفريد و«مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري» و«ديوان مهيار الديلمي»

ولم يحِدْ المستشرقون عن فضلهم السابق في نشر الآثار الشرقية واتقانهم لطبعها وتزيينها بكل المعلومات المفيدة والفهارس الواسعة . فممّا صدر منها في مطبعتنا الكاثوليكية نقائض الاخطل وجرير وشرح ديوان المفضَّليات للضبّي وديواني عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وكتاب المأثور لابي العميثل

وظهرت في جهات اوربّة من آثار ابحاثهم كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري وكتاب صورة الارض لابي جعفر محمّد بن موسى وديوان ابي ذؤيب . وشرح ديواني علقمة الفحل وعروة ابن الورد للشنتمري واقسام جديدة من النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة لابن تغري بردي ومن معجم الادباء ليـاقوت وغير ذلك ممّا يجعل للاوربيين قصبة السباق في نشر الآثار العربية

وممّا امتازت بهِ هذه الحقبة الاخيرة سعي بعض الكتبة الى انتقاد المطبوعـات النثريّة والشعريّة كمحمّد عباس العقّاد وكزكي مبارك وزكي ابي شادي وحسن صـالح الجذّاوي والاب انستاس الكرملي وقسطاكي حمصي . . وانّما نودّ ان يكون هـذا الانتقاد برواقٍ وهدوّ اظهارًا للحقّ لا تشفّياً من خصم او تحقيرًا لاديب

ومن خصائص هذه الحقبة ايضاً اتّساع فنّ الكتابة بين الاوانس وربّات الخدور فمنهنّ من يتصدّر للخطابة ويلقين المحاضرات او من ينشئن المجلّات وينشرن فصولًا في الجرائد والبعض منهنّ ينظمن القصائد اللطيفة الرائقة لاسيا في الامور الخاصّة بالنساء وتدبير البيوت

فهذه الامتيازات جعلت لحقبتنا الحاضرة مقاماً حسناً إلّا انّنا وجدنا ايضاً فيهـا ما يدعونا الى الخوف من تقهقر لغتنا وانحطاطها فنلفت اليها حكماء قومنا

واوّل آفة على لغتنا الإكثار من الدخيل لاسيا اذا لم يُكسَ صورةً يأنس بهـا اللسان العربيّ . نعم لا تخلو اللغة العربية من الالفاظ الدخيلة حتى انّ القرآن العربي نطق بها وانّما كان العرب يقرّبونها الى لغتهم ببعض التصرّف في صورتها فيزول شيء من غرابتها وخشونتها

وكذلك التعابير الأجنبيّة زاد استعمالهـا لشيوع لغات الاجانب بيننـا ولوفرة التعريبات عنها

وكما اثّرت تلك اللغات في العربية الفصحى كذلك اللهجات العاميّة اخذت تسطو على اللغة البليغة فتمسخ صورتها البهيـة . ومن العجب انّ بعض المتشدقين اخـذوا ينشرون مقالات لترويج اللغـات العامية لزعمهم انّ تلك اللهجـات اقرب الى فهم الجمهور وأدعى الى نشر العلوم العصريّة وهو فكرٌ غريب لا يخطر لاحد من العقلاء على بال وقد سبق لنا في ذلك مقال طويل بيّنا فيهِ العواقب السيّئة التي تحصل بذلك

فتطمس جمال لغة اجدادنا وتبسط الفوضى بين الكتّاب وتبثّ بين البلاد العربية روح النفور والاستبداد اذ لم يبق بيننا وبينها رابط يجمعنا لما في كل لهجة من الاختلاف والتباين

واخذ غيرهم يتصرّفون ايضاً بالبحور الشعرية تصرّفاً زائداً نزع عنها رونقها ومسحة جمالها وكادت تشبه النثر كما فعل اصحاب النثر الشعريّ فجاءت كتاباتهم لا نثراً ولا شعراً ليس لها من العربية الا الفاظها وقشرتها دون لبابها وجوهرها

الباب الاوّل في الادباء المتوفين في الحقبة الثالثة

١ ادباء الاسلام المتوفون في هذه الحقبة

لما اخذت تلوح بوارق الصلح بين الدول المتحاربة سنة ١٩١٨ رحل الى دار البقاء احد أدباء مصر ﴿ الشيخ عبد الكريم سلمان ﴾ درس في الازهر مع الشيخ الامام محمد عبده فتعاشرا وتصادقا . ولمّا قام الاستاذ بنهضتهِ لاصلاح امور الاسلام كان الشيخ عبد الكريم عضدهُ ونصيرهُ فشاركهُ في تحرير الوقائع المصريّة وفي اصلاح التعليم في الجامع الازهر وقد نشر خلاصة اعمال مجلس ادارتهِ في عشر سنين فكان لكتابهِ تأثير عظيم في كثيرين من مواطنيهِ لكنهُ اوغر عليه قلوب غيرهم . فأيس من الاصلاح . ومن ظريف ما اخبرهُ منشئ المنار الاسلامي (٢٠ : ٤٤٠) من نفسهِ ما رآهُ من يأس الشيخ سلمان من صلاح حال أمّتهِ فروى ما ننقلهُ بحرفهِ الواحد:

« كان يصرّح بذلك ويحتجّ عليّ وعلى الاستاذ الامام قائلًا : سترى ما ينتهي اليهِ أملكما في هذه الامّة الميتة وما يبلغه اصلاحكما من هذه الشعوب الفاسدة. ولهُ كلمة في هذا المعنى قالها لاستاذنا الشيخ حسين الجسر ألبسها كعادتهِ ثوب الدعابة والهزل . وقد كنا بدار الاستاذ الامام نتحدّث بما أُشيع من رغبة الامّة اليابانية في التديّن بدين الاسلام . قال الشيخ حسين الجسر : اذاً يُرجى ان يعود الى الاسلام مجدهُ . قال الفقيد : دَعهم فاني أخشى اذا صاروا منّا ان نفسدهم قبل ان يصلحونا . ذكرتُ هذا في ترجمة الرجل لما فيهِ من العبرة المحزنة » فتأمل !

وفي كانون الثاني من السنة ١٩١٩ توفيت في القاهرة احدى اديبات مصر النابغات في الاسلام كعائشة تيمور نريد بها ﴿ملك هانم﴾ كريمة حفني بك ناصف التي اشتهرت بلقب باحثة الباديةوسعت باصلاح احوال بنات جنسها في القطر المصري

توفيت وهي في شرخ شبابها . عُني ابوها بتربيتها وتخرَّجت بارقى مدارس البنات الاميريَّة فنالت شهاداتها المختلفة . ثمَّ انتُدبت الى تعليم الفتيات فامتازت بهِ ثمَّ حاولت الكتابة والتآليف فبرعت بها . ولما زوَّجها والدها من احد شيوخ العرب المقيم بجوار الفيوم عبد الستَّار بك الباسل جمعت بين حضارة المدن والبادية فكان ذلك سبباً لتسمينها بباحثة البادية . وقد صنَّفت كتباً بحثت فيها عن كل الاحوال النسائية كتربية البنات واوصاف المرأة والزواج والحجاب والسفور ونظمت القصائد وتفنَّنت في الكتابات الادبية والاجتماعية . وقد جُمعت كتابات ملك هانم في كتاب عنوانهُ النسائيات . وقد عُرفت هذه السيدة باعتدالها في المسائل النسائيَّة فكانت تذهب في ذلك مذهباً وسطاً بين القديم والحديث بناء على قول المثل «خير الامور اوساطها» وقد صنَّفت الآنسة الادبية ميّ كتاباً في وصفها سبق لنا الكلام فيهِ (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٧١٦)

وبعد وفاة السيّدة «ملك هانم» بسنة تبعها الى الابديَّة في ٢٦ شباط ١٩٢٠ والدها «حفني بك ناصف» في نحو الستين من عمره . كان تخرَّج في اشهر مدارس القاهرة كالازهر ودار العلوم ودار الحقوق الخديويَّة ثمَّ عُهد اليهِ التدريس فيها وعُيِّن مدرساً في مدرسة الخُرس والعميان فلبث فيها اربع سنوات وألقى دروساً في الجامعة المصريَّة جمعها في «كتابهِ تاريخ اللغة العربية» . وممَّا ألَّفهُ لمَّا حضر مؤتمر المستشرقين في اوربَّا كتابهُ في لهجات العرب الذي اصاب لديهم استحساناً . واشتغل بالقضاء وفي مركز مفتِّش المعارف . ونشر القرآن في المطبعة الاميرية «بحسب قواعد الاملاء» فمدحهُ لفعلهِ كثيرون وقدح فيهِ آخرون . وكان حفني بك يُحسن الكتابة نثرًا وشعرًا وممَّا قالهُ قبل وفاتهِ :

أتقضي معي إن حانَ حيني تجاربي | وما نلتُها إلَّا بطولِ عَناءِ
اذا ورَّثَ المثرون ابناءهم غنىً | وجاهًا فما أشقى بني الحكماءِ

وفي نيسان ١٩٢٠ توفي الدكتور «محمَّد توفيق صدقي» المولود في السنة ١٨٨١ . درس العلوم في القاهرة ونال شهادة الدكتورية بعلم الطبّ لهُ في المسائل الطبية ابحاث حسنة منها مقالة في ماء النيل ومضارهِ . ثمَّ تخصَّص بالمسائل الادبية والدينيَّة والاجتماعيَّة فكتب في الاصلاح الاسلامي وردَّ على الماديين ولهُ تآليف سمَّاهُ الدين في نظر العقل

الصحيح . ودافع عن دينهِ الاسلامي في عدة تآليف وقد رددنا عليهِ في ما كتبهُ عن لاهوت السيد المسيح

وفي السنة ١٩٢٠ في ٨ ك٢ أسفنا على فقد احد اصحابنا الشيخ الفاضل «طاهر الجزائري» . كان مولدهُ في دمشق سنة ١٨٥١ واخذ عن أدباء الفيحاء العلوم الدينيَّة واللغويَّة والادبيَّة فأولع بدرسها وكدَّ ذهنهُ في احراز اسرارها وسعى بنشر كنوزها وتعميم فوائدها . واليهِ يعود الفضل في انشاء مكتبة الملك الظاهر . كما انهُ لم يدَّخر وسعاً في تعزيز الآداب العربية في المدارس اذ أُقيم ناظرًا عليها . وقد تفرَّغ للتأليف فوضع كتباً عديدة تدلُّ على اجتهادهِ وسعة معارفهِ بعضُها دينية كتوجيه النظر الى اصول الأَثر ومُنية الاذكياء في قصص الانبياء . وبعضُها لغوية كالتقريب لاصول التعريب وارشاد الالباء ومدخل الطلَّاب لفنّ الحساب . وغيرُها علميَّة كالفوائد الجسام في معرفة خواصّ الاجسام ومدّ الراحة الى اخذ المساحة . ونشر كتباً أخرى لقدماء الكتبة وحشَّاها كديوان خطب ابن نباتة وروضة العقلاء . ومما نودّ ان لا يبقى منزوياً بين المخطوطات كتابهُ « التذكرة الطاهريَّة » بحث فيهِ عن نوادر المخطوطات ووصفها وعرَّف محلَّ وجودها . وكان الشيخ طاهر احد الادباء القليلين الذين فضَّلوا في الاسلام عيشة العزوبة ليتفرَّغوا لدرس العلوم . وقد أحيا بين قومهِ التاريخ وعُني بفنون الكتابة . راجع في المشرق (١٨ [١٩٢٥] : ١٤٤ـ١٤٨) ترجمتهُ لكاتبنا المدقق الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف . ونشر سيرتهُ ايضاً في دمشق الشيخ محمَّد سعيد الباني فدعاها «تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر»

وفي ٢٥ من الشهر والسنة السابقَين ١٩٢٠ توفي في طرابلس الصحافي «محمَّد كامل البحري» صاحب جريدة طرابلس ومؤلف اخبار سياحة باشرها الى بعلبك وانحاء الشام . ومثلهُ توفي في ٢٠ آب من السنة أديب آخر «عبدالقادر بك العظمي المؤيد» لهُ كتابات متفرّقة في بعض الصحف والمجلَّات

ومن اشعر شعراء هذا العصر الذي حلَّت بهِ المنيَّة في هذه الحقبة سنة ١٩٢٠ «محمَّد امام العَبد» اصلهُ من اسرة عَبيد لكنهُ توصَّل بسعيهِ الى ان احرز الادب ونبغ في الشعر . ولهُ شعر رقيق جُمع في ديوان لم يُنشر بالطبع وانما ظهر منهُ عدَّة قصائد رنَّانة في كتب الادباء . ومن لطيف قولهِ يندب حظَّهُ :

نسبوني الى العبيد مجازًا　بعد فضلي واستشهدوا بسوادي
ضاع قدري فقمتُ اندبُ حظّي　فسوادي عليَّ ثوب حِدادِ

ومن اقواله الحماسيّة :

ولمّا التقينا والاسنّةُ شُرَّعٌ　ونادى المنادي لا نجاة من الحتفِ
عطفتُ على سيفِ المنيّةِ فانجلتْ　صفوفٌ وكان الصفُّ أُلصقَ بالصفِّ
فرُحتُ وفي وجهي وجوهٌ عبوسةٌ　وعدتُ وأشلاء الفوارس من خلفي
فلم أرَ قلباً غير قلبي بجانبي　ولم أرَ سيفاً غيرَ سيفيَ في كفّي
وقسّمَ سيفي القومَ قسمةَ عادلٍ　فأرضى الثرى بالنصفِ والطيرَ بالنصفِ

وفي السنة ١٩٢١ في ٢٤ شباط اخترمت المنون اديباً آخر ادّى للآداب العربيّة في مصر خدماً مشكورًا نعني بهِ « محمد بك تيمور » نجل احمد باشا تيمور توفاهُ الله في العقد الثالث من عمره . شُغف منذ صباه بالآداب العربية فبرع فيها حتى انهُ نظم الشعر في الثانية عشرة من عمره وكتب في الجرائد ثمَّ سئم الشغل بالسياسة ونفر من المنازعات بين الاحزاب ورأى ما عليهِ وطنهُ من التأخر في فنّ التمثيل . فقصد البلاد الاوربية ودرس الحقوق في باريس وهو يلحظ مسارحها الكبرى حتى أتقن اصول ذلك الفنّ وتخصّص بترقيتهِ في بلادهِ . فألّف لذلك جوقاً مختارًا امتاز بمهارة التمثيل تحت ادارتهِ . وكان هو يؤلف لهُ الروايات الادبية ويجهّز لهُ كلّ لوازم التمثيل وربما وقف هو بين الممثلين فكان موضوع اعجاب الحضور من اعيان مصر . وكان يختار الروايات التي تمثّل فيها حوادث الشرق وعاداتهُ حتى عُدّ فنّ التمثيل بمسعاهُ في مصر شبيهاً بهِ في عواصم البلاد وهو في ذلك يطلب جمال الفنّ اكثر منهُ لارباحهِ . وقد خلّف تآليف عديدة في هذا الباب وفي غيرهِ اخصّها كتابهُ وميضُ الروح جمع فيهِ ديوانهُ ومقالاتهِ الادبية وقصصهُ ومذكّراتهِ . ثمَّ كتابهُ حياتنا التمثيليّة خصّهُ بفنّ التمثيل وتاريخهِ وفنونهِ وآدابهِ ثمَّ كتاب المسرح المصري . دونك بعض ابيات من نظمهِ عنوانها «شاعر يتألم»

ليلةٌ كلها عناءٌ وهمٌّ　وشقاءٌ والقلب منها تعذَّبْ
ذقتُ فيها المصابَ كأساً دِهاقًا　ضاع رشدي فيها ولم ألقَ مهرَبْ
ففؤادي من نارهِ يتلظّى　ودموعي من المحاجر تُسكَبْ

قد دعوني فتى القريض وحسبي منه في القلب جمرةٌ تتلهبُ
ما نظمتُ القريض أبغي نوالًا من كبير ولا أُحاول مكسبْ
بل أقول الاشعار كيما أُناجي كلَّ حرٍّ من بؤسهِ يتعذَّبْ
ذاك رأيي فيما أسمّيهِ شعرًا ولكلٍّ في الشعر رأيٌ ومذهبْ

ومات في اوائل تلك السنة رجلٌ مصريٌّ آخر كان لهُ موقع كبير في نفوس مواطنيهِ الكاتب الاديب «دياب محمد بك» ولد سنة ١٨٥٣ درس في الازهر ودرَّس فيهِ وفي دار العلوم وتعيَّن مفتشاً في وزارة المعارف وتفرَّغ للكتابة فنشر تآليف مختلفة ككتاب دروس البلاغة والانشاء وقلائد الذهب في فصيح لغة العرب وتاريخ ادب اللغة العربية ومعجم الالفاظ الحديثة وتاريخ العرب في اسبانية وعرَّب عن الفرنساوية كتاب تخطيط اوربَّة وغير ذلك مما خدم بهِ الادب والوطن

وفي تلك السنة ١٩٢١ تعدَّدت وفيات الادباء فقضى ايضاً «وليُّ الدين بك يكن» نحبهُ فيها في ٦ آذار . كان تركيَّ الاصل من اسرة شريفة وُلد في الاستانة سنة ١٨٧٣ جاء صغيرًا الى مصر مع اهلهِ فتوفي فيها والدهُ وكفلهُ عمّهُ فتخرج في مدرسة الانجال المشهورة فأتقن فيها العربية كما عرف التركية وعاد الى الاستانة وكتب في جرائدها. وقد عُرف بميلهِ الى الحرية فنُفي الى سيواس وبقي هناك الى الاعلان بالدستور سنة ١٩٠٨ فعاد الى مصر وحظي لدى سلطانها حسين كامل فعيَّنهُ كاتباً في الديوان العالي في القصر السلطاني حتى مُني بعلَّة اذاقته كأس المنون في مدينة حلوان . ولهُ شعر منسجم مطبوع يتدفَّق رقة فمن قولهِ يحيّي سيواس يوم نُفي اليها :

رضيتُ سيواسَ دارًا وما بسيواسَ شرُّ
جنَوا عليها فأمستْ قد اقفرَتْ فهي قفرُ
فلا بها الروض خصبٌ ولا بها الزهرُ نَضرُ
فليس لي ثَمَّ نظمٌ وليس لي ثَمَّ نثرُ
وكم بمصرَ اديبٌ يشدو فترقصُ مصرُ
لحني على ساجعاتٍ كأنَّما هي سحرُ
يقولها قائلوها فيعتري الناسَ سكرُ

ومما رُوي لهُ في مختارات الزهور (ص ٧٧) قولهُ عن لسان فتاةٍ عمياء :

سادتي انَّ في الوجود نفوساً ظلمتها الاقدار ظلماً شديدا
هي تشقى من غير ذنب جنتهُ ولكم مذنب يعيشُ سعيدا
رحِمَ اللهُ اعيناً لم تُشاهدْ منذ كانت إلّا ليالِيَ سُودا
تتمنّى لو فُتّحت فتملّت من جمالِ الوجودِ هذا الشهودا
تتناجى حمائمُ الروض صبحاً لا تراها وتسمعُ التغريدا
ويكونُ الربيعُ منا قريباً فنظنُّ الربيعَ منّا بعيدا
حين ترنو الى الورودِ عيونٌ ليت شعري كم تستطيبُ الورودا
سادتي انّنا صبرنا امتثالًا ما ضجرنا ولا شكونا الجدودا
فانظروا نظرة الكرام الينا وارحموا ادمعاً تخدُّ الخدودا

ولولي الدين يكن من التآليف ما ذاع صيتهُ كالصحائف السود وهو عبارة عن مجموع مقالات اجتماعية بليغة الانشاء طافحة بآرائهِ الحرَّة. وكتأليفهِ في احوال تركية وسياستها دعاهُ المعلوم والمجهول. ونقل الى العربية كتاب نيازي بك في الدستور العثماني المعنون بالتجاريب. وقد حرَّر كثيراً من المقالات في اكبر جرائد مصر

وفي ثاني يوم حزيران من السنة ١٩٢٢ انطفأ نور حياة شاعر آخر «عبد الحليم حلمي المصري» ولد في دمنهور سنة ١٨٨٧ ودرس في وطنهِ ثمَّ دخل في المدرسة الحربية وتوظّف في ديوان الاوقاف في مصر . وكان مولعاً بنظم الشعر ونشر عدَّة قصائد دلّت على جودة قريحتهِ وحسن ذوقهِ جمعها في جزئين وطبعها تحت عنوان «ديوان المصري» سنة ١٩١٠ وقد تحرّى في شعره المواضيع العصريَّة وأدّت احدى قصائدهِ الى محاكمتهِ وسجنهِ. ثم دخل بعد الانقلاب الدستوري في خدمة الملك. وهذا مثال من شعره قال يتشوّق الى الشام:

يحِنُّ لمصرَ من سكنَ الشآما ونحن نودُّ لو كانت مقاما
منابتُ لا يجفُّ بها الخُزامى ولا تشكو أزاهرُها الأواما
وارضٌ تُنبت اليوم المعالي وكانت تُنبت الرسلَ الكراما

على «لبنانَ» زهريَ الهضابِ على «الاردنّ» خمريّ الحَبابِ
على «القدس» المفضّل في الكتابِ على تلك القصور على القبابِ
سلامٌ متيّمٍ لولا الليالي تُقيِّدهُ لما بعثَ السلاما

وافتتح قصيدتهُ في وطنهِ مصر بقولهِ :

بلادي سقاكِ الدمعُ إن مُنعَ القطرُ ... وما بَرِحتْ خضراً مياهُكِ الخُضرُ
وقفنا عليكِ المالَ والعمرَ والذي ... يُحَبُّ عليهِ يوقَفُ المالُ والعمرُ

وتبعَ المصريَّ الى القبر بعد اشهر من تلك السنة ١٩٢٢ شاعر ثالث ليس دونها سمعةً ورقياً «اسماعيل صبري باشا» ولد في مصر سنة ١٨٦١ وتقلّب في مناصب الدولة المصرية كمنصب النائب العام ومحافظة الاسكندرية ووكالة نظارة الحقانيَّة. وقد اشتهر بشعره الرقيق اللفظ والفصيح الاسلوب وكان لا ينشدهُ إلّا بعد انتقاده وتمحيصهِ مرارًا. وقد استحسنَّا لهُ قولهُ في الاستغفار واعتقاده الخلود :

يا ربِّ اين تُرى تقامُ جهنَّمٌ ... للظالمينَ غدًا وللأشرارِ
لم يُبقِ عفوُكَ في السموات العُلى ... والارضِ شبرًا خاليًا للنارِ
يا ربِّ أهلني لفضلك واكفِني ... شَطَطَ العقول وفتنةَ الأفكارِ
ومُرِ الوجودَ يشِفُّ عنك لكي ارى ... غضبَ اللطيفِ ورحمةَ الجبَّارِ
يا عالمَ الأسرارِ حسبي محنةً ... علمي بأنَّك عالمُ الاسرارِ
أخلِقْ برحمتكَ التي تسعُ الورى ... ألّا تضيقَ باعظمِ الاوزارِ

وما أحسن قولهُ في الوفاء والعفو :

اذا خانني خِلٌّ قديمٌ وعقَّني ... وفوَّقتُ يومًا في مقاتلهِ سهمي
تعرَّض طيفُ الودِّ بيني وبينهُ ... فكسَّر سهمي فانثنيتُ ولم أرمِ

ومثلهُ حسنًا في طيش الشباب وعجز المشيب :

لم يدرِ طعمَ العيش شُبَّانٌ ولم يُدركهُ شِيبُ
جهلٌ يُضِلُّ قوى الفتى فتطيشُ والمرمى قريبُ
وقوًى تخورُ اذا تثبَّتَ بالقوى الشيخُ الاريبُ
فيما يُقال كبا المغفَّلُ اذ يقال خبا اللبيبُ
اوَّاهُ لو علم الشبابُ وآهِ لو قدر المشيبُ!

وخسر العراق في تلك السنة ايضًا في شهر ايلول ١٩٢٢ رجلًا من علمائهِ المشهورين «الشيخ عليّ باقر» احد علماء النجف الشيعيين

وتقفى آثارهم الى دار الخلود في العام التالي عالم من الهند السيّد « ابو بكر باعلوي » توفي في حيدرآباد في اواخر السنة ١٩٢٣ كان من علماء بلاده اشتغل بالتعليم والكتابة. وتولى تصحيح مطبوعات وطنهِ حيدر آباد. له مصنفات عديدة في الفقه والانساب والحساب والطبيعيات والادب والمنطق. وديوان شعر. وقد اشتهر بمعاداة الشيعة وانصارها وبالدفاع عن السنّة وذويها فحصل لهُ بذلك تعنّت كثير. كان مولدهُ سنة ١٨٤٦

وفي العام ذاتهِ في ٥ آب ١٩٢٣ توفي « احمد كمال باشا » احد أدباء مصر الذين تخصّصوا مع علماء الفرنج للبحث عن آثار قدماء المصريين فتعيَّن اوَّلاً كامين مساعد في المتحف المصري فانكبَّ على درس اللغة الهيروغليفية والآثار المصرية حتى تمكن من معرفة اسرارها واخذ يُلقي في ذلك المحاضرات في النوادي الوطنيَّة وينشر المقالات الواسعة فيها فاختاروهُ كعضو في المجمع العلمي المصري ولهُ في سجلّاتهِ خطب ومحاضرات. وكذلك علّم فنّ الآثار المصريَّة بمدرسة المعلّمين العليا. وقد ألَّف قاموساً هيروغليفياً عربياً فرنسوياً واسعاً نسبهُ فيه بعض العلماء الى الغلوّ والتطرُّف في ردّه الوفاً من الالفاظ العربية الى اصول مصريَّة قديمة

وورد علينا في اواسط آذار من السنة ١٩٢٤ نبأ أليم بوفاة احد اصدقائنا في بغداد السيد الاديب « محمود شكري الآلوسي » من الاسرة الالوسيَّة الكريمة وابن الشهاب الآلوسيّ الذي مرَّ لنا ذكرهُ بين أعلام القرن التاسع عشر. ولد سنة ١٨٥٧ وتخرَّج في بغداد على آلهِ فتبحَّر في العلوم الاسلامية وانتدب الى التدريس في مدارسها فنبغ من تلاميذه الشاعر العصري السيّد الرصافي. وقد تولّى ادارة الزوراء وهي اوّل جريدة أُنشئت في مدينة السلام فكتب فيها فصولاً رائقة خرج فيها عن دائرة التقليد الضيّقة حتى سُعي بهِ الى عبد الحميد فلم ينجُ من النفي إلّا بفضل بعض اصحابهِ. ولهُ من التآليف النفيسة بلوغ الارب في احوال العرب قدّمهُ لمؤتمر المستشرقين في استوكهلم فشكرتهُ عليهِ اللجنة واجازتهُ بوسام ذهبي. ومن تآليفهِ كتاب اخبار بغداد وتراجم بعض علمائها في القرن الثالث عشر وتاريخ نجد وامثال العوامّ في مدينة السلام وغير ذلك من المصنفات التي زاد بها شرف اسرتهِ. وكان سبقهُ الى الابديَّة احد انسبائهِ السيّد « احمد شاكر الآلوسي » فاتنا ذكرهُ توفي سنة ١٩١٢

وكان عضواً في مجلس المعارف الكبير في الاستانة وخلّف كذوي قرابته آثاراً ادبية متفرقة

ولم نكد ننسى ما ألمّ بالآداب العربية بوفاة ذلك الكاتب الشهير «السيد مصطفى المنفلوطي» الذي نُعت بامير بيان هذا العصر . ولد في مدينة منفلوط سنة ١٨٧٥ وتوفي سنة ١٩٢٤ تخرّج في الازهر المصريّ ونال قصبة السبق على اقرانه واستهواهُ حبُّ الادب في اول ربيع حياته فاخذ يتمرّن على الكتابة نثراً ونظماً . ثمّ لحق بالشيخ الامام محمد عبدهُ فلازمهُ عشر سنين واخذ من افكاره وآدابه . وبعد وفاة الاستاذ عاد الى وطنه واخذ يحرّر رسائلهُ الشهيرة في جريدة المؤيد فالتفتت اليه انظار ارباب وطنه . ولم يزل منذ ذلك الزمان يواصل الكتابة فنشر مؤلفاته الرائعة «النظرات» في ثلثة اجزاء و«العبرات» و«في سبيل التاج نقلهُ بتصرّف عن الافرنسية» و«الشاعر والفضيلة» الى غير ذلك مما ضاعف الحزن على وفاته وهو لم يبلغ الخمسين من عمره . ولهُ شعر حسنٌ وانّما برز خصوصاً بانشائه البليغ على الاسلوب العصري

وفي ٣٠ حزيران من السنة الماضية ١٩٢٥ حلّ الاجل المحتوم باحد مواطنينا «رفيق بك العظم» . ولد في دمشق سنة ١٨٦٥ ثم نشأ في وطنه واخذ الآداب عن مشايخه ثمّ انتقل الى مصر وتعاطى فيها امور السياسة والادب وكان احد السُّعاة بتحرير وطنه من النير العثماني او بالحري بتخفيفه باللامركزية . ولهُ كتب تاريخية وادبيّة حسنة اخصّها كتاب مشاهير الاسلام في اربعة اجزاء

وفي هذا العام ايضاً ايار ١٩٢٥ توفي الشيخ محمد حسين شمس الدين اديب جبل عامل وشاعرهُ

٢ ادباء النصارى المتوفون في هذه الحقبة

اولًا الاحبار والكهنة

بين السنين التي مرّت منذ نهاية الحرب العالميَّة الى اواخر السنة ١٩٢٦ دعا الله الى جواره بعض احبار الكنيسة الذين خدموا الآداب متاجرين بالوزنات التي نالوها من ربهم

«السيد ديونيسيوس افرام نقّاش» تُكبت الطائفة السريانية بفقد هذا الحبر الجليل في ١٣ آذار سنة ١٩٢٠ توفي في مدرسة الشرفة في لبنان عن سبعين عاماً. وكان السيد الفقيد رئيس اساقفة حلب على السريان الكاثوليك منذ ٥ نيسان سنة ١٩٠٣ أدّى في حياتهِ لملّتهِ خدماً جمّة وقد عُرف بنسكه وانصرافهِ الى العيشة التقويّة. وكان مولعاً بدرس التاريخ وقد نشر في ذلك كتاباً نفيساً ضمّنهُ اخبار طائفتهِ السريانيّة الكاثوليكيّة منذ اهتدائها الى حجر الكنيسة الكاثوليكية الى زمن السيد الجليل بطريرك انطاكية الحالي ماري اغناطيوس افرام الثاني رحماني وذلك في مجلد ضخم دعاهُ عناية الرحمان في هداية السريان وما هو إلاّ قسم من تاريخ اوسع لم يزل مخطوطاً بحث فيهِ عن اخبار الطائفة السريانية منذ نشأتها

وفي هذا الشهر عينهِ في ٢٢ آذار ١٩٢٠ انتقل الى دار البقاء سيد آخر من اركان الطائفة المارونية الكريمة «المطران يوسف دريان» النائب البطريركي على القطر المصري. ولد هذا الحبر الجليل سنة ١٨٦١ ودخل الرهبانية الحلبيّة ودرس اوّلاً في مدرسة انتشار الايمان في رومية واتمّ دروسهُ في كلية القديس يوسف في بيروت. وفي السنة ١٨٩٦ جُعل رئيس اساقفة طرسوس شرفاً. وقد خلّف آثاراً كنسيّة وادبية وتاريخيّة عديدة تشهد لهُ بطول باعهِ في العلوم الدينيّة والمدنيّة. فمن تآليفهِ الدينيّة كتاب رُتب السياميذ الكهنوتيّة المعروفة بالشرطونية وكتاب المغنم في تكريم مريم والمقالة الوثنيّة في العبادة الحقيقية لمريم العذراء معرّباً عن تأليف الطوبوي لويس غرينيون دي مُنفُرت وكتاب الدعوة الرهبانية للقديس الفونس دي ليغوري وجادّة الفلاح في سبيل التقى والصلاح ومجموعة اناشيد روحية بعضها من نظمهِ منها نظم الجُمان في سبيل سيدة لبنان. ومن تآليفهِ التاريخيّة نبذة في اصل البطريركية الانطاكية وفي اصل الطائفة المارونيّة واستقلالها في لبنان في قديم الدهر حتى الآن وثلاثة ابحاث في المَرَدَة جمعها في كتابٍ دعاهُ «البراهين الراهنة في اصل المردة والجراجمة والموارنة» خالف فيه رأي السيد يوسف الدبس. ومن آثاره الادبية كتاب الاتقان في صرف لغة السريان ومنها عدّة مقالات ادبية نشرها في الجرائد وفي مجلة المشرق

وفي ١٨ ايار ١٩٢١ توفي في بيروت السيد «كيرلس مكار» بطريرك الاقباط

الكاثوليك سابقاً. فُصل عن تدبير كنيسته لدواعٍ موجبة. وكان المذكور يتعاطى الآداب الشرقية بعد ان تخرَّج بها في كليتنا البيروتية. له تاريخ الكنيسة الاسكندرية وابحاث في آثار النصرانية في مصر ومنظومات شعريَّة بالافرنسية ومناشير وغيرها ولد في الصعيد سنة ١٨٦٨

«الاب مبارك سلامه المتيني» احد رؤساء الرهبانية اللبنانية العامِّين الاجلاء. ولد في المتين (لبنان) في ١٥ نيسان ١٨٥٢ وانضوى سنة ١٨٦٦ الى الرهبانية البلدية فكان من افضل ابنائها ادباً وبرارةً تلقَّى العلوم الدينيَّة العالية في كلية القديس يوسف وكان اوَّل من نال فيها شهادة الملفنة في علمي الفلسفة واللاهوت سنة ١٨٨٣. وعُهدت اليه في رهبانيَّته افضل المناصب وارقاها فتولَّاها عدَّة سنين بنشاط وحكمة اقرَّ بها الجميع لاسيما انه كان بمثله اوعظَ منه بكلامه. توفي في عيد مولد العذراء في ٨ ايلول سنة ١٩٢١. (اطلب ترجمته لحضرة الخوري بطرس سارة في المشرق ٢٠ [١٩٢٢]: ٨٥٢–٨٦٢). وكان المرحوم مع كثرة اشغاله في الرهبانية وفي الاعمال الرسوليَّة في لبنان لايضيع برهةً من زمانه فقد ألَّف مختصراً للَّاهوت الادبي واختصر كتاب الكمال المسيحي للاب رودريكس اليسوعي. وقد نُشر من تعريبه كتاب دستور الرؤساء في سياسة المرؤوسين وهو سفرٌ جليل للاب ڤالوي اليسوعي وكتاب دستور الحياة الروحية ليسوعي آخر الاب سورين الشهير

وممَّن فقدتهُ الآداب العربيـة من ملَّة الروم الكاثوليك الكريمة المطران استفانوس سكريَّة رحل الى دار الخلود في ٢٥ ت٢ ١٩٢١ ولد في دمشق سنة ١٨٦٨ وتخرَّج في العلوم الدينيَّة والدنيويَّة في القدس الشريف في مدرسة القديسة حنَّة. وقد احرز لهُ فضلاً كبيراً في تدريس الفنون العربية فيها ثمَّ في المدرسة البطريركية في دمشق وكان لا يألو جهدهُ في تعزيز العربية وكان هو من كتبتها المجيدين وخطبائها المشهورين. وقد ابقى بعض الآثار المتفرقة من رسائل وارشادات ولهُ كتاب وضعهُ لجمعيةٍ انشأها ولقَّبها بالنهضة الدينية الكاثوليكية

وفي مفتتح السنة ١٩٢٢ فُجعت جمعية الاباء البولسيين الافاضل بخطبٍ أليمٍ اذ فارقهم الى الابدية احد اخوتهم المأسوف عليه كثيراً الاب بولس سيُّور وهو في عزّ الكهولة كان ايضاً من متخرجي مدرسة الصلاحية في القدس ثم احد اساتذة الآداب

العربية فيها لطلبتها من طائفته الكاثوليكية. ولما انضمّ الى جماعة الآباء البولسيين في حريصا سنة ١٩٠٣ ما عتّم ان باشر الرسالات في حوران وتنقّل في قراهـا متفانياً في كل الاعمال الرسولية. ولهُ عدّة آثار كتابية في مجلة المسرّة وكان احد محرّري مقالاتها الدينيّة والادبية الممتازة. ومن منشورات قلمهِ رواية القديس سفستيانس الشهيد وزهور النفس من حديقة خوري أرْس وكتاب المجمع الملي للروم الكاثوليك وكنوز النفس في الغفرانات ونبذة في صناعة الشعر العربي. ومن مقالاتهِ الحسنة في المسرّة ما سطرهُ عن عوائد العرب ولهُ بحث جغرافي تاريخي في حوران وغير ذلك مما زاد اسف اخوتهِ على فقده

وفي اواسط ٦ شباط ١٩٢٢ استأثرت رحمة الله مرسلاً غيورًا من الطائفة المارونية اشتهر في كل انحاء لبنان بمواعظهِ وبلاغتهِ واعمالهِ الرسولية الخوري الاسقفي اسطفان الشمالي. نشر مع الطيب الذكر السيد جرمانوس الشمالي جزئين من الخطب والعظات اقبل العموم عليها لحسنها لفظاً ومعنى. وكان الخوري اسطفان شاعرًا مجيدًا لهُ في ذلك آثار متفرقة

وفي ٢٠ ايلول من السنة ١٩٢٢ ودّع الحياة المأسوف عليـه القس نعمة الله ابو ناضر احد مدبّري الرهبانية اللبنانية البلـدية. كان تلقّى العلوم في كليتنا البيروتية وكان من المتضلّعين من اللغة العربية فانتُدب الى تدريسها ثمَّ تعاطى فنّ المحاماة وحرّر مدّةً روضة المعارف ونشر عدّة مقالات فقهيّة وادبية في المجلّات والصحف السيّارة في الاستانة وبيروت. ثمَّ آثر العيشة الرهبانية وخدمة الدين الى آخر حياته

وممّن فقدتهُ الآداب العربية احد اخوة المدارس المسيحيـة « الاخ ساروفيم فكتور عطاء الله» المتوفى في كانون الثاني سنة ١٩٢٣. لهُ تاريخ الآداب العربية منذ نشأتها طبعه في الاسكندرية سنة ١٩١٤ فأقبلت عليه المدارس لحسن تنسيقه فأعيد طبعهُ

ومن انصار الآداب العربية الذين أُصيبت بفقـدهم طائفة الروم الكاثوليـك المثلَّث الرحمات البطريرك « دمتريوس قاضي » الذي لبّى دعوة سيـده في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٥ في دمشق. كان لهُ اهتمام خصوصي بتعزيز اللغـة العربيـة في مدارس الطائفة في مصر والشام. وتدلّ كتاباتهُ على ضلاعته بهذه اللغة فضلاً عن معارفه الدينية الواسعة التي كان استقاها في باريس من اصفى مناهلها

وفي ٢٤ حزيران من السنة الماضية ١٩٢٦ شقّ علينا نعي احد اساتذه الآداب العربية في مدرسة العائلة المقدّسة للآباء اليسوعيين في مصر «الخوري نعمة الله بركات» كان من الكتبة البارعين كشقيقه الشهير وعليه تخرّج عدد عديد من الناشئة المصرية. ومن آثاره تعريبه لمختصر التاريخ المقدّس تأليف لومُند

ثانياً العالميُّون

في اوائل السنة التابعة للحرب في ١٤ ك ٢ فقدت طائفة الروم الاورثذكس في بيروت احد مشاهير ادبائها «الشيخ اسكندر العازار» المولود سنة ١٨٥٥. اخذ العلوم اللسانية والادبية عن اساتذة طائفته وفي مدرسة اعبيه الاميركانية. وقد امتاز منذ حداثة سنه بمزاولة النظم والانشاء فكان من السُّعاة بالنهضة الادبية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكان خطيباً متفنناً وكاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً. له من الآثار الكتابية في الجرائد والمجلات ما لو جُمع لألَّف مجلداً ضخماً. منها خطب ورسائل وروايات تمثيلية وخواطر ادبية. وديوان شعر. ولولا انحيازهُ الى الماسونية ومجاهرته بالافكار الحرَّة ومغالاته بالسياسة التي ذاق مرَّها اكثر من حلوها لَعددناهُ من اركان الآداب العربية في الوطن

وفي ٣ نيسان ١٩١٩ قصفت المنون في مصر غصناً يانعاً من الدوحة البستانيَّة «نجيب البستاني» نجل بطرس صاحب دائرة المعارف ولد سنة ١٨٦٢ وتخرَّج على والده كأخيه نسيب المتوفى سنة ١٩١٣ وقد ساعدهُ كلاهما في تآليفه وحرَّر مقالات عديدة في الجنة والجنان وتعاطى الدروس الفقهيَّة فتولى منصب المدَّعي العمومي ورئاسة محكمة المتن في لبنان. وعدل عن بروتستانية والده فارتدَّ الى دين طائفته المارونيَّة. ومن آثاره دروس تاريخيَّة عن فينيقية وعن جبل التوَر واخلاقهم وعن روسيَّة. وله منظومات شعرية لم ينشرها

وفي تلك السنة وقعت وفاة كاتب ضليع من ادباء الموارنة «يوسف خطَّار غانم» توفي في ٢٠ تموز سنة ١٩١٩. كان مولده سنة ١٨٥٧ ودرس في مدرسة الآباء اليسوعيين القديمة في بيروت وحرَّر فصولاً واسعة نثراً ونظماً في صحف الشام ومصر وكان كثير البحث عن آثار طائفته كما يدلُّ عليه تأليفه برنامج جمعية مار مارون الجامع

بين المعلومات الوافرة وفنون الآداب فأحيا ذكر كثيرين من مشاهير ملته وزيّن مقالاته بصورهم المفقودة

وفي ٢٩ ت٢ ١٩١٩ مات في سان باولو البرازيل بداء القلب احد ابناء سورية الادباء وهو «قيس لبكي» حرّر في جرائد المهجر ومجلاتها فاشتهر بالكتابة. وانمّا شوّه كتاباته بما ضمّنها من الآراء الفاسدة والتحامُل على الدين ما حمل المنصفين على تفنيده وتزييف آرائه

ومن مناعي العام ١٩١٩ ايضاً الصحافيّ «صموئيل ينّي» اخو جرجي افندي ينّي منشئ مجلة المباحث في طرابلس. جارى اخاهُ بما نشرهُ هناك من المقالات الادبية الحسنة. وخلّف ايضاً آثارًا كتابية لم تُنشر بالطبع

وفيه نُعيت «مريانا مرّاش» من الاسرة المرّاشيَّة الحلبية الشهيرة. امتازت في وطنها بين بنات جنسها بوضع المقالات الادبيـة وبنظم الشعر وخلفت منـهُ ديواناً بعنوان بنت فكر نُشر في بيروت سنة ١٨٩٣. فمن اقوالها تهجو طبيباً جاهلاً ثرثارًا

طبيبٌ بلا علمٍ يرومُ لنفسهِ ... مديحاً لفعـلٍ يقتضي أقبحَ الذمِّ
فيسقي علاجَ المَذْق من عذب لفظهِ ... وينفثُ من افعالهِ قـاتلَ السمِّ

وممّا نُقش على نعش فتاةٍ من نظمها:

يـا زهرةً ذبلَتْ بغيرِ اوانِ ... ناحت عليها الوُرْقُ بالاغصـانِ
فتعزّيا يـا والـديّها انها ... مثلُ الملاكِ مضتْ لخُلْدِ جنانِ

وممّا قالتهُ فنقش على كيس تبغ:

احفَظْ ودادَك في فؤادكَ كامناً ... واثبُتْ ولا تكُ مثلَ تبغٍ دُخانِ
فعواصفُ الانفاس تُصعدُهُ سدًى ... وترجُهُ في عـالمِ النسيـانِ
والودُّ ضمنَ القلب نقطـةُ مركزٍ ... كالارض ثابتـةٌ على الـدَّورانِ

وكأن الحرب الكونية ومصائبها هدّت قوى كثيرين من الادباء فماتوا متأثرين من كوارثها. ففي السنة ١٩٢٠ في شهر شباط توفي في دمشق الاديب «نعمان القساطلي» صاحب تاريخ دمشق المعنون بالروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء

وفيها في ٣١ ايار ١٩٢٠ رُزئت العلوم القضائية باحد اساطينهـا «الشيخ سليم باز» المولود في ٥ حزيران ١٨٥٩. درس في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير حيث شهدنا عياناً نشاطه وسباقه لرفقته في ميـدان العلم والتقى. ثم انكبّ على العلوم

الفقهية متتلمذاً للسيد يوحنا حبيب منشئ الجمعية الكريمية قبل اسقفيته فكان موضوع اعجاب استاذه ولم يزل يتبحّر في الفنون الشرعية القضائية حتى عُدّ من كبار علمائها وأُسندت اليه ارقى مناصبها فقام بها احسن قيام واستحق ثناء ارباب الامر وعموم الاهلين وألفتَ اليه انظار الدولة التركية فجعلته من اعضاء مجلسها الشورى. ثمّ عاد الى وطنه فخدمه اطيب الخدم كمحامٍ قانوني واستاذٍ نظاميّ ومؤلف بارع تشهد له المؤلفات العديدة التي يتداولها ارباب المحاكم كشرح المجلة وشرح قانون المحاكمات وقانون الجزاء ومرقاة الحقوق وهو مختصر نفيس في علم الفقه فضلاً عن تآليف فقهية عديدة عرّبها عن التركية ومقالات عديدة يطول تعدادها . وقد نشر اخوهُ جناب الدكتور جورج باز ترجمة حياتهِ المطوّلة في المشرق (٢٠[١٩٢٢]: ٩٣٨—٩٥٧)

وكانت السنة ١٩٢١ اسوأ عاقبةً على الادباء. فغادرنا كثيرون منهم الى العالم الآخر. ففي ١٧ كانون ١٩٢١ ودّع الحياة احد ادباء صيداء «فرج الله نمّور» من أُسرة نمور الوجيهة. ولد في ٢٥ اذار سنة ١٨٦٨ ودرس في مدرسة الاباء اليسوعيين في صيداء فنال بين رفقته قصب السباق واخذ يتمرّن على الكتابة ونظم الشعر حتى برع فيهما ثمّ بارح الوطن لما وجد فيه من المضايقة على الاقلام وانتقل الى مصر فصار يحرّر في اكبر جرائدها. ثمّ تجوّل في البلاد وزار تونس وانشأ مع نجيب ملحمه جريدة البصيرة فقام باعباء تحريرها سنتين ثمّ انشأ في طنجة جريدة لسان المغرب فاصابت رضى سلطان مرّاكش. ثمّ اضطرّ بعد اربع سنوات الى مغادرتها لاختلاط الامور السياسية واجر الى البرازيل سنة ١٩٢٠ وفتح في سان باولو مدرسةً خدم فيها الجالية السورية بهمة قدّرها له المهاجرون لولا انه اصيب في اوائل السنة ١٩٢١ بداء الجنب الذي لم يمهله الّا اياماً قليلة فغالته المنية وعمّ اسف مواطنيه على فقده. ولفرج الله نمور عدّة قصائد قالها في كبار الرجال ولقيت استحسانهم. فمن قوله يحنّ الى وطنه صيداء ويأسف على فراقها :

ما للغريب سوى البكاء مؤانسٌ ... ان كان يعلم مؤنساً وخليلا
الله يا صيدونُ يا وطني الذي ... فاق البلاد مرابعاً وطلولا
حيّاكِ يا وطنَ الفضائل والهنا ... مرُّ النسائمِ بكرةً وأصيلا
بلدٌ بها اخضرّت نباتُ عوارضي ... ورشفتُ من كأسِ الصفاء شمولا

تلك التي حسنَتْ مقاماً للورى ومنازلاً وحدائقاً وسهولا
دعني وشأني والدموعَ فاضها تشفي الفؤادَ وقلبيَ المتبولا

وفي ٢ اذار من السنة ١٩٢١ توفيت سيدة سورية «رحمة خوري صرُّوف» المولودة سنة ١٨٨٠ درست في مدرسة طرابلس الاميركانية فنالت شهادة دروسها العالية ودانت هناك بالمذهب البروتستاني. ثمَّ تولت التدريس في مدرستي طرابلس وحمص بدعوة عمدتها ثم رحلت الى مصر وعلّمت في مدارسها واخذت تنشئ المقالات الادبية النسائية فنشرت منها عدداً في جريدة المقطَّم فاحرزت لها سمعةً طيبة حتى دُعيت الى القاء المحاضرات في الجامعة المصريَّة في القسم المختصّ بالسيدات. وهي من جملة السيدات اللواتي نهجنَ للفتيات سبل التربية العصرية. كتبت في ذلك عدَّة مقالات في المقتطف مع قرينها اسحاق افندي صرُّوف

وفي تلك السنة المشئومة شيَّعنا جنازة اديب آخر من افضل رجال الوطن وعلمائهِ «سليم اصفر» نجل كبير قومهِ ابرهيم افندي اصفر. تلقَّى العلوم في كليتنا فكان فيها قدوةً لكل رفقته بجده وحسن سلوكهِ. ثمَّ انتقل الى فرنسة فتعمَّق في درس الزراعة ليخدم بها وطنهُ مع حاجته اليها. فلما عاد راجعاً عُهدت اليهِ ادارة الزراعة في الجبل فأفادها كثيراً واحبَّ ان يفتح لها ابواباً جديدة للارتزاق لولا ما لقيهُ من العوائق في سبيلهِ. ثمَّ رحل الى الاستانة يطلب امتيازاً لاستثمار جهات الحولة وتحسين تربتها. ثمَّ تخلَّى في دار عمه عن الاشغال في مدة الحرب محتملاً بصبر جميل ما أُصيب بهِ من الامراض حتى قابل الوفاة بكل تُقى وتسليم لارادتهِ تعالى. وللمرحوم كتابات نفيسة في كل فنون الزراعة ظهر منها في المشرق عدَّة مقالات. وهو الذي كتب في زمن الحرب تلك الفصول الشائقة التي ظهرت في كتاب لبنان عن الزراعة والصناعة في الجبل. وقد عُرف سليم باستقامتهِ ولزومهِ كل فرائض دينهِ وممارسته لسائر الفضائل المسيحية

ومن الادباء الذين فاجأتهم المنيَّة في العام المذكور (٢٥ ت ١ ١٩٢١) الكاتب البارع خليل طنوس باخوس من أُسرة باخوس الكريمة. ولد في غزير ودرس في مدرسة الاباء اليسوعيين التي سبقت كلية بيروت. ثمَّ تفرَّغ للكتابة وخدمة الآداب العربية فكان احد اساتذتها المقصودين يُقبلون اليهِ حيثما يدرّس. وهو الذي فتح المطبعة اللبنانية ونشر فيها كتباً ادبية مفيدة ثم انشأ جريدة الروضة فحررها سنين عديدة وكتب فيها

الفصول الرائقة باعتدال الطريقة وصَون كرامة الـدين ومن ماثره الحسنة روايتـهُ التمثيلية الحارث ملك نجران بالشعر ثمّ رواية دمتريوس معرَّبة

واضافت المنون الى الادباء المتوفين في ذلك العام الدكتور العالم اسكندر بك البارودي في ٢٥ ت٢ ١٩٢١ ولد في صيداء سنة ١٨٥٦ من عائلة من الروم الكاثوليك عدلت الى الروم الاورثذكس لخلاف حصل هناك. وتربّى اسكندر بك في المدارس الاميركية وفي جامعتها وحاز شهاداتها البيروتية فاتّبع الكنيسة الانجيلية. وانحـاز — سامحهُ الله — الى الماسونية فصار احد رؤساء محافلها. وكان الدكتور من الاطباء الحاذقين والكتبة الماهرين تشهد لهُ مجلّةُ الطبيب التي انشأها وادارها مع الدكتور پوست سنين طويلة وضمّنها مقالات مستجادة طبيَّة وادبية وتاريخية

ومن آثاره ايضاً كتابةُ السوار المحلى في تدبير الاعلّا وخير الاغراض في مداواة الامراض والنصائح الموافقة في سنّ المراهقة والمبادئ الصحيـة للاحداث وحياة الدكتور كرنيليوس فان ديك وكلُّها مطبوعـة ومماَّ لم يُطبع تاريخ الحثيين وتفسير لشرح ابن رشد لارجوزة ابن سينا ونشر فصوص الحكم للرازي ودعوة الاطباء لابن بطلان وساعد لساتذة الكلية الاميركانية في تعريب ونشر تآليفهم وكان قاضياً في محكمة استئناف جبل لبنان سنين طويلة ومؤسساً لجمعية الاطباء والصيادلـة ومن اعضاء الجمعيات العلميَّة والخيرية كانت وفاتهُ في سوق الغرب. فواروهُ التراب في مكين مع والديهِ. وللفقيد اخٌ من امّ أُخرى دخل جمعية الآباء المعازريين وهو اليوم مرسل غيور في رسالتهم الصينية

وفي السنة ١٩٢١ المذكورة ايضاً سبق الى الابديَّة الدكتورَ اسكندر بارودي استاذان بارعان خدما وطنها بالتعليم ونشرا فيهِ الآداب احدهما مارونيٌّ يوسف حرفوش والآخر اورثذكسي نخله زريق

توفي المرحوم يوسف حرفوش في ١٤ ك٢ ١٩٢١ ولهُ من العمر ٧٤ سنة. تلقّى العلوم في مدرسة الآباء اليسوعيين القديمة في بيروت ثمَّ اكملها في مدرسة ڤرسايل في فرنسة بعد حوادث الشام سنة ١٨٦٠ ثم عاد الى الوطن وعلَّم نيفاً واربعين سنةً في كليَّة القديس يوسف بهمَّة ودراية اقرَّ لها تلامذتهُ شاكرين. وكان فضلاً عن ذلك قدوتهم في ممارسة كلّ الفضائل المسيحيَّة وفرائضها. وقد أبقى من آثار قلمهِ

عدّة تآليف سهّل فيها على الشبيبة درس اللغة الفرنسويّة وقرّب درس اللغة العربيّة على الاجانب فصار اقبال عظيم على مصنّفاته نخصّ منها بالذكر ترجمانة العربي وتمارينه للترجمة من اللغة الفرنسيّة الى اللغة العربيّة والمراسلة التجاريّة ودليل المتكلّم وغير ذلك ممّا نُشر بعضهُ ولا يزال بعضهُ الآخر مخطوطاً كقاموسهِ للغة العاميّة

امّا المرحوم الاستاذ «نخله زريق» فكان احد اعضاء المجمع العلمي العربي الدمشقي. ولد سنة ١٨٥٩ في بيروت وتوفّي في القدس الشريف في ٢١ تموز ١٩٢١ كان من رجال النهضة الجديدة بخدمتهِ للآداب العربيّة بصفة كاتب واستاذ ولغوي. صنّف عدّة رسائل وقصائد متفرّقة تشهد لهُ بالبراعة وحسن الذوق. وقد علّم نيفاً وربع قرن في مدرسة المعلّمين في كليّة القدس الشريف الانكليزيّة وانتُخب بعد الحرب كعضو في تهذيب لجنة الكتب العسكريّة في المدرسة الحربيّة في دمشق فلم تطل فيها مدّتهُ حتى عاد الى القدس. وقد عُرف الفقيد بغيرتهِ نحو وطنهِ وبلزومهِ الاخلاق الوطنيّة ولغة الوطن وازيائهِ

وفي ٣ آذار من السنة ١٩٢٢ فُجع الوطن اللبناني باحد كبار رجالهِ المعدودين «ابراهيم بك ابو خاطر» كان مولدهُ في زحلة سنة ١٨٦٩ من اسرة روميّة كاثوليكيّة فاضلة. اخذ مبادئ العلوم في مدارس وطنهِ ثمّ تخرّج على نفسهِ في الآداب وظهرت مقدرتهُ في الكتابة والخطابة لمّا حلّ الاعلان بالدستور العثماني لسان الاحرار فاخذ يكتب ويخطب باسلوب يجذب اليهِ القلوب ويبعث الهمم لطلب الاستقلال الوطني. وقد نشرت لهُ الجرائد عدّة خطب ادبيّة وسياسيّة مستحسنة وانشأ في زحلة جريدتهُ الخواطر كتب فيها فصولاً بليغة زيّف في البعض منها مبادئ ڤولتير وجان جاك روسّو وقبّح الشيعة الماسونيّة ثمّ خلفهُ في ادارتها الوجيه موسى افندي نمور حتى بطلت في اوائل الحرب. وقد عرّضتهُ افكارهُ الحرّة وميلهُ الى فرنسة واعجابهُ باعمالها الى حقد الاتراك فقاسى في زمن الحرب محناً شتّى. وقد شغل المذكور عدّة مناصب جليلة في عهد المتصرّفين مظفر باشا واوهانس باشا وفي زمن الانتداب الفرنسوي الاخير فتعيّن ثلث مرّات لقائمقامية زحلة وقد عرف لهُ الوطن فضلهُ فاكرمهُ حيّاً وميتاً. كما ان فرنسة أعربت عن رضاها بمساعيهِ فعيّنتهُ كعضو في لجنة لبنان الكبير الاداريّة فخدمها اصدق خدمة

وفي ٢٢ آب ١٩٢٢ فقدت أسرة الشيوخ الدحداح الكرام رجلاً من افاضل وطنهِ لبنان المرحوم «الشيخ خطّار الدحداح» . كان مولدهُ في عرامون (كسروان) في ١٨ شباط ١٨٤٠ . وبعد ان درس العلوم في مدرسة عينطوره الشهيرة دُعي الى التعليم في معظم المدارس الوطنيَّة والاجنبيَّة كالمدرسة البطريركيَّة والكليَّة الاميركيَّة ومدارس الثلثة الاقمار وكفتين والوطنيَّة فتخرَّج عليهِ كثيرون من مشاهير الادباء. ثمَّ تولى مناصب مختلفة خدم بها الحكومة اللبنانيَّة اصدق خدمةٍ . وقد اشتهر الشيخ المرحوم بآدابهِ الراقية وبمصنَّفاتهِ المفيدة. فانَّهُ تولى مساعدة التحرير في المجلات والجرائد الوطنيَّة كالجنَّة والجنان والجنينة والمصباح. ومن اخصّ تآليفهِ تاريخ فرنسة الحديث الذي اكملهُ بعدئذٍ المرحوم سليم البستاني وطبعهُ . ثمَّ باشر بتصنيف تاريخ آخر اطول للدولة المذكورة لم يتمَّهُ . ولهُ روايات ادبية لم تزل مخطوطة سعى بتمثيلها على مسارح المدارس . الاولى من تآليفهِ وهي رواية يوسف الحسن ثمَّ ألحقها بثلث روايات اخرى عرَّبها نثرًا ونظماً للشاعرين النابغتين كورنيل وراسين اعني : اغوسطوس (او سينَّا) واستير وفيوجينا (افيجينية) . مُثلت الثلث الاولى في المدرسة الوطنية والرابعة في المدرسة البطريركية فاصابت استحسان العموم

وفي ٦ تموز ١٩٢٢ حصدت المنون بمنجلها كاتباً واسع الشهرة وهو في عزّ الكهولة نريد بهِ «فرح انطون» اصلهُ من عائلة اورثوذكسيَّة من طرابلس الشام وبها ولد سنة ١٨٧٤ درس في مدرسة كفتين وحوَّل فكرهُ منذ شبابهِ الى حرية الضمير واخذ يدرس تآليف الكتبة المتطرفين في آرائهم الدينيَّة والشيوعيَّة من فرنسويين وروسيين وجرمانيين كرينان وكرل ماركس وتولستوي ونيتشه فعشَّشت افكارهم في دماغهِ فصار يجاريهم في كتاباتهِ فهاجر الى مصر ثم الى الولايات المتَّحدة ثمَّ عاد الى مصر وهو لا يزال حيثما حلَّ يعالج المواضيع الاشتراكيَّة والديموقراطية المتطرفة المجرَّدة عن روح الدين لا يأخذهُ في كتاباتهِ ملَل بل تجاوز في ذلك كل حدود الفطنة دون مراعاة لصحَّتهِ وهو يشتغل ليلاً مع نهار حتى غلبت قواهُ فمات ضحيَّة غلوائهِ . اما تآليفهُ فهي كثيرة وكلها تشعر بافكارهِ الحرَّة منها عدَّة روايات خياليَّة ومشاهد تمثيليَّة (drames) عرَّب قسماً منها وألَّف القسم الآخر. وقد حرَّر مقالات جمَّة في عدَّة جرائد. وانشأ بالاسكندريَّة مجلَّتهُ الجامعة ثم واصل نشرها في الولايات المتَّحدة. وقد

اشتغل ايضاً بالفلسفة وان لم يكن من فرسان ميدانها وله ابحاث في فلسفة ابن رشد ونقل كتاب رينان في هذا الصدد كما انهُ عرَّب تأليف هذا الملحد المدعوّ «تاريخ المسيح» الذي هو احقّ ان يُدعى مسخاً منهُ تاريخاً بعد ان بيَّن العلماء الاثبات اغلاطهُ الفظيعة وأكاذيبهُ الشنيعة ومناقضاتهِ الواضحة فما كان اولى بانطون ان يضنَّ بشرفهِ ودينهِ عن نقل سفاسفهِ! . فيعزّ علينا ان نرى بعض حاملي الاقلام في بلادنا ينشرون بدون تعقُّل مبادئهم المستقبحة فيُلقون قرّاءهم في وهاد الالحاد وقعر الفساد وكان بوسعهم ان يهذّبوا عقولهم ويرقّوا اخلاقهم ويجعلوهم سنداً لوطنهم فيُبارَك اسم الذين ارشدوهم الى الصلاح ونكّبوا بهم عن جادَّة الضلال

وفي ايلول ١٩٢٢ بارح الحياة رجلٌ آخر من أدباء العصر «عبد المسيح انطاكي بك» مولود حلب في ١٦ شباط سنة ١٨٧٤ من اسرة روم اورثذكسيَّة . نشأ فقيراً إلّا انهُ بنشاطهِ وذكائهِ الفطري لم يزل يجاهد احوال الزمان ويطلب لهُ مقاماً بين الادباء حتى فاز ببغيتهِ وعُني اوَّلًا بالصحافة في وطنهِ ثمَّ في مصر الحرَّة فانشأ في حلب الشذور وفي مصر مجلة الشهباء ثمَّ العمران مراعياً في كتاباتهِ احوال الزمان . يناوي حيناً الاتراك وحيناً يجاريهم . يناضل اللامركزيَّة ويتَّحد مع رجالها . وهو لا يزال ينادي بالقوميَّة العربيَّة . ثمَّ ترك الصحافة وعُني بنظم الشعر فنال منهُ بعض الشهرة اذ تقرَّب بهِ الى الذوات بمدحهِ اصحاب الامر وارباب الدين وتجشّم الاسفار الى بلاد العرب فرحل الى اليمن والحجاز والعراق واجتمع بامرائهم ساعياً وراء تحقيق آمالهِ من نهضة العرب واسترجاع مجدهم . فقضى بعد حلّ وترحال وهو يداين الانقلابات التي حدثت في الجزيرة بسقوط ملك الحجاز وفوز ملك نجد ابن سعود . ولعبد المسيح انطاكي تآليف مختلفة منها ديوانهُ عَرف الخزام في مآثر السادة الكرام . ومنها كتابهُ نيل الاماني في الدستور العثماني ومطلع اليمن في تهانيَّ البطريرك كيرلُس الثامن جعلهُ خصَّ فيهِ تاريخ البطريركيَّة الانطاكيَّة ولاسيما الرومية الكاثوليكية . وكان عبد المسيح الانطاكي من انصار الاتحاد بين طائفتهِ الاورثذكسية وطائفة الروم الكاثوليك وقد اطرأ في هذا الكتاب اعمال الآباء اليسوعيين في هذا الشأن (ص ١٨ — ١٩) . وانشأ في المعنى نفسهِ مجلة الكنيسة الاورثذكسيَّة ولم يرضَ من خطة رؤسائها بعد ان سعى مع الوطنيين الى تحريرهم من العُنصر اليونانيّ . وللانطاكي ايضاً رواية بطرس الاكبر وغير ذلك . ودونك

مثالاً من شعرهِ قال يصف مواعظ الدهر:

دَعْ عنك انغام الطَرَبْ ومَلاهياً فيها الوصب
وانظر الى خَتْلِ الزما نِ محاذراً شرَّ الحَرَبْ
يعلو الدنيُّ بلُؤْمهِ ويذلُّ اربابُ الحسَبْ
كم من لبيبٍ عضَّهُ م الدهرُ بانياب النُّوَبْ
واخو الجهالة في الهنا يلتذُّ في ذاك النَّشَبْ
والموتُ فينا دائرٌ والناسُ طرّاً في لَعِبْ
ويلٌ لدهرٍ خائنٍ كم من عظيمٍ قد سلَبْ
يغتالُنا ويُبيدنا كالنار شبَّتْ في حَطَبْ

وفي ١٨ ت٢ ١٩٢٢ أسِفَ الوطن على فقيد عزيز المرحوم ﴿ داود بك عمون ﴾ وُلد في نيسان من السنة ١٨٦٩ في دير القمر وتخرَّج في العلوم والآداب في مدرستي عينطورة والحكمة. خدم دولة تونس الغرب مدَّةً وحظي برضى اربابها. ثمَّ تعاطى المحاماة في مصر فنال نجاحاً باهراً وأحرز لهُ سمعةً واسعة ثمَّ عاد الى الشام وانتُخب سنة ١٩١٤ عضواً بمجلس ادارة لبنان. ولمَّا أُعلن بالانتداب الفرنساوي كان داود بك من اكبر انصارهِ فأخلص الخدمة في سبيل توطيدهِ وتعزيز لبنان الكبير فأجمع مواطنوهُ على اكرامهِ حياً وميتاً وكان داود بك من الكتبة البلغاء والشعراء المجيدين. فمن قولهِ يذكر لبنان وهناء العيش فيهِ:

حبَّذا المصطافُ في جبلٍ ينطحُ الجوزاءَ بالقُنَنِ
موئلُ الاحرار من قِدَمٍ وأُباةِ الضَيمِ في زمنِ
ليس لبنانٌ لمكتسحٍ بضعيفِ العزم ممتهنِ

الى ان قال:

فبنو لبنانٍ أُسْدُ وغىً أُطلقتْ فيهم يدُ المحنِ
ليت ذا عزمٍ يضمُّهمُ ضمَّةَ الاعضاء في البدنِ
فيُعيدوا السابقات من المجدِ والعلياء للوطنِ
يا بني امي اذا حضرتْ ساعتي والطبُّ أسلمني

اجعلوا في الارز مقبرتي وانسجوا من ثلجهِ كفني

وفي ١٧ كانون الاوَّل من السنة ١٩٢٣ لبّى دعاء ربّهِ الاديب المرحوم «موسى صفير» صاحب مكتبة المعارف في بيروت ولد في القليعات (كسروان) سنة ١٨٦٥ ودرس في مدرسة الروميَّة وعينطوره وفي مدارس الفرير واليسوعيين وانشأ مكتبة المعارف فخدم بها الآداب. كان من الكتبة المجيدين والشعراء المحسنين حرَّر في جريدة الروضة ونشر عدَّة قصائد متفرِّقة وصف فيها اصحاب المراتب الدينيَّة والوطنية والاحوال الجارية. وعلَّم مدَّة في مدارس بيروت ونشر بعض الكتب المدرسية كدرجات القراءة ومبادئ العربيَّة ودليل الاحداث وترقي الصغار في دروس الاستظهار وغير ذلك ممَّا لم يُنشر بعد

وفي اوائل السنة ١٩٢٤ هصرت المنون غصناً من الدوحة اليازجية في مصر نريد بها السيِّدة «وردة اليازجي» ابنة الشيخ ناصيف كان مولدها في كفرشيما سنة ١٨٣٨ فدرست في بيروت في مدرسة البنات الاميركية وأخذت الآداب العربية عن والدها فبرعت فيها وصارت تصنِّف الرسائل والقصائد في زمن لم يُعهَد ببنات جنسها شيء من ذلك. وبعد وفاة زوجها الاستاذ فرنسيس شمعون انتقلت الى مصر وعُنيت بالكتابة ونظم القصائد. ومن آثار قلمها في الضياء مقالة في تعريف المرأة الشرقية. وقد طُبع ديوانها الصغير الحجم اللطيف النظم افتتحتهُ بابيات وجَّهتها الى سميَّتها وزميلتها في الادب وردة ابنة الشاعر نقولا الترك اوَّلها :

يا وردةَ التُّركِ انّي وردةُ العَرَبِ   فبيننا قد وجدنا اقربَ النَّسَبِ
أعطاكِ والدكِ الفنَّ الذي اشتهرَتْ   ألطافهُ بين اهلِ العلمِ والادبِ
فكنتِ بين نساء العصر راقيةً   اعلى المنازل في الاقدار والرُّتَبِ

وقد امتازت خصوصاً بمراثيها فمن ذلك ما قالتهُ في رثاء البطريرك مكسيموس مظلوم :

يا ايُّها الحبرُ الجليلُ مقامُهُ   هل بعدَ فَقْدِكَ غيرُ دمعٍ جارِ
للهِ يومُكَ في الانامِ فانَّهُ   ابقى لنا حزنًا مدى الادهار
يا بدرَ تمٍّ غابَ عنَّا في الثرى   ما كان ذلك عادة الاقمار

حسدتْهُ افلاكُ العُلى وتحسّرت لو أنّهُ في طيّها متَوارِ
ويلاهُ مَنْ أبقيتَ بعدكَ راعياً يرعى الرعيّةَ حيثُ يرضي الباري
مَن للمنابر والهياكل والحجى والمشكلاتِ وغامضِ الأسرارِ
قد سرتَ عن دار الفناء مجاوراً دارَ البقاء فنلتَ خيرَ جوارِ

وقالت تودّع سليمان بك البستاني لمّا انتُخب بعد الدستور عضواً لمجلس النوّاب عن بيروت :

أخلِقْ ببيروتَ دار العلمِ من قِدَمٍ أن تصطفيك على الايّام مِعْوانا
فانّه لمّا ارتأى إعلانَ حكمتهِ ما اختارَ من شعبهِ إلّا سليمانا

وفي كانون الثاني من السنة ١٩٢٤ خسرت الجالية السوريّة في البرازيل احد ادبائها الاستاذ «نعمة يافت» مولود الشوير سنة ١٨٦٠ . تعلّم في وطنـهِ مبادئ العلوم ثمّ اتمّها في الجامعة الاميركيّة فامتاز فيها بين اقرانهِ بالعلوم الرياضيّة والطبيعية فنال شهادتها بل نُدب الى تدريس تلـك العلوم فيها ثمّ علّم في مدرسة طائفتـهِ الاورثذكسية المعروفة بالثلثة الاقمار . وفي السنة ١٨٩٣ هاجر الى البرازيل وتعاطى التجارة فربح بدرايتهِ وحسن معاملاتهِ ثروةً كبيرة انفق قسماً منها في عمـل الخير . وكان هناك من انصار الآداب القومية يُدعى الى حفلاتها فيخطب ويباحث بكل معرفة وأدب الى آخر حياتهِ فمات مأسوفاً عليه

وفي اوائل شهر آب ١٩٢٤ توفيت في نيويورك كاتبة اصابت بقلمها بعض الشهرة وهي السيّدة «عفيفة كرم» من عائلة كرم المارونيّة ولدت في عمشيت سنة ١٨٨٣ واقترنت بالزواج بالسيد كرم حنا كرم وهاجرت الى اميركا فكتبت عدّة مقـالات في جريدة الهدى ثمّ اصدرت مجلّة العالم الجديد النسائيّة ولها من تآليفهـا روايات كغادة عمشيت وفاطمة البدويّة . وعربت غيرهـا كملكيّة يوم ومحمّـد عليّ . فكانت من النساء المساعدات على ترقية بنات جنسها تأخذ عليها بعض الانتقادات الباطلة على الدين وذويهِ

وفي غرّة حزيران سنة ١٩٢٥ نُعي الينا من نيويورك بمزيد الاسف رجل الادب والعلم والسياسة كبير اسرتهِ الوزير «سليمان البستاني» ولد في بكشتين من قرى الشوف في ٢٢ أيار سنة ١٨٥٦ ودرس على افاضل اسرتهِ كالطيّب الذكر السيد عبد الله

البستاني والمعلم بطرس منشئ المدرسة الوطنية وما لبث ان نبغ في علومهِ حتى رأى نفسهُ قديرًا على التأليف فاشتغل مع انسبائهِ في صُحُفهم ودائرة معارفهم . ثمَّ ساح في البلاد فطاف العراق وجزيرة العرب جنوباً وشمالًا واجتمع بقبائل البادية فدرس الاخلاق ووسَّع نطاق معارفهِ وهو يشتغل تارة بالتجارة وتارة بالتعليم ويدوِّن ملحوظاتهِ فينشرها بالمجلّات او يحفظها لتآليف ينوي تصنيفها . وتردّد بعد ذلك الى مصر والاستانة فتقرب من اشرافهما ونال امتيازات الدولة العثمانيَّة ومناصبها الشريفة كندوب مجلس المبعوثان وعضو مجلس الاعيان ووزير وممثل للسلطنة في البلاد . وتجوَّل في انحاء اوربَّة وهو في كل مكان موضوع اعتبار الجميع لِما تجلى بهِ من الاخلاق الراقية والآراء الراجحة وروح الدين حتى انهى حياتهُ في اميركة بعد ان اشتدَّت عليه وطأة المرض في مصر وتألم من داء عينيهِ فالتمس الشفاء في الولايات المتحدة . وقد نشر الاديب فؤاد افندي افرام البستاني ترجمتهُ المطوَّلة في المشرق ٢٣ [١٩٢٥] : ٧٧٨ ; ٨٢٤ ; ٩٠٨ . امَّا تآليفهُ التي خدم بها الآداب العربيَّة فلا يجهلها احد واعظمها شأناً ترجمتهُ لالياذة هوميرس بالشعر العربيّ المتين (١) وقدَّم عليها درساً جليلًا في تعريفها وفي الشعر العربي وآدابهِ . ومن آثارهِ كتابهُ عبرة وذكرى وصف فيهِ احوال الدولة العثمانية قبل الدستور وبعدهُ . ولهُ متفرّقات شتى كمقالات في المجلات والجرائد وكقصيدتهِ الداء والشفاء وبحثهِ في الاختزال ومخطوطات تاريخية نتمنى ان يَنشرها انسباؤهُ

وفي ٨ آب ١٩٢٥ توفي «الدكتور سليم بك عطيَّة» وُلد في صافيتا سنة ١٨٧٣ وتخرَّج في الكلية الاميركية في بيروت ودرس فيها الطبّ واكمل دروسهُ في جامعة بلتيمور في الولايات المتحدة ثم انتظم في سلك الجيش المصري لمَّا فُتحت بلاد السودان فخدم الحكومتين المصريَّة والبريطانية وتولى هناك ادارة المستشفيات العسكرية بكل نشاط وحسن تدبير . وكان في اثناء عملهِ يكتب المقالات المستجادة عمَّا يلحظهُ في تلك البلاد فتُنشر في المجلّات الاجنبيَّة . وكان يحسن الكتابة في لغتهِ الوطنية نثرًا ونظماً ويُروى لهُ عدَّة قصائد صنف بعضها بالشعر العامي بكل سلامة ذوق

وفي اوائل ذاك الشهر من السنة عينها نَشبت المنون احدَ ادباء الروم الاورثذكس في الثغر «وديع ابو رزق» كان كاتباً ضليعاً حرَّر في الجرائد الوطنية نثرًا ونظماً

١) اطلب في المشرق ٧ [١٩٠٤] : ٨٦٥ الخ) درساً واسعاً على هذه الترجمة

وقد فقدت الآداب في عامنا الماضي بعض رجالهِ المعدودين اخصّهم الكاتب الاديب الشهير «سليم سركيس» الذي رُزئ بوفاتهِ حَمَلةُ الاقلام لما أنسوهُ من تفننهِ في الكتابة توفي في ٣ ك٢ ١٩٢٦ . كان مولدهُ في بيروت في ١١ ايلول ١٨٦٩ فورث عن والدهِ المرحوم شاهين حبّ الآداب. وبعد أن تخرّج في المدرسة الوطنية ومدرسة عين زحلتا تعاطى فنّ الصحافة فبرع فيها وكتب زمناً طويلاً في جريدة لسان الحال. لهُ فيها مقالات رنَّانة. ثمَّ ساح في اوربَّة فأنشأ في لندن جريدة «رجع الصدى» وفي باريس «كشف النقاب» مع صديقهِ الامين ارسلان. ونشر في مصر جريدتهُ المشير التي أثار فيها غضب الدولة التركية حتى حكمت عليهِ بالاعدام غيابياً ولم يسكت عن بعض اعمال الدولة الالمانية فنالهُ بعض اذاها . ثم رحل الى اميركا فانشأ الراوي والبستان وعاد الى مصر فانشأ مرآة الحسناء. وختمها بمجلة سركيس فثبت على نشرها من السنة ١٩٠٥ الى آخر حياتهِ. وهو لم يزل يكتب ايضاً في جرائد مصر الكبرى كالمؤيد والاهرام وفي كلّها ما يُشعر بخفَّة روحهِ وفكاهة نفسهِ ولزومهِ الصدق في الكتابة . ومن آثارهِ وصفهُ لمراقبة المكتوبجي في بيروت ايام الاستبداد ومقالاتهُ « في الزوايا خبايا » نقَدَ فيها بعض اعمال الارسالية الاميركانية. وكتاب سرّ مملكة وغير ذلك ممَّا كان يُسرّ بطرائفهِ القرّاء. وهو لا يبالي بانتقاد ولو شطَّ ببعض كتاباتهِ

وفي آخر ك٢ ١٩٢٦ ايضاً توفي في بوغوتا كولمبية احد المهاجرين اليها المرحوم «الياس ناصيف رزق» تخرّج في كليتنا البيروتية في الآداب العربية والفرنسوية وانس من نفسهِ الميل الى الكتابة فأنشأ مقالات نثريَّة وشعرية استحسنها الناس في الوطن والمهجر. وبرع ايضاً في اللغة الاسبانية واصاب في المهجر ثروة كبيرة بما انشأ من الدوائر التجاريَّة

وفي ١٩ آذار ١٩٢٦ لبى دعوة ربهِ «الدكتور حبيب الدرعوني» بعد ان استعدَّ لآخرتهِ استعداد الابرار فختم حياتهُ بالصلاح كما قضاها بالبرّ وعمل الخير. ولد المرحوم في زحلة وتلقَّى العلوم الادبية والطبيَّة في كليتنا البيروتية فكان من انجب وافضل طلبتها. وقد زاول فنّ الطب بكل نشاط ونزاهة ومحبَّة خاصَّة للفقراء . وعُني مدَّة في مكتبنا الطبي بمعالجة داء الكلَب . وكان الدكتور كاتباً بارعاً يُحسن الكتابة بالعربيَّة والافرنسيَّة لهُ فيها عدَّة آثار منها ما نشرناهُ في مجلة المشرق . وكان ينظم

الشعر ايضاً فن ذلك نظمهُ لقسم كبيرٍ من كتاب الاقتداء بالمسيح اطلعنا على بعض فصولهِ الشائقة

وفي ٣١ تموز من هذه السنة الاخيرة وقع في ساحة القتال مأسوفاً على شبابهِ «عادل افندي النكدي» على اننا تمنّينا لو لم يبارح الحياة في جملة مواطنيهِ الدروز الثائرين على الانتداب اذ قُتل في احدى الوقائع التي جرت في غوطة دمشق. ولد عادل سنة ١٨٩٦ في اعبيه وتخرَّج في مدرستها ثمَّ اكمل دروسهُ في مدرسة بيروت العلمانية ونال شهادتها ودخل سنة ١٩١٤ مدرسة الحقوق الفرنسوية في بيروت ولم يتمّها إلّا بعد الحرب الكونيَّة في القاهرة اوَّلاً ثم في لوزان (سويسرة) فنال شهادتها كمأذون ثم كدكتور وذلك في اوائل العام المنصرم. وكان عادل مشبعاً من افكار الحرية والاستقلال فلما بلغتهُ اخبار ثورة الدروز في حوران انتظم في سلكهم وصار احد زعمائهم فقطعت المنيَّة غصن حياتهِ لدناً. وكان عادل متعمقاً بالآداب العربية يكتب ويخطب وينشئ المقالات الواسعة. وقد نقل من الافرنسية كتاب اتيان فلاندان في النظامات السياسيَّة في اوربة الحالية فنشر قسمهُ الاوَّل. وعرَّب ايضاً كتاب تربية الاحداث وكتاب الاصول الاداريَّة في الاسلام مع عدَّة مقالات سياسيَّة وادبيَّة في الصحف الوطنية والاجنبية

وممن استأثر بهم الله في تلك السنة احد ادباء الوطن الاستاذ «شاكر عون» وُلد سنة ١٨٤٥ وأُرسل بعد جوادث سنة ١٨٦١ الى مدرسة ڤرسايل الثانوية فبرع في علومها كالاستاذ المرحوم يوسف حرفوش. ثمَّ دُعي بعد رجوعهِ الى بيروت الى التدريس في المدارس الوطنيَّة فقضى سنين طويلة في التعليم بمدرسة الحكمة ثمَّ علَّم في مدرسة الشيخ عبَّاس وكان احد اعضاء الجمعيَّة المارونية العلمية. ومن آثاره تعريبهُ لكتاب خطبة التاريخ العام لبوسويت مع الشيخ عبدالله البستاني. وانشأ مجلة النديم وكتب في جريدة الروضة. ولهُ مقالات متينة في فروع الآداب والمسائل الاجتماعية. توفي في ٢٢ ت ١ ١٩٢٦

وآخر من نذكرهُ في هذه الحقبة وطنيٌّ ذائع الصيت من ارباب اليراع الناثر الشاعر «طانيوس عبده» توفي في بيروت في ٢ ك ١ ١٩٢٦ في مستشفى القديس جاورجيوس. اثرَ مرضٍ جاء من مصر ليتداوى منهُ في وطنهِ. كان المذكور من ادباء

القرن الحالي المشار اليهم بالبنان لوفرة مصنفاتهِ الادبية. نشر مقالات بليغة في الصحف وانشأ صحيفة الراوي ثمَّ مجلة الشرق وألَّف عدَّة روايات وعرَّب غيرها. فاقبل عليها الادباء لحسن انشائها وجودة سياقها وقد اشتهر خصوصاً بالشعر الرائق. فجمع منهُ قسماً جناب صديقنا انطون الجميّل فنشر جزءهُ الاوَّل في مصر تحت عنوان ديوان طانيوس عبده. وفي هذا المجموع حسناتٌ عديدة صورةً ومعنًى قد تفنن فيهِ الشاعر ما شاء. دونك مثالًا من شعره في وصف لبنان:

لبنانُ أنتَ قوَّة الضعيفِ ... وملجأ الخائف والملهوفِ
ومستقرُّ العابد المكوفِ ... في البرد والربيع والخريفِ
اماَّ المصيف فهو شيء ثاني

كل جبالِ الارض مها تعلو ... فانها لِأَخمَصَيكَ نعلُ
قد قدَّستك الانبيا من قبلُ ... وقد مشت قِدمًا اليك الرسلُ
تستنزلُ الوحيَ من الرحمانِ

سبحان من أرساك يا لبنانُ ... فليس زلزالٌ ولا بركانُ
فيك ولا غيضٌ ولا طوفانُ ... بل كلُّ ما فيك هو الامانُ
وطيّب الآمال والاماني

وقد رثاهُ الشاعر الرقيق الياس افندي فيَّاض بقصيدة موثّرة اوَّلها:

لا تبكهِ فاليومَ بدءُ حياتهِ ... انَّ الاديبَ حياتُهُ بمماتهِ

الباب الثاني

في المستشرقين المتوفين في هذه الحقبة الثالثة

الفرنسويون

فقدت رسالتنا في الاسكندريَّة في ١٤ شباط ١٩١٩ احد مرسليها المنقطعين للدروس الشرقيَّة والآثار المصريَّة الاب «جول فيفر» (J. Faivre) درس تاريخ الاسكندريَّة ونشرهُ في دائرة العلوم التاريخيَّة الكنسيَّة (Dict. d'Hist. Ecclésiastique) ولهُ كتاب في آثار كانوپ (ابو قير) وخرائبها راجع المشرق ٢٤ [١٩٢٦: ٨٩٩] ولهُ منشورات عن مصر وآثارها النصرانيَّة

وفي ٢٦ شباط من السنة التاليـة ١٩٢٠ لحق الى الابديّة المستشرق الفرنسوي «مرسال ديولافوا» (M. Dieulafoy) قرينتهُ جانّ السابق ذكرها (راجع الصفحة ٧٩ـــ٨٠) توفي في باريس وعمره ٧٦ سنة . قضى مـع زوجتـهِ سنين طويـلة في الاسفار الى مصر والجزائر ومرّاكش وبلاد الشام والعجم وفيهـا تولى الحفريات ووصف آثارها في عدَّة مجلَّدات في عهد قدماء الفرس وفي زمن بني ساسان . وله تآليف في مرّاكش وفي رباط واشتغل بآثار البابليين والكلدان . ودرس اسفار التوراة كسفر استير وسفر دانيال واسفار الملوك ليطبّق معلوماتها على ما اكتشفهُ بابحاثهِ الخاصَّة . وكانت قرينتهُ تشاركهُ في كل هذه الاعمال بل خدم كلاهما في حرب فرنسة والمانية سنة ١٨٧٠ وتطوَّعا في خدمة وطنها في هذه الحرب الاخيرة . فكانا نفساً واحدة في جسمين منفردين

ومُنيت فرنسة بفقدان مستشرق آخر تبع مرسال ديولافوا الى القبر فتوفي بعده بثلاثة اسابيع المرحوم «هنري پونيون» (H. Pognon) . ولد سنة ١٨٥٣ وتوفي في شمباري في ١٦ آذار ١٩٢١ . انكبَّ منـذ شبابهِ على درس اللغـات الشرقيَّة كالعبرانيَّة والعربية والسريانيَّة والبابلية وكان اوَّل من درَّس اللغة الاشوريَّة في مدرسة باريس العليا سنة ١٨٧٨ . وتعيَّن كقنصل دولتهِ في طرابلس الغرب ثمَّ في بغداد . فكان بعد قيامهِ بواجبات منصبهِ يصرف كل زمانهِ في نشر الآثار الشرقية التي خلَّف منها عدداً وافراً . فمن ذلك تأليفهُ الفريد في الآثار الساميَّة المكتشفة في الشام وفي ما بين النهرين وجهات الموصل . وهو الذي نشر كتابة نبو كدنصَّر التي وجدها في لبنان في وادي بريسا . ودرس ديانة الصابئة والآثار المندائية والكتابات الآرامية المكتشفة في جزيرة إليفنتين وله منشورات اخرى سريانية واشوريَّة

وفي السنة ١٩٢٢ في ٢١ نيسان وقعت وفاة احـد كبار الأثريين المستشرقين المنسيور «لويس دوشان» (L.Duschesne) توفي في رومية في ٢١ نيسان ١٩٢٢ . كان مولـدهُ سنة ١٨٤٣ . درس العلوم الدينيَّة في المدرسة الرومانية العليا لـلآباء اليسوعيين في رومية . فتعرَّف بالاثريّ الكبير الكونت دي روسّي فمـالت اهواؤهُ الى الآثار النصرانية القديمة فأولع بها . فمَّا نشرهُ الكتاب الجليل المعروف بالكتاب الحبري (Liber Pontificalis) المتضمّن سيَر قدماء البابوات . ومن تآليفهُ كتاب في

اصول مبادئ النصرانية وطقوسها. ولهُ ايضاً كتاب في الكنائس الشرقية المنفصلة. وتاريخ الكنيسة في القرن السادس. وتعيَّن المنسنيور دوشان رئيساً للمدرسة الفرنسوية الاثريَّة في رومية منذ السنة ١٨٩٥. وقد نشر في المجلات العلمية مقالات ممتعة في عدَّة ابحاث شرقية اثرية. وقد أُخذ عليهِ بعض الغلوّ في بسط آرائهِ الخاصَّة

وفي شهر نيسان ايضاً من هذه السنة ١٩٢٢ أسفت كلية الجزائر الفرنساوية على وفاة احد رؤسائها الذي خصَّ نفسهُ بإدارة دروسها العربية المرحوم «جورج دلفين» (J. Delphin). بعد ان رسخت قدمهُ في معرفة اللغة العربية باشر بتدريسها في مدرسة وهران ثمَّ انتدبتهُ الحكومة الى ادارة مدرسة الجزائر والى نظارة مدارسها الوطنية ودرس لهجات تلك البلاد ولغاتها العاميَّة وعُني بترقية المسلمين الادبية واكتسب ثقتهم بأنسهِ ونشر عدَّة ابحاث عن الإسلام في الجزائر. ولهُ كتب مدرسية عديدة تسهيلاً لدرس العربية على مواطنيهِ. ومن منشوراتهِ تاريخ الباشاوات العثمانيين في الجزائر منذ السنة ٩٢١هـ الى ١١٥٨ (١٥١٥ـ١٧٤٥م) والمقامات العاولية في اللهجة المراكشية. ونشر في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٨٩١ كتابهُ جامع اللطائف وكنز الخرائف

وكما الجزائر فجعت ايضاً تونس في السنة ١٩٢٢ بوفاة مستشرق آخر فرنسوي المرحوم «لويس ماشويل» (L. Machael) تولى زمناً طويلاً ادارة مدرسة تونس وعلّم فيها العربية وصنّف لها عدداً وافياً من الكتب المدرسية كدليل الدارسين ومنتخبات تاريخية وادبية. وعُني بتكرار غراماطيق البارون دي ساسي بعد نفوذهِ وانقن ايضاً لهجات العامَّة في تونس ومراكش ونشر فيها روايات فكاهية. وكان استظهر منذ صغره القرآن على احد اساتذة الجزائر وقد خلّف معجماً كبيراً عربياً وافرنسياً تنوي الحكومة في نشرهِ لوفرة موادهِ. وكان المذكور حرّ الافكار لا يكترث لدينهِ لتربيته صغيراً في مدارس لادينية فطلب ان يُدفن دفناً مدنياً

أُصيبت الآثار الشرقيَّة في ١٦ شباط ١٩٢٣ بوفاة رجل خدمها نيفاً وستين سنة العلّامة الاثري «شرل كلرمون غانو» (Ch.Clermont-Ganneau) حلَّ اجلهُ في باريس وفيها كان مولدهُ سنة ١٨٤٦. وجَّه نظرهُ منذ شبابهِ الى الدروس الشرقيَّة فدرس العبرانيَّة والعربية وترشَّح للمناصب القنصليَّة في انحاء الشرق فخدم دولتهُ

كترجمان ثمَّ كقنصل في القدس الشريف ثمَّ في الاستانة ثمَّ في يافا . وتجوَّل في مصر والشام والاناضول واليونان وتولى حفريَّات عديدة ودرس عاديَّاتها . وقد تفرَّد خصوصاً بوصف عاديَّات الشام وفلسطين . وكان اوَّل ما اذاع صيتهُ في عالم العلم اكتشافهُ لكتابة مشا ملك مواب الراقية الى القرن التاسع قبل المسيح المكتوبة بالحرف العبراني ففسَّرها كلرمون غانو سنة ١٨٦٩ . ثمَّ اكتشف سنة ١٨٧١ الكتابة اليونانيَّة التي كانت في حَرَم هيكل اورشليم وهي تحظّر على كل اجنبيّ الدخول للهيكل تحت طائلة الموت . ثمَّ تعدَّدت بعد ذلك اكتشافات ومنشورات كلرمون غانو . وتبلغ قائمة تآليفهِ عشرين صفحة ناعمة . نخصّ منها بالذكر مجموعتهُ «دروس اثريَّة شرقيَّة» ومجلتهُ «مجموعة آثار شرقية» في ثماني مجلَّدات . ومن تآليفهِ الممتعة كشفهُ الستار عن الآثار المزوَّرة وكتابهُ «فلسطين المجهولة» . ولهُ فضل كبير على وطننا بابحاثهِ العديدة عن كلّ عاديَّاتنا الفينيقيَّة والعبرانية والعربية والسريانية

وفي ٦ تشرين الاوَّل من هذه السنة ١٩٢٣ بارح الحياة في عزّ كهولتهِ المرحوم «موريس پيزار» (M. Pézard) الذي مشى على آثار كلرمون غانو فتخصَّص بدرس الآثار الشرقية . ساح في العجم وألَّف كتابةً عن عاديَّات شوشن مع المسيو پوتيه . ثمَّ أتى سوريَّة بعد الحرب فباشر الحفريَّات في قدَس مدينة الحثّيين في انحاء مدينة حمص فوقف على كثير من عاديَّاتها في السنتين ١٩٢١ و١٩٢٦ . وكان نشر قبل ذلك سنة ١٩٢٠ كتاباً بديعاً في خزفيَّات الاسلام القديمة واصلها . وقبل وفاتهِ بقليل نشر مقالة واسعة عن كتابةٍ للفرعون سانّي الاوَّل ومقالات غيرها

وفي اوائل كانون الثاني من السنة ١٩٢٤ علمنا بمزيد الاسف بوفاة احد انصار الدروس العربية المرحوم «رينه باسه» (R. Basset) . كان مولدهُ سنة ١٨٥٥ . واذ بلغ بعد دروسهِ الثانويَّة السنة الثامنة عشرة من عمرهِ وقعت في يدهِ كتابة قديمة لم يعرف شيئاً من امرها فقيل لهُ انها كتابة عربية فكان ذلك داعياً لدرسهِ تلك اللغة ونبوغهِ فيها ولم يقصر نظرهُ عليها بل اراد ايضاً ان يتقن بقية لغات الشرق كالفارسية والتركية والحبشية والقبطية فاصبح من اكبر اللغويين العصريين . الَّا انهُ تخصَّص بالعربية وباللغات الساميَّة لاسيما مذ عُهد اليهِ تدريس العربية في مدرسة الجزائر العليا سنة ١٨٨٢ . ثمَّ تولى تدبير المدرسة فبلَّغها مقاماً ممتازاً وتعلَّم لغة البربر الساكنين في جبال

الجزائر. وللمسيو باسه تآليف عديدة تنبئ بسعة معارفهِ للشرق العربي والاسلامي منها تاريخية ومنها ادبية ومنها لغوية ولهُ وصف رِحلٍ تجشمها الى تونس والى السنيغال. ومن تآليفهِ مجموعة «ألف حكاية وحكاية» في عدة مجلدات منقولة الى الافرنسية سبق لنا وصف مجلدين منها. ونشر تاريخ الحبشة لشهاب الدين احمد بن عبد القادر المعروف بعرب فقيه مع ترجمتهِ الى الافرنسية. ولهُ مقالات متعددة في المجلات الشرقية في فرنسة وفي الجزائر وتونس وفي دائرة العلوم الاسلامية. وكتب في الشعر العربي الجاهلي

وكان رينه باسه ابنٌ «هنري باسه» (H. Basset) يعدُّهُ ليكون خلفهُ في دروسهِ الشرقية فلم يعش بعدهُ إلّا سنتين فتوفي في ١٣ نيسان ١٩٢٦ في رباط في الثالثة والثلثين من عمرهِ. كان خدم وطنهُ في الحرب فذاق مرارتها ثم تخصص بعدها بدرس الاسلام في كل مظاهره التاريخيّة والاثرية والاجتماعية. وتولى بعد ابيهِ نشر دائرة الاسلام الافرنسية. ولهُ ايضاً تاريخ آداب قبائل البربر. وبهمّتهِ انشئت سنة ١٩٢١ مجلة الدروس المراكشيّة والبربرية المعروفة باسم هسپريس (Hespéris)

وفي اواخر السنة ١٩٢٣ كانت وفاة هنري سلادين (H. Saladin) الذي اشتغل مع المسيو ميجون في الكتاب النفيس المعنون بدليل الصناعة الاسلامية. وكان قبل ذلك نشر سنة ١٨٨٨ كتاباً حسناً عن عاديات تونس

في الاسبوع الاول من كانون الثاني ١٩٢٤ خسرت فرنسا إمام علمائها بالمسكوكات القديمة «ارنست بابلون» (E. Babelon) كان اليهِ مرجعهم في معرفة النقود العتيقة. نذكر منها دليل مسكوكات سورية والارمن ودليل النقود العجميّة ولهُ دليل ثالث في الآثار الشرقيّة. ولد سنة ١٨٥٤ ثمَّ تضلّع من علم اللغات الساميّة وتجوّل في الشرق متخصصاً بآثاره ومسكوكاتهِ فنبغ فيها وتآليفهُ تبلغ عدّة مجلدات

ومن مناعي السنة ١٩٢٤ العلّامة «جاك دي مورغان» (J. de Morgan) توفي في اواسط تلك السنة مخلّفاً لهُ ذكرًا طيباً في عالم العلوم الشرقية لاسيا الاثريّة. وكفاهُ فخرًا ما تولّاهُ من الحفريات في العراق والعجم. فاليهِ يعود الفضل لاكتشافهِ في شوشن شرائع حمورابي الراقية الى اوائل الالف الثاني قبل المسيح. واكتشف مسلّة الملك البابلي نارام سين وتمثال الملك نابير اسو وآثارًا اخرى عديدة للعيلاميين ترين اليوم

متحف باريس وغيرها . وقد نشر كثيراً من تلك الآثار مع العلّامة الاب شيل الدومنيكي . وله تاريخ الازمن وتآليف في عاديّات مصر وفي اصول الشعوب وآثارهم السابقة للتاريخ . وقد اعتزل الاشغال في اواخر حياتهِ لِما وجدهُ من المعاكسة في بعض زملائهِ فمات خاملاً

وممَّن نشبت فيهم المنون مخالبها منذ عهد قريب الاستاذ المستشرق «بول كازانوڤا» (P. Casanova) الذي توفي في ٢٤ آذار ١٩٢٦ درس اللغات الشرقية في مكتب باريس المختصّ باللغات الشرقية الحيَّة ونال شهادتها . ثمَّ علَّم العربية وآدابها في جامعة فرنسة سنة ١٩٠٩ بعد ان أُسند اليهِ في مصر بصفة نائب مدير معهد الآثار الشرقية الفرنساوي . وكانت الجامعة المصريَّة انتدبتهُ ليلقي فيها دروساً شرقية سنة ١٩٢٥ فلم تطل مدَّتهُ وتوفي وهو مستعدّ ليأتي بيروت ويحضر مؤتمرها الاثري مع عالم آخر جورج بنديت (G. Bénédite) فتوفي كلاهما في اسبوع واحد . وللموحوم كازانوڤا من التآليف ترجمة المقريزي لوصف مصر وترجمة تاريخ ابن خلدون في قبائل البربر . وكتاب في محمَّد وآخر العالم . وكان المرحوم مولعاً بعلم النقود القديمة الاسلامية وبآلات العرب الرصديَّة وبمكاييلهم وموازينهم . وقد رددنا عليهِ في بعض تطرُّفهِ

وكان آخر من فُجعت بهِ الآداب العربية وذلك في ٢ك ٢ السنة ١٩٢٧ المستشرق الممتاز «كليمان هوارت» (Cl. Huart) الذي أدَّى للعلوم العربيَّة خدماً مشكورة . ولد في باريس في اواسط شباط سنة ١٨٥٤ وانكبَّ منذ شبابهِ على الدروس الشرقيَّة لهُ عدَّة تآليف تركيَّة وفارسيَّة . وممَّا خدم بهِ اللغة العربية خصوصاً كتابهُ في الآداب العربية سنة ١٩٠٢ ثمَّ تآليفهُ في تاريخ العرب في مجلَّدين (١٩١٢) ثمَّ نشرهُ وترجمتهُ لكتاب البدء للمقدسي في ستَّة مجلَّدات (١٨٩٩ــ١٩٠٩) وتاريخ بغداد في القرون المتأخرة (١٩٠١) وكتاب في الخطوط العربية وتزيينها بالمينا في الشرق الاسلامي (١٩٠٨)

نضيف الى هؤلاء اثنين من آباء كليَّتنا الاب «فرنسيس تورنبيز» (Fr. Tournebize) والاب «لويس بولوموا» (L. Bouloumoy) . خدم الاوَّل الآداب الشرقيَّة بعدَّة مصنَّفات اخصُّها تاريخ مطوَّل لارمينية السياسيَّة والدينيَّة (١٩١٠) ثمَّ

الكنيسة الرومية الارثذكسية والاتحاد ثم مقالات عديدة علمية ودينية وتاريخية عن الارمن والدروز والرسالات الشرقية وتراجم بعض المرتدّين الى الكثلكة او بعض مشاهير الرجال توفي في ١١ آذار ١٩٢٦ . اما الثاني فكان احد اساتذة الطبيعيّات في المكتب الطبي الفرنساوي تخصَّص بعلم الميكروبات وعلم النبات . لهُ في هذا العلم الاخير كتاب نفيس وصف فيهِ نبات الشام بناء على ما جمعهُ من اصنافهِ في لبنان ومستنبتهِ الشهير (المشرق ١٦[١٩١٣]:٢٧٧). طُبع حديثاً في باريس

المستشرقون الانكليزيون

تأسّف المستشرقون غاية الاسف على وفاة احد اشراف الانكليز «السر شرل جيمس ليال» (Sir Ch.J. Lyall) رافع لواء العلوم الشرقية في وطنهِ منذ نيف وخمسين سنة . وقد عُني بسائر العلوم الشرقية لكنه امتاز خصوصاً بمنشوراتهِ العربية فنشر وترجم مجموعاً من شعراء العرب القدماء. وشَرْح المعلّقات للتبريزي ودواوين عبيد بن الابرص وعامر ابن طفيل وعمرو بن قميئة . ونشر في مطبعتنا ديوان المفضَّليات للضّبي مع شروحها وتذييلها بالملحوظات اللغويَّة والادبيَّة وترجمتها الى الانكليزية وفهارسها . ولهُ مقالات ممتعة في كل آداب الشرق في المجلة الاسيوية الانكليزية التي كان احد رؤسائها وفي دائرة المعارف الدينيَّة والاخلاقية وغيرهما توفي في غرَّة ايلول ١٩٢٠ وعمرهُ ٧٦ سنة

وفي اوائل كانون الثاني سنة ١٩٢٥ فقد الانكليز استاذاً آخر من اساتذة العلوم العربية المرحوم «كارليل ماكَرْتناي» (C. H. H. Macartney) بعد نشرهِ لديوان شعر ذي الرمّة مع شرحهِ وتذييلهِ بالحواشي اللغوية والروايات المختلفة والفهارس طبعهُ في كمبردج سنة ١٩١٩

ومن كبار المستشرقين الذين فجعت الآداب الشرقية بوفاتهِ في العام الماضي ١٩٢٦ في ٥ ك٢ «ادوار برَوْن» (Ed. G. Browne) استاذ الآداب العربية والفارسية في جامعة كمبردج توفي وعمره ٦٤ سنة احرز لهُ فخرًا اثيلًا بتآليفهِ الواسعة لاسيا الفارسية والعربية . منها وصفهُ للمخطوطات الاسلامية في جامعة كمبردج في اربعة مجلّدات وتاريخهُ الكبير للعجم وللآداب الفارسيَّة في اربعة مجلّدات ايضاً . ونشر

مجاميع من شعراء الفرس وتواريخهم وتاريخ خراسان وتاريخ السلجوقيين وتاريخ اصفهان وتاريخ البابيّة والبهائيّة ورحلتهُ الى فارس ومذاكرة الشعراء لدولتشاه ولباب الالباب لمحمد عوفي وتاريخ الطب عند العرب وكتاب نهاية الارب في اخبار الفرس والعرب

وفي العشرين من الشهر والسنة عينهما توفي الرحّالة الانكليزي «شرل دوتي» (Ch. M. Doughty) عن ٨٢ سنة اشتهر برحلتهِ الى جزيرة العرب فسار من دمشق سنة ١٨٧٦ على طريق الحج حتى بلغ الحجر وزار مدائن صالح والعُلا وتيماء ونسخ عدداً من الكتابات المنقورة على صخورهـا وبلغ الى حايل وخيبر ولقي في طريقهِ ضروب المشقّات حتى كاد يذهب ضحيةَ تهوّرهِ . ولمّا عاد الى وطنهِ سالماً بعد سنتين نشر اخبار رحلتهِ مع صورة الكتابات التي نسخها

وفي السنة ١٩٢٦ فقدت انكلترة سيدتين اشتهرتا ايضاً بخدمة الآثار الشرقية . ففي ٢٦ آذار توفيت السيـدة «اغنس سميث لويس» (Agnes S. Lewis) التي تخرّجت في جامعة كمبردج ثمَّ تجشّمت عدَّة اسفار الى مصر وفلسطين واليونان وقبرس وطورسينا مع اختها السيدة جبسون . وقد كتبت اخبار رحلتها الى قبرس وطورسينا حيث اكتشفت في مكتبتها عدَّة مخطوطات قديمة سريانية وعربية ويونانية من جملتها نسخة قديمة سريانية من انجيل مار متى . وقد نشرت مجموعةً من تلك الآثار دعتهـا الدروس السيناوية (Studia Sinaitica) . وقد عرف لها وطنها خدَمها فمنحها وسام الشرف . كان مولد اغنس لويس سنة ١٨٤٣

اما الثانية فهي الآنسة «جرترودة بل» (Gert. Bell) توفاهـا الله في بغداد في ١٢ تموز وهي التي دُعيت بملكة العراق لِما ادّتهُ من الخدم للحكومة الانكليزية في العراق بعد ان فُوّض اليها الانتداب على تلك البلاد . عرفنا هذه الآنسة التي زارت كليّتنا غير مرَّة قبل الحرب وبعدها فكنا معجَبين بهمّتها ونشاطها فانها طافت اصقاع الجزيرة والعراق والاناضول ونزلت بين قبائل العرب والترك ودرست آثار البلاد الدينيّة والمدنيّة وفنونها وصنائعها ووصفت كلّ ذلك بعدَّة تآليف من قلمها بالانكليزية ومن افضل مصنَّفاتها كتابها عن كنائس واديار طور عابدين وكتابها في بادية الشام وآثارها وكتابها في الحضَر والمدر ووصفها لآمد مع المرحوم مكس فان برشم ولالف كنيسة وكنيسة بمعية العلّامة رمساي ومن مراد الى مراد (Amurath to Amurath)

ولها وصف قصر اخيضر القديم في العراق وغير ذلك مما قضى منها العجب

المستشرقون الالمانيون

كان اول من مُنيت به منهم الآداب الشرقيَّة بعد نهاية الحرب في ٥ كانون الاول سنة ١٩١٩ الدكتور «مرتين هرتمان» (M. Hartmann) الذي عرفناهُ في بيروت زمناً طويلاً كـكنشليار دولة المانية. ولد في برسلو سنة ١٨٥١ وقضى في برلين. كان ابن احد قسوس البروتستانت ورث منهُ تحمُّسهُ لمذهبهِ ومعاداته للكثلكة.. صرف اكبر قسم حياتهِ في درس اللغات الشرقية ولاسيما العربية ونشر آدابها. وكان احد مثبتي مدرسة اللغات الشرقية في برلين والمتولين على نظارتها. قد نشر كتباً عديدة تنبئ عن طول باعهِ في العربية منها كتابهُ في الصحافة العربية في مصر سنة (١٨٩٩) وكتاب في العروض العربي وكتاب في الاسلام وانشأ المجلة الاسلامية ومجلة عالم الاسلام ورحل الى جهات مصر وسورية وتركستان والَّف كتاباً عربيا لتعليم اللغة الالمانية. ولهُ انتقادات على رسالتنا السوريَّة جاوز فيها حدود العدل ثم اقرَّ لنا بعنالاته. وقد نشرنا له في المشرق مقالتهُ في درس اللهجات العاميَّة. أوصى عند وفاتهِ بان تُحرق جثتهُ

وفي ١١ كانون الثاني ١٩٢٠ اسلم روحهُ في يد خالقهِ احد آباء رهبانيَّتنا الالمانيين من كبار المستشرقين علماً الاب «جان نيوميق ستراسماير» (J. N. Strassmayer) الذي كان متقناً للغات الشرقية لاسيما السريانية والعربية لكنهُ قضى معظم حياتهِ في نشر الآثار السماريَّة. وهو اوَّل من وضع لها معجماً بناهُ على كتاباتها الحجريَّة المحفوظة في المتحف البريطاني في لندن ونشر مع الاب اليسوعي لبنغ كتاباً عن معارف الكلدان في الفلكيات استناداً الى آثارهم القديمة التي حلّا رموزها. وكان مع دروسهِ هذه يقضي ساعات من نهاره في خدمة كاثوليك لندن

وفي العام التالي في ٢٧ ك٢ ١٩٢١ استأثر الله باستاذ الماني عالم وعامل المرحوم «كرستيان فردريك سيبولد» (F. Ch. Seybold) مات في توبنغ بعد ان علم سنين طويلة. ولد في اوائل سنة ١٨٥٩ وبعد ان تخرَّج في جامعة توبنغ في علومها اللاهوتية والفلسفية واللغوية انتدبهُ ملك البرازيل دون بدرو الثاني ليعلمهُ اللغات الشرقية

وخصوصاً العربية والسنسكريتيَّة فرافقهُ الى البرازيل وتعلَّم هناك لغات الوطنيين في تلك البلاد وكان متقناً للبرتغالية والاسبانيَّة ثمَّ دُعي الى تعليم اللغات الشرقية في جامعة توبنغ فعلَّم العبرانيَّة والسريانية والفارسية . وقد فضَّل عليها تعليم العربيـة فوصف مخطوطات مكتبة الجامعة ونشر مؤلفات عربيَّة مهمَّة كاسرار العربية لابن الانباري والشماريخ في علم التاريخ للسيوطي والمنى في الكنى لهُ وكتاب المرصَّع لابن الاثير والكتاب الدرزي النقط والدوائر ورواية سول وشمول مع ترجمتها الى الالمـانية . ونشر ايضاً معجماً قديماً عربياً لاتينياً لمؤلف غُفل وطبع في مطبعتنـا الكاثوليكية قسمين من تاريخ بطاركة الاسكندرية لابن المقفَّـع اسقف الاشمونَين . هـذا الى مقالات عديدة بقلمه في المجلَّات الشرقيَّة الالمانيَّة

وفي شهر حزيران من تلك السنة ١٩٢١ خسرت مونيخ عاصمة باڤارية احـد اساتذة جامعتها في عزّ كهولتهِ المستشرق «ارنست لِنـدل» (E. Lindl) معلم اللغات الشرقية . نشر بعض التآليف في البابلية والاشورية وما يستفاد من آثار المسمارية تأييدًا لمرويَّات الاسفار المقدَّسة . وفي آب من العام التالي ١٩٢٢ خسرت مونيخ ناظر مكتبتها الدكتور «جوزف أوْمر» (Jos. Aumer) الذي كنا اختبرنا لطفهُ ومعارفهُ الشرقية . ومن آثارهِ وصفهُ المدقّق المخطوطات العربية التي تحفظ هناك

ومن علماء المستشرقين الالمان المتوفين في ذلك العام الدكتور «فردريك كِرْن» (Fr. Kern) توفي في برلين في تشرين الثاني ١٩٢١ . كان يعلّم في عاصمة بروسيـة العربية والآداب الاسلامية ويعاني الآثار الشرقية في بابل والهند ومن تآليفهِ كتابهُ في تاريخ البوذيَّة في الهند

واعظم منهُ شهرةً إمام الدروس الساميَّة في برلين الاستاذ الـدكتور «ڤرنتس ديليتش» (Fr. Delitsch) المتوفى في كانون الثاني ١٩٢٣ تعاطى كل العلوم الشرقية وانما اشتهر خصوصاً بتآليفهِ المتعدّدة عن الآثار البابلية وشرح الاسفار المقدَّسة العبرانية والآرامية

ومثلهُ شهرةً صديقنا الدكتور «كرل بتسولـد» (Carl Bezold) توفي ايضاً في كانون الثاني من السنة ١٩٢٣ كان استاذ اللغات السامية في هيدلبرغ . ادار سنين طويلة المجلة الاشورية التي اودعهـا كنوزاً ثمينة من معارفهِ في كل لغـات الشرق

كالكلدانية والسريانية والعربية والحبشية . وله تآليف فريدة في كل الآثار الشرقية ونشر في العربية والحبشية الكتاب المصنوع المدعو «عهد آدم» وتاريخ ملوك الحبش المعروف بـ«كبرا نغست» الّا انّ معظم تآليفهِ في الآثار البابلية

وآخر من أسفت على فقدهِ العلوم الشرقية الدكتور «فليكس پيزر» (F. Peiser) منشئ مجلة الآداب الشرقية الالمانية (OLZ) ادارها عدّة سنين وبيّن رسوخ قدمهِ في معرفة كل آثار الشرق ولاسيما اللغات السامية القديمة والحديثة . تشهد لهُ المقالات الفريدة التي تحفل بها المجلة في كل ابواب المعارف الشرقية توفي في ٢٤ نيسان ١٩٢٥

النمساويون والمجريون والسويسريون

في اول جمعة من الهدنة بعد الحرب في ٩ تشرين الاول ١٩١٨ توفي في ڤينة «الكافليار جوزف فون كرابتشك» (J Karabacek) . ولد سنة ١٨٤٥ في غراتس حاضرة ستيريا من اعمال النمسة سابقاً . درس في جامعة ڤينة ثمّ سافر الى بنّاس وحصل على مجموعة مسكوكات عربية قديمة فانقطع الى درسها ووصفها فعيّنته الحكومة النمساوية معلّماً للآثار الشرقية وتوفقت الدولة بحصولها على آثار بَرْدِيّة عربية راقية الى اوائل الفتح الاسلامي في مصر وُجدت في الفيّوم سنة ١٨٨١ فعُهِد اليهِ درسها فوصفها وتعيّن استاذاً لتاريخ الشرق وعادياتهِ فنشر في كل هذه الفنون مقالات واسعة في مجلة العلوم الشرقية النمسوية (WZKM)

وفي اوائل السنة ١٩٢٠ توفي في پراغ عاصمة بوهيميا النمسوية استاذ اللغات الشرقية «رودلف دڤوراك» (R. Dvorak) لهُ تآليف في شعر ابي فراس الحمداني وترجمة حياتهِ في الالمانية ونشر ما ورد من شعرهِ في يتيمة الدهر للثعالبي مع ترجمته . طبعهُ في ليدن سنة ١٨٩٥ ولهُ تأليف في الفاظ القرآن المعرَّبة

ودُهمت الآداب العربية في السنة ١٩٢١ بوفاة مستشرقَين كبيرين شاع فضلها على العالم العربي : الاول «ماكس ڤان برشم» (Max Van Berchem) ولد في جنيف في سويسرة سنة ١٨٦٣ ودرس في مدارسها وفي مدارس المانية ثم تخرّج في مدرسة باريس المعروفة بمدرسة اللغات الشرقية الحيّة ثمّ في المجمع العلمي الاثري الافرنسي في مصر فقصد ان يطرق باباً جديداً قلّما طرقهُ المستشرقون قبلهُ فانهُ حاول

نشر الكتابات العربية الاثرية التي كتبها المسلمون على ابنيتهم القديمة من جوامع ومدارس وقصور ومعاهد عمومية ومدافن مقسّماً ذلك الى عدّة اجزاء على حسب اختلاف البلاد وهو عمل جبّاري يحتاج الى جماعة كبيرة وسياحات بعيدة وقد نشر من ذلك عدّة مجلّدات ممتعة كآثار مصر وحمص وديار بكر وآثار الصليبيين . وله تآليف اثرية اخرى في المجلّات الاختصاصيَّة . والامل معقود ان يواصل عملهُ هذا بعض ذوي الهمة كالمسيو ڤيات وغيرهِ . وقد تعيَّن المرحوم زمناً طويلاً كاستاذ اللغات الشرقية في جنيڤا عاصمة وطنهِ توفي في ٧ آذار . وبعد وفاتهِ نشرت قرينته سنة ١٩٢٣ في كتاب خاص ترجمة حياتهِ مع اقوال العلماء ثناء على اعمالهِ

اما المستشرق الثاني فهو الكاتب الضليع الواسع الشهرة الموسوي «اغناطيوس غولدتسيهر» (Ign. Goldziher) الذي عرفناهُ في موتمري برلين وستوكلهم سنة ١٩٠٩ . ولد في المجر في ٢٢ حزيران ١٨٥٠ ودرس على كبار المستشرقين الالمانيين في ليبسيك ثمَّ تفرَّغ للتدريس سنة ١٨٧٠ في بودابست ومذ ذاك الحين لم يزل يكدُّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ في الابحاث الشرقيَّة وعلى الخصوص الابحاث في العلوم الاسلامية بعد سياحتهِ الى الشام ومصر سنة ١٨٧٣ (١ فخلَّد اسمهُ بمنشوراتهِ النفيسة عن الاسلام وعلومهِ الدينيَّة والادبية واللغوية . فما نشرهُ كتابهُ في مذهب الظاهريين (١٨٨٤) ودروسهُ الاسلامية في مجلّدين ضخمين (١٨٨٨—١٨٩٠) وديوان الحطيئة جرول بن اوس (١٨٩٠) وابحاث في اللغة العربية (١٨٩٦—١٨٩٨) في جملتها كتاب المعمّرين . ولهُ محاضرات جميلة في الاسلام ومعتقداتهِ واصوله وفي الحديث النبوي . وكان آخر ما اصدرهُ من قلمهِ سنة ١٩٢٠ كتاباً ممتعاً في اعتبار الشيع الاسلامية للقرآن وما بنوا على نصوصهِ من الآراء المتباينة . توفي في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢١

وفي كانون الثاني من السنة ١٩٢٢ لقي اجلهُ في مدينة بال في سويسرة استاذ جامعتها «فردريك شولتس» (Fr. Schulthess) الذي تخصَّص ايضاً بدرس العربية والابحاث الشرقية وممَّا نشرهُ ديوانُ امية بن ابي الصلت جمعهُ من المقاطيع المبثوثة في

---

١) كان يخبر الاستاذ غولدتسيهر متفكهاً انهُ لما سافر وقتئذٍ من يافا الى القدس ركب حمارًا فكان المكاري المسلم اذا ساقهُ انتهرهُ بقولهِ : امشِ يا جودي

كتب القدماء سنة ١٩٢٢ ونشر ايضاً ابحاثاً ادبيةً في الدين الاسلامي ولـهُ تآليف في لغة السيد المسيح وغير ذلك

المستشرقون الايطاليون

أُصيبت الدروس الشرقية في ايطاليـة بضربة مؤلمة بوفاة العـلّامة «سلستينو سكياپارلي» (Celestino Schiaparelli) الذي ولد في ١٩ ايار سنة ١٨٤١ في پيامونتي وتوفي في رومية في ٢٦ تشرين الاوّل سنة١٩١٩ درس العربية في فلورنسة على الاستاذ ميشال أماري الشهير ثمَّ تعيَّن معلماً للغة العربية في جامعة رومية الوطنيَّة. ومن آثار همَّتهِ الطيبة نشرهُ لديوان ابن حمديس الصِقلّي سنة ١٨٩٧ ثم نشر رحلة ابن جبير مع ترجمتها الايطاليَّة (١٩٠٦) ونشر في فلورنسة معجماً عربياً قديماً سنة ١٨٧١. ونشر مع الاستاذ اماري القسم المختصّ بايطالة من نزهة المشتاق للادريسي ونقلهـا ايضاً للطليانيَّة وذيَّلها بملحوظات عديدة. ومما لم يطبع وهو ممثَّل للطبع ما ورد للادريسي عن ايطالية في كتاب آخر يدعى أُنس المُهج وروض الفرج عن نسخة وجدها في الاستانة. وكذلك كتاب ابن الهائم الذي عنوانهُ مرشدة الطالب في أسمى المطالب وغير ذلك من آثاره الطيبة

وفي ٥ ك١ ١٩٢٠ خسرت ايطالية استاذاً آخر ضليعاً من العلوم الشرقية الاستاذ «ايتالو پيزّي» (Italo Pizzi) المولود في پارما سنة ١٨٤٩ تخرَّج في جامعـة پيزا وتعيَّن للتدريس في جامعة تورينو. وقد اشتهر خصوصاً بعلمهِ للغة الفارسية وفيها نشر معظم تآليفهِ. وقد اشتغل كذلك بالعربيـة فنشر كتابهُ في آدابها بالطليانيَّة سنـة (١٩٠٣) وألَّف ايضاً كتابـاً في الاسلام. وعُني بالآداب الهنديَّة واللغـة السنسكريتيَّة

ولا يقلّ عن هؤلاء شهرةً الاستاذ «اوجانيو غريفيني» (Eug. Griffini) الذي توفي في ٣ ايار ١٩٢٥. كان مولدهُ في ميلانو في اواخر سنة ١٨٧٨ وبعد دروسهِ بلغهُ ان احد مواطنيه يتاجر في صنعاء يدعى يوسف كپروتّي فسافر الى اليمن واجتمع بهِ وساح في تلك البلاد وباع من كپروتي عدداً من مخطوطاتها التي وصفهـا ثمَّ اوصى بها لوطنهِ بعدهُ وتسيَّح ايضاً في طرابلس الغرب وهو يتزيَّا في اسفارهِ بازياء العرب.

ودعاهُ في آخر عمره جلالة الملك فؤاد كناظر مكتبتهِ الخاصَّة في القاهرة فتوفي بعد قليل : ومن آثارهِ نشرهُ نسخة قديمة من شعر الاخطل وجدها في اليمن وطبعها في مطبعتنا ونشر كذلك كتاب جامع الفقه لزيد بن علي نشرهُ في ميلانو سنة ١٩١٩

المستشرقون الاميركيون

توفي في السنة ١٩٢١ احد مشاهير العلماء المستشرقين في اميركا الدكتور «موريس جاسترو» (Morris Jastrow) كان من اساتذة جامعة فيلادلفية وكان موسوياً أتقن في مقتبل عمرهِ اللغات الساميَّة وخصوصاً العبرانية والعربية . وكانت باكورة منشوراتهِ كتاب ابي زكريا يحيى بن داود حيوج نشر نصَّهُ العربي في ليدن . ثمَّ تعاطى العلوم الاشوريَّة فاصبح احد اساطينها ونشر عدداً عديداً من آثارها . وكذلك درس الاسفار المقدَّسة وعُني بشرحها لكنهُ لم يرعَ في انتقاداتهِ جانب الاعتدال . ولهُ ابحاث عديدة في الاديان واصولها واطوارها ومن تآليفهِ المفيدة معجم للغة اليهوديَّة الارَاميَّة كالترجوميم والتلمودَين البابليّ والاورشليمي والمداريش . ولهُ تاريخ التمدّن في بابل واشور ووصف اديانها

وفي ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٢٣ أسفت الجامعة الاميركيَّة في الثغر على فقد استاذها في التاريخ والفلسفة الدكتور «هارڤي پورتر» (Harvey Porter) وهو في التاسعة والسبعين من عمرهِ . ولد سنة ١٨٤٤ وقدم سوريَّة سنة ١٨٧٠ فخدم الجامعة الاميركيَّة بكل نشاط واخلاص الى السنة ١٩١٤ . ومما خدم بهِ العلوم الشرقية اهتمامهُ بالعاديَّات والنقود العربية . وألف كتاب النهج القويم في التاريخ القديم بالعربيَّة وساعد الدكتور ورتبات في معجمَيهِ المطوَّل والمختصر العربي والانكليزي وصنَّف بالانكليزيَّة تاريخاً مختصراً لبيروت

هؤلاء اخصُّ المستشرقين الذين بارحوا الحياة في هذه الحقبة الثالثة فاستحقُّوا شكر مواطنيهم وكشفوا لنا كثيراً من كنوز اوطاننا الدفينة جازاهم الله خير جزائهِ

البحث الثاني

النظر العام في الآداب العربية حاضراً

تتبعنا في دروس سابقة ثلاث حقب الربع الاوَّل من القرن العشرين ورأينا ما

طرأ على الآداب العربية من التأثير والتقلُّب بدواعي احوال العصر من حرّيَّة مقيَّدة وحرّيَّة دستوريَّة وانضغاط لسبب الحرب الكونيَّة والتحرُّر التام بعدها

فما بقي علينا إلَّا أن نلقي رائد البصر الى العالم العربي الحاضر لنرى اجمالًا حالة آدابهِ الحاضرة وما يُرجى منهُ لمستقبل هذه الآداب

كان حقُّنا ان نباشر بحثنا هذا بمهد اللغة العربيَّة اي جزيرة العرب . أيستفاد من نجدها وحجازها ويَمنها شيء لنهضة الآداب العربيَّة ؟ فنجيب بكل أسف انَّ مقامها في عالم الادب غاية في الخمول . فانَّ مدارسها وصحافتها ومنشوراتها لا يُعبأ بها . ولا ننكر أنَّ في حواضرها بعض العلماء المتفقهين إلَّا انَّ آثار اقلامهم زهيدة مجهولة . ولا تخلو مكة والمدينة وصنعاء من مخطوطات عربيَّة نادرة وانَّما هي مطمورة متوية في بعض زوايا المساجد او بيوت الخاصَّة يقرضها العثّ والأرَضة ويتلهَّف على فقدها العلماء وحتى الان لا تلوح لنا بارقة امل في تحسين تلك الاحوال وخروج البلاد من سِنَتها وجمودها الادبي

لكنَّ نظر مصر ورقيها في سلَّم الآداب يبهج العين ويسرّ القلب . فانَّ عظمة ملكها فؤاد الاول ووزراءها وعلماءها الأعلام من وطنيين وأجانب يتناصرون في تعزيز الآداب العربيَّة في القطر المصري عموماً وفي القاهرة خصوصاً . فالمدارس زاهرة وسوق الآداب نافقة والصحافة راقية والمطبوعات العربيَّة متوفرة . وهناك الجامعة العربيَّة والمكاتب الحافلة بالآثار القديمة والمخطوطات العزيزة الموجود بعضها في المكاتب العموميَّة وبعضها عند الخاصَّة ذوي الهمَّة القعساء

على انَّ هذه النهضة المشكورة لم تبلغ غاية ما يؤمَّل من نشاط ذويها وتوفُّر اسباب نجاحهم . فانَّ لديهم كنوزاً من آثار القدماء لم تزل دفينةً . ومع تحسُّن الطباعة المصريَّة ماديًّا لم تتحسَّن كثيرًا بالصورة والمضامين والشروح وتصحيح الروايات والفهارس الخ فانَّ منشوراتها بعيدة عن اتقان المستشرقين لكتبهم إلَّا قليلًا منها

امَّا مطبوعات مصر الحديثة فانهـا تحسَّنت من جانب حروف الطباعة واتقان الطبع وجمال الصور وصقالة الورق لكنها غالباً قليلة الجدوى فانَّ بينها قسماً كبيرًا للروايات الخياليَّة التي يعرّبونها عن اللغات الاوربيَّة ومعظمها ضررهُ اكبر من نفعهِ لما يغلبُ عليها من وصف الحوادث الغراميَّة وتهييج الشهوات الباطلة . ومنها قسمٌ آخر أخلاقي

اجتماعيّ سياسيّ هو ايضاً منقول عن كتب الغرب بيثهُ الغثّ والسمين فينشرون آداب الفرنج دون الاحتياط اللازم اذ ليس كل احوال اوربَّة تصلح لاهل الشرق

واما الكتب العلميَّة فانها قليلة الرواج بين العموم ما عدا بعض التاليف التاريخيَّة القريبة المنال غير الواسعة الجامعة . على انَّ هناك المجلّات لاسيما التي ينشئها اهل الشام كالمقتطف والهلال لا تستنكف عن الفصول العلميَّة الراقية . والمقالات الاجتماعيَّة والفلسفيَّة لولا بعض تطرُّف في الآراء . اما العلوم الدينيَّة فهي محصورة بالعلوم الاسلاميَّة التي اخذ البعض في انتقادها دون التحرُّز الكافي والاعتدال المرغوب . وتتعاطى الارساليَّاتُ الاميركيَّة الابحاث الدينيَّة المسيحيَّة تشوبها مسحةٌ من الآراء البروتستانيَّة

اما ﴿السودان﴾ فلا تكاد تفيد شيئاً الآداب العربيَّة لقلَّة عناية اهلها بأمور العقل . وانَّما أُنشئت في الخرطوم مطابع لنشر بعض الجرائد وتآليف بسيطة

ويجاري ﴿القطرُ السوري﴾ واديَ النيل في مساعيه المشكورة لخدمة الآداب العربيَّة . ففيه (المدارس العليا والثانويَّة والابتدائيَّة) لا تكاد تخلو من بعضها ناحيةٌ من بلاد الشام . ففي بيروت ودمشق الجامعات الكبرى للعلوم الطبيعيَّة والهندسة والطب والحقوق . وفيها ايضاً كما في صيداء وطرابلس وحلب وزحلة والبترون وجبيل وجونية ودير القمر مدارس ثانويَّة بعضها للذكور وبعضها للاناث . اما المدارس الابتدائيَّة فلا يضمُّها احصاء في كل قرى الجبل وكافَّة سوريَّة وذلك بفضل الانتداب الفرنساوي الذي يبذل المجهود في تعميم التعليم . وقد يقوم بهذه المهنة الشريفة رجال من ذوي المقدرة منهم رهبان ومنهم علمانيُّون . وكذلك مدارس البنات تتولَّاها بعض المعلّمات العلمانيَّات وبالاخصّ راهبات من جماعات رهبانيَّة مختلفة كراهبات المحبَّة وراهبات قلبي يسوع ومريم وراهبات مار يوسف وراهبات الناصرة وراهبات العائلة المقدَّسة والمارونيات وراهبات بيزنسون . على ان بعض مدارس الذكور الابتدائيَّة تحتاج الى مراقبة وحسن تدبير . ولذلك فكَّرت الحكومة في فتح دارٍ للمعلّمين يتخرَّجون فيها لادارة المدارس . وللآباء اليسوعيين في تعنايل دار من هذا الصنف اتت بثمار طيّبة

وسوريَّة غنيَّة ايضاً (بالمطابع) التي قد تعدَّدت في المدن والقرى معظم شغلها في نشر الجرائد والمجلّات التي تنيف على المئتين . اخصُّها في المدن لاسيما في بيروت ودمشق وحلب وطرابلس وصيداء وحمص وحماة ولا تخلو منها نواحي الجبل وقراها

كزحلة والدامور ودير القمر وبيت شباب وجونية وجزين واعبيه وعاليه . واغلب منشوراتها (جرائد سيّارة) ليس بينها إلّا القليل مما يستحقّ الذكر ويفيد الآداب كلسان الحال والبشير والاحوال والوطن والبرق والقبس والف باء والعلم والزهور والصفا

وارقى منها (المجلّات) كمجلّة المجمع العلمي في دمشق والعرفان في صيداء والمشرق والكليّة والآثار الشرقيّة والحارس والمعارف والمجلّة الطبيّة العلميّة ورسالة قلب يسوع والنشرة الاسبوعيّة والمعرض والبيان في بيروت والآثار في زحلة والمباحث في طرابلس يحرّرها غالباً قوم من افضل حملة الاقلام . لكنّها لا تزال تحتاج الى ترقٍ لتجاري المجلّات الاوربيّة التي يحرّرها الاختصاصيّون ولاسيا في القسم العلميّ والاثري كما ترى في مجلّة (Syria) او في مجموعة المكتب الشرقي او كليّة القديس يوسف (Mélanges de l'Université S^t Joseph)

وممّا يبعث الأمل في حسن مستقبل الآداب العربيّة ما أُنشئ من (الجمعيّات) لخدمتها كالمجمع العلميّ في دمشق وكنوادٍ ادبيّة للشبيبة فيها وفي بيروت وحلب وحماة وطرابلس . فانّ الناشئة تزيد اقبالاً على الآداب اذا انتظمت في سلك جمعيّات تجد اصحابها حريصين على الرقي والنجاح يتمرّنون على الكتابة والخطابة ويلقون المحاضرات في الابحاث العلميّة او المسائل الاجتماعيّة

وكذلك قد توفّرت الوسائل لاستقاء المعارف وتعزيز الآداب بتوفر (المطبوعات) المختلفة كالتواريخ العموميّة والخصوصيّة وكالدواوين الشعريّة والتآليف المدرسيّة والمصنّفات الادبيّة واللغويّة . وها قد تمّت الطبعة الجديدة من المُنجد بعد توسيعه وتكميله وينتظر قريباً معجم الشيخ عبدالله البستاني وغير ذلك من المنشورات المفيدة

وممّا يُساعد على رقي الآداب (خزائن الكتب) الجامعة للتآليف القديمة والحديثة . ولبيروت فضل كبير في ذلك وفيها أُنشئت اوّل مكتبة عموميّة بهمة رجل الفضل والادب الفيكنت فيليب دي طرّازي . وفي الكليّتين اليسوعيّة والاميركة مكاتب واسعة يقصدها المكلّفون باحراز العلوم

ومن الاقطار التي تستحقّ الذكر بعد مصر وسوريّة «العراق» فانّ بغداد مدينة السلام لا تستطيع ان تنسى ماضيها اذ كانت مركز الحركة العلميّة في عهد الخلافة

العبّاسيّة. وانّما أُصيبت في العهد التركي بخمول عظيم على الرغم ممّن اشتهر فيها من الادباء كالألوسيين وغيرهم

لكنّ دولة العراق الجديدة في «بغداد» ساعيةٌ في سدّ هذا الخلل فترى فيها حاضراً نهضةً جديدة يتناصر في تعزيزها ارباب الدولة مع أُدباء المسلمين والنصارى. وقد تحسّنت المدارس وتعدّدت المطابع وترقّت الصحافة ونُشرت الكتب في الفنون المختلفة مايدلّ على انّ العراق افاق من سنته. امّا «الموصل» فانها بعد فقدها لمطبعة الآباء الدومنيكان تحتاج الى وسائل جديدة لتنهض من كبوتها. وانّما مدارسها تُنبئ بتحسّن محسوس. ومثلها البصرة. ولعلّ النجف وكربلاء اقرب اليوم منهما الى احراز المعارف

والآداب العربيّة في «فلسطين» ضيّقة النطاق لا يكاد يُعنى بها غير النصارى وقليل من المسلمين في القدس الشريف وفي السواحل كيافا وحيفا بنشر بعض الصُحُف

امّا «الهند» فانّ الدروس العربيّة فيها حاضراً منحصرة في بعض جامعاتها كبومبيّ وكلكته ولوكنو ودلهي وحيدرآباد ومدرس والهاباد وجامعة بنجاب في لاهور وعليكره ففي هذه الكلّيات فرعٌ لتعليم العربيّة اذ لا غنى لاهلها المسلمين عنها لمعرفة القرآن والتآليف الدينيّة. وهناك ايضاً بعض المطابع اخصّها في كلكتّه. ومعظم مطبوعات الهند العربيّة طُبعت على الحجر وما يُطبع على الحروف لا يزال سقيماً ما خلا بعض مطبوعات كلكتّه وحيدرآباد. والغالب على اهل الهند المسلمين الهندستانيّة والأُردو وعلى الهنود الكجراتي والتامول وغيرها

وان وجّهنا النظر الى «اميركا» وجدنا انّ الآداب العربيّة مدينةٌ فيها للمهاجرين اليها من المسيحيين عموماً واللبنانيين خصوصاً. وقد ابتدأت هذه الحركة اوّلاً في «اميركا الجنوبيّة» ولاسيا في (البرازيل). فترى اليوم في عاصمتها ريو دي جانيرو جرائد مهمّة كالعدل والبريد. وفي حاضرتها سان باولو شاع منها ابو الهول لصديقنا البكيفاوي شكري افندي الخوري ثمّ الميزان والافكار وفتى لبنان. وقد اشتهرت في جمهوريّة (الارجنتين) عاصمتها بوينس ايرس عدّة جرائد كالمُرسَل والسلام والزمان. وفي مدينتها طوكومان جريدة صدى الشرق. وفي كردوبا (قرطبة) العصر الجديد. وما عدا الجرائد قد صدر في اميركا الجنوبيّة كتب عربيّة قليلة معظمها الروايات وبعض تآليف ادبيّة وعلميّة وتاريخيّة

واليوم صار السباق «لاميركة الشمالية» فانّ كثرة المهاجرين اليها دعت ادباءها هناك الى العناية بحفظ لغتهم ونشر آدابها بين مواطنيهم المستوطنين في انحائها. وهذه الحركة تلوح خصوصاً في عاصمتها نيويرك فجرائدها الهدى والشعب والسائح والنسر السوري (في بروكلين) والمجلة التجاريّة السوريّة تكاد تجاري بعض الجرائد الوطنيّة. وفي ديترويد جريدة الصباح. وقد طُبع في اميركة الشمالية عدّة مطبوعات دينيّة وادبيّة وعلمية متقنة الطبع

على انّنا نرتاب في ثبات اللغة العربيّة سالمةً في اميركة لأنّ المهاجرين اذا استوطنوا تلك البلاد يمتزجون باهلها امتزاج الماء بالراح فسوف ينسون لغتهم الاصلية كما جرى لكثيرين ثمّ يتأمرك اولادهم

وفي «اميركة الوسطى» جريدة الرفيق في مكسيكو

وان اطلقنا رائد البصر على «افريقية» وجدنا نصيب الآداب العربيّة زهيداً خارجاً عن مصر إلّا انّ فرنسة سعت في تعزيز اللغة العربية بين مستعمراتها الشماليّة ففتحت المدارس لتعليم الوطنيين في الجزائر ووهران وفي تونس. ولا تخلو عاصمة مرّاكش من مدارس وجرائد. وفي رباط جريدة السعادة. وفي طرابلس الغرب مطبعة ومدرسة عربيّتان. وكذلك في زنجبار. على انّ اخبار تلك الجهات منقطعة عنّا فنجهل غالباً حركة آدابها

امّا «اوربّة» فانّ الفضل في خدمة الآداب العربيّة فيها عائد الى المستشرقين وخصوصاً اللذين تنفق عليهم دولهم الكريمة المبالغ الطائلة في جامعاتها الكبرى فتخصّص لدرس العربيّة بعض علمائها. ففي باريس ورومية وبرلين ولندن ومدريد وڤينة ولينينغراد معاهد لدرس اللغات الشرقيّة وفي مقدّمتها اللغة العربيّة. وكذلك في جامعات العواصم المذكورة وغيرها كبوردو في فرنسة وليدن في هولندة وكوبنهاغ في دنيمارك وبونّ وليبسيك وغوطا وغوتنجن وهيدلبرغ وهمبورغ ومونيخ في المانية اساتذة لتعليم العربيّة. وفي كل هذه المدن خزائن كتب عربيّة مخطوطة يستخرجون منها كنوزاً ادبيّة ينشرونها بعد مقابلتها على نسخ مختلفة وربّما اضافوا اليها ترجمتها الى لغاتهم ويصدّرونها بالمقدّمات الواسعة ويعلّقون عليها الحواشي التاريخيّة واللغويّة ويختمونها بالفهارس الجليلة تسهيلاً لاجتناء فوائدها

ولا يسعنا ان نسكت في آخر هذا الباب عن مساعي فاضلات السيّدات في أيامنا الى ترويج الآداب العربيّة بين بنات جنسهنَّ في بيروت ومصر والاسكندرية وفي بعض انحاء اميركة. وسنذكرهنَّ في البحث التالي ان شاء الله

البحث الثالث

نظر خاصّ في انصار الآداب العربيّة حاضراً

كنّا عوّلنا على ان نقف عند هذا الحدّ ولا نتصدّى لذكر الاحياء من ارباب الادب وخدَمة الاقلام لعلمنا كم يصعب الكلام عمَّن لا يزالون في قيد الحياة إمّا بالتفريط وامّا بالتقصير مع الخطر بنسيان من يستحقّون الذكر فتفوتنا اسماؤهم او اعمالهم. لولا انَّ بعض الاصحاب ألحّوا علينا بكتابة هذا الفصل ليكون كخاتمة لِما سبق مستندين على المثل «ما لا يستطاع جلُّهُ لا يُهمل قلُّهُ». واجابةً لهذا الملتمس نقسم هذا البحث الاخير الى اربعة ابواب فنذكر اوّلاً اعمال ارباب الكهنوت لخدمة الآداب العربيّة ثمَّ نتخطى الى ذكر ادباء الاسلام حاضراً فنلحقهم بالادباء النصارى ونختم بذكر المستشرقين

١ الآداب العربيّة بين ارباب الكهنوت

يسرُّنا ان نرى في الاكليروس الوطني عالميًا كان او قانونيًا همَّة محمودة في خدمة الآداب العربيّة

﴿الاحبار الشرقيّون﴾ على الرغم من الاعباء الثقيلة التي تبهظ مناكب احبار الطوائف الشرقيّة تراهم في خُطَبهم على المنابر وفي الحفلات الرسميّة وفي مناشيرهم يراعون كلّ آداب اللغة لفظاً ومعنى. وكثيرًا ما تُنشر في الجرائد او في نشرات منفردة هذه الآثار الجليلة فتستوقف نظر القرّاء ويجتذبون قائليها. فلعمري لو جُمعت مناشير غبطة البطاركة الاجلاء والسادة الاساقفة في اسفار خاصّة لكانت احسن شاهد على قولنا. وقد امتاز في ذلك غبطة البطريرك الماروني ﴿ مار الياس الحويّك ﴾ الكلي الطوبى فمناشيرهُ تبلغ نحو ٥٠٠ صفحة. ونقرأ اليوم على صفحات البشير منشور غبطة

السيد « كيرلُس التاسع » مغبغب بطريرك الروم الملكيين الكرام في العدل وواجباتهِ . ومثلهما بطريرك الكلدان السيد « عمانويل يوسف توما » . امَّا السيد الجليل « اغناطيوس افرام الثاني الرحماني » فلم يكتفِ بالمناشير وها هو منذ العام الماضي يتحفنا بمجلّة الآثار الشرقيَّة المدبَّج معظمها بقلمهِ والمحتوية على درر معلوماتهِ

ومثل غبطة البطاركة كثيرون من الاساقفة يخدمون ايضاً لساناً وقلماً آدابنا العربيَّة . أفيجهل احد تعريب سيادة المطران « بولس عوَّاد » رئيس اساقفة قبرس لخلاصة القديس توما اللاهوتيَّة في خمسة اجزاء ؟ وها هوذا سيادة المطران « باسيليوس قطان » باشر بنشرة مطرانيَّة بيروت وجبيل . ونشر السيد « اغوسطين البستاني » رئيس اساقفة صيداء قبل تسقيفهِ الكوكب السيَّار في رحلة غبطة البطريرك الماروني الى رومية وباريس والاستانة . ولرئيس اساقفة بيروت السيد « اغناطيوس مبارك » آثار دينيَّة كخطب ومواعظ ومناشير جميلة . ومثلهُ السيد « انطون عريضة » رئيس اساقفة طرابلس . وقد نشر سيادة المطران « ميخائيل اخرس » رئيس اساقفة حلب كتباً دينيَّة وتاريخيَّة وطقسيَّة نخص منها بالذكر الكنز العجيب وترجمة القس الحلبي يوسف الكلداني . وللسيد « بشاره » الشمالي رئيس اساقفة دمشق مقالات تاريخيَّة واجتماعيَّة واخلاقيَّة ثمَّ كتابهُ الحديث في الشهداء الطوباويين الثلثة الموارنة وذكرى اعيادهم

كهنة الموارنة

١ « كهنة الموارنة العلمانيون » امَّا الكهنة فلهم مآثر متعدّدة في كل مللهم . فمن الموارنة اشتهر في عهدنا كتبة متعدّدون بين العالمين فيفتخر الحلبيُّون بكاهنهم الجليل المنسنيور « جرجس منش » لهُ تآليف قيّمة ومقالات دينيَّة وتاريخيَّة وادبيَّة قد نشرنا قسماً منها في المشرق كترجمة الطيب الذكر السيد فرحات ولهُ شذور الذهب والحق القانوني عند الموارنة وطرفة في الرهبانيَّة الثالثة الفرنسيسيَّة ونشر اعمال بعض المجامع المارونيَّة وكتباً طقسيَّة لطائفتهِ . وفي حلب ينشر القس « اغناطيوس سعد » مجلّتهُ التقويَّة في القربان الاقدس يودعها مقالات حسنة في الدين والاخلاق والادب

وفي بيروت كهنة موارنة يشرّفون طائفتهم بقلمهم كشعرائهم المفلقين الخوري « روفائيل البستاني » صاحب القصائد الرنَّانة المنشورة في البشير والمشرق . والخوري

« بطرس البستاني » صاحب آداب المراسلة والرسائل العصريَّة والمنظومات البديعة والخوري «بولس البستاني» مؤلف رواية فتاة الناصرة التمثيليَّة ومعرِّب قدوة الحسان في ابنة رولان تمثيليَّة ايضاً . وفي عاصمة لبنان تُنشر منذ تسع سنوات رسالة السلام لحضرة الخوري «انطون عقل» وله آثار اخرى متفرِّقة . وقد عرَّب الخوري « الياس الحائك» رواية الاب لونجي اليسوعي التاريخيَّة المعنونة فيليب اوغست في معركة بوفين

ومن افاضل كهنة بيروت ذوي الآثار الجميلة المنسنيور « مخائيل حويس » رئيس مدرسة الحكمة مؤلف كتاب الطالب المحتوي على واجبات طلبة المدارس . والخوري «يوحنا الحاج» مؤلف المقالات في المدارس العلمانيَّة . والخوري «منصور عوَّاد » واضع كتاب الزوجة الامينة . وكتاب هل من جزية على الاكليروس او خراج ؟ وماذا عمل الخوري ؟ وافعال لا اقوال مع عدَّة قصائد نُشرت في المشرق . «والخوري بطرس غالب » صاحب مختصر اللاهوت الادبي وكتاب فرنسة « صديقة ومحامية » والمسيح الملك في طقوس الكنيسة السريانيَّة المارونيَّة ونوابغ المدرسة المارونيَّة في رومية المنشورة في المشرق . وللخوري «انطون يمين» كتاب سمت المراسلة وبنات الشرق . والظرف والادب على منهاج الافرنج والعرب . ولبنان في الحرب وحقائق تاريخية ودروس وطنيَّة والمؤامرة اليهوديَّة على الشعوب . ومن اغزرهم مادَّة حضرة الخوري « مارون غصن » فمن قلمه بستان السلوى والعثمانيَّات ودرس ومطالعة واللغة العاميَّة وخطاب ومحاضرة في سرّ الزواج وقصائد واناشيد شتى وترجمة الطوباوي كوتولنكو وروايات نثريَّة وتمثيليَّة ألفها او عرَّبها كرواية الشبح الهائل وهرقل الملك والكاهن او الانتقام الشريف والبركة بعد اللعنة ودفاع الابن عن ابيه والملكين

وان صعدنا الى لبنان وجدنا ايضاً كثيرين من افاضل كهنة الموارنة خدموا الآداب العربيَّة بتآليفهم النفيسة ففي الدار البطريركيَّة المنسنيور الخوري اسقف «بطرس مبارك» معرِّب سيرة السيد المسيح للاب لاكاي (Le Camus) وله مجموع مواعظ تحت عنوان تنبيه الغافل وشذور الذهب من حياة القديسة ترازيا الطفل يسوع وقد عرَّب كتاباً اوسع من تاريخ هذه القديسة حضرة الخوري «يوسف عوَّاد» دعاهُ زهيرة حب في بستان الرب . وفي الدار البطريركيَّة العامرة ايضاً حضرة الخوري

«بولس طعمه» من كتبة اسرارها ومحرّر سابقاً جريدة البشير زمناً طويلاً ومنشئ مقالات شتى فيها وفي المشرق

ومن مشاهير كتبة لبنان من كهنة الموارنة الخوري «يوسف العمشيتي» اله كتاب الاجوبة السديدة على اعتراضات اعداء الدين وتعريب كتاب التعاليم الانجيلية والحقيقة المتسترة وصناعة الانشاء في التأبين والرثاء ثمّ تأبين المطران يوسف النجم وفارس كرم وحقيقة الماسونيَّة ومنشور البطريرك وازاهير القلوب لعيد القلب المحبوب ورواية سجين جميجاج ومأساة الاميرين الاسيرين وترجمة الخوري يوسف طنّوس يمين ثمّ مقالات ادبيَّة وفلسفيَّة ظهرت في مجلة المشرق. وفي جهات المتن حضرة الخوري «الياس الجميّل» صاحب كتاب اللاهوت النظري في تسعة اجزاء وافية . وله لمحة تاريخيَّة في البابا والمجامع السبعة المسكونيَّة. وفي المتين الخوري «يوسف ابو سليمان» صاحب الروايات التاريخيَّة الشعريَّة والنثريَّة المعرَّبة كوديعة الايمان في ضواحي لبنان وابدالونيم ملك صيدون ولويس دي غونزاغا ومعرِّب كتاب الكوكب الشارق وناظم قصائد في المشرق

واشتهر بكتاباتهِ حضرة المرسل اللبناني الخوري «ابراهيم حرفوش» مجدّد طبع اللاهوت الادبيّ للاب غوري اليسوعيّ ومضيف اليهِ ملحوظات متعدّدة. وله قدوة الصلاح في ترجمة الاب اسطفان قزاح ومقالات نفيسة في المشرق عن اديار لبنان وآثارها الجليلة ومكاتبها وسياحات رسولية شتّى. وفي بسكنتنا المنسنيور البرديوط «بطرس حبيقة» مؤسس مدرستها ومنشئ التآليف الذائعة كاللآلئ الفلسفيَّة وانفاس الطلّاب في مضمار الكتاب في ثلثة اجزاء ونبذة في فنّ التلوين وخطبة في اثبات سرّ القربان الاقدس ومقالة في مار افرام وسرّ الافخارستيّا مع شهادات الكنيسة السريانيَّة في هذا السرّ ثمّ اناشيد الموارنة السريان فيهِ وشهاداتهم في الالقاب المريميَّة وتأبين البطريرك بطرس الحاج والمطران بطرس البستاني ونشر رياضة روحيَّة للسيد جرمانوس فرحات وله ستة تآليف نثريَّة وشعريَّة في ذكر ترجمة واعمال ومحامد غبطة البطريرك ماري الياس بطرس الحويّك

وفي مزرعة كفردبيان حضرة الخوري الواسع الفضل «جرجس فرج صفير» الذي تخصّص بالدروس الفلسفيَّة واللاهوتيَّة فنشر كتابهُ في اصل الانسان والكائنات دحضاً

لمذهب التحوُّل وكتاب الفلسفة (جزءان) والقواعد المنطقيّة تعريب كتاب الاب تونجورجي اليسوعي ومناجاة النفس (بالشعر) والاخاء المتين بين العلم والدين وكشف الستار عن حرّية الاختيار والاعتراف والمسيح في القرآن والقلادة الذهبيّة في التأمّلات الانجيليّة ومختصر التعليم المسيحي في الكنيسة والطوائف . ولابن اخيهِ الخوري «بطرس فرج صفير» مقالات دينيّة وادبيّة في المشرق وكتاب التعليم المسيحي

وقد خدم الآداب العربية شعراً ونثراً الخوري «يوحنا طنّوس» طُبع من رواياتهِ التمثيليّة : البطريرك جبرائيل حجولا الشهيد والنعمان ملك الحيرة في بني شيبان ونشرَ في البشير والمشرق قصائد رنّانة . ومنهم في بيت شباب الخوري «ميخائيل غبريل» لهُ مصنفات عديدة كأدب البشر في الصغر والكبر وتاريخ الكنيسة الانطاكية السريانيّة المارونيّة في ثلثة مجلّدات ومشهد الكائنات في الارض والسماوات وترجمة المطران يوسف الزغبي والدرّة الفريدة في افدوكيا الشهيدة ومختصر اللاهوت الادبي مع الخوري بطرس غالب ومجموعة في مديح الوزير سليم الملحمة وكتاب صلوات ومختصر التاريخ المقدّس وتعريب التعليم المسيحي والبابا بيوس العاشر . وهناك ايضاً الخوري «حنا الحائك» معرّب كتاب الخوري كنيب «علاجي بالماء البارد» وكتاب تنشئة الصغير وألف كتاب تذليل الصعاب في علم الحساب

ومثلهم نشاطاً بوفرة منشوراتهِ الخوري «اسطفان البشعلاني» ألف كتاب لبنان ويوسف كرم ولهُ كتب ادبيّة تاريخيّة عديدة كحياة الجنرال غورو والامير سعيد وتنصُّر الامير عبدالله اللمعي (في المشرق) وروايات ادبيّة شتّى كحادثة اسقف وروبنصن كروزي الصغير والعواطف الشريفة والمركيز جان هنري ونزهة القرّاء الخ

ومنهم حضرة الخوري «اغناطيوس جعجع» مؤلف كتاب رياضة الكاهن ومعرّب مختصر تأمّلات الاب لويس الجسري وقسماً من رياضات القديس اغناطيوس مع شروح الاب جانسو . ثمّ الخوري «يوسف داغر» الذي نشر كتابين نفيسين مصباح الحقائق والبرهان الصريح في الدين الصحيح — وللخوري «بطرس القزح» انجلاء الاسرار المكنونة في يوم الدينونة ومقالة في الاعتقاد الباطل . والخوري «بطرس مراد» لهُ كتاب دعوة الحبيب الى السرّ العجيب وكلك جميلة ومصباح

الرُّشد في عجائب لُرد و كتاب في الحساب ورواية القديس انطونيوس البادوي وعرَّب المبادئ الدينيَّة لبلميس

وخارجاً عن لبنان قد اشتهر من كهنة الموارنة في مصر حضرة الخوري «لويس ملحة» بمقالاتهِ الاثريَّة والكتابيَّة في مجلة المشرق. والخوري «بولس عويس» صاحب التآليف القانونيَّـة في المجمع الاقليمي وفي مجمع الابرشيَّة وزيارة الابرشيَّة وقـانون الدواعي الزواجيَّـة (جزءان) وشرح على حكم المجمع المقدَّس في التناول اليومي والموت الحقيقي والموت الظاهر واكرام سيّدتنا مريم العذراء وحريق مكتبة الاسكندريَّة وسيَر القديسين مارون ويوحنا مارون وانطونيوس البدواني وروكز ويوحنا دي لاسال

وفي فرنسة المنسنيور «ميخائيل فغالي» احد اساتذة كليـة بوردو ألَّف كتباً لغويَّة نفيسة في لغة وطنهِ كفرعبيدا وفي السرياني الدخيل في لهجة لبنان واوصـاف بناياتهِ المنزليَّة وفي الدلالة على الاجناس في اللغات الساميَّة

وفي اميركة نشر الخوري «اسطفان خيرالله» اللاهوت الادبي والانسان وعلم الطبيعة والكيان والمنطق الانتقادي العلميّ وعجالة البيان في الاشارة الى ممالـك الطبيعة والانسان ولباب المباحث الجدليَّة وسبيل الوصول الى الاصول — وهنـاك ايضاً المنسنيور «فرنسيس واكيم» المرسل الرسولي لهُ كتاب لغز الحياة وكتاب سرّ التوبة والحريَّة ومختصر في المناولة المتواترة — ونرتاب هنا في ذكر كاهن ماروني آخر عدل الى العيشة العالميَّة بعد نبذ كهنوتهِ «حبيب اسطفان» وكان نشر عدَّة مقالات نثريَّة ونظميَّة دينيَّـة وفلسفيَّة في المشرق وهو اليوم يحرّر في الجرائـد ويخطب في النوادي السياسيَّة اناره الله!

٢ «الكهنة القانونيّون» ليست الحركة في خدمة الآداب العربيَّة بين الرهبان الموارنة دونها بين الكهنة العالميين. فممَّن شاع فضلهُ بين (الرهبان البلـديين) حضرة القس «مبارك ثابت» الديراني نشر مع القس «مبارك مارون المزرعـاني» مجموع اللآلي بالسريانيَّة والعربيَّة. وقد عرَّب الجزء الثاني من الحقائق الدينية وثلاثة اجزاء من التأملات اليومية للكاهن شيفاسي وكتاب الادب الرهباني وكتاب التعليم التقوي للاولاد للسيد دي سيغور والمباركيَّات ومجموع اللآلي ولهُ روايتا الامّ الذنبة والضمير واقطع البراهين في صحة حقائق الدين

نقل حضرتهُ هذا الكتاب عن الافرنسيَّة بتصرُّف وهو للاب دڤيڤيه (W. Devivier) اليسوعي ولهُ ايضاً ردود العقل المستقيم ونبذة من دستور الرؤساء للاب ڤالوي اليسوعي. وشهر التكريم لدم الفادي الكريم لهالز والتعريج في الدين المسيحي. والمنهج الحسن في اسعاد الوطن. ورواية الرجل الواقف من روايات البشير وروايات اخرى ادبيَّة وفكاهيَّة

ومن الرهبانيَّة اللبنانيَّة البلديَّة الجليلة الذين يُعنون حاضراً بالكتابة العربية : القس «لويس بليبل» ناشر تاريخ الرهبانيَّة اللبنانيَّة الذي انجز من طبعهِ جزئين. ومن تآليفهِ الشذور الذهبيَّة في حياة كوكب البرّيَّة. ومنتهى الخشوع في مناجاة قلب يسوع وتربية دود القزّ ولهُ عدَّة مقالات في كوكب البرّيَّة ورسالة السلام والمشرق. ثمَّ القس «يوسف حبيقه» البسكنتاوي نشر وعرب اناشيد الموارنة السريان في سرّ القربان وشهادات الكنيسة السريانيَّة المارونيَّة في سرّ الافخارستيَّة وفي حبل العذراء البريء من دنس الخطيَّة الاصليَّة وفي انتقالها الى السماء وشرح الليتورجيَّة المنسوب للقديس يوحنا مارون. والمنارة اللبنانيَّة ومرقاة الدارج في تفسير المدارج. والاب «بطرس ساره» الذي نشر في المشرق مقالات ممتعة طُبعت على حدة كترجمة الناسك الفرنساوي في لبنان فرنسوا دي شسطويل وترجمة السيد فرنسيس بيكه قنصل حلب ثمَّ قاصد رسولي في العجم. وترجمة الطيبي الذكر الاب مبارك المتيني وفريون ڤرو ومقالات ادبيَّة وتاريخيَّة كالكشَّافة ورحلة الاباتي اغناطيوس التنوري الى رومية. والقس «انطانيوس شبلي» المستخرج الآثار الدفينة من مكاتب الاديرة نشرنا لهُ في المشرق ترجمتي الاب شربل حبيس عنَّايا والاب مارون ايطو ورحلتهُ الى شمالي لبنان والى كسروان وآثار منسيَّة للسمعاني في المجمع اللبناني ولفرحات كمجاوراتهِ الرهبانيَّة وصورة الراهب الكامل. وللقس «بطرس الحائك بجدرفل» كتاب دليل للواعظين عنوانهُ كلمة الله ينبوع الحياة. ولهُ مع اخيهِ «القس برنردوس» تعريب كتاب العفاف لاسقف ڤالنس السيّد جيبر. وللقس «الياس البكيفاوي» تعريب كتاب سبيل السعادة للاب برتيه. وللقس «بطرس الحاجي» ابحاث في النذور والحالة الرهبانيَّة وفي تفتيش الضمير. وللقس «جبرائيل مجلي السرعلي» رواية مجاعة لبنان. وللقس «بطرس زهره الاهمجي» الكتاب الادبي شعاع النجاح. وللقس «مبارك المزرعاني ابي مارون» لباب الكتاب لطلَّاب العلم والآداب ومجموع

اللآلي من كتابات جهابذة السريان . وللقس «بولس عبود الغسطاوي» تاريخ البطريرك يوسف اسطفان والراهبة هندية وبصائر الزمان في تاريخ البطريرك يوسف اسطفان والمجالي التاريخيّة في ترجمة الراهبة الشهيرة هندية وحياة القديس انطونيوس ابي الرهبان وتقاليد فرنسة في لبنان واليهود في التاريخ . وللقس «مبارك الحاج البسكنتاوي» يسوع قدوة الناشئة المسيحيّة . وقواعد قياسيّة لحل المسائل الحسابيّة . وللقس «انطونيوس العنيسي الجاجي» ترجمة الاب يواصاف العنيسي . وللقس «واصاف كرم القرطباوي» خواطر روحية ومقالات وخطب

(وللرهبانيّة المارونيّة الحلبيّة) آثار مشكورة ايضاً لبعض ابنائها . منهم الاب الفاضل «جبرائيل قرداحي» معلم السريانيّة والعربيّة في رومية . كان اوّل من نشر معجم اللغة السريانيّة في العربيّة دعاهُ اللباب في مجلّدين ضخمين . وكرّر طبع المناهج في النحو والمعاني عند السريان وألّف كتاب الكنز الثمين في صناعة شعر السريان وتراجم شعرائهم المشهورين ونشر الاحكام من قصائد ابن العبري السريانيّة وكتابهُ المعروف بالحمامة ونشر ايضاً مقامات من فردوس عدن للصوباوي بالسريانيّة

ومن اغزر الرهبان الحلبيّين مادّة الاباتي «افرام حنين الديراني» من تآليفهِ تنشئة الصغير وطريق السماء والدرّ المنتقى لجيد ذوي التقى وطريقة اعتراف الاولاد والدليل في السبيل ورسالة في الديانة المسيحيّة والطقوس الرهبانيّة ومختصر التاريخ المقدّس وكتاب الشبيبة بموجب طقس الكنيسة المارونيّة . وتسعويّة وتأملات شهريّة لاجل الانفس المطهريّة وتحفة المغارب في سيّدة لورد امّ العجائب والعيشة الهنيّة في الحياة النسكيّة وسيرة القديس انطونيوس والعَرْف المنتشر في سيرة البابا لاون الثالث عشر . والنهج القويم في تاريخ شعوب الشرق القديم ورواية الابن الشاطر وتعريب كتاب بورسو «كيف تصير رجلاً» . ونشر كتاب المحاماة . ومن الرهبان الحلبيّين الافاضل القس «طوبيا العنيسي» الذي نشر مجموع الرسائل لكتبة العرب ومجموعة المناشير البابويّة الخاصّة بالموارنة مع ملحق عليها . والقس «يوسف الشباني» مؤلف كتاب اجتناء الاثمار من تكريس شهر أيار . والقس «اغناطيوس الحائك الشباني» لهُ نهج الكمال في الصلاة العقليّة للكهنة

وكذا الرهبانيّتان المارونيّتان اللبنانيّة البلديّة والحلبيّة كذلك (الرهبانيّة

الانطونيَّة) ادّت للآداب العربيَّة خدماً مشكورة على يد بعض ابنائها . منهم القس « عمانويل البعبداتي » الذي كتب تاريخ رهبانيّتهِ واديرتها ومشاهير رهبانها . ونظن انهُ هو ايضاً مؤلف الكتاب المعنون بالصادق في خدمة الحقائق المطبوع سنة ١٩٠١ . ولهُ تاريخ آخر يدعى تاريخ العصور لم يُنشر منهُ سوى بعض القطع — ومنهم حضرة الهمام القس « يوسف الجميتاوي » عُني بنشر مراقي الطالب الى بحث المطالب وفيهِ اعراب ما ورد من الامثال في كتاب السيد جرمانوس فرحات . ثم الحقهُ بكتاب كفاية الطالب وبغية الراغب في جزئين يبلغان نيفاً و ٧٠٠ صفحة في الصرف والنحو . ومنهم القس « برنردوس غبيره الغزيري » لهُ مجموع واسع في تاريخ وآثار الطائفة المارونيَّة في اللغات الشرقيَّة والغربيَّة . ومنهم القس « بطرس الجُدَيدي » مؤلف التحفة الادبيَّة في القراءة العربيَّة . والقس « يوسف الشدياق » صاحب مجلة كوكب البريَّة حرَّرها اربع سنين وضمَّنها عدداً عديداً من المقالات التاريخيَّة والادبيَّة والاجتماعيَّة والانتقاديَّة ساعدهُ في ذلك الاب « مبارك صقر » معرِّب سياحة السيد ميسلين الى الشرق . ومثلهما الاب « اقليموس هراوي » من كتبة تلك المجلة . ومن كتبتهم ايضاً القس « مبارك مارون » ألف السياحة الارضية في الجمهوريَّة الفضيَّة . وصرَف القسّ « بولس اشقر » همتهُ الى الموسيقى الشرقيَّة لهُ مبادئ موسيقية عربيَّة وشرقيَّة ولحَّن القداس الماروني ونشيد كليَّة القديس يوسف

ولا يسعنا ان ننسى حبرًا جليلاً يشرّف الطائفة المارونيَّة في رومية نريد بهِ السيد « نعمة الله ابي كرم » اسقف مندو شرفاً . لهُ آثار نفيسة في العربيَّة ما خلا كتاباتهِ في جريدة البشير التي حرَّرها عدَّة سنين منها تعريبهُ لذخيرة الالباب في بيان الكتاب وقسطاس الاحكام في جزئين وتعريب كتاب فلسفة الكردينال مرسياه في عدَّة اجزاء وقد نقل الى اللاتينيَّة كتاب ابن سينا المعروف بالنجاة . ونضيف الى سيادتهِ بعض الذين ادُّوا خدماً حسنة في طائفتهم المارونيَّة للغة العربيَّة . منهم الخوري « اسطفان ضو » صاحب مجلَّة العثماني ومؤلف كتاب حديقة الجنان في تاريخ لبنان . وناظم الشاديات في التواريخ الشعريَّة . والخوري « رميا دميان » الكاتب الضليع في الجرائد الوطنيَّة . لهُ بحث في تلاوة القدَّاس في الاجيال الثلثة الاولى . وللخوري « شكرالله الشدياق » بحث تاريخي في درب الصليب . وللخوراسقف « يوسف شبيعه »

اللاذقي في نيويرك كتاب الميامر الكنسيَّة للطائفة المارونيَّة . ونشر الخوري «بولس السمعاني الماروني» نفح الياسمين في نادرة فلسطين في سيرة الراهبة يسوع المصلوب بواردي . وللخوري «لويس الخازن» مقالات عديدة في مجلّة كوكب البرّيّة وفي جريدة الارز . وعرَّب الخوري «يوسف الحدَّاد» رواية ارثور دوق بريطانية التمثيليَّة . ونشر الخوري «يوسف ميلاد الحائك» كتاب الكاثوليكي العامل . وكلٌّ يعرف زجليَّات الخوري «سمعان الفغالي» الدينيَّة والادبيَّة . وكان قبل كهنوته نشر شمس المغنى في ثلثة اجزاء . وللخوري «يوسف فيَّاض» السحر الحلال والماء الزلال مقالات بليغة . ونشر الخوري «جبرائيل قرقاز» في فيلادلفيا القول الصحيح في دين المسيح . وعني الخوري «فرنسيس نجم» بتعريب رواية شهيد الدين وابطال المروءة . ومنذ العام ١٩٢٦ يتحفنا صاحب المجلة السورية حضرة «الخوري بولس قرألي» بمقالات تاريخيَّة واثريَّة نادرة . ونشر الخوري «الياس الزيناتي» قوانين المجمع اللبناني بعد جمعها وترتيبها . وللخوري «جرجس عزيز الجزيني» : قسطاس المزامير اناشيد الكنيسة المارونيَّة . وللخوري «جرجس السبعلاني» نظر في وصف مالطة وتاريخها وقراءة لغتها . وللخوري «بطرس خويري» الرحلة السوريَّة في الحرب العموميَّة . وللخوري «لويس جبر» الكلام المستفاد في سيادة المطران يوحنَّا مراد . ووصف الخوري «منصور اسطفان» شهامة ماك سويني اللورد محافظ كورك . ونشر الخوري «نعمة الله الاسمر» نظم كليلة ودمنة لابن الهباريَّة . وعرَّب الخوري «يوحنَّا رزق» كتاب الجلاء المسيحي . والَّف البرديوط الخوري «داود اسعد» مقالتهُ الجميلة في البابا ورومية

كتبة الروم الكاثوليك الملكيين

اشتهر «الروم الكاثوليك» بانصبابهم على درس اللغة العربيَّة منذ القرن الثامن عشر . وهم لا يزالون في الوقت الحاضر رافعي لواء الاداب العربيَّة سواء كانوا في مصاف الاكليروس او في العيشة العالميَّة . فمن احبارهم السيد «باسيليوس قطَّان ق . ب» رئيس اساقفة بيروت نشر في مجلَّات رومية ثمَّ في مجلة صوت الحقّ عدَّة مقالات تاريخيَّة وادبيَّة وطقسيَّة وقد باشر سيادته آخرًا بنشر مجلة هي لسان حال طائفتهِ الكريمة . وللسيد «نيقولاوس القاضي» رئيس اساقفة بصرى وحوران رحلتان الى جبل الدروز . وللسيد «غريغوريوس حجَّار ب . م» اسقف عكَّا مناشير ومقالات شتى

في مجلة المسرّة . وللسيد «يوسف الصائغ» رئيس اساقفة صور كتاب دُعاة الضلال وهو بحث انتقادي اجتماعي ثم مقالات واسعة في مجلّة المسرّة . ولمطران اللاذقيّة السيد «انطون فرج» النشرات الصادقة وتعريب الرواية في ظلمات القصر الشمالي والتربية الطقسيّة .
وألّف السيد «بولس ابي مراد ب . م» النائب البطريركي في القدس الشريف كتاب البرهان السديد في خلود النفس

وقد اشتهر بين كتبتهم (الآباء البولسيّون) . فان مجلّتهم المسرّة طافحة بالمقالات الحسنة المتينة باقلام الآباء «بولس الاشقر» و«اندراوس الياس» و«انطون حبيب» و«جرجي جنن» مؤلف مغالـط الكتّاب ومناهج الصواب وقد فقدوا قبل سنتين الطيّب الذكر الاب «بولس سيُّور» ذا المآثر العديدة

ولكثير من كهنتهم العالميين تآليف مشكورة . فان لحضرة الخوري «ميخائيل ألوف» كتاب ترجمة ام الله البتول العظيمة . وللاكسرخوس «يوحنّا الحدّاد» نخبة النُّخب وجداول تاريخيّة واحصائيّة نشرهـا في اميركا . وللخوري «دانيال شريم» الرزنامة الدائمة . وللارشمندريت «ميشال عسّاف» رسائل ومكاتبات ومقـالات ورحل غـاية في الحسن كتبهـا من مصر واميركة ومن وراء عبر الاردن . وللخوري «يواكيم اسطفان» رواية كريستوف كولمب . وللخوري «ثاوفانس شارّ» روايات ومقالات مختلفة في المسرّة . وفيها ايضاً كتب الارشمنـدريت «باسيليوس حجّار» والخوري «جبرائيل رباط» والخوري «يوحنّا الهندي» . ولحضرة «الخوري بولس سلمان» دروس ممتعة نُشرت في المشرق عن عرب البلقاء ومـا وراء الاردن وصف فيها احوالهم الاجتماعيّة من دين وقضاء ولغة كلّها مبهجة مؤثّرة

وقد جارى فضلاء رهبانهم كهنتهم العالميين . فمن (الرهبانيّة المخلصيّة) نال السبق بتآليفه حضرة الخوري «قسطنطين باشا» نذكر منها بحثهُ الانتقادي في اصل الروم الملكيين . ولمحة التاريخيّة في الرهبانيّة المخلصيّة وفي اعمالها في خلال الحرب وفي احوال طائفة الروم الملكيّة للطيب الذكر مكسيموس مظلوم ومحاضرتيه في تاريخ مدرسة دير المخلّص تذكاراً لمئة سنة منذ تأسيسها . ومن منشوراته دفع الهم لايليّا الصوباوي وميامر ثاوذوروس ابي قرّة مـع ترجمة ميمر منها الى الافرنسيّة وسيرة مؤلّفهـا . وكتاب الكهنوت للقديس يوحنا فم الذهب وسيرة القديس يوحنا الدمشقي ومذكّرات

تاريخيَّة في ثورة الشام وحوران ولبنان في عهد ابرهيم باشا ومعالم الكتابة ومغانم الاصابة لعليّ بن شيث ونخبة من سَفرة البطريرك مكاريوس الحلبي . وعرَّب عن الفرنساويَّة كتاب العفَّة وبهجتها ورواية فتاة الاسكندريَّة هذا فضلاً عمَّا نشره من المقالات في مجلات الضياء والمشرق والمسرَّة والآثار والمجمع العلمي الدمشقي وفي بعض المجلات الافرنسيَّة

وجاراهُ في الكتابة اخوهُ في الرهبانيَّة حضرة الخوري «نقولا ابي هنا» فمن آثار قلمهِ رواية تنصُّر الملك كارڤيس . ومنظومتهُ البديعة في وصف الحرب وويلاتها وانتصار دول الحلفاء في ٣٦٠ بيتاً تحت عنوان « وقفة بين الماضي والحاضر » ولهُ في المسرَّة والمشرق وبعض الجرائد كالبشير والوطن قصائد ومقالات شتى منها في المسرَّة مخمَّسة في تذكار المئة الثالثة عشرة لتحرير الكنيسة على يد قسطنطين الكبير . ومنهم ايضاً الخوري «بطرس ابو زيد» معرّب كتاب العفاف للاب غيتون اليسوعي وناشر مقالات مختلفة في المسرَّة . والارشمندريت «جبرائيل نبعة» صاحب رسالة مستفيضة تذكاراً للمائة الثانية لقيامة دير المخلّص . والاب «الكسيوس شتوي» الذي عرَّب عن اليونانيَّة كتاب خدمة القداس واستشهاد القديس بوليكربوس . والخوري «فيليمون كاتب» معرّب رواية آدم وحوّاء وناشر كتاب زجر النفس . والخوري «يواكيم القرداحي» مؤلف رواية تمثيليَّة ادبيَّة في عواقب العشق الرديئة مع بعض المقالات في المسرَّة

وبين الرهبان (الروم الكاثوليك الحنَّاويين) اشتهر بالكتابة حضرة الخوري «برنردوس غصن» لهُ كتاب في تربية الولد والمدرسة وحرَّر نحو سنتين مجلة صوت الحقّ فضمَّنها مقالات بليغة في الدين والادب والتاريخ وفي تفنيد آراء بعض الملحدين . ولشقيقهِ الخوري «اكلمنضوس غصن» مقالات في تلك المجلة . وللخوري «فلابيانوس كفوري» لمحة تاريخيَّة من مجامع الروم الكاثوليك مع مقالات اخرى في المسرَّة . ونشر الارشمندريت «برتلماوس صليبا» مأساة الغد ومقالات في المسرَّة . وفي صوت الحقّ . وكذلك الارشمندريت «الكسيوس كاتب» مطبوعات تاريخيَّة في طائفة الروم الملكيَّة

ومن الرهبان (الروم الملكيين الحلبيين) الخوري «لاونديوس كزي» نشر خطاباً للقديس باسيليوس . واثراً قديماً للقديس يوحنا فم الذهب . والخوري «دميانوس

شبارخ﴾ مدير المدرسة البطريركيَّة نشر عدَّة مقالات في مجلة المسرَّة

نضيف الى السابقين بين الروم الاورثذكس سيادة المطران ﴿جراسيموس مسرَّة﴾ مؤلف كتاب تاريخ الشقاق وبعض كتب طقسيَّة وجدليَّة . كتب في جريدتي المحبَّة والهديَّة والخوري ﴿يوحنَّا حزبون﴾ اشتغل في التأليف فنشر كتباً حسنة كالطرفة الشهيَّة في انتصار الانجيل على الاضاليل الوثنيَّة وبهجة الفؤاد في تفسير اناجيل الآحاد في جزئين وكتاب تفسير الرسائل وكنز النفائس في اتحاد الكنائس وتاج العروس في تاريخ الشهيد جاورجيوس والرسالة البهيَّة في الكرازة الانجيلية . والخوري ﴿عيسى اسعد﴾ صاحب الطرفة النقيَّة من تاريخ الكنيسة المسيحيَّة (راجع المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٤٠١ — ٤١٢) والماسونيَّة بقلم احد العارفين (كذا) . وللشمَّاس ﴿ثيودورس مطلق﴾ الناصري الحمامة البيضاء في عجائب سيّدتنا العذراء . وللشمَّاس ﴿توما ديبو﴾ تعريب خطبة بوسويه في ظفر الصليب وخطبة فنيلون في ظلم العالم لاهل الخير . وللارشمندريت ﴿ايليا ديب﴾ مؤنس الجلَّاس بمفاخر العبَّاس . وللارشمندريت ﴿يوسف ابي طير﴾ خلاصة الابحاث في علم الميراث

السريان الكاثوليك

يسير في مقدّمة اكليروسهم في تعزيز الآداب غبطة بطريركهم ﴿اغناطيوس افرام الثاني الرحماني﴾ بوفرة منشوراته الجليلة في السريانيَّة والعربيَّة واللغات الاوربية . فمن آثار غبطته في العربيَّة كتابهُ النفيس المباحث الجليَّة في الليتورجيات الشرقيَّة والمنارة اللبنانيَّة في الطقوس والرتب والعوائد الدينيَّة في الكنيسة الانطاكية وقد نشر في مجلّة الآثار الشرقية عدَّة مقالات تاريخيَّة واثريَّة اطوأها العارفون مدارها على الممالك الاثوريَّة والبطريركيَّة الانطاكيَّة وغيرها . وللحبر السيد ﴿غريغوريوس بطرس هبرا﴾ رئيس اساقفة دمشق تعريبهُ لتأملات الخوري هامون لكلّ ايام السنة

أما كهنة السريان ذوو المآثر الكتابيَّة فمنهم الخورفسقفوس ﴿جرجس شلحت﴾ لهُ نخبة من امثال فنيلون عرَّبها نثرًا ونظماً وكتاب النجوى في الصناعة والعلم والدين ثمَّ الكون والمعبد نشرهُ في مجلّة المشرق . وحَبك الدراري او حسن النظام والسلوك ومديحة لمار افرام كنّارة الروح القدس وقلادة الذهب في فرنسة والعرب والشكوى او محاورة الحكيم ومناجاة الارواح . ومنهم الخوري ﴿جرجي عبد الاحد﴾ نشر

كتاب المسلك الحميد من مريم العذراء الى يسوع المجيد والكتب الكنيسيّة في السيرة القدسية في ستة اجزاء. ولهُ نشرة الاحد وهذه سنتها الرابعة لصدورها في بغداد

واغزر منها مادّةً حضرة القس «اسحق ارملة» فانّ تآليفهُ كلّها تشهد لهُ بطول الباع في تاريخ طائفتهِ وعاداتها وطقوسها ولغتها مع وقوفهِ على احوال الوطن. فمن ذلك كتابهُ الزهرة الزكيّة في البطريركيّة السريانيّة الانطاكيّة واللمحة التاريخية في اديار ماردين القديمة وتاريخ السريان في القطر المصري وسياحة في طور عبدين وسلسلة بطاركة السريان وجثالقة المشرق ومقارنة السريان والطائفة السريانية والقنصلية الفرنساوية في بغداد والقصارى في نكبات النصارى. والرجعة تفنيد الردعة للراهب افرام برصوم. ثم عدّة كتب في درس اللغة السريانية كالاصول الابتدائية في اللغة السريانيّة وقواعد اللغة السريانيّة ومبادئ القراءة والترجمة في اللغة السريانية ورغبة الاحداث وتراجم كثيرين من مشاهير السريان في المشرق

ومن كهنة السريان ذوي الآثار الكتابية القس «روفائيل جبري» ألف مختصراً من التواريخ المقدّسة لافادة الصغار ثمّ سُلّم العبادة. وللقس «جرجي صقّال» الردّ الصريح على تشنيع سليم جبقي النبيح. وللقس «بولس سباط» كتاب المشرع مع اوصاف مختلفة لمخطوطات مكتبتهِ الخاصّة. ونشر القس «حنّا الرحماني» رواية غفران الامير. والقس «يوسف ربّاني» رواية الكونت والمركيز والدوك المحتالين. واولع القس «يوسف ربّاط» بنشر العبادة لسيّدة پومباي فنشر تساعيتها ودليل المشتركين فيها. ونشر القس «جبرائيل نجّاش» انشودة العرس في الشهباء. والخوري «جرجس ابرهمشا» نشر عدّة مقالات في مجلة الآثار الشرقيّة ومثلهُ الخوري «جرجس ستيته». ولولا عدول الدكتور «لويس صابونجي» عن دينهِ لذكرناهُ هنا: وقد ذكرنا سابقاً ديوانهُ شعر النحلة. وللكاهن اليعقوبي «افرام برصوم» تاريخ دير الزعفران

الاكليروس الكلداني الكاثوليكي

للحبر الجليل «بطرس عزيز» مطران سلمست تآليف مفيدة فانهُ نشر تقويماً قديماً للكنيسة الكلدانية النسطورية وردعاً للوقاحات البروتستانية ومقالات لاهوتية وتاريخيّة في مجلة المشرق. ونشر السيد «يعقوب اوجين منّا» دليل الراغبين في لغة الآراميين ثمّ ܡܪܕܘܬ ܡܫܝܚܝܬܐ المروج النزهيّة في آداب اللغة السريانيّة (جزءان)

وطبع المطران «ارميا مقدسي» نحو اللغة السريانيَّة للسريان والخوري «باسيل بشوري» نشر عدَّة مقالات في نشرة الاحد ومقالة في المطهر في المشرق . وطبع القس «سليمان صائغ» الجزء الاوَّل من تاريخ الموصل . وللقس «يوسف كوكي» المنتخبات الطقسية وردود على مقالات ماسونيَّة . واختصر القس «يوسف تفنكجي» حالة الكنيسة الكلدانيَّة حاضراً وهيئتها النظاميَّة . ومن كهنة الكلدان القس «الفنس منجنه» الذي عدل الى البروتستانيَّة وقد نشر بعض الآثار الكلدانيَّة والعربيَّة مما ارتاب في صحتهِ العلماء . ونشر القس «منصور قرياقوس» المجلة الاشوريَّة الكلدانيَّة

الارمن الكاثوليك والاقباط

منهم الخوري «ميخائيل قديد» نشر حياة القديس غريغوريوس المنوّر وترجمة الكاهن الشهيد غوميداس . وعرّب حضرة الاب «سو كياس جريان» سنين عديدة مطبوخ الارمن . وللقس «بولس قوشاقجي» كتاب يوميَّة المسيحي وحرَّر جريدة الكلمة . وللقس «كركور الارمني» كتاب ليترجيَّة القدَّاس على حسب القطس الارمني وممَّا نعرفهُ «للكهنة الاقباط» متفرّقات في المذهب البروتستاني وتاريخهم وفي السلطة البابويَّة للخوري «اثناسيوس سبع الليل» . وردّ الثلثة والاربعين سهم في نحر البراموسي العليل بالجدال والوهم للمنسنيور «فرنسيس قزمان» . فترى من هذا الجدول الطويل ما للاكليروس الشرقيّ الكاثوليكي من الخدم الجليلة التي يؤدّيها للغة العربية بمنشوراتهِ العديدة في كل فنون الكتابة . فلا يُنكر انهُ من انصار لغتنا في كل انحاء الشام ومصر والعراق والجزيرة

المرسلون اللاتينيون

لم يقتصر المرسلون همَّتهم على الخدم الروحيَّة التي يؤدونها للبلاد التي يحلُّونها . فانهم كثيراً ما يحثُّون بكل ما من شأنهِ ان يساعد على ترقية تلك المواطن في العلوم والآداب كما رويناه سابقاً . وها نحن نلحق بذكر الاكليروس الشرقي العالمي والقانوني المرسلين الذين يسعون حاضراً سعياً مشكوراً في نشر الآداب العربيَّة . لهم فيها منشورات وخدمات شتى نذكرهم على ترتيب حروف المعجم

(الدومنيكيون) ادّت مطبعتهم الموصليّة خدماً جليلة للآداب العربيّة الى أن قضت عليها آفات الحرب ولم يتمكنوا حتى الآن من استئناف اشغالها. وبين اساتذتهم في المدرسة الكتابيّة في القدس الشريف آباء يتقنون اللغة العربيّة ويلقون فيها الدروس المختلفة كالاب «يوحنّا دومط» ثمّ الاب «اوغسطينوس مرمرجي البغدادي» كاتب مقالة النوابغ في المشرق (١٨[١٩٢٠]:٣٦٦) . وقد عُني مرسلوهم بالآثار العربية والسياحة في جزيرة العرب. فالابوان «جوسن وسافنياك» نشرا اخبار سياحتيهما العلميتين بين العرب في مدائن صالح والى العلى في تيماء وحرّة تبوك. ووصف الاب جوسن عادات العرب في مؤاب في كتاب ضخم سنة ١٩٠٨

(السالزيان) معظم اهتمامهم بالصّنعة والايتام. نشر احدهم «الاب يوحنّا النخّاس السالزي» حياة الاب انطون بلوني مؤسس مدارس الايتام في فلسطين

(الصعوديون) لهم منشورات عديدة في كل معارف الشرق وتواريخه المسيحيّة. اخصُّها مجلّة «اصداء الشرق» الحافلة بالمقالات الجليلة عن الكنائس الشرقيّة وتراجم رجالها وتعريف سائر شؤونها. ولهم نشرة خاصّة عن اورشليم ودليل الاراضي المقدسة. ومن تآليفهم الممتعة كتاب الاب «مرتينوس جوجي» في الكنائس الشرقيّة والطقوس الشرقيّة الذي ظهرت آخرًا طبعتهُ الثانية. ولهُ كتاب «اللاهوت النظري للمسيحيين الشرقيين» طُبع في باريس السنة الماضية ١٩٢٦ . ولهم دليل فلسطين

«الفرير» منذ حلّ اخوة المدارس المسيحيّة ارجاءنا لم يهملوا تدريس العربية. فنشر منهم «الاخ بلاج» في مصر عدّة كتب مدرسيّة كبحر الآداب وسفينة النجاة. وقد توفي حديثاً الاخ «ساروفيم فيكتور» الماروني رشيد عطا الله مؤلف تاريخ الآداب العربية الذي سبق لنا وصف طبعتيهِ. ولهُ مجموع مقالات ادبيّة ودينيّة وقد عرَّب روايات فكاهيّة وتمثيلية نشرت جريدة البشير بعضها ولهُ ديوان شعر دونك مثالًا منهُ مما قالهُ في شوقهِ الى وطنهِ:

يا ربوعَ الشام لا زال الهنا	شاملًا اهليكِ طُرًّا للدوام
لسواكِ القلب لم يعرف هوًى	وهوى الاوطان ما فيهِ ملام
لن ترالي في فؤادي ابدًا	في في ذكركِ اشهى من مُدام
انتِ فردوسُ نعيمٍ دائمٍ	تربُكِ العنبرُ في ريّا الخزام

نسماتٌ منك تحيي مهجتي ماؤك العذبُ شفاءٌ للسقامْ
هل الى لبنان لي من عودةٍ فترى عيناي هاتيك الاكامْ
ان يشأ يجمعْ إلهي شملكم وبمرآكم يبلّغني المرامْ
واذا بالبُعْد يقضي ابدًا فعليكم وعلى الشام السلامْ

ولغيرهما ايضاً فصول ومقالات نُشرت في المجلّات والجرائد الوطنية تدلّ على عناية الفرير باللغة الوطنية

«الفرنسيسيون» ضارعوا الآباء الدومنيكان في خدمة الآداب العربية فان مطبعتهم القدسية في فلسطين تُعتبر كلسان حال رهبنتهم لنشر المطبوعات التقويّة والمدرسية والادبية . وممّا نشرهُ هناك الاب «لاورندس النحو الطرابلسي» مناط الرغائب في تاريخ قدّيس العجائب مار انطونيوس البادوي وعرّب قبلهُ سيرة القديس فرنسيس الاسيزي للقديس بوناونتوا . وللاب «كميل مارون» الحلبي منهاج الخشوع في حبّ يسوع ومفتاح الفلاح في تقديس الارواح . ونشر الاب «يواكيم الدعبول الناصري» ضياء الالباب في علم الحساب ونشر غيرهُ مهد الادب لولد العرب . وللاب «برنباي ميسترمان» وصف الاراضي المقدّسة . منهُ مختصر الثغر السليم في يافا ورملة اورشليم . ووصَفَ دار ولاية بيلاطوس وقبر العذراء في اورشليم وجبل الطور

(الكبوشيون) ينشر حضرة الاب «يعقوب حدّاد الغزيري» مجلّة التقويّة المعنونة صديق العائلة . ومن مطبوعاتهم تقويم الشرق الكاثوليكي ظهر اوّلًا سنة ١٩٢٥ . ومنهم الاب «جبرائيل ماريا كنيدر» الحلبي استاذ العربية في المدرسة العموميّة للرسالات الايطاليّة الخارجيّة في بالرمو نشر في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٩٠٢ غراماطيق اللغة العربية لفائدة الايطاليين

(الكرمليّون) نعرف منهم حضرة الاب «انستاس الكرملي» صاحب مجلّة لغة العرب التي ظهرت سنة ١٩١١ لهُ في العشر السنين الاولى من المشرق وفي مجلّات اخرى عدّة مقالات باسم حضرتهِ صريحاً او تحت اسماء مستعارة . ومن تآليفهِ التعبّد لقلب يسوع طفل براغ وغير ذلك

«اللعازريون» تعدّدت منشورات حضرة الاب «يوسف علوان اللعازري»

منها روحية كنشرتيه نزاع السيد المسيح والجسمانية وكتاب اخوية النزاع الالهي وكتاب اخوية الملائكة الحراس وكتاب اخوية بنات مريم. ومنها تاريخية كالدر المختار في نظم حياة الشهيد پرپوار وحياة الطوباوي راجيس كله الشهيد اللعازري والمثال الصحيح لكاهن المسيح في حياة القديس خوري ارس وحياة القديسة جان درك وتاريخ فردريك اوزنام ونبذة تاريخية في ظهور الايقونة العجائبية وتاريخ مدرسة عين طورا في (المشرق). ومنها مدرسية كفرائد المجاني وفرائد الامثال الجليلة ومختصر بحث المطالب ومختصر الصرف والنحو ومرقاة المترجم في اللغتين الفرنسية والعربية (اربعة اجزاء) ومنها تعريبات كتعريب مبادئ التعليم المسيحي للبابا بيوس العاشر والتعليم الصغير لقداسته وتعريب الكتاب المقدس ليوستينوس كنيخت وتعريب اخوية الحرس الشرفي لقلب يسوع الاقدس — ولحضرة الاب «قيصر الخوري» كتاب دروس في الديانة المسيحية ظهر بالفرنسوية وسيظهر في العربية تقريباً

«اليسوعيون» عُنيت الرهبانية اليسوعية بتعزيز لغة سورية الوطنية عنايتها بكل لغات الامم التي تُرسل الى تبشيرها. وفي الحاضر لعشرة من اليسوعيين الاحياء تآليف تشهد على غيرة رهبانيتهم في تعزيز العربية. وقد وجدوا في مطبعتهم الكاثوليكية معيناً كبيراً قرّب اليهم العمل فدونك اسماءهم بالترتيب. الاب «شرل أبيلا» له رواية ابن وائل ومقالات لاهوتية في الوحي نشرها في المشرق مع بعض آثار السيد فرحات. الاب «خليل اده» نشر كتاباً في مبادئ القراءة العربية وطبعة جديدة لكتاب المرحوم جبرائيل اده القواعد الجلية في علم العربية والعلم الصحيح في حياة السيد المسيح ومقالات ممتعة في المشرق منها فلسفية ومنها اجتماعية ومنها انتقادية نخص منها بالذكر اصول البلاغة عند العرب وفي الشعر العربي ثم انتقادهُ النفيس لتعريب الالياذة. الاب «فرديننان توتل» وصف سياحاته الرسولية في جهات حيفا وفي حوران وكتب مقالات شتى في المشرق وفي رسالة القربان. الاب «الياس جباره» كتب في حالة الكنيسة الانكليكانية ونشر كتاب صلوات ورياضات وتاشيد روحية وله بعض المنظومات في المشرق. الاب «لويس شيخو» مدير مجلة المشرق. له مصنفات مختلفة منها دينية ولاهوتية كالبرهان الصريح في لاهوت السيد المسيح ومجموعة مقالات دينية لقدماء كتبة النصرانية. وتراجم بعض القديسين كالقديس

يوحنا الدمشقي والقديس بطرس كانيزيوس والطوبوي بلرمينوس واولياء الله في لبنان والتعبد لطفولية السيد المسيح . ومنها جدالية كالاناجيل القانونية واناجيل الزور ومحاورات جدالية وردود مختلفة على التنير والمجلات الوطنية وكشف اسرار الشيعة الماسونية . ومنها فلسفية كمجموعة مقالات فلسفية لقدماء الفلاسفة ومقالات في النفس والضمير والتساهل الديني والالفاظ السحرية . ومنها كتابية في شرح مشاكل واردة في الاسفار المقدسة وتفنيد آراء فاسدة فيها . ومنها تاريخية كبيروت : اخبارها وآثارها وكتاريخ جزيرة العرب حاضراً . وتاريخ الحرب الكونية وتاريخ النصرانية وآدابها في عهد الجاهلية وتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر وفي الرابع الاول من القرن العشرين والمخطوطات العربية لكتبة النصرانية . وتاريخ اساقفة طورسينا . وتاريخ الطباعة في الشام وفلسطين والعراق ووصف مخطوطات المكتبة الشرقية (خمسة اجزاء) وتاريخ الرهبانية اليسوعية والطائفة المارونية وتاريخ النهضة الادبية في حلب وتاريخ القصادة الرسولية في الشام وابن العبري : تاريخه وآثاره . ونشر من التواريخ تاريخ بيروت وامراء الغرب لصالح بن يحيي وتاريخ شاكر بن الراهب وتاريخ سعيد بن بطريق مع ملحقه لسعيد بن يحيي الانطاكي وتاريخ محبوب المنبجي وتاريخ طبقات الامم لابي القاسم صاعد الاندلسي وتاريخ حوادث لبنان ودمشق سنة ١٨٦٠ . وله في اللغة كتاب نزهة الطرف في مختصر الصرف والوسائل لترقية اللغة العربية واللغة العامية بازاء اللغة الفصيحة . ونشر من كتب اللغة : الالفاظ الكتابية للهمذاني وفقه اللغة للثعالبي وتهذيب الالفاظ لابن السكيت وكتاب الكتّاب لابن درستويه . والبلغة في شذور اللغة وغراماطيق عربي في اللاتينية مع منتخبات ومعجم . وفي الادبيات الشعرية كتاب شعراء النصرانية في عهد الجاهلية ثم بعد الاسلام ونشر دواوين الخنساء والخرنق والسموءل والمتلمس وسلامة بن جندل وابي العتاهية ومراثي شواعر العرب وحماسة البحتري . وله في الادبيات النثرية والمنتخبات ترقية القارئ ومرقاة المجاني ومجاني الادب مع شروحه واطرب الشعر واطيب النثر والاحداث الكتابية والتشابيه النصرانية في شعراء الجاهلية واطيب الفكاهات في اربع روايات وروضة الاحداث في اطايب الاحداث . ونشر منها كليلة ودمنة عن اقدم نسخة مؤرخة وكتاب فضائل الكلاب لابن المرزبان وقانون وزارة بني عثمان آصاف نامه . وله اسفار وسياحات شتى

كسفره من بيروت الى الهند واسفاره والى حمص وحماة وحلب ودمشق وجبيل مع ذكر آثار كل مدينة . وكتب فنيّة كمقالة الضوء لارسطو والآلات المنغمة لورستوس والآلات المزمّرة لبني موسى والمكحلة للصقلي

وللاب «انطون صالحاني» مدير البشير سابقاً من المطبوعات النفيسة ما قدّرها العلماء قدرها مباشرةً بنشره لتاريخ ابن العبري ثمّ تصحيحه لكتاب الف ليلة وليلة مع اضافته اليها طرائف وفكاهات في اربع حكايات . وقد عشق شعر الاخطل فنشر اوّلا ديوانهُ عن نسخة بطرسبرج ثمّ الحقها بنسختي بغداد واليمن مع شروح وروايات وتصحيحات في ثلثة اجزاء وملحق عنوانهُ الشذر الذهبي على شعر الاخطل التغلبي . ونشر نقائض الاخطل وجرير عن نسخة الاستانة مع تعليقات مهمّة . ولهُ في جزئين منتخبات عن كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني كرّر طبعها مراراً وذيّلها بالحواشي اللغوية والتاريخية . وطُبع لهُ في مصر ملحوظات دقيقة على كتاب التنبيه لابي عُبيد البكري . ومن منشوراتهِ اللاهوتيّة والدينيّة . شروحهُ على آيات الاناجيل الاربعة وكتابهُ الحقائق اللامعة في عقائد الكنيسة الجامعة ضمّنهُ مقالات متفرّقة سبق لهُ نشرها في جريدة البشير او في مجلّة المشرق . ولهُ مقالات اخرى كردوده على المقتطف قبل الولادة وبعد الموت وغير ذلك ولهُ مقالة واسعة في كتاب لبنان عن جغرافية لبنان الطبيعيّة والاداريّة ومن تآليفهِ كتاب شهر قلب يسوع لفائدة العمّال ورتبة درب الصليب والكنز الروحيّ واصلاح التعليم المسيحي الصغير . وللاب « لويس معلوف » مدير البشير منذ السنة ١٩٠٥ معجمهُ البديع المنجد الذي اتّسع في موادّه وصوره واشكاله في طبعته الجديدة واضاف اليها مجموعاً واسعاً من الامثال ونشر عدّة سنين تقويم البشير وكتاب حوادث الشام ولبنان لمخائيل الدمشقي عن نسخة لندن . ومن منشوراته في المشرق كتاب السياسة لابن سينا ومقالة اليا مطران نصيبين في تعاليم الآخرة واقدم أثر نصراني لابي قرّة وفصول عديدة في البشير

الاب «سليمان غانم» مدير البشير عدّة سنين ألّف كتاب طغمة يسوع والباباوات وكشف عن مُعمّيات الشيعة الماسونيّة وردّ على المقتطف في تأييده لمذهب النشوء والارتقاء . وجمع في كتاب شهادات آباء الكنيسة الشرقيّة وطقوسها في الرئاسة

البطرسيّة . وقد نشرنا لهُ في المشرق مجموعة من امثال عكّار ومن عادات اهل دمشق
الاب « رفائيل نخله » مدير رسالة قلب يسوع لـهُ فيها فصول عديدة نثريّة وشعريّة دينيّة وتاريخيّة واجتماعيّة . وقد نشر في المشرق مقالات حسنة لاسيا في العلوم الفلكية والطبيعية والكيمويّة والاختراعات الحديثة كالمدافع البعيدة المرمى وعجائب التلفون اللاسلكي والتصوير . وقد عرَّب عن الروسيّة والفارسية مقالات اخرى

هذا وللآباء اليسوعيين المستشرقين خدم اخرى في نشر المعلومات الشرقية لهم في ذلك مجموعة جليلة دعوهـا بمجموعة آثار المكتب الشرقي (Mélanges de la Faculté Orientale) وهي تُدعي اليوم مجموعة كليّة القديس يوسف (Mélanges de l'Université St-Joseph) قد بلغت اليوم مجلدها الثاني عشر . فكتبتُها قـد استحقوا ثناء اكبر علماء العالَمين . وفي مقدمتهم الاب « هنري لامنس » مدير البشير سابقاً ألَّف كتاب الفروق والالفاظ الفرنسوية المنقولة عن العربية وكتاب الترجمة العربية والفرنساوية وزيَّن المشرق بمقالات واسعة اثرية وتاريخية واجتماعية كتسريح الابصار في ما يحتويه لبنان من الآثار وكوابة حبيس بحيرة قدس وفرا غريفون ولبنان وملحوظات على جغرافية لبنان ومقالات اخرى ثمَّ نشر بالافرنسية تاريخ معاوية ويزيد ابن معاوية وتاريخ فاطمة ابنة محمد وتاريخ مكّة قبل الاسلام وتاريخ الطائف وتاريخ سورية في جزئين وخـلاصة الاسلام ومقالات عديدة في اكبر مجلات اوربة كمجلة العـالَمين ومجلة المباحث ومجلات مصر العلميّة . ومنهم حضرة الاب « سبستيان رنزفال » الذي روى تاريخ زينب ملكة تدمر مع ما ثبت من اخبارها وآثارها . ولهُ مقالات اثرية في العاديات الشرقية والفينيقية والتدمرية لا تـكاد تُحصى جارى فيها اساطين العلوم الاثرية وقد اكتشف هو ببحثهِ الخاص وسياحاتهِ قسماً صالحاً من تلك الآثار فاحسن وَصفها . ومنهم حضرة الاب « رينه موترد » مدير مجلة مجموعة كلية القديس يوسف . وهو اليوم من افراد العلماء الاثرية الشرقية لاسيا اليونانيـة واللاتينية وقد نشر فيها عدّة مقالات مستحسنة في المشرق وفي مجلة (Syria) وغيرهما . وخدم الاب « لويس جلابرت » الآداب الشرقية بابحاثهِ التي نشرهـا في المشرق عن آثار بلاد الشام واختصر تاريخ الكنيسة السورية في روايتهِ الجميلة عين العلي ومعظمُ كتـاباته اليوم في باريس عن احوال الشرق والانتداب الفرنسوي في الشام . وبحث « الاب الكسيس مالون » عن آثار

مصر وتاريخ الازهر ومآثر الاقباط التاريخية والطقسية وله غراماطيق اللغة القبطية في اللغة الفرنسوية. وعُني الاب «غودفريد زُموفن» بجيولوجية لبنان وعلم طبقاتهِ الارضية وآثار النصرانية . ونشر الاب «البرتوس فكّاري» غراماطيقاً عربياً لفائدة اهل طرابلس الغرب مع عدَّة مقالات كتابية واثرية. وتجوَّل الاب «لادسلاس شيلنسكي» (الذي نعي الينا في الاسبوع الماضي) في انحاء فلسطين وعيون موسى وجزيرة سينا فوصفها. وعنها كتب ايضاً الاب «بوناونتوره اوباخ» الراهب البندكتي خريج مكتبنا الشرقي. ويقوم باعباء مرصد كساره الآباء «برلوتي و كومبيه وهَرَان» . وللاب «بولس پيترس» البولندي البلجكي مطبوعات جديدة في الشرق النصراني وتراجم قديسين كثيرين منها بالعربية والسريانية والارمنية نشرها في مجلة الآباء البولنديين في بروكسل وفي المشرق وفي مجموعة آثار كلية القديس يوسف. ونشر الاب «ادمون پوور» انتقاداً على شعر اميَّة ابن ابي الصلت ومقالات في القرآن والدين الاسلامي في الانكليزية . ونشر الاب «ماريوس شان» غراماطيق اللغة الحبشية وآثاراً ادبية للحبش. وللاب «بولس جوُّون» مقالات جليلة في آثار حمص وجبل سمعان وفي اللغات الساميَّة لاسيما العبرانية

هذا مجمل اعمال اليسوعيين المرسلين الذين في قيد الحياة. وفيها شاهد حيٌ على همَّتهم بالآداب الشرقية والوطنية ولاسيما العربية

ومن مجمل هذا الفصل المنبيء بنشاط الاكليروس سواء كان من روساء الكنائس الشرقيَّة واحبارها ام من كهنتهِ العالميين او من رهبانهِ الوطنيين او من المرسلين المنتمين الى الرهبانيَات اللاتينيَّة يتقرَّر ما طالما ثبت بالاختبار ان الكنيسة تخدم العلوم خدمتها للدين والادب وان الكاهن بموجب دعوتهِ قد عُهد اليهِ صيانة كنز العلوم كما قال النبي ملاخي (٢ : ٧) : «انَّ شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فيهِ يطلبون الشريعة اذ هو ملاك ربِّ الجنود»

وللاكليروس فضل آخر تخريجهُ لأُلوف مؤلفة من الناشئة الذين اخذوا عن اساتذتهم في مدارسهم الدينيَّة حبَّهم للغتهم الوطنيَّة فنبغ بينهم كثيرون واصبحوا في الوطن والمهجر من حَمَلة الاقلام كما سترى

في أدباء النصارى حاضراً

ليس بالامر السهل ان نحصر في صفحات قليلة اسماء انصار الآداب العربية النصارى العائشين حاضراً وذلك لسببين : (الاوّل) لكثرة الذين تخرّجوا في المدارس المسيحيّة التي بلغ عددها المئات منها للمرسلين اللاتينيين ومنها للارساليّات الاميركيّة والانكليزيّة ومنها للوطنيين من كل الطوائف الكاثوليكيّة والاورثذكسيّة وللجمعيّات الخاصّة او بعض الافراد . (والثاني) لتشتّت هؤلاء الادباء في انحاء العالم لاسيما منذ توفّر عدد المهاجرين الى اربع خوافق المعمور . فكثيرون منهم كانوا اركان النهضة الادبيّة في البلاد التي احتلّوها فانّ الفضل الكبير ان لم نقل الوحيد لانتشار الآداب العربيّة في الولايات المتحدة الى اقصى اميركة الشماليّة في كندا وفي معظم بلاد اميركة الوسطى واميركا الجنوبيّة كالمكسيك والبرازيل والارجنتين بل في جهات اوسترالية يعود خصوصاً الى النصارى وبالأخص الى اللبنانيين والكاثوليك الموارنة والروم الملكيين والسريان ومنهم كثيرون مقطوعة اخبارهم عنّا

على انّ ما نجدهُ في نفسنا من القصور في استيعاب ذكر الادباء النصارى المشتغلين حاضراً في خدمة لغتنا العربيّة لا يثبّطنا عن سرد اسماء الذين يخطرون على بالنا مستميحين عذراً ممّن تفوتنا اسماؤهم الكريمة فنستدرك الخلل في فرصة اخرى إن شاء الله

١ً الشعراء

انّ سوق الشعر نافقة بين أدباء النصارى في عهدنا فمَن نعرف لهم دواوين كاملة يستحقون ذكراً خاصّاً الشعراء البيروتيون او اللبنانيون ﴿شبلي بك الملّاط﴾ طُبع شعرهُ مع شعر المرحوم شقيقهِ في بيروت سنة ١٩٢٥ . ﴿امين ظاهر خيرالله﴾ عالج في شعرهِ المواضيع الدينية والادبية . لهُ كلمة شاعر في وصف خطب نادر : نكبة سان فرنسيسكو (نيويورك ١٩٠٣) ولهُ رواية الارض في السماء ورواية السموءل شعريّة تمثيلية والبيان الصراح عن نذر يفتاح (دمشق ١٩١٣) . ﴿الياس فياض﴾ طبع الجزء الاوّل من ديوانهِ (بيروت ١٩١٨) . ﴿الدكتور نقولا فياض﴾

نسيب الياس . طُبعت قصائده في مختارات الزهور وغيرها . «حليم دموس» تكرَّر طبع ديوانهِ في دمشق وبيروت . ولهُ مجموعة شعريَّة مصوَّرة عنوانها المثالث والمثاني (صيداء ١٩٢٦) . ولهُ الاغاني الوطنية . «قيصر بك المعلوف» جمع منظوماتهِ تحت عنوان تذكار المهاجر (سان باولو ١٩٠٤) . ثم اضاف اليها قصائد غيرها في ديوان ضخم . «جرجي شاهين عطية» طبع في بعبدا (١٩٠٤) نسمات الصَّبا في منظومات الصِبا . ونشر اللبناني «الشيخ رشيد مصوبع» سنة ١٩١٠ في مطبعة الهلال بمصر ديوان الاثر في مواضيع عصريَّة شتى . «وجرجي الحجّار» نشر ديوانــهُ في بيروت سنة ١٩٢٢ . ونظم استاذ الآداب العربية في الجامعة الاميركيَّة «انيس الخوري المقدسي» الذكرى وهي ادوار لطيفة عرَّبها شعرًا عن شاعر العرش الانكليزي اللرد تنسون . «علوان الخوري» لهُ الزنابق العاطرات من منظومات متفرّقات افتتحها بالدمعـات الست . ونشر حديثاً في بيروت (١٩٢٦) «الياس ابو شبكه» نبذة من ديوانهِ القيثارة وضمَّنهُ بعض اقوال توريَّة . اما قصيدتــهُ المجدليــة والمسيح فيُستنشق منها رائحة كفرية

ومن دواوين شعراء دمشق وحلب وسوريَّة ديوان «سليم بـك عنحوري» بدائع مـاروت او شهر في بيروت . طُبع سنة ١٨٨٦ . ولهُ الجوهر الفرد او الشعر العصري طُبع بالحدث (لبنان) سنة ١٩٠٤ ونشر بعدهما منظومات عديدة متفرّقة . «ميخائيل انطون صقّال» طبع في حلب سنة ١٩١١ العِبَر نظمها بعد حوادث سنة ١٩٠٩ آخذًا فيها مأخذ الشعر القصصي . ثم نشر في الشهباء سنة ١٩٢٥ الجزء الاوَّل من ديوانهِ . ونظم «الياس كبابه» الاثر الخصيب فنشرهُ في حلب سنة ١٩١٣ . وافضل منهُ الدرّ النضيد من العهدين القـديم والجديد من نظم «نجيب اللاذقاني» في جزئين طبع في بيروت سنة ١٩١١

اما منظومات شعراء مصر وفلسطين والعراق فالمقـدَّم على الجميع ديوان شاعر القطرين «خليل بك مطران» لهُ القصائد الرنَّانة التي نظمهــا من السنة ١٨٧٠ الى ١٩٠٦ وكم نشر غيرها من القصــائد كالنيرونيَّة وسواها . وفي السنـة ١٨٩٥ نشر «ابراهيم بركات القبطي» ديواناً حسناً في مواضيع دينيَّة وادبية عنوانهُ مفتاح باب السماء

وشاعر فلسطين «اسكندر الخوري البتجالي» نشر في بيت المقدس سنة ١٩١٩ الزَّفرات دعاها بذلك لكثرة ما اودعها من الاوصاف الفاجعة. ثمَّ طبع في العام الحاضر في القدس ايضاً الجزء الاوَّل من مشاهد الحياة توفَّرت فيهِ القصائد العصريَّة

العراق واميركة من شعرائهم النصارى «الدكتور سليمان غزاله» في بغداد الذي تعدَّدت منظوماتهُ (المطبوعة في السنتين ١٩٢٤—١٩٢٥) كالعشق الطاهر والقصيدة الفردوسيَّة في الحبّ الطاهر المقدَّس او العفاف والقصيدة الفيصليَّة دليل النجاح في منهاج الفلاح. امَّا الاميريكيُّون من المهاجرين فنشر منهم الاديب «سعيد عبده ابو جوده» الفتاة السوريَّة المهاجرة. ومن مشاهير شعرائهم «ايليا ابو ماضي» لهُ تذكار الماضي طُبع في الاسكندريَّة سنة ١٩١١ وقصائد عديدة اخلاقية وادبية عصرية. والشاعر «اسعد رستم» صاحب القصائد الانتقاديَّة والادبية الفكهة بما مزجهُ فيها من الالفاظ الدخيلة والتلميحات القومية والاجنبيَّة. و«لسليمان داود» نسمات الغصون او باكورة منظوماتهِ في نيويورك (١٩٠٥). وشاعر سان باولو في البرازيل «رشيد سليم الخوري» علّق اسمهُ على الرشيديات المطبوعة هناك سنة ١٩١٦

هذا وليس لكل شعرائنا النصارى دواوين فلكثير منهم قصائد ومنظومات شتى نُشرت في المجلَّات والجرائد والكتب الادبيَّة فلو جُمعت أَصبحت دواوين كبيرة فها نحن نسرد هنا اسماءهم الكريمة تنويهاً بفضلهم واشارةً الى جودة قريحتهم في سبك القريض وتفنّنهم في كل معاني الشعر وقد نقلنا عن بعضهم قصائد جميلة انشدوها سنة الاعلان بالدستور فنشرنا شعرهم في مقالتين طويلتين الحماسة الدستوريَّة ومنظومات الوقائع الدستوريَّة (في المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٨١—٩٦ و ٦٤١—٦٦٤). وهذه اسماؤهم على ترتيب حروف المعجم «الاسود» ابرهيم بك المُجيد شعراً ونثراً. «الباشا» الياس بك لهُ القصائد الرنَّانة. «البستاني» عبد الله اللغوي الشهير. لهُ منظومات عديدة منها رواية الحكم على ابني هيرودس. «البستاني» يوسف لهُ منظومات حسنة في الجرائد والمجلَّات فهو معدود بين شعراء العصر. ومثلهُ «ثابت» ايوب من شعراء الدستور. «جبران» خليل جبران لهُ شعر حسن مع قصائد يلوح منها روح الثورة والتهوُّس والخلاعة. «حلوه» خليل بطرس من شعراء

الدستور. ﴿حيدر﴾ يوسف مثلهُ. ﴿الخوري﴾ بشارة صاحب جريدة البرق. الملقَّب لجودة شعره بالاخطل الصغير. ﴿الخوري﴾ فارس بك نُقل شيء من شعره الى الالمانية (Mitt. d. Sem. f. or. Sprache: XXVIII, 272). ﴿خير الله﴾ الدكتور خليل نُشر شيء من شعره في مجلة الهلال وغيرها. ﴿خياط﴾ الدكتور الحلبي من شعراء حلب المعدودين. ﴿داغر﴾ اسعد لهُ قصائد ونشائد متفرّقة. ومثلهُ سميّهُ ﴿داغر﴾ اسعد خليل لهُ بالشعر تاريخ الحرب الكبرى طبع سنة ١٩١٩ في مطبعة الهلال. وقصائد متعدّدة دينيّة وادبية في مجلة الشرق والغرب. ﴿داوُد﴾ سليمان من شعراء الدستور. ومثلهُ ﴿دمّوس﴾ شبلي احد الشعراء المجيدين. ومن محاسن شعر ﴿رستم﴾ ميخائيل وصف بعلبك وآثارها. ﴿ورزق الله﴾ نقولا من الشعراء المعدودين روى لهُ جامع مختارات الزهر عدَّة قصائد (١١٥–١٢٤). ﴿ورشيد﴾ ايوب يعتبر من جملة الشعراء المجيدين في ارض المهجر. ﴿الرياشي﴾ قبلان نشرنا لهُ ميميّتهُ المطوّلة في الحكمة العيسويّة (المشرق ٢٢[١٩٢٤]: ٤١٢–٤١٦). ﴿زريق﴾ جميل نشر في طرابلس في المباحث وغيرها عدّة قصائد. ﴿زين﴾ حبيب فارس لهُ قصائد في الدستور العثماني وغيره ومثلهُ ﴿سعد﴾ جرجي نخله و﴿سلّوم﴾ الدكتور توفيق. وعُني الدكتور ﴿شدودي﴾ ابرهيم بالزجليّات فاخرجها على صورة لطيفة فنُشرت بعدَّة جرائد. ﴿شقير﴾ سعيد لهُ شعر لطيف في الحماسة الدستورية. ومثلهُ ﴿العازار﴾ نسيم ﴿وغلبوني﴾ اسطفان ويوسف ﴿وفضول﴾ كامل. ﴿عريضه﴾ نسيب احد النابغين في اميركا. روى امثلة من شعره محيي الدين رضا في بلاغة العرب في القرن العشرين. ﴿وعقل﴾ وديع صاحب الوطن من افضل شعراء بيروت النصارى. ﴿والفرّان﴾ الياس نبغ في الشعر العامّي. ﴿فرحات﴾ الياس من نوابغ اميركا رُوي شيء من شعره المنسجم في بلاغة العرب في القرن العشرين (١٨٦–٢١١). وكذلك اشتهر في اميركا الشاعر ﴿فرزان﴾ الياس انطون فكان ينشر قصائدهُ في العدل وغيرها. ﴿فرج﴾ عبد الله لهُ منظومات في الهلال وغيرها ونشر سمير الجليس في محاسن التخميس. ﴿القفعالي﴾ سمعان فرج من مشاهير القوّالين نشر شمس المعنى في جزئين. ثمَّ عدل الى الكهنوت. ﴿فليكس﴾ فارس نشر في الجرائد قصائد عديدة. الفورتي ﴿بشير﴾ شاعر دستوري. ﴿مشرق﴾ امين اصاب ايضاً

شهرة بين شعراء اميركة فنُشرت لهُ منظومات في بلاغة العرب في القرن العشرين (٢٢٩ــ ٢٤٤). «المعلوف» شفيق روي شعره في مجلة الحرّية (٢ : ٥٨٣) ونُقل شيء منهُ الى الالمانيّة (Mitt. d. Sem. f. orient. Sprache, XVIII, 276) «المعلوف» نجيب يوسف روى قطعاً من شعرهِ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في دواني القطوف (٣٢٦ــ٣٣٥) منها قصيدتهُ في ١٥٠ بيتاً في وصف مدينة ملبورن في اوسترالية. واطول منها واجود قصيدتهُ وحدة الامل في علّة العلل اثبت فيها وجود الخالق وخلود النفس والثواب والعقاب ونظم الوصايا العشر. ولراوي هذه المنتخبات جناب صديقنا عيسى افندي «المعلوف» قصائد ومنظومات لو جُمعت لبلغت ديواناً ضخماً و«نحاس» جبران ناظم مناظرة السيف والبخار «نخله السعد» جرجي لهُ ما أُحبّ وما اكره. ونختم بالشاعرين «نعمة الحج» وميخائيل «نعيمه» هما ايضاً من مهاجري اميركة رُوي لكليهما نموذجات شعريّة في كتاب بلاغة العرب من القرن العشرين فذكر للاوّل ليلة ارق والى الامام والى الثاني من انتِ يا نفسي واخي واوراق الخريف ولو تدرك الاشواك سرّ الزهور

وبهذا التعداد ما يدلّ على رواج الشعر بين ادباء النصارى. ويوجد غيرهم سنذكرهم في عداد الصحافيين او الكتبة

لا يُنكر ان قوام الصحافة في العالم العربي حاضراً بمساعي النصارى خصوصاً. وذلك في صورتيها اي على صورة مجلّات ذات ابحاث واسعة في كل المعارف العصريّة. وعلى صورة جرائد سيّارة تُنشر يومياً او اسبوعيا او مراراً في الاسبوع

فن «المجلّات» ما خلا التي ذكرناها للاكليروس (في بيروت) الاحرار المصوّرة لجبران التويني. البيان لبطرس البستاني. التجدُّد لاديب طيّار. الحارس لامين الغريّب. الحقوق لنجيب وملحم خلف. المجلّة الطبيّة العلميّة للدكتور فؤاد غصن. المجلّة القضائيّة ليوسف صادر. المعارف لوديع نقولا حنّا. المعرض لميشال ذكور. مينرفا لماري يني. الكليّة للجامعة الاميركيّة. النشرة الاسبوعيّة للرسالة الاميركيّة

وفي (مصر) الشرق والغرب للارسالية الاميريكيّة. طبيب العائلة للدكتور خيّاط. العالم لكريم خليل ثابت. فتاة الشرق للبيبة هاشم. اللطائف لشاهين مكاريوس. المرآة لخليل زينيّة. المقتطف للمرحوم يعقوب صرّوف وفارس نمر. الهلال

لاميل زيدان مع توابعهِ المصوّر وكلّ شيء. والفكاهة

وفي (لبنان) الآثار لعيسى اسكندر المعلوف (زحلة). الحذر لعفيفه صعب (عاليه). الشمس لاسبر غريب (الدامور). الشبيبة لالياس نصر (اعبيه). صدى العالم لانيس ملحم جابر (عاليه). العرائس لعبدالله حشيمه (بكفيا). المباحث لجرجي يني (طرابلس). المحامي لفؤاد رزق (زحله). النور لنصرالله طليع (اللاذقيّة)

وفي (دمشق) العالم لسليم ابرهيم الترك. النجاح لالياس خليل ترتر. العروس لماري عبده عجيمي

وفي (حلب) الشعلة لفتح الله قسطون

وفي (فلسطين) النفائس العصريّة لخليل بيدس (القدس). الزهرة لجميل بحري وجعلها اليوم جريدةً باسم الزهور (حيفا). المجلة التجاريّة لتوفيق زيبق (حيفا)

وفي (بغداد) الحرّية لعبد الجليل رزق الله. وفي الموصل «الموصل» ليونان عبو اليونان

وفي (اميركا) الاخلاق ليعقوب رفائيل. الروضة لبطرس عبود شعيا (لورنس ماس). العالم الجديد لسلوم مكرزل (نيويرك). فتاة بوسطن لوديع شاكر. العروس لطانيوس سليمان نقولا (بوسطن). الوطن الحرّ للدكتور سعاده بشاره (برازيل). المجلة السوريّة (بالانكليزيّة) لفيليب حتي

٢ « الجرائد » في بيروت ولبنان. الاحرار لسعيد صبّاغه وجبران التويني وخليل كسيب. البرق لبشارة الخوري. الجوائب لالبر الشدياق. الحوادث للطف الله خلاط (طرابلس). الدبّور ليوسف مكرزل. ارزة لبنان ليوسف الحتي. الاحوال لخليل البدوي. دير القمر لوديع ونعوم البستاني (دير القمر). الراية ليوسف السودا. زحلة الفتاة لابراهيم الراعي (زحلة). الشالوف (جزين) الرقيب (طرابلس) الصحافي التائه لاسكندر الرياشي (زحلة). العلم لميشال حانك (بيت شباب). لسان الحال لرامز سركيس. النهضة لفؤاد راشد (مرجعيون). صدى الشمال لفريد انطون. لبنان الرسميّة. النهضة المرجعيونيّة. الهديّة للارشمندريت فوتيوس. المرأة الجديدة لجوليا طعمة دمشقيّة. الورقاء ليوسف المشعلاني (صليما). الوطن لوديع عقل

في باقي « سوريّة وفلسطين والعراق ومصر » ففي دمشق الف باء ليوسف عيسى. وفي حمص صدى سوريّة. ودليل حمص لقسطنطين يني. وفي حلب التقدُّم

لشكري كنيدر . وفي حيفا الكرمل لنجيب نصّار . والزهور لجميل البحري . وفي يافا فلسطين لعيسى داود عيسى . وفي القدس الشريف النفير والاقدام لايليا زكا . وفي (الاسكندرية وفي مصر) الاهرام يحرّره داود بركات وتوفيق حبيب . المحروسة لالياس زيادة . والبصير لرشيد شميّل . والمقطّم لصرّوف وغر ومكاريوس . وفي العراق الوقائع العراقيَّة والعالم العربي لسليم حسّون . والعراق لرزق الله غنّوم

(جرائد اميركا) في اميركة الشماليَّة في نيويورك السائح لعبد المسيح حدّاد . والشعب ليوسف مراد الخوري . ومرآة الغرب لنجيب موسى دياب . والنسر لنجيب جرجي بدران . والهدى لنعُّوم المكرزل . وفي ديترويت الصباح ولسان العدل لشكري كنعان . وفي الارجنتين في عاصمتها بونس ايرس ما خلا المرسل السابق ذكرهُ الزمان لمخائيل السمرا . والسلام لوديع واسكندر شمعون . وفي البرازيل في ريو جانيروا البريد ليوسف ظاهر . وفتى لبنان لجورج مسرَّه . والعدل لشكري جرجس انطون . وفي سان باولو ابو الهول لشكري الخوري . والقلم الحديدي . وفي المكسيك الرفيق لمحبوب الشرتوني

﴿الكتبة النصارى حاضرًا﴾ من المستحيل ان نذكر سائر ارباب الاقلام الذين يتعاطون حاضرًا بين النصارى مهنة الكتابة فألّفوا فيها التآليف المختلفة . وها نحن نذكر ما يحضرنا منهم على طريقة الحروف المعجم . ﴿ابو راشد حنّا﴾ نشر وقائع صاحب السموّ الامير سعيد وقاموس الاعلام وكتاب جبل الدروز . ﴿ادوار الياس باشا﴾ نشر سنة ١٩١٠ كتاب سياحاتهِ الى البلاد تحت عنوان شاهد الممالك . ﴿ارمانيوس عازار﴾ لهُ المذكرة اللغويَّة في ترجمة اهم مفردات الممالك الطبيعيَّة . ﴿اسطفان يواكيم﴾ عرَّب رواية كريستوف كولومب (١٩٠٩) . ﴿اسكندر راغب المحامي﴾ نشر كتاب الاثر الذهبي في تاريخ وآثار عطيّه بك وهبي (مصر ١٩١٥) . ﴿اسود ابرهيم بك﴾ من تآليفهِ التليد والطريف في تهاني التصيف (١٨٩٢) وكتاب ذخائر لبنان (١٨٩٦ و١٩٠٦) وتنوير الاذهان في تاريخ لبنان في مجلّدين (١٩٢٦_١٩٢٧) . ﴿ألوف ميخائيل﴾ كرّر طبع تاريخهِ لبعلبكّ ونقلهُ الى الانكليزيَّة والفرنسويَّة . ﴿الونصو الفونس﴾ عرّب كتاب الدليل الهادي لزيارة قبر النادي (١٩٠٩) . ﴿الياس انطون﴾ نشر القاموس العصري بالعربيَّة والانكليزيَّة

«باز الدكتور جورج» عرّب كتاب الروضة البديعة في علم الطبيعة ونشر في الجرائد والمجلات فصولًا واسعة في الطب والادب والتاريخ. «باز جرجي نقولا» لهُ تآليف متعددة كالانسان ابن التربية والآداب وشبان العصر والصحة واكليل غار لرأس المرأة وآثار التهذيب والنسائيات وتأثير النساء في الارتقا. وترجمة الياس جرجس طراد وسليمان البستاني ومقالات شتى في مجلة الحسناء. وغير ذلك من الآثار الطيّبة. «البحري جميل» ألف تاريخًا لحيفا. وفصولًا تاريخيّة عن عبد البهاء عبّاس والديانة البهائيّة وعن غبطة السيّد البطريرك كيرلس التاسع وسيادة المطران غريغوريوس حجّار. ولهُ نحو عشر روايات ادبيّة او تاريخيّة. منها نثريّة ومنها على شبه مآسي تصلح للتمثيل على المسارح كالوطن المحبوب والاختفاء الغريب والهجوم على البلجيك وسقوط بغداد والحقيقة المؤلمة وظلم الوالد وسجين القصر وفي السجن والزهرة الحمراء الخ. (بدّور نعّوم) نشر في بيروت خلاصة مقاصد الله وايضاح البيّنات في الخلافة والتقليدات. «البدوي خليل» محرّر الاحوال. لهُ نخبة النخب في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب وتعريب تاريخ آخري سلاطين الروم والدرجات المدرسيّة في تعليم اللغة الفرنسية ومجموعة فكاهات ونوادر ولطائف ورواية شيطان المال وتنقيح كتب طائفتهِ الطقسيّة. «بركات ابراهيم» محرّر الاهرام لهُ عبرات العبَر في رثاء الخوري نعمة الله بركات. «بركات فيليب الدكتور» نشر مقالات طبيّة وعلميّة في الكهرباء. «بريدي فريد يوسف» نشر في بيروت سنة ١٩٢٥ مأساتهُ التاريخيّة على ضفاف الامازون. «البستاني امين بك» لهُ مختارات البستاني. «البستاني فؤاد افرام» لهُ كتابهُ اللطيف على عهد الامير ونشر مقالات تاريخيّة وادبيّة في المشرق والبشير كترجمة سليمان البستاني والشعر القديم والحديث ولهُ مجموعة الروائع. «البستاني وديع» عرّب عدّة كتب ادبية للورد افبري كمعنى الحياة ومسرّات الحياة والسعادة والسلام ومحاسن الحياة وعرّب رباعيّات الخيّام. «البستاني يوسف» لهُ تاريخ الحرب البلقانيّة. «البستاني يوسف توما» لهُ امثال الشرق والغرب ونوادر الحرب العظمى وعُني بمطبوعات شتى. «البشعلاني جورج» نشر ترجمة حياة الجنرال غورو. «بشير انطونيوس» عرّب تأليف الدكتور فرانك كراين لماذا انا مسيحي. «بطّي رفائيل» لهُ سحر الشعر والربيعيّات والادب العصري في العراق

العربي . ﴿بهنا الياس جرجس﴾ له كتب حسابيَّة : المبدأ الراقي الى المراقي . الاسهاب في مراقي الحساب . في حساب الكسور . في العدد المركب . الجاري في الحساب التجاري . ﴿بيدس خليل ابرهيم﴾ من تآليفهِ الروضة المؤنسة في وصف الارض المقدَّسة وتاريخ الاقمار الثلثة والعقد النظيم في اصل الروسيين واعتناقهم الايمان القديم والعقد الثمين في تربية البنين وتعريب رواية تولستوي احوال الاستبداد . ﴿بيطار ميشال﴾ ناشر في المشرق وفي العالم الاسلامي مقالات حسنة وناقل الى الافرنسيَّة روايات عربيَّة

﴿تادرس رمزي﴾ له كتاب حاضر الحبشة ومستقبلها . وكتاب الاقباط في القرن العشرين اربعة اجزاء . ﴿توما جرجي الخوري﴾ ألف الدليل الى البرازيل . ﴿تيسي ميخائيل يوسف﴾ طبع في بغداد سنة ١٩٢٢ نبذة في ماهيَّة النفس

﴿ثابت الياس﴾ طبع في الجزائر سنة ١٩٠٣ على الحجر قاموس الالفاظ الاصطلاحيَّة الملحقة بالرسوم العربيَّة في مجلَّدين . ﴿ثابت اميل﴾ له مشروع دستوري اداري . ﴿ثابت كريم خليل﴾ نشر كتاباً في غليوم الثاني امبراطور المانية السابق وكتاباً في لودندورف القائد الالماني وفي عبد الكريم والحرب الريفيَّة . ﴿ثابت باشا﴾ معرّب رواية فتاة الاسكندريَّة لسيانكيفيش

﴿جاموس ميشال طانيوس﴾ طبع آخراً تعريبهُ لغرور الشباب . ﴿جبران خليل جبران﴾ له مطبوعات شتى شانها بآرائهِ الفاسدة كالارواح المتمرّدة وعرائس المروج والبدائع والطرائف والمجنون والعواصف والاجنحة المتكسّرة . والمواكب والنبي . ﴿جبور رفيق﴾ نشر في فلسطين كتابه على مطامع الصهيونيَّة في فلسطين . ﴿جرجس الشماس فرح﴾ ألف تاريخ الكنيسة القبطيَّة جزءان وتراجم مشاهير الأمة القبطيَّة جزءان ايضاً . ﴿جرجس حبيب الشماس﴾ نشر كتاب الجوهرة النفيسة في خطب الكنيسة وكتاب سرّ التقوى . ﴿جرداق منصور حنا﴾ اشتهر بالرياضيَّات والفلكيَّات له كتاب الحساب الحديث في ثلثة اجزاء . وكتاب الجبر الحديث والنظام الشمسي الشمس والقمر واحدث الآراء الفلكية فيها . ﴿جريديني الدكتور اسكندر﴾ نشر في مصر كتاب العناية بالعين وكتاب تدبير الاطفال في الصحة والمرض . ﴿جميل الدكتور امين﴾ ألف حياة القديس منصور دي پول وحفظ الصحة وعلم الصحة وقانون الصحة موجز للمدارس والجمهور . والتضحية وبطلها يوسف الشنتيري . ﴿جميل

الشيخ انطون» محرّر البشير والزهور نشر في بيروت البحر المتوسط والتمدن وفي مصر ابطال الحرّية ومنتخبات الزهور والسموءل او وفاء العرب والاقتصاد والنظام في المنزل وتعريب كتاب السيدة دوبوك الفتاة والبيت. «الجميّل يوسف» نشر محاضرة في زراعة التبغ التركي في لبنان (١٩١١). «جهشان نجيب» نشر في بيروت تعريب مأساة عثليا للشاعر راسين ثلثة فصول (١٨٩٦)

«الحائك ميشال يوسف» صاحب العلم نشر رواية بطل لبنان يوسف بك كرم. «الحائك يوسف ميلاد» نشر في بعبدا سنة ١٩١٠ كتاب الكاثوليكي العامل. «حاتم بشارة نصرالله» كتاب السفينة الدائرة بالامثال السائرة. «الحائك اسكندر يوسف» نشر دليل الحائك للبنان وسوريّا وفلسطين والعلويين والعراق. «حبيش الشيخ فريد» عرّب كتاب اوغست اديب باشا لبنان بعد الحرب. «حبيش الشيخ يوسف» ألّف العوائد الادبيّة في اللّتين الفرنساوية والعربيّة (١٨٩٠). «حتي فيليب» نشر في بيروت كتابهُ اللغات الساميّة الحكيّة في سوريّا ولبنان وفي مصر السوريّون في الولايات المتحدة الاميركيّة واميركا في نظر الشرقي وطبع في نيويرك (١٩٢٦) كتابهُ سوريّة والسوريون من نافذة التاريخ. ونشر مختصر كتاب الفرق بين الفِرَق. «حتّي يوسف أيوب» طبع في ريو جانيرو كتاب الجهاد الوطني. «حدّاد امين» له منتخبات طبعت في الاسكندريّة سنة ١٩٠٣. «حدّاد خليل» ألّف وصية بالانسان في وقاية الاسنان (١٩٠٧). «حدّاد سليم امين» لهُ الحساب التجاري وكتاب الرياضيّات التجاريّة. «حدّاد نقولا» من تأليفه اساس الشرائع الانكليزيّة والحبّ والزواج والاشتراكيّة وروايات كآدم الجديد والحقيقة الزرقاء وفاتنة الامبراطور. «حسّون سليم» نشر في الموصل الاجوبة الشافية في فنّي الصرف والنحو ومختصر في اصول الصرف والنحو. «حلبي نقولا يوسف» طبع في بيروت مشاكل الحياة بين الشاب والفتاة (١٩٢٤. «حلقة نضل الله فارس ابو» لهُ مختصر في الجغرافية وجغرافية سوريّا ولبنان. «الحلو الدكتور رشيد شكرالله» نشر تاريخ عائلة الحلو (١٩٠٦). «الحلو نسيم» نشر في صيدا ديوان الادب في نوادر شعراء العرب (١٩١٢) وفي بيروت كتاب رفيق التلميذ ١٩٠٧ والحديث المفيد مع الاستاذ الجديد (١٩٢٧) «حمصي قسطاكي» نشر في جزئين منهل الورّاد في علم الانتقاد. ومن قلمهِ السحر

الجلال في شعر الدلال (١٩٠٣) وادباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر . «حنَّا وديع نقولا» نشر مؤخَّراً قاموس يشتمل على اسماء مدن وقرى جمهوريَّة لبنان . «حويك الياس طنوس» لهُ صفيّ الاحداث والروايتان عين الله على اليتيم ومرآة القرون المتوسطة وتعريب رواية استير للشاعر راسين

«الخازن سليم» عرَّب رواية ولتر سكوت عودة قلب الاسد . «الخازن سمعان» نشر سيرة القديس روكس (١٨٩٩) . «الخازن يوسف فرنسيس» لهُ كتاب في تربية دود القز . «خازن هند رشيد» نشرت مفكراتها (سنة ١٩٢٤) . «خاشو اميل» لهُ نظر في اشغال لبنان العموميَّة وزراعتهِ ومستقبله الاقتصادي ومحاضرة في المياه والريّ في لبنان . «خاطر لحد صعب» نشر كتاباً في جغرافية لبنان (١٩٠٩) ثم مختصر تاريخ لبنان لطلبة المدارس . «خبّاز حنَّا» لهُ كتابةُ حول الكرة الارضيَّة ثمَّ جدَّد طبعهُ تحت عنوان لطائف اخباري في متاحف اسفاري ونشر في نيويرك الاثر النفيس في اكتشاف قسّيس . «خرما جورج عون ابي» طبع سنة ١٨٩٧ الكنز الثمين من معرفة الصديق الامين ثم كتاب الخلاصة الدرّية في الحقائق الفلسفيَّة (١٩٠١) . «خلاط نسيم» نشر في مصر سياحتهُ في غربي اوربَّا (١٩١١) .

«خلف نجيب» برع في محاماة الدعاوي وما يعود الى امرها فنشر من ذلك بين المحاماة والقضاء وصرخة الى القضاء . واحاديث بين القديم والحديث وعدَّة تقارير دعاوى تولى الدفاع عنها ولهُ في كلها فصول حسنة مبنيَّة على اثبت الحجج واحقّ الادلَّة . «خليفة منصور يوسف» نشر لسان الحال في رحلة الترنسفال . «خليل بسطاوروس» ألَّف اللؤلؤة البهية في تفسير الكلمة الالهيَّة (١٩١١) . الخوري «انيس المقدسي» لهُ مقالات في الشعر وممالك الطبيعة مع الاستاذ داي ثمَّ الدول العربية وآدابها واميرة بريطانية . «خوري سليم» لمحة عن الفينيقيين وعفَّة الاولاد ومختصر تاريخ فرنسة . «خوري شحاده نيقولا» خلاصة تاريخ كنيسة اورشليم (١٩٢٥) . «خوري شكري» مدير ابي الهول لهُ تآليف عديدة مستحسنة في اللغة العامية وغيرها كالتحفة العامية وطولة العمر في حديث ابو يوسف وغمر ويا حسرتي عليك يا زعيتر ويوم في كرم ومرور في ارض الهناء ونبأ عن عالم البقاء وفي سبيل الوطن والجامعة الاميريكية وخرّيجوها وجبلنا سيّد الجبال وسيف ذو حدّين . وقنبلة صغيرة والدواء الشافي وفي

سبيل الحقيقة وسجلّ لا يُمحى. «خوري فائز» لهُ اصول استماع الدعوى الحقوقيّة ومقابلة الحقوق الرومانية والحقوق الاسلامية. «خولي بولس» نشر في الكلّية عدّة مقالات ونشر مع الاستاذ ضومط حلّ التقليد في الصرف. «خولي جرجس» لهُ الدليل الشرعيّ والجمانة العثمانيّة. «خيّاط بتراكي» لهُ صفات الرئيس تأبين غبطة البطريرك ديمتريوس القاضي. وكتاب السنة الابتدائية لدرس اللغة العربية. «خياط الدكتور حنّا» كتب في الحمى التيفوئيديّة وبحث في تناقص النفوس في العراق ووضع دليلهُ في مسالك الطبّ القانوني (١٩٢٥). «خير عبدالله رزق الله» لهُ مقالات واسعة في التجارة وفي مؤتمر السلم وفي الزلازل ونواميسها وكتاب لبنان بعد الحرب ومحاضرات سياسيّة واقتصاديّة وانتقاديّة. «خير الله امين ظاهر» لهُ ما عدا منظوماتهِ دروس الحياة الانسانيّة في مدرسة الله النباتيّة ونغمات الملائكة ورواية العَلَم السماوي في اهتداء قسطنطين والازاهير المضمومة في الدين والحكومة

«داغر اسعد» لهُ تاريخ وليم الظافر. تاريخ الحرب الكبرى. مذكّرات غليوم الثاني. اميرة انكلترّة. حالة الامم وبني اسرائيل. عمود النار او خروج بني اسرائيل من مصر. عمر وجميلة او في ربى لبنان معرب عن هنري بوردو. خلاص الجبلة البشريّة. كرسي داود. «داغر اسعد خليل» من تآليفهِ تذكرة الكاتب ومذكّرات مدام اسكويت ورسبوتين الراهب المحتال. «دحداح الشيخ سليم خطّار» لهُ ترجمة الامير بشير وحياة بطل الدين والتمدّن القائد لاموريسيار ونابوليون الاوّل عن تاريخ الموسيو تيارس. وترجمة الكونت رشيد الدحداح ومقالات عديدة تاريخيّة وادبية في المشرق وغيرهِ. «دمّوس حليم» لـهُ ما عدا المنظومات زبدة الاراء في الشعر والشعراء وقاموس العوام

«راشد عبّود الي» لهُ المجموعة الادبيّة في تعليم القراءة العربيّة جزءان (١٩٠٢) وفروض العبادة الالهيّة (١٩٠٥). «الرحبي مخائيل» لهُ القديس فرنسيس الاسيزي (١٩٢٥). «رزق الله ميلاد» نشر دليل الشوير ونواحيها ١٩٢٣. «رستم الاستاذ اسد» لهُ مقالات تاريخيّة ممتعة في مجلّة الكلية. ونشر آثاراً هامّة في محمّد علي وابراهيم باشا وحروبه وفي عكّا ومستحكماتها وتاريخ نوفل الطرابلسي. «رستم مخائيل اسعد» لهُ كتاب الغريب في الغرب (١٨٩٥). «رياشي لبيب» لهُ الجبابرة.

«الريحاني امين» افضل ما كتبهُ تاريخهُ ملوك العرب او رحلة في البلاد العربيَّة (مجلَّدان) . وفي ريحانيَّاته ما يردهُ الذوق السليم صورةً ومعنى واقبح منها بعض رواياته ذات المغزى الكفري

«زخُّور الياس» لهُ مرآة العصر في تاريخ ورسوم اكابر الرجال ثلثة اجزاء ١٩١٦ . «زكي انطون» مفتاح اللغة المصريَّة القديمة وانواع خطوطها ومبادئ اللغتين القبطيَّة والعربيَّة (١٩٢٤) . «زيَّات حبيب» وصف خزائن الكتب في دمشق وضواحيها . ولهُ عدَّة مقالات ادبيَّة ومنشورات اثريَّة . «زيد ناصيف ابو» لهُ تاريخ العصر الدموي . والدليل المستبين الى تاريخ وشرائع الروم الملكيين ورواية مرآة الوفاء ورموز الادباء والمدافعة الوطنيَّة . «زيدان ابرهيم» لهُ دروس الاشياء جزءان ونوادر الكرام في الجاهليَّة والاسلام وسلاسل الانشاء والمبادئ الانكليزيَّة وجدول تحويل العملة المصريَّة والفرنساويَّة والانكليزيَّة والسوريَّة الى بعضها . «زيدان اميل» عرَّب كتاب جوستاف لوبون في الحروب الاوربية (١٩١٦) . «زين بولس» محرّر المصباح سابقاً لهُ كشف الستار وابلاء الاعذار ومقالات ادبيَّة شتى . «زينيَّة خليل» نشر كتاب العلم والتربية وطرفة الطرف وتعريب بعض الروايات

«سابا عيسى ميخائيل» نشر مختصر التاريخ العام ومختصر سوريا ولبنان وروايتي اميرة العفاف ووحي الغاب . «ساعاتي نجيب» لهُ بيضة الفرخة في اللغة والتاريخ والآثار والاقتصاد (١٩٢٢) . «ساويرس يوحنَّا» نشر العلم والعمل والفردوس العقلي لابن عسَّال . «سحَّار نعُّوم» نشر في الموصل احسن الاساليب لانشاء الصكوك والمكاتيب ورواية لطيف وخوشابا . «سركيس وديع» نشر دروس القواعد العربيَّة في الصرف والنحو ومختصر علم الحساب والمجاني الشهيَّة في الحدائق العربيَّة .

«سركيس يوسف اليان» من آثاره تعريب رواية عاص وشجعان وانفس الآثار في اشهر الامصار والادلَّة القاطعة على شرف الرهبانيَّة اليسوعيَّة وجامع التصانيف العربية الحديثة من السنة ١٩٢٠ الى ١٩٢٦ . «سعادة خليل» لهُ الوقاية من السلّ الرئوي . «سعادة رفول» عرَّب كتاب ما هو الدين (١٩٠٣) . «سعاده سجعان» لهُ الدليل المفيد على العالم الجديد (١٨٩٦) . «سعد خليل» لهُ الدروس السعديَّة في تهذيب الفتى العصري والفتاة العصريَّة (١٩٢٣) . الفرائد السعديَّة في الاصطلاحات والرسائل

التجاريّة . «سعد يوسف بطرس» لهُ ثلاث روايات واقعية وفي سبيل الشبيبة والتمدُّن الكاذب . «سقيلباوي الياس عيسى» طبع في حماة قطف الازهار من حدائق الابرار ١٩٢٣ . «سلامه موسى» لهُ اشهر الخطب ومشاهير الخطباء واحلام الفلاسفة وقد جاهر في كتاباتهِ بالكفر . «سلوم رفيق رزق» لهُ حياة البلاد في علم الاقتصاد نشرهُ في حمص (١٩١٢) . «سليمان سليم» نشر مختصر تاريخ الأمة القبطيّة في عصري الوثنيّة والمسيحيّة (١٩١٤) . «سماحه حبيب» لهُ الاتحاد المسيحي (١٩١١) . «سوداء يوسف» من قلمهِ في سبيل لبنان وبين القديم والحديث وحديث الى العميد

«شاهين اسكندر» نشر تاريخ الحرب بين روسيا واليابان وكتاب مصر الجديدة (١٩٠٨) . «شبكه الياس ابو» لهُ العمّال الصالحون ورواية عنتر . «شبلي ميشال» لهُ اليوبيل الذهبي لمدرسة الحكمة ثمَّ المهاجرة اللبنانيّة (١٩٢٧) . «شحيد انطون بك» لهُ مقالات وخطب عديدة قانونيّة وادبيّة ودينيّة . «شهاب وديع رشيد» نشر في بيروت كتاب التربية في العائلة

«صائغ سلمى» مؤلفة النّسمات . «صادر سليم» لهُ سلّم القراءة في ثلث درجات والمنتخبات التهذيبيّة وترويض الالباب في علم الحساب وزبدة الفوائد في الاربع القواعد وترويض الاذهان في تقويم البلدان وهديّة الاحباب وفاكهة الالباب وجواهر الادب من خزائن العرب خمسة اجزاء . والترجمان الايطالياني . «صادر يوسف» لهُ تعليم القراءة العربية وكتاب القراءة للبنات والرسائل التجارية باللغتين العربية والفرنسويّة وزبدة الصنائع والفنون والترجمان الفرنساوي باللفظ العربي . «صرّوف فؤاد» طبع في مصر تهذيب النفس (١٩٢٣) ومذكرات سفير اميركاني في الاستانة ومشاهد العالم الجديد . «صفير الدكتور خيرالله» عرّب الخلاصة الطبيّة للدكتور دي برون . «صفير عبدالله باشا» لهُ عن سوريّة مقالات سياسية واقتصاديّة وخطب شتى . «صفير ميلاد» طبع في جونية المنارة الطبيّة في المداواة الاهليّة (١٩٠٢) . «صفير يوسف» نشر مجالي الغرر لكتبة القرن التاسع عشر (جزءان) ونفثات الكتّاب وخلاصة القواعد العربيّة وترقي الصغار في دروس الاستظهار والدرّ المنتخب من كتب الادب والخلاصة الجغرافيّة وجغرافية لبنان الكبير وعرّب تهذيب الاخلاق للقديس يوحنا دي لاسال ولهُ رفيق العابد والمسامرة في اضرار المهاجرة وترجمان الافكار

وترقي العائلات في تربية البنات والافراميات . «صقّال ميخائيل انطون» لهُ كتاب العبر ولطائف السَّمَر في سكاّن الزهرة والقمر . «صليب متري» نشر في مصر صراخ المستغيثين من ابناء الشرقيين . «صليبا برتلماوس» نشر في زحلة مأساة الغدر (١٩١١) . «صليبا سليم» نشر في دمشق فواجع لبنان ومظالم جمال باشا (١٩٢٠) ولهُ مقالة في اثبات لاهوت المسيح . «صوايا جورج» نشر في بوانس ايرس (١٩٢٠) المناهج الطبية

«ضومط جبر» من قلمهِ الخواطر في اللغة والخواطر الحسان في المعاني والبيان وخطاب في اللغــة العربيَّة وفكّ التقليد في علم الصرف مع بولس الخولي والعادة

«طبر يوسف ابو» نشر سنة ١٩٢٤ خلاصة الابحاث في علم الميراث . «طرازي الفيكونت فيليب» نشر القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة (١٨٩١) وتاريخ الصحافة العربيَّة والسلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيَّات السريانيَّة وتأسيس دار الكتب الكبرى في بيروت والصحف العربية المصوَّرة . «طرزي رفائيــل» نشر المباني الاساسيَّة في اللغة العربية ثلثة اجزاء ثمَّ دليل المباني

«ظاهر نقولا» نشر سنة ١٩١٣ الهديَّة الادبيَّة الى الناشئة العربيَّة ودموع الاسى لذكر فتحي وصادق وعرَّب عن الانكليزية رواية بوليس اميركا السرّي

«عارج سمعان» لهُ دائرة الفكاهات طبعها في مصر ونشر مجلة صدى لبنان . «عبد الملك جرجس» نشر سلّم القراءة الحديث في اربع درجات وعرَّب روايــة سكروج للروائي الانكليزي ديكنس . «عبود اسكندر» لــهُ الآثار المدليَّة . «عبيد بشاره» نشر مع اديب لحود رواية تمثيليــة لبنان على المرسح . «عرب نجيب ميخائيل» لهُ كتاب حسن التدبير في تربية الحرير . «عزوز توفيق» طبع في مصر كتاب الهديَّة التوفيقيَّة في تاريخ الامة القبطيَّة . «عزيز فيليب» لهُ الموجز المفيث في عالم المواريث . «عسّاف خليل» نشر في نيويرك المرأة عموماً والشرقيَّــة خصوصاً . «عطّاره قسطاكي الياس» نشر السنة ١٩٢٦ كتاب تكوين الصحف في العالم . «عطيَّة ابرهيم ناصيف» طبع سنة ١٩٢٤ قاموسهُ الانكليزي العربي في بيروت . «عطيَّة جرجي شاهين» لهُ ردّ الشارد الى طريق القواعد ومعجم المعتمد صدر آخراً . «عطيَّة رشيد» نشر الإعراب عن قواعد لغة الاعراب في ثلثة اجزاء

واقرب الوسائل الى انشاء الرسائل ورواية تبرئة المتهم او جزاء المكر . ﴿ عطية فريدة ﴾ عرّبت رواية الروضة النضيرة في ايّام بمباي الاخيرة ورواية بهجة المخدّرات في فوائد علم النبات . ﴿ عقل ابرهيم بك ﴾ لهُ بهجة الحق في تهاني غبطة بطريرك الشرق طبعهُ في جونية . ﴿ عقل سليم شديد ﴾ نشر سنة ١٩٢٠ كتابهُ سبع سنوات في البرازيل . ﴿ عقل وديع شديد ﴾ عرّب مأساة فرسنجيتوريكس والف نقش الفكرة في مدح الصخرة وكتب نبذة عن زراعة التبغ في لبنان مع روفائيل بشير . ﴿ عنحوري سليم بك ﴾ لهُ ما خلا منظوماته كنز الناظم ومصباح الهائم ورواية الانتقام العادل والجن . ﴿ عوره خليل ﴾ نشر في اللطائف المصرية عدّة روايات . ﴿ عوره نقولا ﴾ كتب ترجمة المطران باسيليوس حجّار . ﴿ عوض جرجس ﴾ نشر تاريخ كيرلس الرابع ابي الاصلاح القبطي ولهُ تآليف في تعليم اللغة القبطيّة . ﴿ عوّاد سليم ﴾ نشر في مصر نظرة في المبارزة والبائنة او بحثاً في الدوطة . ﴿ عيد الدكتور ﴾ محرّر مجلّة طبيب العائلة في مصر لهُ الثروة العقاريّة للقطر المصري . ﴿ عيسى رزّوق ﴾ نشر في بغداد جغرافيّة العراق سنة ١٩٢٢ . ﴿ عيسى كامل سليمان الخوري ﴾ لهُ الحاجيات والكماليات وفي ايّ منها نحن الآن (١٩٠٨) ثمَّ الضرران الاكبران المسكر والدخان نشرهُ في حمص (١٩١٢)

﴿ غانم ابراهيم ابو سمرا ﴾ ألّف ترجمة والدهِ باسم خليل همّام فائز (١٩٠٥) ونشر عدّة مقالات في الجرائد ولهُ في المشرق جبيل وبلاد جبيل وكتاب تقسيم المواريث . ﴿ غبريال حنا ﴾ لهُ كتاب الاكليل والقنديل وبعض الطقوس القبطيّة . ﴿ غبريل نقولا يعقوب ﴾ نشر سنة ١٩٢٢ كتاب مباحث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين . ﴿ غريّب امين ﴾ من مطبوعاتهِ اخبار وافكار واشواك وورود في ثلثة اجزاء . واسماء النبات والحياة النباتية والخليقة ونظامها وبعض الروايات . ﴿ غريب منصور شاهين ﴾ لهُ ديوان المعنّى اللبناني . ﴿ غزاله الدكتور سليمان ﴾ من تآليفهِ النثرية سوانح الفكر في ما يسامي العشق من العبر وسوانح الكلم واعاجم الحكم وخطاب في افضل اسلوب التربية وكتاب الوضيعة في الحكمة الخلقية في تسعة اجزاء . ﴿ غصوب يوسف ﴾ نشر مع عكر ورعد حول اليهوديّ التائه . ولهُ درس اخلاقي ادبي نفيس دعاه اخلاق ومشاهد ولهُ مقالات شتى في المشرق والمجلات

والجرائد . «غضبان الياس» نشر في مصر تاريخ الانسان الطبيعي . «غلبوني يوسف» نشر سنة ١٩١١ معرض الافكار او صدى رواية اليهودي التائه . ولـهُ محاضرات ومقالات وقصائد متفرقة . «غنيمة يوسف رزق الله» نشر في بغداد كتاب تجارة العراق قديماً وحديثاً ونزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق وكتب في مجلة المشرق وغيرها مقالات تاريخيَّة مفيدة

«الفاخوري يوسف» نشر الزهرات في جزئين ثمَّ المآسي رجاء ويأس والبرج الشمالي وجان هاشيت ومقالات وقصائد متفرّقة في المجلّات والجرائد . «فارس حبيب» لهُ قلادة العقيق لجيد الغرامطيق . وصراخ البريء في بوق الحرية «فـارس فليكس» نشر سنة ١٩٠٩ النجوى ثمَّ عرَّب كتاب ارتقاء المانيا الوطني . «فاضل وديع الي» نشر في مصر دليل لبنان «فرَّان الياس» طبع في بعبـدا السَّمَر في قضاء اوقـات السهر وفي نيويرك كتاب سلوى الهموم . «فرح خليل سمعان» القوَّال لهُ عزرائيل القوَّالين الجهلاء . «فرحات يوسف طنوس» نشر نغمـة الآس في مـديح البطريرك الياس وجناز البيع والشراء في توكومان . «فريحة نعوم» نشر في الاسكـندرية مع يوحنا خيرالله المختار من عرائس الافكار . «الفغالي خليل سمعان فرح» نشر شمس المعنى الفريدة وقصَّة يوسف بك كرم . «فهمي حنَّا سعـد» عرَّب القوَّة الفكرية في المغنطيسية الحيويَّة والمرشد الظريف في طالع الجنس اللطيف والدرَّة الثمينة وتاريخ الفلسفة من اقدم عصورها الى الآن . «فيلوثاوس جرجس» لهُ البـاكورة المنيرة في لعبة الشطرنج . «فيَّاض نقولا» من تآليفـهِ المرأة والشعر وحول سرير الامبراطور ومملكة الظلام . «فيَّاض نجيب فرج الله» عرَّب مأساة فولتير زهيرة . «قبعين سليم» نشر تاريخ آل رومانوف ومذهب تولستوي والدستور والاحرار وعرَّب مصرع القيصر وحكم النبي محمَّد . «قدسي الياس بك» المتوفى حديثاً ٣٠ تموز ١٩٢٦ نشر في ليدن نبذةً تاريخيَّة في الحرَف الدمشقيَّة . وفي دمشق الطريقـة القدسيَّة للقيودات المزدوجة ونوادر وفكاهات من احاديث الحيوانات ولهُ تآليف عديدة لم تُطبع

«قرداحي يواكيم» نشر في حيفـا رواية تمثيلية في عواقب العشرة الرديَّة . «قرياقوس عبد الملك» نشر في مصر الاقوال البهيـة في شرح الصلاة الربَّانيَّـة . «قزمان اسكندر» طبع في مصر الجزء الاوَّل من كتـابهِ الرقي والاعتـدال .

«قندلفت غطّاس بطرس» من تآليفهِ الادب المسيحي والصوم الزكي وعلم هيئة الارض وبهجة الفؤاد في تفسير اناجيل الآحاد في جزئين وعرَّب كتاب امتيازات الجماعات المسيحية. «قنواتي عبده يوسف» نشر في حمص تعريف حقائق الايمان. «كاتسفليس وليم» احد الكتبة الضليعين في مجلات اميركا كمرآة الغرب والسائح له رواية شقاء التاج ومقالات ادبية عديدة. «كامل يوسف» طبع في بعبدا الصرف الشامل (١٩٠٨). «كرباج اسكندر» عرَّب رواية لامرتين غرازيالا في سان بولو (١٩١١). «كرشه اندراوس وابيض» طبعا في طرابلس جغرافية المملكة العثمانية (١٩١١). «كرم يوسف» له سعادة الشبَّان بطهارة الابدان. وتأثري في لورد. وله وصف فرنسا وزراعتها وصناعتها (مطبعة رباط ١٩٢١). «كرم عفيفة» نشرت في نيويرك روايتي غادة عمشيت ويوسف وفؤاد. «كزما اسكندر جبرائيل» نشر مختصر التاريخ المقدَّس والتعليم المسيحي الارثذكسي ومختصر تفسير الخدمة الالهية. «كسَّاب سلمى صائغ» لها ابناء الفقر. «كسَّاب سليم» نشر تعزية الايمان في المصائب والاحزان ومنهج الصواب في مبادئ الآداب والدرَّة الفريدة في الدروس المفيدة والغنائم بالعزائم وقلادة النحر في غرائب البرّ والبحر (جزءان) ونشر مع جرجس همام الكنوز الابريزيَّة في اللغتين العربيـة والانكليزية. «كسبار الياس داود» نشر في صيداء التتمَّة الفقهية. «كنعان انطون» له التحفة الادبية في القراءة العربية ومقالة متى يغلط البابا. «كنعـان بشارة» نشر في مصر كتاب العالم الانكليزي

«اللاذقاني نجيب» نشر الدرّ النضيد من العهدين القديم والجـديد. «لبيب تادرس حنا» نشر في مصر دروس خصوصيَّة في المهمَّات النصرانيَّة. «لحود اديب» له نيل الارب في تاريخ العرب طبعهُ في عمشيت (١١١٤) ولبنان على المراسح ومأساة القديسة بربارة مع زكريَّا جرجس نصَّار. «لحود عبدالله» نشر في عمشيت فتاة الجيل العشرين. «لطف الله الياس» نشر في الاسكندرية كشف الحجـاب في العقاب والثواب ورواية الابن الضالّ ومأساة ايوب الصدّيق والبوق النذير في هواجس الضمير. «لوقا شكري فارس» طبع في حمص سمير المرأة

«مجاعص داود» نشر في مصر كتاب كنوز لبنان المرصودة. «مخائيـل

توفيق» نشر غرائب الاخبار عن شرق افريقية وزنجبار . « مخائيل سعد» نشر في مصر آداب العصر في شعراء الشام والعراق ومصر ثمَّ شعراء السودان . « مخلوف نجيب» نشر في مصر تاريخ نوبار باشا وما تمَّ على يدهِ . « مراد جورج » لهُ رواية بيروت على المرسح او اربع سنوات الحرب . « مراد يوسف الخوري » نشر سنة ١٩٠٣ رواية تنصُّر النعمان . « مسرَّه جورج» عرَّب تاريخ لوكوى عن احمد الجزَّار في سان باولو (١٩٢٤) . « مسعد بولس » لهُ كتاب لبنان والدستور العثماني وكتاب مصر وسوريَّة ودليل لبنان وسوريَّة طُبعت كلّها في مصر . « مسعودي عبد المسيح صليب» نشر في مصر سنة ١٩٢٥ تكميل شروحات في قواعد كتابة الهمزات . « مسك فيليب » لهُ ترشيح الماء ورفع العوارض من اعمال الفرائض . « مشعلاني نجيب ملحم » لهُ مختصر تاريخ الكنيسة وكتاب الرهبان مَن هم وماذا يعملون ؟ « مشنوق عبدالله » طبع كتاب الامتيازات الاجنبيَّة (١٩٢٢) . «مصوبع بولس خليل » لهُ كتاب الحكمة في العمل . «مصوبع سليمان » نشر خمسة اجزاء من قاموس القضاء العثماني . «مطر جورج» نشر في هذا العام اناشيد القمَّة والوادي . «مطران خليل بك» لهُ ما عدا منظوماتهِ كتاب مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام جزءان وتعريب تاجر البندقيَّة لشكسبير «مطلق تيوذوسيوس» نشر في اللاذقية الحمامة البيضاء في عجائب السيدة العذراء . «معاد بطرس حنا» لهُ لهجة الفؤاد (١٩٠٥) . «معركي ميخائيل عبد المسيح» طبع في القدس الحرم والحارم والمحروم (١٩٢٥) . «المعلوف توما» كتب في وصف الدولة البولشفيكية وعرَّب خطبة بوسويه في ظفر الصليب وخطبة ماسينيون في ظلم العالم لاهل الخير . «المعلوف جميل» نشر كتاب ما هنالك وطبع في سان باولو تركية الجديدة وحقوق الانسان . «المعلوف سبع فارس» لهُ كتاب مصباح اللغتين (١٨٩٩) . «عيسى اسكندر المعلوف»من تآليفهِ العديدة بحث تاريخي في الكتابة ولمحة في الشعر والعصر وتاريخ مدينة زحلة وتاريخ الطبّ عند الامم القديمة والحديثة . وتاريخ الحاج كيوان نعمه اللبناني ودواني القطوف في تاريخ بني المعلوف ومقالات عديدة وقصائد في مجلتهِ الآثار وفي عدَّة مجلات سوريَّة ومصريَّة منها قسم صالح في المشرق . « المعلوف قيصر ابرهيم» نشر في سان باولو تذكار المهاجر . «مغبغب نعّوم» نشر تاريخ الامير حيدر

الشهابي. «المقدسي انيس الخوري» لهُ دول العرب وآدابها وتعريب امير بريطانيا. «المقدسي جرجس الخوري» لهُ الخدمة المدرسيَّة في تسهيل صرف ونحو اللغة العربية ومعين المبتدئين فيها. «مكاريوس شاهين بك» طبع في مصر تاريخ ايران وتاريخ الاسرائيليين وعدَّة كتب في الماسونية وسفاسفها. «مكرزل ابراهيم» نشر كتاب الدرّ الثمين في صحة الاعزاب والمتزوّجين. «مكرزل نعّوم» عرَّب تاريخ هنيبال ولهُ في الهدى مقالات عديدة. «ملاط شبلي بك» لهُ ما خلا منظوماته تعريب روايتي الذخيرة والفرد الكبير. «منذر الشيخ ابرهيم» نشر سنة ١٩٢٧ كتابهُ الى المجمع العلمي العربي في دمشق. «منسّى القمص» لهُ تاريخ الكنيسة القبطيَّة والدليل الصحيح على تأثير دين المسيح وكتاب يسوع المصلوب وحياة يوحنا فم الذهب مع عبد الفادي القاهراني. «منسى يوسف» لهُ المنهاج الجليّ في واجبات الصيدلي. «منسى يوحنا» نشر كتاب طريق السماء (١٩٢٥). «منصور السعد» نشر تاريخ الناصرة. «منصور ميخائيل» عرَّب كتاب الكلمة المتجسد. «موسى باسيليوس» نشر في مصر سنة ١٩٢٠ الدين والوطنيَّة. «موسى يوسف جرجس» نشر هناك سنة ١٩٢٤ الرياضة الروحية. «مي مريم زيادة» تعدَّدت منشوراتها اخصها باحثة البادية وابتسامات ودموع والمساواة وغاية الحياة وكلمات واشارات وسوانح فتاة وظلمات واشعَّة والصحائف وبين الجزر والمدّ وهي صفحات في اللغة والاداب. «ميخائيل توفيق» لهُ غرائب الاخبار عن شرق افريقية وزنجبار. «ميخائيل فرنسيس» نشر التدبير المنزلي الحديث في جزئين والتدبير المنزلي للبنات. «مينا عزيز طنوس» طبع في عمشيت صدى الأنين

«نادر جرجس شبل ابو» نشر في نيويرك رواية الثورة الدرزيَّة في الاراضي اللبنانيَّة. «نجم فرنسيس» نشر الرواية التمثيلية شهيد الدين وابطال الردة. «نخله ابرهيم جرجس» لهُ حلّ الرموز في معتقد الدروز. «نصّار منصور» لهُ الدرّ المنظوم لتسلية العموم. «نصار نجيب» لهُ روايتا شمم العرب وفي ذمّة العرب. «نصر لطف الله» نشر كتاب وقائع الحرب الكونية وعدَّة تآليف شعرية عامّية انتقادية على الازياء الخلاعيَّة. «نصره جبرائيل» التعبئة في لعب الشطرنج (١٩٢٠). «نعيمة ميخائيل» لهُ كتاب انتقادي دعاهُ الغربال. «نقّاش جان نقولا» لهُ في جزئين مغني

المتداعين عن المحامين . ﴿نمر فارس﴾ محرّر المقتطف مع المرحوم يعقوب صروف لـهُ بزوغ شمس البرّ . ﴿نوفل نسيم﴾ نشر كتاب بطل لبنان يوسف بك كرم . ﴿نوفـل نسيم عبدالله﴾ نشر في مصر كتاب حافظ السلام الامبراطور اسكندر الثالث

﴿همّام جرجس﴾ نشر مدارج القراءة في اربعة اجزاء والايضاح على مقـالات اقليـدوس والتعليم الوطني والكنوز الابريزيّة في اللغتين العربية والانكليزية مع سليم كسّاب . ﴿هواويني نجيب﴾ له خطاب في العلم والعمل وعُني بالخطوط العربية

﴿وادي شحرور حليم فارس﴾ له روايتا انشودة الهدى ورجوع المهاجر . ﴿ورد يوسف جرجس﴾ طبع في مصر الشهب الصبحية في الكنيسة المسيحية

﴿يزبك جورج﴾ ألّف بيروت في التـاريخ ﴿يزبك جوزف الخوري﴾ طبع سنة ١٩٢٢ الخطرات الشهيرة والانتقادات الخطيرة . ﴿يني جرجي﴾ ألّف كتـاب تاريخ سوريّة سنة ١٨٨١ ثمّ نشر تاريخ اسكندر الثاني قيصر الروس . وعجـائب البحر ومحاميله التجاريّة وتاريخ حرب فرنسا والمانيا

وبهـذا نختم كلامنا عن ادباء النصارى الاحياء . وفي عـدد آخر نذكر شعراء المسلمين وادباءهم

في أُدباء المسلمين حاضراً

لكتبة المسلمين حاضراً فضل لا يُنكر في خدمة الآداب العربية . فانهم مـذ اخـذوا يحتكّون بالمتخرّجين على آداب الغرب اتّسعت في اعينهم دائرة الآداب وشُغف كثيرون منهم بمصنّفات الفرنج فنقلوا جـانباً كبيراً منها الى العربيّـة لاسيا الروايات وليست هي افضل كتاباتهم . ثم اخذوا يتقلّدون طرائقهم الكتابيّـة نثراً ونظماً فأغنوا اللغة العربية بكنوز لم يعرفها سلفاؤهم ومشوا في ذلك ادراج النصارى ولعلّهم سبقوهم في بعض الموضوعات وان كان رقيّهم لا يزال محصوراً في بعض البلاد القريبة لا نُرى نتيجتهُ في البلاد القاصية كاميركة حيث السهم الفائز هو للنصـارى وحدهم

ومن ثمّ بعد ذكرنا لادباء النصارى لا نرى بُدًّا من ذكر ادباء المسلمين . وهنا ايضاً نقرّ بعجزنا عن استيفاء حقوق جميعهم اذ لم نطّلع على كثير من تآليفهم فنذكر مـا يحضرنا من اسمائهم مع ابداء اسفنا على جهلنا لسواهم

١ً شعراء المسلمون حاضراً

الشعراء المسلمون (في الشام) حاضراً ﴿ارسلان﴾ الامير شكيب لهُ باكورة نظم شكيب طُبع سنة ١٨٨٧ . ﴿امين﴾ تقي الدين لهُ منظومات متفرقة . ﴿امين بك﴾ ناصر الدين المولود سنة ١٢٩٨ﻫ نشر ديوان صدى الخواطر في اعبيه سنة ١٩١٣ . ﴿البزم﴾ محمد احد شعراء دمشق حاضراً . ﴿جبري﴾ شفيق المولود سنة ١٨٩٥ نُشرت لهُ قصائد في مجلة الحرية وغيرها (اطلب Mitt. d. Sem. f. arab. Sprache XXVIII. 1925, pp. 249-257) . ﴿الحسامي﴾ علي عبدالله هو احد شعراء الدستور . ﴿الحموي﴾ محمّد الحسين . هو صاحب ديوان الحمويّات . ﴿الحوماني﴾ ذكرنا موخَّراً ديوانهُ الجديد المطبوع في صيداء . ﴿الخطيب﴾ فؤاد المولود سنة ١٣٠٢ . رُويت لهُ عدَّة قصائد في المجموعات الادبيَّة . ﴿الرافعي﴾ مصطفى صادق الطرابلسي نشر ديوانهُ في مصر سنة ١٣٢٠ . ﴿رمضان﴾ مصباح هو معدود بين شعراء العصر . ﴿زغيب﴾ علي التقيّ هو احد شعراء الدستور الذين روينا منظوماتهم . ﴿سعيد﴾ اياس محمّد البيروتي نظم ارجوزة في الصحة سنة ١٣٣٥) . ﴿شبيب باشا﴾ الاسعد العاملي معدود بين شعراء العصر . ﴿شريف﴾ حكمت احد شعراء الدستور . ﴿شريف﴾ كمال نشر في بيروت سنة ١٣٠٩ وسيلة التشكوك في نظم السلوك . ﴿شعيب﴾ محمّد كامل العاملي لهُ الحماسيَّات في النهضة العربيَّة ﴿شهبندر﴾ الدكتور عبد الرحمان زعيم ثورة حوران نُشرت لهُ قصائد في المجلة الالمانيَّة (Mitt. d. Sem. f. arab. Sprache, XXVIII, 271) . ﴿ظاهر﴾ سليمان تروى لهُ قصائد حسنة كسوريَّة وشكواها ونظرة في النجوم والحرب والسلم . ﴿عبد العزيز﴾ علي ابرهيم لهُ ديوان شعر وهو صاحب حدائق الادب . ﴿عُبَيد﴾ احمد روت المجلة الالمانية المذكورة شيئاً من شعره (Mitt. XXVIII, 277) . ﴿العظم﴾ جميل بك نشر في البصائر وغيرها نبذاً من شعره . ﴿عويضة﴾ الشيخ عبد الكريم يدعى شاعر طرابلس . ﴿الغلاييني﴾ الشيخ مصطفى نشر ديوانهُ في حيفا سنة ١٩٢٥ . ﴿فرحات﴾ من شعراء الشيعة طُبعت رباعياتهُ في سان باولو ﴿القصَّار﴾ بشير الطبيب مدير الكليَّة الاسلاميَّة شاعر معتبر ومثلهُ ﴿قليلات﴾ عبد الرحيم بك . ﴿قيرواني﴾ صالح سويسي من آثاره الشعريَّة زفرات الضمير . ﴿محسن﴾ الحسيني العاملي نشر في دمشق سنة ١٣٣٢

الرحيق المختوم في المنثور والمنظوم . «مردم بك» خليل نشر في دمشق منظومات شتى (راجع ايضاً Mitt. d. Sem. f. arab. Sprache. XXVIII, 262-271) .
«ياسين» محمّد شاكر من شعراء الدستور . «اليعقوبي» الشيخ سليم ابو الاقبال له ديوان حسنات اليراع مدح فيه اعيان بيروت

وليس شعراء (مصر) اقلّ عدداً . منهم «ابو شادي» محمّد زكي ذكرنا كثيراً من منظوماته في المشرق كفخرة رشيد ووطن الفراعنة ومهنا وذكرى شكسبير وسعد والمغنّاة احسان . «البكري» توفيق نشر اراجيز العرب وعدداً وافراً من القصائد التي لم تُجمع في ديوان . «توفيق» علي محمّد المولود سنة ١٨٨٧ معدود بين شعراء مصر ومثلهُ «الجزيري» محمّد ابرهيم المولود سنة ١٨٩٥ . «الحافظ» محمد ابراهيم من كبار شعراء قطر النيل . تكرّر طبع ديوانه في ثلثة اجزاء . «حمدي» حسن بك يُحمّد شعرهُ ومثلهُ . «حمودي» توفيق بك المولود سنة ١٢٩٩هـ . «الحموي» محمّد حسن المصري هو صاحب ديوان الحمويّات المطبوع في مصر سنة ١٣٢٥هـ .
«الرافعي» عبد الحميد بك صاحب الافلاذ الزبرجديّة ويروى شعرهُ في المنتخبات الادبيّة كالزهور وآداب العصر . وكذلك «رامي» احمد المولود سنة ١٨٩٢ .
«رمزي» ابرهيم مولود المنصورة سنة ١٨٨٤ يتناقل الادباء شعرهُ . «الزركلي» خير الدين طُبع ديوانهُ منذ عهد قريب . «زكي» الدكتور احمد . من نظمهِ ديوان الوجدان ونفحات في شعر الغناء . «الزناتي» الشيخ عثمان منظوم بين شعراء مصر فيروى شعره في مجاميعهم . «شكري» عبد الرحمان المولود سنة ١٨٨٦ له ديوان ازهار الخريف ودواوين غيرها . «شكري» محمود عدّهُ الكاشف بين شعراء العصر .
«شوقي» احمد المولود سنة ١٨٦٨ هو امير شعراء مصر . ديوانهُ الشوقيّات احسن دليل مقدرتهِ ونبوغهِ . «صبري» اسمعيل المولود سنة ١٨٦١ منظوم في كتب الادباء بين شعراء مصر المفلقين . «طه حسين» نشر كتابهُ الشعر التمثيلي سنة ١٩٢٠ .
«طه محمّد» له آثار شعريّة متفرقة . «عاصم» اسماعيل بك يُنظم ايضاً في عداد شعراء العصر ومثلهُ «العبد» الشيخ سليمان . «العقّاد» عبّاس محمود المولود سنة ١٨٨٥ هو اليوم احد زعماء الكتابة نظماً ونثراً بين المصريين ويمتاز بحسن ذوقهِ وصحة انتقاده . «علي» محمّد توفيق و«عماد» محمود و«فاضل» الاميرآلاي

محمّد بك يتعاطون الشعر لهم فيه نفحات طيّبة يشيد بحسنها العارفون. «القاياتي» حسن المولود سنة ١٣٠٠هـ طُبع ديوانهُ في مصر سنة ١٩١٠. «الكاشف» احمد بن ذي الفقار ولد سنة ١٢٩٥هـ وهو من الشعراء المعدودين. لهُ ديوان في جزئين طُبع سنة ١٣٣٠. «المازني» ابراهيم عبد القادر هو ايضاً شاعر مجيد وديوانهُ في جزئين كذلك طبع سنة ١٩٠٧. «محرَّم» احمد المولود سنة ١٨٧٧ يتناقل الرواة شعرهُ لرقّتهِ وانسجامهِ. «نسيم» احمد المولود سنة ١٨٧٨. طُبع ديوانهُ سنة ١٣٠٨ فاقبل الادباء على مطالعتهِ لجودة قريحة ناظمهِ. «نور بك» مصطفى المولود سنة ١٨٨٣ نقل الى العربيَّة بعض شعر الغربيين فنظمهُ وهو مترجم غناء المرسلياز. «الهراوي» احمد ولد سنة ١٨٩٥ وينظم اسمهُ في عداد الشعراء العصريين في القطر المصريّ. «واصف» محمّد امين روت له مجلّة الحرّية عدَّة منظومات. «واصف» محمود هو ايضاً ممَّن نظمهُ الكاشف في جملة الشعراء المفلقين. ونضيف الى شعراء مصر «مصطفى» آغا التونسي الذي نُشر ديوانـهُ في تونس سنة ١٣٢٩هـ . و« الجرجاوي» ثابت فرج صاحب ديوان طُبع في طرابلس الغرب (١٣٣٠)

وان اردنا النظر الى العراق وجدنا للشعر بين اهلهِ سوقاً نافقة وقد احتلّ بعضهم ربوع الشام كضيوف كرماء. وهذه اسماء الذين وقفنا عليهم. «الازدي» عبد الحسين روى لهُ رفائيل بطي في كتابه الشعر العراقي (٢ : ٥١ـ٧٢) عدَّة قصائد حسنة وكذا فعل «للبصير» محمّد المهدي (٢ : ٩٣ـ١٢٠) . «جعفر» السيد الحلي النجفي طُبع في صيداء سنة ١٣٣١ ديوانهُ سحر بابل وسجع البلابل. «الجواهري» الشيخ محمّد ذكرت ايضاً قصائدهُ مع شعراء العراق ومثلهُ «الجوهر» عبد العزيز (٢ : ١٦٤ـ١٧٨). «حبوبي» السيّد محمّد النجفي طُبع ديوانهُ في صيداء سنة ١٩١٣. «الدجيلي» كاظم من مشاهير الشعراء في العراق ولد سنة ١٨٨٢ . ونُشرت قصائدهُ في الشعر العراقي (١٨٧ـ٢٢٢) وفي كتاب شعراء العصر وفي لغة العرب. «الرصافي» معروف الشاعر المفلق المولود سنة ١٨٧٥. طُبع ديوانهُ سنة ١٩١٠ وقد خصصنا لهُ فصلاً في المشرق. «الزهاوي» جميل صدقي البغدادي. طُبع ديوانهُ في بيروت سنة ١٣٢٧ تحت اسم الكلم المنظوم ولهُ منظومات شتى طُبعت في المجلات وفي الجاميع الادبيَّة وقسم منها يُشعر بالزندقة والمذهب المادّي. «السماوي» محمّد

المولود سنة ١٨٧٥ نظمهُ البطي في جملة شعراء العراق (٢ : ١٥١ـ١٦٤) . ﴿الشبيبي﴾ باقر روى لهُ البطي قصائد في الشعر العراقي (٢ : ٣٥٠ـ٤٢٠) . ﴿الشبيبي﴾ جواد ذُكر شعرهُ في العراقيات (١٢٠ـ١٣٧) . ﴿الشبيبي﴾ محمد رضا مولود النجف سنة ١٣٠٦هـ . روى كثيرون نخباً من شعرهِ كاصحاب مختارات الزهور (ع ١٩) والعراق العربي (١١٣ـ١٢٩) وآداب العصر (٢٥١) . ﴿الشرقي﴾ علي معدود بين شعراء العراق (٢ : ٥ـ٦) . ﴿العبادي﴾ محمد عبد القادر البغدادي . روينا لهُ شعرهُ مع شعراء الدستور (٢ : ١٦٤٠) . ﴿العبيدي﴾ محمد حبيب المولود سنة ١٢٩٦هـ روى البطي شعرهُ في القسم العراقي (١٢٩ـ١٦٠) ونشر في ايام الحرب في بيروت قصائد في مديح جمال باشا والاتراك . ﴿الكاظمي﴾ الشيخ عبد المحسن المولود سنة ١٢٨٦ . روى صاحب العراقيات قسماً صالحاً من شعرهِ (١٧٩ ـ ١٩٨) وكذلك صاحب شعراء العصر (٢ : ٥٠ـ٨٠) . ﴿محمد الحسين﴾ من آل كاشف الغطاء من شعراء العراق المذكورين في الشعر العراقي (٢ : ٧٣ـ٩٢) . ومثلهُ ﴿محمد حسن﴾ ابو المحاسن (٢ : ١٣١ـ١٥١) . ﴿النجفي﴾ الشيخ عباس الملّاعلي . منظوماتهُ في الشعر العراقي (٢ : ١٧ـ٥٠) . ﴿الهنداوي﴾ خيري مولود سنة ١٨٨٥ لهُ شهرة بين شعراء العراق (البطي : القسم العراقي ١٦١ـ١٨٦)

٢ الكتبة والصحافيون

نذكرهم على ترتيب حروف المعجم : ﴿ابو شادي﴾ احمد زكي من تآليفهِ عبده بك وانهاض تربية النحل وقطرة من يراع . ﴿اباظه﴾ ابراهيم دسوقي نشر في مصر سنة ١٩٠٦ حديقة الادب . ﴿ابراهيم﴾ حافظ لهُ كتاب في التربية الاوليـة في جزئين . وليالي سطيح . ﴿ابراهيم﴾ عبد الخالق ألَّف خلاصة ادب اللغة (١٩٠٨) . ﴿الاثري﴾ محمد بهجت نشر كتاب اعلام العراق وصحح كتاب تاريخ نجد لمحمود شكري الالوسي . ﴿احمد﴾ ابراهيم لهُ ادبيات اللغة العربيَّة . ﴿اديب﴾ مصطفى نشر في بيروت الحملة اليابانيَّة (١٣٣٠) . ﴿ارسلان﴾ الامير امين كتب في حقوق الملل ومعاهدات الدول (١٩٠٠) ولهُ المرأة وتأثيرها في الهيئة الاجتماعيَّة . ﴿ارسلان﴾ الامير شكيب نشر الدرَّة اليتيمة لابن المقفَّع وعرَّب رواية آخر بني سراج وكتاب اناتول فرنس

ومباذله لجان جاك برسون. ﴿ارناؤوط﴾ معروف من قلمه فردوس المعري وتاريخ الحرب في طرابلس الغرب (١٣٣٠) والجاسوس الياباني وادرنة في النار ورواية الجريمة السرية. ﴿الازهري القلوضي﴾ عمر نور الدين له النفحة الملوكيّة في احوال الامّة العربيّة الجاهلية. ﴿الاسكندراني﴾ عبد القادر الكيلاني. طبع في دمشق تنبيه اليقظان وايقاظ الوسنان وتحفة الاخوان (١٣٤٢). ﴿اسماعيل﴾ عمر علي نشر في بيروت مناهج الكمال في اسمى الخصال. ﴿الاصمعي﴾ محمّد عبد الجواد له كتاب في الآداب العربيّة وتعريب آثار جمال الدين وقلعة محمّد علي لا قلعة نابوليون. ﴿امين﴾ سعيد هو منشئ مجلة الشرق الادنى. ﴿الانسي﴾ عبد الباسط. له كتاب البسط الوافر في حساب التاجر وابدع الاساليب في انشاء الرسائل والمكاتيب وهداية السائل الى انشاء الرسائل. ﴿الانسي﴾ محمّد ابو الخير نشر سنة ١٩٠٧ مطالع البدور الى محاسن ربّات الخدور

﴿باقر﴾ محمّد صاحب البلاغ له الرحلة العلميّة الى الاستانة. ﴿البرغوثي﴾ عمر صالح نشر مع خليل طوطح تاريخ فلسطين سنة ١٩٢٦. ﴿البرقوقي﴾ عبد الرحمان هو محرّر البيان المصري. ﴿البكري﴾ توفيق ألف كتاب فحول البلاغة ومستقبل الاسلام وصهاريج اللؤلؤ. ﴿تقي الدين السعد﴾ ألف رواية لولا المحامي. ﴿تيمور﴾ احمد باشا له اصلاحات على معجم لسان العرب ومنشورات ادبيّة. ﴿تيمور﴾ محمود من تآليفه الشيخ سعد العبيط ومحمّد وميض الروح وحالتنا التمثيليّة. ﴿حافظ بك﴾ محمّد ابراهيم معرّب البؤساء لفكتور هوغو. ﴿حسني﴾ عطا بك المولود سنة ١٢٩٨ اشتغل بالصحافة ونشر بعض التآليف الادبيّة. ﴿الحسيني﴾ السيّد احمد بك ألّف كتاب اشهر مشاهير الاسلام. ﴿حمزة﴾ عبد القادر محرّر جريدة البلاغ المصريّة. ﴿حمّاد﴾ صالح بك حمدي ذكر له في مرآة العصر (٢ : ٢٨٥) تآليف ادبيّة. ﴿الخطيب﴾ محبّ الدين صاحب جريدة الزهراء. من آثار قلمه الازهر ماضيه وحاضره واتجاه الموجات البشريّة من جزيرة العرب ومنشورات شتى لقدماء الكتبة ﴿الرافعي﴾ امين منشئ جريدة الاخبار في مصر. ﴿الرافعي﴾ توفيق من آثاره ما وراء البحار والنبوغ العربي في العالم الجديد ﴿الرافعي﴾ عبد الرحمان له الجمعيات الوطنيّة وتاريخ النهضات القوميّة. ﴿الرافعي﴾ مصطفى صادق له المعركة بين القديم

والحديث . «رضا» احمد نشر رسالة في الخط ١٩٠٤ وطبع مع ظاهر سليمان وزين عارف العراقيات . «رضا» محمد رشيد صاحب المنار . لهُ آثار دينية وادبية عديدة اخصها تاريخ الاستاذ محمد عبده . «رضا» محيي الدين نشر بلاغة العرب في القرن العشرين . «رمضان» عارف ألَّف مجموعة القوانين المعمول بها في جميع البلاد المنسلخة عن المملكة العثمانيَّة (١٩٢٤)

«الزركلي» خير الدين هو مؤلف الاعلام في مشاهير الرجال والنساء . وعامان في عُمان . «زكي باشا» احمد المولود سنة ١٨٦٦ من آثاره الدنيا في باريس وقاموس الجغرافيَّة القديمة عربي وفرنساوي وكتاب الحضارة الاسلاميَّة والرق في الاسلام ونشر كتاب التاج للجاحظ والاصنام لابن الكلبي وعرَّب نتائج الافهام في تقدُّم العرب قبل الاسلام وتاريخ ماسپيرو في الامم الشرقيَّة القديمة . «زكي» حسين لهُ مختصر في تاريخ الامم الشرقيَّة (١٩٢٦) . «زكي» صالح لهُ دروس الاشياء ومبادئ العلوم في ٤ اجزاء . «زكي» مبارك نشر كتاب الاخلاق في الغزالي . «زكي الدين احمد» من تآليفهِ تنوير الاذهان والمكاتبات العصرية في المراسلات العربيَّة والكتَّاب الثلثة وليّ الدين يكن والمنفلوطي والعقاد . «الزهاوي» جميل صدقي لهُ محاضرة في الشعر . «زين» محمد عارف صاحب العرفان لهُ تاريخ الشيعة (١٩١٢) وتاريخ صيداء والحبّ الشريف .

«الساعاتي» فوزي لهُ كتاب كنز البراهين . «سني بك» عبد الغني نشر كتاباً في حادثة بيروت وكتب في ضعف الاعتقاد في ناشئة المدارس . «شنبور» رأفت شفيق لهُ تأليف في جمعيَّة الامم والانتدابات . «صبحي» محمد لهُ شعر الوجدان من نظم الدكتور ابي شادي . «صبري» محمد لهُ كتاب ادب وتاريخ . «طباره» راشد ألَّف الانتداب وروح السياسة الانكليزية . «طه حسين» من تآليفهِ حديث الاربعاء وقادة الفكر والنظام اللاتيني وذكرى ابي علاء المعرّي والواجب وفلسفة ابن خلدون والادب الجاهلي وقصص تمثيليَّة من اشهر الكتّاب الفرنسويين وعرَّب كتاب لوبون روح التربية

«عبده» حسين لهُ المرأة الحديثة وكيف نسوسها . «عبد الحميد بك» الدكتور محمد لهُ كتاب التعليم والصحَّة . «عبد الرزّاق» شاع امر كتابهِ في

الخلافة . ﴿عبد اللطيف﴾ بك محرر جريدة الأمة في الاسكندرية . ﴿عبد الوهاب﴾ علي منشئ الاخبار في الاسكندرية . ﴿عقاد﴾ سليم ألف تاريخ حرب البلقان في ثلثة اجزاء ومركز المرأة في قانون حمورابي والقانون الموسوي . ﴿عقاد﴾ عباس محمود من آثاره الفصول مجموع مقالات ادبية (١٩٢٢) ومراجعات في الادب والفنون ومجمع الحياة ومطالعات في الكتب والحياة . ﴿عنان﴾ نشر تاريخ الجمعيات السرية . ﴿علي افندي السيد﴾ هو منشئ النظام في مصر . ﴿العيناتي﴾ محمود احمد هو صاحب مجلة الكشاف

﴿فكري﴾ امين له التربية الاجتماعية . ﴿عواد﴾ محمد حافظ بك محرر كوكب الشرق في مصر . ﴿فهم قنديل﴾ منشئ جريدة عواد فيها . ﴿القباني﴾ عبد القادر تولى زمناً طويلاً انشاء ثمرات الفنون البيروتية . ﴿كرد علي﴾ السيد محمد مدير مجلة المجمع العلمي في دمشق نشر سابقاً مجلة المقتبس ومجموعة رسائل بليغة ورحلته الى اوربة . وظهرت اربعة اجزاء من كتابه خطط الشام . ﴿كلزي﴾ محمد محرر جريدة وادي النيل في الاسكندرية . ﴿المازني﴾ ابراهيم عبد القادر ذكرنا له في هذا العدد حصاد الهشيم . ﴿محمد عبدالله بك﴾ المحامي . نشر قضايا التاريخ الكبرى والسرطان واعراضه وصلاحه والوقاية منه . ﴿مخلص﴾ عبدالله . نشر كتاب الوزارة الى من نال الوزارة مع ذيله وله النرجس وما قيل فيه . ﴿مردم بك﴾ خليل نشر شعراء الشام في القرن الثالث . ﴿مسعود﴾ محمد انشأ جريدة المنبر في مصر . ﴿مظهر بك﴾ منشئ مجلة العصور ألف كتاب نزهة الفكر الاوربي وماهية التاريخ واصل الانواع وملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء وتطور الفكر العربي بالترجمة والنقل عن اليونان . ﴿المغربي﴾ عبد القادر له كتاب الاشتقاق والتعريب وكتاب البينات والاجتماع والادب والتاريخ . ﴿نصار﴾ محمد ألف ادبيات اللغة العربية . ﴿النصولي﴾ انيس زكريا ألف الدولة الاموية في قرطبة وتاريخ الدولة الاموية في الشام واسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر . ﴿نظيف﴾ نشر مؤخراً علم الطبيعة نشوءه ورقيه وتقدمه الحديث . ﴿هيكل﴾ محمد بك حسين . من تآليفه : في اوقات الفراغ وعشرة ايام في السودان

خاتمة

أوقفت يد الموت يراع المؤلف الجليل في آخر باب من كتابه وبذلك دخل هو نفسه في طغمة المأسوف عليهم ، العاملين المجدّين في حقل هذه اللغة الكريمة . على أنه كم من عبرة ، غير الاسى ، يترك لنا فيه تشغل اللّب لدى مرأى الجهد العظيم الذي قام به ، كما هو ظاهر من طيات الكتاب ومن الفهرس التالي ، مئات عديدة والوف مؤلفة من الكتبة وارباب الكلام المختلفي النشأة والمتبايني النزعات

حركة عظيمة دفعت جماهير غفيرة مفكرة الى احياء هذه اللغة العزيزة بعد أن طال رقادها ، كما يعلم الجميع ، وبعد ان كرّت عليها الاعوام ، والهمم عنها منصرفة ، والدهر مخن عليها ، حتى اليوم الذي هبّت فيه روح هذا العصر الجديدة ، كما يهب نسيم السحر في فجر صاح تتلألأ الوان سمائه المذهبة

تتصاعد من كل هؤلاء الناهضين في حلبة البيان أنشودة خلّابة تبارك العصر البازغ ، وتحيي اللغة ، وتملأ النفس أملا بالمستقبل

أجل انّ من رأى سكان الارض طرّاً يقدّمون للغة العربية جنداً متفانين ، من مصريين ، وعراقيين ، وسوريين متوطنين ونازحين ، ومستشرقين من افرنسيين وانكليز والمانيين ونمساويين وبلجيكيين ، ومن اسوج وهولندة وروسية والعجم والهند واميركا ، ومن اسبانيا وايطاليا والسودان ، من رأى فيهم المسلم والمسيحي ، والاسقف والكاهن والراهب والشيخ ، من نظر اليهم مجتمعين من كل طبقة وكل ملة وكل بلد وكل عمر ، والفى الموراني والرومي والكلداني والسرياني والارمني والقبطي ، ومحترف الصحافة ، وقائل الشعر ، من وقع طرفه على كل ذلك اخذه العجب ، وتملكت منه الدهشة وعلم ما لهذه اللغة المتينة العرى من القوّة ومن الحوافل الجرارة التي تسعى بخدمتها في حومة الجهاد للحياة ، وايقن ان لها من الغد مجالا رحباً تجاري فيه أرقى لغات العصر الحية

وما غايتنا من نشر هذا الكتاب الّا احياء الامل بانهاضها الى هذا المستوى العالي المطلوب . حقّق الله الآمال

فهرس ابجدي

للاعلام المذكورة في كتاب الآداب العربية

في الربع الاول من القرن العشرين

— ا —

فهرس ثانٍ لعموم موادّ الكتاب

القسم الاول

الآداب العربية من السنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٨

الباب الاول

الباب الثاني

القسم الثاني

الاداب العربية من ١٩٠٨ الى ١٩١٨

البحث الاول

القسم الثالث

الاداب العربية من السنة ١٩١٨ الى ١٩٢٦

البحث الاول

الجزء الثالث